

تاريخ الطب

obeikandi.com

ذخائر العرب
٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٨٢٢٤ - ٨٢١٠

الجزء السادس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة السابعة



دار المعارف

تصميم الغلاف: الفنان شريف رضا

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

<http://gate.dar-elmarf.com>

بيان

من الأصول الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب ، أجزاء متفرقة ، مختلفة الخطوط ، من نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، وقد رجعتُ إلى جزء منها في تحقيق الجزء الأول ، ومن هذه النسخة جزء يشتمل على ذكر حوادث سنة ٦٥ إلى آخر حوادث سنة ٨٠ هـ ؛ رجعت إليه فيما يقابله من هذا الجزء ، وأثبتت الفروق في الحواشي مع بعض فروق النسخ التي رجع إليها مصححو طبعة ليدن ؛ ورمزت إلى نسخة أحمد الثالث بالحرف « ا » ، كما مرّ ذكره في مقدمة الجزء الأول ، وقد وقعت فيها على تصويبات هامة ، وتوجيهات مفيدة .

وضع هذا الجزء على أساس تجزئة خاصة للناسخ ، وعلى صفحة العنوان : « الجزء التاسع من كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم ومواليد الرسل وأنسابهم والكتائن كان في زمن كل واحد منهم ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رحمة الله عليه » وآخره : « تمّ الجزء التاسع بعون الله تعالى وتوفيقه من التاريخ يتلوه في الجزء العاشر : ثم دخلت سنة إحدى وثمانين . والحمد لله وحده ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل » . كتب بخط نسخي جليّ واضح ، يميل إلى الجودة والإتقان ، وضبطت بعض كلماته ضبطاً صحيحاً في الغالب ، وفيه علامات الوقف والمراجعة . ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري . وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة ، وعدد الأسطر ١٩ سطراً لكل صفحة ، في كل سطر ١٠ كلمات تقريباً .

وقد عنيت عناية تامة بإثبات جميع التصويبات والاستدراكات والكثير من التعليقات التي وضعها مصححو طبعة ليدن في مجلد خاص ؛ وهي في مجموعها تحقق كثيراً من أعلام الأشخاص والبلدان ونصوص الشعر ؛ وذلك مما لم يشته ناشرو هذا الكتاب في الطبعتين المصريتين .

أما باقى التعليقات فقد جرى الأمر فيها على نحو ما جرى فى الأجزاء السابقة من الرجوع إلى أمتهات كتب التاريخ واللغة والأدب ودواوين الشعر ؛ مما أرجو أن يوضع فى ثبوت خاص مع البيانات الكافية فى آخر الكتاب إن شاء الله .
والله الموفق والمعين .

محمد أبو الفضل إبراهيم

المحرم سنة ١٣٨٤

مايو سنة ١٩٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فمّا كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد الكوفة طالباً بدم الحسين بن عليّ بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدويّ .

« ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن فضيل بن خديج ، حدثه عن عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني هند ؛ أن أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب إليهم المختار :

أما بعد ؛ فإنّ الله أعظم لكم الأجر ، وخطّ عنكم الوزر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المُحِلّين ؛ إنكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة ^(١) ، ولم ٥٩٩/٢ تخطوا خطورة إلا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصىه ^(٢) ، إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد ^(٣) جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف ^(٤) بإذن الله ، فجعلتهم ^(٥) بإذن الله رؤكاً ؛ وقتلتهم فذاً وثوأمّاً ؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا من عصي وأبى ؛ والسلام يا أهل الهدى .

فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو ، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظّهارة والبيّانة ^(٦) ؛ فأتى بالكتاب رفاعه بن شدّاد

(١) ف : « وادياً » . (٢) ف : « لم يحصه » .

(٣) ف : « لقد » . (٤) ١ : « من عدوكم » ، ف : « السيف في عدوكم » .

(٥) ١ : « يجعلهم » . (٦) ١ : « الظاهرة والباطنة » .

والمُشَنَّى بن مُخَرَّبَة العبدىّ وسعد بن حُذيفة بن اليمّان ويزيد بن أنس وأحمر بن شُمَيْط الأحمسىّ وعبد الله بن شدّاد البجليّ وعبد الله بن كامل ؛ فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ؛ فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب^(١) ؛ ونحن حيث يسرك ؛ فإن شئت أن نأتى بك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسل إليه به ؛ فسرّ باجماع الشيعة له ؛ وقال لهم : لا تريدوا هذا ؛ فلانى أخرج فى أيتامى هذه .

٦٠٠/٢ قال : وكان المختار قد بعث غلاماً يدعى زريبياً إلى عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكتب إليه :

أمّا بعد : فلانى قد حبست مظلوماً ، وظنّ بنى الولاة ظنوناً كاذبة ؛ فاكتب فى يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ؛ عسى الله أن يخلصنى من أيديهما بلطفك وبركتك ويؤمنك^(٢) ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أمّا بعد ؛ فقد علمتُما الذى بينى وبين المختار بن أبى عبيد من الصّهر ، والذى بينى وبينكما من الود ؛ فأقسمت عليكمما بحقّ ما بينى وبينكما لسمّا خلتيتما سبيله حين تنظران فى كتابى هذا ، والسلام عليكمما ورحمة الله .

فلما أتى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله ابن عمر دعواً للمختار بكفّلاء يضمنونه بنفسه^(٣) ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيس لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضمان هؤلاء كلّهم ! ضمّنته عشرة منهم أشرافاً معروفين ، ودّع سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمّنه ، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلّاه بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يبيغهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بدنة

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « يملك » ، تحريف ، صوابه من ا ، وفيها : « ببركتك ويمنك » .

(٣) ا : « فضمنوه بنفسه » .

ينحرفها لدى رِثاج الكعبة ؛ وماليكُهم كلَّهم ذَكَرُهم وأثامهم أحرارٌ . فحلف
لهما بذلك ، ثم خرج فجاء داره فنزلها .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى ، عن حميد بن مسلم ،
قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول ^(١) : قاتلهم الله ! ما أحققهم حين يروُن
أننى أفى لهم بأيمانهم هذه ! أمّا حليق لهم بالله ؛ فإنه ينبغى لى إذا حلفت على
يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتى الذى هو خير ؛ ٦٠١/٢
وأكفر يمينى ، وخروجى عليهم خير من كفى عنهم ؛ وأكفر يمينى ؛ وأمّا
هدى ألف بدنة فهو أهون على من بصة ؛ وماغن ألف بدنة فيهلوتى !
وأما عتق مماليكى فوالله لوددت أنه قد استتب لى أمرى ، ثم لم أملك مملوكاً
أبدأ .

قال : ولمّا نزل المختار داره عند خروجه من السّجن ، اختلف ^(٢) إليه
الشيعة واجتمعت عليه ؛ واتفق رأيها ^(٣) على الرضا به ، وكان الذى يبايع له الناس
وهو فى السّجن خمسة نفر : السائب بن مالك الأشعرى ، ويزيد بن أنس ،
وأحمر بن شُمَيْط ، ورفاعة بن شدّاد الفُتَيْيَانِ ، وعبد الله بن شداد الجُشَمِى .
قال : فلم تزل أصحابه يكثرون ، وأمره يقوى ويشتدُّ حتّى عزل ابنُ الزبير
عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع
على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الصّقّعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام ، قال : دَعَا ابنُ الزبير عبدَ الله بن مطيع أخابنى عدى
ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الخزومى ؛ فبعث عبد الله بن مطيع
على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة على البصرة . قال :
فبلغ ذلك بسّحيرَ بن ريسان الحميرى ؛ فلقيهما ، فقال لهما : يا هذان ؛
إن القمر الليلة بالناطح ^(٤) ، فلا تسيرا . فأما ابنُ أبى ربيعة ؛ فأطاعه ؛ فأقام يسيراً ٦٠٢/٢

(١) ف : « يقول بعد ذلك » . (٢) ١ : « اختلفت » .

(٣) ف : « رأيهم » . ١ : « رأيها »

(٤) الناطح والناطح : من منازل القمر مما يتشام به .

ثم شخص إلى عمله فلم ؛ وأماً عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا التَطَّح ! قال : فلي والله نطحاً وبَطَّحاً ، قال : يقول عمر : والبلاء موكَّل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالا على البلاد ؛ فقال : مَنْ بعث على البصرة ؟ فقيل : بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حرَّ بوادي عوف ، بعث عوفاً وجلس ! ثم قال : مَنْ بعث على الكوفة ؟ قالوا : عبد الله بن مطيع ، قال : حازم وكثيراً ما يسقط ، وشجاع وما يكره أن يفر ، قال : مَنْ بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مُصعب بن الزبير ، قال : ذاك الليث التَّهْد ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لحمس بقين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إن أحببت أن تقيم معي أحسنتُ صحبتك ، وأكرمت مثواك ؛ وإن لحقت بأمر المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى مَنْ قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحقُّ بأمر المؤمنين ؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ؛ وقال : إنما كانت فتنة ؛ فكف عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصَّلَاة والخراج ؛ وبعث على شُرطته إياس بن مضارب العجلي ، وأمره أن يُحسن السيرة والشدة على المريب .

قال أبو مخنف : فحدثني حَصْبيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي — وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مُصعب بن الزبير — قال : إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع . فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أماً بعد ؛ فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم ، وأمرني بجباية فيثكم ؛ وألاً أحمل فضل فيثكم عنكم إلا برضاً منكم ، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا ، وخذوا

على أبدى سفهائكم ؛ ولألا تفعلوا فلو موات أنفسكم ولا تلو مواتي ؛ فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ؛ ولأقيمن درء^(١) الأصعر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري ، فقال : أمّا أمر ابن الزبير إيتاك ألاّ تحمّل فضل فيثنا عنّا إلا برضانا فإننا نشهدك^(٢) أننا لا نرضى أن تحمل^(٣) فضل فيثنا عنّا ؛ وألاّ يقسم إلاّ فينا ؛ وألاّ يسار فينا إلاّ بسيرة على بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه . ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيثنا ولا في أنفسنا ؛ فإنها إنما كانت أثرة وهوّى ، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيثنا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرّاً ؛ وقد كان لا يألو الناس خيراً . فقال يزيد ابن أنس : صدق السائب بن مالك وبرّ ، رأينا مثل رأيه ، وقولنا مثل قوله . ٦٠٤/٢ فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهو يتمونها ثم نزل . فقال : يزيد بن أنس الأسديّ : ذهبت بفضله يا سائب ؛ لا يعدمك المسلمون ! أما والله لقد قتت وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقاتلك ، وما أحبّ أن الله ولّي الردّ عليه رجلاً من أهل المصّر ليس من شيعتنا .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع ، فقال له : إنّ السائب بن مالك من رموس أصحاب المختار ، ولست آمن المختار ؛ فابعث إليه فليأتك ؛ فإذا جاءك فاحبسّه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس ؛ فإن عيوني قد أنتنى فخبّرني أن أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالمصّر . قال : فبعث إليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسمي من همدان ، فدخلوا عليه ، فقالا : أجب الأمير ، فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابّته ، وتخشّش^(٣) للذهاب معهما ؛ فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٤) ، ففهمها المختار ، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ، ثم قال : ألقوا على القطيفة ؛ ما أراي إلاّ قد وعيت ؛ إني لأجد قفقة

(١) الدر : الميل والعوج . (٢) ف : « نشهد »

(٣) التخشّش : الحركة ، وفي ط : « تخشّش » ، وانصوب ما أثبتته من ا .

(٤) سورة الأنفال : ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثل قول عبد العزى بن صهبل الأزدى :

إِذَا مَا مَعَشَرُ تَرَكَوْا نَدَاهُمْ وَلَمْ يَأْتُوا الْكَرْيَهَةَ لَمْ يُهَابُوا

ارجعوا إلى ابن مطيع ، فأعلمناه حالى التى أنا عليها . فقال له زائدة بن

٦٠٥/٢ قدامة : أمّا أنا ففاعل ؛ [فقال :] ^(١) وأنت يا أخاهمّدان فاعذرني عنده فإنه خير لك .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت في نفسي : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من أن يظهر غداً فيهلكني . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع ^(٢) عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كل ما تحب ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على بابهِ ، وفي داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أمّا إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية ؛ وعلمت ما أردت بها ، وقد علمت أنها هي تبيّطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه . وأسرج دابّته ؛ وعلمت حين تمثل البيت الذي تمثل أنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجاخذني أن يكون أراد شيئاً من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ؛ ولقد علمت أنك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ؛ فأخبرناه بعلّته وشكواه ؛ فصدّقنا ولما عنه . قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم في الدّور حوله . وأراد أن يشب بالكوفة في المحرم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شبّام ^(٣) — وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح — فلقى سعيد بن منقذ الثّوريّ وسعير ابن أبي سعير الحنفيّ والأسود بن جرّاد الكنديّ وقدامة بن مالك الجشمي ؛ فاجتمعوا في منزل سعير الحنفيّ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

٦٠٦/٢

أمّا بعد ؛ فإنّ المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به

(١) تكله من ا .

(٢) كذا في ا ، م ، وفي ط : « أصع »

(٣) ابن الأثير : « شبّام : حى من همدان » .

وبما دعانا إليه ؛ فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه ؛
فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثرَ عندنا من سلامة ديننا .
فقالوا^(١) له : أرشدك الله ! فقد أصبت ووفقت ؛ اخرج بنا إذا شئت .
فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيّامهم ، فخرجوا ، فلهقوا بابن الحنفية ؛
وكان إمامهم عبد الرحمن بن شريح ، فلما قدموا عليه سأله عن حال الناس
فخبروه عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندي
قال : قلنا لابن الحنفية ؛ إن لنا إليك حاجة ؛ قال : فسر^(٢) هي أم علانية ؟
قال : قلنا : لا ؛ بل سرّ ، قال : فرويدا إذا ؛ قال : فكث قليلا ، ثم تنحى
جانبا فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلّم ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ،
وشرّفكم بالنبوة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ؛ فلا يجهل حقكم إلا
مغبون الرأي ، محسوس النصب ؛ قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه . عظمت
مصيبة اختصصتم^(٣) بها ، بعد^(٤) ما عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا
المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى
كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء^(٥) أهل البيت ،
والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إننا رأينا أن نأتيك فنذكر لك
ما دعانا إليه ، ونديننا له ؛ فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا
فرغنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أمّا بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله^(٦) به من فضل ؛
فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فله الحمد !
وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ؛ فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

(١) ف : « قالوا » . (٢) ا ، ف : « أفسر » .

(٣) كذا في ف ، وفي ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا في ا ، وفي ط : « فقد عم » .

(٥) ف : « بدم » . (٦) ف : « خصنا » .

وهي ملحمة كُتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ؛ فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا . قال : فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ^(١) مسنّ كذاً قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختار مخرجنا ، فشق ذلك عليه ، وخشى أن تأتيه بأمر يخذل الشيعة عنه ؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا ^(٢) ؛ فلم يتهيأ ذلك له ^(٣) ؛ فكان

٦٠٨/٢

المختار يقول : إن نفيراً منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا ؛ وإن هم كبوا ^(٤) وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ، فقد شبروا وخابوا ؛ فلم يكن إلا شهراً ^(٥) وزيادة شيء ؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم ، حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم . فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فُتِنْتُمْ وارتبتم ، فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إلى الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال : يا معشر الشيعة ؛ إن نفرأ منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، والتجيب المرتضى ابن خير من طشي ^(٦) ومشي ؛ حاشا النبي المحبتي ؛ فسألوه عمّا قدمت به عليكم ؛ فنبأهم أن وزيره وظهيره ، ورسوله وخليله ؛ وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المخالفين ، والطلب بدماء أهل بيت ^(٧) نبيكم المصطفين . فقام عبد الرحمن بن شريح ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا معشر الشيعة ؛ فإننا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة ؛ فقدمنا على المهدي بن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعمّا دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « لقدومنا » . (٢) ف : « مقدمنا » . (٣) ف : « له ذلك » .

(٤) ف : « نكصوا » . (٥) ف : « غير شهر » .

(٦) كذا في ط ، وفي اللسان : « تطشى المريض ، برئ » . (٧) ف : « بدم أهل البيت » .

فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشرحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغيل^(١) والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ؛ فليبغ ذلك شاهدكم ، ٦٠٩/٢ غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا . ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا^(٢) ؛ فتكلمنا بنحو من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة^(٣) وحدبت عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني نُمَيْر بن وَعْلَة والمَشَرِقِي . عن عامر الشعبي : قال : كنت أنا وأبى أولَ من أجاب المختار . قال : فلما تهيأ أمره ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شُمَيْط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شدّاد : إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوّة على عدونا ، وألا يضرنا خلاف من خالفنا ، فإنه فتي بئس ؛ وابن رجل شريف بعيد الصّيت ؛ وله عشيرة ذات عزّ وعدد . قال لهم المختار : فالقوّه فادعوه . وأعلموه الذي أمرنا به من الطّلّب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبي : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبى ، فتكلم يزيد بن أنس ، فقال له : إننا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك . ندعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرا لك . وإن تركته فقد أدّينا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحب أن يكون عندك مستورا . فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته ؛ ولا التقرب إلى سلطانه باغتيال الناس ، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همما . فقال له : إننا ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملا من الشيعة ؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ، والطلّب بدماء أهل البيت ، وقتال المحلّين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شميّط ، فقال له : إني لك ناصح ، ولحظك محب ، وإنّ أباك قد هلك وهو سيّد [الناس]^(٤) ، وفيك منه إن رعيت حقّ الله خلّف ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبليك في الناس ، وأحييت من ذلك أمرا قد مات ؛ إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها ، إنه قد بنى لك أولك مفتخرا^(٥) . وأقبل القوم

(١) ف : « رجلا رجلا » .

(٢) ف : « لنا الشيعة وله » .

(٣) تكلّة من ا .

(٤) ط : « فتحري » ، والصواب ما أثبتته من ا .

كلّهم عليه^(١) يدعونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر :
فلإني قد أجبتمكم إلى ما دعوتوني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على
أن تولّوني الأمر، فقالوا : أنت لذلك أهل ؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل ؛ هذا
المختار قد جاءنا من قبيل المهديّ ؛ وهو الرسول والمأمور بالقتال ؛ وقد أمرنا
بطاعته . فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبهم . فانصرفنا من عنده إلى المختار
فأخبرناه بما ردّ علينا ؛ قال : فغبرّ ثلاثاً ؛ ثم إن المختار دعا بضعة عشر
رجلاً من وجوه أصحابه - قال الشعبي : أنا وأبي فيهم - قال : فسار بنا ومضى أمامنا
يقبّد بنا بيوت الكوفة قدّاً لا ندرى أين يريد ؛ حتى وقف على باب إبراهيم بن
الأشتر ؛ فاستأذنّا عليه فأذن لنا، وألقيت لنا وسائلنا ؛ فجلسنا عليها وجلس المختار
معه على فراشه ؛ فقال المختار :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد ، والسّلام
عليه ، أمّا بعد ، فإنّ هذا كتاب إليك من المهديّ محمد بن أمير المؤمنين
الوصيّ ؛ وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم
بعد أنبياء الله ورسله ؛ وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ،
وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ، وسيغني الله المهديّ محمداً وأوليائه عنك .
قال الشعبي : وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين خرج من منزله ؛
فلما قضى كلامه قال لي : ادفع الكتاب إليه ، فدفعته إليه ، فدعا بالمصباح وفضّ
خاتمه ، وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك
الأشتر ، سلامٌ عليك ؛ فلإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد
فلإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبّي الذي ارتضيته لنفسى ، وقد
أمرته^(٢) بقتال عدوّي والطلب بدماء أهل بيتي ؛ فانهضْ معه بنفسك
وعشيرتك ومنّ أطاعك ؛ فإنك إن نصرتنّي وأجبت دعوتي وساعدت وزيري
كانت لك عندي بذلك^(٣) فضيلة ؛ ولك بذلك أعنة الخيل وكلّ جيش
غازٍ ، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

(١) ف : « عليه كلهم » . (٢) ف : « وأمرته » .

(٣) ف : « بذلك عندي » .

الشَّامَ ، على الوفاء بذلك على عهد الله ؛ فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيه أبداً ، والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيمُ قراءة الكتاب ، قال : لقد كتب إلى ابنُ الحنفية ؛ وقد كتبتُ^(١) إليه قبل اليوم ؛ فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه ، قال له ٦١٢/٢ المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ فقال له : يزيد بن أنس وأحمر بن شميطة وعبد الله بن كامل وجماعتهم — قال الشعبي : إلا أنا وأبي — فقالوا : نشهد أن هذا كتاب محمد ابن علي إليك ، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفرائض فأجلس المختار عليه ، فقال : أبسط يدك أبياعك ؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم ، ودعا لنا بفاكهة ، فأصبنا منها ؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا ؛ وخرج معنا ابنُ الأشر ؛ فركب مع المختار حتى دخل رحله ؛ فلما رجع إبراهيم منصرفاً أخذ بيدي ، فقال : انصرف بنا يا شعبي ، قال : فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله ، فقال : يا شعبي ، إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك ؛ أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ قال : قلت له : قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيخة المصبر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً . قال : فقلت له هذه المقالة ؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متهم ؛ غير أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأى القوم ؛ وأحب تمام ذلك الأمر^(٢) ؛ فلم أطلع على ما في نفسي من ذلك ؛ فقال لي ابن الأشر : اكتب لي أسماءهم فإني ليس كلهم أعرف . ودعا بصحيفة ودواة ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن شميطة الأحمسي ومالك بن عمرو النهدي ؛ حتى أتى على أسماء القوم ؛ ثم كتب : شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن ٦١٣/٢ الأشر يأمره بموازة المختار ومظاهرتة على قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل البيت ، وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة سراحيل ابن عبد — وهو أبو عامر الشعبي الفقيه — وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي ،

وعامر بن شراحيل الشعبي . فقلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال :
دعه يكون . قال : ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى
المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي ،
قال : كان حميد بن مسلم الأزدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ؛ وكان
يختلف إليه ؛ ويذهب به معه ؛ وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء ،
فيأتي المختار ، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ، ثم ينصرف ؛ فمكثوا بذلك
يدبرون أمورهم ؛ حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع
عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم .
فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ؛ فأذن ؛ ثم إنه
استقدم ، فصلّى بنا المغرب . ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت : أخوك أو
الذئب^(١) — وهو يريد المختار ، فأقبلنا علينا السلاح ، وقد أتى إياس بن مضارب
عبد الله بن مطيع فقال : إن المختار خارج عليك إحدى اليتين ؛ قال :
فخرج إياس في الشرط^(٢) ، فبعث ابنه راشداً إلى الكناسة ، وأقبل يسير
حول السوق في الشرط .

ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إني قد بعثت
ابني إلى الكناسة ، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عزيمة رجلاً من
أصحابك في جماعة من أهل الطاعة ؛ هاب المريب الخروج عليك . قال :
فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع . وقال :
اكفني قومك ، لا أوتين من قبلك ، وأحكم أمر الجبانة التي وجهتك إليها ،
لا يحدثن بها حديث ؛ فأوليك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبي كعب
الخنعمي إلى جبانة بشر ، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كيندة ، وبعث
شمير بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سلم إلى
جبانة الصائدين . وبعث يزيد بن الحارث بن رويم أبا حوشب إلى جبانة مراد .

(١) يقال : أخوك أو الذئب ؛ إذا اشتد الظلام . (٢) ف : « الشرطة » .

وأوصى كلَّ رجل أن يكفيه قومه ، وألا يؤتَى من قبله ، وأن يحكم الوجه الذى وجهه فيه ؛ وبعث شَبَث بن رَبْعَى إلى السَّبَّخَةِ ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجهه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فنزلوا هذه الجبابين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ٦١٥/٢ وقد بلغه أن الجبابين قد حُشيت رجالا ، وأن الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبى عيسى . عن حميد بن مسلم . قال : خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ، ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة ، علينا الدروع ، قد كفرنا^(١) عليها بالأقية ، ونحو متقلدو السيوف ؛ ليس معنا سلاح إلا السيوف فى عواتقنا ، والدروع قد سترناها بأقيبتنا ؛ فلما مررنا بدار سعيد بن قيس فجزئناها إلى دار أسامة ، قلنا : مررنا على دار خالد بن عرقطة ، ثم امض بنا إلى بسجيلة ، فلنمر فى دورهم حتى نخرج إلى دار المختار — وكان إبراهيم فتى حذنا شجاعا ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم — فقال : والله لأمرن على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق . ولأربعين به عدونا ولأربعينهم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبّار^(٢) ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا جاوزها ألقينا إياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح . فقال لنا : من أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر ، فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع مذك ؟ وما تريد ؟ والله إن أمرك لمريب ! وقد بلغنى أنك تمر كل عشية ها هنا . وما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فىرى فيك رأيه . فقال إبراهيم : لأبأ لغيرك ! خل سبيلنا ، فقال : كلا والله لا أفعل — ومع إياس بن مضارب رجل من همدان ، يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشرط فهم يكرمونهم ٦١٦/٢ ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقا — فقال له ابن الأشتر : يا أبا قطن ، ادن منى — ومع أبى قطن رمح له طويل — ؛ فدنا منه أبو قطن ومعهم الرمح ؛

(١) كفرنا ، أى سترنا . (٢) ط : « هبار » ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلى سبيله ؛ فقال إبراهيم - وتناول الرمح من يده ^(١) : « إن رمحك هذا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب ، فطعنه في ثغرة نحره فصرعه ، وقال لرجل من قومه : انزل [عليه] ^(٢) ، فاحتز رأسه ، فنزل إليه فاحتز رأسه ، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن إياس مكان أبيه ^(٣) على الشرطة ، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُنَاسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المِشَقَرِيّ أبا القعقاع بن سويد . وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إننا اتعدنا للخروج للقاء ليلة الخميس ، وقد حدث أمرٌ لا بد من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابي على الباب . فقال المختار : فبشرك الله بخير ! فهذا طير صالح ، وهذا أول الفتح إن شاء الله . ثم قال ^(٤) المختار : قم يا سعيد بن منقذ ، تأشعل في الطرادى ^(٥) النيران ثم ارفعها للمسلمين ، وقم أنت يا عبد الله بن شداد ، فناد : « يا منصور أمت » ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليلى ، وأنت يا قدامة ابن مالك ، فناد : يا لثارات الحسين ! ثم قال المختار : على بدرعى وسلاحى ، فأنيب به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويقول :

٦١٧/٢ قَدْ عَلِمْتُ بَيِّضَاءَ حَسَنَاءَ الطَّلَلِ وَاضِحَةَ الْخَدَيْنِ عَجْزَاءَ الْكَفَلِ

« أُنَى غَدَاةَ الرُّوعِ مِقْدَامٌ بَطْلٌ »

ثم إن إبراهيم قال للمختار : إن هؤلاء الرؤوس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا ، ويضيّقون عليهم ؛ فلو أنى خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتى قومي ؛ فيأتيني كل من قد بايعني من قومي ، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة . ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلى من أراد الخروج إلينا ، ومن قدر على إتيانك من الناس ؛ فن أذاك حبسته عنك إلى من

(٢) من ف .

(١) ف : « بيده » .

(٣) ف : راشداً مكان أبيه إياس . (٤) كذا في ف : وفي ط : « فقال » .

(٥) في اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم ، تحمل عليها قضبانها » .

معك ولم تفرقهم ؛ فإن عوجلت فأتييت كان معك من تمتنع به ؛ وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك في الخيل والرجال . قال له . إيمالا^(١) فاعجل وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ، ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع ألا تقاتل . واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدأك أحد بقتال . فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها ؛ حتى أتى قومه ، واجتمع إليه جل من كان بايعه وأجابه . ثم إنّه سار بهم في سيكك الكوفة طويلاً من الليل ؛ وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الأمراء ، فجاء إلى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق العظام ، حتى انتهى إلى مسجد السكون ، وعجلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير . فشدّ عليهم إبراهيم بن الأشتر وأصحابه ، فكشفوهم حتى دخلوا جبّانة كيندة ، فقال إبراهيم : من صاحب الخيل في ٦١٨/٢ جبّانة كيندة ؟ فشدّ إبراهيم وأصحابه عليهم ، وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك ، وثّرنا لهم ، فانصرنا عليهم ، وتمّم لنا دعوتنا ؛ حتى انتهى إليهم هو وأصحابه ، فخالطوهم وكشفوهم فقبل له : زحر بن قيس ؛ فقال : انصرفوا بنا عنهم ، فركب بعضهم بعضاً كلّما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة ، فانصرفوا يسرون .

ثم خرج إبراهيم يسير حتى انتهى إلى جبّانة أثير ، فوقف فيها طويلاً . ونادى أصحابه بشعارهم ، فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم^(٢) في جبّانة أثير ، فوجأ أن يصيبهم فيحظى بذلك عند ابن مطيع ، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبّانة ، فلمّا رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه : يا شرّطة الله ، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزلوا . ثم شدّ عليهم إبراهيم ، فصر بهم حتى أخرجهم من الصحراء ، ولّوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً ، وهم يتلاومون ، فقال : منهم : إن هذا الأمر يراد ؛ ما يلقون لنا جماعة

(١) إيمالا ، أى إمالة ، لا تفعل غير ذلك .

(٢) ف : « حديهم ومكانهم » .

إِلَّا هَزَمُوهُمْ ! فلم يزل يَهْزِمُهُمْ حَتَّى أَدْخَلَهُمُ الْكُنُاسَةَ . وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم : اتَّبِعْهُمْ وَاعْتِمِمْ مَا قَدْ دَخَلَهُمْ مِنَ الرَّعْبِ ، فقد علم الله إلى مَنْ نَدَعُو وَمَا نَطْلُبُ . وإلى مَنْ يَدْعُونَ وَمَا يَطْلُبُونَ ! قال : لا ، ولكن سِيرُوا بِنَا إِلَى صَاحِبِنَا حَتَّى يُؤْمِنَ اللَّهُ بِنَا وَحِشْتَهُ ، وَنَكُونَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى عِلْمٍ ، وَيَعْلَمَ هُوَ أَيْضًا مَا كَانَ مِنْ عَنَّا ثَنَانًا ، فَيَزِدَادَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قُوَّةً وَبَصِيرَةً إِلَى قَوَاهِمَ وَبَصِيرَتِهِمْ ، مع أُنَى لَا آمَنَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَى . ٦١٩/٢

فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى مَرَّ بِمَسْجِدِ الْأَشْعَثِ ، فَوَقَفَ بِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى دَارَ الْخِتَارِ ، فَوَجَدَ الْأَصْوَاتَ عَالِيَةً ، وَالْقَوْمَ يَقْتَتِلُونَ ، وَقَدْ جَاءَ شَبَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ مِنْ قِبَلِ السَّبَخَةِ ، فَعَبَّى لَهُ الْخِتَارَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ ، وَجَاءَ حَجَّارُ بْنُ أَبِجَرَ الْعَجَلِيَّ . فَجَعَلَ الْخِتَارُ فِي وَجْهِهِ أَحْمَرَ بَنَ شَمِيطٍ ، فَالْتَمَسَ يَقْتَتِلُونَ ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ قِبَلِ الْقَصْرِ ، فَبَلَغَ حَجَّارًا وَأَصْحَابَهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ جَاءَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَتَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَذَهَبُوا فِي الْأَرْقَةِ وَالسَّكَكِ ، وَجَاءَ قَيْسُ بْنُ طَهْفَةَ فِي قَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَهْدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْخِتَارِ ، فَحَمَلَ عَلَى شَبَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ وَهُوَ يَقَاتِلُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ ، فَخَلَّى لَهُمُ الطَّرِيقَ حَتَّى اجْتَمَعُوا جَمِيعًا . ثُمَّ إِنَّ شَبَبْتُ بْنَ رَبِيعٍ تَرَكَ لَهُمُ السَّكَّةَ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى لَقِيَ ابْنَ مَطِيعٍ ، فَقَالَ : ابْعَثْ إِلَى أَمْرَاءِ الْجَبَسَاءِ بَيْنَ فَرِهِمْ فَلْيَأْتَوْكَ ، فَاجْمَعْ إِلَيْكَ جَمِيعَ النَّاسِ ، ثُمَّ انْهَدِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَقَاتِلِهِمْ وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنْ تَتَّقِي بِهِ فليَكْفِكَ قِتَالَهُمْ ، فَإِنَّ أَمْرَ الْقَوْمِ قَدْ قَوِيَ ، وَقَدْ خَرَجَ الْخِتَارُ وَظَهَرَ . وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخِتَارُ مِنْ مَشُورَةِ شَبَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ عَلَى ابْنِ مَطِيعٍ خَرَجَ الْخِتَارُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ فِي ظَهْرِ دَيْرٍ هَنْدٍ مِمَّا يَلِي بُسْتَانَ زَائِلَةً فِي السَّبَخَةِ .

قال : وَخَرَجَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ فَنَادَى فِي شَاكِرٍ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي دَوْرِهِمْ ، يَخَافُونَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي الْمِيدَانِ لِقُرْبِ كَعْبِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ الْخَثَمِيِّ مِنْهُمْ ، وَكَانَ كَعْبُ فِي جَبَانَةِ بَشَرٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ شَاكِرًا تَخْرُجُ جَاءَ يَسِيرُ ^(١) حَتَّى نَزَلَ بِالْمِيدَانِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ بِأَفْوَاهِهِمْ سَيِّكُكِهِمْ وَطَرُقِهِمْ . قال : فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ

فى عصابة من أصحابه ، نادى : يا لَسَّاراتِ الحسين ! يا منصورُ أُميت !
يا أَيُّها الحَيِّ المهتدون ، ألا إنَّ أميرَ آلِ مُحَمَّدٍ ووزيرَهم . قد خرج فزَلْ
ديرَ هَند ، وبعثنى إليكم داعيًّا ومبشِّرًا ، فانخرجوا إليه يرحمكم الله ! قال :
فخرجوا من الدَّور يتداعَوْنَ : يا لَسَّاراتِ الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن
أبى كعب حتَّى نخلَّى لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار حتَّى نزلوا معه فى
عسكره ، وخرج عبد الله بن قراد الخنعميَّ فى جماعة من خنعم نحو المائتين
حتَّى لحق بالمختار ، فنزلوا معه فى عسكره ، وقد كان عرض له كعب بن
أبى كعب فصافه ، فلمَّا عرفهم ورأى أنَّهم قومه نخلَّى عنهم . ولم
يقاتلهم .

وخرجتُ شِبامَ من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبَّانة مراد ، فلمَّا
بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون اللِّحاق
بالمختار فلا تمرُّوا على جبَّانة السَّبَّيع ، فلتحقوا بالمختار ، فتوافى إلى المختار
ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفًا كانوا بايعوه ، فاستجمعوا له قبل
انفجار الفجر . فأصبح قد فرغ من تعبته .

قال أبو مخنف : فحدثني الواليُّ قال : خرجتُ أنا وحميد بن مسلم ،
والنعمان بن أبى الجعد إلى المختار ليلةَ خُرج ، فأتيناه فى داره ، وخرجنا معه
إلى معسكره ، قال : فوالله ما انفجرَ الفجر حتَّى فرغ من تعبته ؛ فلمَّا ٦٢١/٢
أصبح استقدم ، فصلَّى بنا الغداةَ بغلَس ، ثم قرأ « والنازعات » و « عبس وتولَّى » ،
قال : فما سمعنا إمامًا أمَّ قومًا أفصحَ لهجةً منه .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، أن ابنَ مطيع بعث إلى
أهل الجبابين ، فأمرهم أن ينضمُّوا إلى المسجد ، وقال لراشد بن إياس بن
مضارب : نادِ فى الناس فليأتوا المسجد ، فنادى المنادى : ألا برئت الذمَّة
من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافى النَّاس فى المسجد ، فلمَّا اجتمعوا
بعث ابن مطيع شَبَّث بن رِبْعَى فى نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث
راشد بن إياس فى أربعة آلاف من الشُّرَط .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصَّلْت التيميَّ عن أبى سعيد الصَّيقل :

قال : لما صَلَّيْتُ المختار الغداةَ ثم انصرف سَمِعْنَا أصواتًا مرتفعة فيما بين
 بنى سُلَيْمٍ وسَكَّةَ البريد ، فقال المختار : مَنْ يَعْلَمُ لَنَا عِلْمَ هَؤُلَاءِ مَا هُمْ ؟
 فقلت له : أَنَا أَصْلَحُكَ اللَّهُ ! فقال المختار : إِمَّا لَا ^(١) فَأَلْقِ سِلَاحَكَ وَانْطَلِقْ
 حَتَّى تَدْخُلَ فِيهِمْ كَأَنَّكَ نَظَّارٌ ، ثُمَّ تَأْتِينِي بِخَبْرِهِمْ . قال : فَفَعَلْتُ ، فَلَمَّا
 دَنَوْتُ مِنْهُمْ إِذَا مُؤَذِّنُهُمْ يَقِيمُ ، فَجِئْتُ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَإِذَا شَبَّثَ بِنِ
 رِبْعَىٍّ مَعَهُ خَيْلٌ عَظِيمَةٌ ، وَعَلَى خَيْلِهِ شَيْبَانُ بْنُ حُرَيْثٍ الضَّبِّيُّ ، وَهُوَ فِي
 الرِّجَالِ مَعَهُ مِنْهُمْ كَثْرَةٌ ، فَلَمَّا أَقَامَ مُؤَذِّنُهُمْ تَقَدَّمَ فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ ، فَقَرَأَ : ﴿ إِذَا
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَزُلَّ اللَّهُ بِكُمْ ،
 وَقَرَأَ : ﴿ وَالْعِمَادُ يَافُضُّنَّ ﴾ ، فَقَالَ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : لَوْ كُنْتُ قَرَأْتُ سَوْرَتَيْنِ هُمَا
 ٦٢٢/٢ أَطْوَلُ مِنْ هَاتَيْنِ ^(٢) شَيْئًا ! فَقَالَ شَبَّثُ : تَرَوْنَ الدَّيْلِمَ قَدْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِكُمْ ،
 وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : لَوْ قَرَأْتُ سُورَةَ « الْبَقَرَةِ » وَ « آلِ عِمْرَانَ » ! قَالَ : وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ،
 قَالَ : فَأَقْبَلْتُ سَرِيعًا حَتَّى أَتَيْتُ الْمُخْتَارَ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ ^(٣) شَبَّثٍ وَأَصْحَابِهِ ،
 وَأَتَاهُ مَعِيَ سَاعَةً أَتَيْتُهُ ^(٤) سِعْرُ بْنُ أَبِي سَعْرٍ الْخَنْفِيُّ يَرْكُضُ مِنْ قِبَلِ مَرَادٍ ،
 وَكَانَ مَمْسًا بِأَبْعِ الْمُخْتَارِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ لَيْلَةَ خُرُوجِ مَخَافَةِ الْحَرَسِ ،
 فَلَمَّا أَصْبَحَ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ ، فَرَّ بِجَبَانَةٍ مَرَادٍ ؛ وَفِيهَا رَاشِدُ بْنُ إِيَّاسٍ ، فَقَالُوا :
 كَمَا أَنْتَ ! وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَرَكَضَهُمْ حَتَّى جَاءَ الْمُخْتَارَ ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ رَاشِدٍ ، وَأَخْبَرْتُهُ
 أَنَا خَبَرَ شَبَّثٍ ، قَالَ : فَسَرَّحَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ قَبْلَ رَاشِدِ بْنِ إِيَّاسٍ فِي تِسْعِمَائَةٍ —
 وَيُقَالُ سِتَائَةٌ فَارِسٍ وَسِتَائَةٌ رَاجِلٍ — وَبِعَثَ نَعِيمُ بْنُ هَبِيرَةَ أَخَا مَصْفُوقَةَ بْنِ هَبِيرَةَ
 فِي ثَلَاثَةِ فَارِسٍ وَسِتَائَةِ رَاجِلٍ ، وَقَالَ لَهَا : امْضِي حَتَّى تَلْقِيَا عَدُوَّكُمَا ، فَإِذَا
 لَقِيْتُمَاهُمَا فَانْزِلَا فِي الرِّجَالِ وَعَجِّلَا الْفَرَاعَ وَابْدَأْهُمَا بِالْإِقْدَامِ ، وَلَا تَسْتَهْدِفَا لَهُمَا ؛
 فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ ، وَلَا تَرْجِعَا إِلَى حَتَّى تَظْهَرَا أَوْ تُقْتَلَا . فَتَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى
 رَاشِدٍ ، وَقَدَّمَ الْمُخْتَارُ يُزِيدُ بْنُ أَنَسٍ فِي مَوْضِعِ مَسْجِدِ شَبَّثٍ فِي تِسْعِمَائَةِ أَمَامِهِ .
 وَتَوَجَّهَ نَعِيمُ بْنُ هَبِيرَةَ قَبْلَ شَبَّثٍ .

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجه مع نعيم

(١) إِمَّا لَا ، أَيْ إِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلْ غَيْرَ ذَلِكَ . (٢) ف : « مِنْهَا » .

(٣) ف : « خَبَر » . (٤) ف : « وَافِيَتُهُ » .

ابن هبيرة إلى شَبَث ومعى سِعْر بن أبي سحر الحنفيّ، فلما انتهينا إليه قاتلناه ٦٢٣/٢ قتالا شديداً، فجعل نعيم بن هبيرة سحر بن أبي سِعْر الحنفيّ على الخيل، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت، فضر بناهم حتى أدخلناهم البيوت، ثم إن شَبَث بن رِبْع ناداهم: يا حماة السوء! بنس فرسان الحقائق^(١) أنتم! أمين عبيدكم تهربون^(٢)! قال: فتابت إليه منهم جماعة^(٣) فشدّ علينا وقد تفرقنا فهزمنا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل، ونزل سحر فأسير وأسيرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج^(٤)، فقال شَبَث لخليد - وكان وسيماً جسيماً: من أنت؟ فقال: ^(٥)خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي، فقال له شَبَث: يا بن المتكباء، تركت بيع الصّحّانة^(٦) بالكُناسة وكان جزاء من أعتقلك أن تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه! اضربوا عنقه، فقتل، ورأى سحر الحنفيّ فعرّفه، فقال: أخو بني حنيفة؟ فقال له: نعم؛ فقال: ويحك! ما أردت إلى اتباع هذه السبئية! قبح الله رأيك، دعوا ذا. فقلت في نفسي: قتل المولى وترك العربي، إن علم والله إنى مولى قتلى. فلمّا عرضت عليه قال: من أنت؟ فقلت: من بني تميم الله؛ قال: أعربي أنت أو مولى؟ فقلت: لا بل عربي، أنا من آل زياد بن خصفة، فقال: بخ بخ! ذكرت الشريف المعروف، الحق بأهلك. قال: فأقبلت حتى انتهيت إلى الحمراء، ٦٢٤/٢ وكانت لي في قتال القوم بصيرة، فجئت حتى انتهيت إلى المختار؛ وقلت في نفسي: والله لأبئن أصحابي فلا واسينهم بنفسي، فقبج الله العيش بعدهم! قال: فأبئتهم وقد سبقني إليهم سِعْر الحنفيّ، وأقبلت إليه خيل شَبَث، وجاءه قتل نعيم بن هبيرة، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير؛ قال: فدنوت من المختار، فأخبرته بالذي كان من أمري، فقال لي: اسكت، فليس هذا بمكان الحديث. وجاء شَبَث حتى أحاط بالمختار وبيزید بن أنس

(١) ف: «الحقيقة». (٢) ف: «تفرون».

(٣) ف: «جماعة منهم».

(٤) ط: «يخدح»، والصواب ما أثبتته؛ وانظر الاشتقاق ٣٤٧. (٥) ف: «قال».

(٦) المتكباء من النساء؛ هي التي لم تخفض؛ وهو من السب عندهم. وفي اللسان: «الصحناء بالكسر: إدام يتخذ من السك، يمد ويقصر، والصحناء أخص منه».

وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جرير، فتوقفوا في أفواه تلك السكك، وولّى المختار يزيد بن أنس نخيلته، وخرج هو في الرّجالة.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالبي؛ والبة الأزدي، قال: حملت علينا خيل شبيب بن ربيعة حملتين، فما يزول منا رجل من مكانه، فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشيعة، قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمّل أعينكم، وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم؛ وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم! إذا والله لا يدعون منكم عيناً تطرف، وليقتلنكم صبراً، ولترؤن منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا ينجيكم منهم إلا الصدق والصبر، والطعن الصائب في أعينهم، والضرب الدراك^(١) على هامهم. فتيسروا للشدة، وتهيئوا للحملة، ٦٢٥/٢ فإذا حرّكت رايتي مرتين فأحملوا. قال الحارث: فتهيئنا وتيسرنا، وجشونا على الركب، وانتظرنا أمره.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجه إلى راشد بن إلياس، مضى حتى لقيه في مراد، فإذا معه أربعة آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء، فوالله لرُب رجل خير من عشرة، ولرُب فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة. يا ذن الله والله مع الصابرين، ثم قال: يا خزيمه بن نصر، سر إليهم في الخيل. ونزل هو يمشي في الرجال، ورايته مع مزاحم بن طفيل، فأخذ إبراهيم يقول له: ازدكف برايتك، امض بها قدماً قدماً. واقتل الناس، فاشتد قتالهم، وبصر خزيمه بن نصر العبيسي براشد بن إلياس، فحمل عليه

(١) الطعن الدارك: المتتابع.

فقطعه ، ففقتله ، ثم نادى : قتلْتُ راشداً وربَّ الكعبة . وانهزم أصحابُ راشد ، وأقبل إبراهيمُ بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار ، وبعث النعمانُ بن أبي الجعد يبشّر المختار بالفتح عليه ويقتل راشد ، فلماً أن جاءهم البشير بذلك كبروا ، واشتدت أنفسهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفسّسل ، وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسي في جيش كثيف نحو من ألفتين . فاعترض إبراهيم بن الأشتر فوَّيق الحمراء ليرده عمن في السبخة من أصحاب ابن مطيع ، فقدم إبراهيم خزيمة بن نصر إلى حسان بن فائد في الخيل ، ومشى إبراهيم نحوه في الرجال . فقال :

والله ما اطعنا برمح ، ولا اضطررنا بسيف ، حتى انهزموا . وتخلّف حسان بن فائد في أخريات الناس يحميهم ، وحمل عليه خزيمة بن نصر ، ٦٢٦/٢ فلماً رآه عرفه ، فقال له : يا حسان بن فائد ، أما والله لولا القرابة لعرفت أنني سألتمس قتلك بجهدى ، ولكن النجاء ، فعثر بحسان فرسه فوق ، فقال : تعساً لك ؛ أبا عبد الله ! وابتدره الناس فأحاطوا به ، فضاربهم ساعة بسيفه ، فناداه خزيمة بن نصر ، قال : إنك آمن يا أبا عبد الله ، لا تقتل نفسك ، وجاء حتى وقف عليه ونهته الناس عنه ، ومر به إبراهيم ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمي وقد آمنته ؛ فقال له إبراهيم : أحسنت ، فأمر خزيمة بطلب فرسه حتى أتى به ، فحمله عليه ، وقال : الحق بأهلك .

قال : وأقبل إبراهيم نحو المختار ، وشبّ محيط بالمختار ويزيد بن أنس ، فلماً رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سيكك الكوفة التي تلى السبخة ، وإبراهيم مقبل نحو شبّ ، أقبل نحوه ليصدّه عن شبّ وأصحابه ، فبعث إبراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر ، فقال : أعنّ عنا يزيد بن الحارث . وصمد هو في بقية أصحابه نحو شبّ بن ربعي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب أن إبراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبّا وأصحابه ينكصون وراءهم رويداً رويداً ، فلماً دنا إبراهيم من شبّ وأصحابه ، حمل عليهم ، وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم ،

فحملنا عليهم ، فانكشفوا حتّى انتهوا إلى أبيات الكوفة ، وحمل خزيمة ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وأقبل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلما انتهى أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية ^(١) بالنبل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناس من السبّخة منهزمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتل راشد بن إلياس ، فأسقط في يده .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن هانئ ، قال : قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع : أيها الرجل لا يُسقط في خلدك ، ولا تلقى بيدك ، أخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزهم ، فإن الناس كثير عددٌهم ، وكلهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس ، والله مخزيها ومُهلكها ، وأنا أول مُتدب ، فاندب معي طائفة ، ومع غيري طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن من أعجب العجائب عجزكم عن عصبية منكم قليل عددها ، خبيث دينها . ضالة مُضلة . اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حرّيمكم وقاتلوهم عن مِصركم ، وامنعوا منهم فيئسكم ، وإلا والله ليشاركسكم في فيئسكم من لا حق له فيه . والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أميرٌ منهم ، وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغيير دينكم حين يكثرون . ثم نزل .

قال : ومنعهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السبّخة حتّى ظهر على الجبّانة ، ثم ارتفع إلى البيوت ، بيوت مُزينة وأحمس وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم : وبيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء ، فسقى أصحابه ، وأبى المختار أن يشرب . قال : فظن أصحابه أنه صائم ، وقال أحمر بن هديج من همدان

ابن كامل : أتري الأمير صائماً؟ فقال له : نعم ، هو صائم ، فقال له : فلو أنه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له ؛ فقال له : إنه معصوم ، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صدقت ، أستغفر الله . وقال المختار : نعم مكان المقاتل هذا ، فقال له : إبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وفلّهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، وتنزل هاهنا! سرّ بنا ؛ فوالله ما دون القصر أحدٌ يمنع ، ولا يتمتع كبير امتناع ؛ فقال المختار : ليقيم ها هنا كل شيخ ضعيف وذى علّة ، وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدونا . ففعلوا ، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي ، وقدم إبراهيم بن الأشتر أمامه ، وعبى أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السبّخة .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فخرج عليهم من سكة الثوريين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطاه إبراهيم ، ودعا المختار يزيد بن أنس ، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجاج ، فضى نحوه ، وذهب المختار في أثر إبراهيم ، ففضوا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف ، وأمر إبراهيم أن يمضى على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبّل الكناسة ، فضى ، فخرج إليه من سكة ابن محرز ، وأقبل شمر بن ذى الجشون في ألفين ، فسرّح المختار إليه سعيد بن منقذ الحمّدي فواقعه ، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه ، وامض ٢٢٩/٢ على وجهك . فضى حتى انتهى إلى سكة شبت . وإذا (١) نوفل بن مساحق بن عبد الله بن محرمة في نحو من ألفين - أو قال : خمسة آلاف . وهو الصحيح - وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شبت بن ربّعي على القصر . وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة .

قال أبو مخنف (٢) : حدثني حصيرة بن عبد الله ، قال : إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه ، حتى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فقال :

(١) ف : « فإذا » .

(٢) بعدها في ف : « لوط بن يحيى » .

قربوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مصليتين بالسيوف ، ولا يهولنكم أن يقال : جاءكم شبث بن ربعي وآل عتيبة بن النّسّاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسَمّي بيوتاتٍ من بيوتات أهل الكوفة . ثم قال : إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب . قال حصيرة : فلاني لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائهِ فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، وقد شدّ بها على القباء ، وقد كفّر بالقباء على الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدّوا عليهم فدّى لكم عى ونحالى ! قال : فوالله ما لبثهم أن هزّمهم ؛ فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدحموا ، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بليجام دابّته ، ورفع السيف عليه ، فقال له ابن مساحق : يا ابن الأشتر ، أنشدك الله . أتطلبني بثأراً ! هل بيني وبينك من إحنة ! فخلّى ابن الأشتر سبيله ، وقال له : اذكرهما ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسرون حتّى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتّى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً .

قال أبو مخنف : وحدّثني النّضر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً ، يرزق أصحابه في القصر حيث حُصر الدقيق ، ومعه أشرف الناس ، إلّا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى داره ولم يُلزم نفسه الحصار ، ثم خرج حتى نزل البرّ ، وجاء المختار حتّى نزل بجانب السوق ، وولّى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُميط ، فكان ابن الأشتر ممّا يلي المسجد وباب القصر ، ويزيد بن أنس ممّا يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين ، وأحمر بن شُميط ممّا يلي دار عمارة ودار أبي موسى . فلمّا اشتدّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلّمه الأشراف ، فقام إليه شبث فقال : أصلح الله الأمير ! انظر لنفسك ولن معك ، فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : هاتوا ، أشيروا على برأيكم ؛

قال شَبَّثُ : الرَّأْيُ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ أَمَانًا وَلَنَا ، وَتَخْرُجَ وَلَا تُهْلِكَ نَفْسَكَ وَمِنْ مَعِكَ . قال ابن مطيع : والله إني لأكره أن آخذ منه أَمَانًا وَالْأُمُورَ مُسْتَقِيمَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَازِ كُلِّهِ وَبِأَرْضِ الْبَصْرَةِ ؛ قال : ٦٣١/٢ فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلاً بالكوفة عند من تَسْتَنْصِيحُهُ وَتَسْقِ بِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ بِمَكَانِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَلْحَقَ بِصَاحِبِكَ ؛ فقال لأَسْمَاءَ بِنِ خَارِجَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُخَنَّفٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ وَأَشْرَافَ أَهْلِ الْكُوفَةِ : مَا تَرَوْنَ فِي هَذَا الرَّأْيِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ شَبَّثُ ؟ فقالوا : مَا نَرَى الرَّأْيَ إِلَّا مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ ، قال : فَرَوَيْدًا حَتَّى أُمْسِيَ .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو المغلس الليثي ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْليثيَّ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ الْخِتَارِ مِنَ الْقَصْرِ مِنَ الْعَشِيِّ يَشْتَمُهُمْ ؛ وَيَنْتَحِي لَهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرِو أَبُو نَعْمَانَ ^(١) الْنَهْدِيُّ بِهِمْ ، فَيَمْرًا بِحُلُقِهِ ، فَقَطَعَ جِلْدَةً مِنْ حُلُقِهِ فَقَالَ فَوْقَ ؛ قال : ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ وَبَرَأَ بَعْدُ ؛ وَقَالَ النَّهْدِيُّ حِينَ أَصَابَهُ : خَلَّهَا مِنْ مَالِكٍ ، مِنْ فَاعِلٍ كَذَا .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، عن حَسَّانَ بْنِ فَائِدِ بْنِ بَكِيرٍ ، قال : لَمَّا أُمْسَيْنَا فِي الْقَصْرِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، دَعَانَا ابْنُ مَطِيْعٍ ، فَذَكَرَ اللَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال : أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِينَ صَنَعُوا هَذَا مِنْكُمْ مَنْ هُمْ ؛ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَا هُمْ أَرَادُوا لَكُمْ وَسَفَهَاؤَكُمْ وَطَغَامُكُمْ وَأَخْسَاؤَكُمْ ، مَا عَدَا الرَّجُلَ أَوْ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَنَّ أَشْرَافَكُمْ وَأَهْلَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ لَمْ يَزَالُوا سَاهِعِينَ مَطِيعِينَ مُنَاصِحِينَ ، وَأَنَا مَبْلَغُ ذَلِكَ صَاحِبِي ، وَمُعَلِّمُهُ طَاعَتَكُمْ وَجِهَادَكُمْ عَدُوَّةً ، حَتَّى كَانَ اللَّهُ الْغَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ ، وَقَدْ كَانَ ٦٣٢/٢ مِنْ رَأْيِكُمْ وَمَا أَشْرَئْتُمْ بِهِ عَلَيَّ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتَ أَنَّ أَخْرَجَ السَّاعَةَ . فَقَالَ لَهُ شَبَّثُ : جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرًا ! فَقَدْ وَاللَّهِ عَفَفْتَ عَنْ أَمْوَالِنَا ، وَأَكْرَمْتَ أَشْرَافِنَا ، وَنَصَحْتَ لَصَاحِبِكَ ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ ، وَاللَّهُ مَا كُنَّا لِنَفَارِقَكَ أَبَدًا إِلَّا وَنَحْنُ مِنْكَ فِي إِذْنٍ ، فَقَالَ : جَزَاكَمُ اللَّهُ خَيْرًا ، أَخَذَ أَمْرًا حَيْثُ أَحَبَّ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ نَحْوِ دُرُوبِ الرُّومِيِّينَ حَتَّى أَتَى دَارَ أَبِي مُوسَى ، وَخَلَّى الْقَصْرَ ، وَفَتَحَ أَصْحَابَهُ

الباب، فقالوا : يا بن الأشتر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ؛ فخرجوا فبايعوا المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر العدوي ؛ من عدى جهينة - وهو أبو الأشعر - أن المختار جاء حتى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشرفُ الناس في المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : الحمد لله الذي وعد وليه النصر ، وعدوه الخسر ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وعداً مفعولاً ، وقضاءً مقضياً ، وقد خاب من اقترى . أيها الناس ، إنّه رفعت لنا راية ، ومُدّت لنا غاية ، فقبل لنا في الراية : أن ارفعوها ولا تَضَعوها ، وفي الغاية : أن اجروا إليها ولا تَعُدوها ، فسمعنا دعوة الداعي ، ومقالة الواعي ؛ فكم من ناع وناعية ، لقتلى في الواعية ! وبعداً لمن طغى وأدبر ، وعصى وكذب وتولى ، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا واللّذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً ، والأرض فجاً سبلاً ، ما بايعتم بعد بيعة على بن أبي طالب وآل على أهدى منها .

٦٣٣/٢ ثم " نزل فدخل ، ودخلنا عليه وأشراف الناس ، فبَسَطَ يده ، وابتدّره ^(١) الناس فبايعوه ، وجعل ^(٢) يقول : تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المُحِلِّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال مَنْ قاتلنا ، وسلم مَنْ سألنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا نقيلكم ولا نستقيلكم ؛ فإذا قال الرجل : نعم ، بايعته . قال : فكأنّي والله أنظر إلى المنذر بن حسان بن ضرار الضبيّ إذ أتاه حتّى سلّم عليه بالإمرة ، ثمّ بايعه وانصرف عنه ، فلمّا خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوريّ في عصابة من الشيعة واقفاً عند المصطبة ، فلمّا رآوه ومعه ابنه حيّان بن المنذر ، قال رجل من سفهاءهم : هذا والله من رعووس الجبّارين ، فشَدُّوا عليه وعلى ابنه ، فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد بن منقذ : لا تَعَجِّلُوا ، لا تَعَجِّلُوا حتّى ننظر ما رأى أميركم فيه . قال : وبلغ المختار ذلك ، فكرهه حتّى رُئِيَ ذلك في وجهه ، وأقبل المختار يمتنّي الناس ، ويستجّر مودّتهم ومودة الأشراف ، ويُحسِن السيرة جُهدَه .

(١) ف : « وابتدّره » . (٢) ١ ، ف : « فجعل » .

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمت أن ابن مطيع في دار أبي موسى ؟ فلم يُجِبْه بشيء ، فأعادها عليه ثلاث مرّات فلم يُجِبْه ، ثمّ أعادها فلم يُجِبْه ، فظنّ ابن كامل أن ذلك لا يوافقه ، وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صدّيقاً ، فلماً أُمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهّزْ بهذه واخرج ؛ فإنّي قد شعرت بمكانك ، وقد ظننتُ أنّه لم يمنعك من الخروج إلّا أنّه ليس في يديك ما يقوّيك على الخروج . وأصاب ٦٣٤/٢ المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة^(١) رجل - كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ، وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتّى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، وسنّاهم العدل وحسن السيرة ، وأدنى الأشراف ، فكفّوا جلساءه وحُدّ آثمه ، واستعمل على شُرْطته عبد الله بن كامل الشّاكرى ، وعلى حرسه كيسان أبا عمّرة مولى عُرينة ؛ فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحدّثونه ، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال لأبي عمّرة بعضُ أصحابه من الموالى : أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ! فدعاه المختار فقال له : ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلّمونك ؟ فقال له - وأسرّ إليه : شقّ عليهم أصلحك الله صرّفك وجهك عنهم إلى العرب ، فقال له : قلّ لهم : لا يشقّن ذلك عليكم ، فأنتم منى وأنا منكم . ثمّ سكّت طويلاً ، ثمّ قرأ : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾^(٢) . قال : فحدّثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال : ما هو إلّا أن سمعها الموالى منه ، فقال بعضهم لبعض : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتلهم .

قال أبو مخنف : حدّثني حصيرة بن عبد الله الأزديّ وفُضَيْل بن خديج الكنديّ والنضر بن صالح العبسي ، قالوا : أوّل رجل عقد له المختار

(١) ف : « وخمسمائة » .

(٢) سورة المجدة : ٢٢ .

٦٣٥/٢ راية عبد الله بن الحارث أخو الأشر ، عَقَمَدَ لَهُ على أرمينية ، وبعث محمد ابن عمير بن عطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوسَخِي ، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصري ، وهو حليف لثقيف على بهقُبَاذ الأعلى ، وبعث محمد بن كعب بن قَرَطَظَة على بهقُبَاذ الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقُبَاذ الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمّان على حُلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة ألفاً فارس بحُلوان . قال : ورزقه ألف درهم في كل شهر ، وأمره بقتال الأكراد ، وبإقامة الطرق ، وكتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُورهم إلى سعد بن حذيفة بحُلوان ، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل ، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة ، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلّا بأمر ابن الزبير ، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصل ، لا يكتب أحداً دون ابن الزبير .

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبَل المختار أميراً تنحى له عن الموصل ، وأقبل حتى نزل تكريت ، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم ، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس ، وإلى ما يصير أمرهم ، ثم شخص إلى المختار فبايع له ^(١) ، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده .

٦٣٦/٢ قال أبو مخنف : وحدثنى صلة بن زهير النّهدي ، عن مسلم بن عبد الله الضبّائي ، قال : لما ظهر المختار واستمكن ، ونفى ابن مطيع وبعث عمّاله ، أقبل يجلس للناس غدوة ^(٢) وعشيّة ، فيقضي بين الخصمين ، ثم قال : والله إن لي فيما أزال وأحاول لشُغلاً عن القضاء بين الناس ، قال : فأجلس للناس شُرُجاً ، وقصّي بين الناس ، ثم إنّه خافهم فتمارض ، وكانوا يقولون : إنّه عُثماني ، وإنّه ممّن شهد على حُجّر بن عدى ، وإنّه لم يُبلّغ عن هاني ابن عروة ما أرسله به - وقد كان على بن أبي طالب عزّله عن القضاء - فلما

(١) ف : « فبايعه » .

(٢) ف : « بكرة » .

أن سمع بذلك ورآهم يذمتونه ويُسندون إليه مثل هذا القول تمارض، وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود . ثم إن عبد الله مرض ، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً .

قال مسلم بن عبد الله : وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان ، فقتلته بالسوط ، فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمن له عبد الله بن شداد ، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال :

أَلَا انْتَسَأْتُ بِالْوَدِّ عَنْكَ وَأَذْبَرْتُ
وَحَمَلْتُهَا وَاشِ سَعَى غَيْرِ مُؤْتَلٍ
فَخَفَضَ عَلَيْكَ الشَّأْنَ لَا يُرِدُّكَ الْهَوَى
وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى
دَعَا يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلْتُ
وَمِنْ مَذْحِجِ جَاءِ الرَّئِيسِ ابْنُ مَالِكٍ
وَمِنْ أَسَدٍ وَافَى يَزِيدُ لِنَصْرِهِ
وَجَاءَ نُعَيْمٌ خَيْرُ شَيْبَانَ كُلِّهَا
وَمَا ابْنُ شَمِيطٍ إِذْ يُحَرِّضُ قَوْمَهُ
وَلَا قَيْسُ نَهْدٍ لَا وَلَا ابْنُ هَوَازِنٍ
وَسَارَ أَبُو النُّعْمَانِ لِلَّهِ سَعِيَهُ
بِخَيْلٍ عَلَيْهَا يَوْمَ هَيْجَا دُرُوعِهَا
فَكَرَّ الْخَيْلُ كَرَةً ثَقِفَتْهُمْ
فَوَلَّى بِضَرْبٍ يَشْدَخُ الْهَامَ وَقَعَهُ
فَحُوصِرَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بَائِياً
فَمَنَّ وَزِيرُ ابْنِ الْوَصِيِّ عَلَيْهِمْ

مُعَالِنَةً بِالْهَجْرِ أَمْ سَرِيعٌ (١)
فَأُبْتُ بِهِمْ فِي الْفُؤَادِ جَمِيعٍ
فَلَيْسَ انْتِقَالُ خَلَّةٍ بِبَدِيعٍ
وَيُلْهِمُهُ عَنِ رُودِ الشَّيْبَابِ شُمُوعٌ
كَتَائِبُ مِنْ هَمْدَانٍ بَعْدَ هَزِيعٍ
يَقُودُ جُمُوعاً عُبِيَتْ بِجُمُوعٍ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الذَّمَارِ مَنِيعٍ
بِأَمْرِ لَدَى الْهَيْجَا أَحَدٌ جَمِيعٍ
هَنَّاكَ بِمَخْذُولٍ وَلَا بِمُضْضِعٍ
وَكُلُّ أَخُو إِخْبَاتَةٍ وَخُشُوعٍ
إِلَى ابْنِ إِيَّاسٍ مُضْجِراً لَوْقُوعٍ
وَأُخْرَى حُسُوراً غَيْرَ ذَاتِ دُرُوعٍ
وَشَدَّ بِأَوَّلَاهَا عَلَى ابْنِ مُطِيعٍ
وَطَعَنَ غَدَاةَ السَّكْتَيْنِ وَجِيعٍ
بِذُلٍّ وَإِرْغَامٍ لَهُ وَخُضُوعٍ
وَكَانَ لَهُمْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ شَفِيعٍ

وَأَبَ الْهَدَى حَقًّا إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِخَيْرِ إِيَابِ آبِهِ وَرُجُوعِ

إِلَى الْهَاشِمِيِّ الْمَهْتَدِيِّ الْمَهْتَدَى بِهِ فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ وَمُطِيعٍ

قال : فلصاً أنشدها المختار قال المختار لأصحابه : قد أئنتى عليكم كما

تسمعون ، وقد أحسن الثناء عليكم ، فأحسنوا له الجزاء . ثم قام المختار ،

فلخل وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتّى أخرج إليكم ؛ قال : وقال عبد الله

ابن شدّاد الجششميّ : يا بن همام : إنّ لك عندى فرساً ومُطَرَفًا ، وقال

قيس بن طهفة التّهديّ - وكانت عنده الرّباب بنت الأشعث : فإنّ لك عندى

فرساً ومُطَرَفًا ، واستحيا أن يعطيّه (١) صاحبه شيئاً لا يعطى مثله ، فقال (٢)

ليزيد بن أنس : فما تعطيه ؟ فقال يزيد : إنّ كان ثواب الله أراد بقوله فما عند

الله خيرٌ له ، وإنّ كان إنّما اعتريّ بهذا انقول أموالنا ، فوالله ما فى أموالنا

ما يسعه ؛ قد (٣) كانت بقيت من عطائى بقيّة فقويّت بها إخوانى ؛ فقال

أحمر بن شُمَيْط مبادراً لهم قبل أن يكلموه : يا بن همام ، إنّ كنت أردت

بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله ، وإن كنت إنّما اعتريت به رِضاً

الناس وطلب أموالهم ، فاكدم الجندل ؛ فوالله ما منّ قال قولاً لغير الله وفى

غير ذات الله بأهلٍ أن يُنحَل ، ولا يوصل ؛ فقال له : عضضت بأير أهلك !

فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام : تقول هذه القول يا فاسق !

وقال لابن شُمَيْط : اضربه بالسيف ، فرفع ابن شُمَيْط عليه السيف (٤) ووثب

ووثب أصحابهما يتفلّتون على ابن همام . وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه

وراءه ، وقال : أنا له جارٍ ، لِمَ تأتون إليه ما أرى ! فوالله إنّّه لو اوصل الولاية ،

راضٍ بما نحن عليه ، حسنّ الثناء ، فإن أنتم لم تكافؤوه بحسن ثنائه ، فلا تشتموا

عرضه ، ولا تسفكوا دمه . ووثب مدحج فحالت دونه ، وقالوا :

أجاره ابن الأشتر ، لا والله لا يوصل إليه . قال : وسمع لِعَظْهم

المختار (٥) ، فخرج إليهم ، وأوماً بيده إليهم ، أن اجلسوا ، فجلسوا ، فقال لهم :

٦٤٠/٢ إذا قيل لكم خير فاقبلوه ، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا ، وإن لم تقدروا

(١ - ١) ف : « دون عطية صاحبه وقال » . (٢) ف : « وقد » .

(٣) ف : « السيف عليه » . (٤) ف : « المختار لعظهم » .

على مكافأة فتصصّلوا ، واتقوا لسانَ الشاعر ، فإنَّ شرَّه حاضر ، وقولَه فاجر ، وسعيه بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا^(١) : أفلا نقتله ؟ قال : إنّنا قد آمناَه وأجرناه ، وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلس مع الناس . قال : ثمَّ إنّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وقرساً ومطرقاً فرجع بها وقال : لا والله ، لا جاورت هؤلاء أبداً وأقبلتُ هوازنُ وغضبتُ واجتمعتُ في المسجد غضباً لابن همام . فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عما اجتمعوا له ، ففعلوا ، وقال ابن همام لابن الأشتر يمدحه :

أطفأ عني نَارَ كَلْبَيْنِ أَلْبَا على الكلابِ ذو الفِعالِ ابنُ مالِكِ
فتى حينَ يَلْقَى الخيلَ يَفْرُقُ بينها بطعنِ دِرَاكِ أَوْ بضربِ مُوَأَشِكِ
وقد غَضِبْتُ لى مِنْ هوازنَ عَصْبَةً طوالُ الدُّرَا فيها عراضُ المَبَارِكِ
إذا ابنُ شُمَيْطٍ أَوْ يزيدُ تعرَّضا لها وَقَعَا في مُسْتَحَارِ المِهَالِكِ^(٢) ٦٤/٢
وثَبَّتُمْ علينا يَا مَوَالِي طَبِيئِي مع ابنِ شُمَيْطٍ شَرِّ مَاشٍ وَرَاتِكِ^(٣)
وأعظمَ دِيَارٍ على اللَّهِ فِرْيَةً وما مُفْتَرٍ طَاغٍ كَأَخْرَ نَاسِكِ
فيا عجباً مِنْ أَحْمَسَ ابْنَةِ أَحْمَسٍ^(٤) تَوَثَّبُ حَوْلِي بِالْقَنَا والنِّيَّازِكِ^(٥)
كَأَنَّكُمْ فِي العِزِّ قَيْسٌ وَخَثْعَمٌ وهل أَنْتُمْ إِلَّا لثَامُ عَوَارِكِ^(٦)
وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول : علينا توثبُ
بنو أسد وأحمس ! والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه
فدعاه ، ودعا بيزيد^(٧) بن أنس وبابن^(٨) شميطة ، فحمّد الله وأثنى عليه
وقال^(٨) : يابن شدّاد ، إنّ اللّذي فعلتَ نَزْعَةً مِنْ نَزْعَاتِ الشَّيْطَانِ ، فثَبَّ
إلى الله ، قال : قد تَبَسَّتْ ، وقال : إنّ هذين أخواك ، فأقبل إليهما ، وأقبل
منهما ، وهب لي هذا الأمر ؛ قال : فهو لك . وكان ابن همام قد قال قصيدةً

(١) ف : « قالوا » .
(٢) ف : « موبقات المهالك » .
(٣) الترك : مشية فيها اهتزاز .
(٤) ف : « وما عجب » .
(٥) ف : « تولت قتال » .
(٦) ف : « وما أنتم غير الإماء العوارك » .
(٧) ف : « يزيد » .
(٨) ف : « وابن » .
(٩) ف : « ثم قل » .

أخرى في أمر المختار ، فقال :

أَضَحَّتْ سُلَيْمَى بَعْدَ طَوْلِ عِتَابٍ وَتَجَرَّمُ وَنَفَادِ غَرْبِ شَبَابٍ
 قَدْ أَرْمَعَتْ بِصَرِيْمَتِي وَتَجَنَّبِي ^(١) وَتَهَوُّكَ مُذْ ذَاكَ فِي إِعْتَابِ ^(٢)
 لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْرَ أَغْلَقَ بَابُهُ وَتَوَكَّلْتُ هَمْدَانُ بِالْأَسْبَابِ ^(٣)
 ٦٤٢/٢ وَرَأَيْتُ أَصْحَابَ الدَّقِيقِ كَأَنَّهُمْ ^(٤) حَوْلَ الْبُيُوتِ ثَعَالِبُ الْأَسْرَابِ
 وَرَأَيْتُ أَبْوَابَ الْأَرْقَةِ حَوْلَنَا دَرَيْتُ بِكُلِّ هِرَاوَةٍ وَدُبَابِ
 أَيْقَنْتُ أَنَّ خِيُولَ شِيعَةٍ رَاشِدٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا فَيْشٌ أَيْرِ دُبَابِ

* * *

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وثب المختارُ بمن كان بالكوفة ^(٥) من قَتَلَةِ الحسين والمشايخين على قتله ، فقتل من قَدَر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية مَنْ قتل منهم ومَنْ هرب فلم يقدر عليه منهم :

وكان سبب ذلك - فيما ذكره هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم - أن مروان بن الحكم لما استوسقت له الشام بالطاعة ، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيْشُ بْنُ دُبْلَةَ الْقَيْنِي - وقد ذكرنا أمره ونحو مهلكته قبل - والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد - وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الورد - وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه ، وأمره أن يستهَب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . ٦٤٣/٢

قال عوانة : فرَّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيسُ عَيْلَانَ ^(٦) على

(١) ف : « هجرى وطول تجنبي » . (٢) ف : « لا تعجلن فلست من أصحاب » .

(٣) ف : « وتعلقت همدان بالبواب » . (٤) ف : « أصحاب البيوت » .

(٥) ف : « في الكوفة » . (٦) أ : « قيس بن عيلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يومَ مَرَجٍ راهط وهم مع الضحَّاك بن قيس مغالفين على مروان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فلم يزل عبيد الله مشغولاً بهم عن العراق نحواً من سنة . ثمَّ إنَّه أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى المختار : أما بعد ، فإني أخبرك أيها الأمير أنَّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ الموصل ، وقد وجَّه قِبَلِي خيله ورجاله ، وأنى انحرزت إلى تكريت حتَّى يأتيتني رأيك وأمرُك ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمتُ كلَّ ما ذكرت فيه ، فقد أصبتَ بانحيازك إلى تكريت ، فلا تبرحنَّ مكانك الّذى أنت به حتَّى يأتيتك أمرى إن شاء الله ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبي مخنف : حدثني موسى بن عامر ، أنَّ كتاب عبد الرحمن بن سعيد لمّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ، فقال له : يا يزيد بن أنس ، إنَّ العالم ليس كالجاهل ، وإنَّ الحق ليس كالباطل ، وإني أخبرك خبر من لم يكذب ولم يُخالف ولم يرتب ، وإنَّ المؤمنين الميامين ، الغالبون المساليم ، وإنَّك صاحب الخيل الّتي تجرّ جيعابها ، وتضفر أذناها ، حتَّى تُوردها منابت الزيتون ، غائرة عيونُها ، لاحقة بطونُها . اخرج إلى الموصل حتَّى تنزل أدانيها ^(١) ، فإني ممدّك بالرجال بعد الرجال . فقال له يزيد بن أنس : سرّح معي ثلاثة آلاف فارس ٦٤٤/٢ أنتخبهم ، وخلّني والفرج الّذى توجهنا إليه ، فإن احتجتُ إلى الرجال فسأكتب إليك ؛ قال له ^(٢) المختار : فانخرج فانتخب على اسم الله من أحببت ^(٣) . فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس ، فجعل على رُبُع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأردّي ، وعلى رُبُع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني ، وعلى مَدَحَج وأسد ورقاء بن عازب الأسدي ، وعلى رُبُع ربيعة وكندة سَعْر بن أبي سَعْر الحنفي .

ثمَّ إنَّه فصل من الكوفة ، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيعونه ، فلما

(١) ف : «بأدانيها» . (٢) ف : «فقال» . (٣) ف : «ثلاثة آلاف من أحببت» .

بلغ دير أبي موسى ودّعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيت عدوك فلا تُناظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها ، وليكن خبرك في كل يوم عندي ، وإن احتجت^(١) إلى مدد فاكتب إلى مع أنى مُمدك ولو لم تستمدد ، فإنه أشدّ لعُصْدُك ، وأعزّ لجُنْدُك ، وأرْعَب لعدوك . فقال له يزيد بن أنس : لا تمدّني إلّا بدعائك ، فكفى به مددًا . وقال له الناس : صَحْبِكَ اللهُ وأدأك وأيدك^(٢) . وودّعه . فقال لهم يزيد : سلوا الله لي الشهادة ، وإيم الله لن لقيتهم ففاتني النصر لا تُفتني الشهادة إن شاء الله . فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخل بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسُورًا ، ثم غدا بهم سائرًا حتى بات بهم بالمدائن ؛ فشكا الناس إليه^(٣) ما دخلهم من شدة السير عليهم ، فأقام بها يومًا وليلة . ثم إنّهُ اعترض بهم أرض جُوحى حتى خرج بهم في الراذانات ، حتى قطع بهم إلى أرض الموصل ، فنزلت بينات تلى ، وبلغ مكانه ومنزله الذي نزل به عبيد الله بن زياد ، فسأل عن عدتهم ، فأخبرته عيونه أنّه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس ، فقال عبيد الله : فأنا أبعث إلى كل ألف ألفين . ودعا ربيعة بن المخارق الغنويّ وعبد الله بن حملة الخثعمي . فبعينهما في ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . وبعث ربيعة بن المخارق أولًا ، ثم مكث يومًا ، ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة ، ثم كتب إليهما : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه ، وإن انتهيتما جميعًا فأكبركما سنًا أميرًا على صاحبه والجماعة . قال : فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو بينات تلى ، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت . عن أبي سعيد الصيّقل ، قال : خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشي معه الرجال يُمسِكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذه وعصديه وجنبه ، فجعل يقف على الأرباع :

(٢) ف : « وأيدك وأدأك سالمًا غانمًا » .

(١) ف : « وإذا احتجت » .

(٣) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع ربيع^(١) ويقول : يا شرطة الله ، اصبروا تَوْجَرُوا ، وصابروا عدوكم تَظْفَرُوا ، وَقَاتِلُوا أولياءَ الشيطان ، إِنَّ كَيْدَ الشيطان كَانَ ضَعِيفًا ، إِنَّ هَلَكْتُ فَأَمِيرُكُمْ ورقاء بن عازب الأسدي ، فَإِنْ هَلَكْتُ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بن ٦٤٧/٢ ضَمْرَةُ العذري ، فَإِنْ هَلَكْتُ فَأَمِيرُكُمْ سَعْرُ بن أَبِي سَعْرٍ الحنفي . قال : وأنا والله فيمن يمشي معه وَيُمْسِكُ بعضه ويده ، وإني لأعرف في وجهه أَنَّ الموت قد نزل به . قال : فجعل يزيدُ بن أنس عبدَ اللَّهِ بن ضَمْرَةَ العذري على ميمنته ، وسَعْرُ بن أَبِي سَعْرٍ على ميسرته ، وجعل ورقاء بن عازب الأسدي على الخيل ، ونزل هو فَوْضَعَ بين الرجال على السرير ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : ابرزوا لهم بالعراء ، وقد مَوْنِي فِي الرِّجَالِ ، ثُمَّ إِنْ شِئْتُمْ فَقَاتِلُوا عَنْ أَمِيرِكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَفَرُّوا عَنْهُ . قال : فَأَخْرَجْنَاهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ عَرَفَةَ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ ، فَأَخَذْنَا نُمْسِكُ أَحْيَانًا بَظْهَرَهُ فَيَقُولُ : اصنعوا كذا ، اصنعوا كذا ، وافعلوا كذا ، فَيَأْمُرُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ بِأَسْرَعٍ مَنْ أَنْ يَغْلِبَهُ الْوَجْعُ فَيُوضَعُ هُنَا سَيْفُهُ وَيَقْتُلُ النَّاسَ ، وَذَلِكَ عِنْدَ شَفَقِ الصَّبْحِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ . قال : فَحَمَلْتُ ميسرتهم على مَيْمَنَتِنَا ، فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، وَتَحَمَّلَ ميسرتُنَا على مَيْمَنَتِهِمْ فَتَهَزَّمُوا^(٢) ، وَتَحَمَّلَ ورقاء بن عازب الأسدي فِي الْخَيْلِ فَتَهَزَّمَهُمْ ، فَلَمْ يَرْتَفِعِ الضَّحَى حَتَّى هَزَمْنَاهُمْ ، وَحَوَيْنَا عَسَاكِرَهُمْ .

قال أبو مخنف : وحدثني موسى بن عامر العدوي ، قال : انتهينا إلى ربيعة ابن المخارق صاحبهم ، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل^(٣) ينادي : يا أولياء الحق ، ويا أهل السمع والطاعة ، إلیَّ أنا ابن المخارق ؛ قال موسى : فأما أنا فكنتُ غلامًا حدثًا ، فَبَهِتَتْهُ وَوَقَفْتُ ، وَتَحَمَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بن ورقاء الأسدي وعبد الله بن ضَمْرَةُ العذري ، فَفَقَتَلَاهُ .

قال أبو مخنف : وحدثني عمرو بن مالك أبو كبشة القيني ؛ قال : ٦٤٧/٢ كنتُ غلامًا حين راهقتُ مع أحد عمومتی فی ذلک العسكر ، فلما نزلنا بعسكر الكوفيين عبأنا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبئة ، وجعل على ميمنته ابن

(١) ١ : « ربيعًا » . (٢) ف : « فهزمتها » . (٣) ف : « بارك » .

أخيه ، وعلى ميسرته عبد ربّه السلمي ، وخرج هو في الخيل والرجال وقال :
يا أهل الشام ، إنكم إنما تقاتلون العبيد الأبقار ، وقوماً قد تركوا الإسلام
وخرجوا منه ، ليست لهم تقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت
لأحسب أنّ ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلّا أن اقتتل
الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول :

برئت من دين المحكمينا وذلك فينا شر دين ديننا
ثمّ إنّ قاتلنا وقتلهم اشتدّ ساعة من النهار ، ثمّ لأنّهم هزمونا حين
ارتفع الضحى فقتلوا صاحبنا ، وحوّوا عسكرينا ؛ فخرجنا منهزمين حتّى
تلقّانا عبد الله بن حملة على مسيرة ساعة من تلك القرية التي يقال لها بنات
تلى ، فردّنا ، فأقبلنا معه حتّى نزل يزيد بن أنس ، فبتنا متحارسين
حتّى أصبحنا فصلينا الغداة ، ثمّ خرجنا على تعبئة حسنة ، فجعل على
ميمنته الزبير بن خزيمة^(١) ، من نخشم ، وعلى ميسرته ابن أقصر القحافي من
نخشم ، وتقدّم في الخيل والرجال ، وذلك يوم الأضحى ، فاقتلنا قتالا شديداً ،
ثمّ لأنّهم هزمونا هزيمة قبيحة ، وقتلونا قتالا ذريعاً ، وحوّوا عسكرينا ، وأقبلنا
حتّى انتهينا إلى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لقمينا .

قال أبو مخنف : وحدّثني موسى بن عامر ، قال : أقبل إلينا عبد الله بن
حملة الخثعمي ؛ فاستقبل فلّ ربيعة بن المخارق الغنوي فردّهم ، ثمّ جاء حتّى
نزل بينات تلى ، فلمّا أصبح غادوا وغاديننا ، فتطاردت الخيلان من أوّل النهار ،
ثمّ انصرفوا وانصرفنا ؛ حتّى إذا صلّينا الظهر خرجنا فاقتلنا ، ثمّ هزمناهم .
قال : ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادي أصحابه : الكثرة بعد الفرّة ، يا أهل
السمع والطاعة ؛ فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله ، وحوّينا
عسكريهم وما فيه ، وأتى يزيد بن أنس بثلاثمائة أسير وهو في السوق ، فأخذ
يومئذ بيده أن اضربوا أعناقهم ، فقتلوا من عند آخرهم .

وقال يزيد بن أنس : إنّ هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي ، فما
أمسى حتّى مات ، فصلّى عليه ورقاء بن عازب ودّفنّه ، فلمّا رأى ذلك
أصحابه أسقط في أيديهم ، وكسّر موته قلوب أصحابه ، وأخذوا في دفنه ،

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنَّه قد بلغني أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ، فأخذوا يتسلَّلون ويرجعون . ثم إنَّ ورقاء دعا رءوسَ الأرباع وفُرسانَ أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتكم ؟ إنَّما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا عليَّ ، فإنَّ ابن زياد قد جاءكم في جُنْد أهل الشام الأعظم ، وبجَلَّتْهم وفُرسانهم وأشرافهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةٌ على هذه الحال ، وقد هلك يزيدُ بن أنس أميرنا ، وتفرقت عنَّا طائفة منَّا ، فلو انصرفنا اليومَ من ٦٤٩/٢ تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم ، وقبل أن نبلُغهم ، فَيَعْلَمُوا أنَّنا إنَّما ردَّنا عنهم هلاكُ صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لَقَتَلْنَا منهم أميرهم ! ولأنَّنا إنَّما نعتلُّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنَّنا إن لقيناهم اليومَ كنَّا مخاطرين ، فإن هُزِمْنَا اليومَ لم تنفعنا هزيمتُنا إيَّاهم من قبل اليوم . قالوا : فإنَّكَ نعمًا رأيت ، انصرفَ رحِمَك الله . فانصرف ، فبلغ مُنْصَرَفُهُم ذلك المختارَ وأهل الكوفة ، فأرْجَفَ الناسُ ، ولم يعلموا كيف كان الأمرُ أنَّ يزيدَ بن أنس هَلَكَ ، وأنَّ الناسَ هُزِمُوا ، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عينًا له من أنباط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر فعقَدَ له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال له : سرَّ حتَّى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددْهم معلن ، ثمَّ سرَّ حتَّى تلقى عدوك فتناجزهم . فخرج إبراهيم فوَضَعَ عسكره بحمَّام أعين .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو زهير النضر بن صالح ، قال : لمَّا مات يزيد أنس التقيَ أشرافُ الناس بالكوفة فأرْجَفُوا بالمختار وقالوا : قَتَلَ يزيدَ بن أنس ، ولم يصدقوا أنَّه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمَّر علينا هذا الرجل بغير رضا منَّا ، ولقد أدنى موالينا ، فحملَهم على الدواب ، وأعطاهم وأطعمَهم فينا ، ولقد عصتْنا عبيدنا ، فحربَ بذلك أيتامنا وأراملنا . فاتَّعدوا منزلَ شَبَث بن ربعي وقالوا : نجتمع في منزل شيخنا — وكان شَبَث جاهليًّا إسلاميًّا — فاجتمعوا فاتَّمو منزله ، فصلَّى بأصحابه ، ثمَّ تذاكروا هذا النحو من الحديث ٦٥٠/٢ قال : ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شيء هو أعظمُ من أن جعل للموال

الفسيء نصيباً - فقال لهم شَبَبْتُ : دعوني حتى ألقاه ؛ فذهب فلقيه ، فلم يدع شيئاً ممّا أنكره أصحابه إلّا وقد ذاكره إياه ، فأخذ لا يذكر خصلة إلّا قال له المختار : أرضيهم في هذه الخصلة ، وآتي كل شيء أحبوا ؛ قال : فذكر الماليك ؛ قال : فأنا أردت عليهم عيدهم ، فذكر له الموالي ، فقال : عمدت إلى مواليها ، وهم فيءٌ أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم ، نأملُ الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترّض لهم بذلك حتّى جعلتهم شركاءنا في فيتنا ؛ فقال لهم المختار : إن أنا تركتُكم مواليكم ، وجعلتُ فيسئلكم فيكم . أتقاتلون معي بنى أميّة وابن الزبير ، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أطمئن إليه من الأيمان ؟ فقال شَبَبْتُ : ما أدري حتّى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك ، فخرج فلم يرجع إلى المختار . قال : وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن حوشب ، قال : جاء شَبَبْتُ ابن ربِيعٍ وشَمِر بن ذى الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتّى دخلوا على كعب بن أبى كعب الخثعمي ، فتكلّم شَبَبْتُ ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يَعيُب به المختار : إنّه تأمرّ علينا بغير رضا منا ، وزعم أن ابن الحنفية بعثه إلينا ، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ، وأطعم مواليها فيتنا . وأخذ عبيدنا ، فحرب بهم يتامانا وأرأهنا ، وأظهر هو وسببته البراءة من أسلافنا الصالحين . قال : فرحب بهم كعب بن أبى كعب . وأجابهم إلى ما دَعَوهُ إليه .

قال أبو مخنف : حدثني أبى يحيى بن سعيد أن أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف . فدعوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار ، فقال لهم : يا هؤلاء ، إنكم إن أبيتم إلّا أن تخرجوا لم أخذكم ، وإن أتم أتعتموني لم تخرجوا . فقالوا : لِمَ ؟ قال : لأنى أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ؛ ومع الرجل والله شجعاً وكم وفرسانكم من أنفسكم ؛ أليس

معه فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة ، وعبيدكم ومواليكم أشدّ حنقاً عليكم من عدوكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوة العجم ، وإن انتظرتوه قليلاً كفيتموه بقدم أهل الشام ، أو بمجىء أهل البصرة ، فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ، ولم تجعلوا بأسكم بينكم ؛ قالوا : نشتدّك الله أن تخالفنا ، وأن تفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا . قال : فأنا رجل منكم ، فإذا شتم فاخرجوا . فسار بعضهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتّى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأملوا حتّى إذا بلغ ابن الأشتر سبأط ، وثبوا بالمختار . قال : فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الحمدانيّ في همدان في جبانة السبيع ، وخرج زحر بن قيس الجعفيّ وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة .

قال هشام : فحدثني سليمان بن محمد الحضرمي ، قال : خرج إليهما بجير الحضرمي فقال لهما : أخربنا عن جبانتنا ، فإننا نكره أن نعرى ٦٥٢/٢ بشر ؛ فقال له إسحاق بن محمد : وجبانتيكم هي ؟ قال : نعم ، فانصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر ، وسار بشر بن جرير بن عبد الله إليهم في بجيلة ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف ، وسار إسحاق بن محمد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجبانة السبيع ، وسارت بجيلة وخثعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد . وبلغ الذين في جبانة السبيع أن المختار قد عبأ لهم خيلاً ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبجيلة وخثعم ، يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا إليهم . فساروا إليهم واجتمعوا جميعاً في جبانة السبيع ، ولمّا أن بلغ ذلك المختار سرّه اجتماعهم في مكان واحد ، وخرج شمر بن ذي الجوشن حتّى نزل بجبانة بني سلول في قيس ، ونزل شبّث بن ربعي وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان الضبيّ في مضر بالكُناسة ، ونزل حجار بن أبهر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمارين والسببخة ، ونزل عمرو بن الحجاج الزبيديّ في جبانة مراد بمن تبعه من مدحج ، فبعث إليه أهل اليمن : أن اتنا ، فأبى أن يأتيهم

وقال لهم : جدّوا ، فكأنى قد أتيتكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالرّكض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط ألا تضع كتابى من يدك حتى تُقبل بجميع من معك إلى . قال : وبعث إليهم المختار فى ذلك اليوم : أخبرونى ما تريدون ؟ فلمنى صانع كل ما أحببت ، فقالوا : فإننا نريد أن تعزّز لنا ، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك . فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفدا ، وأبعث إليه من قبلى وفدا ، ثم انظروا فى ذلك حتى تستبينوه ، وهو يريد أن يريتهم بهذه المقالة ليقدّم عليه إبراهيم بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفّوا أيديهم ، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك ، فليس شىء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلا القليل الوثج^(١) ، يجيئهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبد الله بن سبيع فى الميدان ، فقاتلته شاكرا قتالا شديدا ، فجاءه عقبة بن طارق الجشمى فقاتل معه ساعة حتى ردّ عاديّتهم عنه ، ثم أقبل على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس فى جبانة بنى سكل ، وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن فى جبانة السبيع .

قال أبو مخنف : حدثنى يونس بن أبى إسحاق ، أن شمر بن ذى الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم فى مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلا فلا ، والله لا أقاتل فى مثل هذا المكان فى سلك ضيقة ، ونقاتل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة قومه فى جبانة بنى سكل . قال : ولما خرج رسول المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشية ، فنادى فى الناس : أن ارجعوا إلى الكوفة ، فسار بقية عشية تلك ، ثم نزل حين أمسى ، ففتح أصحابه ، وأراحوا الدواب شيئا كلا شىء ، ثم نادى فى الناس ، فسار ليلته كلّها ، ثم صلّى الغداة بسورا ، ثم سار من يومه فصلّى العصر على باب الجسر من الغد ، ثم إنّه جاء حتى بات ليلته فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد ، حتى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مُخرَجهم على المختار ، خرج المختار إلى

(١) الوثج : القليل من كل شىء .

المنبر فصعده .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جناب الكلبي أن شبث بن ربعي بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إنما نحن عشيرتك ، وكف يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، فثق بذلك مناً ، وكان رأيته قتاله ، ولكنه كاده . ولمّا أن اجتمع أهل اليمسّ بجبانة السبيع حضرت الصلاة ، فكره كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف ، قدّموا الرضا فيكم ، فإن في عشيرتكم سيّد قراء أهل مصر ، فليصل بكم رفاعه بن شدّاد الفتياني من بجيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلّي بهم حتّى كانت الوقعة .

قال أبو مخنف : وحدثني وازع بن السري أن أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن ، وسمعهم وهم يقولون : إن سار المختار إلى إخواننا من مضر سرنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمعها منهم رجل ، وأقبل جواداً حتّى صعد إلى المختار على المنبر ، فأخبره بمقاتلتهم ، فقال : أمّا ٦٥٥/٢ هم فخذلّهم لو سرت إلى مضر أن يسروا إليهم ، وأمّا أهل اليمسّ فأشهد لئن سرت إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه . ثم إن المختار نزل فعبأ أصحابه في السوق — والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء — فقال لإبراهيم بن الأشتر : إلى أيّ الفريقين أحب إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أيّ الفريقين أحببت ، فنظر المختار — وكان ذا رأي ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم — فقال : سرّ إلى مضر بالكُناسة وعليهم شبث بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطار ، وأنا أسير إلى أهل اليمسّ .

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس ، وقلة البقيّة على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيم بن الأشتر إلى الكُناسة ، وسار المختار إلى جبانة السبيع ، فوقف المختار عند دار عُمَر بن سعد بن أبي وقاص ، وسرح بين أيديه أحمر بن شميّط البجليّ ثمّ الأحمسيّ ، وسرح عبد الله بن كامل الشاكريّ ، وقال لابن شميّط : الزم هذه السكة حتّى^(١) نخرج إلى أهل

جَبَّانَةَ السَّبْعِ من بين دُور قومك . وقال لعبد الله بن كامل : الزَمْ هذه السكَّةَ حتَّى تخرج على جَبَّانَةَ السَّبْعِ من دار آل الأحنس بن شَرِيق ، ودعاهما فأسرَّ إليهما أن شَبَامًا قد بعثتْ تُخبرني أنَّهُم قد أتوا القوم من ورائهم ، فمَضَيَا (١) فَسَلَكَ الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ (٢) أَمَرَهُمَا بِهِمَا (٣) ، وبلغ أهل اليمن مسيرُ هذين الرجلين إليهم ، فاقْتَسَمَا تَبَيَّنَكَ السَّكَّتَيْنِ ، فأما السكَّةُ الَّتِي فِي دِبرِ مسجدِ أَحْمَسَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ وَإِسْحَاقُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي تَلِي الْفُرَاتَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ ، وَبَشِيرُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتَتَلَهُ قَوْمٌ . ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ (٤)

أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ انْكَشَفُوا وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ أَيْضًا ، فَلَمْ يُرْعَ الْمُخْتَارُ إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ الْفَلْلُ قَدْ أَقْبَلَ ؛ فَقَالَ : مَا وَرَاءَكُمْ ؟ قَالُوا : هُزِمْنَا ؛ قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ ؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُ قَدْ نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَصَاصِ - يَعْنُونَ مَسْجِدَ أَبِي دَاوُدَ فِي وَادِعَةٍ ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ رِجَالُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْصُونَ فِيهِ ، وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - وَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا نَدْرِي مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ ! فَصَاحَ بِهِمْ : أَنْ انْصَرِفُوا . ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجُدَلِيِّ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخَثْعَمِيِّ - وَكَانَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ - فَقَالَ : سَرَفِي أَصْحَابُكَ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ ، فَإِنْ يَكُ هَلِكٌ فَأَنْتَ مَكَانُهُ ، فَقَاتِلِ الْقَوْمَ بِأَصْحَابِكَ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنْ تَجَدَّ حَيًّا صَالِحًا فَسَرَفِي مِائَةً مِنْ أَصْحَابِكَ كُلُّهُمْ فَارِسٌ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ أَصْحَابِكَ ، وَمَرَّ (٥) بِالْجُدِّ مَعَهُ وَالْمُنَاصِحَةُ لَهُ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَنَاصِحُونِي ، وَمَنْ نَاصَحَنِي فَلْيَبْشِرْ ، ثُمَّ امْضِ فِي الْمِائَةِ حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ جَبَّانَةَ السَّبْعِ مِمَّا يَلِي حِمَامَ قَطَنَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ . فَضَى فَوَجَدَ ابْنَ كَامِلٍ وَاقِفًا عِنْدَ حِمَامَ عَمْرُو بْنِ حُرَيْثٍ

(١ - ١) ف : « وسلكا الطريق الذي » .

(٢) ف : « به » .

(٣) ف : « وإن أصحاب أحمر » .

(٤) ف : « وأمرهم » .

معه أناس^(١) من أصحابه قد صبروا ، وهو يقاتل القوم ، فدفع إليه ثلثمائة ٦٥٧/٢
من أصحابه ثم مضى حتى نزل إلى جبانة السبيع .

ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس ، فوقف عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون ؟^(٢) قالوا : أمرنا لأمرِكَ تبع^(٣) وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة ؛ فقال لهم : والله إني لأحب أن يظهر المختار ، والله إني لكاره أن يهلك أشرفُ عشيرتي اليوم ، والله لأن أموت أحب إلى من أن يسحل بهم الهلاك على يدي ، ولكن قفوا قليلا فإني قد سمعتُ شيئا يزعمون أنهم سيأتونهم^(٤) من ورائهم ، فلعل شيئا تكون هي تفعل ذلك ، ونعافني نحن منه . قال له أصحابه : فرأيتك . فبنت كما هو عند مسجد عبد القيس ، وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل — وكان من أشد الناس بأسا — وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتي فارس إلى أحمر بن شميظ ، وثبت مكانه ، فانتهاوا إليه وقد علاه القوم وكثروا ، فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال ، ووضي ابن الأشتر حتى لقي شبيب بن ربعي . وأناسا معه من مضر كثيرا ، وفيهم حسان بن فائد العبسي ، فقال لهم إبراهيم : ويحكمكم ! انصرفوا ، فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدي ، فلا تهلكوا أنفسكم ، فأبوا ، فقاتلوه فهزمهم ، واحتمل حسان بن فائد إلى أهله ، فمات حين أدخل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال : أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتي هذه ، وما كنت أحب أن تكون مني إلا بطعنة رمح ، أو بضربة سيف ؛ فلم يتكلم بعدها كلمة^(٥) حتى مات . وجاءت البشري إلى المختار من قبل إبراهيم بهزيمة ٦٥٨/٢ مضر ، فبعث المختار البشري من قبله^(٦) إلى أحمر بن شميظ وإلى ابن كامل ، فالتأس^(٧) على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها . قال : فاجتمعت شيبام^(٨) وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

(١) ف : « ناس » . (٢-٢) ف : « فقالوا : أمرنا لأمرِكَ ونحن لك تبع » .

(٣) ف : « أن سيأتونهم » . (٤) ف : « بكلمة » .

(٥) ف : « من قبله البشري » . (٦) ف : « والناس » .

(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جيدكم^(١) هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب ، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة^(٢) فقاتلوهم — وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم — فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾^(٣) قوموا ؛ فقاموا ؛ فمشى بهم قيس ربحين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا فجلسوا ، ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يسهلك على الذي تصنع ! قال : إن المجرب ليس كمن لم يجرب ، إني أردت أن ترجع إليكم أفدتكم ، وأن توطنوا على القتال أنفسكم ، وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم على حال دَهَش ؛ قالوا : أنت أبصر بما صنعت .

فلما خرجوا إلى جَبَانَةِ السَّبْعِ استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري ، فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعا ، ودخلا جبانة ، ودخل الناس الجبانة في آثارهم ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! فأجابهم أصحاب ابن شميطة لثارات الحسين ! فسمعها يزيد بن عُمير بن ذى مُرَّان من هَمْدَان فقال : يا لثارات عُمَان ! فقال لهم رفاعة بن شدَّاد : ما لنا وليعُمَان ! لا أقاتل مع قوم يبغون دم عُمَان ، فقال له أناس من قومه : جثت بنا وأطعنك ، حتَّى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصرفوا ودعوه ! فعتف عليهم وهو يقول :

أَنَا ابْنُ شَدَّادٍ عَلَى دِينَ عَلِيٍّ لَسْتُ لِعُمَانَ بْنِ أَرْوَى بِوَلِيٍّ
لَأَصْلِينَ الْيَوْمَ فِيمَنْ يَضْطَلِّي بِحَرِّ نَارِ الْحَرْبِ غَيْرَ مُؤْتَلِيٍّ

فقاتل حتى قُتِل ، وقتل يزيد بن عُمير بن ذى مُرَّان ، وقتل النعمان ابن صُهَيْبَان الجرمي ثم الراسبي — وكان ناسكاً — ورفاعة بن شدَّاد بن عَوْسَجَة

الفتيانى عند حمام المَهْبَذَانِ الَّذِى بِالسَّبْحَةِ - وَكَانَ نَاسِكًا - وَقَتِلَ الْفَرَاتُ
ابن زَحْرَ بن قيس الجُعْفَى ، وَارْتَضَى زَحْرُ بن قيس ، وَقَتِلَ عبد الرحمن
ابن سعيد بن قيس ، وَقَتِلَ عمر بن مخنف ، وَقَاتِلَ عبدُ الرحمن بن مخنف حتَّى
أَرْتَضَى ، وَحَمَلَتْهُ الرِّجَالُ عَلَى أَيْدِيهَا وَمَا يَشْعُرُ ، وَقَاتِلَ حَوْلَهُ رِجَالٌ مِنْ
الْأَزْدِ ، فَقَالَ حُمَيْدُ بن مسلم :

لَأَضْرِبَنَّ عَنْ أَبِي حَكِيمٍ مَفَارِقَ الْأَعْبُدِ وَالصَّيْمِ

وقال سُرَاقَةُ بن مِرْدَاسِ الْبَارِقِ :

٦٦٠/٢

يَا نَفْسُ إِلَّا تَصْبِرِي تُلِيمِي لَا تَتَوَلَّى عَنْ أَبِي حَكِيمٍ ^(١)
وَاسْتَخْرِجْ مِنْ دُورِ الْوَادِعِيَّتَيْنِ خَمْسَمِائَةَ أُسِيرٍ ، فَأَتَى بِهِمُ الْمُخْتَارُ مَكْتَفَيْنِ ،
فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْدٍ وَهُوَ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ يَقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ
ابن شريك ، لَا يَخْلُو بَعْرَبِي إِلَّا خَلَّتْ سَبِيلُهُ ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُخْتَارِ دِرْهَمَ
مَوْلَى لَبْنَى نَهْدٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ : اعْرِضُوهُمْ عَلَيَّ ، وَانظُرُوا كُلٌّ مِنْ شَهِدٍ
مِنْهُمْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَأَعْلَمُونِي بِهِ ، فَأَخَذُوا لَا يُمَرَّرَ عَلَيْهِ ^(٢) بَرَجَلٌ قَدْ شَهِدَ قَتْلَ
الْحُسَيْنِ إِلَّا قِيلَ لَهُ : هَذَا مِمَّنْ شَهِدَ قَتْلَهُ ، فَيَقْدَمُهُ فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ ، حَتَّى
قَتَلَ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مَائَتِينَ وَثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ قَتِيلًا ، وَأَخَذَ أَصْحَابَهُ كُلَّمَا
رَأَوْا رَجُلًا قَدْ كَانَ يُؤْذِيهِمْ أَوْ يَمَارِيهِمْ ^(٣) أَوْ يَضُرُّهُمْ خَلَوْا بِهِ فَتَقَتَلُوهُ حَتَّى قَتَلَ
نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَمَا يَشْعُرُ بِهِمُ الْمُخْتَارُ ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ الْمُخْتَارَ بَعْدُ ، فَدَعَا
بِمَنْ بَقِيَ ^(٤) مِنَ الْأَسَارَى فَأَعْتَقَهُمْ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَوَاقِيقَ إِلَّا يُجَامِعُوا
عَلَيْهِ عَدُوًّا ، وَلَا يَبْغُوهُ وَلَا أَصْحَابَهُ ^(٥) غَائِلَةً ، إِلَّا سُرَاقَةُ بن مِرْدَاسِ الْبَارِقِ ،
فَإِنَّهُ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُسَاقَ مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ . قَالَ : وَنَادَى مُنَادِي الْمُخْتَارَ : إِنَّهُ
مِنْ أَغْلَقِ بَابِهِ فَهُوَ آمِنٌ ، إِلَّا رَجُلًا شَرَكَ فِي دَمِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

(٢) ف : « لَا يَمُرُّ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ » .

(١) دِيوَانُهُ ١٠٥ .

(٣) ف : « وَيَمَارِيهِمْ » .

(٤) ف : « مِنْ بَقِيَّةِ » .

(٥) ف : « لِأَصْحَابِهِ » .

قال أبو مخنف: حدثني^(١) المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي . ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجّار بن أبجر بعثا رسلا لهما ، فقالا لهم : كونوا من أهل اليمن قريباً ، فإن رأيتموهم قد ظهوروا^(٢) فأيتكم سبق إلينا فليقل صرّاقان ، وإن كانوا هُزِموا فليقل جُمُزان ، فلما هُزِم أهل اليمن أتتهم رسلهم ، فقال لهم أولُ من انتهى إليهم : جُمُزان ، فقام الرجلان فقالا لقومهما : انصرفوا إلى بيوتكم ، فانصرفوا ، وخرج عمرو بن الحجاج الزبيديّ - وكان ممّن شهد قتل الحسين - فركب راحلته ، ثم ذهب عليها ، فأخذ طريقَ شَرافٍ وواقصة ، فلم يرَ حتّى الساعة ، ولا يدرى أرضٌ بخسّته ، أم سماءَ حصّبتَه ! وأمّا فرات بن زحر بن قيس فإنه لما قُتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفيّة - وكانت امرأة الحسين بن عليّ - إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى جسده ؛ ففعل ؛ فدفنته .

وبعث المختار غلاماً له يدعى زربياً في طلب شمير بن ذى الجوشن . قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن مسلم بن عبد الله الضبّائي . قال : تبعنا زربى غلامُ المختار ، فلاحقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيرن لنا ضمّر ، فأقبل يتمطر به^(٣) فرسه ، فلما دنا منّا قال لنا شمير : اركضوا وتباعدا عني لعلّ العبد يطمع فيّ ؛ قال : فركضنا ، فأمعنا ، وطمع العبد في شمير ، وأخذ شمير ما يستطرد له ، حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمير فدقّ ظهره ، وأتى المختار فأخبر بذلك ، فقال : بؤساً لزرّبيّ ، أما لو يستشيرني ما أمرته أن يسخرُج لأبي السابعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو محمد الهمدانيّ ، عن مسلم بن عبد الله الضبّائي ، قال : لما خرج شمير بن ذى الجوشن وأنا معه حين هزمنا المختار ، وقتل أهل اليمن بجبّانة السبيع ، ووجه غلامه زربياً في طلب شمير ، وكان ممّن قتل شمير إياه ما كان ، مضى شمير حتّى ينزل سائيدمّا ، ثم مضى حتّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلثانيّة على شاطئ نهر ، إلى جانب تلّ ،

(١) ف : « فحدثني » . (٢) ف : « ظفروا » . (٣) يتمطر به : يسرع .

ثم أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجًا فضربه ، ثم قال : النجاء بكتابي هذا إلى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه : للأمير المصعب بن الزبير من شمير بن ذى الجوشن . قال : فتمنّى العِلْج حتى يدخل قرية فيها بيوت ، وفيها أبو عمرة ، وقد كان المختار بعثته في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْج عِلْجًا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمير ، فإنه لقائم معه يكلمه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة ، فرأى الكتاب مع العِلْج ، وعنوانه : لمصعب من شمير ، فسألوا العِلْج عن مكانه الذي هو به ، فأخبرهم ، فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسرون إليه .

قال أبو مخنف : فحدثني مسلم بن عبد الله ، قال : وأنا والله مع شمير تلك الليلة^(١) ، فقلنا : لو أنك ارتحلت بنا من هذا المكان فإننا نتخوف به ! فقال : أو كل هذا فرقا من الكذاب ! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيام ، ملأ الله قلوبكم رعبًا ! قال : وكان بذلك المكان الذي كنا فيه دُبى كثير ، فوالله إنى لسيّئ اليقظان والنائم ، إذ سمعت وقع حوافر الخيل ، فقلت في نفسى : هذا صوت الدبى ، ثم إنى سمعته أشد من ذلك ، فانتبهت ومسحت^(٢) عيني ، وقلت : لا والله ، ما هذا بالدبى . قال : وذهبت لأقوم ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل ، فكبروا ، ثم أحاطوا بأبياتنا ، وخرجنا نشدت على أرجلنا ، وتركنا خيلنا . قال : فأمر على شمير ، وإنه لمتنر ببرد محقق^(٣) — وكان أبرص — فكأنى أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البرد ، فإنه ليطاعنهم بالرمح ، قد أعجلوه أن يلبس سلاحه وثيابه ، فضينا وتركناه . قال : فما هو إلا أن أمعت ساعة ، إذ سمعت : الله أكبر ، قتل الله الخبيث !

قال أبو مخنف : حدثني المشرقي ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : أنا والله صاحب الكتاب الذي رأيته مع العِلْج ، وأتيت به أبا عمرة وأنا قتل شميرًا ، قال : قلت : هل سمعته يقول شيئًا ليلتذ ؟ قال : نعم ،

(١) ف : « ليلتذ » . (٢) ف : « فسحت » . (٣) برد محقق : محكم النسخ .

خرج علينا فطاعستنا برمح ساعة ، ثم ألقى رمحه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم خرج علينا وهو يقول :

نَبَّهْتُمْ لَيْثَ عَرِينٍ بِأَسْلَا جَهْمًا مُحْيَاهُ يَدُقُّ الْكَاهِلَا
لَمْ يَرْ يَوْمًا عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلا إِلَّا كَذَا مُقَاتِلًا أَوْ قَاتِلَا
* يُبْرِحُهُمْ ضَرْبًا وَيُرَوِّى الْعَامِلَا *

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق : ولما خرج المختار من جبانة السبيغ ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سُرَاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ يناديه بأعلى صوته :
امْنَنْ عَلَى الْيَوْمِ يَا خَيْرَ مَعْنُ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشُخْرِ وَالْجَنْدِ (١)
* وَخَيْرَ مَنْ حَيًّا وَلَبَّى وَسَجَدَ (٢) *

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلة ، ثم أرسل إليه من الغد فأخبره ، فدعا سُرَاقَةَ ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا (٣)
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعْفَاءَ شَيْئًا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحِينًا
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِهِمْ قَلِيلًا وَهُمْ مِثْلُ الدَّبِّ حِينَ التَّقِينَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبًا طَلْحَفًا (٤) وَطَعْنَا صَائِبًا حَتَّى انْثَنِينَا
نَصِرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ كُلَّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيْبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنًا (٥)
كَنْصِرَ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ وَيَوْمَ الشُّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنًا
فَأَسْجَحْ إِذْ مَلَكَتْ فَلَوْ مَلَكَتْ لَجَرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدِينَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ النِّقْدَ دِينَا

(١) ديوانه ٧٤ . ف : « لبى وحيا » .

(٢) ديوانه ٧٦ ، ٧٧ . (٤) ضربًا طلحفاً ، أى شديداً وجيماً .

(٥) ف : « تبغى علينا » .

قال : فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمُخْتَارِ ، قَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! سُرَاقَةُ
ابنِ مُرْدَاسٍ يَسْخَرُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ رَأَى الْمَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ عَلَى
الْخَيُْولِ الْبُلُقُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ : فَاصْصَدِ الْمُنْبِرَ فَأَعْلِمِ
ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَصَعِدَ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ ثُمَّ نَزَلَ ، فَخَلَا بِهِ الْمُخْتَارُ ، فَقَالَ :
إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَرِ الْمَلَائِكَةَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتَ مَا قَدْ عَرَفْتُ إِلَّا أَقْتَلَكَ ، ٦٦٠/٢
فَاذْهَبْ عَنِّي حَيْثُ أَحْبَبْتَ (١) ، لَا تُفْسِدْ عَلَى أَصْحَابِي .

قال أبو مخنف : فَحَدَّثَنِي الْحُجَّاجُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَارِقِيُّ عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ
مُرْدَاسٍ ، قَالَ : مَا كُنْتُ فِي أَيْمَانٍ حَلَفْتُ بِهَا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا وَلَا مَبَالِغَةً فِي
الْكَذِبِ (٢) مَنَى فِي أَيْمَانِي هَذِهِ الَّتِي حَلَفْتُ لَهُمْ بِهَا أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ
مَعَهُمْ تُقَاتِلُ . فَخَلَدُوا سَبِيلَهُ . فَهَرَبَ ، فَلَحِقَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُخْنَفٍ عِنْدَ
الْمَصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ بِالْبَصْرَةِ ، وَخَرَجَ أَشْرَافُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْوُجُوهِ . فَلَصَحِّقُوا
بِمَصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ بِالْبَصْرَةِ ، وَخَرَجَ سُرَاقَةُ بْنُ مُرْدَاسٍ مِنَ الْكُوفَةِ وَهُوَ يَقُولُ :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّنِي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهِمًا مُصَمَّتَاتِ (٣)
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَى قِتَالِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ
أُرَى عَيْنِي مَا لَمْ تُبْصِرْهُ كَلَانَا عَالَمٌ بِالثَّرَاهَاتِ
إِذَا قَالُوا أَقُولُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ وَإِنْ خَرَجُوا لَيْسَتْ لَهُمْ أَدَاتِي

حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَلَمٌ بْنُ جُنَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَرَّادٍ (٤) ، مِنْ
وَلَدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ شَيْخٍ ، قَالَ : لَمَّا أُسِرَ سُرَاقَةُ الْبَارِقِيُّ ، قَالَ :
وَأَنْتُمْ أَسْرَمُونِي ! مَا أُسْرَنِي إِلَّا قَوْمٌ عَلَى دَوَابِّ بُلُقٍ ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ . قَالَ :
فَقَالَ الْمُخْتَارُ : أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةُ ، فَأُطْلِعْهُ ، فَقَالَ :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّنِي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهِمًا مُصَمَّتَاتِ
أُرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَاهُ كَلَانَا عَالَمٌ بِالثَّرَاهَاتِ

(٢) ف : « مَنَى فِي الْكَذِبِ » .

(١) ف : « شَتَّ » .

(٤) ١ : « بَرَّاه » .

(٣) ديوانه ٧٨ .

قال أبو مخنف : حدثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس
٦٦٦/٢ الهمداني قال يوم جَبَانَةِ السبيح : ويحكم ! من هؤلاء الذين أتونا من
ورائنا ؟ قيل له : شبام ؛ فقال : يا عجباً ! يقاتلني بقسومي من لا قوم له .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو روق أن شُرْحِيل بن ذى بقلان من
الناطليين قُتِل يومئذ ، وكان من بيوتات همدان ، فقال يومئذ قبل أن
يُقْتَلَ : يا لها قتلَةٍ ، ما أضلّ مقتولها ! قتال مع غير إمام ، وقاتل على غير
نية ، وتعجيلُ فراق الأحبة ، ولو قتلناهم إذا لم نسلم منهم ، إننا لله
وإننا إليه راجعون ! أما والله ما خرجتُ إلّا مواسياً لقومي بنفسى مخافة أن
يُضْطَهِدُوا ؛ وإيم الله ما نجوتُ من ذلك ولا أنجُوا ، ولا أغشيت عنهم ولا
أغنوا . قال : ويرميه رجل من الفاشيين من همدان يقال له أحمر بن
هذيل بسمهم فيقتله .

قال : واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة : سِعْر
ابن أبي سحر الحنفي ، وأبو الزبير الشَّامي : ورجل آخر ؛ فقال سِعْر : طعنته
طعنة ، وقال أبو الزبير : لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر ، وقال لي
ابنه : يا أبا الزبير ، أقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك ! فقلت :
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) . فقال المختار:
كلكم محسن . وانجلت الواقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه .

قال أبو مخنف : حدثني النَّضْر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان استسحر
٦٦٧/٢ في أهل اليمن ، وأن مَضَرَ أصيب منهم بالكُنَاسَة بضعة عشر رجلاً ، ثم
مضوا حتى مروا بربيعه ، فرجع حجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن
رؤيم وشداد بن المنذر - أخو حضين - وعكرمة بن ربيع ، فانصرف جميع
هؤلاء إلى رحالهم ، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم انصرف
عنهم وقد خرج ، فجاء حتى دخل منزله ، ف قيل له : قد مَرَّت خيل في

ناحية الحى ؛ فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتى حمّله غلام له . وكانت وقعة جبّانة السّبيع يوم الأربعاء لست ليالٍ بقيّين من ذى الحجة سنة ست وستين .

قال : وخرج أشرافُ الناس فلاحقوا بالبصرة ، وتجرّد المختارُ لقتلة الحسين فقال : ما من ديننا تركُ قوم قتلوا الحسينَ يمشون أحياء في الدنيا آمنين ؛ بش ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا ! أنا إذا الكذاب كما سمّوني ، فإني ^(١) بالله أستعين عليهم ، الحمد ^(٢) لله الذى جعلنى سيفاً ضربهم به ، ورحماً طعنهم به ، وطالب وترهم ، والقائم بمحقهم ؛ إنّه ^(٣) كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسمّوهم لى ثم اتّبعوهم ^(٤) حتى تُفَنّوهم .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر أن المختار قال لهم : اطلبوا لى قتلته الحسين ، فإنّه لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأنى المصير منهم .

قال أبو مخنف : وحدثني مالك بن أعين الجهني أن عبد الله بن دبّاس ، وهو الذى قتل محمد بن عمّار بن ياسر الذى قال الشاعر :

« قَتِيلَ ابْنِ دَبَّاسٍ أَصَابَ قَذَالُهُ » ^(٥)

٦٦٨/٢

هو الذى دلّ المختار على نفر ممن قتل الحسين ، منهم عبد الله بن أسيد بن النّزال الجهني من حرقة ، ومالك بن النّسير البديّ ، وحمل بن مالك الحاربي ؛ فبعث إليهم المختار أبا نمران مالك بن عمرو النهديّ - وكان من رؤساء أصحاب المختار - فأتاهم وهم بالقادسية ، فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله ، أين الحسين بن عليّ ؟ أدوا لى الحسين ، قتلتم من أمّرتهم بالصلاة عليه فى الصلاة ، فقالوا ^(٦) : رحمك الله ! بعتنا ونحن كارهون ، فامنّ علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلاّ منتم على الحسين ابن بنت

(١) ف : « وإني » . (٢) ف : « والحمد » . (٣) ف : « إن » .

(٤) ف : « تتبعهم » . (٥) ف : « أصيب قذاله » . (٦) ف : « قالوا » .

نبيكم واستبقيتموه وستقيتموه ! ثم قال المختار للبدئي : أنت صاحب بُرْنُسِه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم ، هو هو ؛ فقال المختار ، اقطعوا يدَيَّ^(١) هذا ورجلَيْه ، ودَعُوهُ فليضطرب حتى يموت ، ففعل ذلك به وترك ، فلم يزل يستزف الدم حتى مات ، وأمر بالآخرين فقدما ، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني ، وقتل سعر بن أبي سعر حمّل بن مالك المحاربي .

قال أبو مخنف : وحدثنى أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أبو سعيد الصيقل أن المختار دُلَّ على رجال من قسلة الحسين ، دَلَّه^(٢) عليهم سعر الحنفي ؛ قال : فبعث المختار عبد الله بن كامل ، فخرجنا معه حتى مررنا ببيضة ، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك ؛ قال : ثم مضى إلى عنزة ٦٦٩/٢ فأخذ منهم رجلا يقال له عيمران بن خالد . قال : ثم بعثني في رجال معه يقال لهم الدبابة إلى دار في الحمراء ، فيها عبد الرحمن بن أبي خُشْكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني ، فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة الصالحين ، وقتلتم سيد شباب أهل الجنة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم ! لقد جاءكم الورس ، بيوم نحس — وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين — أخرجوهم إلى السوق فضرَبُوا رقابَهم . ففعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

قال أبو مخنف : وحدثنى سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار ، فخرجت نحو عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلح^(٣) في أثرى ، وشغلوا بالاحتباس عليهما عنى . فنجوت وأخذوهما ، ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد ، فأخذوه ، فأنتهوا بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقتلوا في السوق ، فهؤلاء ثلاثة . فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ تَرَنِي عَلَى دَهْشٍ نَجَوْتُ وَلَمْ أَكْذُ أَنْجُو

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دل » .

(٣) ابن الأثير : « صلح » .

رجاء الله أنقذني ولم أك غيره أرجو

قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر العدويّ من جهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهرهم بن عبد الرحمن الجهنيّ - قال : بعث المختار عبد الله ابن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدُهْمانيّ من جهينة ، وإلى أبي أسماء بشر بن سوط القابضيّ - وكانا ممّن شهدا قتل الحسين ، وكانا اشتركا في دم عبد الرحمن بن عَقِيل بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دُهْمان ، ثم قال : علىّ مثل خطايا بني دُهْمان منذ يوم خلّفوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوتَ بعثمان بن خالد بن أسير، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلنا نطلبه ، فخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوهما جالسين في الجبّانة - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتى بهما عبد الله بن كامل ، فقال : الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عنّا إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الذي حيّتك حتّى أمكن منك . فخرج بهما حتّى إذا كان في موضع برّ الجعد ضرب أعناقهما ، ثم رجع فأخبر المختار خبرهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار ، وقال : لا يدفنان حتّى يحرقا . فهذان رجلان ، فقال أعشى همدان^(١) يرثي عثمان الجهنيّ :

يا عَيْنَ بَكْيٍ فَتَى الْفَتِيَانِ عُثْمَانَا لَا يَبْعَدَنَّ الْفَتَى مِنْ آلِ دُهْمَانَا
وَإِذْ كَرَفَتِي مَاجِدًا حُلُومًا شَمَائِلُهُ مَا مِثْلُهُ فَارُسٌ فِي آلِ هَمْدَانَا

قال موسى بن عامر : وبعث معاذ بن هانيّ بن عديّ الكنديّ ، ابن أخي حُجْر ، وبعث أبا عمرة صاحب حرّسه ، فساروا حتّى أحاطوا بدار خولّي بن يزيد الأصبحيّ وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به ، فاخترأ في مخرجه ، فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار ، فخرجت امرأته إليهم ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَةً ، فأخرجوه ، وكان^(٢) المختار يسير

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله ، وهمدان بالدال الساكنة من قبائل كهلان باليمن ، وانظر

(٢) ف : « وقد كان » .

المؤلف والمختلف ١٢ .

بالكوفة . ثمَّ إِنَّهُ أَقْبَلَ فِي أَثَرِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ بَعَثَ أَبُو عَمْرٍةَ إِلَيْهِ رَسُولًا ، فَاسْتَقْبَلَ الْمُخْتَارَ الرَّسُولَ عِنْدَ دَارِ بِلَالٍ ، وَمَعَهُ ابْنُ كَامِلٍ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَأَقْبَلَ ^(١) الْمُخْتَارَ نَحْوَهُمْ ، فَاسْتَقْبَلَ بِهِ ، فَرَدَّه ^(٢) حَتَّى قَتَلَهُ إِلَى جَانِبِ أَهْلِهِ ، ثُمَّ دَعَا ^(٣) بَنَارَ فَحَرَّقَهُ [بِهَا] ^(٤) ، ثُمَّ لَمْ يَبْرَحْ حَتَّى عَادَ رِمَادًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ . وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ حَضْرَمَتِ مَوْتٍ يُقَالُ لَهَا الْعَيُوفُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ نَهَارِ بْنِ عَقْرَبَ ، وَكَانَتْ نَصَبَتْ لَهُ الْعِدَاوَةَ حِينَ جَاءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ .

قال أبو مخنف : وحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَامِرٍ أَبُو الْأَشْعَرِ أَنَّ الْمُخْتَارَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَحْدُثُ جُلُوسًا : لَأَقْتُلَنَّ غَدًا رَجُلًا عَظِيمَ الْقَدَمَيْنِ ، غَاثَرَ الْعَيْنَيْنِ ، مُشْرِفَ الْحَاجِبَيْنِ ، يَسِرُّ مَقْتَلُهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالَ : وَكَانَ الْهَيْمِيُّ بْنُ الْأَسْوَدِ النَّخَعِيُّ عِنْدَ الْمُخْتَارِ حِينَ سَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ النَّدِيَّ يَرِيدُ عَمْرَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ دَعَا ابْنَهُ الْعُرْيَانَ فَقَالَ : لَقِيَ ابْنَ سَعْدٍ اللَّيْلَةَ فَخَبَّرَهُ بِكَذَا وَكَذَا ، وَقُلْ لَهُ : خَذْ حِذْرَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَرِيدُ غَيْرَكَ . قَالَ : فَأَتَاهُ فَاسْتَخْلَاهُ ، ثُمَّ حَدَّثَهُ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ : جَزَى اللَّهُ أَبَاكَ وَالْإِنْعَاءَ خَيْرًا ! كَيْفَ يَرِيدُ هَذَا بِي بَعْدَ النَّدِيِّ أَعْطَانِي مِنَ الْعَهْدِ وَالْمَوَاقِفِ ! وَكَانَ الْمُخْتَارُ أَوَّلَ مَا ظَهَرَ أَحْسَنَ شَيْءٍ سِيرَةٍ وَتَأَلَّفًا لِلنَّاسِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بَنِي هُبَيْرَةَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْمُخْتَارِ لِقَرَابَتِهِ بَعْلَى ^(٥) ، فَكَلَّمَهُ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي لَا أَمْنُ هَذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي الْمُخْتَارَ - فَخُذْ لِي مِنْهُ أَمَانًا ، فَفَعَلَ ؛ قَالَ : فَأَنَا رَأَيْتُ أَمَانَهُ وَقَرَأْتُهُ [وَهُوَ] ^(٦) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا أَمَانٌ مِنَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ لِعَمْرِ بْنِ سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، إِنَّكَ أَمِنَ بِأَمَانِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ وَأَهْلِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَوَلَدِكَ ، لَا تَوَاضَعُ بِحَدَّثِ كَانَ مِنْكَ قَدِيمًا مَا سَمِعْتَ وَأَطَعْتَ وَلَزِمْتَ رَحْلَكَ وَأَهْلَكَ وَمِصْرَكَ ^(٧) ، فَنَ لَقِيَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ شُرْطَةِ اللَّهِ وَشَيْعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ

(١) ف : « فَرَجَعَ وَأَقْبَلَ » . (٢) ف : « فَرَدَّه » .

(٣) ف : « وَدَعَا » . (٤) مِنْ ف .

(٥) ف : « مِنْ عَلَى » . (٦) مِنْ ف . (٧) ف : « وَوَصْرَكَ » .

ر بن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير . شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميطة وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل . وجعل المختار على نفسه عهداً الله وميثاقه ليعقبن لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلا أن يحدث حدثاً ، وأشهد الله على نفسه ، وكفَى بالله شهيداً . ٦٧٣/٢

قال : فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول : أمّا أمان المختار لعمر بن سعد : إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث . قال : فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمّاه ، ثم قال في نفسه : أنزل دارى ، فرجع فغير الروحاء ، ثم أتى داره غدوة ، وقد أتى حمّاه ، فأخبر مولّى له بما كان من أمانه وبما أريد به ، فقال له مولاه : وأى حدث أعظم ممّا صنعت ! إنك تركت رحلك وأهلك^(١) ، وأقبلت إلى ها هنا ، ارجع إلى رحلك ، لا تجعل^(٢) للرجل عليك سبيلاً . فرجع إلى منزله ، وأتى المختار بانطلاقه ، فقال : كلّ إن في عنقه سلسلة سترده ، لو جهّد أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة ، وأمره أن يأتيه به ، فجاءه حتى دخل عليه فقال : أجب الأمير ، فقام عمر فغير في جبّة له ،^(٣) ويضربه أبو عمرة بسيفه^(٤) ، فقتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ، ولا خير في العيش بعده ، قال له المختار : صدقت ، فإنك لا تعيش بعده ، فأمر به فقتل ، وإذا رأسه مع رأس أبيه . ثم إن المختار قال : هذا بحسنيين وهذا بعلي بن حسين^(٤) ، ولا سّواء ، والله لو قتل به ثلاثة أرباع قریش ما وقّوا أنملة من أنامله ؛ فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباه :

لو كان غير أخى قسى غره أو غير ذى يمنٍ وغير الأعجم
سَخى بنفسى ذاك شيئاً فاعلموا عنه وما البطريق مثل الألام
أعطى ابن سعد فى الصحيفة وابنه عهداً يلين له جناح الأرقم

(١) ف : « أهلك ورحلك » .

(٢-٣) ف : « وبصر به أبو عمرة فضر به » .

(٤) ف : « الحسين » .

فلَمَّا قَتَلَ الْمُخْتَارُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَابْنَهُ بَعَثَ بِرَأْسَيْهِمَا مَعَ مَسَافِرٍ بَنِ سَعِيدِ بْنِ نَعْمَانَ النَّاعِطِيِّ وَظَبْيَانِ بْنِ عِمَارَةَ التَّمِيمِيِّ، حَتَّى قَدِمَا بِهِمَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَكُتِبَ إِلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ فِي ذَلِكَ بِكِتَابٍ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : إِنَّمَا كَانَ هَيْجَ الْمُخْتَارِ عَلَى قَتْلِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ شَرَاخِيلَ الْأَنْصَارِيَّ أَتَى مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ؛ فَجَرَى الْحَدِيثُ إِلَى أَنْ تَذَاكُرُوا الْمُخْتَارَ وَخُرُوجَهُ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الطَّلَبِ بِدَمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ : عَلَى أَهْوَنِ رِسْلِهِ يَزْعُمُ أَنَّ لَنَا شِيعَةً ، وَقَتَّلَ الْحُسَيْنَ جُلَسَاءَهُ عَلَى الْكَرَاسِيِّ يَحْدُثُونَهُ ! قَالَ : فَوَعَاها الْآخَرُ مِنْهُ . فَلَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ أَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ الْمُخْتَارُ : هَلْ لَقِيتَ الْمَهْدِيَّ ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : مَا قَالَ لَكَ وَمَاذَا ذَكَرَكَ ؟ قَالَ : فَخَبَّرَهُ الْخَبَرُ . قَالَ : فَمَا لَبَّثَ الْمُخْتَارُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَابْنَهُ أَنْ قَتَلَهُمَا ، ثُمَّ بَعَثَ بِرَأْسَيْهِمَا ^(١) إِلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ مَعَ الرُّسُولِينَ الَّذِينَ سَمَّيْنَا ، وَكُتِبَ مَعَهُمَا إِلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ : ٦٧٥/٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لِلْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ مِنَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ . سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي نِقْمَةً عَلَى أَعْدَائِكُمْ . فَهَمَّ بَيْنَ قَتْلِ وَأُسِيرٍ ، وَطَرِيدٍ وَشَرِيدٍ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ قَاتِلِيكُمْ ^(٢) ، وَنَصَرَ مُؤَاوِزِيكُمْ ^(٣) . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِرَأْسِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ وَابْنِهِ ، وَقَدْ قَتَلْنَا مِنْ شَرِّكَ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - كُلٌّ مِنْ قَدَرْنَا عَلَيْهِ ، وَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ مِنْ بَقِيٍّ ، وَلَسْتُ بِمُنْجِمٍ ^(٤) عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَبْلُغُنِي أَنَّ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَرْمِيًا ^(٥) . فَكُتِبَ إِلَيَّ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ بِرَأْيِكَ أَتَبِعُهُ وَأَكُونُ عَلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَامِلٍ إِلَى حَكِيمِ بْنِ طُفَيْلٍ الطَّائِيَّ السَّنْبِسِيَّ - وَقَدْ كَانَ أَصَابَ صُلْبَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَرَمَى

(١) كَذَا فِي فَوْي ط : «بِرَأْسَيْهِمَا» . (٢) ف : «قَاتِلِكُمْ» . (٣) ف : «مُؤَاوِزِكُمْ» .

(٤) ف : «بِمُنْجِمٍ» . (٥) إِرْمِيَا ، أَيْ أَحَدًا ، يُقَالُ : مَا بِالْأَرِضِ إِرْمِيَا ، أَيْ أَحَدٌ .

حسيناً بسهمهم ، فكان يقول : تعلق سهمي بسرباله وما ضره — فأثاه عبدُ الله ابنُ كامل ، فأخذهُ ثمَّ أقبل به ، وذهب أهلُه فاستغاثوا^(١) بعدى بن حاتم ، فلحقهم في الطريق ، فكلَّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما إلى^(٢) من أمره شيء ، إنَّما ذلك^(٣) إلى الأمير المختار . قال : فإني آتية ؛ قال : فأتيه راشدًا . فضى عدى نحو المختار ، وكان المختار قد شفَّعه في نفر من قومه أصابهم يومَ جَسَّانة السَّبيع ، لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إنَّنا نخاف أن يشفع الأمير عدى بن حاتم ٦٧٦/٢ في هذا الخبيث ، وله من الذنب ما قد علمت^(٤) ، فدعنا نقتله . قال : شأنكم به ، فلما انتهوا به إلى دار العنزيتين وهو مكتوف نصَّبوه غَرَضًا ، ثمَّ قالوا له : سلبت ابن علي ثيابه ، والله لنسلبن ثيابك وأنت حي تنظر ! فنزعوا ثيابه ، ثمَّ قالوا له : رميتَ حسينًا ، واتخذته غَرَضًا لنسلك ، وقلت : تعلق سهمي بسرباله ولم يضره ، وإمُّ الله لرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك . قال : فرمَّوه رشقًا واحدًا ، فوقع به منهم نبال كثيرة فخر ميتًا .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجارود^(٥) ، عمَّن رآه قتيلاً كأنَّه قُنْفُذٌ لِمَا فيه من كثرة النبل : ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه ، فأخبره عدى عمَّا جاء له ، فقال له المختار : أتستحل يا أبا طريف أن تطلب في قَتَلَةِ الحسين ! قال : إنه مكذوب عليه أصلحك الله ! قال^(٦) : إذا ندَّعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فعل الرجل ؟ قال : قتلته الشيعة : قال : وما أعجلك إلى قتله قبل أن تأتي به وهو لا يسهه أنه لم يقتله — وهذا عدى قد جاء فيه ، وهو أهل أن يُشَفَّع ويؤتى ما سره^(٧) ! قال : غلبتني والله الشيعة ، قال له عدى : كذبت يا عدو الله ، ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فيه . فبادرتني

(١) ف : « فاستعانوا » . (٢) ف : « مالي » .

(٣) ف : « ذاك » . (٤) ف : « علمته » .

(٥) هو زياد بن زياد ، الذي تسمى باسمه فرقة الجارودية .

(٦) ف : « فقال » . (٧) ف : « يسهه » .

فقتلته ، ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت . قال : فاستحقت^(١) إليه ابن
 ٦٧٧/٢ كامل بالشتيمة ، فوضع المختار إصبعه على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت
 والكف عن عدى ، فقام عدى راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل ،
 يشكوه عند من لى من قومه . وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين عبد الله
 ابن كامل ، وهو رجل من عبد القيس يقال له مرة بن منقذ بن النعمان العبدى
 وكان شجاعاً ، فأناه ابن كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبيده^(٢)
 الرمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامى ، فصرعه
 ولم يضره . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى ، فأسرع^(٣)
 فيها السيف ، وتمطرت به القرس^(٤) ، فأقلت ولحق بمصعب ، وشئت يده بعد
 ذلك . قال : وبعث المختار أيضاً عبد الله الشاكرى إلى رجل من جنب
 يقال له زيد بن رقاد ، كان يقول : لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لو أضع
 كفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه فى جبهته ، فما استطاع أن يزيل
 كفه عن جبهته .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو عبد الأعلى الزبى أن ذلك الفتى عبد الله
 ابن مسلم بن عقيل ، وأنه قال حيث أثبت كفه فى جبهته : اللهم إنهم
 استقلونا واستذلونا ، اللهم فاقتلهم كما قتلونا ، وأذلهم كما استذلونا . ثم
 إنه رى الغلام بسهم آخر فقتله ، فكان يقول : جثته ميتة فزعت
 سهمى الذى قتلته به من جوفه ، فلم أزل أنفض السهم^(٥) من جبهته
 حتى نزعته ، وبقي النصل فى جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعها .

٦٧٨/٢ قال : فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها ، واقتحم الرجال عليه ، فخرج
 مصلاً بسيفه^(٦) — وكان شجاعاً — فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ،
 ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه^(٧) بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ،
 فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمتى فأخرجوه^(٨) ، فأخرجوه وبه

(١) فى الأسان : يقال : استحقر الرجل فى خطبته ، إذا مضى واتسع فى كلامه .

(٢) ف : « بيده » . (٣) ف : « فيسر » .

(٤) ف : « فرسه » . (٥) ف : « نفنض السهم » إذا حركه .

(٦) ف : « بالسيف » . (٧) ف : « وارجموه » . (٨) ف : « فأخرجوه بالنار » .

رَمَقَ ، فدعا بنار فحرّقه بها وهو حيّ لم تخرج رُوحُه ، وطلب المختار سنان ابن أنس الذّبي كان يدعى قَتْلَ الحَسين ، فتَوَجَّده قد هَرَبَ إلى البَصْرة ، فهَدَمَ داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عُقْبَةَ الغَسَوِيّ فوجده قد هَرَبَ ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره ، وكان ذلك الغَسَوِيّ قد قتل منهم غلاماً ، وقتل رجلاً آخرُ من بني أسد يقال له حَرْمَلَة بن كاهل رجلاً من آل الحسين ، ففِيهِمَا يقول ابن أبي عَقِبِ اللَّيْثِي :

وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ

وطلب رجلاً من خَشَعَمَ يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي - كان يقول : رَمِيتَ فِيهِمْ بَائِثِيْ عَشْرَ سَهْمًا ضَيْعَةً - فقاته وَلَحِقَ بِمَصْعَبٍ ، فَهَدَمَ داره ، وطلب رجلاً من صُدَاء يقال له عَمْرُو بن صَبِيح ، وكان يقول : لَقَدْ طَعَنْتُ بَعْضَهُمْ وَجَرَحْتُ فِيهِمْ ^(١) وما قتلَ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَأَتَيْتُ لَيْلًا وَهُوَ عَلَى سَطْحِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بَعْدَ مَا هَدَأَتِ الْعَيُونُ ، وَسِيفُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، فَأَخَذُوهُ ٦٧٩/٢ أَخَذًا ، وَأَخَذُوا سِيفَهُ ، فَقَالَ : قَبْحَكَ اللَّهُ سَيْفًا ، مَا أَقْرَبَكَ وَأَبْعَدَكَ ! فَجِئْتُ بِهِ إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَحَبَسَهُ مَعَهُ فِي الْقَصْرِ ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ ، وَقِيلَ : لِيَدْخُلْ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ ، وَدَخَلَ النَّاسُ ، وَجِئْتُ بِهِ مَقِيدًا ، فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْكُفْرَةِ الْفَسَجَرَةِ أَنْ لَوْ بِيَدِي سِيفِي لَعَلِمْتُ أَنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرَ رَعِيشٍ وَلَا رِعْدِيدٍ ، مَا يَسْرَتْنِي إِذْ ^(٢) كَانَتْ مَنِيَّتِي قَتْلًا أَنَّهُ قَتَلَنِي مِنَ الْخَلْقِ أَحَدٌ ^(٣) غَيْرَكُمْ . لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ شَرَارُ خَلْقِ اللَّهِ ، غَيْرَ أَنِّي وَدِدْتُ أَنْ بِيَدِي سَيْفًا أَضْرِبَ بِهِ فِيكُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَ عَيْنَ ابْنِ كَامِلٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَضَحَكَ ابْنُ كَامِلٍ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَأَمْسَكَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ جَرَحَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ وَطَعَنَ ، فَمَرُّنَا بِأَمْرِكَ فِيهِ ، فَقَالَ الْمُخْتَارُ : عَلَيَّ بِالرَّمَاكِ ، فَأَتَى بِهَا ، فَقَالَ : اطْعَمُونَهُ حَتَّى يَمُوتَ ، فَطُعِنَ بِالرَّمَاكِ حَتَّى مَاتَ .

قال أبو مخنف : حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحت » . (٢) ف : « إن » .

(٣) ف : « أحد من الناس » .

أن أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زُرعة بن مسعود ، فرمَوْهم من فوقها ، فأقبلوا حتَّى دخلوا الدارَ ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زُرعة الثَّقَفِيَّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زُرعة الثَّقَفِيَّ ، وأفلستهم عبدُ المالك بن أبي زُرعة بضربة في رأسه ، فجاء يشند حتَّى دخل على المختار ، فأمر امرأته أمَّ ثابت ابنة سَمُرَةَ بن جُنْدَب ، فداوت شجَّته ، ثمَّ دعاها ، فقال : لا ذنب لي ، إنَّكم رَمِيتُمُ^(١) القوم فأغضبتموهم^(٢) . وكان محمد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسيَّة ، فبعث المختار إليه حَوْشَبًا سادِنَ الكرسيِّ في مائة ، فقال : انطلق إليه فإنَّك تجده لاهيًّا متصيدًا ، أو قائمًا متلبَّدًا ، أو خائفًا متلددًا ، أو كامنًا متغمَّدًا ، فإن قدرت عليه فأُتني برأسه . فخرج حتَّى أتى قصره فأحاط به ، وخرج منه محمد بن الأشعث فلمحق بمصعب ، وأقاموا على القصر وهم يَرَوْنَ أَنَّهُ فِيهِ ، ثمَّ دخلوا فعَلِمُوا أَنَّهُ قد فاتهم ، فانصرفوا إلى المختار ، فبعث إلى داره فهدمها ، وبني بلبسَينها وطَيَّنَها دارَ حُجْر بن عدى الكِنْدِيَّ ، وكان زيادُ بن سُمَيَّة قد هدَّمها .

* * *

[ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دَعَا المثنَّى بن مخزَّبة العبديَّ إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ؛ فحدثني أحمد بن زهير ، عن عليَّ بن محمد ، عن عبد الله بن عطية اللَّيْثِي وعامر بن الأسود ، أن المثنَّى بن مخزَّبة العبديَّ كان مِمَّنْ شهد عينَ الوَرْدَةِ مع سليمان بن صُبْرَد ، ثمَّ رجع مع مَن رجع مِمَّنْ بَقِيَ مِنَ التَّوَابِينِ إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتَّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنَّى سرًّا ، وقال له المختار : الحقَّ ببِلَدِكَ بالبصرة فارَّعْ الناسَ ، وأسِرْ أَمْرَكَ ؛ فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم فلمَّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة ومنَعَ عمرَ بنَ عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنَّى بن مخزَّبة فاتَّخَذَ مسجدًا ، واجتمع^(٣) إليه

(١) ف : « أَرَمِيتُمُ » .

(٢) ف : « وأغضبتموهم » .

(٣) ف : « فاجتمع » .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندَها ، وجمعوا الطعامَ في المدينة ، ونَحَرُوا الجُزُرَ ، فوجهَ إليهم القُبَاعُ عَبْدَ بنِ حصين وهو على شُرْطته ، وقيس بن الهيثم في الشَّرْط والمقاتلة ، فأخذوا في سَكَّة الموالى حتَّى خرجوا إلى السَّبْخَةِ ، فوقفوا ، ولزِمَ الناسُ دَوْرَهُمْ ، فلم يخرج أحدٌ ، فجعل عبَّادٌ ينظر هل يرى أحداً يسأله ! فلم يرَ أحداً ؛ فقال : أما ها هنا رجلٌ من بني تميم ؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عدى ، عدى الرَّبَاب : هذه دار وِرَّاد مولى بني عبد شَمْسٍ ؛ قال : دُقْ الباب ، فدقَّه ، فخرج إليه وِرَّاد ، فشتمه عبَّادٌ وقال : وَيَحْك ! أنا واقفٌ ها هنا ، لِمَ لَمْ تخرج إلى ! قال : لم أدر ما يوافقك ، قال : شُدَّ عليك سلاحك واركب ، ففعل ، ووقَفوا ، وأقبل أصحابُ المثنَّى فواقفهم ، فقال عبَّادٌ لورَّاد : قف مكانك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم وورَّاد ، ورجع عبَّادٌ فأخذ في طريق الذَّبَّاحين ، والنَّاسِ وقوفٌ في السَّبْخَةِ ، حتَّى أتى الكلأ ، ولمدينة الرزق أربعة أبواب : باب مِمَّا إلى البصرة ، وباب إلى الخلائين ، وباب إلى المسجد ، وباب إلى مِهَبَ الشمال ؛ فأتى الباب الَّذِي يلي النهر مِمَّا إلى أصحاب السَّقَط ، وهو باب صغير ، فوقف ودعا بسَلَم فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلاً ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ، ورجع عبَّادٌ إلى قيس بن الهيثم وقال لورَّاد : حَرَّشِ القومَ ؛ فطارَدَهم وِرَّاد ، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلاً من أصحاب المثنَّى ، وقتل رجل من أصحاب عبَّاد ، وسمع الَّذِينَ على السطوح^(١) في دار الرزق الضجَّة والتكبير ، فكبَّروا ، فهرب مَنْ كان في المدينة ، وسمع المثنَّى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عبَّادٌ وقيس بن الهيثم^(٢) الناسَ بالكف عن اتباعهم^(٣) وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها ، وأتى المثنَّى وأصحابه عبد القيس ورجع عبَّادٌ وقيس ومَنْ مَعَهُمَا إلى القُبَاع فوجههما إلى عبد القيس ، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر ، وأتاهم عبَّادٌ من طريق المِرْبَد ، فالتَقُوا فأقبل زياد بن عَمْرٍو العَتَكِيُّ إلى القُبَاع وهو في المسجد جالس على المنبر ،

٦٨٢/٢

فدخل زياد المسجد على فرسه؛ فقال : أيُّها الرجل ، لردنّ خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنّها^(١). فأرسل القُبَاعُ الأحنفَ بنَ قيسَ وعمرَ بنَ عبد الرحمن المخزومي ليُصلحا أمرَ الناس ، فأتى عبد القيس ، فقال الأحنف لبكر والأزد وللعامّة : ألسنم على بيعة ابن الزبير ! قالوا : بلى ، ولكنّا لا نُسلم إخواننا . قال : فمروهم فليخرجوا إلى أيّ بلاد أحبّوا ، ولا يفسدوا هذا المِصرَ على أهله ، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا . فثنى مالكُ بنُ مِسمَع وزِيادُ بنُ عمرو ووجوهُ أصحابهم إلى المثنى ، فقالوا له ولأصحابه : إنّنا والله ما نحن على رأيكم ، ولكنّا كرهنا أن تُضاموا^(٢) . فالحقوا بصاحبكم ، فإنّ من أجابكم إلى رأيكم قليل ، وأنتم آمنون . فقَبِلَ المثنى قولَهما وما أشارا به ، وانصرف . ورجع الأحنف وقال : ما غَبِيت رأيي إلا يومِي هذا ، إني أتيت هؤلاء القومَ ونظّفت بكرًا والأزد ورائي ، ورجع عبّاد وقيس إلى القُبَاع ، وشخص المثنى إلى المختار بالكوفة في نفرٍ يسير من أصحابه ، وأصيب في تلك الحرب سُويد بن رثاب الشنّي ، وعقبة بن عشيرة الشنّي ، قَتَلَهُ رجل من بني تميم وقُتِلَ التميمي فَوَلَّغَ أخو عقبة بن عشيرة في دَمِ التميمي ، وقال : ثأري . وأخبر المثنى المختار حين قدّم عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمَع وزِياد بن عمرو ومسيرهما إليه ، وذُبَهما عنه حتّى شخص عن البصرة ، فطَمَع المختار فيهما ، فكتب إليهما : أمّا بعد ، فاسمعا وأطيعا أوتيكما^(٣) من الدنيا ما شئنا ، وأضمن لكما الجنة . فقال . مالكُ لزياد : يا أبا المغيرة ، قد أكثر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة ! فقال زياد لمالك مازحاً : يا أبا غسان ، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئةً ، من أعطانا الدّراهم قاتلنا معه . وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس :

٦٨٣/٢

من المختار إلى الأحنف ومن قبّله ، فسَلِّمُ أنتم ، أمّا بعد ، فويلُ أمّ ربيعة من مضر ، فإنّ الأحنف مُورد قومه سَقَر ، حيث لا يستطيع لهم الصّدَر ، وإني^(٤) لا أملك ما خُطّ في القَدَر ، وقد بلغني أنّكم تسمّونني^(٥) كذّابًا ،

٦٨٤/٢

(١) ف : وابن الأثير « لنقاتلهم » . (٢) ف : « تصابوا » .

(٣) ف : « ولكما » . (٤) ف : « وأنا » .

(٥) ف : « تسمون » .

وقد كُذِّبَ الأنبياءُ مِنْ قَبْلِي ، ولستُ بخير من كثير منهم .
وكتب إلى الأحنف :

إذا اشتريتَ قرصاً من مالِكا ثم أخذتَ الجَوْبَ في شِمالِكا
* فاجعلْ مِصاعاً حذماً مِنْ مالِكا *

حدثني أبو السائب سَلَمٌ بن جُنادة ، قال : حدثنا الحسن بن حمّاد ،
عن حِيَّان^(١) بن عليّ ، عن المجالد ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : دخلتُ البَصْرَةَ
فقعدتُ إلى حَلَقَةٍ فيها الأحنف بن قيس ، فقال لي بعضُ القوم : مَنْ
أنتَ ؟ قلت : رجلٌ من أهل الكوفة ؛ قال : أنتم موال لنا ؛ قلت : وكيف ؟
قال : قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم مِنْ أصحابِ المختار ، قلتُ : تدري
ما قال شيخُ هَمْدانِ فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟
قلت : قال :

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبَدًا	وهزمتُمْ مَرَّةً آلَ عَزَلٍ
وإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَاذْكُرُوا	ما فعلنا بِكُمْ يومَ الجَمَلِ
بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عَشُونُهُ	وَفَتًى أَبْيَضٍ وَضَّاحٍ رِفْلٍ
جَاءَنَا يَهْدِجُ فِي سَابِغَةٍ	فَذَبَحْنَاهُ ضَحًى ذَبَحَ الحَمَلِ
وَعَفَوْنَا فَتَنَسَيْتُمْ عَفَوْنَا	وَكَفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ الْأَجَلِ
وَقَتَلْتُمْ خَشْيِيِّينَ بِهِمْ	بَدَلًا مِنْ قَوْمِكُمْ شَرًّا بَدَلِ

فغضب الأحنف ، فقال^(٢) : يا غلام ، هات تلك الصحيفة ، فأتيتُ ٦٨٥/٢
بصحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ،
أما بعد ، فويلُ أم ربيعةَ ومضر^(٣) ، فإن الأحنف مُوردٌ قومَه سَقَرٌ ،
حيث لا يتقدرون على الصَّدَر ، وقد بلغني أنكم تُكذِّبونى ، وإن كُذِّبْتُ

(١) ط : « حيان » تصحيف . (٢) ف : « وقال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذِّبَ رَسُلٌ مِّن قَبْلِي ، وَلَسْتُ أَنَا خَيْرًا ^(١) مِنْهُمْ . فَقَالَ : هَذَا مِنَّا أَوْ مِنْكُمْ !

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عَنُفٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَسْنَعُ بْنُ الْعَلَاءِ السَّعْدِيُّ أَنَّ مَسْكِينَ بْنَ عَامِرٍ بْنَ أَنَسِيفَ بْنَ شُرَيْحٍ بْنَ عَمْرٍو بْنَ عَدَسٍ كَانَ فَيَمُنُ قَمَاتِلَ الْمُخْتَارِ ، فَلَمَّا هَزَمَ النَّاسَ لَحِقَ بِأَدْرِجِيَّانَ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَمِيرِ بْنِ عَطَارِدَ ، وَقَالَ :

عَجِبْتُ دَخْتُنُوسُ لَمَّا رَأَيْتَنِي
فَأَهْلَيْتُ بِصُورَتِهَا وَأَرَنْتُ
إِنْ تَرَيْتَنِي قَدْ بَانَ غَرْبُ شِبَابِي
فَابْنُ عَامِيْنٍ وَابْنُ خَمْسِيْنٍ عَامًا
لَيْتَ سَيْتِي لَهَا وَجَوْبَتَهَا لِي
لَيْتَنَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِتْنَا
فَعَلَ قَوْمٌ تَقَاذِفَ الْخَيْرِ عَنْهُمْ
وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَأَصِيبُوا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَهَابِ قُرَيْشٍ
وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ :

٦٨٦/٢

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هُمْ يَنْعَوْنَهُ
لَا تَبْعُدَنَّ بِالطَّفِّ قَتْلِي ضُيِّعَتْ
مَا شُرْطَةُ الدَّجَالِ تَحْتِ لَوَانِهِ
أَبْنَى قَسَى أَوْثِقُوا دَجَالَكُمْ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ أَخِيكُمْ
وَلَكَانَ أَمْرًا بَيِّنًا فِيمَا مَضَى
إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
وَسَقَى مَسَاكِينَ هَامِيهَا الْأَمْطَارُ
بِأَضَلِّ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمُخْتَارُ
يَجْلُ الْغُبَارُ وَأَنْتُمْ أَحْرَارُ
لَتَوَطَّاتْ لَكُمْ بِهِ الْأَحْبَارُ
تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ

إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يُكَذِّبَ وَحْيَكُمْ طَعْنٌ يُشَقُّ عَصَاكُمْ وَحِصَارُ
وَيَجِيشُكُمْ قَوْمٌ كَانَ سُيُوفُهُمْ بِأَكْفِهِمْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ نَارُ
لَا يَنْتَنُونَ إِذَا هُمْ لَا قُوَّةَ لَكُمْ إِلَّا وَهَامٌ كَمَا تَكُمُ أَعْشَارُ

* * *

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بعث المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير ، وهو مُظْهِرٌ لَهُ أَنَّهُ وَجْهُهُمْ مَعُوزَةٌ لَهُ لِحَرْبِ الْجَيْشِ الَّذِي كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ لِحُرُوبِهِ ، فَنَزَلُوا وَادِيَ الْقُرَى .

« ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر ، قال : لَمَّا أَخْرَجَ الْمُخْتَارُ ابْنَ مَطِيعٍ مِنَ الْكُوفَةِ لِحَقِّ بِالْبَصْرَةِ . وَكَرِهَ أَنْ يَقْدَمَ ابْنُ الزَّبِيرِ بِمَكَّةَ وَهُوَ مَهْزُومٌ مَقْلُوبٌ ، فَكَانَ بِالْبَصْرَةِ مُقِيمًا حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامٍ ، فَصَارَا جَمِيعًا بِالْبَصْرَةِ . وَكَانَ سَبَبُ قُدُومِ عُمَرَ بِالْبَصْرَةِ أَنَّ الْمُخْتَارَ حِينَ ظَهَرَ بِالْكُوفَةِ وَاسْتَجْمَعَ لَهُ الْأَمْرُ وَهُوَ عِنْدَ الشَّيْعَةِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَالطَّلَبِ بِدَمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، أَخَذَ يَخَادِعُ ابْنَ الزَّبِيرِ وَيَكْتُبُ إِلَيْهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ عَرَفْتَ مُنَاصَحَتِي إِيَّاكَ وَجَهْدِي عَلَى أَهْلِ عَدَاوَتِكَ ، وَمَا كُنْتُ أُعْطِيتَنِي إِذَا أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ فَلَمَّا وَفَيْتُ لَكَ ، وَقَضَيْتُ الَّذِي كَانَ لَكَ عَلَيَّ ، خَسِئْتُ بِي ، وَلَمْ تَفْعَلْ بِمَا عَاهَدْتَنِي عَلَيْهِ ، وَرَأَيْتُ مِنِّي مَا قَدْ رَأَيْتُ ، فَإِنْ تُرِدُ مَرَاجَعَتِي أُرَاجِعُكَ ، وَإِنْ تُرِدُ مُنَاصَحَتِي أَنْصَحُ لَكَ . وَهُوَ يَرِيدُ بِذَلِكَ كَفَّهُ عَنْهُ ، حَتَّى يَسْتَجِمِعَ لَهُ الْأَمْرُ ^(١) ، وَهُوَ لَا يُطْلِعُ الشَّيْعَةَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَإِذَا بَلَغَهُمْ شَيْءٌ مِنْهُ أَرَاهُمْ أَنَّهُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ : فَأَرَادَ ابْنُ الزَّبِيرِ أَنْ يَعْلَمَ أَسْلِمَ هُوَ أَمْ حَرْبٌ ! فَدَعَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْخَزَوِصِيَّ .

فقال له : تجهّزْ إلى الكوفة فقد وُلِّينا كَـهـا^(١) . فقال : كيف وبها المختار ! قال :
إنّه يزعم أنّه سامع مطيع . قال : فتجهّزْ بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين
ألفاً^(٢) ، ثمّ تخرج مقبلاً إلى الكوفة . قال : ويجيء عينُ المختار من مكّة حتّى
أخبره^(٣) الخبر ، فقال له : بكم تجهّزْ ؟ قال : بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين
ألفاً . قال : فدعا المختارُ زائدةَ بنَ قدامة وقال^(٤) له : احمل معك سبعين
ألفَ درهم ضِعْفَ ما أنفقَ هذا في مسيره إلينا وتلقه في المَـقـاوِـزِ ، وأخرج معك
مُـسـافِـر^(٥) بنَ سعيد بنِ نُمُران الناعطيّ في خمسمائة فارس دارع رامح ، عليهم
البَيْضُ ، ثمّ قل له : خذ هذه النّفقة فإنّها ضعف نفقتك ، فإنّه قد
بلغنا أنّك تجهّزْتَ وتكلّفت قدرَ ذلك ، فكسّرَها أن تغرم ، فخذها
وانصرف ، فإن فعل وإلّا فأره الخيل وقل له : إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة .
قال : فأخذ زائدة المال ، وأخرج معه الخيل . وتلقاه بالمقافز ، وعرض
عليه المال ، وأمّره بالانصراف ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة
ولا بدّ من إنفاذ أمره . فدعا زائدة بالخيل وقد أكنّها في جانب ، فلمّا رآها
قد أقبلت قال : هذا الآن أعذّرُ لي وأجملُ بي ، هات المال ، فقال له
زائدة : أمّا إنّه لم يبعث به إليك إلّا لما بينك وبينه ، فدفعه إليه فأخذه ، ثمّ
مضى راجعاً نحوَ البصرة ، فاجتمع بها هو وابنُ مطيع في إمارة الحارث بن
عبدِ الله بنِ أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المثنّى بنِ مخزّبة العبديّ بالبصرة .

٦٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم أنّ المختار أخبر أنّ أهل
الشّام قد أقبلوا نحو العراق ، فعرف أنّه به يُبَدَأُ ، فخشي أن يأتيه أهلُ
الشّام من قبل المغرب ، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة ، فودّع
ابنَ الزبير وداراه وكأيد^(٦) ؛ وكان عبدُ الملك بنُ مروان قد بعث عبد الملك
ابن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختار لابن الزبير
مكاييد^(٧) موادع ، فكتب المختار إلى ابن الزبير :

٦٨٩/٢

(١) ف : « وليئها » . (٢) ف : « ألف درهم » .

(٣) ف : « أخبرته » . (٤) ف : « فقال » .

(٥) ط : « بمافر » . (٦) ف : « وكاتبه » .

أما بعد ، فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببت أن أمدك بمدد أمددتك .

فكتب إليه عبد الله بن الزبير :

أما بعد ، فإن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى وتبايع إلى الناس قبلك ، فإذا أتتني ببعثك صدقتُ مقالتك ، وكففتُ جنودى عن بلادك ، وعسجّل علىّ بتسريح الجيش الذى أنت باعته ، ومُرهم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم . والسلام .

فدعا المختار شُرْجَبِيلَ بن وَرْسٍ من همدان ، فسرّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل ، فقال له : سرّحتي تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إلىّ بذلك حتّى يأتيسك أمرى ؛ وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبله ، ويأمر ابن ورس أن يمضى إلى مكة حتّى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة ، فخرج الآخر يسير قبل المدينة ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيد به ؛ فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين ، وأمره أن يستنفر الأعراب ، وقال له ابن الزبير : إن رأيت القوم فى طاعتي فاقبل منهم ، وإلا فكايدهم حتّى تهلكهم . ففعلوا ، وأقبل عباس بن سهل حتّى لقي ابن ورس بالرقيم ، وقد عبى ابن ورس أصحابه ، فجعل على ميمته سلمان ابن حمير الثورى من همدان ، وعلى ميسرته عيشاش بن جعدة الجندى ، وكانت خيلُه كلها فى الميمنة والميسرة ، فدنا فسلم عليه ، ونزل هو يمضى فى الرجال ، وجاء عباس فى أصحابه وهم منقطعون على غير تعبئة . فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبئة القتال . فدنا منهم فسلم عليهم ، ثم قال : اخلُ معى ها هنا ، فمخلاً به ، فقال له : رحمك الله ! ألت فى طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسر بنا إلى عدوه هذا الذى بوادى القرى ، فإن ابن الزبير حدثنى أنّه إنمّا أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، إنما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأى . قال له عباس بن سهل : فإن كنت فى طاعة ابن الزبير فقد

أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدونا الذين^(١) بوادى القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، وما أنا بمتبعك دون أن أدخل المدينة ، ثم أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فلما رأى عباس بن سهل لسجاسة عرف خلافته ، فكره^(٢) أن يعلمه أنه قد فطن له ، فقال : فرأيتك أفضل ، اعمل بما بدا لك ؛ فأما أنا فلاني سائر إلى وادى القرى . ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه ، فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلخة — وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً — فبعث عباس بن سهل إلى كل عشرة منهم شاة^(٣) ، فذبحوها ، واشتغلوا بها ، واختلطوا على الماء ، وترك القوم تبعيتهم ، وأمين بعضهم بعضاً ؛ فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جتمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوى البأس والنسجة ٦٩١/٢ ثم أقبل^(٤) نحو فسطاط شريحيل بن ورس ، فلما رأهم ابن ورس مستقبلين إليه نادى في أصحابه ، فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول : يا شرطه الله ، إلى إلى ! قاتلوا المصيلين ، أولياء الشيطان الرجيم ، فإنكم على الحق والهدى ؛ قد غدروا وفجروا .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف أن عباساً انتهى إليهم ، وهو يقول :

أنا ابن سهل فارس غير وكل أروغ مقدم إذا الكبش نكل
وأعتلى رأس الطرماح البطل بالسيف يوم الروع حتى ينخزل
قال : فوالله ما اقتتلنا إلا شيئاً ليس بشيء حتى قتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس ، فأتوها إلا نحواً من ثلثائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الحمداني وعياش بن جعدة الجذلي ، فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحواً من مائتي رجل ، كره ناس من الناس ممن دفعوا إليهم قتلهم ، فخلوا سبيلهم ، فرجعوا ، فأت أكثرهم في الطريق ، فلما

(١) ف : « الذي » . (٢) ف : « كره » .

(٣) ف : « بشاة » . (٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرهم ، ورجع من رجع منهم ، قام خطيباً فقال : ألا إن
الفُجَّارَ الأشرار ، قَتَلُوا الأبرار الأخيار . ألا إنَّه كان أمراً مائياً ، وقضاءً
مقضيّاً . وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ، فلإني كنت بعثتُ إليك جنداً ليندلو
لك الأعداء ، وليحوزوا لك البلاد ، فساروا إليك حتّى إذا أظلموا على طيِّبة ،
٦٩٢/٢ لقيهم جندُ المسلح ، فخدعهم بالله ، وغرّوهم بعهد الله ، فلمّا
اطمأنّوا إليهم ، ووثّقوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلوهم ، فإن رأيتَ
أن أبعثُ إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً ، وتبعثُ إليهم من قبلك
رُسُلاً ؛ حتّى يعلم أهلُ المدينة أني في طاعتك ، وأنما بعثت الجندَ إليهم عن
أمرك ، فافعل ، فإنّك ستجد عظمهم بحقّكم أعرف ، وبكم أهل البيت أراف
منهم بآل الزبير الظّلمة الملاحدين ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابنُ الحنفية : أمّا بعد ، فإنّ كتابك لَمّا بلغني قرأته ،
وفهمتُ تعظيمك لحقّي ، وما تنوى به من سروري . وإن أحبّ الأمور
كلّها إلىّ ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت ،
واعلم أنّي لو أردتُ لو جدتُ الناسَ إلىّ سراعاً ، والأعوانَ لي كثيراً ، ولكني
اعتزّيتُ بهم ، وأصبر حتّى يَحْكُمَ الله لي وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بنُ مسعود إلى ابن الحنفية فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه
الكتاب وقال له : قل للمختار فليتّق الله ، وليكفُف عن الدّماء ، قال :
فقلت له : أصلحك الله ! أو لم تكتب بهذا إليه ! قال له ابن الحنفية :
قد أمرتهُ بطاعة الله ، وطاعةُ الله تَجْمَعُ الخيرَ كلّهُ ، وتُنهِي عن الشرِّ
٦٩٣/٢ كلّهُ . فلمّا قدّم كتابه على المختار أظهر للناس أنّي قد أمرتُ بأمر يجمع
البرَّ واليسر ، ويَضُرُّح الكُفْر والغدْر .

* * *

[ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ، ووافوا الحج وأميرهم
أبو عبد الله الجدلي .

* ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :
وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف وعلى بن محمد ،

عن مسّلمة ابن محارب — أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزعمهم ، وكرهوا البسعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وهربوا إلى الحرّمْ ، وتوعدّهم بالقتل والإحراق ، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعدّهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالهم وحال من معهم ، وما توعدّهم به ابن الزبير . فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة جين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحاله من معه ، وما توعدّهم به ابن الزبير من القتل والتحريق ^(١) بالنار ، ويسألهم ألا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته . فقدّموا على المختار ، فدفعوا إليه الكتاب ^(٢) فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب ^(٣) مهدّيكُم وصريح أهل بيت نبيّكم ، وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً ، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل ، كالسّيل يتلّوه السيل ، حتّى يحلّ بابن الكاهلية الويل .

٦٩٤/٢

وجه أبا عبد الله الجذلي في سبعين راكباً من أهل القوة ، ووجه ظبيان ابن عمارة ^(٤) أخا بني تميم ومعه أربع مائة ، وأبا المعتمر في مائة ، وهاني بن قيس في مائة ، وعُمير بن طارق في أربعين ، ويونس بن عمران في أربعين ، وكتب إلى محمد بن عليّ مع الطّفّيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه ، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض ، وجاء أبو عبد الله حتّى نزل ذات عرق في سبعين راكباً ، ثمّ لحقه عمير بن طارق في أربعين راكباً ، ويونس ابن عمران في أربعين راكباً ، فتمّوا خمسين ومائة ، فسار بهم حتّى دخلوا المسجد الحرام ، ومعهم الكافركوبات . وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! حتّى انتهوا إلى زمزم ، وقد أعدّ ابن الزبير الحطّاب ليحرقهم ، وكان قد

(١) ف : « الإحراق » . (٢) ف : « فدفعوا الكتاب إليه » .

(٣) ف : « من مهدّيكُم » . (٤) ط : « عثمان » ، وهو مخطأ ، وانظر الفهرس .

بقي من الأجل يومان ، فطردوا الحرّس ، وكسروا أعوداً زمزم ، ودخلوا على ابن الحنفية ، فقالوا له : خُلتَ بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحلّ القتال في حرم الله فقال ابن الزبير : أتَحْسِبُونَ أَنِّي مُخَلِّ سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا^(١) ! فقال أبو عبد الله الجدلّي : إني ورَبِّ الرُّكْنِ والمقام ، ورَبِّ الحِلِّ والحرام ، لتُخْلِيَن سبيلَه أو لنُجالِدَنَّكَ بأسِافنا جِلاداً يرتاب منه المُبْطِلُونَ . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلا أكلكة رأس ، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتّى تُقَطَّفَ رؤوسهم ؛ فقال له قيس بن مالك : أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يُوصَلَ إليك قبل أن ترى فينا ما تحب . فكفّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ، ثمّ قدم أبو المعتمر في مائة ، وهانئ بن قيس في مائة ، وظبيان بن عُمارة في مائتين ، ومعه المال حتّى دخلوا المسجد ، فكبروا : يا لثارات الحسين ! فلمّا رآهم ابن الزبير خافهم ، فخرج محمّد بن الحنفية ومعه إلى شِعب علىّ وهم يسبّون ابن الزبير ، ويستأذنون ابن الحنفية فيه ، فيأبى عليهم ، فاجتمع مع محمّد ابن علىّ في الشعب أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال .

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمّداً .

قال علىّ بن محمّد : حدّثنا الحسن بن رُشيد الجوزجانيّ عن الطّفيّل ابن مرداس العمّيّ ، قال : لمّا تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم ، أتى قصر فَرْتَنّا عدّة من فُرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين ؛ فولّوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المُرّقيّ ، ومعه شُعبَة بن ظهير النهشليّ ، وورد بن الفلق العنبريّ ، وزُهَيْر بن ذؤيب العدويّ ، وجَيْهَان بن مَشْجَعَة الضّبيّ ، والحجّاج بن ناشب العدويّ ، ورقبة بن الحرّ في فُرسان بني تميم . قال : فأناهم ابن خازم ، فحصرهم وخنّدق خنّدقاً حصيناً . قال : وكانوا يخرجون إليه

فيقاتلونهُ ، ثم يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يوماً على تعبئة من خندقه في مئة آلاف ، وخرج أهل القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز : انصرفوا اليوم عن ابن خازم ، فلا أظن لكم به طاقة ، فقال زهير بن ذؤيب العدوي : امرأته طالق إن رجعت حتى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نهر يدخله الماء في الشتاء ، ولم يكن يومئذ فيه (١) ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم (٢) يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم ، فحطّم أولهم على آخرهم ، واستداروا (٣) وكرّ راجعاً ، واتبعوه على جنبتي النهر يصيحون به : (٤) لا ينزل إليه أحد ، حتى انتهى إلى الموضع الذي انحدر فيه ، فخرج فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتى رجع ؛ قال : فقال ابن خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها (٥) في أداته إن قدرتم عليه ، فخرج إليهم يوماً وفي (٦) رماحهم كلاليب (٧) قد هيئوها له ، فطاعنوه ، فأعلقوا (٨) في درعه أربعة أرماع ، فالتفت إليهم ليحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، فحلتوا رماحهم ، فجاء يجر أربعة أرماع حتى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غزوان بن جزة العدوي إلى زهير فقال : قل له : أرايتك إن آمنتك وأعطيتك مائة ألف ، وجعلت لك باسار (٨) طعمة تناصحني ؛ فقال زهير لغزوان : ويحك ! كيف أناصح قوماً قتلوا الأشعث ابن ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

قال : فلمّا طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلعنا نخرج فنتفرق ، فقال : لا إلّا أن تنزلوا على حكمي ؛ قالوا : فإننا نزل على حكمك ، فقال لهم زهير : ثكلتكم أمهاتكم ! والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبعتم بالموت أنفساً (٩) فموتوا جميعاً ، فإمّا أن تموتوا جميعاً وإمّا أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم ، وإيم الله لن شددتم عليهم

- (١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .
 (٣) ف : « واستدار » . (٤-٤) ف : « ولا يحسر أحد منهم أن ينزل فيه » .
 (٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) - ف : « في » .
 (٧-٧) ف : « فأعلقوها في أداته لما هيئوها له ، وطاعنوه ساعة وأعلقوا » .
 (٨) ظ : « باسان » .
 (٩) ف : « وابن الأثير : « نفساً » .

شدةً صادقة ليُفْرِجُنْ لَكُمْ عن مثل طريق المِريَد، فإن شتمتكم أمامكم، ٦٩٨/٢
وإن شتمتكم خلفكم. قال : فأبَوْا عليه ، فقال : أما إني سأريكم ، ثم
خرج هو ورقبة بن الحرّ ومع رقبة غلام له تركي وشعبة بن ظهير . قال :
فَحَمَلُوا عَلَى الْقَوْمِ حَمَلَةً منكّرةً ، فأفْرِجُوا لَهُمْ ، فَمَضَوْا ؛ فَأَمَّا زهير فرجع
إلى أصحابه حتّى دخل القصر فقال لأصحابه : قد رأيتم فأطيعوني ، ومضى
رقبة وغلامه وشعبة ، قالوا : إن فينا من يَضْعُفُ ^(١) عن هذا ويطمع ^(٢) في الحياة ،
قال ^(٣) : أبعدكم الله ! أتَخْلَوْنَ عن أصحابكم ! والله لا أكون أجزَعكم عند
الموت . قال : ففتحوا القصر ونزلوا ، فأرسل فقيدهم ، ثم حملوا إليه رجلاً رجلاً ،
فأراد أن يَمُنَّ عليهم ، فأبى ابنه موسى ، وقال : والله لئن عفوت عنهم لأتكنن
على سيفي حتّى يخرج من ظهري ؛ فقال له عبد الله : أما والله إني لأعلم أنّ
الغنى فيما تأمرني به ، ثم قتلهم جميعاً إلا ثلاثة ؛ قال : أحدهم الحجاج بن
ناشب العدوي — وكان ربي ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضره ، فحلف
لئن ظفر به ليقطعنه أو ليقطعن يده ، وكان حَدَثًا ، فكلّمه فيه رجال من بني
تميم كانوا معتزلين ؛ من عمرو بن حنظلة ، فقال رجل منهم : ابن عمي وهو غلام
حدث جاهل ؛ هبّه لي ، قال : فوهبه له ، وقال : النّجاء ! لا أرينك .
قال : وجيهان بن مشجعة الضبّي الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قُتِلَ ،
فقال ابن خازم : خلّوا عن هذا البَغْل الدارج ، ورجل من بني سعد ، وهو
الذي قال يومَ لَسْجِقُوا ابْنَ خازم : انصرفوا عن فارسٍ مضر . قال :
وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيد ، فأبى وأقبلَ يَحْجُلُ ٦٩٩/٢
حتّى جلس بين يديه ، فقام له ابن خازم : كيف شكرك إن أطلقتك
وجعلت لك باسار ^(٤) طعمة ؟ قال : لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك ،
فقام ابنه موسى فقال : تقتل الضبيع وتترك الذبيح ^(٥) ! تقتل اللبؤة وتترك اللبث !
قال : ويحك ! تقتل مثل زهير ! من لقتال عدو المسلمين ! من لثناء
العرب ! قال : والله لو شركت في دم أخى أنت لقتلتك ؛ فقام رجل من بني

(١) ف : « وقالوا إنا نضعف » . (٢) ف : « ونطمع » .

(٣) ف : « فقال » . (٤) ط : « باسان » .

(٥) الذبيح : الذكر من الضبيع ، ويطلق الضبيع على الأنثى منها .

مُسْلِمٍ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ، فَقَالَ : أَذْكُرُكَ اللَّهَ فِي زَهِيرٍ ! فَقَالَ لَهُ مُوسَى : اتَّخَذَهُ فَحْلًا لِبَنَاتِكَ ، فَغَضِبَ ابْنُ خَازِمٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ زَهِيرٌ : إِنَّ لِي حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَقْتُلْنِي عَلَى حِدَةٍ ، وَلَا تَخْلُطُ دَمِي بِدَمَاءِ هَؤُلَاءِ اللِّثَامِ ، فَقَدْ نَهَيْتُهُمْ عَمَّا صَنَعُوا وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَمُوتُوا كِرَامًا ، وَأَنْ يَخْرُجُوا عَلَيْكُمْ مُصْلِتِينَ ، وَابِمِ اللَّهِ أَنْ لَوْ فَعَلُوا لَذَعَرُوا بُنْيَاكَ هَذَا ، وَشَغَلُوهُ بِنَفْسِهِ عَنْ طَلَبِ الثَّارِ بِأَخِيهِ فَأَبَوْا ، وَلَوْ فَعَلُوا مَا قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا . فَأَمَرَ بِهِ فَنُحِّيَ نَاحِيَةً فَقُتِلَ .

قَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ : فَكَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ إِذَا ذَكَرَهُمْ قَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ ابْنَ خَازِمٍ ! قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بَابَنِهِ ، صَبِيٍّ وَغَدَّ أَحْمَقَ لَا يُسَاوِي عِلْقًا ، وَلَوْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا بِهِ لَكَانَ وَفَى .

قَالَ : وَزَعَمْتُ بَنُو عَدِيٍّ أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا حَمْلَ زَهِيرِ بْنِ ذُوَيْبِ أَبِي وَاعْتَمَدَ عَلَى رُمُوحِهِ وَجَمَعَ رَجُلِيهِ فَوَثَّبَ الْخَنْدُقَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَرِيشَ بْنَ هَلَالٍ قَتَلَهُمْ قَالَ :

٧٠٠/٢

أَعَاذِلَ إِنِّي لَمْ أَلِمْ فِي قِتَالِهِمْ	وَقَدْ عَضَّ سِنِي كِبَشُهُمْ ثُمَّ صَمَمَا
أَعَاذِلَ مَا وَلَّيْتُ حَتَّى تَبَدَّدْتُ	رَجَالٌ وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمًا
أَعَاذِلَ أَفْنَانِي السَّلَاحُ وَمَنْ يُطِلُّ	مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ يَرْجِعُ مَكْدَمًا
أَعَيْنِي إِنْ أَنْزَفْتُمَا الدَّمَاعَ فَاسْكَبَا	دَمًا لَا زَمَالِي دُونَ أَنْ تَسْكَبَا الدَّمَاعَ
أَبْعَدَ زَهِيرٌ وَأَبْنِ بَشَرٍ تَتَابَعَا	وَوَرَدَ أَرْجَى فِي خُرَاسَانَ مَغْنَمًا
أَعَاذِلَ كَمْ مِنْ يَوْمٍ حَرِبَ شَهِدْتُهُ	أَكْرُ إِذَا مَا فَارَسُ السَّوَاءِ أَحْجَمَا

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : « أَبْعَدَ زَهِيرٌ » ، زَهِيرَ بْنِ ذُوَيْبٍ ، وَابْنَ بَشَرٍ ، عُمَانَ بْنَ بَشَرٍ الْمُحْتَفِزَ الْمَازَنِيَّ ، وَوَرَدَ بْنِ الْفَلَقِ الْعَنْبَرِيَّ ، قَتَلُوا يَوْمَئِذٍ ، وَقَتَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُحْتَفِزِ أَخُو بَشَرٍ .

* * *

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَجَّحَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ

ابنُ عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى قضائها هشامُ بنُ هُبيرة ، وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها ، وبخُرَّاسان عبد الله بن خازم .

* * *

[شخص إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ لِحَرْبِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زِيَاد]

وفي هذه السنة شَخَّصَ إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ متوجِّهًا إلى عُبَيْدِ اللَّهِ ابنِ زِيَاد لِحَرْبِهِ ، وذلك لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ .

قال هشام بن محمد : حدَّثني أَبُو مُحَمَّدٍ ، قال : حدَّثني النَّضْرُ بنُ صَالِحٍ - وكان قد أدرك ذلك - قال : حدَّثني فَضَيْلُ بنُ خَدَّاجٍ - وكان قد شهد ذلك - وغيرهما ، قالوا : ما هو إِلَّا أن فرغ المختار من أهل السَّيِّعِ وأهل الكُنَاسَةِ ، فما نزل لإِبْرَاهِيمَ بنِ الْأَشْثَرِ إِلَّا يومين حتَّى أشخَّصه إلى الوجه الذي كان وجهه له لقتال أهل الثَّأَمِ ، فخرج يوم السبت لثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سِتَّةً وستين ، وأخرج المختارُ معه من وجوه أصحابه وقرَّسانهم وذوى البصائر منهم : مِمَّنْ قد شهد الحرب وجريها ، وخرج معه قيس بن طَهْمَةَ النَّهْدِيُّ على رِبعِ أهل المدينة ، وأمرَ عبد الله بن حِيَّةَ الْأَسَدِيُّ على رِبعِ مَدَنٍ جِجٍ وأَسَدٍ ، وبعث الْأَسَوْدَ بنَ جَرَادٍ الْكِنْدِيُّ على رُبْعِ كِنْدَةَ ورَبِيعَةَ ، وبعث حبيب بن منقذ الثَّوْرِيَّ من هَمْدَانَ على رِبعِ تَمِيمٍ وهَمْدَانَ ، وخرج معه المختار يشيِّعه حتَّى إذا بلغ دِيرَ عبد الرحمن بن أمِّ الْحَكَمِ ، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه ، قد حملوا الكرسيَّ على بغلٍ أشهب كانوا يَحْمِلُونَهُ عليه ، فوقفوا به على القنطرة ، وصاحب أمر الكرسيَّ حَوْشَبُ الْبَرْسَمِيِّ ، وهو يقول : يا رَبَّ عَمَّرْنَا فِي طَاعَتِكَ ، وانصرنا على الأعداء ، واذكرنا ولا تَنْسَئْنَا واسترنا ، قال : وأصحابه يقولون : آمين آمين ؛ قال فَضَيْلُ : فأنا سمعتُ ابنَ نَوْفٍ الْهَمْدَانِيَّ يقول : قال المختار :

أَمَّا وَرَبُّ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا لنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفٍّ صَفًّا

* وبعْدَ أَلْفِ قَاسِطِينَ أَلْفًا *

قال : فلمَّا انتهى إليهم المختار وابنُ الْأَشْثَرِ ازدحموا ازدحاماً شديداً

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس الجالوت - وهى إلى جنب دَيْر عبد الرحمن - فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون ، فلمّا صار المختار بين قنطرة دَيْر عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشتر : نخذ عنى ثلاثاً : خفف الله فى سرّ أمرِك وعلايتِه ، وعجّل السير ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت ألا تُصبح حتّى تناجزهم ، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتّى تحاكمهم إلى الله . ثم قال : هل حفظت ما أوصيتك ^(١) به ؟ قال : نعم ، قال : صحبك الله ؛ ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمام أعين ، ومنه شخص بعسكره .

* * *

[ذكر أمر الكرسي الذى كان المختار يستنصر به !]

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج قال : لمّا انصرف المختار مضى ^(٢) إبراهيم ومعه أصحابه حتّى انتهى إلى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله ^(٣) وهم رافعو أيديهم ^(٤) إلى السماء يستنصرون ، فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء - سنة بنى إسرائيل - واللّذى نفسى بيده إذ عكفوا على عجلهم - فلمّا جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي .

* ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذى يستنصر به هو وأصحابه :

قال أبو جعفر : وكان بدءُ سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : حدثني أبى ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال : حدثني معبد بن خالد ، قال : حدثني طُفَيْل بن جَعْدَة بن هُبَيْرَة ، قال : أَعْدَمْتُ مرّةً من الورق ، فإني لكذلك إذ خرجت يوماً فإذا زِيَّات جارئلى ، له كرسي قد ركبهُ وسخٌ شديد ، فخطر على بالي أن لو قلتُ للمختار فى هذا ! فرجعتُ فأرسلتُ إلى

(١) ف : « عنى ما وصيتك » . (٢) ف : « ومضى » .

(٣) ف : « عليه » . (٤) ف : « وهم رافعون أيديهم » .

الزِّيَات : أرسل^١ إلى بالكُرسى ، فأرسل إلى به ، فأُتيت المختار ، فقلت : إني كنت أكتُمُك شيئاً لم^(١) أستحل ذلك ، فقد بدا لي أن أذكرك لك ، قال : وما هو ؟ قلت : كُرسى كان جعدة بن هُبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثره من عِلْم ، قال : سبحان الله ! فأخبرت هذا إلى اليوم ! ابعث إليه ، ابعث إليه ، قال : وقد غُسل وخرج عود نُضَارٍ ، وقد تشرب الزيت ، فخرج يَبْصَصُ ، فجىء به وقد غُشِيَ ، فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا : الصلاة جامعة .

فحدثني معبد بن خالد الجُدِّي قال : انطلق بي وبإسماعيل بن طلحة ابن عبّيد الله وشبّث بن ربعي والناس يحرون إلى المسجد ، فقال المختار : إنّه لم يكن في الأمم الحالية أمرٌ إلّا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنّه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون ، وإنّ هذا فينا مثل التابوت ، اكشفوا عنه ؛ فكشفوا عنه أثوابه ، وقامت السبيّة فرفعوا أيديهم ، وكبروا ثلاثاً ، فقام شبّث بن ربعي وقال : يا معشر مُضَرّ ، ٧٠٤/٢ لا تكفّرُن ، فنحوه فذبّوه وصدّوه وأخرجوه . قال إسحاق : فوالله إني لأرجو أنّها لشبّث ، ثم لم يلبث أن قيل : هذا عبّيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام باجمعيّرا ، فخرج بالكُرسى على بغل وقد غُشِيَ ، يُمسِكُه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فزادهم ذلك فتنة ، فارتفعوا فيه حتّى تعاطوا الكفر ، فقلت : إنّنا لله ! وندمتُ على ما صنعت ، فتكلّم الناس في ذلك ، فغُيِّب ، فلم أره بعد .

حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي قال : قال أبو صالح : فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غيرُ عبد الله :

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ سَبِيَّةٌ وَلِئَنِّي بِكُمْ يَا شُرْطَةَ الشُّرْكِ عَارِفٌ
وَأَقْسِمُ مَا كُرْسِيِّكُمْ بِسَكِينَةٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ لُفَّتْ عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
وَأَنْ لَيْسَ كَالْتَابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَعَتْ شِبَامُ حَوَالِيهِ وَنَهْدُ وَخَارِفُ^(٢) ٧٠٥/٢

(١) ف : « ولم » .

(٢) ف : « وخارف » .

وإني امرؤٌ أَحَبُّتُ آلَ مُحَمَّدٍ وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضُمَّنَتْهُ الْمَصَاحِفُ
وَتَابَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ^(١) عليه قريش : شَمَطَهَا وَالْغَطَارُفُ

وقال المتوكل اللّبيّ :

أَبْلُغْ أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ جِئْتَهُ أَنِّي بِكَرْسِيِّكَ كَافِرٌ
تَنْزُؤُ شِبَامٌ حَوْلَ أَعْوَادِهِ وَتَحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرٌ
مَحْمَرَّةٌ أَعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ كَأَنَّهُنَّ الْحَمَصُ الْحَادِرُ

فأما أبو مخنف : فإنه ذكر عن بعض شيوخه قصةَ هذا الكرسيّ غير
الَّذِي ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ ، عن طفيل بن
جعدة . وَالَّذِي ذكر من ذلك ما حَدَّثَنَا بِهِ ، عن هشام بن محمد ، عنه ،
قال : حَدَّثَنَا هشام بن عبد الرحمن وابنه الْحَكَمُ بن هشام ، أَنَّ الْمُخْتَارَ قال
لآلِ جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ بن أَبِي وَهْبٍ الْخَزَوِيِّ - وَكَانَتْ أُمَّ جَعْدَةَ أُمَّ هَانِئِ
بنتِ أَبِي طَالِبٍ أُخْتُ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ : انْتَوَيْتُ
بِكُرْسِيِّ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ عِنْدَنَا ، وَهَذَا نَدْرِي مِنْ
أَيْنَ نَجِئُ بِهِ ! قال : لَا تَكُونُنَّ حَسَمِي ، اذْهَبُوا فَأَتُونِي بِهِ ، قال : فَظَنَ
الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ بِكُرْسِيِّ ، فيقولون : هُوَ هَذَا إِلَّا قَبِيلَهُ
مِنْهُمْ ، فَجَاءُوا بِكُرْسِيِّ فَقَالُوا : هُوَ هَذَا^(٢) ، فَقَبِيلَهُ ، قال : فَخَرَجْتُ
شِبَامٌ وَشَاكَرَ وَرَعَوْسَ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ وَقَدْ عَصَبُوهُ بِالْخُرَيْرِ وَالْدِّيبَاغِ .

٧٠٦/٢

قال أبو مخنف ، عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجُهَنِيِّ : إِنَّ الْكُرْسِيَّ
لَمَّا بَلَغَ ابْنُ الزَّيْبِرِ أَمْرُهُ قال : أَيْنَ بَعْضُ جَنَادِيهِ الْأَزْدِ عَنْهُ !

قال أبو الأشعر : لَمَّا جِئْتُ بِالْكَرْسِيِّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَدَّ دَنَّهُ مُوسَى بن
أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَكَانَ يَأْتِي الْمُخْتَارَ أَوَّلَ مَا جَاءَ وَيَحْفَ بِهِ ، لِأَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كَلْثُومَ
بنتِ الْفَضْلِ بنِ الْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عُتِبَ عَلَيْهِ فَاسْتَحْيَا

(٢) ف : وابن الأثير : « هذا هو » .

(١) ف : « وبايعت » .

منه ، فدفعه إلى حَوْشِ البرُسْمِيِّ ، فكان صاحبه حتَّى هلك المختار .
قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يُكْنَى أبا أمانة يأتى مجلس أصحابه
فيقول: قد وُضِعَ لنا اليوم وحىٌ ما سَمِعَ الناسُ بمثله ، فيه نبأ ما يكونُ
من شئء .

قال أبو مخنف : حدَّثنا موسى بن عامر أنَّه إنَّما كان يصنع ذلك لهم
عبد الله بن نوف ، ويقول : المختار أمرنى به ، ويتبرأ المختار منه .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام .

• ذكر الخبر عن صفة مقتله .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصبيح . قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مُسْرِعِينَ لَانْشَى ، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق . قال : فسبقناه إلى تُخُومِ أرض العراق سَبَقًا بعيدًا ، ووغلنا في أرض المَوْصِل ، فتعجلنا إليه ، وأسرعنا السير ، فنلقاه بخازَر إلى جنب قرية يقال لها باريثا ، بينها وبين مدينة المَوْصِل خمسة فراسخ . وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط ، من وهبيل من النخَع (رجال من قومه) ، وكان شجاعًا بئيسًا^(١) ، فلما أن دنا من ابن زياد ضم حميد بن حرِيث إليه ، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلّا على تعبئة ، وضم أصحابه كلهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعًا لا يفرقهم ، إلا أنه يبعث الطفيل بن لقيط في الطَّلَاعِ حتّى نزل تلك القرية .

قال : وجاء عبيد الله بن زياد حتّى نزل قريبًا منهم على شاطئ خازَر . وأرسل عمير بن الحُبَاب السلمي إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريد^(٢) الليلة لقاءك . فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القنى إذا شئت ؛ وكانت قيس كلها بالجزيرة . فهم أهلُ خلاف لمروان وآل مروان ، وجند مروان يومئذ كلبٌ وصاحبهم ابن بَحْدَل . فأتاه عُمَيْر ليلًا فبايعه ، وأخبره أنه على ميسرة صاحبه ؛ وواعده أن ينهزم بالنّاس ، وقال ابن الأشتر : ما رأيك ؟ أتحبّ أن نأخذ على وأتلوم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحُبَاب : لا تفعل ، إننا

(٢) ١ ، س : « وأريد » .

(١) الرجل البئيس : الشديد .

لله ! هل يريد القومُ إلّا هذه ! إن طاولوك وماطلوك فهو خير لهم ، هم كثيرٌ أضعافكم ، وليس يطبق القليلُ الكثير في المطاولة ؛ ولكن ناجز القوم فإنتهم قد ملئوا منكم رُعْبًا ، فإنتهم فإنتهم إن شاموا أصحابك وقتلوهم يوماً بعد يوم ، ومرة بعد مرة أنيسوا بهم ، واجترأوا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمتُ أنك لي مناصح ، صدقت ، الرأي مارأيت ، أما إن صاحبي بهذا أوصاني ، وبهذا الرأي أمرني . قال عمير : فلا تعدون رأيه ، فإن الشيخ قد ضرسته الحروب ، وقاسى منها ما لم نقاس ، أصبح فناهض الرجل .

ثم إن عميراً انصرف ، وأذكى ابن الأشتر حرسه تلك الليلة الليل كله ، ولم يدخل عينه غمض ، حتى إذا كان في السحر الأول عبى أصحابه ، وكتب ٧٠٩/٢ كتابه ، وأمر أمراءه . فبعث سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي على ميمنته ، وعلى بن مالك الجشمي على ميسرته ، وهو أخو أبي الأحوص . وبعث عبد الرحمن بن عبد الله — وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمته — على الخيل ، وكانت خيله قليلة ، فضمها إليه ، وكانت في الميمنة والقلب ، وجعل على رجاله الطفيل بن لقيط ، وكانت رأيته مع مزاحم بن مالك . قال : فلماً انفجر الفجر صلى بهم الغداة بغلس ، ثم خرج بهم فصفهم ، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم ، وألحق أمير الميمنة بالميمنة ، وأمير الميسرة بالميسرة ، وأمير الرجال بالرجال ، وضم الخيل إليه ، وعليها أخوه لأمته عبد الرحمن بن عبد الله ، فكانت وسطاً من الناس ، ونزل إبراهيم يمشي ، وقال للناس : ارحقوا ، فزحف الناس معه على رسلهم رؤيداً رؤيداً حتى أشرف على تلٍ عظيم مشرف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد ففسرّح عبد الله بن زهير السلوي وهو على فرس له يتأكل تأكلًا^(١) ، فقال : قرب عليّ فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلّا يسيراً حتى جاء ، فقال : قد خرج القوم على دَهَش وفَشَل ، لقيت رجل منهم فما كان له هيجري إلّا يا شيعة أبي ترأب ، يا شيعة المختار الكذاب ! فقلت : ما بيننا وبينكم أجلٌ من الشتم ، فقال لي : يا عدو الله ، إلام

(١) تأكل الفرس ، أي هاج وكاد يأكل بعضه بعضاً .

تدعوننا ! أنتم تقاتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لثارات الحسين ، ابن رسول الله ! ادفعوا إلينا عبید الله بن زياد ؛ فإنه قَتَلَ ابنَ رسولِ الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين ، فإننا لا نراه لحسين ندًا فَنَرُضِي أن يكون منه قودًا ، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أي صالح من المسلمين شتم حكمًا ، فقال لي : قد جربناكم مرة أخرى في مثل هذا - يعني الحكمسيين - فغدرتم ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حكمين فلم ترضوا بحكمهما ؛ فقلت له : ما جئت بحجة ، إنما كان صلحنا على أنهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ، ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرقا ، فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عدس - لبغلتته يزجرها ^(١) - فقلت له : ما أنصفتني ، هذا أول غدرك !

قال : ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه ، ثم مرَّ بأصحاب الرايات كلَّها ، فكلَّما مرَّ على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدين ، وشيعة الحق ، وشرطة الله ، هذا عبید الله بن مَرْجَانَةَ قاتل الحسين بن علي ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه ، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته ؛ فوالله ما عمِل فرعون بَسْجَاء بنى إسرائيل ما عمِل ابن مَرْجَانَةَ بأهل بيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا . قد جاءكم الله به ، وجاءه بكم ، فوالله إنى ^(٢) لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشقى صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنكم خرجتم غَضَبًا لأهل بيت نبيكم . فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار في الناس كلَّهم فرغبتهم في الجهاد ، وحرضهم على القتال ، ثم رجع حتى نزل تحت رايته ، وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابن زياد على

(١) : « ليزجرها » . (٢) : س : « والله إنى » .

ميمنته الحصين بن نمير السكوني، وعلى ميسرته عُمَيْر بن الحُبَاب السُلَمي،
 وشُرَحْبِيل بن ذى الكَلَّاع على الخليل وهو يمشي في الرجال، فلمّا تدانَى
 الصفّان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة،
 وعليها على بن مالك الجُشَمي؛ فثبت له هو بنفسه فقتل، ثم أخذ رايته
 قُرّة بن علي، فقتل أيضاً في رجال من أهل الحِفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة،
 فأخذ رايته على بن مالك الجُشَمي عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السلولي
 ابن أخي حُبَشَى بن جُنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستقبل
 أهل الميسرة حين انهزموا، فقال: إلى يا شُرطة الله؛ فأقبل إليه جُلُهم،
 فقال: هذا أميركم يقاتل، سيرُوا بنا إليه، فأقبل حتى أتاه وإذا هو كاشفٌ
 عن رأسه يُنادي: يا شُرطة الله، إلى أنا ابن الأشتر! إن خير فراركم
 كَرَارُكم، ليس مُسيئاً من أعتب. فثاب إليه أصحابه، وأرسل إلى
 صاحب الميمنة: احمل على ميسرتهم - وهو يرجو حينئذ أن ينهزم لهم عُمَيْر
 ابن الحُبَاب كما زعم، فحمل عليهم صاحب الميمنة، وهو سُفَيان بن يزيد
 ابن المغفل، فثبت له عُمَيْر بن الحُبَاب وقاتلته قتالا شديداً، فلمّا رأى
 إبراهيم ذلك قال لأصحابه: أمُوا هذا السواد الأعظم، فوالله لو قد فضّضناه
 لانجفل من ترون منهم يمنة وبسرّة انجفال طير ذعرتها فطارت.

قال أبو مخنف: فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري، عن ورقاء
 ابن عازب، قال: مشينا إليهم حتى إذا دنونا منهم اطعننا بالرماح قليلاً،
 ثم صرنا إلى السيوف والعمد، فاضطربنا بها ملياً من النهار، فوالله ما شبهت
 ما سمعت بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا ميساجين قصاري^(١)
 دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط. قال: فكان ذلك كذلك، ثم إن الله
 هزمهم، ومنحنّا أكتافهم.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق أن
 إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته: انغمس برأيتك فيهم، فيقول
 له: إنّه - جعلت فداك - ليس لي مُتقدّم، فيقول: بلى، فإن أصحابك

(١) المياجين: جمع ميجنة، وهي مدقة القصار.

يقاتلون ؛ وإن هؤلاء لا يتهرَّبون إن شاء الله ؛ فإذا تقدَّم صاحبُ رايته برايته شدَّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه . وكرَدَ (١) إبراهيمُ الرجال من بين يديه كأنَّهم الحُمْلان ، وإذا حمل برايته شدَّ أصحابُه شدَّةَ رجل واحد .

قال أبو مخنف : حدَّثني المشرق أنَّه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لا تُلِقُ شيئاً مرَّت به ، وأنه لمَّا هُزِمَ أصحابه حمل (٢) عيسنةُ ابن أسماء أخته هند بنت أسماء - وكانت امرأة عبيد الله بن زياد - فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إِنْ تَصْرِمِي حِبَالَنَا قَرُبَمَا
أَرْدَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمِي الْمُعْلِمَا

قال أبو مخنف : وحدَّثني فضيل بن خديج أن إبراهيمَ لمَّا شدَّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلَى كثيرة بين الفريقين ، وأنَّ عُمير بن الحُبَاب لمَّا رأى أصحاب إبراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث إليه : أجبئك الآن ؟ فقال : لا تأتيني حتَّى تسكن فورةُ شرطة الله ، فلاني أخاف عليك عاديتهم .

وقال ابن الأَشر : قتلت رجلاً وجدتُ منه رائحة المسك ، شرقتُ يداه وغربت رجلاه ، تحت راية منفردة ، على شاطئ نهر خازَرَ . فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً ، ضربه فقدَّهُ بنصفين ، فذهبت رجلاه في المشرق ، ويده في المغرب . وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نُمَيْر السَّكُوني وهو يتحسبه عبيد الله بن زياد ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، ونادى التغلبي : اقتلوني وابن الزانية ؛ فقتل ابن نُمَيْر .

وحدَّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني سليمان ، قال : حدَّثني عبد الله بن المبارك ، قال : حدَّثني الحسن بن كثير ، قال : كان شريك بن جدير التغلبي مع علي عليه السلام ، أُصِيبَتْ عينه معه ، فلمَّا انقضت حربُ علي لحق ببيت المقدس ، فكان به ، فلمَّا جاءه

(٢) : ١ : « جعل » .

(١) الكرد : الطرد .

قتلُ الحسين ، قال : أَعَاهِدُ اللهَ إنْ قَدَرْتُ عَلَى كَذَا وَكَذَا — يَطْلُبُ بَدَمَ
الحسين — لَأَقْتُلَنَّ ابْنَ مَرْجَانَةَ أَوْ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ الْمُخْتَارَ نَخَرَ
يَطْلُبُ بَدَمَ الحسين أَقْبَلَ إِلَيْهِ . قَالَ : فَكَانَ وَجْهَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ ،
وَجُعِلَ عَلَى خَيْلِ رِبِيعَةَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي عَاهَدْتُ اللَّهَ عَلَى كَذَا وَكَذَا ،
فَبَايَعَهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَلَى الْمَوْتِ ، فَلَمَّا التَّفَقَّوْا حَمَلَ فَعَجَلَ يَهْتِكُهَا صَفًّا صَفًّا مَعَ
أَصْحَابِهِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ ، وَثَارَ الرَّهْمَجُ فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا وَقَعَ الْحَدِيدُ
وَالسَّيْفُ ، فَانْفَرَجَتْ عَنِ النَّاسِ وَهُمَا قَتِيلَانِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا أَحَدٌ ؛ التَّغْلِبِيُّ وَعَبِيدُ اللَّهِ
ابْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : وَهُوَ اللَّذِي يَقُولُ :

كُلُّ عَيْشٍ قَدْ أَرَاهُ قَسِيرًا ^(١) غَيْرَ رَكْزِ الرَّمْحِ فِي ظِلِّ الْفَرَسِ ^(٢)

قَالَ هِشَامٌ : قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ : حَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيجٍ ، قَالَ : قَتَلَ ^(٣)
شُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكِسَالِ ، فَادَّعَى قَتْلَهُ ثَلَاثَةٌ : سُفْيَانُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُغَفَّلِ
الْأَزْدِيُّ ، وَوَرَقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زُهَيْرِ السُّلَمِيِّ . قَالَ :
وَلَمَّا هُزِمَ أَصْحَابُ عُبَيْدِ اللَّهِ تَبِعَهُمْ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ ، فَكَانَ مَنْ
غَرِقَ أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ ، وَأَصَابُوا عَسْكَرَهُمْ فِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبَلَغَ الْمُخْتَارُ
وَهُوَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : يَا تَيْكُمُ الْفَتْحُ أَحَدَ الْيَوْمَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ قِبَلِ إِبْرَاهِيمَ
ابْنِ الْأَشْثَرِ وَأَصْحَابِهِ ، قَدْ هَزَمُوا أَصْحَابَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْجَانَةَ . قَالَ : فَخَرَجَ
الْمُخْتَارُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا السَّائِبَ بْنَ مَالِكِ الْأَشْعَرِيَّ ، وَخَرَجَ
بِالنَّاسِ ، وَنَزَلَ سَابِاطَ .

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ : حَدَّثَنِي الْمَشْرِقِيُّ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَأَبِي
مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ ، قَالَ : فَلَمَّا جُزْنَا سَابِاطَ قَالَ لِلنَّاسِ : أَبْشُرُوا فَإِنَّ
شُرْطَةَ اللَّهِ قَدْ حَسُّوهُمْ بِالسَّيْفِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ بِنَصِيبَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ نَصِيبَيْنِ
وَدُؤَيْنَ مَنَازِلِهِمْ ، إِلَّا أَنْ جَلَّاهُمْ مُحْصَرُونَ بِنَصِيبَيْنِ . قَالَ : وَدَخَلْنَا الْمَدَائِنَ ،
وَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَوَالَلهُ إِنَّهُ لَيُخْطَبُنَا وَيَأْمُرُنَا بِالْجِدَّةِ وَحَسَنَ

(١) ف : « باطلا » . (٢) ف : « غير ركن الرمح » .

(٣) س : « قتل » .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ،
 إذ جاءته البشرى تسترى يتسبع بعضها بعضاً يقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة
 أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشرف أهل الشام ، فقال المختار : يا شرطة
 الله ، ألم أبشركم بهذا قبل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال :
 فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين : أتؤمن الآن يا شعبي ؟
 قال : قلت بأى شيء أؤمن ؟ أومن بأن المختار يعلم الغيب ! لا أومن بذلك
 أبداً . قال : أو لم يقل لنا : إنهم قد هُزموا ! فقلت له : إنما زعم لنا
 أنهم هُزموا بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإنما هو بخازر من أرض الموصل ،
 فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : من
 هذا الهمدان الذى يقول لك هذا ؟ فقال : رجل لعمرى كان شجاعاً - قتل
 مع المختار بعد ذلك يوم حروراء - يقال له : سلمان بن حمير من الثوريين
 من همدان ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة ، ومضى ابن الأشتر من
 عسكره إلى الموصل ، وبعث عماله عليها ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن
 عبد الله على نصيبين ، وغلب على سنجار ودارا ، وما والاها من أرض الجزيرة ،
 وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فهزمهم ، فلاحقوا بمصعب بن
 الزبير بالبصرة . وكان فيمن قدم على مصعب شبث بن ربعي ، فقال سرقة
 ابن مِرْدَاس البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه فى قتل عبيد الله
 ابن زياد :

أَتَاكُمْ غُلَامٌ مِنْ عَرَانِينَ مَذْجٍ	جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرُ نَكُولٍ ^(١)
فَيَا بَنَ زِيَادٍ بُوًى بِأَعْظَمِ مَالِكٍ	وَذُقْ حَدَّ مَاضَى الشُّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ
ضَرَبْنَاكَ بِالْعُضْبِ الْحُسَامِ بِحِدَّةٍ	إِذَا مَا أَبَانَا قَاتِلًا بِقَتِيلٍ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا شُرْطَةَ اللَّهِ إِنَّهُمْ	شَفَوْا مِنْ عُيَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ غَلِيلٍ ^(٢)

* * *

(١) ديوانه ٨١ .

(٢) بعده فى رواية الديوان :

وَأَجْدِرُ بِهِندَ أَنْ تُسَاقَ سَبِيئَةً لها من بنى إسحاق شرُّ حَلِيلٍ

[ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بنُ الزبير القبايعَ عن البصرة ، وبعث ٧١٧/٢
 عليها أخاه مصعبَ بنَ الزبير ؛ فحدثني عمرُ بنُ شُبَّة ، قال : حدثني عليّ
 ابنُ محمَّد ، قال : حدثنا الشَّعْبِيّ ، قال : حدثني وافرُ بنُ أبي ياسر ، قال :
 كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا ، قال : كنتُ والله في الرَّهْطِ
 الَّذين قَدِمَ مواعِ المصعب بن الزبير من مكَّة إلى البَصْرَةِ ؛ قال : فقدم متلثمًا
 حتَّى أناخ على باب المسجد ، ثمَّ دخل فصعد المنبر ، فقال : الناسُ :
 أمير أمير . قال : وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة - وهو أميرها
 قبله - فسفر المصعب فعرفوه ، وقالوا : مصعب بن الزبير ! فقال : للحارث :
 اظهر اظهر ، فصعد حتَّى جلس تحته من المنبر درجة ؛ قال : ثمَّ قام
 المصعب فحمد الله وأثنى عليه . قال : فوالله ما أكره الكلام ، ثمَّ قال :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ نَتْلُو عَلَيْكَ
 مِنْ نَبَأِ مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ - وأشار بيده نحو الشام -
 ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
 وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ - وأشار بيده نحو الحجاز - ﴿ وَتَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
 وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) - وأشار بيده نحو الشام .
 حدثني عمر بن شُبَّة ، قال : حدثني عليّ بن محمد ، عن عوانة ، قال :
 لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال : يا أهل البصرة ، بلغني أنكم
 تلقبون أمراءكم ، وقد سميتُ نفسي الجزار .

* * *

[ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد]

وفي هذه السنة سار مصعبُ بنُ الزبير إلى المختار فقتله .
 • ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار :

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، حدثني حبيب بن بديل ، قال :
 لما قدم شبيب على مصعب بن الزبير البصرة وتحتة بغلة له قد قطع
 ذنبها ، وقطع طرف أذننها وشق قباها ، وهو ينادى : يا غوثاه يا غوثاه !
 فأتى مصعب ، فقبل له : إن بالباب رجلا ينادى : يا غوثاه يا غوثاه ! مشقوق
 القبا ، من صفته كذا وكذا ، فقال لهم : نعم ، هذا شبيب بن ربيعة
 لم يكن ليفعل هذا غيره ، فأدخلوه ، فأدخل عليه ، وجاءه أشراف الناس من
 أهل الكوفة فدخلوا عليه ، فأخبروه بما اجتمعوا له ، وبما أصيبوا به ووثوب
 عبيدهم ومواليهم عليهم ، وشكوا إليه ، وسألوه النصر لهم ، والمسير إلى
 المختار معهم . وقدّم عليهم محمد بن الأشعث بن قيس — ولم يكن شهيد
 وقعة الكوفة ، كان في قصر له ممّا إلى القادسية بطريق كباد — فلما بلغه
 هزيمة الناس تهيّأ للشخص ، وسأل عنه المختار ، فأخبر بمكانه ، فسرّح إليه
 عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة ، فلما ساروا إليه ، وبلغه أن قد دنوا منه ،
 خرج في البرية نحو المصعب حتى لحق به ، فلما قدم على المصعب استحشّه
 بالخروج ، وأداناه مصعب وأكرمه لشرفه . قال : وبعث المختار إلى دار
 محمد بن الأشعث فهدمها .

٧١٩/٢ قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد
 المسير إلى الكوفة حين أكثر الناس عليه ، قال لمحمد بن الأشعث : إني لا أسير
 حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة . فكتب المصعب إلى المهلب — وهو عامله
 على فارس : أن أقبل إلينا لتشهد أمرنا ، فلما نريد المسير إلى الكوفة . فأبطأ
 عليه المهلب وأصحابه ، واعتل بشيء من الخراج ، لكرهه الخروج ، فأمر
 مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما استحشّه أن يأتى المهلب فيقبل به ،
 وأعلمه أنه لا يشخص دون أن يأتى المهلب ، فذهب محمد بن الأشعث
 بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يأتى ^(١) بريدا !
 أما وجد المصعب بريدا غيرك ! قال محمد : إني والله ما أنا ببريد أحد ، غير
 أن نساءنا وأبناءنا وحرّمنا غلبتنا عليهم عبداننا وموالينا . فخرج المهلب ،

وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلب يده فكسر أنفه ، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دماً ، فقال له : ما لك ؟ فقال : ضربتني رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عدُّ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائت الكوفة فأخرج إلى جميع من قدرت عليه أن تُخرجه ، وادعهم إلى بيعتي سرّاً ، ونَحَذِلْ ٧٢٠/٢ أصحاب المختار ، فانسل من عنده حتى جلس في بيته مستراً^(٢) لا يظهر ، وخرج المصعب فقدم أمامه عبيد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته ، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته ، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزباد بن عمرو الأزدي على خمس الأزد ، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية ، وبلغ ذلك المختار ، فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدين ، وأعوان الحق ، وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول ، وآل الرسول ، إن قرأركم الذين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغوؤهم عليكم ليمصّح^(٢) الحق ، وينتفش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عبّد الله في الأرض إلّا بالقرى على الله واللعن لأهل بيت نبيّه . انتدبوا مع أحمر بن شُمَيْط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وإرم .

فخرج أحمر بن شُمَيْط ، فمسكر بحمّام أعين ، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شُمَيْط ، كما كانوا مع ابن الأشتر ، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالمتهان بأمر المختار ، ٧٢١/٢ فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شُمَيْط . وبعث معه جيشاً كثيفاً ،

(١) ١ : « مستراً » . (٢) يمحّص الحق ، أى ليذهب

فخرج ابن شميطة ، فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكري ، وسار أحمر بن شميطة حتى ورد المدآر ، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً ..

ثم إن كل واحد منهما عصى جنده ، ثم تزاحفا ، فجعل أحمر بن شميطة على ميمته عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى ميسرته عبد الله ابن وهب بن نضلة الجشمي ، وعلى الخيل رزين عبد السلولى ، وعلى الرجال كثير بن إسماعيل الكندي - وكان يوم خازر مع ابن الأشتر - وجعل كيسان أبا عمرة - وكان مولى لعمرينة - على الموالي ، فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميطة وقد جعله على ميسرته ، فقال له : إن الموالي والعبيد آل نخور عند المصدوقة ، وإن معهم رجالا كثيراً على الخيل . وأنت تمشي ، فمرهم فلينزّلوا معك ، فإن لهم بك أسوة ، فإني أتخوف إن طوردوا ساعة ، وطووعوا وضربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك ، وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدءاً ، وإنما كان هذا منه غشاً للموالي والعبيد ، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة ، فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ، ولم يتهمه ابن شميطة ، وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا ، فقال : يا معشر الموالي ، انزلوا معي فقاتلوا ، فنزلوا معه ، ثم مشوا بين يديه وبين يدي رايته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عبياد ابن الحصين على الخيل ، فجاء عبياد حتى دنا من ابن شميطة وأصحابه فقال : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ؛ وقال الآخرون : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول (٢) ، فمن زعم من الناس أن أحداً ينبغي له أن يتولى عليهم برثنا منه وجاهدناه . فانصرف عبياد إلى المصعب فأخبره ، فقال له : ارجع فاحمل عليهم ، فرجع فحمل على ابن شميطة وأصحابه فلم يزل منهم أحد . ثم انصرف إلى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل ، فجال أصحابه بعضهم في بعض ، فنزل ابن كامل ، ثم انصرف عنه المهلب ، فقام مكانه ، فوقفوا ساعة

٧٢٢/٢

ثم قال المهلب لأصحابه : كروا كربةً صادقة ، فإنّ القوم قد أطمعوكم ، وذلك بجوئيتهم التي جالوا ، فحمل عليهم حملةً منكبةً فولّوا ، وصبر ابن كامل في رجال من همدان ، فأخذ المهلب يستمع شعار القوم : أنا الغلام الشكري ، أنا الغلام الشبامي ، أنا الغلام الثوري ، فما كان إلّا ساعة حتّى هزموا ، وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله ابن أنس ، فقاتل ساعة ثمّ انصرف ، وحمل الناس جميعاً على ابن شميّط ، فقاتل حتّى قُتل ، وتنادوا : يا معشر بجيلة وخشعم ، الصبر الصبر ! فناداهم المهلب : الفرار الفرار ! اليوم أنجى لكم ، عَلام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان ، أضلّ الله سعيكم . ثمّ نظر إلى أصحابه فقال : واللّه ٧٢٣/٢ ما أرى استحرار القتل اليوم إلّا في قومي . ومالت الخيل على رجالة ابن شميّط ، فافترقت فانهزمت وأخذت الصّحراء ، فبعت المصعب عبّاد بن الحصين على الخيل ، فقال : أيّما أسير أخذته فاضرب عنقه . وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممّن كان المختار طردهم ، فقال : دونكم نأركم ! فكانوا حيث انهزموا أشدّ عليهم من أهل البصرة ، لا يدركون منهزماً إلّا قتّلوه . ولا يأخذون أسيراً فيعفّون عنه . قال : فلم ينج من ذلك الجيش إلّا طائفة من أصحاب الخيل ، وأما رجالتهم فأبيدوا إلا قليلا .

قال أبو مخنف : حدثني ابن عيّاش المَنَتُوف ، عن معاوية بن قرّة المزنيّ ، قال : انتهيت إلى رجل منهم ، فأدخلتُ سنان الرمح في عينه ، فأخذتُ أخضخض^(١) عينه بسنان رُمحى ، فقلتُ له : وفعلتَ به هذا ؟ قال : نعم ، إنَّهم كانوا أحلّ عندنا دِماء من التُّرك والدَّيلم ؛ وكان معاوية بن قرّة قاضياً لأهل البصرة ، في ذلك يقول الأعشى^(٢) :

أَلْأَهْلَ أَتَاكَ وَالْأَنْبَاءُ تُنْمِي	بِمَا لَاقَتْ بِجِيلُهُ بِالْمَدَارِ
أُتِيحَ لَهُمْ بِهَا ضَرْبُ طَلْحَفٍ	وَطَعْنُ صَائِبٍ وَجَهَ النَّهَارِ
كَانَ سَحَابَةٌ صَعَقَتْ عَلَيْهِمْ	فَعَمَّتْهُمْ هُنَالِكَ بِالْدمَارِ

(١) : « أحصص » . (٢) هو أعشى همدان ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله .

فَبَشِّرْ شِيعَةَ الْمُخْتَارِ إِمَّا مَرَرْتُ عَلَى الْكُوفَةِ بِالصَّغَارِ
أَقْرَ الْعَيْنِ صَرَاعَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ جَمٌّ يُقْتَلُ بِالصَّحَارِ
وَمَا إِنْ مَرَرْتُ إِهْلَاكَ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا وَجَدَكَ فِي خِيَارِ
وَلَكِنِّي مَرَرْتُ بِمَا يُلَاقِي أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ خِزْيٍ وَعَارِ ٧٢٤/٢

وأقبل المصعبُ حتَّى قطع من تلقاءِ واسطِ القَصَبِ ، ولم تك واسط
هذه بُنيت حينئذ بعد ، فأخذ في كَسْكَر ، ثُمَّ حَمَلَ الرِّجَالَ وَأَثَالَهُمْ
وَضَعُفَاءَ النَّاسِ فِي السَّفَنِ ، فَأَخَذُوا فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ خَرْشَاذٍ ، ثُمَّ
خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ قُوسَانٍ ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ
إِلَى الْفُرَاتِ .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي ، أن أهل
البصرة كانوا يخرجون فيجرون سفنهم ويقولون :

عَوَدَنَا الْمَصْعَبُ جَرَّ الْقَلَسِ وَالزَّنْبَرِيَّاتِ الطَّوَالِ الْقَعَسِ

قال : فلمَّا بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لقي إخوانهم مع ابن
شُمَيْط قالوا بالفارسية : « إِنْ بَارَ دُرُوعُ كُفْتُ » ، يقولون : هذه المرة
كذب .

قال أبو مخنف : وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفي ، عن
عبد الرحمن بن أبي عُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ ، قال : والله إني لجالسٌ عند المختار
حين أتاه هزيمةُ القومِ وما لَقُوا ، قال : فأصغى إليّ ، فقال : قتلتُ والله
العبيدَ قتلَةً ما سمعتُ بِمِثْلِهَا قط . ثُمَّ قال : وقُتِلَ ابْنُ شُمَيْطَ وابْنُ
كامل وفلان وفلان ، فسمي رجالاً من العرب أصيبوا ، كان الرجل منهم في
الحرب خيراً من فيثام^(١) من الناس . قال : فقلتُ له : فهذه والله مصيبةٌ ،
فقال لي : ما من الموتِ بُدٌّ ، وما من مِيتَةٍ أُموتها أحب إليّ من مثل مِيتَةِ ابن

(١) الفثام : الجفاعة من الناس .

شُمَيْط ، حبّذا مَصَارِعُ الكرام ! قال : فعلمتُ أنَ الرجلَ قد حدثَ ٧٢٥/٢ نفسه إن لم يُصِْبْ حاجته أن يُقاتِلَ حتّى يموتَ .

ولما بلغ المختارُ أنّهم قد أقبلوا إليه في البَحْر ، وعلى الظهر ، سار حتّى نَزَلَ بهم السَّيْلَاحِينَ ، ونظر إلى مُجْتَمَعِ الأنهارِ نَهرِ الحيرةِ ونَهرِ السَّيْلَاحِينَ ونَهرِ القادسيّةِ ، ونَهرِ يوسُفَ (١) ، فسكّرَ (٢) الفُراتَ على مُجْتَمَعِ الأنهارِ ، فذهب ماءُ الفُراتِ كلّه في هذه الأنهارِ ، وبقيت سفنُ أهلِ البصرة في الطينِ ، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفنِ يَمْشُونَ ، وأقبلتْ خيلُهم تَرْكُضُ حتّى أتمّوا ذلك السكّرَ ، فكسّروه وصمّدوا صمد الكوفةَ ، فلما رأى ذلك المختارُ أقبلَ إليهم حتّى نزلَ حترُ وراءَ ، وحالَ بينهم وبين الكوفةَ ، وقد كان حصنُ قصره والمسجدُ ، وأدخلَ في قصره عُدّةُ الحصارِ ، وجاء المصعبُ يسيرُ إليه وهو يَحْرُورَاءَ وقد استعمل على الكوفةَ عبدَ الله ابنَ شَدّادَ ، وخرجَ إليه المختارُ وقد جعل على ميسمته سُلَيمَ بنَ يزيدَ الكِنْدِيّ ، وجعل على ميسرته سعيدَ بنَ مُنْقِذِ الهَمْدَانِيّ ثُمَّ الثَّوْرِيّ ، وكان على شُرطته يومئذ عبد الله بنُ قُرَادِ الخَشَعَمِيّ ، وبعثَ على الخيلِ عمرَ بنَ عبدِ الله التَّهْدِيّ ، وعلى الرّجالِ مالِكُ بنَ عمرو (٣) النَّهْدِيّ (٤) ، وجعل مُصْعَبُ على ميسمته المهلبُ بنُ أبي صُفْرَةَ ، وعلى ميسرته عمرَ بنَ عُبَيْدِ الله بنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيّ ، وعلى الخيلِ عَبّادُ بنُ الحُصَيْنِ الحَبْطِيّ ، وعلى الرّجالِ مقاتِلُ بنِ مِيسَمِ البَكْرِيّ ، ونزلَ هو يَمْشِي مُتَنَكِّبًا قَوْسًا لَهُ .

قال : وجعل على أهلِ الكوفةَ مُحَمَّدَ بنَ الأشعثِ ، فجاء مُحَمَّدٌ حتّى ٧٢٦/٢ نَزَلَ بين المصعبِ والمختارِ مغربًا مُيَامِنًا . قال : فلما رأى ذلك المختارُ بعثَ إلى كلِّ خُمُسٍ من أخماسِ أهلِ البَصْرَةِ رجلاً من أصحابه ، فبعثَ إلى بكرِ ابنِ وائلٍ سعيدَ بنَ مُنْقِذِ صاحبِ ميسرته ، وعليهم مالِكُ بنُ مِيسَمِ البَكْرِيّ ، وبعثَ إلى عبدِ القَيْسِ وعليهم مالِكُ بنُ المنذرِ عبدَ الرحمنِ بنِ

(٢) سكر النهر ؛ أى سدّ فاه .

(١) ط : « يوسف » ، وصوابه من ا .

(٤) م : « البرزى » .

(٣) ف وابن الأثير : « مالِكُ بن عبد الله » .

شَرِيحُ الشَّبَامِي ، وكان على بيت ماله ، وبعث إلى أهل العالِيَّةِ وعليهم قيسُ ابنُ الهيثمِ السُّلَمِي عبدَ الله بنَ جَعْدَةَ القرشي ، ثم المخزومي ، وبعث إلى الأزْدِ وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكِي مسافرَ بنِ سَعِيدِ بنِ نَمِرَانَ النَاعِطِي ، وبعث إلى بني تميم وعليهم الأحنفُ بنُ قيسِ سُليمِ بنِ يزيدِ الكِنْدِي ، وكان صاحب مِثْمَنَةِ ، وبعث إلى مُحَمَّدِ بنِ الأَشْعَثِ السَّائِبِ بنِ مالكِ الأَشْعَرِي ، ووقف في بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ ، وتَزَاحَفَ النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَحَمِلَ سَعِيدُ بنُ مَنْقِذٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُرَيْحٍ عَلَى بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ ، وَهُمْ فِي الْمَيْسَرَةِ وَعَلَيْهِمْ عُمَرُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ ؛ فَقَاتَلَتْهُمْ رِبْعَةٌ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَصَبَرُوا لَهُمْ ، وَأَخَذَ سَعِيدُ بنُ مَنْقِذٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُرَيْحٍ لَا يَقْلَعَانِ ، إِذَا حَمَلَ وَاحِدٌ فَانْصَرَفَ حَمْلَ الْآخَرِ ، وَرَبَّمَا حَمَلًا جَمِيعًا ؛ قَالَ : فَبَعَثَ الْمُصْعَبُ إِلَى الْمُهَلَّبِ : مَا تَنْتَظِرُ أَنْ تَحْمِلَ عَلَى مَنْ بِلِزَالِكَ ! أَلَا تَرَى مَا يَلْقَى هَذَانِ الْخُمُسَانُ مِنْذُ الْيَوْمِ ! احْمِلْ بِأَصْحَابِكَ ، فَقَالَ : إِي لَعَمْرِي مَا كُنْتُ لِأَجْزُرُ الْأَزْدَ وَتَمِيمًا خَشِيَةً أَهْلَ الْكُوفَةِ حَتَّى أَرَى فُرْصَتِي . قَالَ : وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَعْدَةَ أَنْ احْمِلْ عَلَى مَنْ بِلِزَالِكَ ، فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ فَكَشَفَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمُصْعَبِ ، فَجَثَا الْمُصْعَبُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ - وَلَمْ يَكُنْ فَرَارًا - فَرَمَى بِأَسْهُمِهِ . وَنَزَلَ النَّاسُ عِنْدَهُ فَقَاتَلُوا سَاعَةً ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا . قَالَ : وَبَعَثَ الْمُصْعَبُ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ فِي خُمْسَيْنِ جَامِعَيْنِ كَثِيرِي الْعَدَدِ وَالْفُرْسَانِ : لَا أَبَا لَكَ ! مَا تَنْتَظِرُ أَنْ تَحْمِلَ عَلَى الْقَوْمِ ! فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ قَاتَلَ النَّاسُ مِنْذُ الْيَوْمِ وَأَنْتُمْ وَقُوفٌ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا ، وَقَدْ بَقِيَ مَا عَلَيْكُمْ ، احْمِلُوا وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ، فَحَمَلَ عَلَى مَنْ بَلَيْهِ حِمْلَةً مُنْكَرَةً ، فَحَطَمُوا أَصْحَابَ الْمُخْتَارِ حَطْمَةً مُنْكَرَةً ، فَكَشَفُوهُمْ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابنُ عَمْرِو النَّهْدِيُّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ صِفِّينَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ بِصِفِّينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعْلِ هَؤُلَاءِ لِأَصْحَابِهِ حِينَ انْهَزَمُوا ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَ الْمُصْعَبِ - ثُمَّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَتَى مَالِكُ بنُ عَمْرِو أَبُو نَمِرَانَ النَّهْدِيُّ وَهُوَ

على الرّجالة بفرسه فركبه، وانقصّف أصحابُ المختار انقصافةً شديدةً كأنّهم أجسمَةٌ فيها حريقٌ ، فقال مالك حين ركب : ما أصنع بالرُّكوب ! والله لأنّ أقتل ها هنا أحبّ إلىّ من أن أقتل في بيتي ؛ أين أهلُ البصائر ؟ أين أهلُ الصّبر ؟ فتأبّ إليه نحوٌ من خمسين رجلاً ، وذلك عند المساء ، فكرّر على أصحاب محمد بن الأشعث ، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامةُ أصحابه ، فبعضُ الناس يقول : هو قتل محمد بن الأشعث ، ووُجد أبو نمران قتيلاً إلى جانبه — وكندةٌ تزعم أن عبد الملك بن أشاءة الكندي هو الذي قتله — فلمّا مرّ المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلاً قال : يا معشر الأنصار ، كرّوا على الثّعالب الرّواغة ، فحملوا عليهم ، فقتل ، فخشعُ تزعم أن عبد الله بن قراد هو الذي قتله .

قال أبو ميخنف : وسمعتُ عوف بن عمرو الجهمي يزعم أن مولى لهم قتله ، فادّعى قتله أربعة نفر . كلّهم يزعم أنه قتله ، وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ ، فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا ، وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه ، وغيرهم ضاربٌ حتّى قُتل ، وقاتل المختار على قسمٍ سيكة شبت ، ونزل وهو يريد ألاّ يبرح ، فقاتل عامّةً ليلته حتّى انصرف عنه القوم ، وقتل^(١) معه ليلتئذ رجالٌ من أصحابه من أهل الحفاظ ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي ، وعياش بن خازم الهمداني ، ثمّ الثّوري ، وأحمر بن هديج الهمداني ثمّ الفايثي .

قال أبو ميخنف : حدثنا أبو الزبير أن همدان تنادوا ليلتئذ : يا معشر همدان ، سيفوهم فقاتلوهم أشدّ القتال ؛ فلمّا أن تفرّقوا عن المختار قال له أصحابه : أيها الأمير ، قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر ، فقال المختار : أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر ، فأما إذ انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله ؛ فجاء حتّى دخل القصر فقال الأعشى^(٢) في قتل محمد بن الأشعث :

تَأَوَّبَ عَيْنَكَ عَوَّارُهَا وَعَادَ لِنَفْسِكَ تَذْكَارُهَا

وإحدى لِيَالِيكَ راجعتها
 وما ذاقَتِ العينُ طَعْمَ الرُّقَا
 وقامَ نَعَاةُ أَبِي قاسِمٍ
 فحقَّ العيونُ على ابنِ الأَشَجِّ
 وألَّا تَزَالَ تُبْكِي له
 عليك مُحَمَّدٌ لَمَّا ثَوَدَ
 وما يَذْكُرُونَكَ إِلَّا بَكَوْا
 وعاريةً من لَيَالِي الشُّنَا
 ولا يُنْبِجُ الكلبُ فيها العَقْوُ
 ولا يَنْفَعُ الثوبُ فيها الفَتَى
 فَأَنْتَ مُحَمَّدٌ فِي مِثْلِهَا
 تَظَلَّ حِفَانُكَ مَوْضُوعَةٌ
 وما فِي سَقَاتِكَ مُسْتَنْطَفٌ
 فَيَا وَاهِبَ الوُصَفَاءِ الصَّبَا
 وَيَا وَاهِبَ الجُرْدِ مِثْلَ القِدَا
 وَيَا وَاهِبَ البَكَرَاتِ الهِجَا
 وَكُنْتَ كَدِجْلَةٍ إِذْ تَرْتَمَى
 وَكُنْتَ جَلِيدًا وَذَا مِرَّةٍ
 وَكُنْتَ إِذَا بَلَدَةٌ أَصْفَقَتْ
 بَعَثَتْ عَلَيْهَا ذَوَاكِي العُيُ
 بِإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَالْخَيْلُ قَدْ
 وَقَدْ تَطَعَّمَ الْخَيْلُ مِنْكَ الْوَجِي

أَرِقْتَ وَلَوْمْ سَمَّارُهَا
 دِ حَتَّى تَبْلُجَ إِسْفَارُهَا
 فَاسْبِلْ بِالدمعِ تَحْدَارُهَا
 أَلَّا يُفْتَرَّ تَقْطَارُهَا
 وَتَبْتَلُ بِالدمعِ أَشْفَارُهَا
 مَتَ تَبْكِي الْبِلَادَ وَأَشْجَارُهَا
 إِذَا ذِمَّةُ خَانِهَا جَارُهَا
 لا يَتَمَنِّحُ أَيَّسَارُهَا
 رَ إِلَّا الْهَرِيرُ وَتَخْتَارُهَا
 وَلَا رَبَّةَ الْخِذْرِ تَخْدَارُهَا
 مُهِنُ الْجَزَائِرِ نَحَارُهَا
 تَسِيلُ مِنَ الشَّحْمِ أَضْبَارُهَا
 إِذَا الشَّوْلُ رَوْحَ أَغْبَارُهَا
 حَ إِنْ شُبِرَتْ تَمَّ إِشْبَارُهَا
 حَ قَدْ يُعْجِبُ الصَّفَّ شَوَارُهَا
 نِ عَوْذًا تَجَاوَبُ أَبْكَارُهَا
 فَيُقْذَفُ فِي الْبَحْرِ تَيَّارُهَا
 إِذَا يُبْتَغَى مِنْكَ إِمْرَارُهَا
 وَآذَنَ بِالْحَرْبِ جِبَّارُهَا
 نِ حَتَّى تَوَاصِلَ أَخْبَارُهَا
 أُعِدَّ لَدُنْكَ مِضْمَارُهَا
 فَ حَتَّى تُنْبَذَ أَمْهَارُهَا

وقد تَعَلَّمُ البازلُ العَيْسَجُو رُ أَثَّكَ بِالْحَبْتِ حَسَارُهَا
 فِيا أَسْفَى يَوْمَ لَاقِيَتَهُمْ وَخَانَتْ رَجَالَكَ فُرَارُهَا
 وَأَقْبَلَتْ الخيلُ مَهْزُومَةً عِثَارًا تُضْرَبُ أَدْبَارُهَا
 بِشَطِّ حُرُورَاءِ وَاسْتَجَمَعَتْ عَلَيْكَ المَوَالِي وَسَحَّارُهَا
 فَأَخْطَرْتَ نَفْسَكَ مِنْ دُونِهِمْ قَحَازِ الرِّزِيَّةِ أَخْطَارُهَا
 فَلَا تَبْعَدَنَّ أَبَا قَاسِمٍ فَقَدْ يَبْلُغُ النَفْسَ مِقْدَارُهَا
 وَأَفْنَى الحَوَادِثُ سَادَاتِنَا وَمَرُّ اللَّيَالِي وَتَكَرَّرُهَا

٧٣١/٢

قال هشام : قال أبى : كان السائب أتى مع مُصْعِبِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، فقتله
 وَرَقَاءُ النَّخَعِيِّ مِنْ وَهْبِيلٍ ، فَقَالَ وَرَقَاءُ :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي عُبَيْدًا بِأَنِّي عَلَوْتُ أَخَاهُ بِالْحُسَامِ الْمَهْنَدِ
 فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ عَنْهُ فَإِنَّهُ صَرِيحٌ لَدَى الدَّيْرَيْنِ غَيْرُ مُوسَدٍ
 وَعَمْدًا عَلَوْتُ الرَّأْسَ مِنْهُ بِصَارِمٍ فَأَثَكَلْتُهُ سُفْيَانُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ

قال هشام عن أبى مِخْنَفٍ ، قال : حَدَّثَنِي حَصِيْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ،
 أَنَّ هِنْدًا بِنْتَ الْمُتَكَلِّفَةِ النَّاعِطِيَّةِ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ غَالٍ مِنَ الشَّيْعَةِ
 فَيَتَحَدَّثُ فِي بَيْتِهَا فِي بَيْتِ لَيْسَى بِنْتِ قُمَامَةَ الْمُرَزِيَّةِ ، وَكَانَ أَخُوهَا رِفَاعَةُ
 ابْنِ قُمَامَةَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ مُقْتَصِدًا ، فَكَانَتْ لَا تُحِبُّهُ ، فَكَانَ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ شَرَّاحِيلَ قَدْ أَخْبَرَا ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ خَبَرَ هَاتَيْنِ
 الْمَرَاتَيْنِ وَغَلَوْهُمَا وَخَبَرَ أَبِي الْأَحْرَاسِ الْمَرَادِيَّ وَالْبُسْطِيْنَ اللَّيْثِيَّ وَأَبِي الْحَارِثِ الْكِنْدِيَّ .

قال هشام عن أبى مِخْنَفٍ ، قال : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي عَيْسَى ،
 قَالَ : فَكَانَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ قَدْ كَتَبَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ شَرَّاحِيلَ إِلَى الشَّيْعَةِ بِالْكُوفَةِ
 يُحَذِّرُهُمْ هَوْلًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

٧٣٢/٢

مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنْ شَيْعَتِنَا . أَمَّا بَعْدُ ، فَاخْرُجُوا
 إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْمَسَاجِدِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِلَانِيَةً وَسِرًّا وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

بِطْمَانَةٍ ، فَإِنْ خَشَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوا عَلَى دِينِكُمُ الْكَذَّابِينَ ،
وَأَكْثَرُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالِدَّعَاءَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ بِمِثْلِكَ
لأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ،
وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ، وَاللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، فاعْمَلُوا
صَالِحًا ، وَقَدْ مَوَّأَ لَأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال أبو مِيخْنَفٍ : فحدثني حَصِيْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
ذَوْفٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ هِنْدِ بِنْتِ الْمُتَكَلِّفَةِ حِينَ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى حَرِّ وَرَاءَ
وَهُوَ يَقُولُ : يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، تَرَفَّعَتِ السَّمَاءُ ، وَنَزَلَ الْقَضَاءُ ، بِهَزِيمَةِ الْأَعْدَاءِ ،
فَاخْرَجُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ إِلَى حَرِّ وَرَاءَ . فَخَرَجَ ، فَلَمَّا اتَى النَّاسَ لِلْقِتَالِ ضُرِبَ
عَلَى وَجْهِهِ ضَرْبَةٌ ، وَرَجَعَ النَّاسُ مِنْهُمْ مَيِّمِينَ ، وَلَقِيَهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُرَيْكٍ
النَّهْشَبِيُّ ، وَقَدْ سَمِعَ مَقَالَتَهُ . فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ تَزْعَمْ لَنَا يَا بْنَ ذَوْفٍ أَنَّا سَنَهْزِمُهُمْ !
قَالَ : أَوْ مَا قَرَأْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ
الْكِتَابِ ﴾ ! قَالَ : فَلَمَّا أَصْبَحَ الْمُصْعَبُ أَقْبَلَ يَسِيرَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَمَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَأَخَذَ بِهِمْ نَحْوَ السَّبْحَةِ ،
فَرَّ بِالْمُهَلَّبِ . فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ : يَا لَهُ فَتْحًا مَا أَهْنَاهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ بْنُ
الْأَشْعَثِ قُتِلَ ! قَالَ : صَدَقْتَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا . ثُمَّ سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا مُهَلَّبُ ، قَالَ : لَبَّيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ قَالَ : هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ
عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ قُتِلَ ! قَالَ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، قَالَ :
الْمُصْعَبُ : أَمَّا إِنَّهُ كَانَ مِمَّنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَى هَذَا الْفَتْحَ ، ثُمَّ لَا نَجْعَلْ
أَنْفُسَنَا أَحَقَّ بِشَيْءٍ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْهُ ، أَتَدْرِي ^(١) مَنْ قَتَلَهُ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ :
إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لِأَبِيهِ شَيْعَةٌ ، أَمَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ .
قَالَ : ثُمَّ وَضَى حَتَّى نَزَلَ السَّبْحَةُ فَطَعَّ عَنْهُمْ الْمَاءَ وَالْمَادَّةَ ، وَبَعَثَ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ فَنَزَلَ الْكُنَاسَةَ ، وَبَعَثَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
ابْنَ مِيخْنَفَ بْنَ سَلِيمٍ إِلَى جَبَّانَةِ السَّبْعِ . وَقَدْ كَانَ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِيخْنَفٍ :
مَا كُنْتُ صَنَعْتُ فِيمَا كُنْتُ وَكَلَّتْكَ بِهِ ؟ قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! وَجَدْتُ

٧٣٣/٢

الناسَ صِنْفَيْنِ ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ فِيكَ هَوًى فَمَخْرَجٌ إِلَيْكَ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ يَرَى رَأْيَ الْمُخْتَارِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَدَّعِهِ ، وَلَا لِيُؤْثِرَ أَحَدًا عَلَيْهِ ، فَلَمْ أُبْرِجْ بِسِتِّي حَتَّى قَدِمْتَ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ؛ وَبَعَثَ عَبَادَ بْنَ الْحُصَيْنِ إِلَى جَبَبَانَةَ كِنْدَةَ ، فَكَلَّمَهَا هَؤُلَاءِ كَانَ يَنْقَطِعُ عَنِ الْخِتَارِ وَأَصْحَابِهِ الْمَاءَ وَالْمَادَّةَ ، وَهُمْ فِي قَصْرِ الْمُخْتَارِ ، وَبَعَثَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ إِلَى جَبَبَانَةَ مُرَادَ ، وَبَعَثَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَرِّ إِلَى جَبَبَانَةَ الصَّائِدِيَيْنِ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : وَحَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدَّاجٍ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَ الْحَرِّ ؛ وَإِنَّهُ لِيُطَارِدُ أَصْحَابَ خَيْلِ الْمُخْتَارِ ، يُقَاتِلُهُمْ فِي جَبَبَانَةَ الصَّائِدِيَيْنِ وَلَرَبَّمَا رَأَيْتُ خَيْلَهُمْ تَطَرَّدُ خَيْلَهُ ، وَإِنَّهُ لَوَرَاءَ نَخِيلِهِ يَحْمِيهِمْ حَتَّى يَسْتَهْجُوا إِلَى دَارِ عَيْكِرْمَةَ ، ثُمَّ يَنْكُرُ رَاجِعًا هُوَ وَخَيْلُهُ ، فَيَطْرُدُهُمْ حَتَّى يُلْحَقَهُمْ بِجَبَبَانَةَ الصَّائِدِيَيْنِ ، وَلَرَبَّمَا رَأَيْتُ خَيْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَدْ أَخَذَتْ السَّقَاءَ وَالسَّقَاءِينَ فَيُضْرَبُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَأْتُونَهُمْ بِالْمَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعْطُونَهُمْ بِالرَّأْوِيَةِ الدِّينَارَ وَالدِّينَارَيْنِ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ . وَكَانَ الْمُخْتَارُ رَبَّمَا خَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَقَاتَلُوا قِتَالًا ضَعِيفًا ، وَلَا نَكَايَةَ لَهُمْ ، وَكَانَتْ لَا تَخْرُجُ لَهُ خَيْلٌ إِلَّا رُمِيَتْ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ الْقَدِيرُ . وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ ، فَكَانَتْ مَعَايِشُهُمْ أَفْضَلُهَا مِنْ نِسَائِهِمْ ، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهَا مَعَهَا الطَّعَامُ وَاللَّطْفُ وَالْمَاءُ ، قَدْ التَّحَفَتْ عَلَيْهِ . فَتَخْرُجُ كَأَنَّمَا تَرِيدُ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ لِلصَّلَاةِ ، وَكَأَنَّمَا تَأْتِي أَهْلَهَا وَتَزُورُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا ، فَإِذَا دَنَتْ مِنَ الْقَصْرِ فَتَرْجُحُ لَهَا ، فَدَخَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا وَحَمِيمِهَا بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَلَطْفِهِ . وَإِنْ ذَلِكَ بَلَغَ الْمَصْعَبَ وَأَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ — وَكَانَ مَجْرَبًا : اجْعَلْ عَلَيْهِمْ دُرُوبًا حَتَّى تَمْنَعَ مِنْ بَأْسِهِمْ مِنْ أَهْلِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، وَتَدَعَهُمْ فِي حِصْنِهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا فِيهِ . وَكَانَ الْقَوْمُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فِي قَصْرِهِمْ اسْتَقَوْا مِنْ مَاءِ الْبُئْرِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ بِعَسَلِ فَصْبٍ فِيهِ لِيُغَيِّرَ طَعْمَهُ فَيَشْرَبُوا مِنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا مِمَّا يُرَوَّى أَكْثَرَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ مَصْعَبًا أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَاقْتَرَبُوا مِنَ الْقَصْرِ ، فَجَاءَ عَبَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبِطِيُّ حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ جُهَيْشَةَ ، وَكَانَ رَبَّمَا تَقَدَّمَ حَتَّى يَنْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ

بنى مخزوم ، وحتى يرمى أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر ، وكان لا يلقى امرأة قريباً من القصر إلا قال لها : من أنت ؟ ومن أين بجث ؟ وما تريدن ؟ فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشبابيين وشاكر أتيهن أزواجهن في القصر ، فبعث بهن إلى مصعب ، وإن الطعام لمعهن ، فردهن مصعب ولم يعرض لهن ، وبعث زحر بن قيس ، فنزل عند الحدادين حيث تكرر الدواب ، وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال ، وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه ، وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بنى جنديمة بن مالك من بنى أسد بن خزيمه ، وجاء المهلب يسير حتى نزل چهار سوج خنيس ، وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية ، وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة ، أغمار ليس لهم علم بالحرب ، فأخذوا يصيحون - وليس لهم أمير : يابن دومة ، يابن دومة ! فأشرف عليهم المختار فقال : أما والله لو أن الذي يعيرني بدومة كان من القريتين عظيمًا ما عيرني بها . وبصر بهم وبتفرقهم وهيتهم وانتشارهم ، فطمع فيهم ، فقال لطائفة من أصحابه : اخرجوا معي ، فخرج معه منهم نحو من مائتي رجل ، ففكر عليهم ، فشذخ نحواً من مائة ، وهزمهم ، فركب بعضهم بعضاً ، وأخذوا على دار فرات بن حيّان العجلي . ثم إن رجلاً من بنى ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضمضم ، كانت رجلاه تكادان تسخطان الأرض إذا ركب من طوله ، وكان أقتل شيء للرجال وأهيبه عندهم إذا رأوه ، فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يشب له رجل صمد صمده ، وبصر به المختار ، فحمل عليه فضر به ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه ، وخر ميتاً . ثم إن تلك الأمراء وتلك الرؤوس أقبلوا من كل جانب ، فلم تكن لأصحابه بهم طاقة ، فدخلوا القصر ، فكانوا فيه ، فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار : ويحكم ! إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً ، انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا ، والله ما أنا بآيس إن صدقتموه

أَن يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ ، فَضَعُفُوا وَعَجِزُوا ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ : أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أُعْطِي
يَبْدِي وَلَا أَحْكَمُهُمْ فِي نَفْسِي . وَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْدَةَ بْنَ هُبَيْرَةَ
ابْنَ أَبِي وَهْبٍ مَا يَرِيدُ الْمُخْتَارَ تَدَلَّى مِنَ الْقَصْرِ بِجَبَلٍ ، فَلَحِقَ بِأَنَاسٍ
مِنْ إِخْوَانِهِ ، فَاخْتَبَأَ عِنْدَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ أَزْمَعَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْقَوْمِ حِينَ
رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الضَّعْفَ ، وَرَأَى مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْفُشْلِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَمْرَأَتِهِ
أُمِّ ثَابِتِ بِنْتِ سَدْرَةَ بْنِ جُنْدُبِ الْفَزَارِيِّ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِطِيبٍ كَثِيرٍ ،
فَاغْتَسَلَ وَتَحَنَّنَ ، ثُمَّ وَضَعَ ذَلِكَ الطِّيبَ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي تِسْعَةِ
عَشَرَ رَجُلًا ؛ فِيهِمُ السَّائِبُ بْنُ مَالِكِ الْأَشْعَرِيُّ - وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى الْكُوفَةِ إِذَا
خَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ عَمْرَةُ بِنْتُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، فَوُلِدَتْ
لَهُ غُلَامًا ، فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا ، فَكَانَ مَعَ أَبِيهِ فِي الْقَصْرِ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ وَأُخِذَ
مَنْ فِي الْقَصْرِ وَجِدَ صَبِيًّا فَفَرَّكَ ، وَلَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ مِنَ الْقَصْرِ قَالَ
لِلْسَّائِبِ : مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : الرَّأْيُ لَكَ ، فَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : أَنَا أَرَى أُمَّ اللَّهِ
يَرَى ! قَالَ : اللَّهُ يَرَى ، قَالَ : وَيَحْكُكَ ! أَحْمَقُ أَنْتَ ! إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ
مِنَ الْعَرَبِ رَأَيْتُ ابْنَ الزَّبِيرِ انْتَزَى عَلَى الْحِجَازِ ، وَرَأَيْتُ نَجْدَةَ انْتَزَى
عَلَى الْيَمَامَةِ ، وَمُرَوَّانَ عَلَى الشَّامِ ، فَلَمْ أَكُنْ دُونَ أَحَدٍ مِنَ رِجَالِ الْعَرَبِ ،
فَأَخَذْتُ هَذِهِ الْبِلَادَ ، فَكُنْتُ كَأَحَدِهِمْ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ طَلَبْتُ بَنَاءَ أَهْلِ بَيْتِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَامَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ ، فَقَتَلْتُ مَنْ شَرَكْتُ فِي دِمَائِهِمْ ،
وَبَالَعْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، فَقَاتِلْ عَلَى حَسْبِكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ نِيَّةٌ ؛
فَقَالَ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، وَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ أَنْ أَقَاتِلَ عَلَى حَسْبِي !
فَقَالَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مُعْتَبٍ الثَّقَفِيِّ :
وَلَوْ يَرَانِي أَبُو غَيْلَانَ إِذْ حَسَرَتْ عَنِّي الْهَمُومُ بِأَمْرِ مَا لَهُ طَبَقُ
لَقَالَ رُهْبًا وَرُغْبًا يُجْمَعَانِ مَعًا غُثْمُ الْحَيَاةِ وَهَوْلُ النَّفْسِ وَالشَّفَقُ
إِمَّا تُسِفُ عَلَى مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ أَوْ إِسْوَةٌ لَكَ فِيمَنْ تُهْلِكُ الْوَرَقُ
فَخَرَجَ فِي سَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ نَوْنِي وَأَخْرَجَ إِلَيْكُمْ ؟ فَقَالُوا :
لَا ، إِلَّا عَلَى الْحَكْمِ ، فَقَالَ : لَا أَحْكَمُكُمْ فِي نَفْسِي أَبَدًا ، فَضَارِبٌ بِسِيفِهِ
حَتَّى قُتِلَ ، وَقَدْ كَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَتَابِعُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ :

إذا أنا خرجتُ إليهم فقتلتُ لم تزدادوا إلّا ضعفاً وذلاً ، فإنْ نزلتم على حكمهم وثب أعداؤكم الذين قد وتروتموهم ، فقال كل رجل منهم لبعضكم : هذا عنده ثأرى فيقتل ، وبعضكم ينظر إلى مصارع بعض فيقولون : يا ليتنا أطعنا المختار وعمِلنا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر متمّ كراماً ، وإن هرب منكم هاربٌ فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته ؛ أنتم غداً هذه الساعة أذلّ من على ظهر الأرض ، فكان كما قال .

قال : ورزّعتُ الناسُ أن المختار قُتِلَ عند موضع الزياتين اليوم ، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان يُدعى أحدهما طرفةً والآخر طرقاً ؛ ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة . ولما كان من الغد من قتل المختار قال بُجَيْر بن عبد الله المُسَلَّى : يا قوم ، قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأى لو أطعتموه . يا قوم ، إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذُبِحتُم كما تُذبح الغنم ، اخرجوا بأسيا فكم فقاتلوا حتى تموتوا كراماً . فعصوه وقالوا : لقد أمرنا بهذا من كان أطوعَ عندنا وأنصح لنا منك ، فعصيناه ، أفنحن (١) نطيعك ! فأمكن القوم من أنفسهم ، ونزلوا على الحكم . فبعث إليهم مصعب (٢) عباد بن الحصين الحبّطي فكان هو يُخرجهم مكشّفين ، وأوصى عبد الله بن شدّاد الجشمي إلى عباد بن الحصين ، وطلب عبد الله ابن قُرَاد عصاً أو حديدة أو شيئاً يقاتل به فلم يجده ، وذلك أن الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه ، فأخذوا سيفه ، وأخرجوه مكتوفاً ، فرّ به عبد الرحمن وهو يقول :

٧٣٩/٢

ما كنتُ أخشى أن أرى أسيراً إنّ الذين خالفوا الأميراً
قد رُغموا وتبرّوا تنبيراً *

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : علىّ هذا ، قدّموه إلى أضرب عنقه ، فقال له : أما إني على دين جدك الذي آمنتم ثم كفر ، إن لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ . فنزل ثم قال : أدنوه مني ، فأدنوه منه ،

فقتله ، فغضب عبّاد ، فقال : قتلته ولم تؤمّر بقتله !

ومرّ بعبد الله بن شدّاد الجُشمي وكان شريفاً ، فطلب عبد الرحمن إلى عبّاد أن يحبسّه حتى يُكلّم فيه الأمير ، فأتى مُصعباً ، فقال : إني أحبّ أن تدفع إلى عبد الله بن شدّاد فأقتله ، فإنه من الثّار ، فأمر له به ، فلما جاءه أخذه ف ضرب عنقه ، فكان عبّاد يقول : أما والله لو علمتُ أنك إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله ، ولكني حسبْتُ أنك تكلمه فيه فتخلّى سبيله . وأتى بابن عبد الله بن شدّاد ، وإذا اسمه شدّاد ، وهو رجل محتلم ، وقد اطلّتي بنورة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرك ! فقالوا : لا ، إنما هو غلام ، فخلّوا سبيله ، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مُصعب أن يعرض على أخيه الأمان ، فإن نزل تركه له ، فأتاه فعرض عليه الأمان ، فأبى أن ينزل ، وقال : أموتُ مع أصحابي أحبّ إلى من حياة معكم ، وكان يقال له قيس ، فأخرج فقتل فيمن قُتل ؛ وقال بُجير بن عبد الله المُسليّ - ويقال : كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناسٌ كثير - فقال له المُسليّ : الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار ، وابتلاك بأن تغفوا عنا ، وهما منزِلان إحداهما رضا الله ، والأخرى سخطه ، من عفا عفاً الله عنه ، وزاده عزّاً ، ومن عاقب لم يأمن القصاص . يا بن الزبير ، نحن أهل قبيلتكم ، وعلى ميلتكم ، ولسنا تُركاً ولا ديلمًا ، فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطأوا ، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقْتُلْنَا كما اقْتُل أهل الشام بينهم ، فقد اختلفوا واقتتلوا^(١) ثم اجتمعوا ، وكما اقْتُل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطَلَحوا واجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجِحو ، وقد قدّرتُم فاعفُوا . فما زال بهذا القول ونحوه حتى رَقَّ لهم الناس ، ورقَّ لهم مصعب ، وأراد أن يخلّى سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : تُخلّي^(٢) سبيلهم ! اخترنا يا بن الزبير أواخترهم . ووثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانيّ

(١) ف : « فقد اختلفوا واقتتلوا » .

(٢) ف : « أتخلّي » .

فقال : قُتِلَ أبى وخَمْسَمائة من هَمْدان وأشراف العشيرة وأهل المصر^(١) ثم
تُخَلِّي سبيلهم ، ودمائنا تَرَقَّرَق في أجوافهم ! اخترنا أو اخترهم . ووثب
كل قوم وأهل بيت كان أصيبَ منهم رجل فقالوا نحواً من هذا القول .
فلما رأى مُصعبُ بنُ الزبير ذلك أمرَ بقَتْلهم ، فناداه بأجمعهم : يا بن
الزبير ، لا تقتلنا ، اجعلنا مقدّماتك إلى أهل الشام غداً ، فوالله ما بك ولا
بأصحابك عنا غداً غنى ، إذ القيم عدوكم فإن قتلنا لم نُقتل حتى نرقهم لكم^(٢) ،
وإن ظفّرنا بهم كان ذلك لك ولن معك . فأبى عليهم وتبع رضا العامة ،
فقال بجير المسلمي : إن حاجتي إليك ألا أقتل مع هؤلاء [القوم]^(٣) إني أمرتهم
أن يخرجوا بأسيا فها هم فيقاتلوا حتى يموتوا كراماً فعصوني ، فقدّم فقتل .

٧٤١/٢

قال أبو مخنف : وحدّثني أبى ، قال : حدّثني أبو روق أن مسافر بن
سعيد بن نِمْران قال لمُصعب بن الزبير : يا بن الزبير ، ما تقولُ لله إذا قدّمت
عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبراً ! حَكَموك في دمائهم ، فكان الحق
في دمائهم ألا تقتل نفساً^(٤) ، مُسلمة بغير نفس مُسلمة ، فإن كنا قتلنا
عدّة رجال منكم فاقتلوا عدّة من قتلنا منكم ، وخذوا سبيل بقيتنا ، وفيما^(٥) الآن
رجال كثير لم يشهدوا موطناً من حربنا وحربكم يوماً واحداً ، كانوا في الجبال
والسواد يسحبون الخراج ، ويؤمنون السبيل . فلم يستمع له ، فقال : قبّح
الله قوماً أمرتهم أن يخرجوا ليلاً على حترس سكة من هذه السكك فنظروهم ،
ثم نلحق بعشائرنا ، فعصوني حتى حَمَلوني على أن أعطيتم التي هي أنقص
وأدنى وأوضع ، وأبوا أن يموتوا إلا ميتة العبيد ، فأنا أسألك ألا تخلط دى
بدمائهم . فقدّم فقتل ناحية^(٦) .

ثم إن المُصعب أمر بكفّ المختار فقطعت ثمّ سُمّرت بمِسار
حديد إلى جنب^(٧) المسجد . فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن
يوسف ، فنظر إليها فقال : ما هذه ؟ قالوا : كفّ المختار ،
فأمر بِنَزْعِها . وبعث مُصعب عمّاله على الجبال والسواد ،

٧٤٢/٢

(١) ف : « والمصر » . (٢) ف : « لك » .

(٣) من ف . (٤) ف : « ألا تقتل نفس مسلمة » .

(٥) « فتيان » . (٦) ف : « ناحية قتل » . (٧) ف : « جانب » .

ثم إنه ^(١) كتب إلى ابن الأشتر ^(٢) يدعوه إلى طاعته ، ويقول له : إن أنت أجبته ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعنة الخيل ، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام آل الزبير سلطان . وكتب ^(٣) عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعوه إلى طاعته ، ويقول : إن أنت أجبته ودخلت في طاعتي فلك العراق . فدعا إبراهيم أصحابه فقال : ما ترون ؟ فقال بعضهم : تدخل في طاعة عبد الملك ، وقال بعضهم : تدخل مع ابن الزبير في طاعته ، فقال ابن الأشتر : ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبع عبد الملك ؛ مع أني لا أحب أن أختار على أهل مصر مضرًا ، ولا على عشيرتي عشيرة . فكتب إلى مصعب ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ، فأقبل إليه بالطاعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جندب الكلبي أن كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه :

أما بعد ، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر ، وكادوا بالسحر ^(٤) ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى بيعة أمير المؤمنين ، فإن أجبته إلى ذلك فأقبل إلى ، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب ^(٥) كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد ؛ والسلام . وكتب إليه عبد الملك بن مروان :

أما بعد ، فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ، ونازعوا الأمر أهله ، وألحدوا في بيت الله الحرام ^(٦) والله مُمَكِّن منهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم ، وإني ^(٧) أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه ، فإن قبلت وأجبته فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت ، على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه .

قال : فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب ، واستشارهم في الرأي ، فقائل

(١) ف : « وإنه » . (٢) ف : « إبراهيم بن الأشتر » .

(٣) ف : « وكتب إليه » . (٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .

(٥) ١ ، س : « العرب » . (٦) ف : « واتخذوا الحرم حلا » .

(٧) ف : « فإني » .

يقول عبد الملك ؛ وقائل يقول : ابن الزبير ؛ فقال لهم : ورأى اتباع أهل الشام ، ولكن كيف لى بذلك ، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتها ، ولست بتارك عشيرتى وأهل مصرى^(١) ! فأقبل إلى مصعب ، فلما بلغ مصعباً إقباله^(٢) بعث المهلب إلى عمله ، وهى^(٣) السنة التى نزل فيها المهلب على الفرات .

قال أبو مخنف : حدثنى أبو علقمة الخشعمى أن المصعب بعث إلى أمّ ثابت بنت سمرّة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارى - وهى امرأة المختار - فقال لهما : ما تقولان فى المختار ؟ فقالت أمّ ثابت : ما عسى أن نقول ! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبي ، وأما عمرة فقالت : رحمة الله عليه ، إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فرفعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير إنها تزعم أنه نبي ، فكاتب إليه أن أخرجها فاقتلها . فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة ، فضربها مطر ثلاث ضربات بالسيف - ومطر تابع لآل قنقل من بنى تميم الله بن ثعلبة ، كان يكون مع الشرط - فقالت : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرته ! فسمع بها بعض الأنصار ، وهو أبان بن النعمان بن بشير ، فأتاه فلطمه وقال له : يا ابن الزانية ، قطعت نفسك قطع الله يمينك ! فلكزته حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إن أمى مسلمة ، وادعى شهادة بنى قنقل ، فلم يشهد له أحد ؛ فقال مصعب : خلّوا سبيل الفتى فإنه رأى أمراً فظيعاً ، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشى فى قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير :

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطُولِ^(٣)
قُتِلَتْ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنَّ لِلَّهِ دَرَهَا مِنْ قَتِيلِ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جُرُّ الذُّيُولِ

قال أبو مخنف : حدثنى محمد بن يوسف ، أن مصعباً لقي عبد الله بن

(١) ف : « ولا أهل مصرى » . (٢) بعدها فى ف : « إليه » . (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨ .

عمر فسلم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر : نعم ، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ! عيشُ ما استطعت ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة سحرة ؛ فقال ابنُ عمر : والله لو قتل عدتُهم غنمًا من ثراث أبيك لكان ذلك سرفًا ، فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أتى راكبٌ بالأمر ذى النبأ العجبُ بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسبُ
بقتل فتاة ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ مهذبة الأخلاقِ والخيمِ والنسبِ
مطهرةٍ من نسلِ قومٍ أكارمِ من المؤثرين الخير في سالفِ الحقبِ
خليلُ النبي المصطفى ونصيرهُ وصاحبه في الحرب والنكبِ والكربِ
أتاني بأنَّ الملحدين توافقوا على قتلها لاجنبوا القتلَ والسلبِ
فلا هنأت آلَ الزبير معيشةُ وذاقوا لباسَ الذلِّ والخوفِ والحربِ
كانهم إذ أبرزوها وقطعتُ بأسِافهم فازوا بِمملكة العربِ ٧٤٦/٢
ألم تعجبِ الأقوامُ من قتلِ حرةٍ من الْمُحْصَنَاتِ الَّذِينَ مَحْمُودَةُ الْأَدَبِ!
من الغافلاتِ المؤمناتِ ، بريئةٍ من الذمِّ والبُهتانِ والشكِّ والكذبِ
علينا كتابُ القتلِ والبأسِ واجبٌ وهنَّ العفافُ في الجبالِ وفي الحُجُبِ
على دينِ أجدادِ لها وأبوةٍ كرامٍ مَضَتْ لَمْ تُخْزِ أَهْلًا وَلَمْ تُرَبِّ
من الخفريات لا خروجُ بذيَّةٍ مُلائمةً تَبْغِي عَلَى جَارِهَا الْجُنُبِ
ولا الجارِ ذى القربى ولم تدرِ ما لخنّا ولم تزدلِفِ يوماً بسوءٍ ولم تحبِّ
عجبتُ لها إذ كُفِّتْ وهى حيةٌ أَلَا إِنَّ هَذَا الْخَطْبَ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

حدثت عن علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثني إبراهيم بن سليمان الحنفى ، ابن أخى أبى الأحوص ، قال : حدثنا محمد بن أبان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سويد بن غفلة ، قال : بيّنا أنا أسيرُ بظَهْر النَجفِ إذ لحقنى رجل فطعننى بِمِخْصَرَةٍ مِنْ خَلْقِي ، فَالْتَفَتَ إِلَهُ ، فَقَالَ :

ما قولك في الشيخ ؟ قلت : أيّ الشيوخ ؟ قال : عليّ بن أبي طالب ؛ قلت : إني أشهد أني أحبه بسَمْعِي وبصري وقلبي ولساني ؛ قال : وأنا أشهدك أني أبغضه بسَمْعِي وبصري وقلبي ولساني . فسيرنا حتى دخلنا الكوفة ، فافترقنا ، فكث بعد ذلك سنين - أو قال : زماناً - قال : ثم إني لني المسجد الأعظم إذ دخل رجلٌ معتمٌ يتصفّح وجوه الخلق ، فلم يزل ينظر فلم يرَ لِحْيَتي أحق من لِحْيِ همدان ، فجلس إليهم ، فتحولت فجلست معهم ، فقالوا : من أين أقبلت ؟ قال : من عند أهل بيت نبيكم ، قالوا : فإذا جئتنا به ؟ قال : ليس هذا موضع ذلك ، فوعدهم من الغد موعداً ، فتعدّأ وغدوت ، فإذا قد أخرج كتاباً معه في أسفله طابع من رصاص ، فدفعه إلى غلام ، فقال له : يا غلام ، اقرأه - وكان أمياً لا يكتب - فقال الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب للمختار بن أبي عبيد كتبه له وصيّ آل محمد ؛ أمّا بعد فكذا وكذا .

فاستفرغ القوم البكاء ، فقال : يا غلام ، ارفع كتابك حتى يُفنيق القوم ؛ قلت : معاشر همدان ، أنا أشهد بالله لقد أدركني هذا بظُهر النَجف ، فقَصَصْتُ عليهم قصّته ، فقالوا : أبست والله إلاّ تشبّطاً عن آل محمد ، وتزبّيناً لنعلك شقاق المصاحف . قال : قلت : معاشر همدان ، لا أحد تكم إلاّ ما سمعته أذُنائي ، ووعاه قلبي من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، سمعته يقول : لا تُسمّوا عثمان شقاق المصاحف ، فوالله ما شققها إلاّ عن ملا منّا أصحاب محمد ، ولو وليتها لعَمِلْتُ فيها مثل الذي عمل ؛ قالوا : آل الله أنت^(١) سمعت هذا من عليّ ؟ قلت : والله لأنّا سمعته منه^(٢) ، قال : ففترقوا عنه ، فعند ذلك مال إلى العبيد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع .

٧٤٨/٢

قال أبو جعفر : واقتصر الواقديّ من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا ، فخالف فيه مَنْ ذكرنا خبره ، فزعم أن المختار إنما أظْهَرَ الخلاف لابن الزبير عند قدوم مُصْعَبِ البَصْرَةِ ، وأن مُصْعَباً لما

(١) ف : « أنك » . (٢) ا : « والله ما قلت إلا ما سمعته منه » .

سار إليه فبلغه مسيره إليه بعث إليه أحمر بن شُمَيْطَ البَجَلِيّ ، وأمره أن يواقعَه بالمَدَار ، وقال : إنَّ الفتح بالمَدَار ؛ قال : وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل : إن رجلاً من ثَقِيف يُفْتَحُ عليه بالمَدَار فتحٌ عظيمٌ ، فظنَّ أنه هو ، وإنما كان ذلك للحجَّاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الأشعث . وأمر مصعبٌ صاحبٌ مقدّمه عبيد الحَبْطَى أن يسيرَ إلى جَمْعِ المُخْتَار فتقدّم وتقدّم معه عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَلِيٍّ بن أبي طالب ، وزل مصعب . نهر البصريّين على شطّ الفرات . وحفّر هنالك نهراً فسُمّيَ نهر البصريّين من أجل ذلك . قال : وخرج المختار في عشرين ألفاً حتى وقف بإزائهم وزحف مصعبٌ ومن معه ، فوافوه مع الليل على تعبئة ، فأرسل إلى أصحابه حين أمسى : لا يبرحن أحدٌ منكم موقفه حتى يسمع منادياً ينادى : يا محمّد ، فإذا سمعتموه فاحملوا . فقال رجل من القوم من أصحاب المختار : هذا والله كذاب على الله ، وانحاز ومن معه إلى المصعب ، فأمهل المختار حتى إذا طلع القمر أمر منادياً ، فنادى : يا محمّد ؛ ثم حمّلوا على مصعب وأصحابه فهزموهم ، فأدخلوه عسكره ، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد ، وإذا أصحابه قد وغلوا في أصحاب مصعب ، فانصرف المختار منهزماً حتى دخل قصر الكوفة ، فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا ، فوقفوا ملكياً ، فلم يروا المختار ، فقالوا : قد قُتِل ، فتهرب منهم من أطاق الهرب ، واختفوا في دُور الكوفة ، وتوجّه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجيدوا من يقاتل بهم ، ووجدوا المختار في القصر ، فدخلوا معه ، وكان أصحاب المختار ، قتلوا^(١) في تلك الليلة من أصحاب مصعب^(٢) بشراً كثيراً ، فيهم محمّد بن الأشعث ، وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر ، فأقام مصعبٌ يحاصره أربعة أشهر يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد ، ولا يُقدّر عليه حتى قُتِل المختار ، فلما قُتِل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان ، فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه ، فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك ، وسائرهم

٧٤٩/٢

من العَجَم ، قال : فلما خرجوا أراد مُصْعَبُ أن يَقْتُلَ العجم ويترك العرب ، فكلّمه من معه ، فقالوا : أى دين هذا ؟ وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العَجَم وتترك العرب ودّينهم واحد ! فقدّمهم فضرَبَ أعناقهم .

قال أبو جعفر : وحدثني عمرُ بنُ شُبّة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : لما قُتِلَ المختار شاور مصعبُ أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث ومحمد بنُ عبد الرحمن ابنِ سعيد بنِ قيس وأشباهُهم ثَمَنَ وترهم المُختار : اقتلهم ، وضجّت ضجّةً ، وقالوا : دَمُ مُنْذِرِ بنِ حسان ؛ فقال عبيد الله بن الحرّ : أيّها الأمير ، ادفعْ كلَّ رجلٍ في يدك إلى عشيرته ثَمَنَ عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قَتَلُونَا فقد قَتَلُونَاهُمْ ، ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا ، وادفع عبيدنا الذين في يدك إلى مواليتهم فإنهم لأيتامنا وأرامِلنا وضِعْفَانِ ، يردونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدا كفرُهم ، وعظُمُ^(١) كبرُهم ، وقلْ شُكْرُهم . فضحك مُصْعَبُ وقال للأحنف : ما ترى يا أبا بَحْرٍ ؟ قال : قد أرادنى زيادٌ فعصيته - يغرض بهم - فأمرَ مصعبُ بالقوم جميعاً فقتلوا ، وكانوا ستة آلاف ، فقال عقبه الأسدى :

قَتَلْتُمْ سِتَّةَ آلَافٍ صَبْرًا مع العَهْدِ الموثِقِ مَكْتَفِينَا
جَعَلْتُمْ ذِمَّةَ الحَبْطِيِّ جَسْرًا ذُلُولًا ظَهَرُهُ لِلوَاطِئِينَا
وما كانوا غَدَاةَ دُعُوا فَعُرُوا^(٢) بَعْهَدِهِمْ بِأَوَّلِ حَائِنِينَا
وَكُنْتُ أَمْرُهُمْ لَوْ طَاوَعُونِي بَضْرَبٍ فِي الْأَرْقَةِ مُصْلِتِينَا

وقُتِلَ المختارُ - فيما قيل - وهو ابنُ سبع وستين سنة : لأربع عشرة خَلَّتْ من شهر رمضان في سنة سبع وستين .

فلما فرغ مصعب^(٣) من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابنُ الأشتر وجهُ المهلب بن أبي صفرة على الموصل والحزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة .

(١) ف : « وظهر » . (٢) ف : « وفروا » . (٣) ف : « المصعب » .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة ، وبعث بابنه حمزة بن عبد الله إليها ، فاختلف في سبب عزله إياه عنها ، وكيف كان الأمر في ذلك .

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر ، قال : حدثني علي بن محمد قال : لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار ، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر ، فقتل المختار ، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وجسه عنده ، واعتذر إليه من عزله ، وقال : والله إني لأعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ، ولكني رأيت فيه رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدم حمزة البصرة والياً ، وكان جواداً سخياً مخلطاً ، يهود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف ، فيقال : إنه ركب يوماً إلى فينس البصرة ، فلما رآه قال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفيهم صيفهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم ، وظننت أن لن يكفيهم ، فقال له الأحنف : إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلتها قال : هذا قعيقعان - لموضع بمكة - فسُمي الجبل قعيقعان ، وبعث إلى مرء أنشاه فاستحثه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف : ما أحد سيف الأمير !

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهَمَّ بعبد العزيز بن بشر أن يضربه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك ، وسأله أن يعيد مصعباً . قال : وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمير الليثي على قتال التجدية بالبحرين .

حدثني عمر، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : لما عزل ابن الزبير حمزة احتسمل مالا كثيراً من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسمغ، فقال : لا ندعك تخرج بأعطياتنا . فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء، فكف، وشخص حمزة بالمال، فترك أباه وأتى المدينة، فأودع ذلك المال رجلاً، فذهبوا به إلا يهودياً كان أودعه فوفى له، وعلم ابن الزبير بما صنع، فقال : أبعد الله ! أردت أن أباهي به بني مروان فذلكم كص .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه إياه عن البصرة وردّه إياه إليها غير هذه القصة، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه^(١)، عن أبي المخارق الراسبي، أن مصعباً لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولاً عن البصرة، عزله عنها عبد الله، وبعث ابنه حمزة، فمكث بذلك سنة، ثم إنه وقد على أخيه عبد الله بمكة، فردّه على البصرة .

وقيل : إن مصعباً لما فرغ من أمر المختار انصرف إلى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال : وقال محمد بن عمر : لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عاملاً على الكوفة مصعب، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة . وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان . وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي .

٧٥٣/٢

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً ، وقد ذكرنا السبب في ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً بعد عزله إياه ، ولما ردّه عليها أميراً بعث مصعب الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميراً ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مَرَجِعَهُ إلى العراق أميراً بعد العزل ، فصار إليها .

* * *

[ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق]

وفي هذه السنة كان مَرَجِعُ الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المدائن .

* ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومَرَجِعِهِمْ إلى العراق :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو المخارق الراسبي ، أن مُصعباً وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميراً ، وكانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي أصبتهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالأهواز ، فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه إلى الموصل ونواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس ، انحطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عُمَرَ بن عبيد الله بفارس ، فلقيتهم بسابور ، فقاتلهم قتالا شديداً ، ثم إنه ظفر بهم ظفراً بيتاً ، غير أنه لم يكن بينهم كثير ^(١) قتل ، وذهبوا ^(٢) كأنهم على حامية ، وقد تركوا على ذلك المعركة .

قال أبو مخنف : فحدثني شيخٌ للحجّ بالبصرة ، قال : إني لأسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله ^(٣) :

(١) ف : « كبير » . (٢) ف : « فركبوا » .

(٣) بعدها في ف : « ابن معمر » .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنني أخبرُ الأميرَ أصلَحَه الله أني لقيتُ الأزارقة التي مرَّقت من الدِّينِ واتبعتُ أهواءها بغيرِ هُدًى من الله ، فقاتلتُهُم بالمسلمين ساعةً من النهار أشدَّ القتال . ثمَّ إنَّ الله ضربَ وجوهَهُم وأدبارَهُم ، ومنحنا أكتافَهُم ، فقتلَ اللهُ منهم مِئَةَ خَاصٍ وخَسِرَ ، وكلُّ إلى خُسْران . فكتبتُ إلى الأميرِ كتابي هذا وأنا على ظَهْرٍ فَرَسِي في طلبِ القوم ، أرجو أن يَجِدَهُم ^(١) الله إن شاء الله ؛ والسلام .

ثمَّ إنَّه تَبِعَهُم ومضوا من فورهم ذلك حتَّى نزلوا لإصطِخْرَ ، فسارَ إليهم حتَّى لقيَهُم على قنطرة طَمَسْتان ^(٢) ، فقاتلَهُم قتالا شديداً ، وقتلَ ابنَهُ . ثمَّ إنَّه ظَفِرَ بِهِم ، فَقطَعُوا قنطرةً طَمَسْتانَ ، وارتفعوا إلى نحو من أصبِهان وكِرمَمان ، فأقاموا بها حتَّى اجْتَبَرُوا وقَوْوا ، واستعدَّوا وكشَّروا ، ثمَّ أقبلوا حتَّى مروا بفارسَ وبها عُمَرُ بْنُ عُبيدِ اللهِ بنِ مَعْمَرٍ ، فَقطَعُوا أرضَهُ من غيرِ الوجهِ الَّذِي كان فيه أخذوا على سابور ، ثمَّ خرجوا على أَرْجانَ ، فلمَّا رأى عُمَرُ بْنُ عُبيدِ اللهِ أنْ قد قطعت الخوارجُ أرضَهُ متوجِّهَةً إلى البَصْرة خشيَ ألاَّ يَحْتَمِلُهَا له مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فشمَّرَ في آثارهم مُسرِّعاً حتَّى أتى أَرْجانَ . فوجدَهُم حينَ خرجوا منها متوجِّهين قِبَلَ الأهواز ، وبلغَ مُصْعَباً ^(٣) إقبالَهُم ، فَخَرَجَ فعسكرَ بالناسِ بالجسرِ الأكبر ، وقال : والله ما أدري ما الَّذِي أغْنَى عَنِّي أنْ وضعتُ عُمَرَ بْنَ عُبيدِ اللهِ بفارسَ ، وجعلتُ معهُ جُنُداً أجريَ عليهم أرزاقَهُم في كلِّ شهرٍ ، وأوفيتُهم أعطياتِهِم في كلِّ سنة ، وأمَّرتُهم من المتعاونين في كلِّ سنة بمثلِ الأعطيات ، تَقَطَّعَ أرضَهُ الخوارجُ إلى ! وقد قطعتُ علَّتَهُ فأمددتهُ بالرجالِ وقويَتُهُم ، والله لو قاتلَهُم ثمَّ فرَّ كان أعذرَ له عندي . وإن كان الفارَّ غيرَ مقبولِ العذر ، ولا كريمِ الفعل .

وأقبلت الخوارجُ وعليهم الزُّبَيْرُ بنُ الماحِزِ حتَّى نزلوا الأهواز ، فأتَتْهُم عيونهم أن عمر بن عُبيدِ اللهِ في أثرهم ، وأنَّ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ قد خرج من البَصْرة إليهم . فقام فيهِم الزُّبَيْرُ فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثمَّ قال : أمَّا بعد ، فإنَّ

(١) س : « ويخزيهم » . (٢) س : « طمسيان » ، ف : « طمسيان » ، وفي اس ن

غير نقط . (٣) ف : « وبلغ ذلك مصعباً » .

مِنْ سَوْءِ الرَّأْيِ وَالْحَيِرةِ^(١) وَقَوَّعُكُمْ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الشَّوْكَتَيْنِ ، انْهَضُوا
 بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَلْقَهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ
 جَبُوحَتِي ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى النَّهْرَوَانَاتِ ، ثُمَّ لَزِمَ شَاطِئَ دِجْلَةٍ حَتَّى خَرَجَ عَلَى
 الْمَدَائِنِ وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مَرْثَدِ بْنِ نَجْبَةَ الْفَرَازِيِّ ، فَشَنُوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ
 الْمَدَائِنِ ، يُقْتَلُونَ الْوِلْدَانَ وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ ، وَيَبْقَرُونَ الْحَبَالَى . وَهَرَبَ
 كَرْدَمُ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى سَابِاطَ فَوْضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِي النَّاسِ ، فَقَتَلُوا أُمَّ وَلَدَ لَرَبِيعَةَ
 ابْنِ مَاجِدٍ^(٢) ، وَقَتَلُوا بُنَّانَةَ ابْنَةِ أَبِي يَزِيدَ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ
 قَرَأَتْ الْقُرْآنَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، فَلَمَّا غَشَوْهَا^(٣) بِالسُّيُوفِ قَالَتْ :
 وَيَحْشَكُكُمْ ! هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا يُقْتَلُونَ النِّسَاءَ ! وَيَحْشَكُكُمْ ! تَقْتُلُونَ مَنْ
 لَا يَبْسُطُ إِلَيْكُمْ يَدًا ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ ضَرًّا ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ! أَتَقْتُلُونَ
 مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْتُلُوهَا ،
 وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُوهَا ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَعَجَبْتُكَ جَمَالُهَا
 يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! قَدْ كَفَرْتَ وَافْتَنَنْتَ ، فَانصَرَفَ الْآخَرُ عَنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ ، فَظَنَّنَا
 أَنَّهُ فَارَقَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَقَتَلُوهَا ، فَقَالَتْ رَيْطَةُ بِنْتُ يَزِيدَ : سُبْحَانَ
 اللَّهِ ! أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَرْضَى بِمَا تَصْنَعُونَ ! تَقْتُلُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَمَنْ لَمْ
 يُذْنَبْ إِلَيْكُمْ ذَنْبًا ! ثُمَّ انصَرَفَتْ وَحَمَلُوا عَلَيْهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا الرُّوَاعِ بِنْتُ
 إِيَّاسَ بْنِ شُرَيْحِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِيهَا لِأُمِّهَا ، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَضَرَبُوهَا
 عَلَى رَأْسِهَا بِالسَّيْفِ ، وَبِصِيبِ ذُبَابِ السَّيْفِ رَأْسَ الرُّوَاعِ فَسَقَطْنَا جَمِيعًا
 إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَاتَلَهُمْ إِيَّاسُ بْنُ شُرَيْحٍ سَاعَةً . ثُمَّ صُرِعَ فَوَقَعَ بَيْنَ
 الْقَتْلَى ، فَزَعَعُوا عَنْهُ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ ، وَصُرِعَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ
 ابْنِ وَاثِلٍ يَقَالُ لَهُ : رَزِينُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ .

فَلَمَّا انصَرَفُوا عَنْهُمْ لَمْ يَمَيِّتْ غَيْرُ بُنَّانَةَ بِنْتُ أَبِي يَزِيدَ . وَأُمُّ وَلَدَ رَبِيعَةَ
 ابْنِ نَاجِدٍ ، وَأَفَاقَ سَائِرُهُمْ ، فَسَقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمَاءِ ، وَعَصَبُوا جِرَاحَاتِهِمْ
 ثُمَّ اسْتَأْجَرُوا دَوَابَّ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ .

قَالَ أَبُو مِخْسَنَفٍ : فَحَدَّثَنِي الرَّوَاعُ ابْنَةُ إِيَّاسَ ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «ناحد» ، س : «ناجز» . (٣) ف : «أن غشوها» .

رجلاً قطّ كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته ، فلمّا غُشِينَا ألقّاها إلينا وهرب عنها^(١) ولا رأينا رجلاً قطّ كانَ أكرم من رجل كان معنا ، ما نعرفه ولا يعرفنا ، لمّا غُشِينَا قاتلَ دوننا حتّى صُرِعَ بيننا ، وهو رُزِين بنُ المتوكل البكرى . وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا . ثمّ إنّه هلك في إمارة الحجاج ، فكانت ورثته الأعرابُ ، وكان من العباد الصالحين .

قال هشام بنُ محمد - وذكره عن أبي مخنف - قال : حدثني أبي ، عن عمّه أن مُصعب بنَ الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إسّتان العال ، فلمّا قدّم الحارث بنُ أبي ربيعة أقصاه ، ثمّ أقرّه بعد ذلك على عمله السّنة الثانية ، فلمّا قدّمت الخوارجُ المدائنَ سرّحوا إليه عصابةً منهم ، عليها صالح بنُ مخرق ، فليقيه^(٢) بالكرخ فقاتله ساعة ، ثمّ تنازّلا فتنزل أبو بكر ونزلت الخوارج ، فقتل أبو بكر ويسار مولاه وعبدُ الرحمن بنُ أبي جيعال ، ورجل من قومه ، وانتهزَم سائرُ أصحابه ، فقال سرّاقه بنُ مِرْداس البارقى في بطنٍ من الأزد :

ألا يا لقومى للهوم الطوارق وللحدّث الجائى بإحدى الصفائق^(٣)
ومقتل غطريف كريمٍ نجاره من المقدمين الذائدين الأصادق^(٤)
أتانى دوين الخيف قتلُ ابن مخنف وقد غورت أولى النجوم الخوافق
فقلت : تلقاك الإله برحمة وصلى عليك الله ربّ المشارق
لحا الله قوماً عرّدوا عنك بكرة ولم يصبروا للإمعات البوارق
تولّوا فأجلّوا بالضحى عن زعيمنا وسيدنا فى المارق المتضايق
فأنت متى ما جئتنا فى بيوتنا سمعت عويلاً من عوانٍ وعاتق

٧٥٨/٢

(١) ف : « عنا وعنها » .

(٢) ف : « فلقيم » .

(٣) ديوانه ٥٣ - ٥٦ ، مع اختلاف فى الرواية .

(٤) ١ : « المقدمين الياسلين » .

يُبَكِّينَ مُحَمَّدَ الضَّرِيرَةَ ماجداً صَبُوراً لَدَى الْهَيْجَاءِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ
لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي لَذَاكَ حَزِينَةً وشابتُ لِمَا حَمَلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِي
قال أبو مخنف : فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي ، والنضر
ابن صالح العبسي ، وفضيل بن خديج ، كلهم أخبرني^(١) أن الحارث بن
أبي ربيعة [الملقب بالقُبَاع]^(٢) أتاه أهل الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له :
اخرج فإن هذا عدو لنا قد أظلم علينا^(٣) ليست له تقيّة ، فخرج
وهو يكذب كذاباً^(٤) حتّى نزل النخيلة ، فأقام بها أياماً ، فوثب إليه
إبراهيم بن الأشتر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنه
سار إلينا عدو ليست له تقيّة^(٥) ، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويخيف
السبيل ، ويخرب البلاد ، فانهض بنا إليه ، فأمر بالرحيل . فخرج فتزل^(٦)
دير عبد الرحمن ، فأقام فيه حتّى دخل إليه شبّث بن ربعي ، فكلّمه
بنحو ممّا كلّمه به ابن الأشتر ، فارتحل ولم يكذب ، فلمّا رأى الناس بُطء
سيّره رجّزوا به فقالوا :

سَارَ بَنَا الْقُبَاعُ سَيْرًا نَكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرًا

فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلّمنا نزل بهم منزلاً أقام بهم حتّى
يضجّ الناسُ به من ذلك ، ويصيحوا به حول فُسْطَاطِهِ ، فلم يسلُغ الصّراةَ إلّا
في بضعة عشر يوماً ، فأتى الصّراةَ وقد انتهت إليها طلائعُ العدوّ وأوائلُ
الخيّول ، فلما أتمّهم العيونُ بأنّه قد أتاهم جماعةُ أهلِ المِصرِ قطعوا
الجِسرَ بينهم وبين النَّاسِ ، وأخذ الناسُ يرتجزون :

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلَسَا بَيْنَ دَبِيرَي وَدَبَاهَا خَمَسَا

قال أبو مخنف : وحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن
رجلاً من السّبيع كان به لَمَمٌ ، وكان بقرية يقال لها جَوْبَر^(٧) عند الحرّارة ،

(١) ف : « وأخبروا جميعاً » .

(٢) من ف .

(٣) س : « أقبل إلينا » ، ف : « أظلمنا » .

(٤) ف : « يكذب وكذبا » .

(٥) ط : « بقية » . (٦) ف : « حتّى نزل » . (٧) س : « جوبن » .

وكان يُدعى سِمَاكَ بنَ يزيد ، فأنت الخوارجُ قريتهُ فأخذوه وأخذوا ابنته ، فقدّموا ابنته فقتلوا ، وزعم لى أبو الربيع السلولى أن اسم ابنته أمّ يزيد ، وأنها كانت تقول لهم : يا أهلَ الإسلام ، إنَّ أبى مُصاب فلا تقتلوه ، وأما أنا فإنما أنا جارية ، والله ما أتيتُ فاحشةً قطّ ، ولا آذيتُ جارة لى قطّ ، ولا تطلّعتُ ولا تشرّفتُ قطّ . فقدّموها ليقتلوها ، فأخذتُ تُنادى : ما ذنبى ما ذنبى ! ثم سقطتُ مغمياً عليها أوميّته ، ثم قَطَعوها ، بأسيا فهم . قال أبو الربيع : حدثتني بهذا الحديث ظيّر لها نصراًنيّة من أهلِ الخورنق كانت معها حين قُتلت .

قال أبو مخنف : حدثني يونسُ بنُ أبى إسحاق ، عن أبيه ، أن الأزارقة جاءت بِسِمَاكِ بنِ يزيد معهم حتّى أشرّفوا على الصّراة . قال : فاستقبل عسكرنا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ ينادينا ويرفع صوته : اعبروا إليهم فإنّهم قتلُ نبيّ ، فاضربوا عند ذلك عنقه وصلّبوه ونحن ننظرُ إليه . قال : فلمّا كان الليلُ عبرتُ إليه وأنا رجل من الحى . فأنزلناه فدَفَنَاهُ .

قال أبو مخنف : حدثني أبى أن إبراهيمَ بنَ الأشتر قال للحارث بن أبى ربيعة : اندب معى الناس حتّى أعبّر إلى هؤلاء الأكلب ، فأجيئك برؤسهم الساعة ؛ فقال شبيب بن ربيعٍ وأسماءُ بنُ خارجة ويزيدُ ابن الحارث ومحمّد بن الحارث ومحمّد بن عُمير : أصلح الله الأمير ! دعهم فليذهبوا ، لا تبدهم ؛ قال : وكأنّهم حسّدوا إبراهيمَ ابنَ الأشتر .

٧٦١/٢

قال أبو مخنف : وحدثني حصيرةُ بن عبدِ الله وأبو زهير العبسى أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصّراة فرأوا أن جماعة أهل المِصر قد خرجوا إليهم ، قطعوا الجسر ، واغتنم ذلك الحارث ، فتحبّس . ثم إنّه جلس للناس فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ أوّل القتال الرميّ بالنبل ، ثمّ إشرع الرّماح ، ثمّ الطعن بها شزراً ؛ ثمّ السّلة آخر ذلك كله .

قال : فقام إليه رجل فقال ، قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ، ولكن حثام نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا ! مرُّ بهذا الجسر فليعد^(١) كما كان ، ثم اعبرُ بنا إليهم ، فإن الله سيريك فيهم ما تحبّه ، فأمر بالحسر فأعيد ، ثم عبر الناسُ إليهم فطاروا حتّى انتهوا إلى المدائن . وجاء المسلمون حتّى انتهوا إلى المدائن ، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طرداً ضعيفاً عند الجسر . ثم إنهم خرجوا منها فأتبعهم^(٢) الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مخنف في ستّة آلاف ليُخرجهم من أرض الكوفة ، فإذا وقعوا في أرض البصرة خلّاهم^(٣) فأتبعهم حتّى إذا خرجوا من أرض الكوفة ووقعوا إلى أصبهان انصرف^(٤) عنهم ولم يقاثلهم ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ، ومضوا حتّى نزلوا بعثاب بن ورقاء بيحيى ، فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يُطققهم ، وشدّوا على أصحابه حتّى دخلوا المدينة ، وكانت أصبهان يومئذ طعمّة لإسماعيل بن طلحة من^(٥) مُصعب بن الزبير ، فبعث عليها عتّاباً ، فصبّر لهم عتّاب ، وأخذ يخرج إليهم في كل يوم^(٦) فيقتالهم على باب المدينة ، ويرمّون من السور بالنبل والنشاب والحجارة ، وكان مع عتّاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح ، فكان يخرج مع عتّاب ، وكان شجاعاً ، فكان يحمّل عليهم ويقول :

كيف ترون يا كلاب النار شدّ أبي هريرة الهزار
يهركم بالليل والنهار يابن أبي الماحوز والأشرار
* كيف تُرى جىّ على المضار ! *

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون أنه عبدة بن هلال ، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ، ويقول كما كان يقول ، إذ حمّل عليه عبدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على جبل عاتقه فصرعه ، وحمّل أصحابه عليه فاحتملوه فأدخلوه

(١) ف : « فليعد » . (٢) ف : « وأتبعهم » . (٣) ف : « جلاهم » .

(٤) ف : « فانصرف » . (٥) ط : « بن » ، وانظر الفهرس . (٦) ط : « أيام » .

وداؤوه، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تُناديهم يقولون^(١) : يا أعداء الله، ما فعل أبو هريرة المُرَّار^(٢) ؟ فينادونهم: يا أعداء الله، والله ما عليه من بأس، ولم يلبث أبو هريرة أن برئ، ثم خرج عليهم بعد، فأخذوا يقولون : يا عدو الله، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك، فقال لهم: يا فساق، ما ذكركم أمي ! فأخذوا يقولون : إنه ليغضب لأمه، وهو آتيها عاجلاً. فقال له أصحابه : وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَعْشُونَ النَّارَ ، فَفَطِنْ فَقَالَ : يا أعداء الله ، ما أعقكم بأمتكم حين تنتفون منها ! إِنَّمَا تَلِكْ أَمْكُم ، وإليها مَصِيرُكُمْ . ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهراً حتى هلك كُرَاعُهُمْ ، وَنَفِدَتْ أَطْعَمَتُهُمْ ، واشتد عليهم الحصار ، وأصابهم الجَهْدُ الشَّدِيدُ ، فدعاهم عتَّاب بن ورقاء فحَسِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أَمَّا بعد أيُّهَا النَّاسُ ، فإنه قد أصابكم من الجَهْدِ ما قد تَرَوْنَ ، فوالله إن بقي إلا أن يموتَ أحدُكم على فراشه فيجىء أخوه فيدفنه إن استطاع ؛ وبالحري أن يضعف عن ذلك، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ، ولا يصلّي عليه ، فاتقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن فيكم لَفُرْسَانُ أَهْلِ الْمِصْرَ ، وَإِنَّكُمْ لَصَلَحَاءُ . من أنتم منه ! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل ألا يستطيع رجل منكم أن يمشي إلى عدوّه من الجَهْدِ ، وقبل ألا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته ، فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق ، فوالله إني لأرجو إن صدقتموه أن يُظفركم الله بهم ، وأن يُظهركم عليهم . فناداه الناسُ من كل جانب : وَفَّقْتَ وَأَصَبْتَ ، اخرج بنا إليهم ، فجمع إليه الناس من الليل ، فأمرهم بعشاء كثير ، فعمشى الناس عنده ؛ ثم إنّه خرج بهم حين أصبح على راياتهم ، فصبّحهم في عسكرهم^(٣) وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم ، فشَدَّوا عليهم في جانبِهِ ، فصار يوم فأخلوا عن وجه العسكر حتّى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز ، فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قُتِلَ ، وانحازت الأزارقة إلى قَطْرَى ، فبايعوه ،

٧٦٤/٢

(١) ف : « ويقولون » . (٢) ف : « الفرار » .

(٣) ف : « وهم في عسكرهم » .

وجاء عَتَّابٌ حتَّى دخل مدينته، وقد أصاب من عسكرهم ماشاء ، وجاء قَطَرِيٌّ في أثره كأنه يريد أن يقاتله ، فجاء حتَّى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز ، فترعم الخوارجُ أن عَيْنًا لِقَطَرِيٍّ جاءه فقال : سمعتُ عَتَّابًا يقول : إن هؤلاء القومَ إن ركبوا بَنَاتَ شَحَّاجٍ ، وقادُوا بَنَاتَ صَهَّالٍ ، ونزلوا اليومَ أرضًا وغدًا أخرى ، فبالحرى أن يبقوا ؛ فلمَّا بلغ ذلك قَطَرِيًّا خرج فذهب ونحلَّاهم .

قال أبو مخنف : قال أبو زهير العبسيّ وكان معهم : خرجنا إلى قَطَرِيٍّ من الغد مُشاةً مُصَلِّتين بالسيوف ؛ قال : فارتحوا والله فكان آخر العهد بهم . قال : ثم ذهب قَطَرِيٌّ حتَّى أتى ناحيةَ كِرْمَانَ فأقام بها حتَّى اجتمعت إليه جموعٌ كثيرةٌ ، وأكل الأرض واجتنبى المال وقوى ، ثم أقبل حتَّى أخذ في أرض أصبهان . ثم إنّه خرج من شِعْبٍ ناشِطٍ إلى أَيْدَجٍ ، فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل المُصْعَبِ بن الزبير على البصرة، فكتب إلى مصعب يُخبره أن الخوارج قد تحدّثت إلى الأهواز ، وأنه ليس لهم إلا المهلب ، فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة . فأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم ، وبعث إلى عمّله إبراهيم بن الأشتر ، وجاء المهلب حتَّى قدّم البصرة ، وانتخب الناس ، وسار بمن أحبّ ، ثمّ توجه نحو الخوارج ، وأقبلوا إليه حتَّى التقوا بسُؤْلَافٍ ، فاقتتلوا بها ثمانية أشهرٍ أشدّ قتال رآه الناس ، لا ينفع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصُدّ بعضهم عن بعض .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السّنة كان القَحْطُ الشّدِيدُ بالشّام حتَّى لم يقدروا من شدّته على الغزو .

وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيب من أرض قنسرين . فمطروا بها ، فكشّر الوحل فسمّوها بَطْنَانِ الطّينِ ، وشتّت بها عبد الملك ، ثمّ أنصرف منها إلى دِمَشق . وفيها قتل عبيد الله بن الحرّ .

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر]

* ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذى جرّ ذلك عليه :

رَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُرِّ كَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَالِحًا وَفَضْلًا ، وَصَلَاةً وَاجْتِهَادًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانُ وَهَاجَ الْهَيْجُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، قَالَ : أَمَا إِنْ اللَّهُ لَيَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ عُمَانَ ، وَلَأَنْصُرَنَّهُ مَيْتًا . فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الرَّأْيِ فِي الْعُمَانِيَّةِ ، فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، وَشَهِدَ مَعَهُ صِفَتَيْنِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلَى قَدَمِ الْكُوفَةِ فَأَتَى إِخْوَانَهُ وَمَنْ قَدْ خَفَ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَا أَرَى أَحَدًا يَنْفَعُهُ اعْتِزَالُهُ ، كُنَّا بِالشَّامِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَعَاوِيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنْ تُمْكِنَتِ الْأَشْيَاءُ فَاخْلَعُوا عُدْرَكُمْ ، وَامْلِكُوا^(١) أَمْرَكُمْ ؛ قَالُوا : سَنَلْتَقِي ، فَكَانُوا يَلْتَقُونَ عَلَى ذَلِكَ .

٧٦٦/٢

فَلَمَّا مَاتَ مَعَاوِيَةَ هَاجَ ذَلِكَ الْهَيْجُ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : مَا أَرَى قَرِيشًا تَنْصِفُ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الْحَرَارِثِ ! فَأَتَاهُ خَلِيعُ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَكَانَ مَعَهُ سَبْعُمِائَةِ فَارِسٍ ، فَقَالُوا : مُرْنَا بِأَمْرِكَ ، فَلَمَّا هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَمَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُرِّ لِفَتْيَانِهِ : قَدْ بَيَّنَّ الصَّبِيحُ لِدِي عَيْتَيْنِ ، فَإِذَا شِئْتُمْ ! فَخَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَدْعُ مَالًا قَدَّمَ مِنَ الْجَبَلِ لِلْسُلْطَانِ إِلَّا أَخْذَهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُ عَطَاءً وَأَعْطِيَهُ أَصْحَابِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لَكُمْ شُرَكَاءَ بِالْكُوفَةِ فِي هَذَا الْمَالِ قَدْ اسْتَوْجَبُوهُ ، وَلَكِنْ تَعَجَّلُوا عَطَاءَ قَابِلٍ سَلَفًا ، ثُمَّ كَتَبَ لَصَاحِبِ الْمَالِ بَرَاءَةً بِمَا قَبِضَ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَقَصَّى الْكُؤُورَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ . قَالَ : قُلْتُ : فَهَلْ كَانَ يَتَنَاوَلُ أَمْوَالَ النَّاسِ وَالتَّجَارَ ؟ قَالَ لِي : إِنَّكَ لَغَيْرُ عَالِمٍ بِأَبَى الْأَشْرُسِ^(٢) ، وَاللَّهِ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ

(٢) ف : « الْأَشْرُس » .

(١) ف : « فَاغْلِبُوا » .

عَرَبِيٌّ أَغْيَرَ عَنْ حُرَّةٍ وَلَا أَكْفَ عَنْ قَبِيحٍ وَعَنْ شَرَابٍ مِنْهُ ، وَلَكِنْ
لِنَّمَا وَضَعَهُ عِنْدَ النَّاسِ شِعْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَشْعَرِ الْفِتْيَانِ ^(١) . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ
مِنَ الْأَمْرِ حَتَّى ظَهَرَ الْمُخْتَارُ ، وَبَلَغَهُ ^(٢) مَا يَصْنَعُ بِالسَّوَادِ ، فَأَمَرَ ^(٣)
بِامْرَأَتِهِ أُمَّ سَلَمَةَ الْجُعْفِيَّةِ فَحُبِّسَتْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قُتْلَنَّهُ أَوْ لَا قُتْلَنَ
أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ أَقْبَلَ فِي فِتْيَانِهِ حَتَّى دَخَلَ
الْكُوفَةَ لَيْلًا ، فَكَسَّرَ بَابَ السِّجْنِ ، وَأَخْرَجَ امْرَأَتَهُ وَكُلَّ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ
كَانَ فِيهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارَ مَنْ يَقَاتِلُهُ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِصْرِ ،
فَقَالَ حِينَ أَخْرَجَ امْرَأَتَهُ مِنَ السِّجْنِ :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمُّ تَوْبَةَ أَنْنِي
وَأَنْتِ صَبَحْتَ السَّجْنَ فِي سُورَةِ الضُّحَى
فَمَا إِنْ بَرَحْنَا السِّجْنَ حَتَّى بَدَا لَنَا
وَنَحْدُ أَسِيلٍ عَنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
فَمَا الْعِيشَ إِلَّا أَنْ أَزُورَكَ آمِنًا
وَمَا أَنْتِ إِلَّا هَمَّةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى
وَمَا زِلْتُ مَحْبُوسًا لِحَبْسِكَ وَاجِمًا
فَبِاللَّهِ هَلْ أَبْصَرْتَ مِثْلِي فَارِسًا
وَمِثْلِي يُحَامِي دُونَ مِثْلِكَ لِأَنْنِي
أُضَارِبُهُم بِالسَّيْفِ عَنْكَ لِتَرْجِعِي
إِذَا مَا أَحَاطُوا بِبِي كَرَرْتُ عَلَيْهِمْ
دَعَوْتُ إِلَى الشَّاكِرِيِّ ابْنِ كَامِلٍ
وَإِنْ هَتَفُوا بِاسْمِي عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ
فَلَا غَرَوُ إِلَّا قَوْلَ سَلْمَى ظَعِينَتِي :

أَنَا الْفَارُسُ الْحَامِي حَقَائِقَ مَذْجٍ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الدِّمَارِ مُدْجٍ
جَبِينُ كَقَرْنِ الشَّمْسِ غَيْرُ مُشْنَجٍ
إِلَيْنَا سَقَاها كُلِّ دَانٍ مُشْجٍ
كِعَادَتِنَا مِنْ قَبْلُ حَرْبِي وَمُخْرَجِي
عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ خَلِيطِ مُسْحَجٍ
وَلِئِي بِمَا تَلْقَيْنَ مِنْ بَعْدِهِ شَجٍ
وَقَدْ وَلَجُوا فِي السِّجْنِ مِنْ كُلِّ مَوْلِجٍ !
أَشَدُّ إِذَا مَا غَمَرَةَ لَمْ تَفْرَجٍ
إِلَى الْأَمْنِ وَالْعِيشِ الرَّفِيعِ الْمُخْرِجِ
كَكَرَأِي شِبْلِينَ فِي الْخَيْسِ مُخْرَجٍ
فَوَلِّي حَيْثَا رَكُضُهُ لَمْ يُعْرَجٍ
خَيُْولَ كِرَامِ الضَّرْبِ أَكْثَرُهَا الْوَجِي
أَمَا أَنْتَ يَا بَنَ الْحَرِّ بِالْمُتَحَرِّجِ !

٧٦٨/٢

٧٦٧/٢

(١) ف : « القبيل » . (٢) ف : « فبلغ المختار » . (٣) س : « أمر » .

دَعِ الْقَوْمَ لَا تَقْتُلُهُمْ وَانْجُ سَالِمًا وَشَمَّرْ هَذَاكَ اللَّهُ بِالْخَيْلِ فَاخْرُجْ
وَإِنِّي لَأَرْجُو يَابِنَةَ الْخَيْرِ أَنْ أُرَى عَلَى خَيْرِ أَحْوَالِ الْمُؤَمِّلِ فَارْتَجِي
أَلَا حَبِذَا قَوْلِي لِأَحْمَرَ طَيِّئٍ وَابْنِ خُبَيْبٍ قَدْ دَنَا الصَّبْحُ فَادْلِجْ
وقولي لهذا سِرٍّ وقولي لهذا ارتحلٍ وقولي لهذا من بعد ذلك أسرج
وجعل يعبث بعمّالٍ المختار وأصحابه ، ووئبت هَمْدَانُ مع المختار
فأحرقوا داره ، وانتهبوا ضيعته بالجَبَّةِ والبُدَاةِ ، فلما بلغه ذلك سار إلى مآه إلى
ضِيَاعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، فَأَنْهَبَهَا وَأَنْهَبَ مَا كَانَ لَهُمْدَانُ
بِهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى السَّوَادِ فَلَمْ يَدْعُ مَالًا لَهُمْدَانِي إِلَّا أَخَذَهُ ، فِي ذَلِكَ
يَقُول :

وَمَا تَرَكَ الْكَذَّابُ مِنْ جُلٍّ مَالِنَا وَلَا الزَّرْقُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرَ شَرِيدِ
أَفَى الْحَقِّ أَنْ تَنْهَبَ ضِيَاعِي شَاكِرًا^(١) وَتَأْمَنَ عِنْدِي ضَيْعَةَ ابْنِ سَعِيدِ !
أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أُمُّ تَوْبَةَ أَنْنِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ غَيْرُ بَلِيدِ
أَشَدُّ حَيَازِمِي لِكُلِّ كَرِيهَةٍ وَإِنِّي عَلَى مَا نَابَ جَدُّ جَلِيدِ
فَإِنْ لَمْ أَصْبَحْ شَاكِرًا بِكُنْيَةٍ فَعَالَجْتُ بِالْكَفَّيْنِ غُلَّ حَدِيدِ
هُمْ هَدَمُوا دَارِي وَقَادُوا حَلِيلِي إِلَى سِجْنِهِمْ وَالْمُسْلِمُونَ شُهُودِي
وَهُمْ أَعْجَلُوهَا أَنْ تَشُدَّ خِمَارَهَا فَيَا عَجَبًا هَلِ الزَّمَانُ مَقِيدِي !
فَمَا أَنَا بِابْنِ الْحَرِّ إِنْ لَمْ أُرْعَهُمْ بِخَيْلٍ تَعَادَى بِالْكَمَافِ أُسُودِ
وَمَا جُبْنَتْ خَيْلِي وَلَكِنْ حَمَلَتْهَا عَلَى جَحْفَلٍ ذِي عُدَّةٍ وَعَدِيدِ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ . قَالَ : وَكَانَ يَأْتِي الْمَدَائِنَ فَيَمُرُّ بِعَمَّالٍ جُوخِيٍّ فَيَأْخُذُ
مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، ثُمَّ يَمِيلُ إِلَى الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ
الْمُخْتَارُ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْمُخْتَارُ قَالَ النَّاسُ لِمَصْعَبٍ فِي وَلايَتِهِ الثَّانِيَةِ : إِنْ ابْنَ الْحُرِّ شَاقَّ
ابْنَ زِيَادٍ وَالْمُخْتَارَ ، وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَثْبُ بِالسَّوَادِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، فَحَبَسَهُ مُصْعَبُ
فَقَالَ ابْنُ الْحُرِّ :

من مُبلغُ الفِتْيَانِ أَنَّ أَخَاهُمْ أَتَى دُونَهُ بَابٌ شَدِيدٌ وَحَاجِبَةٌ
بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَرْضَى بِمِثْلِهَا إِذَا قَامَ عَنْتَهُ كِبُولٌ تَجَاوِبَةٌ
عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الْكَعْبِ أَسْوَدُ صَامَتْ شَدِيدٌ يُدَانِي خَطْوَهُ وَيُقَارِبُهُ
وَمَا كَانَ ذَا مِنْ عُظْمٍ جُرْمٌ جَنِيَتْهُ وَلَكِنْ سَعَى السَّاعَى بِمَا هُوَ كَاذِبَةٌ
وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مَسْلُكٌ وَأَيُّ أَمْرٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ !
وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِيمَا مَضَى إِنْ نَابَ يَوْمًا نَوَائِبُهُ
فَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ مَدَحِجٍ أَنْ يَأْتُوا مُصْعَبًا فِي أَمْرِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى
وُجُوهِهِمْ ، فَقَالَ : ائْتُوا مُصْعَبًا فِكَلِّمُوهُ فِي أَمْرِي ذَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَبَسْتَنِي عَلَى
غَيْرِ جُرْمٍ ، سَعَى بِي قَوْمٌ كَذَبَةٌ وَنَحْوَفُوهُ مَا لَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلِهِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ
مِنْ شَأْنِي . وَأَرْسَلَ إِلَى فِتْيَانٍ مِنْ مَدَحِجٍ وَقَالَ : الْبَسُوا السِّلَاحَ ، وَخُذُوا
عِدَّةَ الْقِتَالِ ، فَقَدْ أَرْسَلْتُ قَوْمًا إِلَى مُصْعَبٍ يَكَلِّمُونَهُ فِي أَمْرِي ، فَأَقِيمُوا بِالْبَابِ ،
فَإِنْ خَرَجَ الْقَوْمُ وَقَدْ شَفَعْتَهُمْ فَلَا تَعْرِضُوا لِأَحَدٍ ، وَلَيْسَ كُنْ سِلَاحُكُمْ مَكْفَرًا
بِالْثِيَابِ ، فَجَاءَ قَوْمٌ ^(١) مِنْ مَدَحِجٍ فَدَخَلُوا عَلَى مُصْعَبٍ فَكَلَّمُوهُ ، فَشَفَعْتَهُمْ ،
فَأُطْلِقَتْ . وَكَانَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ خَرَجُوا وَلَمْ يَشْفَعْتَهُمْ فَكَايَرُوا
السَّجْنَ فَإِنِّي أُعِينُكُمْ مِنْ دَاخِلٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لَهُمْ : أَظْهَرُوا
السِّلَاحَ ، فَأَظْهَرُوهُ ، وَمَضَى لَمْ يَعْرِضْ لَهُ أَحَدٌ ، فَأَتَى مَنْزِلَتَهُ ، وَنَدِمَ مُصْعَبٌ
عَلَى إِخْرَاجِهِ ، فَأَظْهَرَ ابْنُ الْحُرِّ الْخِلَافَ ، وَأَتَاهُ النَّاسُ يَهْتَنُونَهُ ، فَقَالَ :
هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِ خُلَفَائِكُمُ الْمَاضِينَ ، وَمَا نَرَى لَهُمْ فِينَا نَدًّا
وَلَا شَبِيهًا فَتَلَقَّى إِلَيْهِ أَرْمَتْنَا ، وَنَحْنُ نَصِيحَتُنَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ مَنْ
عَزَّ بَزًّا ، فَعَلَامَ : نَعْقِدُ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَسِيعَةً ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعِ مَنْ لِقَاءَ ،
وَلَا أَعْظَمَ مَنْ غَنَاءَ ^(٢) ! وَقَدْ عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَلَّا طَاعَةَ لَخَلْقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَمَا رَأَيْنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِينَ إِمَامًا
صَالِحًا ، وَلَا وَزِيرًا تَقِيًّا ، كُلُّهُمْ عَاصٍ مُخَالِفٌ ، قَوِي الدُّنْيَا ، ضَعِيفُ

٧٧١/٢

٧٧٢/٢

(١) ف : « فجاءوا » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط « غنى » .

هاغان الهَمْدَانِيّ من خَيْثَوَان، ودعاه ابنُ الحرِّ إلى المُبَارَزة : شَرُّ دهر
آخره، ما كنتُ أَحْسَبُنِي أَعِيشَ حَتَّى يَدْعُوَنِي لِإِنْسَانٍ إِلَى المُبَارَزة ! فبَارَزَهُ
فَضْرَبَهُ ابنُ الحرِّ ضَرْبَةً أَثْمَخَتْهُ ، ثُمَّ اعْتَنَقَا فَخَرًّا جَمِيعًا عَنْ فَرَسَيْهِمَا ،
وَأَخَذَ ابنُ الحرِّ عِمَامَةَ يُونُسَ وَكَتَفَهُ بِهَا ثُمَّ رَكِبَ ، وَوَاظَاهُمُ الْحِجَّاجُ بنُ حَارِثَةَ
الْخَشْعَمِيّ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْحِجَّاجُ فَأَسْرَهُ أَيْضًا عُبَيْدُ اللَّهِ ^(١) ، وَبَارَزَ
بِإِسْطَامِ بنِ مَصْقَلَةَ الْحِشْرِ ، فَاضْطَرَبَا حَتَّى كَرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ،
وَعَلَاهُ بِإِسْطَامِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابنُ الحرِّ حَمَلَ عَلَى بِإِسْطَامِ وَاعْتَنَقَهُ بِإِسْطَامِ ،
فَسَقَطَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَسَقَطَ ابنُ الحرِّ عَلَى صَدْرِ بِإِسْطَامِ فَأَسْرَهُ ، وَأَسْرَ يَوْمئِذٍ
نَاسًا كَثِيرًا ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ : أَنَا صَاحِبُكَ يَوْمَ كَذَا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : أَنَا
نَازِلُ فَيْكُمْ ، وَبِمَسَّتْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا يَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُهُ ، فَيَخْلِي سَبِيلَهُ ،
وَبَعَثَ فَوَارِسَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ دَلَهُمُ الْمُرَادِيّ يَطْلُبُونَ الدَّهْقَانَ ،
فَأَصَابَهُ ، نَآخِذُوا الْمَالَ قَبْلَ الْقِتَالِ ، فَقَالَ ابنُ الحرِّ :

لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ جَرِيرٍ أَرْبَعَةَ صَبَحْتُ بَيْتَ الْمَالِ حَتَّى أَجْمَعَهُ
لَمْ يُهْلِنِي مُضْعَبٌ وَمِنْ مَعَهُ نِعَمَ الْفَتَى ذَاكُمُ أَبْنِ مَشْجَعَهُ

ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ أَتَى تَكَرَّيْتَ ، نَهَرَ بِعَامِلِ الْمُهَلَّبِ عَنْ تَكَرَّيْتَ ،
فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ يَجِبِي الْخِرَاجَ ، فَرَجَدَ إِلَيْهِ مَسْعَبُ الْأَبُودَ بنِ قُرَّةِ الرِّيَاحِيّ
وَالْبَجَوْنُ بنُ كَعْبِ الهَمْدَانِيّ فِي أَلْفٍ ، وَأَمَدَّهُمَا الْمُهَلَّبُ بِبِزِيدِ بنِ
الْمُقْتَلِ فِي خَمْسَمِائَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ سُبُعَى لِعُبَيْدِ اللَّهِ : قَدْ أَتَاكَ عَدَدٌ كَثِيرٌ ،
فَلَا تُفَاتِلِهِمْ ، فَقَالَ :

يَخَوْفُنِي بِالْقَتْلِ قَوِي وَإِنَّمَا أَمُوتُ إِذَا جَاءَ الْكِتَابُ الْمَوْجِلُ
لَعَلَّ الْقَنَا تُدْنِي بِأَطْرَانِهَا الْغَنَى فَحَيًّا كِرَامًا أَوْ نَكْرًا فَنَقْتَلُ

فَقَالَ لِلشَّجَرِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَايَتَهُ ، وَقَدَّمَ مَعَهُ دَلَهُمَا الْمُرَادِيّ ، فَقَاتَلَهُمْ
يَوْمَينَ وَهُوَ ثَلَاثُمِائَةٍ ، نَخَرَ جَرِيرُ بنُ كَرِيبَ ، وَقَتِلَ عَسْرُو بنُ
جُنْدَبِ الْأَرْدِيّ وَفَرَسَانُ كَثِيرٌ مِنْ فَرَسَائِهِ ، وَتَحَاجَزُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ ،

وخرج عبيدُ الله من تكريتَ فقال لأصحابه: إني سائرٌ بكم إلى عبد الملك ابن مروان ، فتهيّئوا ، وقال : إني أخاف^(١) أن أفارقَ الحياةَ ولم أذعُرْ مُصْعَبًا وأصحابه ، فارجعوا بنا إلى الكوفة . قال : فسار إلى كسكّر فننقَى عاملها ، وأخذ بيت ما ليها ، ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير ، فبعث إليه مُصْعَبُ عمر بن عبيد الله بن معمر ، ففجّاهُ إلى دبر الأعور ، فبعث إليه مُصْعَبُ حَجَّار بن أبيجر ، فانهزم حَجَّار ، فشتمه مُصْعَبُ وردّه ، وضمّ إليه الجون بن كعب الهَمْدانيّ وعمر بن عبيد الله بن معمر ، فقاتلوه بأجمعهم ، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحرّ وعُقِرَتْ خيولهم ، وجرح المجشّر ، وكان معه لواءُ ابن الحرّ ، فدفعه إلى أحمر طيئ ، فانهزم حَجَّار بن أبيجر ثم كرّ ، فاقتلوا قتالا شديداً حتّى أمسوا ، فقال ابن الحرّ :

لو أن لي مثلَ الفتى المُجشّرِ ثلاثةَ بيّتهم لا أمتري
ساعدي ليْلَةَ دَبرِ الأعورِ بالطعن والضربِ وعندَ المعبرِ
• لَطاحَ فيها عمرُ بنُ معمر •

وخرج ابنُ الحرّ من الكوفة ، فكتّبت مُصْعَبُ إلى يزيد بن الحارث بن رُويم الشيبانيّ - وهو بالمَدائن - يأمره بقتال ابن الحرّ ، فقدّم ابنه حَوْشِبًا فلقبّه بباجِسرِي ، فهزّمه عبيدُ الله وقتلَ فيهم ، وأقبل ابنُ الحرّ فدخل المَدائن ، فتحصّنوا ، فخرج عبيدُ الله فوجّه إليه الجون بن كَعْب الهَمْدانيّ وبِشْر بن عبد الله الأسديّ ، فنزل الجون حَوْلًا يًا ، وقدمَ بِشْر إلى تَامَرًا فلقِيَ ابنَ الحرّ ، فقَتَله ابنُ الحرّ ، وهزم أصحابه ، ثمّ لقي الجون بن كعب بِحَوْلًا يًا ، فخرج إليه عبدُ الرحمن بن عبد الله ، فحَمَلَ عليه ابنُ الحرّ فطعنَه فقَتَله وهزم أصحابه ، وتبّعهم ، فخرج إليه بِشْر بن عبد الرحمن بن بِشِير العِجْلِيّ ، فالتَمَقوا بِسُورًا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانحاز بِشِير عنه ، فرجع إلى عمله ، وقال : قد هزمتُ ابنَ الحرّ ،

٧٧٦/٢

فبلغ قوله مُصْعَبًا ، فقال : هذا من الذين يُحِبُّونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا . وَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي السَّوَادِ^(١) يُغَيِّرُ وَيَجْبِي الخراج ، فقال ابنُ الحُرِّ في ذلك :

سَلُّوا ابْنَ رُوَيْمٍ عَنْ جِلَادِي وَمَوْقِفِي بَايَوَانَ كَسْرَى لَا أُولِيَهُمْ ظَهْرِي
أَكْرُ عَلَيْهِمْ مُعْلِمًا وَتَرَاهُمْ كَمَغْزَى تَحْنِي خَشْيَةَ الذَّنْبِ بِالصَّخْرِ
وَبَيْتُهُمْ فِي حِصْنِ كَسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ بِمَشْحُودَةٍ بِيضٍ وَخَطِيئَةٍ سُمرِ
فَأَجْزَيْتُهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا تَرَاهُمْ يَلُودُونَ مِنَّا مَوْهِنًا بِذُرَا الْقَصْرِ^(٢)
يَلُودُونَ مِنِّي رَهْبَةً وَمَخَافَةً لَوَاذًا كَمَا لَاذِ الْحَمَائِمُ مِنْ صَقَرٍ

٧٧٧/٢

ثم إنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ الحُرِّ - فيما ذكر - لحق بعبد الملك بن مروان ، فلمَّا صار إليه وجهه في عشرة نفر نحو الكوفة ، وأمره بالمسير نحوها حتَّى تلحقه الجنودُ ، فسار بهم ، فلمَّا بلغ الأنبار وجهه إلى الكوفة من يُخْبِر أصحابه بقدمه ، ويسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسية ، فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة ، فسألوه أن يبعث معهم جيشًا ، فوجه معهم ، فلمَّا لقوا عُبَيْدَ اللَّهِ قَاتَلَتْهُمْ ساعة ، ثم غرقت فرسه ، وركب معبرًا فتوَّبت عليه رجلٌ من الأنباط فأخذ بعَضُدَيْهِ وَضَرَبَهُ الْبَاقُونَ بِالْمِرَادِي ، وصاحوا : إنَّ هذا طلبه أمير المؤمنين ، فاعْتَسَقَا فغَرَقَا ، ثم استخرجه فجزَّوا رأسه ، فبَسَعَتْهُمَا بِهِ إِلَى الْكُوفَةِ ثُمَّ إِلَى الْبَصْرَةِ .

قال أبو جعفر : وقد قيل في مَقْتَلِهِ غيرُ ذلك من القول ؛ قيل : كان سَبَبُ مَقْتَلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ الحُرِّ أَنَّهُ كَانَ يَغْشَى بِالْكُوفَةِ مُصْعَبًا ، فَرَأَاهُ يُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، فَكُتِبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزَّيْبِرِ - فيما ذكر - قَصِيدَةٌ يَعَاتِبُ بِهَا مُصْعَبًا وَيَخَوِّفُهُ مَسِيرَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ مَرْوَانَ ، يقول فيها :

(١) ف : « بالسواد » .

(٢) ف : « يلودون منا يونا » .

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ
أَفَى الْحَقِّ أَنْ أُجْفَى وَيَجْعَلَ مُصْعَبٌ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْلَيْتُكُمْ حَقَّ بَيْعِي
وَأَبْلَيْتُكُمْ مَالاً يُضَيِّعُ مِثْلَهُ
فَلَمَّا أَسْتَنَارَ الْمَلِكُ وَأَنْقَادَتِ الْعِدَا
جَفَا مُصْعَبٌ عَنِّي وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ
لَقَدْ رَابَنِي مِنْ مُصْعَبٍ أَنَّ مُصْعَبًا
وَمَا أَنَا إِنْ حَلَّ تَمُونِي بِرِوَارِدٍ
وَمَا لِمَرِيءٍ إِلَّا الَّذِي اللَّهُ سَائِقٌ
إِذَا قَمْتُ عِنْدَ الْبَابِ أَدْخِلْ مُسْلِمٌ

فَلَسْتُ عَلَى رَأْيٍ قَبِيحٍ أَوَارِبُهُ
وَزِيرِيهِ مَنْ قَدْ كُنْتُ فِيهِ أَحَارِبُهُ !
وَحَقِّي يُلَوِّى عِنْدَكُمْ وَأَطَالِبُهُ
وَأَسِئْتُكُمْ وَالْأَمْرُ صَغْبٌ مَرَاتِبُهُ
وَأُذْرِكُ مِنْ مَالِ الْعِرَاقِ رَغَائِبُهُ
لَأَصْبَحَ فِيهَا بَيْنَنَا لَا أَعَاتِبُهُ
أَرَى كُلَّ ذِي غِشٍّ لَنَا هُوَ صَاحِبُهُ
عَلَى كَدَرٍ قَدْ غُصَّ بِالصَّفْوِ شَارِبُهُ
إِلَيْهِ وَمَا قَدْ خَطَّ فِي الزَّيْرِ كَاتِبُهُ
وَيَمْنَعُنِي أَنْ أَدْخُلَ الْبَابَ حَاجِبُهُ

وهي طويلة .

وَقَالَ لِمُصْعَبٍ وَهُوَ فِي حَبْسِهِ ، وَكَانَ قَدْ حُبِسَ مَعَهُ عَطِيَّةُ بْنُ عَمْرٍو
الْبَكْرِيُّ ، فَمَخَّرَجَ عَطِيَّةً ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

أَقُولُ لَهُ صَبْرًا عَطِيٌّ فَإِنَّمَا
أَرَى الدَّهْرَ لِي يَوْمِينَ يَوْمًا مَطْرَدًا
أَتَطْعَنُ فِي دِينِي غَدَاةَ أَتَيْتُكُمْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ شَيْنَ وَجْهَهُ

هُوَ السَّجَنُ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا
شَرِيدًا وَيَوْمًا فِي الْمُلُوكِ مُتَوَجًّا
وَلِلَّذِينَ تُدْنِي الْبَاهِلَى وَحَشْرَجًا !
وَبَنَعَ بِلَادِ اللَّهِ قَدْ صَارَ عَوْسَجًا !

وهي طويلة .

وَقَالَ أَيْضًا يُعَاتِبُ مُصْعَبًا فِي ذَلِكَ ، وَيَذْكُرُ لَهُ تَقْرِيبَهُ سُؤِيدَ
ابْنِ مَسْجُوفٍ ، وَكَانَ سُؤِيدٌ خَفِيفَ اللَّحْيَةِ :

بَاءَى بِلَاءِ أَمِّ بَأْيَةٍ نَعْمَةٍ تَقْدَمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهْلَبُ

ويُدعى ابن منجوف إمامي كأنه
 وشيخُ تميمٍ كالثَّغَامَةِ رأسُهُ
 جَعَلْتُ قُصُورَ الْأَزْدِ مَا بَيْنَ مَنبِجٍ
 بِلَادُ نَفَى عَنْهَا الْعَدُوُّ سُيُوفُنَا
 وَخَصِي أَتَى لِلْمَاءِ وَالْعَيْرِ يَسْرُبُ
 وَعَيْلَانُ عَنَّا خَائِفٌ مُتَرَقِّبُ
 إِلَى الْغَافِ مِنْ وَادِي عُمَانَ تَصُوبُ
 وَصُفْرَةٌ عَنْهَا نَارُ الدَّارِ أَجْنَبُ
 وَقَالَ قَصِيدَةً يَهْجُو فِيهَا قَيْسَ عَيْلَانَ ، يَقُولُ فِيهَا :

أَنَا ابْنُ بَنِي قَيْسٍ فَإِنْ كُنْتَ سَائِلًا
 أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ بَرَقَعْتَ
 وَمَا زِلْتُ أَرْجُو الْأَزْدَ حَتَّى رَأَيْتُهَا
 فَكُتِبَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ إِلَى مُصْعَبٍ : قَدْ كَفَيْتِكَ قِتَالُ ابْنِ الزُّرْقَاءِ
 وَابْنِ الْحَرِّ يَهْجُو قَيْسًا . ثُمَّ إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ أَخَذُوا ابْنَ الْحَرِّ
 فَأَسْرَوْهُ ، فَقَالَ : إِنِّي إِنَّمَا قُلْتُ :

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْبَلْتُ
 فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ عَيْشَاشُ فَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ أَوْلَادَ عَلَّةٍ
 تَكَلَّمُ عَنَّا مَشِينًا بِسُيُوفِنَا
 فَلَوْ يَسْأَلُ ابْنُ الْحَرِّ أَخْبِيرَ أَنَّهَا
 وَأَخْبِيرَ أَنَا ذَاتُ عِلْمٍ سُيُوفُنَا
 وَأَغْرَقَ فِينَا نَزْغَةً كُلُّ قَائِلٍ
 إِلَى الْمَوْتِ وَأَسْتَنْشِطُ حَبْلَ الْمَرَاكِيلِ
 يَمَانِيَّةٌ لَا تُشْتَرَى بِالْمَغَازِلِ
 بِأَعْنَاقٍ مَا بَيْنَ الطُّلَى وَالْكُوَاهِلِ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ :

٧٨١/٢

تَرَنْمَتَ يَا بَنَ الْحَرِّ وَحَدَكَ خَالِيًا
 أَنْذَكُرُ قَوْمًا أَوْجَعْتُكَ رِمَاحَهُمْ
 وَتَبَكَّى لِمَا لَاقَتْ رُبَيْعُهُ مِنْهُمْ
 فَهَلَّا بِجُعْفَى طَلَبْتَ دُحُولَهَا
 بِقَوْلِ أَمْرِي نَشْوَانٌ أَوْ قَوْلِ سَاقِطٍ
 وَذَبُّوا عَنِ الْأَحْسَابِ عِنْدَ الْمَاقِطِ
 رِمَا أَنْتَ فِي أَحْسَابِ بَكْرِ بِوَاسِطٍ !
 وَرَهْطُكَ دُنْيَا فِي السَّنَنِ الْفَوَارِطِ !
 يَلُودُونَ مِنْ أَسْيَافِنَا بِالْعَرَافِطِ

وخالطكم يوم النخيل بجمعه
وعمر فما استبشرتُم بالمخالط
ويوم شراحيل جدعنا أنوفكم
وليس علينا يوم ذاك بقاسط
ضربنا بحد السيف مفرق رأسه
وكان حديثاً عهدُهُ بالمواسط
فإن رغمت من ذاك آنف مذحج
فرغماً وسخطاً للأنوف السواخط

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وافت عرقات أربعة ألوية ، قال
محمد بن عمر : حدثني شريحيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : وقعت في
سنة ثمان وستين بعرقات أربعة ألوية : ابن الحنفية في أصحابه في لواء
قام عند جبل المشاة ، وابن الزبير في لواء ، فقام مقام الإمام اليوم ، ثم
تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ، ونجدة الحروري
خلفهما ، ولواء بني أمية عن يسارهما ، فكان أول لواء انفض لواء محمد
ابن الحنفية ، ثم تبعه نجدة ، ثم لواء بني أمية ، ثم لواء ابن الزبير ،
واتبعه الناس .

٧٨٢/٢

قال محمد : حدثني ابن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابن عمر لم
يدفع تلك العشيّة إلا بدفعة ابن الزبير ، فلمّا أبطأ ابن الزبير وقد مضى
ابن الحنفية ونجدة وبني أمية قال ابن عمر : ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية —
ثم دفع ، فدفع ابن الزبير على أثره .

قال محمد : حدثني هشام بن عمار ، عن سعيد بن محمد بن
جبّير ، عن أبيه ، قال : خفت الفتنة ، فشيت إليهم جميعاً ، فجئت
محمد بن عليّ في الشعب ، فقلت : يا أبا القاسم ، اتق الله فإنّ في مشعر
حرام ، وبلد حرام ، والناس وفد الله إلى هذا البيت ، فلا تفسد عليهم
حجّهم ؛ فقال : والله ما أريد ذلك ، وما أحول بين أحد وبين هذا
البيت ، ولا يؤتّى أحد من الحاج من قبلي ، ولكني رجل أدفع عن نفسي
من ابن الزبير ؛ وما يروم مني ، وما أطلب هذا الأمر إلا ألا يختلف
عليّ فيه اثنان ! ولكن ائت ابن الزبير فكلّمه ، وعليك بنجدة ، قال

محمد: فجيئتُ ابنَ الزبير فكلّمته بنحو ما كلّمتُ به ابن الحنفية ، فقال :
 أنا رجل قد اجتمع على الناس وبأيّ عوفى ، وهؤلاء أهلُ خلاف ، فقلت :
 أرى خيراً^(١) لك الكفّ ؛ قال^(٢) : أفعل ، ثمّ جيئتُ نَجْدَةَ الحَرَوْرَى
 فأجدهُ في أصحابه ، وأجدُ عكرمةَ غلامَ ابنِ عباسٍ عنده ، فقلت له :
 استأذن لي على صاحبك ؛ قال : فدخل ، فلم يَنْشَبْ أن أذن لي ، فدخلتُ
 فعظمتُ عليه ، وكلّمته كما كلّمت الرّجلين ، فقال : أمّا أن ابْتَدِئَ أحداً
 بقتال فلا ، ولكنّ مَنْ بدأ بقتال قاتلته ؛ قلتُ : فإنّي رأيتُ الرّجلين
 لا يُريدان قتالَكَ ، ثمّ جيئتُ شيعَةَ بنى أميّة فكلّمتهم بنحو ما كلّمت
 به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نقاتلَ أحداً إلّا أن يقاتلنا ، فلم أرَ
 في تلك الألوية قوماً أسكّن^(٣) ولا أسلّمَ دفعةً من ابن الحنفية .

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابرُ
 ابنُ الأسود بن عوف الزّهريّ ، وعاصي البصرة والكوفة أخوه مُصعب ، وعلى
 قضاء البصرة هشامُ بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بن عتبة بن
 مسعود ، وعلى خراسانَ عبدُ الله بن خازم السّلَميّ ، وبالشّام عبدُ الملك
 ابنُ مَرْوان .

(٢) ١ : « أمكن » .

(١) ف : « الكف خير لك ، فقال » .

ثم دخلت سنة تسع وستين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروجُ عبد الملك بن مروان - فيما زعم الواقدي - إلى عين وردة ، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها ، فبَلَغَ ذلك عبد الملك ، فرجع إلى دمشق ، فحاصره - قال : ويقال : خرج معه - فلماً كان ببُطْنان حبيب ، رجع إلى دمشق فتحصن فيها ، ورجع عبد الملك إلى دمشق .

وأما عوانة بن الحَكَم فإنه قال - فيما ذكر هشام بن محمد عنه : - إن عبد الملك بن مروان لمَّا رجع من بُطْنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ، ثم سار يريد قرقسيباً ، وفيها زُفر بن الحارث الكلبي ومعه عمرو بن سعيد ، حتى إذا كان ببُطْنان حبيب فتلك عمرو بن سعيد ، فرجع لَيْلًا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزُهَيْر بن الأبرد الكلبي ، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحَكَم الثَّقَفِي قد استخلفه عبد الملك ، فلماً بلغه رجوع عمرو ابن سعيد هرب وترك عمله ، ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها .

* * *

وقال غيرهما : كانت هذه القصة في سنة سبعين . وقال : كان (١) مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مُصْعَب بن الزبير ، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص : إنَّكَ تَخْرُجُ إلى العراق ، وقد كان أبوك وعديني هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يَخَفْ عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يُجِبْهُ عبد الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو راجعاً إلى دمشق ، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق .

(١) : « وكان » .

رجع الحديث إلى حديث هشام ، عن عوانة ، قال : ولمّا غلب عمرو على دِمَشْق طلب عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم فلم يُصِبه ، فأمر بداره فهدّمت واجتمع الناس ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنّه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلّا زعم أن له جنةً وناراً ، يُدخل الجنة من أطاعه ، والنار من عصاه ، وإنّي أخبركم أن الجنة والنار بيد الله ، وأنّه ليس إلى من ذلك شيء ، غير أن لكم على حسن المؤاساة والعطيّة . ونزل .

٧٨٥/٢

وأصبح عبد الملك ، ففقد عمرو وسعيد ، فسأل عنه ، فأخبر خبره ، فرجع عبد الملك إلى دِمَشْق ، فإذا عمرو قد جُلّل دِمَشْق المُسَوِّح فقاتلته بها أيّاماً ، وكان عمرو بن سعيد إذا أخرج حميد بن حرّيث الكلبيّ على الخيّل أخرج إليه عبد الملك سُفَيان بن الأبرد الكلبيّ ، وإذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبيّ أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبيّ .

قال هشام حدثني عوانة ، أن الخيلين تواقفتا ذات يوم ، وكان مع عمرو بن سعيد رجلٌ من كَلَب يقال له رَجاء بن سراج ، فقال رجاء : يا عبد الرحمن بن سليم ، ابرُز — وكان عبد الرحمن مع عبد الملك — فقال عبد الرحمن : قد أنصف القسّارة من راماتها ، وبرز له ، فاطمعتنا وانقطع ركاب عبد الرحمن ، فنجا منه ابن سراج ، فقال عبد الرحمن : والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تبّن ، وما اصطلح عمرو وعبد الملك أبداً ، فلمّا طال قتالهم جاء نساء كَلَب وصبيّانهم فبكّيتن وقتلن لسُفَيان بن الأبرد ولا بن بحدل الكلبيّ : علام تقتلن أنفسكم لسلطان قُرَيْش ! فحلف كل واحد منهما ألا يرجع حتّى يرجع صاحبه ، فلمّا أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سُفَيان أكبر من حرّيث ، فطلبوا إلى حرّيث ، فرجع . ثم إن عبد الملك وعمراً اصطلحا ، وكتبّا بينهما كتاباً ، وآمنه عبد الملك وذاك عشية الخميس .

قال هشام : فحدثني عوانة أن عمرو بن سعيد خرج في الخيّل

٧٨٦/٢

مقتلداً قوساً سوداء ، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك ، فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب ، فقال لعمرو : يا أبا أمية ، كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس ! قال : لا ، ولكني أشبه بمن هو خير منهم ؛ العاص بن أمية . ثم قام مغضباً والخيل معه حتى دخل دمشق ، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس ، فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم ، فأرسل إليه عمرو : إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه . فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن ائتني - وهو عند امرأته الكلبيّة ، وقد كان عبد الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصبّاح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد ، فقال له : في هذا هلك حمير ، لا أرى لك^(١) ذلك ، لا ناقسي في ذا ولا جملي - فلما أتى رسول عبد الملك عمراً يدعوه صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أمية ، والله لأنت أحب إلى من سمعي وبصري ، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه ، وأنا أرى لك ألا تفعل ، فقال له عمرو : ولم ؟ قال : لأن تبيع ابن امرأة كعب الأحرار قال : إن عظيماً من عظماء ولد إسماعيل يرجع فيخلق أبواب دمشق ، ثم يسخر منها ، فلا يلبث أن يقتل ؛ فقال له عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينهني ابن الزرقاء ، ولا كان لي جترى على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه - وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد - فقال عمرو للرسول : أبلغه السلام ، وقل له : أنا رائح إليك العشيّة إن شاء الله . فلما كان العشي لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قوهي^(٢) وقديص قوهي ، وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبيّة ، وحמיד بن حرث بن بحدل الكلبي ، فلما نهض متوجّهاً ، عثر بالبساط ، فقال له حميد : أما والله لن^(٣) أطعنتني لم تأته ، وقالت له امرأته تلك المقالة . فلم يلتفت إلى قولهم ، ومضى في مائة رجل من مواليه ، وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده ، فلما بلغ عبد الملك

٧٨٧/٢

(١) ف : « لا أرى لي في ذلك » . (٢) قوهي : نسبة إلى قومستان .

(٣) ف : « لو » .

أَنَّهُ بِالْبَابِ أَمْرٌ أَنْ يُحْبِسَ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، وَلَمْ تَزَلْ أَصْحَابُهُ
يُحْبِسُونَ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ حَتَّى دَخَلَ عَمْرُو قَاعَةَ الدَّارِ ، وَمَا مَعَهُ إِلَّا وَصِيفٌ
لَهُ ، فَتَرَمَى عَمْرُو بِبَصَرِهِ نَحْوَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَإِذَا حَوْلَهُ بَنُو مَرْوَانَ ، وَفِيهِمْ حَسَّانُ
ابْنُ مَالِكٍ بِنِ سَحْدَلِ الْكَلْبِيِّ وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبِ الْخُزَاعِيِّ ، فَلَمَّا رَأَى جَمَاعَتَهُمْ
أَحْسَنَ بِالْشَّرِّ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى وَصِيفِهِ فَقَالَ : انْطَلِقْ وَيُحْكَمْكَ إِلَى يَحْيَى بْنِ
سَعِيدٍ ، فَقَالَ لَهُ يَأْتِينِي . فَقَالَ لَهُ الْوَصِيفُ وَلَمْ يَفْقَهُمْ مَا قَالَ لَهُ : لَبَّيْكَ ! فَقَالَ
لَهُ : اغْرُبْ عَنِّي فِي حَرِّ اللَّهِ وَنَارِهِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِحَسَّانَ وَقَبِيصَةَ : إِذَا
شِئْتُمَا فَفَعَلْتُمَا فَالْتَقِيَا وَعَمْرًا فِي الدَّارِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهَا كَالْمَازِحِ لِيُطْمِئِنَّ
عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ : أَيَكُمَا أَطْوَلُ ؟ فَقَالَ حَسَّانُ : قَبِيصَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَطْوَلُ مِنْنِي بِالْإِمْرَةِ ، وَكَانَ قَبِيصَةُ عَلَى الْخَاتَمِ . ثُمَّ التَفَتَ عَمْرُو إِلَى وَصِيفِهِ
فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى يَحْيَى فَمُرَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي ، فَقَالَ لَهُ : لَبَّيْكَ ، وَلَمْ يَفْقَهُمْ عَنْهُ ،
فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : اغْرُبْ عَنِّي ، فَلَمَّا خَرَجَ حَسَّانُ وَقَبِيصَةُ أَمَرَ بِالْأَبْوَابِ
فَعُلِقَتْ ، وَدَخَلَ عَمْرُو فَتَرَحَّبَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ : هَا هُنَا يَا أَبَا أُمَيَّةَ ،
يَرْحَمُكَ اللَّهُ ! فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَجَعَلَ يَحْدِثُهُ ^(١) طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ :
يَا غَلَامَ ، خُذِ السَّيْفَ عَنْهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّا لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْ تَطْمَعُ أَنْ تَجْلِسَ مَعِيَ مِتْقَلِدًا سَيْفَكَ ! فَأَخَذَ السَّيْفَ
عَنْهُ ، ثُمَّ تَحَدَّثَا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا أَبَا أُمَيَّةَ ؛
قَالَ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ حَيْثُ خَلَعْتَنِي آلَيْتُ بِيَمِينِ
إِنْ أَنَا مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْكَ وَأَنَا مَالِكٌ لَكَ أَنْ أَجْمَعَكَ فِي جَامِعَةٍ ، فَقَالَ لَهُ بَنُو
مَرْوَانَ : ثُمَّ تَطْلِقْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَطْلِقْهُ ، وَمَا عَسَيْتُ أَنْ
أُصْنَعَ بِأَبِي أُمَيَّةَ ! فَقَالَ بَنُو مَرْوَانَ : أَبِرَّ قَسَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عَمْرُو :
قَدْ أَبَرَ اللَّهُ قَسَمَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِ فَرَاشِهِ جَامِعَةً فَطَرَحَهَا
إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامَ ، قُمْ فَاجْمَعْهُ فِيهَا ؛ فَقَامَ الْغَلَامُ فَجَمَعَهُ فِيهَا ،
فَقَالَ عَمْرُو : أَذْكُرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُخْرِجَنِي فِيهَا عَلَى رِءُوسِ النَّاسِ !
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَمَسْكِرًا أَبَا أُمَيَّةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ! لَا هَا اللَّهُ إِذَا ! مَا كُنَّا

لنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رَعُوسِ النَّاسِ ، وَلَمَّا نَخَرَجَهَا مِنْكَ إِلَّا صُعْدًا .
ثُمَّ اجْتَبَاهُ اجْتِبَاذَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَرَ ثَنِيَّتَهُ ^(١) ، فَقَالَ عَمْرُو :
أَذْكُرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ إِلَى كَسْرِ عَظْمٍ مِنْي أَنْ تَرْكَبَ ^(٢) مَا هُوَ
أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلِمَ أَنَّكَ تُسَبِّحُ عَلَيَّ لَأَنْ
أَبْقَيْتَ عَلَيْكَ وَتَصْلَحَ قَرِيشٌ لِأُطْلَقَتْكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطُّ فِي
بَلَدَةٍ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو أَنَّ
ثَنِيَّتَهُ قَدْ انْدَقَّتْ ^(٣) وَعَرَفَ الَّذِي يَرِيدُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، قَالَ : أَغْدَرًا يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ !

* * *

وَقِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا جَذَبَ عَمْرًا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ جَعَلَ عَمْرُو
يَمْسُهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ : أَرَى ثَنِيَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ ^(٤) مِنْكَ مَوْقِعًا
لَا تَطِيبُ نَفْسُكَ بَعْدَهَا . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عُنُقُهُ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ . وَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ الْعَصْرَ ، فَخَرَجَ
عَبْدُ الْمَلِكِ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَأَمَرَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَامَ
إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَذْكُرَكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ تَتْلَى
أَنْتَ قَتْلَى ، وَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدَ رَحِمًا مِنْكَ ! فَأَتَى عَبْدَ الْعَزِيزِ
السَّيْفَ وَجَلَسَ ، وَصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صَلَاةً خَفِيفَةً ، وَدَخَلَ ، وَغُلِقَتِ الْأَبْوَابُ وَرَأَى
النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ حَيْثُ خَرَجَ وَلَيْسَ عَمْرُو مَعَهُ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ
فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى حَلَّ بِبَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ أَلْفُ عَبْدٍ لِعَمْرُو ، وَأَنَاسَ
بَعْدُ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، فَجَعَلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ يَصْبِحُونَ : « أَسْمَعْنَا صَوْتَكَ
يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وَأَقْبَلَ مَعَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ حُمَيْدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَزُهَيْرُ بْنُ الْأَبْرَدِ
فَكَسَرُوا بَابَ الْمَقْصُورَةِ ، وَضَرَبُوا النَّاسَ بِالسَّيُوفِ ، وَضَرَبَ عَبْدٌ لِعَمْرُو بَنِي
سَعِيدٍ يُقَالُ لَهُ مَصْقَلَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَمَلَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ عَرَبٍ صَاحِبُ الدِّيْوَانِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ الْقَرَاطِيسِ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَ
صَلَّى فَوَجَدَ عَمْرًا حَيًّا ، فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَقْتُلَهُ ! قَالَ :

(١) ف : « ثَنِيَّتِهِ » .

(٢) بَعْدَهَا فِي ف : « مِنْي » .

(٣) ف : « أَنْ ثَنِيَّتِي انْدَقَّتْ » .

(٤) ف : « أَرَى أَنْ ثَنِيَّتِكَ انْدَقَّتْ » .

مَنْعَنِي أَنَّهُ نَاشِدُنِي اللَّهَ وَالرَّحِمَ فَرَقَقْتُ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَخْزَى
اللَّهُ أَمَلَكَ الْبَوَالَةَ عَلَى عَقَبَيْيْهَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تُشَبِّهْ غَيْرَهَا — وَأَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ عَائِشَةَ
بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْلَى ،
وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّقَيْيَاتِ :

ذَاكَ ابْنُ لَيْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بَبَا بِلْدُونَ تَغْدُو جِفَانُهُ رُدْمًا^(١)

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ : يَا غَلَامَ ، اثْنِي بِالْحَرَبَةِ . فَأَتَاهَا بِالْحَرَبَةِ فَهَزَّهَا ،
ثُمَّ طَعَنَهُ بِهَا فَلَمْ تَجْزُ ، ثُمَّ ثَنَى فَلَمْ تَجْزُ ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى عَضُدِ عَمْرٍو ،
فَوَجَدَ مَسَّ الدَّرْعِ ، فَضَحِكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدَارِعٌ أَيْضًا يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! إِنْ
كَنتَ لِمَعْدًا ! يَا غَلَامَ ، اثْنِي بِالصَّصَامَةِ ، فَأَتَاهُ بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِعَمْرٍو
فَضْرَعَ ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ فَذَبَحَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا عَمْرُو إِنْ لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي^(٢)

وَانْتَفَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَعْدَةً — وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ زَعَمُوا يُصْبِيهِ إِذَا قَتَلَ
ذَا قَرَابَةَ لَهُ — فَحُمِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ صَدْرِهِ فُوضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ :
مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، قَتَلْتَهُ صَاحِبُ دُنْيَا وَلَا طَالِبُ آخِرَةٍ . وَدَخَلَ يَحْيَى
ابْنُ سَعِيدٍ وَمِنْ مَعِهِ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ الدَّارَ فَجَرَحُوهُمْ وَمِنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ
مَوَالِيهِمْ ، فَفَاتَكَلَّوْا يَحْيَى وَأَصْحَابَهُ ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ
الْتَقَى فَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّأْسَ ، فَأَلْقَاهُ إِلَى النَّاسِ ، وَقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ
فَأَخَذَ الْمَالَ فِي الْبَدْوِ ، فَجَعَلَ يُلْقِيهَا إِلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى
الْأَمْوَالِ وَرَأَوْا الرَّأْسَ انْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَتَفَرَّقُوا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنَ مَرْوَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ أَمَرَ غَلَامَهُ أَبَا الزُّعَيْرِ عَةً بِقَتْلِ عَمْرٍو ،
فَقَتَلَهُ وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى النَّاسِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَانَةُ : فَحَدَّثْتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ
الَّتِي طُرِحَتْ إِلَى النَّاسِ فَجُيِبَتْ حَتَّى عَادَتْ كُلُّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَرُمِيَ
يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يَوْمئِذٍ فِي رَأْسِهِ بِصَخْرَةٍ ، وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرَزَ إِلَى

(١) ديوانه ١٥٢ . ردما : ملاء . وبابلون : اسم لموضع القسطنطينية .

(٢) لدى الإصبع ، من المفضلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول :
وَيْسَحْبُكُمْ ! أين الوليد ؟ وأبيهم ! لأن كانوا قتلوه لقد أذكوا نارهم ، فأناه
إبراهيم بن عربي الكِنَانِي فقال : هذا الوليد عندي ، قد أصابته جراحة ،
وليس عليه بأس ، فأَتَى عبدُ الملك بيحيى بن سعيد ، فأمر به أن يُقتَلَ ،
فقام إليه عبدُ العزيز ، فقال : جَعَلَتِي الله فداك يا أمير المؤمنين ! أتراك
قاتلاً بنى أُمَيَّةَ في يوم واحد ! فأمر بيحيى فحبس ، ثم أتى بعنبة بن
سعيد ، فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين
في استئصال بنى أُمَيَّةَ وهلاكها ! فأمر بعنبة فحبس ، ثم أتى بعنبة بن سعيد
فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان ، فقال : اذكرك الله
يا أمير المؤمنين في استئصال بنى أُمَيَّة وهلاكها ! فأمر بعنبة فحبس ، ثم
أتى بعامر بن الأسود الكلبي فضرب رأسه عبدُ الملك بقضيب خيزران كان
معه ، ثم قال : أتقاتلني مع عمرو وتكون معه علي ! قال : نعم ، لأن
عمرًا أكرمني وأهنتني ، وأدانني وأقصيتني ، وقرَّبني وأبعدتني ، وأحسن إليَّ
وأساءت إليَّ ، فكنتُ معه عليك . فأمر به عبدُ الملك أن يُقتَلَ ، فقام
عبدُ العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين في خالي ! فوهبته له . وأمر
ببنى سعيد فحبسوا ، ومكث يحيى في الحبس شهراً أو أكثر . ثم إنَّ عبد الملك
صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم استشار الناس في قتله ، فقام
بعضُ خطباء الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، هل تلد الحية إلا حية ! نرى
والله أن تقتله فإنه منافق عدو . ثم قام عبدُ الله بن مسعدة الفزاري ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ يحيى ابنُ عمك ، وقرابته ما قد علمت ،
وقد صنعوا ما صنعوا ، وصنعت بهم ما قد صنعت ، ولست لهم بأمين ،
ولا أرى لك قتلهم ، ولكن سيرهم إلى عدوك ، فإن هم قتلوا كنت قد
كفيت أمرهم بيد غيرك ، وإن هم سلكوا ورجعوا رأيت فيهم رأيك .
فأخذ برأيه ، وأخرج آل سعيد فألحقهم بمُصعب بن الزبير ، فلمَّا
قدموا عليه دخل يحيى بن سعيد ، فقال له ابن الزبير : انفلت
وانحص الذنوب ، فقال : والله إن الذنوب لبسهلُبه . ثم إنَّ
عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبيَّة : ابغئي إلى بالصالح الذي كنتُ كتبته

لعمرو ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أنى قد لففت ذلك الصلح معه فى أكفانه ليُخاصمك به عند ربّه ، وكان عمرو بن سعيد وعبدُ الملك يلتقيان فى النسب إلى أميّة ، وكانت أمّ عمرو أمّ البنين ابنةُ الحَكَم ابنِ أبى العاص عمّة عبد الملك .

قال هشام : فحدثنا عوانة أنّ الذى كان بين عبد الملك وعمرو كان شراً قديماً ، وكان ابناً سعيد أمّهم أمّ البنين ، وكان عبدُ الملك ومعاوية ابنى مروان ، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أمّ مروان بن الحَكَم الكنانيّة يتحدّثون عندها ، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود ، وكانت أمّ مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ، ثمّ تأتيهم به فتضع بين يديّ كلّ رجل صحفة على حدة ، وكانت لا تزال تؤرّش بين معاوية ابن مروان ومحمّد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد ، فيقتتلون ويتصارمون الحين ، لا يكلم بعضهم بعضاً ، وكانت تقول : إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كلّما أتوها حتّى أثبتت الشّحناء فى صدورهم .

وذكر أنّ عبد الله بن يزيد القسرى أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة . فقاتل بنى مروان ، فلمّا قتل عمرو وأخرج رأسه إلى النّاس ركّب عبدُ الله وأخوه خالد فلاحقوا بالعراق ، فأقام مع وُلد سعيد وهم مع مُصعب حتّى اجتمعت الجماعة على عبد الملك ، وقد كانت عينُ عبد الله بن يزيد فُقيئت يوم المَرَج ، وكان مع ابن الزبير يُقاتل بنى أميّة ، وإنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آل يزيد ؟ فقال عبد الله : حرّباء حرّباء ، فقال عبد الملك : ذلك بما قدّمت أيديكم ، وما الله بظلام للعبيد .

قال هشام عن عوانة : إنّ وُلد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة : أميّة ، وسعيد . وإسماعيل . ومحمّد ، فلمّا نظر إليهم عبدُ الملك قال لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا تروّون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم ، وإنّ الذى كان بينى وبين أبيكم لم

يكن حديثاً ، بل كان قديماً في أنفُس أوليكم على أولينا في الجاهليّة .
فأقطع بأميّة بن عمرو - وكان أكبرهم - فلم يقدر أن يتكلّم ، وكان أنبلهم
وأعقلهم ، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال : يا أمير المؤمنين ،
ما تسعى علينا أمراً كان في الجاهليّة ، وقد جاء الله بالإسلام فهتدم ذلك ،
فوعدنا جنة ، وحدّثنا ناراً ! وأمّا الذي كان بينك وبين عمرو فإنّ عمراً
ابن عمك ، وأنّ أعلسم وما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفّني بالله
حسيباً ، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من
ظيهرها . فرق لهم عبد الملك رقّةً شديدة ، وقال : إنّ أباكم خيرني بين أن يقتلني
أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأمّا أنتم فما أرغبني فيكم ، وأوصلني
لقربائكم ، وأرعاني لحقكم ! فأحسن جائزتهم ، ووصلهم وقربهم .

وذكر أنّ خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب
منك ومن عمرو بن سعيد ، كيف أصبت غيرته فقتلته ! فقال عبد الملك :

بَإَنِيَّتِهِ مِنِّي لَيْسَ كَن رُوعُهُ فَأَصُولَ صَوْلَةٍ حَازِمٍ مُسْتَمَكِنٍ
غَضَبًا بِحِمِيَّةٍ لِدِينِي إِنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْمُحْسِنِ

قال عوانة : لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة ، فقال له : وربّ
هذه البنيّة ، ما كان في القوم مثل أبيك ، ولكنّه نازع القوم ما في أيديهم
فعطّيب .

٧٩٦/٢

وكان الواقدي يقول : إنّما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك
ابن مروان وعمرو بن سعيد الحصار ، وذلك أنّ عمرو بن سعيد تحصّن
بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حبيب ، فحاصره فيها ؛ وأمّا
قتله إيّاه فإنّه كان في سنة سبعين .

* * *

وفي هذه السنّة ^(١) حَكَّم محكّم من الخوارج بالخيف من منى فقتل
عند الجمرة ، ذكر محمد بن عمر أنّ يحيى بن سعيد بن دينار حدّثه عن

(١) قبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

أبيه ، قال : رأيته عند الحمرة سَلَّ سيفه ، وكانوا جماعةً فأَمْسَكَ اللهُ بأيديهم ، وبَدَرَ هو من بينهم ، فحكم ، فقال الناسُ عليه فَتَقَتْلُوهُ .
وأقام الحجَّ للناس في هذه السنة عبدُ اللهِ بنُ الزبير .

وكان عامله فيها على المصرين : الكوفة والبصرة^(١) أخوه مصعب بن الزبير^(٢) . وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح^(٢) وعلى قضاء البصرة هِشام بن هُبيرة ، وعلى خراسان عبدُ اللهِ بنُ خازم .

(١) ب ، ف : « البصرة والكوفة » .

(٢ - ٢) ب ، : « وعلى الكوفة شريح يتولى قضاءها » .

ثم دخلت سنة سبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من ذلك من المسلمين ؛ فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خروفاً منه على المسلمين .

وفيهما شخص - فيما ذكر^(١) محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة ، فتسمها في قومه وغيرهم ، وقد م بدواب كثيرة وظهور وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبشير بن شيبه ، وعبد الله بن مطيع مالا كثيراً ، ونحر بدينار كثيرة .

٧٩٧/٢

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء .

(١) ب ، ف : « زعم » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مُصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك - فيما قيل - لا يزال يقرب من مُصعب ، حتَّى يبلغ بطنان حسيب ، ويخرج مصعب إلى باجُميرًا ، ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعودان ؛ فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي :

لعمري لقد أصحرت خيلنا	بأكناف دجلة للمُصعب ^(١)
إذا ما مُنافق أهل العرا	قِ عُوتب تُمت لم يُعتب ^(٢)
دَلَفْنَا إِلَيْهِ بذي تُدرٍ	قليل التَّفَقُّدِ للغُيب ^(٣)
يهزُون كلَّ طويل القنا	ةِ مُلتئم النَّصلِ والثَّعلبِ ^(٤)
كَأَنَّ وَعَاهُمْ إِذَا مَاغَدُوا	ضجيجُ قَطَا بلدٍ مُخصب
فقدَمنا واضحٌ وجهُهُ	كريم الضرائب والمنصب
أَعَيْنَ بِنَا وَنَصَرْنَا بِهِ	ومن يَنْصُرُ اللهَ لم يُغْلَبِ ^(٥)

٧٩٨/٢

- (١) الأغاني ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ . (٢) هذا البيت والذي يليه لم يرد في رواية الأغاني .
(٣) ذو تدرأ . مدافع ذو عز ومتمعة . وفي المسعودي : « لدى موقف » .
(٤) الثعلب هنا : رأس الرمح . (٥) الأبيات برواية الأغاني :

لعمري لقد أصحرت خيلنا	بأكناف دجلة للمُصعب
يهزُون كلَّ طَوِيل القنا	ةِ لدنٍ ومعتدلِ الثَّعلبِ
فداؤُك أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا	وإن شئت زدت عليها أبي
وما قُلْتُهَا رَهْبَةً إِنَّمَا	يحلُّ العقاب على المذنب
إِذَا شِئْتُ نَازَلْتُ مُسْتَقْتَلَا	أزاحم كالجمال الأجرَبِ
فمن يلكُ مِنَّا يبيت آمناً	ومن يلكُ من غيرنا يهرُب

فحدثني عمرو بن شُبَّة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : أقبل عبدُ الملك من الشام يريد مُصعباً - وذلك قبل هذد السنة ، في سنة سبعين - ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجهتني إلى البصرة وأتبعته حتى خيلاً يسيرة رجوتُ أن أغلب لك عليها . فوجهه عبد الملك ، فقدمها مستخفياً في مواليه وخاصته ، حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلي .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجار عمرو بن أصمع خالداً ، وأرسل إلى عبَّاد بن الحُصَيْن وهو على شُرطة ابن معمر - وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر - ورجا عمرو بن أصمع أن يبايعه عبَّاد بن الحُصَيْن - بأنني قد أجزرتُ خالداً فأحببت أن تعلم ذلك لتكون ظهراً . فوافاه رسولُه حين نزل عن فرسه ، فقال له عبَّاد : قل له : والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيتك في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرك ، هذا عبَّاد يأتينا الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعك ؛ ولكن عليك بمالك بن مسَمَع .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنَّه نزل على علي بن أصمع ، فبلغ ذلك عبَّاداً^(١) فأرسل إليه عبَّاد : إني سائر إليك . ٧٩٩/٢

حدثني عمر [بن شُبَّة]^(٢) ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن مسلمة وعوانة^(٣) أن خالداً خرج من عند ابن أصمع يركض ، عليه قميص قسوي رقيق ، قد حسره عن فخذه ، وأخرج رجله من الركابين ؛ حتى أتى مالكا ، فقال : إني قد اضطررتُ إليك ، فأجزني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد ؛ فكانت أول راية أته راية بني يشكر . وأقبل عبَّاد في الخيل ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوا إلى حُمْصرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم قد أوتوه ؛ منهم صعصعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(١) ب ، ف : « فقال » .

(٢) من ب ، ف .

(٣) ب ، ف : « عن عوانة » .

بشراً، ومرة بن مَحْكَمَانَ ، في عدد منهم ؛ وكان أصحاب خالد جُفْرِيَّةَ ينسبون إلى الجُفْرَةِ ، وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيَّةَ ؛ فكان من الجُفْرِيَّةِ عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ وحُمران والمغيرة بن المهلب . ومن الزُبَيْرِيَّةِ قيس بن الميِّم السُّلَاسِيّ ؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فقتلناه رجل أبنرة فقال : غداً أعطيكها ، فقال غَطَفَان بن أنيف ، أحد بني كعب بن عمرو :

لَيْسَ مَا حَكَمْتَ يَا جَلَّاجِلُ النَّقْدُ دَيْنٌ وَالطَّعَانُ عَاجِلُ
« وَأَنْتَ بِالْبَابِ سَمِيرٌ آجِلٌ »

وكان قيس يعلّق^(١) في عنق فرسه جلالجل ، وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة القحفي^(٢) ؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم ، فيعطيهـم عشرة عشرة ، فتقيل له :

لَيْسَ مَا حَكَمْتَ يَا بَنَ وَبَرَةَ تُعْطَى ثَلَاثِينَ وَتُعْطَى عَشْرَةَ
ووجه المصعب زحر بن قيس الجعفي مددًا لابن مسعر في ألف ، ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مددًا لخالد ، فكـره أن يدخل البصرة ، وأرسل مطر بن التَّوَم فرجع إليه فأخبره بتفرق الناس ، فلكحق بعبد الملك .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : فحدثني شيخ من بني عرين . عن السكن بن قتادة ، قال : اقتتلوا أربعة عشر يومًا ، وأصيبت عين مالك ، فضجـر من الحرب ، ومشت السفراء ، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فصالحه ، على أن يخرج خالدًا وهو آمن ، فأخرج خالدًا من البصرة ، وخاف ألا يعجز المصعب أمان عبيد الله ، فلكحت مالك بثأج ، فقال الفرزدق يذكر مالكًا ولحقق التميمية به وبخالد :

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَمِيمٌ أَبُوهُمْ وَهُمْ فِي بَنِي سَعْدٍ عِظَامُ الْمَبَارِكِ^(٣)

(١) كذا في أ ، س ، وفي ط : « يعلم » .

(٢) ب : « الجعفي » ، س : « المعجني » . (٣) ديوانه ٦٠٠ .

وكانوا أعزَّ الناسِ قبلَ مَسِيرِهِمْ إلى الأَزْدِ مُصَفَّرًا لِجَاحِهَا وَمَالِكِ
فَمَا ظَنُّكُمْ بِابْنِ الْحَوَارِيِّ مُصْعَبٍ إِذَا افْتَرَّ عَنْ أَنْيَابِهِ غَيْرَ ضَاحِكٍ ٨٠١/٢
وَنَحْنُ نَفِينَا مَالِكًا عَنْ بِلَادِهِ وَنَحْنُ فَقَانَا عَيْنَهُ بِالنِّيَازِكِ

قال أبو زيد : « قال أبو الحسن : حدثني مسلمة ^(١) أن المصعب لما
انصرف عبد الملك إلى دمشق لم يكن ^(٢) له همّة إلا البصرة ، وطمع أن
يُدرك بها خالدًا ، فوجده قد خرج ، وأمن ابنُ معمرِ الناس ، فأقام
أكثرهم . وخاف بعضهم مصعبًا فشخص ، فغضب مصعب على ابن
معمر . وحلف ألا يوليه ، وأرسل إلى الجفريّة فسبّهم وأتبعهم .

قال أبو زيد : فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه أرسل إليهم
فأتى بهم ، فأقبل على عبيد الله بن أبي بكر ، فقال : يا بنَ مسروح ، إنّما
أنت ابنُ كلبَةٍ تعاورها الكلاب ، فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل
كلب بما يشبهه ، وإنّما كان أبوك عبدًا نزل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حصن الطائف ، ثم أقمت البيّنة تدعون أن أبا سفيان
زنى بأمتكم ، أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم . ثم دعا بحسّران
فقال : يا بن اليهوديّة ، إنّما أنت علج نبطي سببت من عين التمر .
ثم قال للحكّام بن المنذر بن الجارود : يا بن الخبيث ، أتدري من أنت
ومن الجارود ! إنّما كان الجارود علجًا يجزيرة ابن كاوان فارسيًا ، فقطع إلى
ساحل البحر ، فانتفى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيّا أكثر اشتالا
على سوءة منهم . ثم أنكح أخته المكنعبة الفارسي فلم يصب شرفاً قط
أعظم منه ، فهؤلاء ولدوا يا بن قباد . ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني
فقال : ألسن من أهل هجر ، ثم من أهل سماهيج ! أما والله لأرُدّ نك
إلى نسبك . ثم أتى بعل بن أصم ، فقال : أعبد لبني تميم مرة وعزى من
باهلة ! ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حنّاط فقال : يا بن المشتور ، ألم
يسرق عملك عنزًا في عهد عمر ؟ فأمر به فسيّر ليقطعه ! أما والله ما أعنت إلا

٨٠٢/٢

(١ - ١) ب ، ف : « عمر بن شبة عن أبي الحسن المدائني عن مسلمة » .

(٢) ب ، ف : « لم تكن » .

من يَنْكح أَخْتَك - وكانت أخته تحت مقاتل بن مِسمع - ثم أتى بأبي حاضِر
الأسدي فقال : يا بن الإصطخريّة ، ما أنت والأشراف ! وإنما أنت من
أهل قطر دعيّ في بني أسد ، ليس لك فيهم قريب ولا نسيب . ثم أتى
بزياد بن عمرو فقال : يا بن الكرمانيّ ، إنّما أنت عُلج من أهل كرمّان
قطعت إلى فارس فصرت ملاحاً ، ما لك وللحرب ! لأنّك بجرّ
القلس^(١) أخذق . ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال : أعلّى
تُكشّر وأنت عُلج من أهل هجر ، لحق أهلك بالطائف وهم يضمّون من
تأشّب إليهم يتعزّزون به ! أما والله لأردّتك إلى أصلك . ثم أتى بشيخ بن
النعمان فقال : يا بن الخبيث . إنّما أنت عُلج من أهل زند ورّد ، هربت
أمك وقتل أبوك ، فتزوج أخته رجل من بني يشكر ، فجاءت بغلامين ،
فألحنتك بنسبهما ، ثم ضربهم مائة مائة ، وحلق رءوسهم ولحاهم ، وهدم
دورهم ، وصهرهم في الشمس ثلاثاً . وحملهم على طلاق نسائهم ، وجسر
أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم ألا يَنْكحوا
الحرائر . وبعث مُصعب خدّاش بن يزيد^(٢) الأسديّ في طلب من
هرب من أصحاب خالد . فأدرك مرة بن محكان فأخذه ، فقال
مرة :

بني أسدٍ إن تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِياً إذا الحرب العَوَانُ اشْمَعَلَتْ
بني أسدٍ هلْ فيكمُ من هَوَادَةٍ فَتَعْفُونَ إِنْ كَانَتْ بِي النُّعْلُ زَلَّتْ
فَلَا تَحْسِبِ الْأَعْدَاءُ إِذْ غَبْتُ عَنْهُمْ وَأُورِيتُ مَعْنَاءً أَنَّ حَرْبِي كُلَّتْ
تَمْشِي خِدَاشٌ فِي الْأَسَكَةِ آمِنًا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنِّي الرِّمَاحُ وَعَلَّتْ

فقرّبه خدّاش فقتله - وكان خدّاش على شُرطة مُصعب يومئذ -
وأمر مُصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن

(١) القلس : جبل غليظ من جبال السفن .

(٢) ب ، ف : « مرثد » .

سَمِعَ فهدَمَهَا ، وَأَخَذَ مُصْعَبَ مَا كَانَ فِي دَارِ مَالِكٍ ، فَكَانَ فِيهَا أَخَذَ
جَارِيَةً وَلَدَتْ لَهُ عُمَرُ بْنُ مُصْعَبٍ . قَالَ : وَأَقَامَ مُصْعَبٌ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى (١)
شَخَصَ إِلَى الْكُوفَةِ ، ثُمَّ لَمْ (٢) يَزَلْ بِالْكُوفَةِ حَتَّى خَرَجَ (٣) لِحَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
وَنَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُسَكِّنًا ، وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْمَرْوَانِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ،
فَأَجَابَهُ كُلُّهُمْ وَشَرَطُوا عَلَيْهِ وَلايَةَ أَصْبَهَانَ : فَأَنَعَمَ بِهَا لَهُمْ كُلَّهُمْ ، مِنْهُمْ حَجَّارُ
ابْنُ أَبِي جَرٍّ ، وَالغَضْبَانُ بْنُ الْقَبْعَثَرِيِّ ، وَعَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، وَقَطْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَارِثِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَمُحَمَّدُ
ابْنُ عُمَيْرٍ ، وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَعَلَى مِيمَنَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُزَيْدِ بْنِ
مَعَاوِيَةَ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ خَالِدُ بْنُ يُزَيْدٍ ، وَسَارَ إِلَيْهِ مُصْعَبٌ وَقَدْ خَذَلَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ .
قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْغَفِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ : فَخَرَجَ يَسِيرُ مَتَسَكِّيًا عَلَى مَعْرِفَةِ
دَابَّتِهِ ، ثُمَّ تَصَفَّحَ (٤) النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى : فَقَالَ : يَا عُرْوَةُ ،
إِلَى ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، كَيْفَ صَنَعَ
بِلِيَاثَةِ النَّزُولِ عَلَى حُكْمِ ابْنِ زِيَادٍ وَعَزَمِهِ عَلَى الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ :

٨٠٤/٢

إِنَّ الْأَلَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَتَسَّوْا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا (٥)
قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَرِيمُ حَتَّى يُقْتَلَ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ - فِيمَا ذَكَرَ
مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ . عَنْ إِسْحَاقَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَبِيبَةَ - قَالَ : لَمَّا قَتَلَ عُمَرُو بْنُ
سَعِيدٍ وَضَعَ السَّيْفَ فَقَتَلَ مِنْ خِالْفِهِ . لَمَّا أَجْمَعَ بِالْمَسِيرِ إِلَى مُصْعَبٍ رَدَدَ
صَفَتَ لَهُ الشَّأْمُ وَأَهْلُهَا خَطَبَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ إِلَى مُصْعَبٍ ، فَاخْتَلَفَ
عَلَيْهِ رُؤَسَاءُ أَهْلِ الشَّأْمِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ لِمَا يَرِيدُهُ ، وَلَكِنْهُمْ أَحَبُّوا أَنْ يَفِيمَ وَيَقْدَمَ
الْجَيْشُ . فَإِنْ طَفَرُوا فَمَاذَا . وَإِنْ لَمْ يَطْفَرُوا أَمَدَّهُمْ بِالْجَيْشِ خَشْيَةً عَلَى
النَّاسِ إِنْ أَصِيبَ فِي لِقَائِهِ مُصْعَبٌ لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُ مَلِكٌ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَوْ أَقَمْتَ مَكَافِئَكَ وَبَحِثْتَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْجَيْشِ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ . ثُمَّ

٨٠٥/٢

رَحْتَهُ إِلَى مَصْعَبٍ ! فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا قَرَشِيٌّ
لَهُ رَأْيٌ ، وَلَعَلِّي أَبْعَثُ مِنْ لَهُ شَجَاعَةً وَلَا رَأْيَ لَهُ ، وَإِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي أَنِّي
بَصِيرٌ بِالْحَرْبِ ، شَجَاعٌ بِالسَّيْفِ إِنَّهُ أَلْحِثْتُ إِلَى ذَلِكَ ، وَمَصْعَبٌ فِي بَيْتِ
شَجَاعَةٍ ، أَبُوهُ أَشْجَعُ قَرِيشٍ ، وَهُوَ شَجَاعٌ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، يُحِبُّ
الْخَفْضَ ، وَمَعَهُ مَنْ يُخَالِفُهُ ، وَمَعِيَ مَنْ يَنْصَحُ لِي . فَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى
نَزَلَ مَسْكِينَ ، وَسَارَ مَصْعَبٌ إِلَى بَاجُوسَيْرٍ ، وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى شَيْعَتِهِ مِنْ
أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ بِكِتَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَخْتُومًا لَمْ يَقْرَأْهُ ،
فَدَفَعَهُ إِلَى مَصْعَبٍ ، فَقَالَ : مَا فِيهِ ؟ فَقَالَ : مَا قَرَأْتَهُ ، فَقَرَأَهُ مَصْعَبٌ فَإِذَا
هُوَ يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ وَلَايَةَ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ لِمَصْعَبٍ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَانَ
مِنْ أَحَدٍ آيَسٌ ^(١) مِنْهُ مِنِّي ، وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَى أَصْحَابِكَ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ الَّذِي كَتَبَ
إِلَيَّ ، فَأَطَعْنِي فِيهِمْ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ . قَالَ : إِذَا لَا تُنَاصِحُنَا عَشَائِرُهُمْ .
قَالَ : فَأَوْقَرُهُمْ حديدًا وَابْعَثْ بِهِمْ إِلَى أَبِيضٍ كَسَرَى فَاحْبِسْهُمْ ^(٢) هُنَاكَ ،
وَوَكَّلْ بِهِمْ مَنْ إِنْ غَلِبَتْ ضَرْبَ أَعْنَاقِهِمْ ، وَإِنْ غَلِبَتْ مَسَنَتَ بِهِمْ عَلَى
عَشَائِرِهِمْ . فَقَالَ : يَا أَبَا النُّعْمَانِ ، إِنِّي لَتَنِي شَغْلٌ عَنْ ذَلِكَ ، يَرْحِمُ اللَّهُ
أَبَا بَحْرٍ ، إِنْ كَانَ لِي سَحْذَرُنِي غَدَرُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، كَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى
مَا نَحْنُ فِيهِ !

حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ السَّرِيِّ ،
قَالَ : مِمَّنْ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِالْعَدْرِ بِمُصْعَبٍ . فَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ :
وَيَحْكُمُ ! لَا تَدْخُلُوا أَهْلَ الشَّامِ عَلَيْكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَنْ تَطْعَمُوا بَعِيشَكُمْ
لَيْسُ صُفِينٌ عَلَيْكُمْ مَنَازِلَكُمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ سَيِّدَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ
يَفْرَحُ إِنْ أُرْسِلَتْهُ فِي حَاجَةٍ ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي الصَّوَائِفِ وَأَحَدُنَا عَلَى أُنْفٍ بَعِيرٍ ،
وَلِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْ وَجْهِهِمْ لِيَفْزُو عَلَى فَرَسِهِ وَزَادَهُ خَلْفَتُهُ .

قَالَ : وَلَمَّا تَدَانَى الْعَسْكَرَانِ بِدَيْرِ الْجَائِلِيَيْنِ مِنْ مَسْكِينَ ، تَقَدَّمَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ فَحَمَلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَرَاهُ عَنْ مَوْصِعِهِ ، فَوَجَّهَهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ بَزِيدٍ بْنِ مَخَاوِيَةَ ، فَقَرَّبَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ

مروان . والتقى القومُ فقتلَ مُسلم بن عَمْرٍو الباهليَّ ، وقتلَ يَحْيَى ابن مبشَّر . أحد بني ثعلبة بن يَرْبُوع ، وقتلَ إبراهيم بن الأشتر ، فهرب عتَّاب ابنُ وَرْقَاء -- وكان على الخليل مع مصعب -- فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي : أبا عُمَان ، قدَّم خيلك ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولم ؟ قال : أكره أن تُقتَلَ مذحجٌ في غير شيء ، فقال لحجَّار بن أبجر : أبا أسيد ، قدَّم رايتك ؛ قال : إلى هذه العُدرة ! قال : ما تتأخَّر إليهِ والله أنتنَ والأُم ؛ فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك ، فقال : ما أرى أحداً فعَلَ ذلك فأفعله ، فقال مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيمَ لي اليوم !

حدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد بن سلام ، قال : أخبرني ابن خازم بمسير مُصعب إلى عبد الملك ، فقال : أمعه عمر بن عُبيد الله بن معمر ؟ قيل : لا ، استعمله على فارس . قال : أفعله المهلب بن أبي صفرة ؟ قيل : لا ، استعمله على الموصل . قال : أفعله عبَّاد بن الحصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة ، فقال : وأنا بخراسان !

خُذِينِي فَجُرِّينِي جَعَارٍ وَأُبْشِرِي بَلْحَمِ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرَةٌ فقال مصعب لابنه عيسى بن مُصعب : يا بُنَيَّ ، اركب أنتَ ومن معك إلى عمك بمكة فأنخبره ما صنع أهلُ العراق ، ودعني فإني مقتول . فقال ابنه : والله لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن إن أردت ذلك فالحقُّ بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحقُّ بأمر المؤمنين . قال مصعب : والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعه من خذلانها حتى أدخل الحرمَ مُنْهَزمًا ، ولكن^(١) أقاتل ، فإن^(٢) قُتِلْتُ فلعمرى ما السيفُ بعار ، وما الفرارُ لي بعادة ولا خُلُق ، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل . فرجع فقاتل حتى قتل .

قال علي بن محمد عن يحيى بن سعيد بن أبي المهاجر ، عن أبيه

(١) ب ، ف : « ولكن » . (٢) ب ، ف : « فلتن » .

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إن ابن عمك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا عبد الله بن عيساش ، عن أبيه ، قال : إننا لو قُوف مع عبد الملك بن مروان وهو يُحارب مصعباً إذ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسماعيل بن طلحة كان لي جاراً صدق ، قلتما أرادني مصعب بسوء إلا دفعه عني ، فإن رأيت أن تؤمنه على جرمه ! قال : هو آمن ، فضي زياد - وكان ضحماً على ضخم - حتى صار بين الصقيين ، فصاح : أين أبو البختري إسماعيل بن طلحة ؟ فخرج إليه ، فقال : إني أريد أن أذكر لك شيئاً ، فمدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما - وكان الناس ينتطقون بالحواشي المحشوة - فوضع زياد يده في منطقة إسماعيل ، ثم اقتلعه عن سرجه - وكان نحيفاً - فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحب إلي من أن أراك غداً مقتولاً .

ولمّا أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له : يا بن أخي ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد آمنك عمك فامض إليه ، قال : لا تتحدث نساء قريش أني أسلمتك للقتل ، قال : فتقدم بين يدي أحسبك ، فقاتل بين يديه حتى قتل ، وأثخن مصعب بالرّمى ، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشده عليه فطعنه ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، فاحتز رأسه ، وقال : إنّه قتّل أخى النابى بن زياد . فأتي به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : إني لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلته على وتر صنعه بي ، ولا آخذ في حمل رأس مالا . فتركه عند عبد الملك .

وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولى في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحدبني جأوة .

فحدثني عمر بن شُبَّه ، قال : حدثني أبو الحسن المَدَانِي ومَخْلَد بن يحيى بن حاضر ، أن مطرفاً أتى بالنابئ بن زياد بن ظَبْيَان ورجل من بني نَمِير قد قتلوا الطريق ، فقتل النابئ ، وضرب النَمِير بالسياط فتركه ، فجمع له عبيدُ الله بن زياد بن ظَبْيَان جَمْعاً بعد أن عزله مُصْعَب عن البصرة وولاه الأهواز ، فخرج يريدُه ، فالتَقِيَا فتَوَاقَعَا وبينهما نهر ، فعب مطرف إليه النهر ، وعاجله ابنُ ظَبْيَانَ فطَعَنَه فقتَلَه ، فبعث مُصْعَبُ مَكْرَم بن مطرف في طَلَب ابنِ ظَبْيَان ، فسار حتى بلغ عسكرَ مَكْرَم ، فنُسِب إليه ، ولم يلقَ ابنُ ظَبْيَان . ولحق ابن ظَبْيَان بعبد الملك لَمَّا قُتِل أخوه ، فقال البَيْعُثُ اليَشْكُرِي بعد قتل مُصْعَب يَذْكُر ذلك :

٨١٠/٢

ولما رأينا الأمرَ نكساً صُدُورُهُ وهمُ الهَوَادِي أَنْ تَكُنْ تَوَالِيَا^(١)
صَبَرْنَا لأمرِ الله حتى يُقِيمَهُ ولم نَرْضَ إِلَّا مِنْ أُمِيَّةَ والِيَا
ونحنُ قَتَلْنَا مُصْعَباً وابنَ مُصْعَبٍ أَخَا أَسَدٍ والنَّخَعِيَّ الْيَانِيَا
ومرَّتْ عُقَابُ الموتِ مِنَّا بِمِسْلَمٍ فَأَهْوَتْ لَهُ نَابِئاً فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
سَقَيْنَا ابنَ سِيدَانٍ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ كَفَفْتُنَا ، وخيرُ الأمرِ مَا كَانَ كَافِيَا
حدثني أبو زيد ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مرَّ ابنُ ظَبْيَانَ بَابَةَ مطرف بالبصرة ، فقبل لها : هذا قاتلُ أبيك ، فقالت : في سبيلِ الله أبي ، فقال ابنُ ظَبْيَان :

فلا في سبيلِ الله لاقى حِمَامَهُ أَبْلُوكِ وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ الدَّرَاهِمِ
فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ دَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ بنُ مُرْوَانَ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَبَايَعُوهُ ، وَكَانَ مُصْعَبُ قُتِلَ عَلَى نَهْرِ يُقَالُ لَهُ الدُّجَيْلُ عِنْدَ دَيْرِ الْجَاثَلِيْقِ فَلَمَّا قُتِلَ أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَبَابَتُهُ عَيْسَى فَدُفِنَا .

٨١١/٢

ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد ، عن أبي بكر بن عُمَرَ ، عن عروة

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِل مُصْعَب : واروهُ فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة ، ولكن هذا المُلْك عقيم .

قال أبو زيد : وحدَّثني أبو نعيم ، قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الزَّبير أبو أبي أحمد ، عن عبد الله بن شريك العامري ، قال : إني لواقفٌ إلى جنب مصعب بن الزَّبير فأخرجتُ له كتاباً من قَبَائِي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئت ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشام فدخل عسكره ، فأخرجَ جاريةً فصاحت : واذُلَّاه ! فنظر إليها مُصْعَب ، ثمَّ أعرَضَ عنها .

قال : وأتَى عبدُ الملك برأس مُصْعَب ، فنظر إليه فقال : متى تَغْذُو قريشٌ مثلك ! وكانا يتحدثان إلى حُبِّي ، وهما بالمدينة ، فقيل لها : قُتِل مصعب ، فقالت : تتعس قاتلُهُ ! قيل : قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، قالت : بأبي القاتل والمقتول !

قال : وحجَّ عبدُ الملك بعد ذلك ، فدخلتُ عليه حُبِّي ، فقالت : أقتلت أخاك مُصْعَباً ؟ فقال :

من يذُقِ الحربَ يجد طعمَهَا
وقال ابن قيس الرقيَّات :

لقد أَوْرَثَ المِصرَينِ خِزْباً وذِلَّةً
قَتِيلٌ بِدَيْرِ الجائِلِيقِ مُقِيمٌ^(١)
فما نصحتُ اللهَ بِكَرٍّ بَنُ وائِلٍ
ولا صَبَرْتُ عِندَ اللِّقَاءِ تَمِيمٌ
ولو كان بَكْرِيًّا تَعَطَّفَ حَوْلَهُ
كُتَّابٌ يَغْلِي حَمِيَّهَا وَيَدُومُ
ولكنَّهُ ضَاعَ الذَّمَامُ وَلَمْ يَكُنْ
بِهَا مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذَاكَ كَرِيمٌ
جَزَى اللهُ كُوفِيًّا هِناكَ مَلامَةً
وَبَصْرِيَّهْمُ إِنَّ المَلِيمَ مُلِيمٌ
وإنَّ بَنِي العَلَاتِ أَخْلَوْا ظُهُورَنَا
وَنَحْنُ صَرِيحٌ بَيْنَهُمْ وَصَمِيمٌ

(١) لأبي قيس بن الأسلت ، من الفضلية ٧٥ . والجمعاج : الحبس في المكان الخشن أو

الضييق . (٢) ديوانه ١٩٦ ، وبعده في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنفسِهِ
وقد أسلماه مُنْقَذٌ وَحَمِيمٌ

فَإِنْ نَفْسٌ لَا يَتَّقُوا وَلَا يَكُفُّوا عَنْكُمْ فِئْتَانٌ مِنْكُمْ فَأَكْثِرُوا الذِّكْرَ إِنَّكُمْ فِي عِندِ اللَّهِ بِأَعْيُنٍ مُصَبَّاتٍ

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنَّ ما ذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التي جرتُ بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين ، وأنَّ أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البصرة من قتل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين ، وقتل مصعب في جمادى الآخرة .

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفي هذه السنة دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي ؛ وأما أبو الحسن فإنه ذكر أنَّ ذلك في سنة اثنتين وسبعين .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين . ولما أتى عبد الملك الكوفة — فيما ذكر — نزل النخيلة ، ثم دعا الناس إلى البيعة ، فجاءت قضاة ، فرأى قلته ، فقال : يا معشر قضاة ، كيف سلمتم من مضر مع قتلكم ! فقال : عبد الله بن يعلى النهدي : نحن أعز منهم وأمنع ؛ قال : بمن ؟ قال : بمن معك منا يا أمير المؤمنين . ثم جاءت مدجج وهمدان فقال : ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً . ثم جاءت جعفي ، فلما نظر إليهم عبد الملك قال : يا معشر جعفي ، اشتعلتم على ابن أختكم ، وواريتموه ؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص — قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ؛ قالوا : وهو آمن ؟ قال : وتشرطون أيضاً ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشترط جهلاً بحقك ، ولكننا نسحب عليه تسحب الولد على والده ، فقال : أما والله لسيتم الحى أنتم ؛ إن كنتم لتفرضاناً في الجاهلية والإسلام ، هو أمين ، فجاءوا به وكان يكنى أبا أيوب . فلما نظر إليه عبد الملك قال أيا قبيح ، بأي وجه تنظر إلى ربك وقد

٨١٤/٢

خلعتني ! قال : بالوجه الذي خلقه ، فبايع ثم ولي فنظر عبدُ الملك في قفاه فقال : لله درّه ! أيّ ابن زوْمَلَة هو ! يعنى غريبة .

وقال عليّ بنُ محمّد : حدّثني القاسم بنُ معن وغيره أن معبّد بنَ خالد الجملّي قال : ثمّ تقدّمنا إليه معشرَ عدوّان ، قال : فقدّمنا رجلا وسبا جميلا ، وتأخّرتُ — وكان معبّد دميما — فقال عبدُ الملك : من ؟ فقال الكاتب : عدوّان ، فقال عبدُ الملك :

عذيرَ الحيّ من عدّوا نَ كانوا حيّة الأرض
بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ثم أقبل على الجميل فقال : إيه ! فقال : لا أدري ، فقلتُ من خلفه :
ومنهم حكّم يقضى فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيزُ الحجّ بالسنة والقرض^(١)
وهم مُدّ ولدوا شَبّوا بسر النسب المحض

قال : فتركني عبدُ الملك ، ثمّ أقبل على الجميل فقال : من هو ؟ قال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : ذو الإصبع ؛ قال : فأقبل على الجميل فقال : ولم سمي ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : لأنّ حيّة عضّت لإصبعه فقطعتنها ، فأقبل على الجميل فقال : ما كان اسمه ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : حرّثان بنُ الحارث ؛ فأقبل على الجميل ، فقال : من أيّكم كان ؟ قال : لا أدري ، فقلتُ من خلفه : من بني ناج ، فقال :

أبعدَ بني ناجٍ وسعيك بينهم^(٢) فلا تُتبعن عيّيك ما كان هالِكًا

(١) قال أبو الفرج : « قوله : « ومنهم من يجيزُ الناس » فإنّ إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها عدوان ، فصارت لرجل فيهم يقال له سياره . الأغاني ٣ : ٨٩ (٢) رواية الأغاني :

« وأما بنو ناجٍ فلا تُدكرنهم »

٨١٦/٢

إِذَا قُلْتُ مَعْرُوفًا لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ : لَا أَصَالِحَ ذَلِكَ
فَأُضْحِي كَظْهَرِ الْعَيْرِ جُبَّ سَنَامُهُ تُطِيفُ بِهِ الْوِلْدَانُ أَحَدَبَ بَارَكَا
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ ، فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : سَبْعُمِائَةٍ ، فَقَالَ لِي :
فِي كَمْ ؟ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبَيْنِ ، فَقَالَ : حُطًّا
مِنْ عَطَاءِ هَذَا أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَزَيْدَاهَا فِي عَطَاءِ هَذَا ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا فِي سَبْعِمِائَةٍ ،
وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ . ثُمَّ جَاءَتْ كِنْدَةُ فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
فَأَوْصَى بِهِ بِشَرًّا أَخَاهُ ، وَقَالَ : اجْعَلْنِي فِي صَحَابَتِكَ . وَأَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ
قَحْطَمٍ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيَّةُ الدَّوْدِيَّةُ ، وَبِهِ
سُمِّيَتْ ، فَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ
نَهَضَ وَنَهَضُوا مَعَهُ ، فَأَتَبَعَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بَصْرَةَ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقُ ، وَاللَّهِ
لَوْ لَا أَنَّ صَاحِبَهُمْ جَاءَنِي مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ مِنْهُمْ طَاعَةً ^(١) .

ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى - فِيمَا قِيلَ - قَطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيَّ الْكُوفَةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلَّى بِشَرَ بْنَ مَرْوَانَ وَصَّعِدَ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ فَخَطَبَ فَقَالَ :
إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يَزْعُمُ لَخَرَجَ فَأَسَى بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ
يَغْرُزْ ذَنْبَهُ فِي الْحَرَمِ . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ بِشَرَ بْنَ مَرْوَانَ ،
وَأَمْرَتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا .

٨١٧/٢

وَاسْتَعْمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى هَمْسَدَانَ ، وَيَزِيدُ بْنُ رُوَيْمٍ عَلَى
الرَّيِّ ، وَفَرَّقَ الْعُمَّالَ ، وَلَمْ يَفِ لَأَحَدٍ شَرْطٌ ^(٢) عَلَيْهِ وَلَا يَةَ أَصِيبَهَا ؛ ثُمَّ
قَالَ : عَلَى هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ الَّذِينَ أَنْتَفَعُوا الشَّامَ ، وَأَفْسَدُوا الْعِرَاقَ ، فَقِيلَ :
قَدْ أَجَارَهُمْ رُؤَسَاءُ عَشَائِرِهِمْ ، فَقَالَ : وَهَلْ يَجِيرُ عَلَى أَحَدٍ ! وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ بَلَغًا إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَبَلَغًا إِلَيْهِ أَيْضًا
يُحْيَى بْنُ مَعْيُوفٍ الْهَمْدَانِيَّ ، وَبَلَغًا الْهَذِلَ بْنَ زُفَرٍ بْنِ الْحَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ زَيْدٍ ^(٣)
الْحَكَمِيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَمَنَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَظَهَرُوا .

(١) انظر الأغاني ، ٣ : ٩١ ، ٩٢ . (٢) ب ، ف : « يشرط » .

(٣) س ، ابن الأثير : « يزيد » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكره وحمران بن أبان، فحدثني عمر بن شبة قال : حدثني علي بن محمد قال : لما قُتِلَ الْمُصْعَبُ وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكره فتنازعا في ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بكره : أنا أعظم غناء منك ، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفيرة . فقيل لحمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بكره ، فاستمعين بعد الله بن الأهم ، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكره ، ففعل ، وغلب حمران على البصرة وابن الأهم على شرطها .

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ؛ حدثني أبو زيد قال : حدثني أبو عاصم النبيل قال : أخبرني رجل قال : قدِمَ شيخٌ أعرابيٌّ فرأى حمران فقال : من هذا ؟ فقالوا : حمران ؛ فقال : لقد رأيتُ هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فمآبتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحدثتُ بذلك رجلاً من ولَدِ عبد الله بن عامر ، فقال : حدثني أبي أن حمران مدَّ رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها .

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفي هذه السنة بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً ، حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مكث حمران على البصرة سيراً ، وخرج ابن أبي بكره حتى قدِمَ على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مُصْعَبٍ ، فولَّى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها ، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكره خليفته على البصرة ، فلمَّا قدِمَ على حمران ، قال : أقدمتُ بجث لاجئت ! فكان ابن أبي بكره على البصرة حتى قدِمَ خالد .

وفي هذه السنة رجع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام .

قال : وفيها نَزَعَ ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسودِ بنِ عوفٍ عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف . قال : وهو آخرُ وال لابن الزبير على المدينة ، حتَّى قدم عليها طارقُ بنُ عَمْرٍو مولى عثمان ، فَهَرَبَ طلحة ، وأقام طارقُ بالمدينة حتَّى كتب إليه عبد الملك . وَحَجَّ بالناس في هذه السَّنة عبدُ الله بنُ الزبير في قول الواقدي .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبي غَسَّانَ مُحَمَّد بن يحيى ، قال : حدَّثني مصعب ابنُ عُمَان ، قال : لَمَّا انتهَى إلى عبد الله بن الزبير قتلُ مُصعب قام في الناس فقال :

الحمد لله الَّذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك من يشاء ، وَيَنْزِعُ الملكَ مِمَّن يشاء ، وَيُعِزُّ من يشاء ، وَيُذِلُّ من يشاء . ألا وإنَّه لم يُذَلِّ اللهُ من كان الحقَّ معه وإن كان فرداً ، ولم يُعَزَّزْ من كان وليَّه الشَّيْطَان وَحِزْبُهُ وإن كان^(١) معه الأنام طُرّاً . ألا وإنَّه قد أتانا من العراق خبرٌ حزننا وأفرَحَنا ، أتانا قَتْلُ مصعب رحمةُ الله عليه ، فأما الَّذي أفرَحَنا فعَلِمْنَا أنَّ قَتْلَهُ له شهادة ، وأمَّا الَّذي حزننا فإنَّ لفراقِ الحميمِ لوعةً يَسْجِدُها حَمِيمُهُ عند المصيبة ، ثُمَّ يَرْعَوِي مِنْ بَعْدِهَا ذُو الرأْيِ إلى جميلِ الصبرِ وكريمِ العزَاءِ ، ولئن أُصِيبَ بِمُصْعَبٍ لَقَدْ أُصِيبَ بِالزَّبِيرِ قَبْلَهُ ، وما أنا من عُثْمَانَ بِخَلْوٍ مصيبة ، وما مصعب إلاَّ عبدٌ من عبيدِ الله وَعَوْنٌ من أعوانِي . ألا إنَّ أهلَ العراقِ أَهْلَ الْغَدْرِ والنِّفَاقِ ، أَسْلَمُوهُ وباعُوهُ بِأَقْلِ الثَّمَنِ ، فَإِنْ يُقْتَلُ فَإِنَّا وَاللَّهِ ما نموت على مَضْاجِعِنَا كما تموت بنو أبي العاص ، والله ما قُتِلَ مِنْهُمْ رجلٌ في زَحْفٍ في الجاهليَّة ولا الإسلام ، وما نموت إلاَّ قَعَصاً^(٢) بالرماح ، وموتنا تحت ظلالِ السيوف . ألا إِنَّمَا الدنيا عَارِيَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ ، وَلَا يَسِيدُ مُلْكُهُ ، فَإِنْ تُقْبِلْ لَا آخِذَهَا أَخِذَ الْأَشِيرِ الْبَطْرِ ، وَإِنْ تُدْبِرْ لَا أَبْلُكُ عَلَيْهَا بَكَاءَ الْحَرِيقِ الْمَهِينِ ؛ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

وذكر أن عبد الملك لمّا قتل مصعباً ودخل الكوفة أمرَ بطعام كثير فصنّع ، وأمر به إلى الخوّرنق ، وأذن لإذنًا عامًّا ، فدخل الناسُ فأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حرّيث المخزومي فقال : إلىّ وعلى سريري ، فأجلسه معه ، ثم قال : أيّ الطعام أكلت أحبّ إليك وأشهى عندك ؟ قال : عَنّا^(١) حَمراء قد أجيد تمليحُها ، وأحكيَم نضجُها ، قال : ما صنعتَ شيئًا ، فأين أنتَ من عمروس^(٢) راضع قد أجيدَ سَمَطُه ، وأحكيَم نضجُه ، اختلجتَ إليك رجلَه ، فأتبعتهَا يَدُه ، غُذِيَ بِشَرِيحَيْنِ من لبن وسمن . ثمّ جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك بن مروان : ما ألدّ عيشنا لو أن شيئًا يدوم ! ولكنّا كما قال الأول :

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيِّمَ إلى بَلَى وكلُّ امرئٍ يومًا يصيرُ إلى كانٍ
فلما فرغ من الطعام طاف عبدُ الملك في القصر يقول لعمرو بن حرّيث : لِمَنْ هذا البيت ؟ ومَنْ بَنَى هذا البيت ؟ وعمرو يُخبره ، فقال عبدُ الملك :

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيِّمَ إلى بَلَى وكلُّ امرئٍ يومًا يصيرُ إلى كانٍ
ثمّ أتى مجلسه فاستلقّى ، وقال :

اعمل على مهلٍ فإنك ميّتٌ واكدَحْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
فكأنّ ما قد كان لم يكُ إذ مضى وكأنّ ما هو كائنٌ قد كان

* * *

وفي هذه السنة افتتَحَ عبدُ الملك - في قول الواقدي - قيساريّة .

(١) العنّا : الأنثى من أولاد المعزى .

(٢) في اللسان : « وفي حديث عبد الملك بن مروان : أين أنتَ من عمروس راضع ! عمروس

راضع : الحروف أو الجدّى إذا بلغا العدو » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العيصي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسؤلاف ثمانية أشهر أشد القتال ، أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قُتِل ، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه ، فناداهم الخوارج : ألا تُخبرونا ما قولكم في مُصعب ؟ قالوا : إمام هُدًى ؛ قالوا : فهو وليكم في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياء وأموات ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياء وأموات ؛ قالوا : فما قولكم في عبد الملك بن مروان ؟ قالوا : ذلك ابن اللعين ، نحن إلى الله منه بُراء ، هو عندنا أحلُّ دماً منكم ، قالوا : فأنتم منه بُراء في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم كبرائتنا منكم ؛ قالوا : وأنتم له أعداء أحياء وأموات ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعدائنا لكم ، قالوا : فإن إمامكم مُصعباً قد قُتل عبد الملك بن مروان ، ونراكم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، وأنتم الآن تتبرءون منه ، وتلعنُون أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله . فلما كان ٨٢٢/٢

من الغد تبين لهم قتل مُصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا : ما تقولون في مُصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله ؛ لا نخبركم ما قولنا فيه ، وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة ، وأنكم أولياؤه أحياء وأموات ، فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك إمامنا وخليفتنا - ولم يجدوا إذ بايعوه بدءاً من أن يقولوا هذا القول - قالت لهم الأزارقة : يا أعداء الله ، أنتم أمس تتبرءون منه في الدنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأموات ، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم ، وقد قتل إمامكم الذي كنتم

تولّونه ! فأيهما الحقّ ، وأيهما المهتدي ، وأيهما الضالّ ! قالوا لهم : يا أعداء الله ، رضيينا بذلك إذ كان وليّ^(١) أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضيينا بذلك ، قالوا : لا والله ولكنكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا . وبعث عبدُ الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة . فلما قدّم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومعاونتها ، وبعث عامر بن مسمع على سابور ، ومقاتيل بن مسمع على أردشير خنّره ، ومسمع بن مالك بن مسمع على فسّاء ودرا بجرّد ، والمغيرة بن المهلب على إصطخر .

ثمّ إنه بعث إلى مقاتيل فبعثه على جيش ، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فأنحطوا عليه من قبل كرمّان حتى أتوا درّا بمجرّد ، فسار نحوهم . وبعث قطريّ مع صالح بن مخزّاق تسعمائة فارس ، فأقبل ٨٢٣/٢ يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا ، يجرون على غير تعب ، فهزم الناس ، ونزل مقاتيل بن مسمع فقاتل حتى قُتل ، وانهمز عبد العزيز بن عبد الله ، وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائة ألف - وكانت جميلة - فغار رجل من قومه كان من رهوس الخوارج يقال له : أبو الحديد الشنّي ، فقال : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المشركة إلّا قد فتنّكم ، فضرب عنقه . ثمّ زعموا أنه لحق بالبصرة ، فرآه آل منذر فقالوا : والله ما ندرى أنحمّدك أم نذمّك ! فكان يقول : ما فعلته إلّا غيرة وحمية . وجاء عبد العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز ، وأتى المهلب فأخبر به ، فبعث إليه شيخاً من أشياخ قومه كان أحد فرسانه ، فقال : ائتني فإن كان منهزماً فعزّه وأخبره أنه لم يفعل شيئاً لم يفعلك الناس قبله ، وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلاً ، ثمّ بعزّه الله وبصره . فأناه ذلك الرجل ، فوجدوه نازلاً في نحو من ثلاثين رجلاً كثيراً حزينا ، فسلم عليه الأزديّ ، وأخبره أنه رسول المهلب ، وبلغه ما أمره به ، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثمّ انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر ، ٨٢٤/٢

فقال: أنا آتيه أخبره أن أخاه هُزِم ! والله لا آتيه ، فقال المهلب^(١) : لا والله لا يأتيه غيرك ، أنت الذي عاينته ورأيتَه ، وأنت كنتَ رسولِي إليه ، قال : هو إذًا يَهْدِيكَ^(٢) يا مهلب أن ذهبَ إليه العام ، ثم خرج . قال المهلب : أمّا أنت والله فإنك لي آمن ، أمّا والله لو أنك مع غيري ، ثم أرسلتك على رجلِك خرجت تشتد ! قال له وأقبل عليه : كأنك إنما تمنّ علينا بحِلْمِكَ ! فنحن والله نُكَافِثُكَ بل نزيد ، أما تتعلّم أنا نُعَرِّضُ أنفسنا للقتل دُونَكَ ، ونحميك من عدوّكَ ! ولو كنا والله مع من يَجهل علينا ، ويسبّعتنا في حاجاته على أرْجُلِنَا ، ثم احتاج إلى قتالنا ونُصْرَتنا جعلناه بيننا وبين عدوّنا ، ووقينا به أنفسنا . قال له المهلب : صدقتَ صدقتَ . ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرّحه إلى خالد يخبره خبر أخيه ، فأتاه الفتى الأزدى وحوله الناس ، وعليه جبّة خضراء ومُطَرَفٌ أخضر ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، فقال : ما جاء بك^(٣) ؟ قال : أصلحك الله ! أرسلني إليك المهلب لأخبركَ خبرَ ما عاينته ، قال : وما عاينت ؟ قال : رأيت عبدَ العزيز برامِهُرمُز مهزوماً ، قال : كذبت ، قال : لا ، والله ما كذبتُ ، وما قلتُ لك إلّا الحق ، فإن كنتُ كاذباً فاضربْ عُنِّي ، وإن كنتُ صادقاً فأعطيني أصلحك الله جبّةً منك ومُطَرَفَكَ . قال : ويَنحَكَ ! ما أيسرَ ما سألت ، ولقد رَضيت مع^(٤) ٨٢٥/٢ الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصّغير إن كنت صادقاً . فحبّسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبيّنت له هزيمةُ القوم ، فكَتَبَ إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنّي أخبر أميرَ المؤمنين أكرمه الله أني بعثتُ عبدَ العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج . وأنّهم لقّوه بفارس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عبدُ العزيز لما انهزم عنه الناس ، وقتل مقاتل بن مسمَح ، وقدم الفلّ إلى الأهواز . أحببتُ أن أعلم أميرَ المؤمنين ذلك ليأتيني رأيُه وأمرُه أنزل عنده إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمةُ الله .

(١) أ ، ب ، ف : « قال : فقال له المهلب » . (٢) كذا في أ ، ف : « يهديك » .

(٤) ب ، ف : « من » .

(٣) ب ، ف : « ما حاجتك » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أما بعد، فقد قدّم رسولك في كتابك، تُعلمني فيه بَعَثْتِكَ أَخَاكَ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَبِهَزِيمَةِ مَنْ هُزِمَ ، وَقَتْلَ مَنْ قُتِلَ ، وَسَأَلْتُ رَسُولَكَ عَنْ مَكَانِ الْمُهَلَّبِ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ عَامِلٌ لَكَ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حِينَ تَسَبَّحْتَ أَخَاكَ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَدَعَى الْمُهَلَّبَ إِلَى جَنْبِكَ يَسْجِي الْخُرَاجَ ، وَهُوَ الْمَيِّمُونَ النَّقِيبَةُ ، الْحَسَنُ السِّيَاسَةُ ، «البصير بالحرب، المُقاسي لها» ، ابْنُهَا وَابْنُ أَبْنَائِهَا ! انْظُرْ أَنْ تَنْهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى تَسْتَقْبِلَهُمْ بِالْأَهْوَازِ وَمِنْ وَرَاءِ الْأَهْوَازِ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى بِشْرِ أَنْ يُمَدِّكَ بِجَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا أَنْتَ لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَلَا تَعْمَلْ فِيهِمْ بِرَأْيٍ حَتَّى تُحْضِرَهُ الْمُهَلَّبَ ، وَتَسْتَشِيرَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَيَّلَ رَأْيَهُ فِي بَعَثَةِ أَخِيهِ (٢) وَتَرَكَ الْمُهَلَّبَ ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالِصًا حَتَّى قَالَ : أَحْضَرَهُ الْمُهَلَّبَ وَاسْتَشَرَهُ فِيهِ . ٨٢٦/٢

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

أما بعد، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ بِالنَّهْضِ إِلَى الْخَوَارِجِ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ تَرْضَاهُ ، فَإِذَا قَضَوْا غَزَاتِهِمْ تِلْكَ صَرَفْتَهُمْ إِلَى الرَّيِّ فَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ ، وَكَانُوا فِي مَسَالِحِهِمْ ، وَجَسَبُوا فِيهِمْ حَتَّى تَأْتِيَ أَيَّامَ عَقَبَتِهِمْ فَتُعْقِبِهِمْ (٣) وَتَبْعَ آخِرِينَ مَكَانَتِهِمْ .

فَقَطَعَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَنَ الْأَشْعَثِ ، وَقَالَ : إِذَا قَضَيْتَ غَزَاتَكَ هَذِهِ فَانْصَرِفْ إِلَى الرَّيِّ . وَكَتَبَ لَهُ عَلَيْهَا عَهْدًا . وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ ، وَجَاءَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ يَبْعَثُ أَهْلَ الْكُوفَةِ حَتَّى وَافَاهُمْ بِالْأَهْوَازِ ،

(١-١) ب ، ف : « المُقاسي للحرب » . (٢) ب ، ف : « بعثه بأخيه » .

(٣) س : « فتعقبهم » .

وجاءت الأزارقة حتّى دنّوا من مدينة الأهواز ومن مُعسكر القوم ، وقال المهلب لخالد بن عبد الله : إني أرى هاهنا سُفناً كثيرة ، فضُمَّها إليك ، فوالله ما أظنّ القومَ إلّا مُحْرِقِيها . فلبث إلّا ساعة حتّى ارتفعتُ خيلٌ من خيلهم إليها فحرقَتْها . وبعث خالد بن عبد الله على مِيمَنته المهلب ، وعلى ميسرته داود بن قحذَم من بني قيس بن ثعلبة ، ومروّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يُخندق ، فقال : يا بن أخي ، ما يَمْنَعُكَ من الخندق ! فقال : والله لهم أهونٌ عليّ من ضُرْطة الجَمَل^(١) ، قال : فلا يَهْؤُنُوا عليك يا بن أخي ، فإنَّهم سيَباعُ العَرَب ، لا أبرح أو^(٢) تَضْرِب عليك خندقاً ؛ ففعل .

وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم : « أهونٌ عليّ من ضُرْطة الجمل » ، فقال شاعرهم :

يا طالِبَ الحقِّ لا تُسْتَهوَ بِالْأَمَلِ فَإِنَّ مِنْ دُونِ مَا تَهْوَى مَدَى الْأَجَلِ
وَأَعْمَلْ لِرَبِّكَ وَأَسْأَلْهُ مَثُوبَتَهُ فَإِنَّ تَقْوَاهُ فَأَعْلَمُ أَفْضَلُ الْعَمَلِ
وَاغْزُ الْمَخَانِثَ فِي الْمَاضِي مُعْلِمَةً^(٣) كَيْمَا تُصَبِّحَ غَدَوْاً ضُرْطَةَ الْجَمَلِ

فأقاموا نحواً من عشرين ليلة . ثمّ إن خالداً زحف إليهم بالناس ، فرأوا أمراً هالِكاً من عدَد الناس وعُدَّتِيهم . فأخذوا يَسْحَازُونَ ، واجترأ عليهم الناس ، فكثرت عليهم الخيل ، وزحف إليهم فانصرفوا كأنَّهم على حامية وهم مولّون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذَم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الرّى وأقام المهلب بالأهواز ، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك :

أمّا بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجتُ إلى الأزارقة الذين مروا من الدّين ، وخرجوا من ولاية المسلمين ، فالتقينا بمدينة الأهواز

(١) الميداني ٢ : ٤٠٩ (٢) ب ، ف : « حتّى » .

(٣) ١ : « معملة » .

فتناهضنا فاقتلنا كأشدّ قتال كان في الناس . ثمّ إن الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين ، وضرب الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم ، ولا يمتنعون ولا يمتنعون ، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ، ثمّ ٨٢٨/٢ أتبعتهم داود بن قحذام ، والله إن شاء مهلكهم ومستأصلهم ؛ والسلام عليك .

فلما قدّم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر ابن مروان :

أما بعد ، فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس ، فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة ، فإن خالد أكتب إلى يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذام ، فرأى صاحبك الذي تبعث ألا يخالف داود بن قحذام إذا ما التقيا ، فإن اختلاف القوم بينهم عون لعدوهم عليهم . والسلام عليك .

فبعث بشر بن مروان عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذام بأرض فارس ، ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورجع عامة ذينك الجيشين مشاة إلى الأهواز ، فقال ابن قيس الرقيات - من بني مخزوم - في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته :

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم	وتركتهم صرعى بكل سبيل ^(١)
من بين ذى عطش يجرؤ بنفسه	وملحّب بين الرجال قتيل ^(٢)
هلاً صبرت مع الشهيد مقاتلاً	إذ رخت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم	فأرجع بعار في الحياة طويل ٨٢٩/٢
ونسيت عرسك إذ تقاد سبية	تبكى العيون برنة وعويل

* * *

[خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ وغلبته على البحرين]

وفي هذه السنة كان خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ ، وهو من بني قَيْسِـ ابنِ ثعلبة ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحَنْتِيّ ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قَطْرِيّ الأهواز وأمرُ أبي فُدَيْك ، فبعث أخاه أُمَيَّة بن عبد الله على جُنْد كثيف إلى أبي فُدَيْك ، فهزمه أبو فُدَيْك ، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه ، وسار أُمَيَّة على فرس له حتّى دخل البَصْرَة في ثلاثة أيّام ، فكتب خالد إلى عبد الملك بحالِه وحال الأزارقة .

* * *

[خبر توجيه عبد الملك الحَجَّاج لقتال ابن الزبير]

وفي هذه السنة وجّه عبدُ الملك الحَجَّاجُ بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله ابنِ الزبير ، وكان السبب في توجيهِه الحَجَّاجُ إليه دون غيره — فيما ذُكِر — أن عبدَ الملك لمّا أراد الرجوع إلى الشام ، قام إليه الحَجَّاجُ بنُ يوسف فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيتُ في منامِي أني أخذتُ عبدَ الله بنَ الزبير فسلّختُه ، فابْعَثْنِي إليه ، وولّيتُ قتالَه . فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام ، فسار حتّى قدِمَ مَكَّةَ ، وقد كتب إليهم عبدُ الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته . فحدثني الحارثُ ؛ قال : حدثني محمد بن سَعْدٍ ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُصْعَبُ بنُ ثابت ، عن أبي الأسود ، عن عُبَاد بن عبدِ الله بنِ الزبير ، قال : بعث عبدُ الملك بنُ مروان حين قُتِلَ مُصْعَبُ ابنِ الزبير الحَجَّاجُ بنَ يوسف إلى ابنِ الزبير بمَكَّةَ ، فخرج في ألفين من جُنْدِ أهل الشام في جُمَادَى من سنة اثنتين وسبعين ، فلم يَعرِضْ للمدينة ، وسلك طريقَ العِراق ، فنزل بالطائِف ، فكان يَبْعَثُ البُعُوثَ إلى عَرَقة في الخيل^(١) ، ويبعث ابنِ الزبير بَعْثًا فيقتلون هنالك ، فكلّ ذلك تُهزَمُ خيل ابنِ الزبير وترجع خيلُ الحَجَّاجِ بالطَّفَر . ثمّ كتب الحَجَّاجُ إلى عبدِ الملك يستأذنه في حصار ابنِ الزبير ودخولِ الحرّمْ عليه ، ويُخْبِرُه أن

(١) كذا في ا ، ب ، ف وفي ط : « الخ » .

شوكته قد كُتِلَتْ ، وتفرَّق عنه عامة أصحابه ، ويسأله أن يمدّه برجال ، فجاءه كتابُ عبدِ الملك ، وكتب عبدُ الملك إلى طارق بنِ عَمْرٍو يأمره أن يلبسَ حتى يمن معه من الجُند بالحجّاج ، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتّى لحق بالحجّاج . وكان قدومُ الحجّاج الطائف في شعبان سنة اثنتين وسبعين . فلمّا دخل ذو القعدة رحّل الحجّاج من الطائف حتّى نزل بئرِ مَيْمُون وحصر ابنُ الزبير .

حجّ الحجّاج بالناس في هذه السنة ، وابن الزبير محصور ، وكان قدومُ طارق مسكّة لَهْلَالِ ذِي الْحِجَّة ، ولم يَطُفْ بالبَيْت ، ولم يصل إليه وهو مُحْرِم ، وكان يلبسُ السلاح ، ولا يتقرّب النساء ولا الطيب إلى أن قُتِلَ عبدُ الله بنُ الزبير . ونسحر ابنُ الزبير بُدُونًا بمكّة يومَ النحر ، ولم يحجّ ذلك العام ولا أصحابه لأنّهم لم يَتَفَوْا بعرفة .

قال محمد بنُ عمر : حدّثنِي سعيد بنُ مسلم بنِ بابك ، عن أبيه ، قال : حجّجتُ في سنة اثنتين وسبعين فتقدّمنا مكّة ، فدخلناها من أعلاها ، فنجدُ أصحابَ الحجّاج وطارق فيما بين الحجّاجين إلى بئرِ مَيْمُون ، فطفنا بالبيت وبالصفّ والمرّوة ، ثمّ حجّ بالناس الحجّاج ، فرأيتُه واقفًا بالهَضَبَاتِ من عَرَقة على فرس ، وعليه الدَّرْع والمِغْفَر ، ثمّ صدّر فرأيتُه عدل إلى بئرِ ميمون ، ولم يَطُفْ بالبيت وأصحابه متسلّحون ، ورأيتُ الطّعام عندهم كثيرًا ، ورأيتُ العير تأتي من الشّأم تحمل الطّعام ؛ الكعك والسّويق والدقيق ؛ فرأيتُ أصحابه مخاصيب ، ولقد ابتعنّا من بعضهم كعكًا بدرهم ، فكفانا إلى أن بلغنا الجُحُفّة وإنّا لثلاثة نفر .

قال محمد بن عمر : حدّثنِي مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مولى بني ٨٣١/٢ أسد ، قال — وكان عالمًا بفتنة ابنِ الزبير — قال : حُصِر ابنُ الزبير ليلة هلالِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة اثنتين وسبعين .

[أمر عبد الله بن خازم السلمى مع عبد الملك]

وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمى يدعوه إلى بيعته ويطعمه خراسان سبع سنين ، فذكر على بن محمد أن الفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيذ حدثوه - قال : وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض - أن مصعب بن الزبير قتل سنة اثنتين وسبعين وعبد الله بن خازم بأبرشهر يقتل بحير بن ورقاء الصرمي صريم بن الحارث ؛ فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميري : إن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي . فقال ابن خازم لسورة : لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة ، فأكتبها .

قال : وقال أبو بكر بن محمد بن واسع : بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سودة بن عبيد الله النميري .

وقال بعضهم : بعث عبد الملك إلى ابن خازم سنان بن مكمّل الغنوي ، وكتب إليه : إن خراسان طعمة لك ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الذبّان^(١) لأنك من غنّى ، وقد علم أني لا أقتل رجلا من قيس ، ولكن كل كتابته .

قال : وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد - وكان خليفة ابن خازم على مرو - بعهد على خراسان ووعده ومنّاه ، فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك بن مروان ، فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر ، فترك بحيرا ، وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالتزمذ ، فأتبعه بحير ، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية : «شاهمغد» ، بينها وبين مرو ثمانية فراسخ .

قال : فقاتله ابن خازم ، فقال مولّي لبني ليث : كنت قريبا من معرك

القوم في منزل ، فلما طلعت الشمسُ تهايجَ العسكران ، فجعلتُ أسمعُ وقعَ السيوف ، فلما ارتفعَ النهارُ خفيتِ الأصواتُ ، فقلتُ : هذا لارتفاعِ النهارِ ، ٨٣٣/٢ فلما صليتِ الظهرَ - أو قبلَ الظهرَ - خرجتُ ، فلتقتاني رجلٌ من بني تميم ، فقلتُ : ما الخبرُ ؟ قال : قتلَ عدو الله ابن خازم وما هو ذا ، وإذا هو محمولٌ^(١) على بغل ، وقد شدوا في مَدَاكِرِه حَبْلًا وحجرًا وعدلوه به على البَعْل .

قال : وكان الذي قتله وكيعُ بنُ عُمَيْرَةَ القُرَيْبِيِّ وهو ابن الدَّوْرَقِيَّةِ ، اعتَوَرَ عليه بحير بن وَرْقاء وعمَّار بنُ عبد العزيز الجُشَمِيُّ وكيع ، فطعنوه فصرَّعوه ، فقعَدَ وكيع على صدره فقتلَه ، فقال بعضُ الولاةِ لو كيع : كيف قتلَ ابنَ خازم ؟ قال : غلبتهُ بِفَضْلِ القَنَا ، فلما صُرِعَ قعدتُ على صدره ، فحاول اللِيَامَ فلم يَقْدِرْ عليه ، وقلتُ : يا لثاراتِ دُوَيْلَةَ ! ودُوَيْلَةَ أَخْ لو كيع لأمته ، قُتِلَ قبل ذلك في غير تلك الأَيَّامِ .

قال وكيع : فتسنَّخَمُ في وجهي وقال : لعنك الله ! تقتل كبش مضر ، بأخيك ، عُلج لا يساوي كَفًّا من نوَّى - أو قال : مِن تراب - فما رأيتُ أحدًا أَكثَرَ ريقًا منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فذَكَرَ ابنُ هُبَيْرَةَ يومًا هذا الحديثَ فقال : هذه واللهِ البَسَالَةُ . قال : وبعثَ بِحَيْرِ سَاعَةَ قَتَلَ ابنَ خازم رجلًا من بني غُدَّانة إلى عبد الملك ابن مَرْوانَ يُخْبِرُهُ بِقَتْلِ ابنِ خازم ، ولم يَبْعَثْ بالرَّأسِ ، وأقبلَ بِكَيْرِ بنِ وشاح في أهل مَرْوَ فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذَ رأسِ ابنِ خازم ، فتنعه بِحَيْرٌ ، فضربه بكير بعمود ، وأخذَ الرَّأسَ وَقَيْدَ بِحَيْرٍ وأجسه ، وبعثَ بكير ٨٣٤/٢ بالرَّأسِ إلى عبد الملك ، وكتب إليه يُخْبِرُهُ أَنَّهُ هو الذي قتله ، فلما قُدِمَ بالرَّأسِ على عبد الملك دعا الغُدَّانِيَّ رسولَ بَحِيرٍ وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري ، وما فارقتُ القومَ حَتَّى قُتِلَ ، فقال رجل من بني سُلَيْم :

أَلَيْتَنَّا بَنِي سَابُورَ رُدِّي عَلَى الصَّبْحِ وَيَحْكُ أَوْ أَنْيِرِي
كُوا كُبُهَا زَوَاحِفُ لَا غِبَاتُ كَأَنَّ سَمَاءَهَا بِيَدِي مُدِيرِ

تَلَوُّمٌ عَلَى الْحَوَادِثِ أُمُّ زَيْدٍ وَهَلْ لَكَ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَكِيرٍ !
 جَهْلُنْ كِرَامَتِي وَصَدَدَنْ عَنِّي إِلَى أَجَلٍ مِنَ الدُّنْيَا قَصِيرٍ
 فَلَوْ شَهِدَ الْفَوَارِسُ مِنْ سُلَيْمٍ غَدَاةً يُطَافُ بِالْأَسَدِ الْعَقِيرِ
 لَنَازَلَ حَوْلَهُ قَوْمٌ كِرَامٌ فَعَزَّ الْوَتْرُ فِي طَلَبِ الْوَتُورِ
 فَقَدْ بَقِيَتْ كِلَابٌ نَابِحَاتٌ وَمَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَكَ مِنْ زَنْبِيرٍ
 فَوَيْلٌ لِلْحَجِّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ .

وكان العامل على المدينة طارقٌ مولى عثمان من قبيل عبد الملك ، وعلى الكوفة
 بيشر بن مروان ، وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .
 وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضائها هشام
 ابن هبيبة . وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمي ،
 وفي قول بعض : بكير بن وشاح . وزعم من قال : كان على خراسان
 في سنة اثنتين وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل
 بعد ما قتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم
 يدعوهُ إلى الدخول في طاعته على أن يُطعِمَهُ خراسان عشرين سنين بعد ما قتل
 عبد الله بن الزبير ، وبعث برأسه إليه ، وأن عبد الله بن خازم حلفَ لِمَا
 ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير ألا يُعْطِيَهُ طاعةً أبداً ، وأنه دعا
 بطست فغسل رأس ابن الزبير ، وحسّطه وكفّنه ، وصلى عليه ، وبعث به
 إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة ، وأطعم الرسول الكتاب ، وقال : لولا أنك
 رسولٌ لضربتُ عنقك . وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضربَ عنقه .

٨٣٥/٢

فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام^(١)

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
 عبد شمس بالعريّة ، وأن أول من كتب بالفارسيّة بيوراسب ، وكان في
 زمان لإدريس . وكان أول من صنّف طبقات الكتاب وبيّن منازلهم لهراسب
 ابن كاوغان بن كيموس .

(١) هذا الفصل ساقط من ١ .

وحكى أن أبرويز قال لكتابه : إنما الكلام أربعة أقسام :
سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، ونهيك عن ٨٣٦/٢
الشيء ؛ فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد ، وإن نقص
منها رابع لم تنقسم ، فإذا طلبت فأسجد ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت
فاحتم ، وإذا أنكرت فحقق .

وقال أبو موسى الأشعري : أول من قال : أما بعد داود ، وهي فصل
الخطاب الذي ذكره الله عنه .
وقال الهيثم بن عدي : أول من قال : أما بعد قس بن ساعدة
الإيادي .

أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ؛
فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين
يديه في حوائجه .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عتبة يكتبان بين
القوم في حوائجهم ، وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملوك عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]

وكتب لأبي بكر عثمان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم
وعبد الله بن خلف الخزاعي ، وحسن ظلة بن الربيع .
وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ،
وعبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة ،
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري .
وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعمله : إن القوة على العمل ألا

تَوَخَّرُوا عَمَلَ الْيَوْمِ لَعَدَ ، فَإِنْ كُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَذَاءَبَتْ^(١) عَلَيْكُمْ الْأَعْمَالُ ،
٨٣٧/٢ فَلَا تَتَدَرُونَ بِأَيِّهَا تَبْدَعُونَ ، وَأَيُّهَا تَأْخُذُونَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ
فِي الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِعُمَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَكْتُبُ لَهُ
عَلَى دِيْوَانِ الْمَدِينَةِ ، وَأَبُو جَبْرِ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى دِيْوَانِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ أَبُو غَطَفَانَ
ابْنُ عَوْفٍ بْنُ سَعْدٍ بْنُ دِينَارٍ مِنْ بَنِي دُهْمَانَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ يَكْتُبُ لَهُ ،
وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ أَهْيَبُ مَوْلَاهُ ، وَحِمْرَانُ^(٢) مَوْلَاهُ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَعِيدُ بْنُ نَعْمَانَ الْهَمْدَانِيُّ ، ثُمَّ وَلِيَ
قَضَاءَ الْكُوفَةِ لَابْنُ الزَّيْبِرِ . وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَرُوِيَ أَنَّ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَبْرِ كَتَبَ لَهُ . وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ يَكْتُبُ لَهُ . وَاخْتَلَفَ
فِي اسْمِ أَبِي رَافِعٍ ، فَقِيلَ : اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَقِيلَ : أَسْلَمُ ، وَقِيلَ : سَنَانٌ ، وَقِيلَ :
عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ عَلَى الرَّسَائِلِ عُبَيْدُ^(٣) بْنُ أَوْسٍ الْغَسَّانِيُّ .
وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ عَلَى دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَرْجُونُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّومِيُّ . وَكَتَبَ لَهُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَرَّاجٍ ، وَهُوَ مَوْلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ عَلَى بَعْضِ دَوَاوِينِهِ
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحِجَابِ بْنِ عَمَلَاءِ السُّلَمِيِّ .
وَكَانَ يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ بْنُ يَزِيدَ الرِّيَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَيَكْتُبُ لَهُ عَلَى
الدِّيْوَانِ سَرْجُونُ . وَيُرْوَى أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ أَبُو الزَّعِيْزَةِ .

وَكَتَبَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ بْنِ حَلَجَلَةَ الْخُرَاعِيِّ ،
وَيُكْنَى أَبَا إِسْحَاقَ . وَكَتَبَ عَلَى دِيْوَانِ الرَّسَائِلِ أَبُو الزَّعِيْزَةِ^(٤)
مَوْلَاهُ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِلْوَلِيدِ الْقَعْقَاعُ بْنُ خَالِدٍ - أَوْ خُلَيْدِ الْعَبْسِيِّ ، وَكَتَبَ لَهُ عَلَى
دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَلِمَانُ بْنُ سَعْدِ الْخُشْتِيِّ ، وَعَلَى دِيْوَانِ الْخَاتَمِ شُعَيْبُ

(١) تَذَاءَبَتْ الْأَعْمَالُ : اجْتَمَعَتْ وَتَرَاكَتْ .

(٢) ط : « عمران » ، وَاَنْظُرِ الْفَهْرَسَ .

(٣) ط : « عبيد الله » وَاَنْظُرِ الْفَهْرَسَ .

(٤) ب : « الزعيرعة » .

العُمَاسِيُّ مَولاهُ ، وعلى ديوان الرِّسائل جناح مَولاهُ ، وعلى المُستَغَلَّات نَفِيعُ ابنُ ذُوَيْب مَولاهُ . ٨٣٨/٢

وكان يَكْتُبُ لِسليمان سَليمانُ بنُ نَعيم الحِمْيَرِيّ .

وكان يَكْتُبُ لمُسلِّمةَ سَمِيع مَولاهُ ، وعلى ديوان الرِّسائل اللَّيْثُ بنُ أَبِي رُقَيَّةَ مَولَى أُمِّ الحَكَمِ بنتِ أَبِي سَفْيان ، وعلى ديوان الخِراج سَليمانُ بنُ سَعد الخُشَنَسِيّ ، وعلى ديوان الخِاتَمِ نَعيْمُ بنُ سَلامة مَولَى لأهل اليَمَن من فِلَسْطِين : وقيل : بل رجاء بن حَيَّوَة كان يَتَقَلَّد الخِاتَم .

وكان يَكْتُب ليزيدَ بن المَهلب المَغيرةُ بنُ أَبِي فَرَوَة .

وكان يَكْتُب لعمَرَ بن عبد العزيز اللَّيْثُ بنُ أَبِي رُقَيَّة (١) مَولَى أُمِّ الحَكَمِ بنتِ أَبِي سَفْيان ، ورجاء بن حَيَّوَة . وكتب له إِسماعيلُ بنُ أَبِي حَكيم مَولَى الزَّبير ، وعلى ديوان الخِراج سَليمانُ بنُ سَعد الخُشَنَسِيّ ، وقُلِّد مكانَه صالحُ بن جُبَيْر الغَسَّاسِيّ - وقيل : الغُدَّاسِيّ - وَعَدَى بنُ الصَّبَّاح بن المَثَنِيّ ، ذَكَر الهَيْمُ بنُ عَدَى أَنه كان من جِلَّة كُتَّابِه .

وَكَتَبَ ليزيدَ بن عبد الملك قبل الخِلافة رَجُلٌ يُقال له يَزِيد بن عبد الله ، ثُمَّ اسْتَكْتَبَ أَسامةَ بنَ زَيْد السُّلَيسِيّ .

وَكَتَبَ لهُشام سَعيدُ بنُ الوَليد بن عمرو بن جَبَلَة الكَلْبِيّ الأَبْرَش ، وَيُكَنَّى أبا مَخاشَع ، وكان نَصْر بن سَيَّار يَتَقَلَّد ديوان خِراج خُرَّاسان لهُشام . وكان من كُتَّابِه بالرُّصافة شَعبُ بنُ دِينار .

وكان يَكْتُب للوليد بن يَزِيدَ بَكيرُ بن الشِّمَّاخ : وعلى ديوان الرِّسائل سَالمُ مَولَى سَعيد بن عبد الملك ، وَمِنْ كُتَّابِه عبدُ الله بنُ أَبِي عمرو ، وَيقال : عبدُ الأعلى بن أَبِي عمرو ، وكتب له على الحَضرة عَمَرُو بنُ عُتْبَة . ٨٣٩/٢

وَكَتَبَ ليزيدَ بن الوليد الناقص عبدُ الله بنُ نَعيْم ، وكان عَمَرُو ابنُ الحارث مَولَى بَنِي جُمُح يَتَوَلَّى له ديوان الخِاتَم ، وكان يَتَقَلَّد له ديوان

(١) ط : « ابن أبي فَرَوَة » ، وانظر تصويبات ط .

الرسائل ثابتُ بنُ سليمانُ بنُ سعد الخُشَنِيّ - ويقال الربيع بن عرعة الخُشَنِيّ - وكان يتقلد له الخراج والدَيوانَ الذى للخاتَم الصغير النَضْر بن عَمْرٍو مِن أهل اليَمَن .

وكتب لإبراهيمَ بن الوليد ابنُ أبى جمعة ، وكان يتقلد له الديوانَ بفلسطين ، وبايع الناس إبراهيم - أعنى ابن الوليد - سوى أهل حمص ، فلأنهم بايعوا مروان بن محمد الجعفى .

وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامرى ، ومُصعب بن الربيع الخثعمى ، وزِيادُ بنُ أبى الرَد . وعلى ديوان الرسائل عثمانُ بنُ قيس مولى خالد القسرى . وكان من كتابه مخلد بن محمد بن الحارث - ويكنى أبا هاشم - ومن كتابه مُصعب بن الربيع الخثعمى ، ويكنى أبا موسى . وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة فى مكان مكنى ، ومما اختير له من الشعر :

تَرَحَّلَ ما لَيْسَ بالقَافِلِ وأَعقَبَ ما لَيْسَ بالزَّائِلِ
فَلَهْفَى على الخَلْفِ النازلِ ولَهْفَى على السلفِ الراحلِ
أَبْكَى على ذا وَأَبكى لَذا بكاءً مُولَّهً ثاكِلِ
تُبْكى من أبْنِ لها قاطِعِ وتبكى على أبْنِ لها واصلِ
فَلَيْسَتْ تَفْتَرُّ عن عَبرَةٍ لها فى الضميرِ ومن هامِلِ
تَقَضَّتْ غَوَاياتُ سُكْرِ الصَّبَى وردَّ التَّقَى عَن الباطِلِ

٨٤٠/٢

وكتب لأبى العباس خالدُ بنُ بَرْمَك ، ودفع أبو العباس ابنته رَيْطَةَ إلى خالد بن بَرْمَك حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تُدعى أمَّ يحيى ، وأرضعت أم سلمة زوجة أبى العباس أمَّ يحيى بنت خالد بلبان ابنتها رَيْطَةَ . وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى رَيْطَةَ بنت أبى العباس .

وَكَتَبَ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حُمَيْدٍ مَوْلَى حَاتِمِ بْنِ
النَّعْمَانِ الْبَاهِلِيِّ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، وَكَتَبَ لَهُ هَاشِمُ بْنُ سَعِيدِ الْجُعْفِيِّ
وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِوَاسِطَةٍ . وَرَوَى أَنَّ سَلْيَانَ بْنَ
مُحَلَّدٍ كَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، وَمِمَّا كَانَ يَتِمَثَّلُ بِهِ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ :

وَمَا إِنْ شَفَى نَفْسًا كَأَمْرِ صَرِيمةٍ إِذَا حَاجَةً فِي النَّفْسِ طَالَ اعْتِرَاضُهَا
وَكَتَبَ لَهُ الرَّبِيعُ . وَكَانَ عُمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ مِنْ نُبَلَاءِ الرِّجَالِ ، وَلَهُ :
لَا تَشْكُونَ دَهْرًا صَحَحْتَ بِهِ إِنْ الْغَنَى فِي صِحَّةِ الْجَسْمِ
هَبَكَ الْإِمَامُ أَكُنْتَ مُنْتَفِعًا بِغَضَارَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ !
وَكَانَ يَتِمَثَّلُ بِقَوْلِ عَبْدِ بَنِي الْحَسَنِحَاسِ :

أَمِنْ أُمِيَّةٍ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفٌ لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ (١)
لَا تُبْلِكُ عَيْنَكَ إِنْ الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ فِيهِ تَفَرَّقَ ذُو الْإِلْفِ وَمِثْلُ الْوَفِّ
وَكَتَبَ لِلْمُهْدِيِّ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَبَانُ بْنُ صَدَقَةَ عَلَى دِيْوَانِ رَسَائِلِهِ ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدِ الْكَاتِبِ عَلَى دِيْوَانِ جُنْدِهِ وَيَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ ، وَكَانَ ٨٤١/٢
اتَّخَذَهُ عَلَى وَزَارَتِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلَهُ :

عَجِبًا لِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ رِجَالٍ مَحَبَّةً وَكَرَاهِيَةً
وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالرَّجُلِ لَدَى دَوَائِرِ جَارِيهِ
وَلَا بَنَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَعْقُوبَ - وَكَانَ لَهُ مُحَمَّدٌ وَيَعْقُوبُ ، كِلَاهُمَا
شَاعِرٌ مُجِيدٌ :

وَزَعَ الْمَشِيبُ شِرَاسَتِي وَغَرَامِي وَمَرَى الْجَفُونَ بِمُسْبَلِ سَجَامِ

(١) دِيْوَانُهُ ٦٢ ، ٦٣ ؛ وَهِيَ آيَاتُ ثَلَاثَةِ رَوَايَاتٍ هُنَاكَ :

أَمِنْ سُمِيَّةٍ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفٌ لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ
الْمَالُ مَا لَكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفٌ !
كَأَنَّهَا يَوْمَ صَدَّتْ مَا تَكَلَّمْنَا ظَنِي بِعُسْفَانَ سَاجِي الْطَرَفِ مَطْرُوفٌ

ولقد حَرَصْتُ بَأَن أُوَارِيَ شَخْصَهُ عَنْ مَقْلَتِي فَرُمْتُ غَيْرَ مَرَامِ
وَصَبَغْتُ مَا صَبَغَ الزَّمَانُ فَلَمْ يَدَمْ صِبْغِي وَدَامَتْ صِبْغَةُ الْأَيَّامِ
لَا تَبْعِدَنَّ شَبِيهَةَ ذِيَالَةٍ فَارَقْتُهَا فِي سَالِفِ الْأَعْوَامِ
مَا كَانَ مَا أَسْتَصْحَبْتُ مِنْ أَيَّامِهَا إِلَّا كَبَعْضِ طَوَارِقِ الْأَحْلَامِ

ولأبيه :

طَلَّقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَاتَّخَذَ زَوْجًا سِوَاهَا
إِنَّهَا زَوْجَةٌ سَوْءٌ لَا تُبَالِي مَنْ أَتَاهَا

واستوزر بعده الفَيْضُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ ، وكان جواداً .
وكتب للهادي موسى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ .
وسأل المهدي يوماً أبا عُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، فَصَنَّفَهَا لَهُ ، فَقَالَ :
٨٤٢/٢ أَحْكُمُهَا قَوْلُ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ :

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ^(١)
تَرَى جُثُوثَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحِ مَصْمَدٍ^(٢)
أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدُ
لَعْمُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْنِيِّ وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ^(٤)

وقوله :

وَقَدْ أَرَانَا كِلَانَا هَمَّ صَاحِبِهِ لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا
وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ دَهْرٌ يَكُرُّ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

(١) ديوانه ٥٢ - ٥٤ . (٢) الجثوثان ، مثنى جثوة ؛ وهي كومة التراب .

(٣) يبتام : يختار ؛ وكذلك يصطفى . وعقيلة كل شيء : خياره .

(٤) الطول : الحبل الذي يطول للدابة فترعى به .

وقول لبيد :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ
أَلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ الْجَمْعَدَى :

وَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ وَأَهْلِهِ
فَلَمْ أَجِدِ الْإِخْوَانَ إِلَّا صَحَابَةً
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ قَدْ رُزِئْتُ مُحَارِباً
وَقَوْلِ هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ :

وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَنِي
وَلَا أَبْتَغِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي
وَمَا يَعْرِفُ الْأَقْوَامُ لِلدَّهْرِ حَقَّهُ
وَلِلدَّهْرِ فِي أَهْلِ الْفَتَى وَتِلَادِهِ

وَقَوْلِ زِيَادَةَ بْنِ زَيْدٍ : وَتَمَثَّلَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ :

تَذَكَّرَ عَنْ شَحْطِ أُمَيْمَةَ فَارْعَوَى
وَأَنَّ أَمْرًا قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرُ لَمْ يَخْفُ
هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى
وَكُلُّ الدِّي يَأْتِي فَأَنْتَ نَسِيَّةُ

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها في الحماسة - شرح المروزقي برقمي ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضاً في

خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف في الرواية . (٤) بعده في الكامل :

وَحَرَّبَنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ
مَتَى مَا يَجْرِبُكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحَرَّبَ

وليس بعيداً ما يحيى كمقبِلٍ ولا ما مضى من مُفرِحٍ بقريبٍ
وكقول ابن مقبِلٍ^(١) :

لمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ وَالشَّيْبُ أَرْدَلُ هَذِهِ الْأَبْدَالِ
وَالنَّاسُ هَمُّهُمْ الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى طُولَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَبَالٍ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
وَوَزَرَ لَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ . وَوَزَرَ لِلرَّشِيدِ ابْنَهُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،
فَمِنْ مَلِيحِ كَلَامِهِ : الْخَطُّ سِمَةُ الْحِكْمَةِ ، بِهِ تَفَصَّلُ شُدُورُهَا ، وَيُنْظَمُ
مَنْشُورُهَا . قَالَ ثُمَامَةُ : قُلْتُ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا الْبَيَانُ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ
الاسْمُ مُحِيطًا بِمَعْنَاكَ ، مُخْبِرًا عَنْ مَعْنَاكَ ، مُخْرِجًا مِنَ الشَّرَكَةِ ، غَيْرِ
مُسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ :
الدُّنْيَا دُولٌ ، وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ ، وَلَنَا بَيْنَ قَبْلِنَا أَسْوَةٌ ، وَفِينَا لِمَنْ بَعْدَنَا عِبْرَةٌ .
وَنَأْتِي بِتَسْمِيَةِ بَاقِي كِتَابِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كذا في الأصول ؛ والآيات من قصيدة للأخطل في ديوانه ١٥٩ - ١٦٣ ، ومطلعي :

لَمَنِ الدِّيَارُ بِجَابِلٍ فَوْعَالٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَهَا سِنُونُ خَوَالٍ
ونسب المبرد في الكامل ٣ : ١٤ أبيت الثالث إلى الخليل بن أحمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليدة

[خبر مقتل عبد الله بن الزبير]

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

* ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر . قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبيد الله بن القبطيَّة ، قال : كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة . قال محمد بن عمر : وحدثني مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد — وكان عالماً بفتنة ابن الزبير — قال : حُصِرَ ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر : قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن يوسف بن ماهك ، قال : رأيت المسنجيق يُرمى به ، فرعدت السماء وبرقت ، وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة ، فاشتعل عليها ، فأعظم ذلك أهل الشام ، فأمسكوا بأيديهم ، ٨٤٥/٢ فرفع الحجاج بركة قبائمه فغرزها في منطقتهم ، ورفع حجر المسنجيق فوضعه فيه ، ثم قال : ارمؤا ، ورمى معهم . قال : ثم أصبحوا ، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً ، فانكسر أهل الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تُنكروا هذا فإن ابن تيهامة ، هذه صواعق تيهامة ، هذا الفتح قد حضر فأبشروا ، إن القوم يُصيبهم مثل ما أصابكم ، فصعقت من الغد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عِدَّة ؛ فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة ، وهم على خلاف

الطاعة ! فلم تزل الحربُ بينَ ابنِ الزبير والحجَّاج حتَّى كان قُبَيْلَ مَقْتَلِهِ وقد تفرَّق عنه أصحابه ، وخرج عامَّةُ أهلِ مَكَّة إلى الحجَّاج في الأمان .

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : حدَّثني إسحاق بنُ عبد الله^(١) . عن المنذر بنِ جَهْم الأسدي ، قال : رأيتُ ابنَ الزبير يوم قُتِل وقد تفرَّق عنه أصحابُه ونخله من معه خذلانًا شديدًا . وجعلوا يخرجون إلى الحجَّاج حتَّى خرج إليه نحوُ من عشرةِ آلاف .

وذكر أنَّه كان ممَّن فارقه وخرج إلى الحجَّاج ابنه حمزة وخُبَيْب ، فأخذاهما لأنفسهما أمانًا ، فدخل على أمِّه أسماء — كما ذكر محمد بنُ عمر عن أبي الزناد ، عن مخرمة بن سليمان الوالي — ، قال : دخل ابنُ الزبير على أمِّه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : يا أمِّه ، خذكني الناسُ حتَّى ولدي وأهلي ، فلم يبقَ معي إلَّا اليسير ممَّن^(٢) ليس عنده من الدِّفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا . فما رأيك ؟ فقالت : أنت والله يا بُنَيَّ أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنَّك على حقٍّ وإليه تدعو فامضِ له . فقد قُتِل عليه أصحابك . ولا تُمكن من رقبته يتلعَّب بها غلمانُ أميَّة ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت ! أهلك نفسك ، وأهلك من قُتِل معك . وإن قلت : كنت على حقٍّ فلمَّا وهن أصحابي ضعفتُ ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدِّين ، وكم خاردك في الدنيا ! القتلُ أحسن . فدنا ابنُ الزبير فقبَّل رأسها وقال : هذا والله رأيي ، والذي قمتُ به داعيًا إلى يومى هذا ما ركنست إلى الدنيا . ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلَّا الغضب لله أن تُستحلَّ حرَّمه ، ولكنني أحببتُ أن أعلم رأيك ، فزدني^(٣) ، بصيرةً مع بصيرتي . فانظري يا أمِّه فإني مقتول من يومى هذا ، فلا يشتدَّ حزنك ، وسكِّم الأمر لله ، فإنَّ ابنك لم يتممَّ إتيان^(٤) منكمر ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجرَّ في

(١) ط : « عبيد » ، وصوابه من أ . (٢) ب : « ومن » ، أ ، ف : « من » .

(٣) ب ، ف : « فقد زدني » . (٤) ب ، ف : « إيتار » .

حكم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عُمّالي فرضيتُ به بل أنكرتُه ، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي ^(١) من ٨٤٧/٢ رضا ربّي . اللهم إني لا أقول هذا تزكية منّي لنفسي ، أنت أعلم بي ، ولكن أقوله تعزية لأمتي لتسلو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا إن تقدّمتني ، وإن تقدّمتك في نفسي ، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك . قال : جزاك الله يا أمّه خيرًا ، فلا تدّعي الدّعاء لي قبلُ وبعدُ . فقالت : لا أدّعه أبدًا ، فن قُتِل على باطل فقد قُتِلت على حقّ . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النّحيب والظّمأ في هواجير المدينة ومكّة ، وبرّه بأبيه وبّي . اللهم قد سلّمت لأمرك فيه ، ورضيتُ بما قضيت ، فأنيبني في عبد الله ثواب الصّابرين الشّاكرين ^(٢) .

قال مصعب بن ثابت : فما مكثت بعده إلا عَشْرًا ، ويقال : خمسة أيّام .

قال محمد بن عمر : حدّثني موسى بن يعقوب بن عبد الله ، عن عمّه قال : دخل ابنُ الزبير على أمه وعليه الدّرع والمِغْفَر ، فوقف فسَلَّم ، ثمّ دنا فتناول يدها فقبّلها ^(٣) . فقالت : هذا وداع فلا تبعد ، قال ابن الزبير : جئت مودّعًا ، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بي ، واعلمي ^(٤) يا أمّه أني إن قُتِلت فإنّما أنا لحم لا يضرّني ما صنّع بي ، قالت : صدقت يا بُنّي ، أتميم على بصيرتك ، ولا تُمكن ابنَ أبي عَقِيل منك ، وادنُ مني أو دَعك ، فدنا منها فقبّلها وعانقها ، وقالت حيث مسّت الدّرع : ما هذا ٨٤٨/٢ صنيعٌ من يريد ما تريد ! قال : ما لبستُ هذا الدّرع إلا لأشدّ منك ، قالت العجوز : فإنّه لا يشدّ منّي ، فنزعها ثمّ أدرج كمّيه ، وشدّ أسفل قميصه ، وجبّة خزّ تحت القميص فأدخل أسفلها في المِنطقة ، وأمّه تقول : البس ثيابك مشمّرة . ثمّ انصرف ابن الزبير وهو يقول :

(١) ب ، ف : « عندي آثر » . (٢) ب ، ف : « الشّاكرين الصّابرين » .

(٣) ف : « يدها فقبّلها » . (٤) ب : « وأعلم » .

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
فسمعت العجوزُ قولَه، فقالت : تَصْبِرُ واللهِ إِن شاءَ الله، أبوك أبو بكر
والزبير، وأملك صفيّة بنتُ عبدِ المطلب .

حدثني الحارث، قال : حدثني ابنُ سعد، قال : أخبرني محمد بنُ
عمر . قال : أخبرنا ثور بنُ يزيدَ ، عن شيخٍ من أهلِ حمصَ شهد
وقعة ابن الزبير مع أهل الشام، قال : رأيتُه يوم الثلاثاء وإنّا لنطلع عليه أهل
حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله ، لا يدخله غيرُنا ، فيخرج
إلينا وحده في أثرنا ، ونحن منهزمون منه ، فما أنسى أرجوزةً له :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
* إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فأقول : أنتَ والله الحرّ الشريف ، فلقد رأيتُه يقف في الأبطح ما يدنو
منه أحدٌ حتّى ظننّا أنّه لا يقتل .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ
عمر ، قال : حدثنا مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد ، قال :
رأيتُ الأبوابَ قد سُحِنَتْ من أهل الشام يوم الثلاثاء ، وأسلم أصحابُ ابن
الزبير المحارس ، وكثرهم القومُ فأقاموا على كلِّ باب رجالاً وقائدًا وأهل بلد ،
فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني
شَيْبَةَ ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح ،
ولأهل قنسرين باب بني سَهْم ، وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعًا
في ناحية الأبطح إلى المروة ، فرّة يتحمّل ابنُ الزبير في هذه الناحية ، ومرة
في هذه الناحية . فلسّاكأنه أسدٌ في أجمة ما يُقدِّم عليه الرجال ، فيعدوني أثر
القوم وهم على الباب حتّى يُخْرِجَهُمْ وهو يرتجز :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
ثم يصيح : يا أبا صفوان^(٤) ، ويلُ أمّه فستحًا لو كان له رجال !

* لَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ ^(١) *

قال ابن صفوان : إلى والله وألف .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : فحدثني ابنُ أبي الزناد وأبو بكر بنُ عبد الله بنِ مصعب ، عن أبي المنذر ^(٢) . وحدثنا نافع مؤلفي بني أسد ، قال : لمّا كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجّاجُ على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير يصلّي عامّة اللّيل ، ثمّ احتبى بمائل ٨٥٠/٢ سيفه فأغنى ، ثمّ انتبه بالفجر فقال : أذن يا سعد ، فأذن عند المقام ، وتوضّأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتي الفجر ، ثمّ تقدّم ، وأقام المؤذن فصلّي بأصحابه ، فقرأ ﴿ ن وَالْقَلَم ﴾ حرفاً حرفاً ، ثمّ سلم ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

اكشفوا وجوهكم حتّى أنظر ، وعليهم المغافر والعمائم ، فكشفوا وجوههم فقال : يا آل الزبير ، لو طيستم لي نفساً عن أنفسكم كنّا أهل بيت من العرب اصطليمنّا في الله لم تصبنا زبّاءُ بنته . أمّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرعكم وقعُ السيوف ، فإنّي لم أحضر موطناً قطّ إلّا ارتشّشت فيه من القتل ، وما أجدر من أدواء جراحها أشدّ ممّا أجدر من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأ كسّر سيفه ، واستبقى نفسه ، فإنّ الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غَضُوا أَبْصَارَكُمْ عَنِ الْبَارِقَةِ ، وَلَيْشَعَلْ كُلُّ امْرِئٍ قِرْنَهُ ، وَلَا يُلْهِنَكُمْ السُّؤَالُ عَنِّي ، وَلَا تَقُولُنَّ : أَيْنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ؟ أَلَا مِنْ كَانَ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ .

أَبِي لَابْنِ سَلَمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ مُلَاقِي الْمَنَايَا أَيْ صَرَفَ تِيَمًا ^(٣)
فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقِي مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَمًا ^(٤)

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .

(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي .

(٣) للحصين بن الحمام المري ، من المفضلية ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبتغ » .

احمِلُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ .

٨٥١/٢ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَلَغَ بِهِمُ الْحَجُّونَ ، فَرُمِيَ بِأَجْرَةٍ فَأَصَابَتْهُ فِي وَجْهِهِ فَأَرَعِشَ لَهَا ، وَدَمَى وَجْهُهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ سَخُونَةَ الدَّمِ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ وَلَحِيَّتِهِ قَالَ :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا^(١)

وَتَغَاوَوْا عَلَيْهِ .

قالا : وصاحت مولاة لنا مجنونة : واأمير المؤمنيناه ! قالوا : وقد رأيته حيث هوى ، فأشارت لهم إليه ، فقتل وإن عليه ثياب خنز . وجاء الخبر إلى الحجاج ، فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو ، فقال طارق : ما وأكذبت النساء أذكر من هذا ؛ فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ! قال : نعم ، هو أعذر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عذر ، إننا مُحاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا ، بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو ؛ فبلغ كلامهما عبد الملك ، فصوب طارقا .

حدثنا عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن رجاله ، قال : كأني أنظر إلى الزبير وقد قتل غلاما أسود ، ضربته فعرقبه ، وهو يمر في حملته عليه ويقول : صبرا يا بن حام ، ففي مثل هذه المواطن تصبر الكرام !

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني عبد الجبار بن عُمارة ، عن عبد الله بن أبي بكر ٨٥٢/٢ ابن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ، ثم دخل الحجاج

(١) للحسين بن الحمام المري ، ديوان الحماسة - بشرح المرزوقي ١ : ١٩٢ ، وفي ط : « لسا » وأثبت ما في ب ، ف ، وهو يوافق ما في الحماسة .

مَكَّةَ ، فَبَايَعَ ^(١) مَنَ بِهَا مِن قَرِيشَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة ولَّى عبدُ الملك طارقًا مولى عُثْمَانَ المدينة فولَّيَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ .

وفي هذه السنة تَوَفَّى بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَإِنَّهُ قَالَ : كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ .

وفيها أيضًا وَجَّهَ - فِيمَا ذُكِرَ - عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ لِقِتَالِ أَبِي فُدَيْكٍ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَنْدَبَ مَعَهُ مِنْ أَحَبِّ مَنْ أَهْلُ الْمِصْرَيْنِ ، فَقَدِمَ الْكُوفَةَ فَندَبَ أَهْلَهَا ، فَانْدَبَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ ، ثُمَّ قَدِمَ الْبَصْرَةَ فَندَبَ أَهْلَهَا ، فَانْدَبَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ وَأَعْطَايَتَهُمْ ، فَأَعْطَوْهَا . ثُمَّ سَارَ بِهِمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَجَعَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ عَلَى الْمِخْمَةِ وَعَلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ ، وَجَعَلَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ عَلَى الْمِيسِرَةِ وَعَلَيْهِمْ ابْنُ أَخِيهِ عُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَجَعَلَ خَيْلَهُ فِي الْقَلْبِ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَصَفَّ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَصْحَابَهُ . وَقَدِمَ الرَّجَالُ فِي أَيْدِيهِمُ الرِّمَاحَ قَدْ أَلْزَمَوْهَا الْأَرْضَ ، وَاسْتَتَرُوا بِالْبَرَادِخِ . فَحَمَلَ أَبُو فُدَيْكٍ وَأَصْحَابُهُ حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ . فَكَشَفُوا مِيسِرَةَ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى ٨٥٣/٢ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ إِلَّا الْمَغِيرَةَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَمَعْنُ بْنُ الْمَغِيرَةِ وَمُجْبَاعَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَفُرْسَانَ النَّاسِ فَإِنَّتَهُمْ مَالُوا إِلَى صَفِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَهُمْ ثَابِتُونَ ، وَارْتَثَ عُمَرُ بْنُ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ . فَهُوَ فِي الْقِتَالِ قَدْ أَثْمَخِنَ جِرَاحَةً . فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَهْلَ الْكُوفَةِ لَمْ يَنْهَزْمُوا تَذَمُّمًا وَرَجَعُوا وَقَاتَلُوا وَمَا عَلَيْهِمْ أَمِيرٌ حَتَّى مَرَّوْا بِعَمْرِ بْنِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ جَرِيحًا فَحَمَلُوهُ حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَسْكَرَ الْخَوَارِجِ وَفِيهِ تَبَنُّنٌ كَثِيرٌ فَأَحْرَقُوهُ . وَمَالَتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ . وَحَمَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ حَتَّى اسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ وَقَتَلُوا أَبَا فُدَيْكٍ . وَحَصَرُوا وَهُمْ فِي الْمُسْتَقَرِّ ، فَزَلُّوا عَلَى الْحُكْمِ ، فَقَتَلَ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْهُمْ - فِيمَا ذُكِرَ - نَحْوًا مِنْ سِتَّةِ آلَافٍ ، وَأَسَرَّ ثَمَانِيَةَ ، وَأَصَابُوا جَارِيَةَ أُمِّيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حُبْلَى مِنْ أَبِي فُدَيْكٍ وَانصَرَفُوا إِلَى الْبَصْرَةِ .

وفي هذه السنة عزّل عبدُ الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بشر بن مروان ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه ، فشخص بشر لمّا وُلّي مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة . فهزم الروم .

وقيل : إنّه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً ، فهزّمهم وأكثر القتلَ فيهم .

وأقام الحجّ في هذه السنّة للناس الحجّاج بن يوسف وهو على مكّة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة - في قول الواقدي - بشر بن مروان ، وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان . وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة ، وعلى خراسان بكير بن وشاح .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر:] فما كان فيها من ذلك عَزَلُ عبدِ الملك طارقَ بن عمرو عن المدينة ، واستعمالُهُ عليها الحجَّاجَ بن يوسف ، فقدِمها - فيما ذكر - فأقام بها شهراً ثم خرج معتمراً .

وفيهما كان - فيما ذكر - نَقْضُ الحجَّاجَ بن يوسفَ بنيانِ الكعبةِ الَّذي كان ابنُ الزبير بنائه ، وكان إذ بناه أدخل في الكعبةِ الحجرَ ، وجعل لها بابَينَ ، فأعادها الحجَّاجُ على بنائها الأول في هذه السنة ، ثم انصرف إلى المدينة في صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبثُ بأهل المدينة ويتعنَّتهم . وبنى بها مسجداً في بني سليمة ، فهو يُنسَبُ إليه .

واستخفَ فيها بأصحابِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فَخَتَمَ في أعناقهم ؛ فنَدَّ كَرَّ مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنَ أبي ذئب ، حَدَّثَهُ عَمَّنْ رَأَى جَابِرَ بنَ عبدِ الله مَخْتوماً في يده .

وعن ابنِ أبي ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنسَ بن مالك مَخْتوماً ٨٥٥/٢ في عنقه ، يريد أن يُنْذِلَهُ بذلك .

قال ابن عمر: وحَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : رأيتُ الحجَّاجَ أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه ، فقال : ما منعك أن تنصُرَ أميرَ المؤمنين عثمانَ بنَ عفَّان ! قال : قد فعلتُ . قال : كذبت ، ثم أمر به فحُتِمَ في عنقه بِرصاص .

وفيهما استَقْضَى عبدُ الملكُ أبا إدريسَ الخَوْلانيَّ - فيما ذَكَرَ الواقدي - . وفي هذه السنة شَخَّصَ في قوله بعضهم بِشْرِ بنُ مروان من الكوفة إلى البَصْرَةِ واليًّا عليها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة]

وفي هذه السنة وَلَّى المهلبُ حَرْبَ الأزارقةِ مِن قِبَلِ عبدِ الملك .

• ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها :

ولمّا صار بِشْرُ بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه - فيما ذكر هشامٌ عن أبي مخنف ، عن يونسَ بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أما بعد ، فابعث المهلبَ في أهلِ مصر^(١) إلى الأزارقة ، وليتخب من أهلِ مِصرَهم وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم^(٢) ، فإنه أعرف بهم ، وخلفه ورأيه في الحرب ، فأني أوثقُ شئاً بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً ، وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً ، حسيباً صليفاً ، يُعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ، ثم أنهض إليهم أهلَ المِصرين فليتبِعوهم أيَّ وجهٍ ما توجهوا حتى يُبِدهم الله^(٣) ويستأصلهم . والسلام عليك^(٤) . ٨٥٦/٢

فدعا بِشْرُ المهلبَ فأقرأه الكتاب ، وأمره أن ينتخب مَنْ شاء ، فبعث بجندِيع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي - وهو خالُ يزيدَ ابنه - فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس ، وشقّ على بشر أن إمرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب . ودعا بِشْرُ بنُ مروانَ عبدَ الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فرسان الناس وجوهمهم وأولى الفضل منهم والنجدة .

قال أبو مخنف : فحدثني أشياخ الحَيّ ، عن عبد الرحمن بن مخنف قال : دعاني بِشْرُ بنُ مروانَ فقال لي : إنَّكَ قد عرفت منزلتك مني ، وأثرتك عندي ، وقد رأيتُ أن أوليسك هذا الجيش للذي عرفت من جزلك وغنائك وشرفك وبأسك ، فكن عند أحسن ظني بك . انظر هذا الكذا كذا - يقع في المهلب - فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلن له مشورة ولا رأياً ، وتنقصه وقصّره .

قال : فترك أن يُوصيني بالجند ، وقاتل العدو ، والنظر لأهل

(١-١) ب ، ف : « وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم إلى الأزارقة وليتخب من أحب » . (٢) ب ، س : « يبرهم » . (٣) بعدها في ف : « ورحمة الله وبركاته » .

الإسلام ، وأقبل يُغريني بابتن عمى كأتى من الشفهاء أو ممن يُستصحبى
ويُستجمل ، ما رأيتُ شيخاً مثلى فى مثل هيئى ومزلى طمىع منه فى
مثل ما طمىع فيه هذا الغلام مِنى ، شَبَّ عمرو عن الطَّوق .

قال : ولمّا رأى أنى لستُ بالنشيط ^(١) إلى جوابه قال لى : ما لك ؟ قلتُ : ٨٥٧/٢
أصلحك الله ! وهل يسعنى إلّا إنفاذ أمرى فى كلّ ما أحببت وكرهت !
قال : امض راشداً . قال : فودعته وخرجتُ من عنده ، وخرج المهلب
بأهل البصرة حتّى نزل رامَ مهْرْمُزَ فلقي بها الخوارج ، فخذق عليه ، وأقبل
عبدُ الرحمن بنُ مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه ^(٢) بيشر بنُ
جرير ، وعلى ربع تميم وهَمْدان محمد بنُ عبدِ الرحمن بن سَعيد بن قيس ،
وعلى ربع كِنْدَةَ وربيعة إسحاق بنُ محمد بن الأشعث ، وعلى ربع مَذْحِج
وأَسَدَ زَحْرَ بن قيس . فأقبل عبدُ الرحمن حتّى نزل من المهلب على
ميل أو ميل ونصف . حيث تراءى العسكران برامَ مهْرْمُزَ ، فلم يلبث
الناسُ إلّا عشراً حتّى أتاهم نِعمى بيشر بن مروان ، وتوفى بالبصرة ، فافرض
ناس كثيرٌ من أهل البصرة وأهل الكوفة ، واستخلف بشر خالد بن عبد الله
ابن أسيد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيْث ، وكان اللذين انصرفوا
من أهل الكوفة زَحْرَ بن قيس وإسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن
ابن عبد الرحمن بن سَعيد بن قيس ، فبعث عبدُ الرحمن بنُ مخنف ابنه جعفرًا
فى آثارهم ، فردّ إسحاق ومحمدًا ، وفاته زَحْرَ بن قيس ، فحبسهما يومين ،
ثمّ أخذ عليهما إلّا يفارقاه ، فلم يلبثا إلّا يومًا ^(٣) حتّى انصرفا ، فأخذ ^(٤) غير
الطريق ، وطلبّا فلم يُلحِقّا ، وأقبلّا حتّى لحقا زَحْرَ بن قيس بالأهواز ،
فاجتمع بها ناس كثيرٌ ممن يريد البصرة ، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ، ٧٥٨/٢
فكتب إلى الناس كتاباً ^(٥) وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويردهم ^(٥) ، فقدم
بكتابه مولّى له ، فقرأ الكتاب على الناس : وقد جُمِعوا له :

(١) ب ، ف : « بنشيط » . (٢) ب ، ف : « ومعه » .

(٣) ب ، ف : « يومين » . (٤) س : « انصرفوا فأخذوا » .

(٥ - ٥) ب ، ف : « وبعث رسلاً تضرب وجوه الناس وتردهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فإن الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعةً ولاةً الأمر ، فمن جاهد فإنما يُجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصى ولاةً الأمر والقوّام بالحق أسخط الله عليه ، وكان قد استحق العقوبة في بشره ، وعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه ، والتسيير إلى أبعد الأرض وشرّ البلدان . أيّها المسلمون ، اعلموا^(١) على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنّه عبدُ الملك بن مروان أميرُ المؤمنين ، الذي ليست فيه غميمة ، ولا لأهل المعصية عنده رخصة ، سوطه على من عصى ، وعلى من خالف سيفه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، فإنني لم آلكم نصيحةً . عباد الله ، ارجعوا إلى مكنتيكم^(٢) وطاعة خليفتيكم ، ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أنقف عاصياً بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذَ كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحر : أوجز ؛ فيقول له مولى خالد : والله إني لأسمع كلامَ رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع . أشهد لا يعي^(٣) ، بشيء مما في هذا الكتاب . فقال له : اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ، ثم ارجع إلى أهلِكَ ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا . ٨٥٩/٢

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناسُ إلى ما في كتابه ، وأقبل زحر^(٤) وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قريةً لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حريث :

أما بعد ، فإنّ الناسَ لمّا بلغهم وفاةُ الأميرِ رحمةُ الله عليه تفرّقوا فلم يبقَ معنا أحدٌ ؛ فأقبلنا إلى الأميرِ وإلى مصرنا ، وأحببنا ألاّ ندخل الكوفة إلاّ بإذن الأميرِ وعلمه .

(١) ب ، ف : « أتعلمون » . (٢) ب ، ف : « أمكنتكم » .

(٣) لا يعي : لا يكثر . وفي ب ، ف : « لا يهيح فتنة إلا كنت رأسها » .

(٤) بعدها في ب ، ف : « وأصحابه » .

فكتب إليهم :

أما بعد ، فإنكم تركتم مكثبكم^(١) وأقبلتم عاصين مخالفين ، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رجالهم ، فلم يزالوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف .

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]
وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاهها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

* ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية :
وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم^(٢) أمية عليها والياً سنتين في قول أبي الحسن ، وذلك أن ابن خازم قتل سنة ثلاث وسبعين وقدم أمية سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيرا - فيما ذكر على عن المفضل - حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت في رأس ابن خازم ٨٦٠/٢ حين قتله ، فلم يزل محبوساً عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، فلما بلغ ذلك بكيراً أرسل إلى بحير ليصالحه ، فأبى عليه وقال : ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ! فشئت السفراء بينهم ، فأبى بحير ، فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي ، فقال : ألا أراك مائتاً ! يرسل إليك ابن عمك يعتذر إليك وأنت أسيره ، والمشرقي في يده - ولو قتل ما حبستك فيك عنز - ولا تقبل منه ! ما أنت بموفق^(٣) . أقبل الصلح ، واخرج وأنت على أمرك . فقبل مشورته ، وصالح بكيراً ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً ، وأخذ على بحير ألا يقاتله . وكانت تميم قد اختلفت بخراسان ، فصارت متعاس والبطون يتعصبون له . فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ، ويقهرهم عدوهم من المشركين . فكتبوا إلى

(١) ب ، ف : « أنكتكم » . (٢) ب ، ف : « قدم » .

(٣) ب ، ف : « بموفق » .

عبد الملك بن مَرْوَان : إِنَّ خُرَّاسَانَ لَا تَصْلُحُ بَعْدَ الْفِتْنَةِ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَا يَحْسُدُونَهُ وَلَا يَتَعْصَبُونَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : خُرَّاسَانُ تُغْفَرُ الْمَشْرِقُ ، وَقَدْ كَانَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ مَا كَانَ ، وَعَلَيْهِ هَذَا التَّسْمِيَةُ ، وَقَدْ تَعْصَبَ النَّاسُ وَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، فَتِيهْلِكُ الشَّجَرُ وَمَنْ فِيهِ ، وَقَدْ سَأَلُوا أَنْ أُولِيَ أَمْرَهُمْ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ فَيَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوا ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَدَارِكُهُمْ بِرَجُلٍ مِنْكَ ، قَالَ : لَوْلَا انْحِيَاؤُكَ عَنْ أَبِي فُؤَيْدٍ كُنْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا انْحَزْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مُقَاتِلًا ، وَخَذَلَنِي النَّاسُ ، فَرَأَيْتُ أَنْ انْحِيَاؤِي إِلَى فِتْنَةٍ أَفْضَلَ مِنْ تَعْرِضِي عَصْبَةٍ بَقِيَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْهَلَكَةِ ، وَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ مَرْوَارُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، وَكَتَبَ إِلَيْكَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِمَا بَلَغَهُ مِنْ عُذْرِي— قَالَ : وَكَانَ خَالِدُ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَذَلُوهُ— فَقَالَ مَرْوَارُ : صَدَقَ أُمَيَّةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ صَبَرَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مُقَاتِلًا ، وَخَذَلَهُ النَّاسُ . فَوَلَّاهُ خُرَّاسَانَ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُحِبُّ أُمَيَّةَ ، وَيَقُولُ : نَتِيجَتِي ، أَيْ لِدَتِي ، فَقَالَ النَّاسُ : مَا رَأَيْنَا أَحَدًا عَوَّضَ مِنْ هَزِيمَةٍ مَا عَوَّضَ أُمَيَّةُ ، فَرَّ مِنْ أَبِي فُؤَيْدٍ فَاسْتَعْمَلَ عَلَى خُرَّاسَانَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فِي مَجْلِسِ بُكَيْرِ بْنِ وَشَّاحٍ :

٨٦١/٢

أَتَنَكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تُكْشِفُ عَنْ مَنَاكِبِهَا الْقُطُوعُ^(١)
كَأَنَّ مَوَاقِعَ الْأَكْوَارِ مِنْهَا^(٢) حَمَامُ كَنَائِسٍ بَقَعُ وَقُوعُ
بِأَبْيَضٍ مِنْ أُمَيَّةٍ مُضْرَجِي كَانَ جَبِينُهُ سَيْفُ صَنِيعٍ^(٣)

وَبَحْثِيرٍ يَوْمُثُذٍ بِالسَّنَجِ يَسْأَلُ عَنْ مَسِيرِ أُمَيَّةٍ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ قَارَبَ أَبْرَشَ شَهْرٍ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ عَجَمٍ أَهْلُ مَرْوٍ يَقَالُ لَهُ رُزَيْنٌ — أَوْ زَرِيرٌ : دُلَّنِي

٨٦٢/٢

(١) الْأَغَانِي ١٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، وَنَسَبَ الشَّعْرَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ الْعَاصِ ؛ وَذَكَرَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ الثَّلَاثَ . الْعَيْسُ : النَّوْقُ الْبَيْضُ يَخَالُطُ بَيَاضَهَا شَقْرَةً . وَالْبَرَى ؛ جَمْعُ بَرَةٍ ، وَهِيَ حَلَقَةٌ مِنْ فُفْةٍ أَوْ صَفَرٍ أَوْ شَعْرٍ تَجْمَلُ فِي أَفْرِ الْبَعِيرِ . وَالْقُطُوعُ ، بِضَمِّ الْقَافِ ؛ جَمْعُ قَطْعٍ ؛ وَهُوَ الطَّنْفَسَةُ تَحْتَ الرَّحْلِ عَلَى كَتِفِ الْبَعِيرِ . (٢) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « الْأَكْرَارِ »
(٣) الْمَضْرَجِيُّ : السَّيْدُ الْكَرِيمُ . وَالصَنِيعُ : السَّيْفُ الْأَبْيَضُ الْمَجْلُوبُ .

على طريق قريب لألقى الأميرَ قبل قدومه ، ولك كذا وكذا ، وأبجزل لك العطية ؛ وكان عالماً بالطريق ، فخرج به فسار من السَّجج إلى أرض سَرَخَس في ليلة ، ثم مضى به إلى نيسابور فوافى أمية حين قدم أبرشهر ، فلقيه فأنبهره عن خراسان وما يصلح أهلها وتَحَسَّن به طاعتهم ، ويخف على الولى مئونتهم ، ورفع عن^(١) بُكَيْر أموالاً أصابها ، وحدَّره غدره .

قال : وسار معه حتى قدم مَرَو ، وكان أمية سيِّداً كريماً ، فلم يعرض لبُكَيْر ولا لعماله ، وعرض عليه أن يوليَّه شُرطته ، فأبى بُكَيْر ، فولَّاهما بِسَير بن ورَّقاء ، فلام بُكَيْراً رجالاً من قومه ، فقالوا : أبيت أن تبلى ، فولَّى بِسَيراً وقد عرف ما بينكما ! قال : كنتُ أمس والى خراسان تُحمَل الحرابُ بين يدي ، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة !

وقال أمية لبُكَيْر : اختَر ما شئت من عَمَل خراسان ، قال : طُخارِسْتان ، قال : هى لك . قال : فتجهزْ بِبُكَيْر وأنفق مالا كثيراً ، فقال بحير لأمية : إن أتى بُكَيْر طُخارِسْتان خلعتك ، فلم يزل يحذره حتى حذِر ، فأمره بالمُقَام عنده .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف . وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة قبل شخوصه إلى المدينة كذلك ، ذُكِر ذلك عن محمد بن عمر .

وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة ، ٨٦٣/٢ وقد ذُكِر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ، ولا نعلَم صحته ذلك .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل
مَرَّعَش .

وفي هذه السنة ولَّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة .

وفي هذه السنة ولَّى عبدُ الملك الحجاج بن يوسفَ العراقَ دون خراسان
وسجستان .

* * *

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها]

وفيها قدِم الحجاج الكوفة . فحدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد
ابنُ يحيى أبو غَسَّان ، عن عبد الله بن أبي عُبَيْدَةَ بن محمد بن عمار
ابن ياسر ، قال^(١) : خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب
عبد الملك بن مروانَ بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مَرَّوان في اثني عشر
راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتَشَرَ النهار فجاءه^(٢) ، وقد
كان بشرٌ بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ بالمسجد فدخله ، ثمَّ صعد
المنبرَ وهو مثلثم بعمامة خَرَّ حمراء ، فقال : علىَّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه
٨٦٤/٢ خارجة^(٣) ، فهَمَّوا به ، حتى إذا اجتمع إليه الناسُ قام فكشف عن
وجهه وقال :

أنا ابنُ جَلالٍ وطلَّعُ الثَّنايا متى أضعَ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(٤)

(١) الخبر وما تضمنته من خطبة الحجاج أوردته الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ - ٣١٠
بهذا السند أيضاً ، والخطبة أيضاً في الكامل ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢ ، والمقد ٤ : ١١٩ ، وعيون الأخبار
٢ : ٢٤٣ .

(٢) البيان : « فجأة » . (٣) البيان : « خوارج » .

(٤) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي ، رواها الأصمعي في الأصمعيات ٧٣ (ليبسك) .

أما والله إنني ^(١) لأحمل الشراً محمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ،
وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني لأنظر إلى الدماء بين
العمائم واللحى .

* قد شمرت عن ساقها تشميراً ^(٢) .

هذا أوان الشد فاشتد زيمٌ قد لفها الليل بسواقٍ حطم ^(٣)
ليس براعى لبلى ولا غنمٌ ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضم ^(٤)
قد لفها الليل بعضدي ^(٥) أروع خراجٍ من الدوى
مهاجرٍ ليس بأعرايٍ .

ليس أوان يكره الخلاطُ جاءت به والقُلص الأعلاطُ
تهوى هوىً سابقٍ الغطاطُ .

وإني والله يا أهل العراق ما أغمز كنتغماز التين ^(٦) ، ولا يقصّع لي بالشتان
ولقد فررت عن ذكاء ^(٧) ، وجريت إلى الغاية القصوى ^(٨) . إن أمير المؤمنين،
عبد الملك نشر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها ٨٦٥/٢
مكسراً ، فوجهني إليكم ؛ فإنكم طالما أوضعتم ^(٩) في الفتنة ، وسنتم سنن
الغنى . أما والله لألحونكم لحود العود ، ولأعصبنكم عصب السلمة ،

(١ - ١) البيان : « لأحمل الشر محمله » .

(٢) البيان : « فشما » ، العقد : « فشمرى » .

(٣) الرجز لرويشد بن رميض العنبري ؛ كما في حواشي الكامل واللسان (حطم) ؛ والأغاني
١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : « الشر لرشيد بن رميض العنبري يقول في الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة .
وكان شريح قد غزا اليمن ، فغم وسبي ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك
منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عتيقاً حتى نجوا ووردوا الماء ، فقال فيه
رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحطم بذلك الرجز » . (٤) الوض : كل ما قطع عليه اللحم .

(٥) الرجز في اللسان (عصب) . والعصبي : الشديد القادر على المشي والعمل .

(٦) البيان : « تغماز التين » .

(٧) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء ؛ نهاية الشباب وتمام السن .

(٨) الغاية : قصبة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفي العقد :

« وأجريت إلى الغاية القصوى » . (٩) الإيضاع : ضرب من السير .

وَلَا ضَرْبَ بِنِكْمٍ ضَرْبَ غَرَابٍ^(١) الْإِبِلِ . إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعِيدُ إِلَّا وَفَيْتُ ، وَلَا أُخْلِقُ إِلَّا فَرَيْتُ . فَأَيُّايَ وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتُ وَقِيلًا وَقَالَا ، وَمَا يَقُولُ^(٢) ، [و^(٣)] فِيمَ أَنْتُمْ وَذَلِكَ ؟ وَاللَّهِ لَتُسْتَقِيمَنَّ عَلَى سُبُلِ الْحَقِّ أَوْ لَأَدَّعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ . مِمَّنْ وَجَدْتُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ مِائَةٍ بَعَثْتُ الْمُهْلَبَ سَمَكْتُ دَمَهُ ، وَأَنْهَيْتُ مَالَهُ .

ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عُمَيْرَ حَصِيٍّ فَأَرَادَ أَنْ يَحْصِيَهُ بِهَا ، وَقَالَ : قَاتِلَهُ اللَّهُ ! مَا أَعْيَاهُ وَأَدَمَهُ ! وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسَبُ خَيْرَهُ كَرُّوَاتِهِ . فَلَمَّا تَكَلَّمَ الْحِجَابُ جَعَلَ الْحَصِيَّ يَسْتَرُّ مِنْ يَدِهِ وَلَا يَعْقِلُ بِهِ ، وَأَنَّ الْحِجَابَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ :

شَاهَتِ الْوُجُوهُ ! إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ ﴿ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(٤) ، وَأَنْتُمْ أَوْلُكُمْ وَأَشْبَاهُ أَوْلُكُمْ ، فَاسْتَوْثِقُوا وَاسْتَقِيمُوا . فَوَاللَّهِ لَا ذِيْقَتَكُمْ الْهَوَانَ حَتَّى تَنْدَرُوا^(٥) ، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ حَتَّى تَنْقَادُوا ، أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَقْبِلُنَّ عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَلَتَسَدَّ عَنْ الْإِرْجَافِ ، وَكَانَ وَكَانَ ، وَأَخْبِرْنِي فَلَانَ عَنْ فَلَانٍ ، وَالْهَبْرُومَا الْهَبْرُ ! أَوْ لَأَهْبِرُنَّكُمْ^(٦) بِالسَّيْفِ هَبْرًا يَدْعُ النِّسَاءَ أَيَّامِي ، وَالْوُلْدَانُ يَتَامَى ، وَحَتَّى تَمْشُوا السُّمْمَتِي ، وَتَقْلَعُوا عَنْ هَاوَاهَا . إِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتُ ، لَا يَرْكَبَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ إِلَّا وَحْدَهُ . أَلَا إِنَّهُ لَوْ سَاغَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَتُهُمْ مَا جُبِي فِيءٌ وَلَا قُوتِلَ عَدُوٌّ ، وَلِعُطَّتِ الثُّغُورُ ، وَلَوْلَا أَنْتَهُمْ يُغْزَوْنَ كَرَاهًا مَا غَزَوْا طَوْعًا ، وَقَدْ بَلَغَتْنِي رَفَضُكُمْ الْمُهْلَبَ ، وَإِقْبَالُكُمْ عَلَى مِصْرِكُمْ عَصَاةٌ مُخَالَفِينَ ، وَإِنِّي أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ أَحَدًا بَعْدَ ثَلَاثَةِ مِائَةٍ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

(١) الإبل إذا وردت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » . (٣) من البيان .

(٤) سورة النحل: ١١٢ . (٥) ب ، ف : « تَدْرُوا الْعَصِيانَ » .

(٦) ص ، ف : « وَلَا هَبْرُنَّكُمْ » .

ثم دعا العرفاء فقال : أَلْحَقُوا النَّاسَ بِالْمَهْلَبِ ، وَأَتُونِي بِالْبِرَاءَاتِ بِمُؤَافَاتِهِمْ وَلَا تَغْلِقَنَّ أَبْوَابَ الْجِسْرِ لَيْلاً وَلَا نَهَاراً حَتَّى تَنْقُضِيَ هَذِهِ الْمُدَّةَ .

تفسير الخطبة : قوله : «أنا ابنُ جَلالٍ» ، فابنُ جَلالٍ الصُّبْحُ لأنَّه يَجْلُو الظُّلْمَةَ . والثنايا : ما صَغُرَ من الجبال ونَتَأَ . وأينع الثَّمرُ : بلغ إدراكه . وقوله : «فاشْدَى زَيْمٌ» . فهي اسمٌ لِلْحَرْبِ . وَالْحُطَمُ : الَّذِي يَحْطِمُ كُلَّ شَيْءٍ يَمُرُّ بِهِ . وَالْوَضَمُ : ما وَقَى بِهِ اللَّحْمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْعَصَلَى : الشَّدِيدُ . وَالِدَوَيْتَةُ : الْأَرْضُ الْفُضَاءُ الَّتِي يُسْمَعُ فِيهَا دَوَى أَخْفَافِ الْإِبِلِ . وَالْأَعْلَاطُ : الْإِبِلُ الَّتِي لَا أَرْسَانَ عَلَيْهَا . أَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ الْأَصْمَعِيُّ :

وَأَعْرَوَزَتِ الْعُلْطُ الْعُرْضِيُّ تَرْكُضُهُ أُمُّ الْفَوَارِسِ بِالْدَيْدَاءِ وَالرَّبْعَةِ

وَالشَّنَانِ ، جَمَعَ شَنَنَةً : الْقَرِيبَةُ الْبَالِيَةُ الْيَابِسَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقْيَيشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنٍّ

وقوله : «فَعَجَمَ عِيدَانَهَا» ، أَيْ عَضَّهَا ، وَالْعَجَمَ بَفَتْحِ الْجِيمِ : حَبَّ ٨٦٧/٢

الزَّبِيبِ ، قَالَ الْأَعَشَى :

«وَمَلَقَوْظُهَا كَلَقِيطِ الْعَجَمِ»

وقوله : «أَمَرَّهَا عُودًا» ، أَيْ أَصْلَبَهَا ، يُقَالُ : حَبْلٌ مُسَرٌّ ، إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْفَتْلِ . وقوله : «لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلَمَةِ» ، فَالْعَصَبُ الْقَطْعُ ، وَالسَّلَمَةُ ؛ شَجَرَةٌ مِنَ الْعِضَاءِ . وقوله : «لَا أَنْخُلِقُ إِلَّا فَرَيْتَ» ، فَالْخُلُقُ : التَّقْدِيرُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿مَنْ مُضْغَةً مُخْلَقَةً وَغَيْرَ مُخْلَقَةٍ﴾^(١) ، أَيْ مَقْدَرَةً وَغَيْرَ مَقْدَرَةٍ ، يَعْنِي مَا يَتِمُّ وَمَا يَكُونُ سِقْطًا ، قَالَ الْكُمَيْتُ بِصِفِّ قَرْبَةٍ :

لَمْ تَجْثِمِ الْخَالِقَاتُ فَرَيْتَهَا وَلَمْ يَفْضُ مِنْ نِطَاقِهَا السَّرْبُ

(١) سورة الحج: ٥ ، وَفِي الْأَصُولِ : « مِنْ نَظْفَةٍ » ، وَهُوَ خَطَأٌ .

وإنما وصف حواصل الطير ، يقول : ليست كهذه . وصخرة خلّقاء ،
أى مكّساء ، قال الشاعر :

وبهوّ هواء فوق مور كانه من الصخرة الخلّقاء زُخْلُوقُ ملعب
ويقال : فرّيتُ الأديم إذا أصلحته ، وأفرّيت ، بالالف إذا أنت
أفسدته . والسّمّهى : الباطل ، قال أبو عمرو والشّيباني : وأصله ما تُسمّيه
العامةُ مُحَاطَ الشّيطان ، وهو لُعابُ الشّمس عند الظّهيرة ، قال أبو النّجم
العجلى :

وذابَ للشمس لُعابٌ فنزلَ وقامَ ميزانُ الزّمان فاعتدلَ
والزّرافات : الجماعات . تمّ التفسير .

٨٦٨/٢

قال أبو جعفر : قال عمر : فحدّثني محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن
أبي عبيدة ، قال : : فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق ، فخرج
حتّى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهلَ العراق ، وأهلَ الشّقاق والنفاق ، ومساوئ الأخلاق ، إني سمعتُ
تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد الله به في التّرعيب ، ولكنّه التكبير الذي
يراد به التّرهيب ، وقد عرفت أنّها عجاوبةٌ تحتها قصف . يا بني اللّكبة
وعبيد العصا ، وأبناء الأيّامى ، ألا يربّع رجلٌ منكم على ظلّعه .
ويُحسنُ حقن دمه ، ويبصر موضع قدمه ! فأقسم بالله لأوشكُ أن أوقع
بكم وقعةً تكون نكالا لما قبّلها ، وأدباً لما بعدّها .

قوله : «تحتها قصف» : فهو شدة الريح . واللّكعاء : الورّاء ، وهي
الحمّقاء من الإماء . والظّلّع : الضّعف والوهن من شدة السير . وقوله :
«تَهوى هوى سابق الغطاط» ، فالغُطاط بضم الغين : ضربٌ من الطير .
قال الأصمعي : الغُطاط بفتح الغين : ضربٌ من الطير ، وأنشد لحسان
ابن ثابت ^(١) :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْغَطَاطِ الْمُقْبِلِ^(١)

بفتح الغين. قال : والغطاط بضم الغين : اختلاط الضوء بالظلمة من آخر ٨٦٩/٢ الليل ، قال الراجز :

قَامَ إِلَى أَدْمَاءٍ فِي الْغَطَاطِ يَمْثِي بِمِثْلِ قَائِمِ الْفُسْطَاطِ
تمّ التفسير .

قال : فقام إليه عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ الْخَنْظَلِيُّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا فِي هَذَا الْبُعْثِ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ ، وَهَذَا ابْنِي ، وَهُوَ أَشَبُّ مِنِّي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِ التَّمِيمِيِّ ، قَالَ : أَسَمِعْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَسْتَ الَّذِي غَزَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ ؟ قَالَ : بَلَى ؛ قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ حَبِيسَ أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ : أَوَلَيْسَ يَقُولُ :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عِثْمَانَ تَبْكِي حَلَالَةً
إِنِّي لِأَحْسَبُ فِي قَتْلِكَ صِلَاحَ الْمِصْرَيْنِ ، قُمْ إِلَيْهِ يَا حَرَسِي فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَنْهَبَ^(٢) مَالَهُ .

ويقال : إِنَّ عَسْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ لِلْحِجَّاجِ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : هَذَا أَحَدُ قَتَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ ؛ فَقَالَ الْحِجَّاجُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثْتَ بِدِيلًا ! ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا ٨٧٠/٢ فَنَادَى : أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَبَائِ أَتَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ سَمِعَ النِّدَاءَ ، فَأَمَرْنَا بِقَتْلِهِ . أَلَا فَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بِرِيَّةٌ مِمَّنْ بَاتَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُنْدِ الْمُهَلَّبِ . فَخَرَجَ النَّاسُ فَازْدَحَمُوا عَلَى الْجِسْرِ ، وَخَرَجَتِ الْعُرُقَاءُ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِرَأْسِهِمْ مُزُّ فَأَخَذُوا كَتِفَهُ بِالْمُؤَافَاةِ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ رَجُلٌ ذَكَرَ : الْيَوْمَ قُوتِلَ الْعَدُوُّ .

قال ابن أبي عُبَيْدَةَ فِي حَدِيثِهِ : فَعَبَّرَ الْجِسْرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ مَدْحِجٍ ؛ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ رَجُلٌ ذَكَرَ .

(١) الديوان : « السواد المقبل » . (٢) أنهب ماله : جملة نهباً لغيره .

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لَمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أَمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فإني أحمدُ إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبيد العصا ، أيسلم عليكم أميرُ المؤمنين فلا يَرَدُّ رادٌ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابنِ نَهية^(١) ، أما والله لأؤدبنَّكم غير هذا الأدب ، ابدأ بالكتاب ، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أما بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يَبْقَ منهم أحدٌ إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدثني عبدُ الملك بنُ شيبان بن عبد الملك بن مِسمع ، قال : حدثني عمرو بن سعيد ، قال : لَمَّا قدم الحجاجُ الكوفة خطبهم فقال : إنَّكم قد أخلَّتم بعسكر المهلب ، فلا يُصْبِحَنَّ بعد ثلاثة من جُنُده أحدٌ ، فلمَّا كان بعد ثلاثة أتى رجلٌ يَسْتَدِمُّ ، فقال : مَنْ بك ؟ قال : عمير بنُ ضابئ البرجُمي ، أمرته بالخروج إلى مُعسكره فضرِبني - وكَدَّبَ عليه . ٨٧١/٢ فأرسل الحجاجُ إلى عمير بن ضابئ ، فأَتَيْ به شيخاً كبيراً ، فقال^(٢) له : ما خلَّفَكَ عن مُعسكرِكَ ؟ قال : أنا شيخٌ كبيرٌ لا حراكَ لي ، فأرسلتُ ابني بد يلا فهو أجَلَدُ مني جَلَدًا ، وأحدَثَ مني سِنًا ، فسلِّ عما أقول لك ، فإن كنتُ صادقًا وإلا فعاقبني . قال : فقال عَنبِسة بنُ سعيد : هذا الَّذِي أتى عُمَان قتيلا ؛ فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه ، فأمر به الحجاجُ فضرِبَ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فوالله إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رَجَزًا مُضَرِّيًا ، فعدلتُ إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قدَّم علينا رجلٌ مِن شرِّ أحياء العرب من هذا الحَيِّ من ثمود ، أسقف الساقين^(٣) ، مَمْسُوح الجاعِرَتَيْنِ^(٤) ، أخفَشَ العينين^(٥) . فقدَّم سيّد الحَيِّ عمير بن ضابئ فضرِبَ عنقه .

(١) في زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « زعم أبو العباس أن ابن نية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » . (٢) ب ، ف : « قال » .

(٣) في اللسان : « السقف : أن تميل الرجل على وحشيها » ووحش الرجل : جانبها .

(٤) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرقان على الفخذين ، وفي اللسان : « وفي كتاب عبد الملك إلى الحجاج : قاتلك الله ، أسود الجاعرتين ! قيل : هما اللذان يبتدانان الذنب .

(٥) الخفش : ضعف في البصر مع ضيق في العين .

ولما قَتَلَ الحجاج عمير بن ضبائي لقي إبراهيم بن عامر أحد بني غاضرة
من بني أسد عبد الله بن الزبير في السوق فسأله عن الخبر ، فقال ابن
الزبير :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبًا^(١)
تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ وَالْحَقَّ الْجَيْشُ لَا أَرَى سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَبًا
تَخِيرُ فَإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَبَائِي عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَ
هَمَا خُطَطَا كَرِهَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا^(٢) رُكُوبُكَ حَوْلًا مِنَ الثَّلَجِ أَشْهَبًا^(٣) ٨٧٢/٢
فَحَالَ وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا
فَكَأَنَّ نَرَى مِنْ مُكْرِهِ الْعَدُوِّ مُسْمِنًا^(٤) تَحَمَّمَ حِنُوَ السَّرْجِ حَتَّى تَحْنَبًا^(٥)

وكان قدوم الحجاج الكوفة - فيما قيل - في شهر رمضان من هذه السنة ،
فوجه الحَكَم بن أيوب الثَّقَفِيّ على البصرة أميرًا ، وأمره أن يشتدّ على
خالد بن عبد الله ، فلما بلغ خالدًا الخبرُ خرج من البصرة قبل أن يدخلها
الحَكَم ، فنزل الجَلْحَاءَ وشيَّعه أهل البصرة ، فلم يبرح مُصَلَّاهُ حتى
قسم فيهم ألف ألف .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الملك بن مروان ، حدَّثني بذلك أحمد ٨٧٣/٢ .
ابنُ ثابت عَمَّنْ حدَّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . ووقَّد
يحيى بن الحَكَم في هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، واستخلف على
عمله بالمدينة أبان بن عثمان ، وأمر عبدُ الملك يحيى بن الحَكَم أن يقرَّ على عمله على
ما كان عليه بالمدينة . وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف . وعلى خُرَاسَانَ

(١) الكامل ١ : ٣٨٣ مع اختلاف في الرواية .

(٢) الكامل : « هما خططنا خسف » .

(٣) الحولي : المهر أتى عليه الحول . وقوله : « من الثلج أشهب » ، يريد أن لونه أشد شبهة من

الثلج . (٤) ١ : « وكائن » . (٥) ١ : « يحمم » .

أمية بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارة ابن أوفى .

* * *

وفى هذه السنة خرج الحجاجُ من الكوفة إلى البصرة ، واستخلفَ على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة ، فلم يزل عليها حتى رجع إليها بعد وقعة رُستقباد .

* * *

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة]

وفى هذه السنة ثار الناسُ بالحجاج بالبصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العبسي ، قال : خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضائب من فوره ذلك حتى قدم البصرة . فقام فيها بخطبة مثل التي قام بها في أهل الكوفة ، وتوعدهم مثل وعيده لإياهم ، فأتى برجل من بني يسكر فليل : هذا عاصي ، فقال : إن بني فتقاً ، وقد رآه بيشرفعدرتي ، وهذا عطائي مَرْدود في بيت المال ، فلم يقبل منه وقتله ، ففرغ لذلك أهل البصرة ، فخرجوا حتى تذاكروا^(١) على العارض بقنطرة رامهرمز ، فقال المهلب : جاء الناس رجلٌ ذكّر .

وخرج الحجاج حتى نزل رُستقباد في أوّل شعبان سنة خمس وسبعين فثار الناسُ بالحجاج ، عليهم عبد الله بن الجارود ، فقتل عبد الله بن الجارود ، وبعث بثمانية عشر رأساً^(٢) فنصب رامهرمز للناس ، فاشتدت ظهورُ المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف ، فانصرف الحجاج إلى البصرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى

(١) س : « تداركوا » ، والمداكاة : التزاحم على المكان ، وفي أ : « تذاكروا » ، وفي ط « تذاكوا » تصحيف .

(٢) ب ، ف : « وبعث الحجاج ثمانية » .

الصحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار^(١) الحجاج حتى نزل رستقباد قرياً من دَسْتَوَى في آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر قترسَخًا ، فقام في الناس . فقال : إنَّ الزيادة التي زادكم ابنُ الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ، ولست أُجيزُها . فقام إليه عبدُ الله بن الجارود العبدي فقال : إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتتها لنا . فكذبته وتوعدته ، فخرج ابنُ الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه ، وبعث برأسه ورءوس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرف إلى البصرة ، وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٨٧٥/٢ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج ؛ والسلام .

* * *

[نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفي هذه السنة نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العبيسي ، قال : ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازرون ، وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان ، فخذق المهلب عليه ، فذكر أهل البصرة أنَّ المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إنَّ رأيت أن تخذق عليك فافعل ؛ وإنَّ أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا : إنما خندقنا سيوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيته ، فوجدوه قد أخذ حذره ، فالتوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق ،

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابه ، فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل ،
وقتلوا حوله ^(١) ، فقال شاعرهم :

لمن العسكرُ المكذلُّ بالصَّرِّ عى فهمٌ بين مَيِّتٍ وقَتِيلٍ
فترَاهُم تَسْفِي الرِّيحُ عليهم حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الذُّيُولِ

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب
وعبد الرحمن بن مخنف ؛ أن ناهضاً الخوارج حين يأتيكما كتابي . فناهضاهم
يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالاً
شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتالٌ كان أشدَّ منه ، وذلك بعد الظهر ،
فالت الخوارجُ بحدّها على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره ،
فسرح إلى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس ، فأتوه ، فقالوا : إن
المهلب يقول لك : إنما عدونا واحد ، وقد ترى ما قد لقي المسلمون ، فأمدَّ
إخوانك يرحمك الله . فأخذ يُمِدُّه بالخيـل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ،
فلما كان بعد العصر ورأت الخوارجُ ما يبيح من عسكر عبد الرحمن من
الخيـل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خفَّ أصحابه ، فجعلوا خمس
كتاب أو سِتّاً تُجَاهَ عسكر المهلب ، وانصرفوا بحدّهم وجمعهم إلى
عبد الرحمن بن مخنف . فلما رآهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء ،
عليهم أبو الأحوص صاحبُ عبد الله بن مسعود ، وخزيمة بن نصر أبو نصر
ابن خزيمة العبسي الذي قُتل مع زيد بن عليّ وصُلب معه بالكوفة ، ونزل
معه من خاصّة قومه أحدٌ وسبعون رجلاً ، وحملت عليهم الخوارجُ فقاتلتهم قتالاً
شديداً . ثم إن الناس انكشفوا عنه ، فبقى في عصابة من أهل الصبر ثبتوا
معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادى في
الناس ليتبعوه إلى أبيه ، فلم يتبعه إلا ناس ^(٢) قليل ، فجاء حتى إذا دنا
من أبيه حالت الخوارجُ بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارتثته الخوارج ، وقاتل
عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلٍّ مشرف حتى ذهب نحو من
ثلثي الليل ، ثم قُتل في تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

(١) بعدها في ب ، ف : « كلهم » . (٢) ب ، ف : « أناس » .

أتاه ، فدفعته وصلى عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجاج ، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فنعى عبد الرحمن يميني ، وذم أهل الكوفة ، وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء ، وأمره إذا ضمتهم الحزب أن يسمح للمهلب ويطيع ، فساء ذلك ، فلم يجد بداً من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته ، فجاء حتى أقام في ذلك العسكر ، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب ، وهو في ذلك يتقضى أموره ، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء . فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالاً من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة ، فأغراهم بعتاب .

قال أبو مخنف عن يوسف بن يزيد : إن عتاباً أتى المهلب بسأله أن يرزق أصحابه ، فأجلسه المهلب معه على مجلسه ، قال : فسأله أن يرزق أصحابه سؤالاً فيه غلظة وتجهّم ، قال : فقال له المهلب : وإنك لها هنا ٨٧٨/٢ بابن السخناء! فبنو تميم يزعمون أنه ردّ عليه ، وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال : والله إنها لمعة مخلوعة ، ولوددت أن الله فرق بيني وبينك . قال : فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه ، فوثب عليه ابنه المغيرة ، فقبض على القضيب وقال : أصحح الله الأمير! شيخ من أشياخ العرب ، وشريف من أشرافهم ، إن سمعت منه بعض ما تذكره فاحتمله له ، فإنه لذلك منك أهل ، ففعل . وقام عتاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ، ويسقعه فيه .

فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ، ويسأله أن يضمّه إليه ، فوافق^(١) ذلك من الحجاج حاجةً إليه فيما تلى أشراف الكوفة من شبيب ، فبعث إليه أن اقدم واترك أمر ذلك الجيش إلى المهلب ، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب . وقال حميد بن مسلم يرى عبد الرحمن بن مخنف :

إن يقتلوك أبا حكيم غدوةً فلقد تشدّ وتقتل الأبطالاً

أَوْ يُشْكِلُونَا سَيِّدًا لِمُسَوِّدٍ
فَلَمِثْلُ قَتْلِكَ هَذَا قَوْمَكَ كُلَّهُمْ
مَنْ كَانَ يَكْشِفُ غُرْمَهُمْ وَقَتَالَهُمْ
أَقْسَمْتُ مَا زِلْتُ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ
٨٧٩/٢ وَتَنَاجَزَ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ آخَرَ لَيْلِهِمْ
وَتَكَشَّفَتْ عَنْهُ الصُّفُوفُ وَخَيْلُهُ
وَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مُرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ :

أَعَيْنِي جُودًا بِالْذُّمُوعِ السَّوَكَبِ
عَلَى الْأَزْدِ لَمَّا أَنْ أُصِيبَ سَرَاتُهُمْ
نُرَجِّي الْخُلُودَ بَعْدَهُمْ وَتَعُوقُنَا
وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ ابْنِ مِخْنَفٍ
أَمَارَ دُمُوعِ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ مِصْرِهِ
وَقَاتَلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَضَارَبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةً
فَلَا وَلَدَتْ أَنْثَى وَلَا آبَ غَائِبٌ
٨٨٠/٢ فَيَا عَيْنُ بَكْيٍ مِخْنَفًا وَابْنَ مِخْنَفٍ
وَقَالَ سُرَاقَةُ أَيْضًا يَرْتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ :

ثَوَى سَيِّدُ الْأَزْدَيْنِ أَزْدَ شَنْوَةٍ
وَضَارَبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَصُرَّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
وَأَزْدَ عُمَانَ رَهْنَ رَمْسٍ بِكَازِرٍ^(٣)
بِأَبْيَضَ صَافٍ كَالْعَقِيقَةِ بَاتِرٍ
كَرَامُ الْمَسَاعِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاشِرِ

قَضَى نَحْبَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ ابْنُ مِخْنَفٍ وَأَدْبَرَ عَنْهُ كُلُّ الْوَثِّ دَاثِرٌ
أَمَدٌ فَلَمْ يُمَدِّدْ فَرَاخَ مُشَمَّرًا إِلَى اللَّهِ لَمْ يَذْهَبْ بِأَثْوَابٍ غَادِرٍ
وَأَقَامَ الْمَهْلَبُ بِسَابُورٍ يِقَاتِلُهُمْ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَ صَالِحُ بْنُ مُسَرَّحٍ أَحَدُ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ ،
وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الصُّفَرِيَّةِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الصُّفَرِيَّةِ .

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ تَحَرُّكِ صَالِحٍ لِلْخُرُوجِ

وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ

ذَكَرَ أَنَّ صَالِحَ بْنَ مُسَرَّحٍ أَحَدَ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ حَجَّ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ
وَمَعَهُ شَيْبُ بْنُ يُزَيْدَ وَسُوَيْدُ الْبَطْنِيِّ وَأَشْبَاهُهُمْ .

٨٨١/٢

وَحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ ، فَهَمَّ شَيْبٌ بِالْفَتْكِ بِهِ ،
وَبَلَغَهُ ذَرْعٌ مِنْ خَيْرِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ بِأَمْرِهِ بِطَلْبِهِمْ ،
وَكَانَ صَالِحٌ يَأْتِي الْكُوفَةَ فَيَقِيمُ بِهَا الشَّهْرَ وَنَحْوَهُ فَيَلْقَى أَصْحَابَهُ لِيَعِدَّهُمْ ،
فَنَبَتْ بِصَالِحِ الْكُوفَةِ لَمَّا طَلَبَهُ الْحِجَّاجُ ، فَتَنَكَّبَهَا .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح

وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه - فيما ذكره هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الله ابن علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن صالح بن مسرح التيمي كان رجلاً ناسكاً مُخْبِتاً مصفراً الوجه ، صاحب عبادة ، وأنه كان بداراً وأرض المتوصل والجزيرة له أصحاب يُقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم ، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا^(١) أن قصص صالح بن مسرح عنده ، وكان ممن يرى رأيهم ، فسأله أن يبعث بالكتاب إليهم ، ففعل . ٨٨٢/١

وكان قصصه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾^(٢) . اللهم إنا لا نعدل بك ، ولا نخفد إلا إليك ، ولا نتعبد إلا بإياك ، لك الخلق والأمر ، ومنك النفع والضرة ، وإليك المصير . ونشهد أن محمدًا عبدك الذي اصطفيته ، ورسولك الذي اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك ، ونصيحة عبادك ، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ، ونصح للأمة ، ودعا إلى الحق ، وقام بالقسط ، ونصر الدين ، وجاهد المشركين ، حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، وكثرة ذكر الموت ، وفراق الفاسقين ، وحب المؤمنين^(٣) ، فإن الزهادة في الدنيا ترغّب العبد فيما

(١) ب ، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام : ١٠١ .

(٣) ب ، ف : « وحب المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُفرَّغَ بدنَه لطاعة الله ، وإن كثرةَ ذِكرِ الموت يُخيفُ العبدَ من ربِّه حتى يَسْجَأَ إليه ، ويستكينَ له ، وإن فراقَ الفاسقين حقٌّ على المؤمنين ، قال الله في كتابه : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(١) .

وإن حُبَّ المؤمنين للسبب^(٢) الَّذِي تُنال به كرامة الله ورحمته وجنته ، جعلنا الله وإيَّاكم من الصادقين الصابرين . ألا إنَّ مِنْ نعمة^(٣) الله على المؤمنين أنْ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم ، فعَلَّمَهُم الكتابَ والحكمة وزكَّاهُمْ وطَهَّرَهُمْ ٨٨٣/٢ ووقفَهُمْ في دينهم ، وكان بالمؤمنين رءوفاً رحيماً ، حتَّى قبضه الله ، صلواتُ الله عليه ، ثم ولى الأمر من بعده التقيُّ الصديق على الرضا من المسلمين ، فاقتدى بهديه ، واستنَّ بسُنَّته ، حتَّى لحقَ بالله - رحمه الله - واستخلف عمرَ ، فولَّاه الله أمرَ هذه الرعيَّة ، فعَمِلَ بكتاب الله ، وأحيا سُنَّةَ رسولِ الله ، ولم يُحْنِقْ في الحقِّ على جِريته^(٤) ، ولم يخفْ في الله لومة لائم ، حتَّى لَحِقَ به رحمةُ الله عليه ، وولى المسلمين مِنْ بعده عثمان ، فاستأثر بالفِئء ، وعَطَّلَ الحدودَ ، وجارَ في الحُكْم ، واستَدَلَّ المؤمن ، وعزَّزَ المجرم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرئَ الله منه ورسولُه وصالحُ المؤمنين^(٥) ؛ وولى أمرَ الناس من بعده على بنُ أبي طالب ، فلم ينشب أنْ حَكَمَ في أمر الله الرِّجال ، وشكَّ في أهل الضلال ، وركن وأدَّهن ، فنحن من على وأشياعه بُراء ، فتيَّسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحرِّبة ، وأئمة الضلال الظلمة وليُخرجوا من دارِ الفناء إلى دارِ البقاء ، واللَّحاق بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة ، ولا تجزعوا من القتل في الله ، فإنَّ القتلَ أيسرُ من الموت ، والموتُ نازلٌ بكم غير ما ترجُمُ الظنون ، فمفرِّق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم ، وحلائلكم ٨٨٤/٢ ودنياكم ، وإن اشتدَّ لذلك كُرْهُكم وجزعكم . ألا فيبعوا الله أنفسهم

(١) سورة التوبة: ٨٤ . (٢) ب ، ف : « السبب » .

(٣) ب ، ف : « نعم » . (٤) س : « جريته » ، ب ، ف : « حزيه » .

(٥) ف : « وصالحوا المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين ، وتعانقوا الحُور العِين ، جعلنا الله وإيمانكم من الشاكرين الذاكرين ، الذين يَهْدُونَ بالحق وبه يُعَدِّلُونَ .

قال أبو مِخْنَفٍ: فحدثني عبدُ الله بنُ عُلَاقَةَ ، قال : بينا أصحابُ صالحٍ يَخْتَلِفُونَ إليه إذْ قال لهم ذاتَ يومٍ : ما أدري ما تنتظرون ! حتى متى أنتم مقيمون ! هذا الجُور قد فشا ، وهذا العَدْلُ قد عفا ، ولا تَزِدَادُ هذه الولاةُ على الناسِ إلَّا غُلُوبًا وَعُتُوبًا ، وتباعدًا عن الحقِّ ، وجُرأةً على الرَّبِّ ؛ فاستعِدُّوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون مِن إنكار الباطل والدعاء إلى الحقِّ مِثْلَ الذي تريدون ، فيأتوكم فنلتقي وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أيِّ وقتٍ إنْ خرجنا نحن خارجون .

قال : فتراسل أصحابُ صالحٍ ، وتلاقوا في ذلك ، فبَيَّسْنَاهُمْ في ذلك إذْ قَدِمَ عليهم المَحَلَّلُ بن وائلِ اليَشْكُرِيُّ بكتابٍ من شَيْبٍ إلى صالح بن مسريح :

أما بعد ، فقد علمتُ أنَّكَ كنتِ أردتِ الشَّخْصَ (١) ، وقد كنتِ دعوتني إلى ذلك فاستجبتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخُ المسلمين . ولن نَعْدِلَ بك مِنَّا أحدًا ، وإن أردتِ تأخيرَ ذلك اليوم أعلَّمتني : فإنَّ الآجالَ غاديةٌ ورائحةٌ ، ولا آمَنَ أن تَخْتَرِمَتِي المنيَّةُ ولما أجاهد الظالمين . ٨٨٥/٢
فيا لله غيبتنا ، ويا لله فضلاً متروكاً! جَعَلَنَا الله وإيانك ممن يريد بعمله الله (٢) ورضوانه ، والنظر إلى وجهه ، ومرافقة الصالحين في دار السلام . والسلام عليك .

قال : فلما قَدِمَ على صالح المَحَلَّلُ بن وائلِ بذلك الكتابِ من شَيْبٍ كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابُك وخبرُك أبطأ عني حتى أَهَمَّنِي ذلك ، ثمَّ إنَّ امرأً من المسلمين نبأني بنبإٍ مُخْرِجِكَ ومَقْدَمِكَ ، فَنَحْمَدُ الله على قضاء رَبِّنا . وقد قَدِمَ عليَّ رسولُكَ بكتابك ، فكلَّ ما فيه قد فهمتُه . ونحن

(١) ب : ف : « الخروج والشَّخْص » .

(٢) أ : ب : « بغمده » . وبعدها في ب ، ف : « والدار الآخرة » .

في جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ، ثم أخرج بنا متى ما أحببت ، فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ، ولا تقفني دونه الأمور . والسلام عليك .

فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ، منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم ، والمحلل بن وائل اليشكري ، والصقر بن حاتم من بني تميم بن شيبان ، وإبراهيم بن حجر أبو الصقير من بني مُحَلَّم ، والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان ، ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بداراً ، فلما لقى قال : أخرج بنا رحمك الله ! فوالله ما تزداد السنة إلا دروساً ، ولا يزداد المحرمون إلا طغياناً . فبث صالح رسله في أصحابه ، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض ، وتهيئوا ، وتيسروا للخروج في تلك الليلة ، واجتمعوا جميعاً عنده في تلك الليلة لميعاده .

٨٨٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط الأزدى ، قال : والله إنني لسمع شبيب بالمدائن إذ حدثنا عن مخرجهم ، قال : لما هممنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج ، فكان رأي استعراض الناس لِمَا رَأَيْتُ من المنكر والعدوان والفساد في الأرض ، فقلت إليه فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تترى في السيرة في هؤلاء الظلمة؟ أنقتلهم قبل الدّعاء ، أم ندعوهم قبل القتال ؟ وسأخبرك برأيي فيهم قبل أن تُخبرني فيهم برأيك ؛ أما أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً ، فإننا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله ، واستحوذ عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعوهم ، فلعمري لا يُجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزري عليك ، والدعاء أقطع لحجّتهم ، وأبلغ في الحجة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ؟ ما تقول في دِمائهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصاب ، رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدثني رجل من بني محلم أن صالح بن مسرح

قال لأصحابه ليلة خرج : اتَّقُوا الله عبادَ الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلَّا أن يكونوا قومًا يريدونكم ، وينصِبُونَ لكم ، فإنكم إنَّمَا خرجتم غَضَبًا لله حيث انتَهَكْت محارمه ، وعُصِي في الأرض ، فسُفِكَت الدماء بغير حِلِّها ، وأُخِذَت الأموال بغير حقِّها ، فلا تَعْيَبُوا على قوم أعمالًا ثمَّ تعملوا بها ، ٨٨٧/٢ فإنَّ كلَّ ما أنتم عاملون أنتم عنه مستولون ، وإنَّ عَظَمَكم رجالة ، وهذه دوابَّ لمحمد بن مروان في هذا الرُّسْتاق ، فابْدَءُوا بها ، فشدُّوا عليها ، فاحمِلُوا أراجيلكم^(١) ، وتقوُّوا بها على عدوِّكم .

فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدوابَّ فحمَلُوا رجالتهم عليها ، وصارت رجالتُها فُرسانيًا ، وأقاموا بأرضِ دارا ثلاثَ عَشْرَةَ ليلة ، وتَحَصَّنَ منهم أهل دارا وأهلُ نَصِيبِينَ وأهلُ سِنَجَارٍ، وخرج صالحٌ ليلةَ خُرجٍ في مائة وعشرين — وقيل في مائة وعشرة — قال : وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أميرُ الجزيرة ، فاستخفَّ بأمرهم ، وبعث إليهم عدى بن عدى بن عُميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خَمْسِمِائَةٍ ، فقال له : أصْلَحَ اللهُ الأميرُ ! أتَبْعُنِي إلى رأسِ الخوارج منذ عشرين سنة ! قد خرج معه رجالٌ من ربيعة قد سُمُّوا لى ، كانوا يعازوننا ، الرجلُ منهم خيرٌ من مائة فارس في خمسمائة رجل . قال له : فإنِّي أزيدك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم في ألف ، فسار من حرَّان في ألف رجل ، فكان أوَّل جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى ، وكانَّما يساق إلى الموت ، وكان عدى رجلاً يتنسك ، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس وسرَّح إلى صالح بن مسرَّح رجلاً دَسَّه إليه ٨٨٨/٢ من بني نخالد من بني الوُرثَة ؛ يقال له : زياد بن عبد الله ، فقال : إنَّ عديًّا بَعَثَنِي إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتى بلدًا آخر فتقاتلَ أهلَه ؛ فإنَّ عديًّا للقائك كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنت ترى رأيًا^(٢) فأرنا من ذلك ما نَعْرِفُ^(٣) ، ثمَّ نحن مُدْبِحُونَ عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء^(٤) رأيًا رأيًا ، فإن شئنا

(١) ط : « أراجلكم » ، وانظر ابن الأثير . (٢) بعدها في ب ، ف : « فانت آمن » .

(٣) ب ، ف : « ما نعرفه » . (٤) ب ، ف : « العدوان » .

بدأنا بك ، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فانصرف إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به ، فقال له : ارجع إليه فقل له : إني والله ما أنا على رأيك ، ولكني أكره قتالك وقاتل غيرك ، فقاتل غيري ، فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ، ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتي عدى بن عدى بن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلى الضحى ، فلم يشعر إلا والخيل طالعة عليهم ، فلما بصروا بها تنادوا ، وجعل صالح شبيهاً في كتيبة في ميمنة أصحابه ، وبعث سويد بن سليم الهندي من بني شيان في كتيبة في ميسرة أصحابه ، ووقف هو في كتيبة في القلب ، فلما دنا منهم رأهم على غير تعبئة ، وبعضهم يحول في بعض ، فأمر شبيهاً فحمل عليهم ، ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا ، وأتى عدى بن عدى بدابته وهو يصلى فركبها ومضى على وجهه ، وجاء صالح ابن مسرح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه ، وذهب فل عدى وأوائل ٨٨٩/٢ أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان ، فغضب ، ثم دعا خالد بن جرزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بن جعونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعاهما ، فقال : أخرجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، وعجلاً الخروج ، وأغذا السير ، فأيتكما سبق فهو الأمير على صاحبه ؛ فخرجا من عنده فأغذا السير ، وجعلاً يسألان عن صالح بن مسرح فيقال لهما : إنه توجه نحو آمد ، فأتبعاه حتى انتهيا إليه ، وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلاً ، فمخندقا وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدته ، فوجه صالح شبيهاً إلى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه ، وتوجه هو نحو خالد بن جرزء السلمي .

قال أبو مخنف : فحدثني المصحلي ، قال : انتهوا إلينا في أول وقت العصر ، فصلى بنا صالح العصر ، ثم عبأنا لهم فاقتلتنا كأشد قتال اقتله قوم قط ، وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهم ، وعلى العشرين فكذلك ، وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا .

فلما رأى أميراهم ذلك ترجلاً وأمرأ جُلّ من معهما فترجل ، فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد ، إذا حَمَلْنَا عليهم استقبلتنا رجالاتهم بالرماح ، ونضحتنا رماتهم بالنبل ، وخیلهم تطاردنا في خلال ذلك . فقاتلناهم إلى المساء ^(١) حتى حالَّ الليلُ بيننا وبينهم ، وقد أفسحوا فينا الجراحة ، وأفشيئناها فيهم ، وقد قتلوا منا نحواً من ثلاثين رجلاً ، وقتلنا منهم أكثر من سبعين ، ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا ، فوقفنا متقابلهم ما يتقدمون علينا وما تقدم عليهم ، فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم ، ورجعنا إلى عسكرنا فصلينا وتروحنا وأكلنا من الكيسر .

ثم إن صالحاً دعا شيباً وروءس أصحابه فقال : يا أخلاقي ، ماذا ترون ؟ فقال شبيب : أرى أننا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم ، وقد اعتصموا بخندقهم ، فلا أرى أن نقيم عليهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك ، فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين ، فضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ، ثم دخلوا أرض الموصيل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة .

فلما بلغ ذلك الحجاج سرح إليهم الحارث بن عميرة بن ذى المشعار الهمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ، ألف من المقاتلة الأولى ، وألفين من الفرض الذي فرض لهم الحجاج . فسار حتى إذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرح نحو جلولاء وخانقين ، وأتبعه الحارث ابن عميرة حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جُوحى ، وصالح يومئذ في تسعين رجلاً ، فعبى الحارث ابن عميرة يومئذ أصحابه ، وجعل على ميمنته أبا الرواغ ^(٢) الشاكري ، وعلى ميسرته الزبير بن الأرواح التميمي ، ثم شد عليهم — وذلك بعد العصر — وقد جعل أصحابه ثلاثة كراديس ؛ فهو في كُردوس ، وشبيب في كُردوس في ميمنته ، وسويد بن سليم في كُردوس في الميسرة ، في كل كُردوس منهم ثلاثون رجلاً .

فلما شد عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد

(٢) ط : « الرءاع » تحريف .

(١) ب ، ف : « المي » .

ابن سليم ، وثبت صالح بن مسرح فقتل ، وضارب شبيب حتى صرع ، فوق في رجالة ، فشد عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح ابن مسرح فأصابه قتيلا ، فنادى : إلى يا معشر المسلمين ؛ فلاذوا به ، فقال لأصحابه : ليعجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ، ونرى رأينا ؛ ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب ، وأحاط بهم الحارث بن عميرة مُمسِيًا ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جَمْرًا فدعوه فإنهم لا يقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبتهم فنقتلهم . ففعلوا ذلك بالباب ، ثم انصرفوا إلى عسكرهم ، فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه ، فقال بعض أولئك الفرّص : يا بني الزواني ، ألم يُخزركم الله ! فقالوا : يا فُسّاق ، نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ أعماكم الله عن الحق الذي نحن عليه ، فما عُدركم عند الله في الفرّص على أمهاتنا ! فقال لهم حلّمائهم ^(١) : إننا هذا من قول شباب فينا سُفهاء ، والله ما يُعجبنا قولهم ولا نستحلّه . وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تنتظرون ! فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غُدوةً إنّه لتهلاككم ، فقالوا له : مرنا بأمرك ، فقال لهم : إن الليل أخفى للويل ، بايعوني و من شتم ^(٢) منكم ، ثم اخرجوا ^(٣) بنا حتى نشدّ عليهم في عسكرهم ، فإنّهم لذلك منكم آمنون ، وأنا أرجو أن ينصركم الله ٨٩٢/٢ عليهم . قالوا : فابسط يدك فلنبايعك ، فبايعوه ، ثم جاءوا ليخرجوا ، وقد صار بابهم جمرًا ، فأثوا باللّبود قبلوها بالماء ، ثم ألقيوها على الجمر ، ثم قطعوا عليها ، فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلا وشبيب وأصحابه يضربونهم ^(٤) بالسيوف في جوف عسكرهم ^(٥) . فضارب الحارث حتى صرع ، واحتملته أصحابه وانهزموا ، وخلقوا لهم العسكر وما فيه . ومضوا حتى نزلوا المدائن ، فكان ذلك الجيش أول جيش هزّمه شبيب ، وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من سنته .

(١) ب ، ف : « علمائهم » . (٢-٢) ب ، ف : « من فضلكم واخرجوا » .

(٣) ب ، ف : « يضاربونهم » . (٤) ب ، ف : « العسكر » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج]

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة .

• ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذي دعا شبيباً إلى ذلك :

وكان السبب في ذلك — فيما ذكر هشام^١، عن أبي مخنف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي — أن شبيباً لما قُتِل صالح بن مسرح بالمدبج وبايعه أصحاب صالح، ارتفع إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيّار بن المضاء التميمي تيم شيان، فدعاه إلى الخروج معه، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا^(١) في الديوان والمغازي، فاشترط عليه سلامة أن يستخيب ثلاثين فارساً، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليال عدداً . ففعل، فانتخب ثلاثين فارساً، فانطلق بهم نحو عسرة، وإنما أرادهم ليسحق نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة، وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفقاً حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال، عليه أثلة عظيمة، وعليه عسرة، فلما رآته عسرة قال بعضهم لبعض : نقتلهم ثم نعدو بهم إلى الأمير فنعطى ونحجى، فأجمعوا على ذلك، فقال بنو نصر أخواله : لعمرك الله لا نساعدكم على قتل ولانا . فنهضت عسرة إليهم فقاتلوهم فقتلوهم، وأتوا بروسهم عبد الملك بن مروان، فلذلك أنزلهم بانيقياً، وفرض لهم، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة، فقال سلامة بن سيّار، أخو فضالة يذكّر قتل أخيه وخيذلان أخواله إياه :

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الْفَتَى يُسْلِمُونَهُ لِيُوقَعَ السِّلَاحَ قَبْلَ مَا فَعَلْتُ نَصْرُ
قال : وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب .

(١) كذا في أ، وفي ط : « كان » .

فلما باع سلامةُ شبيباً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج في ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عترة ، فجعل يقتل المحلّة منهم بعد المحلّة حتى انتهى ٨٩٤/٢ إلى فريق منهم فيهم خالته ، وقد أكبّت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجت ثديها إليه : أنشدك برّحم هذا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيت فضالة مذ أناخ بعُمر الشجرة - يعني أخاه - لتقومين عنه ، أو لأجمنعن حافتك بالرمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله .

قال أبو مخنف : فحدثني المفضل بن بكر من بني تميم بن شيبان أن شبيباً أقبل في أصحابه نحو راذان ، فلما سمعت به طائفة من بني تميم ابن شيبان خرجوا هرباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حواليا ، وهم نحو من ثلاثة آلاف ، وشيب في نحو من سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم ؛ فهابوه وتحصنوا منه . ثم إن شبيباً سرى في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه ، وكانت في سفح سائداً ما نازلة في مظلة من مظال الأعراب : فقال : لا تين بأمي فلا جعلتها في عسكري فلا تفارقي أبداً حتى أموت أو تموت . وخرج رجلان من بني تميم بن شيبان تخوفاً على أنفسهما فنزلا من الدّير ، فلحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجلال منهم على مسيرة ساعة من النهار ، وخرج شبيب ، في أولئك الرّهط في أولهم وهم اثنا عشر ، يريد أمه بالسفح ، فإذا ٨٩٥/٢ هو بجماعة من بني تميم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين ، لا يرون أن شبيباً يمر بهم لمكانهم الذي هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم في فرسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخاً ؛ فيهم حوثر بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلاً من الدّير ، فلحقا بالجلال ، ومضى شبيب إلى أمه فحملتها من السفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجل من أصحاب الدّير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب ، وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حبان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسمعو قول الله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ،

قالوا : بلى ، قال لهم : فكفّوا عنا حتّى نُصبح ، ثمّ نخرج إليكم على أمان لنا منكم ، لكيلا تعرّضوا لنا بشيء نكرهه حتّى تعرّضوا علينا أمركم هذا ، فإن نحن قبلناه حرّمنا عليكم أموالنا ودمائنا ، وكنّا لكم إخواناً ، وإن نحن لم نقبله ردّدتمونا إلى ما منّا ، ثمّ رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم ؛ قالوا لهم : فهذا لكم . فلما أصبحوا خرجوا إليهم ، فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ، ووصفوا لهم أمرهم ، فقبلوا ذلك كلّهم ، وخالطوهم ، ونزلوا إليهم ، فدخل بعضهم إلى بعض ، وجاء شبيب وقد اصطلحوا ، فأخبره أصحابه خبرهم ، فقال : أصبتم ووفّقتم وأحسنتم . ٨٩٦/٢

ثمّ إن شبيباً ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفةً جانحة ، وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حَجَرَ الحَلَمي أبو الصَّقير كان مع بني تميم بن شبيان نازلاً فيهم ، ومضى شبيب في أداني أرض الموصل وتخوم أرض جَوْحى ، ثمّ ارتفع نحو أذربيجان ، وأقبل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان ، فأمر بالقُفُولِ ، فأقبل راجعاً في نحو من ألف فارس ، فصالح صاحب طبرستان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة عن سفيان بن أبي العالية الخثعمي أن كتاب الحجّاج أتاها : أما بعد ، فسرّ حتّى تنزل الدّسكرة فيمن معك ، ثمّ أقيم حتّى يأتيك جيشُ الحارث بن عميرة الهمداني بن ذى المشعار ، وهو الَّذي قَتَلَ صالح بن مسرّح وخيل المناظر ، ثمّ سرّ إلى شبيب حتّى تُباجزّه . فلما أتاها الكتابُ أقبل حتّى نزل الدّسكرة ، ونوْدَى في جيشِ الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن : أن برئت الدّمة من رجل من جيشِ الحارث بن عميرة لم يُواف سفيان بن أبي العالية بالدّسكرة .

قال : فخرجوا حتّى أتوه ، وأتته خيلُ المناظر ، وكانوا خمسمائة ، عليهم سِوَرَةٌ بن أبجر التميمي من بني أبتان بن دارم ، فوافوه إلا نحواً من خمسين رجلاً تخلّفوا عنه ، وبعث إلى سفيان بن أبي العالية ألاّ تبرح العسكر حتّى آتيك . فعتجل سفيان فارتحل في طلب شبيب ، فلمّحه بخانقين في سَفْحِ جبل على ميمته خازم بن سفيان الخثعمي من بني ٨٩٧/٢

عمرو بن شَهْرَان، وعلى ميسرته عدى بن عميرة الشَّيبَانِي، وأصَحَّرَ لهم شبيب ،
ثم ارتفع عنهم حتَّى كأنَّه يكره لقاءه، وقد أكن له أخاه مصاداً معه خمسون
في هَزْمٍ^(١) من الأرض .

فلَمَّا رَأَوْه جَمَعَ أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مُشْرِقًا فقالوا :
هرب عدو الله فاتَّبِعُوهُ ، فقال لهم عدى بن عميرة الشَّيبَانِي : أَيُّهَا النَّاسُ ،
لا تعجلوا عليهم حتَّى نَضْرِبَ في الأرض ونسير بها ، فإن يكونوا قد أكنوا لنا
كَمِينًا كُنَّا قد حَذَرْنَاهُ، وإلَّا فَإِنَّ طَلِبَهُمْ لَنُفَوِّتُنَا . فلم يسمع منه الناس ،
وأسرعوا في آثارهم . فلَمَّا رَأَى شبيب أَنَّهُمْ قد جازوا الكَمِينَ عَطَفَ عليهم .

ولما رَأَى الكَمِينَ أن قد جاوزوهم خَرَجُوا إِلَيْهِمْ ، فحمل عليهم شبيب
من أَمَامِهِمْ ، وصاح بهم الكمين مِن ورائهم ، فلم يقاتلهم أحد ، وكانت
الهزيمة ، فثبت ابنُ أَبِي العَالِيَةِ في نحو من مائتي رجل ، فقاتلهم قتالا شديداً
حَسَنًا ؛ حتَّى ظَنَّ أَنَّهُ انتصف من شبيب وأصحابه . فقال سُؤيد بن سُليم
لأصحابه : أَمِنْكُمْ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَمِيرَ الْقَوْمِ ابْنَ أَبِي العَالِيَةِ ؟ فَوَاللَّهِ لَنُعْرِفَتْهُ
لَأَجْهَدَنَّ نَفْسِي في قَتْلِهِ ، فقال شبيب : أَنَا مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِهِ ، أَمَا تَرَى
صَاحِبَ الْفَرَسِ الْأَغْرَ الَّذِي دُونَهُ الْمَرَامِيَةُ ! فَإِنَّهُ ذَلِكَ ، فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُهُ
فَأَمْلِكْهُ قَلِيلًا . ثم قال : يَا قَعْبَ ، اخْرُجْ في عشرين فأتهم من ورائهم ،
فخرج قعب في عشرين فارتفع عليهم .

فلَمَّا رَأَوْه يَرِيدُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ ورائهم جعلوا يَتَنَقَّضُونَ وَيَتَسَلَّلُونَ ،
وحمل سُؤيد بن سُليم على سُفْيَانَ بْنِ أَبِي العَالِيَةِ فطاعنه ، فلم تصنع رُمَحَاهُمَا
شَيْئًا ، ثم اضطربا بِسَيْفَيْهِمَا ثم اعتنق كل منهما صاحبه ، فوقعا إلى
الأرض يعتركان ؛ ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشفا ، وأتى
سُفْيَانُ غَلامٌ له يقال له غَزْرَوَان ، فنزل عن بِرْدَوْنِهِ ، وقال : اركبْ يَا مَوْلَايَ ،
فركب سُفْيَانُ ، وأحاط به أصحاب شبيب ، فقاتل دُونَهُ غَزْرَوَانُ فقتل ،
وكانت معه رايته . وأقبل سُفْيَانُ بْنُ أَبِي العَالِيَةِ حتَّى انتهى إلى بَابِلَ مَهْرُودًا ،

(١) الهزم : ما اطمان من الأرض .

يَسْجُولٌ فِي جُوحَى وَسُورَةٍ فِي طَلَبِهِ ، فجاء شبيب حتى انتهى إلى المدائن ، فتحصن منه أهلُ المدائن وتحرّزوا : وهى أبشنة المدائن الأولى ، فدخل المدائن ، فأصاب بهادواب جند كثيرة^(١) ، فقتل من ظهر له ولم يدخلوا البيوت ، فأتى فليل له : هذا سُورَةُ بْنُ أَبِيجَرٍ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ . فخرج في أصحابه ٩٠٠/٢ حتى انتهى إلى النَّهْرَوَانِ ، فنزلوا به وتوضّأوا وصلّوا ، ثم أتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم على بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فاستغفروا لإخوانهم ، وتبرّأوا من على وأصحابه ، وبكوا فأطالوا البكاء ، ثم خرجوا فقطعوا جسر النَّهْرَوَانِ ، فنزلوا من جانبه الشرقي ، وجاء سُورَةُ حتى نزل بقطرانا ، وجاءته عيونه فأخبرته بمنزل شبيب بالنَّهْرَوَانِ ، فدعا رعوس أصحابه فقال : لأنهم قلما يلتقون مُصْحِرِينَ أَوْ عَلَى ظَهْرٍ إِلَّا انْتَصَفُوا مِنْكُمْ ، وظهروا عليكم ، وقد حدثت أنهم لا يزيدون على مائة رجل إِلَّا قليلا ، وقد رأيتُ أن أنتخبكم فأسير في ثلثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فأتيهم الآن إذ هم آمنون لبياتكم ؛ فوالله إني لأرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم الذين صرّعوا منهم بالنَّهْرَوَانِ مِنْ قَبْلُ . فقالوا : اصنع ما أحببت . فاستعمل على عسكره حازم بن قدامة الخثعمي ، وانتخب من أصحابه ثلثمائة رجل من أهل القوة والجلد والشجاعة ، ثم أقبل بهم نحو النَّهْرَوَانِ ، وبات شبيب وقد أذكى الحرّس ، فلما دنا أصحاب سُورَةَ منهم نذروا بهم ، فاستأوا على خيولهم وتعبوا تعبتيهم .

٩٠١/٢ فلما انتهى إليهم سُورَةُ وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدوا ، فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم ، وضاربوهم حتى صد عنهم سُورَةُ وأصحابه ، ثم صاح شبيب بأصحابه ، فحمل عليهم حتى تركوا له العرصة ، وحملوا عليهم معه ، وجعل شبيب يضرب ويقول :

مِنْ يَنَّاكَ الْعَيْرَ يَنَّاكَ نِيَاكَ جُنْدَلَتَانِ اضْطَكَّتَا اضْطَكَّتَا
فَرَجَعَ سُورَةُ إِلَى عسكره وقد هُزِمَ الْفُرْسَانُ وَأَهْلُ الْقُوَّةِ ، فتحمل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن ، فدفع إليهم وقد تحمّل وتعدى الطريق الذي

فيه شبيب ، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يسلّحه فيصيب عسكره ، ويصيب بهزيمة أهل العسكر ، فأغذَّ السير في طلبهم ، فانتبهوا إلى المدائن فدّخلوها ، وجاء شبيب حتّى انتهى إلى بيوت المدائن ، فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابنُ أبي عَصِيْفِير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ، ورُموا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فرّ على كِلوَاذَا فأصاب بها دواب كثيرة للحجّاج فأخذها ، ثمّ خرج يسير في أرض جَوْخِي ، ثمّ مضى نحو تَكْرِيْت ، فبينا ذلك الجُند في المدائن إذ أرحف الناس بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دنا ، وهو يريد أن يبيّت أهل المدائن اللَّيلة ، فارتحل عامة الجُند . فلحقوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبدُ الله بنُ عَمَلْقَمَةَ الخُثْعَمِيّ ، قال : والله لقد هربوا من المدائن وقالوا : نُبِيتُ اللَّيلة ، وإن شبيباً لَيَتَكَبِّرِيْت ، قال : ٩٠٢/٢ ولمّا قدّم الفلّ على الحَجّاج سرّح الجزل بن سعيد بن شَرَحْبِيل بن عمرو الكندي .

قال أبو مخنف : حدّثنا النَّضْر بنُ صالح العبّسيّ وفُضَيْل بنُ خَدِيج الكنديّ أن الحَجّاج لمّا أتاه الفلّ قال : قبح الله سورة ضيّع العسكر والجُند ، وخرج يبيّت الخوارج ، أمّا والله لأسوءنّه ، وكان بعدُ قد (١) حبّسه ثمّ عَقّا عنه .

قال أبو مخنف : وحدّثني فضيل بن خديج أن الحَجّاج دعا الجزل — وهو عثمان بن سعيد — فقال له : تيسّر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ، ولا تحجّم إحجام الواني الفرق ، هل فهمت ؟ لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصالح الله الأمير قد فهمت ؛ قال له : فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتّى يخرج إليك الناس ، فقال : أصالح الله الأمير ! لا تبعنّ معي أحداً من أهل هذا الجُند المفلول المهزوم ، فإنّ الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيتُ ألا ينفعك والمسلمين منهم أحد ؛ قال له : فإنّ ذلك لك ، ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ووفّقت . ثمّ دعا أصحاب الدّواوين فقال : اضربوا على

الناس البعث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، من كل رُبع ألف رجل ، وعجلوا ذلك ، فجمعت العرفاء ، وجلس أصحاب الدواوين ، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالعسكر فعسكروا ، ثم نودي ٩٠٣/٢ فيهم بالرحيل ، ثم ارتحلوا ونادى منادى الحجاج : أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفاً ؛ قال : فمضى الجَزَل بن سعيد ، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكِنْدِي على مُقَدَّمته ، فخرج حتى أتى المدائن ، فأقام بها ثلاثاً ، وبعث إليه ابن أبي عَصِيْفِير بفرس وبرذون وبغلين وألئى درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عَصِيْفِير . ثم إن الجَزَل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب ، فطأه في أرض جُوخَى ، فجعل شبيب يريه الهيبة ، فيخرج من رُستاق إلى رُستاق ، ومن طَسْوَج إلى طَسْوَج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجَزَل أصحابه ، ويتعجل إليه فيلقاه في يسير من الناس على غير تعب ، فجعل الجَزَل لا يسير إلا على تعب ، ولا ينزل إلا خندق على نفسه خندقاً ، فلمّا طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسرّوا .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لَقِيْط أن شبيباً دعانا ونحن بدير يرماسون ومائة رجل ، فجعل على كل أربعين من أصحابه رجلاً ، وهو في أربعين ، وجعل أخاه مصاداً في أربعين ، وبعث سُوَيْد بن سُلَيْم في أربعين ، وبعث المحلّل بن وائل في أربعين ، وقد أتته عيونه فأخبرته أن الجَزَل بن ٩٠٤/٢ سعيد قد نزل دير يزدجرد ، قال : فدعانا عند ذلك فعبأنا هذه التعبئة ، وأمرنا فعلقنا على دوابنا ، وقال لنا : تيسروا فإذا قضت دوابكم فاركبوا ، وليس كل امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه ، ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه . ودعا أمراءنا فقال لهم : إني أريد أن أبيت هذا العسكر الليلة ، ثم قال لأخيه مصاد : إيتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبيل حلوان ، وسأتيهم أنا من أممي من قبيل الكوفة ، وأتتهم أنت يا سُوَيْد من قبيل المشرق ، وأتتهم أنت يا محلّل من قبيل المغرب ، ولينسج

كلّ امرئ منكم على الجانب الذى يَحْمِلُ عليه ، ولا تُقْلِعُوا عنهم ،
تَحْمِلُونَ وتُكَرِّرُونَ عليهم ، وتُصِيحُونَ بهم حتّى يَأْتِيَكُمْ أمرى . فلم نزل على
تلك التعبئة ، وكنتُ أنا فى الأربعين الذين كانوا معه ، حتّى إذا قُضِيَتْ
دوابُّنا — وذلك أوّل اللّيل أوّل ما هدأت العيون — خرجنا حتّى انتهينا إلى دَيْرِ
الحرّارة ، فإذا للقوم مَسْلَحة ، عليهم عِياضُ بنُ أبى لينة ، فما هو إلا
أن انتهينا إليهم ، فحَمَلَ عليهم مِصَادُ أخو شبيب فى أربعين رجلاً ،
وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يَسْبِقَ شبيباً حتّى يرتفع عليهم ويأتِيهم
من ورائهم كما أمره ، فلمّا لَقِيَ هؤلاء قَاتَلَهُمْ فَصَبَرُوا ساعةً ، وقَاتَلُوهم . ثمّ
إنّا دفعنا إليهم جميعاً ، فَحَمَلْنَا عليهم فهزمناهم ، وأخذوا الطريق
الأعظم ، وليس بينهم وبين عسكرهم بَدَيْرٍ يَزْدَجِرْدُ إلا قَرِيبٌ مِنْ مِيلٍ .
٩٠٥/٢ فقال لنا شبيب : اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتّى تدخلوا معهم عسكرهم
إن استطعتم ؛ فاتبعناهم والله مُلْطِئِينَ^(١) بهم ، ملحقين عليهم ، ما نرفقه عنهم
وهم منهزمون ، ما لهم همة إلا عسكرهم ، فانتهوا إلى عسكرهم ، ومنعهم أصحابُهم
أن يدخلوا عليهم ، ورَشَقُونَا بالنَّبَلِ ، وكانت عيون لهم قد أمتنتهم فأخبرتهم
بمكاننا ، وكان الجَزَلُ قد خندق عليه ، وتحرّز ووضع هذه الأسلحة الذين
لقيناهم بدَيْرِ الحرّارة ، ووَضَعَ مسلحةً أخرى ممّا بلى حُلُوان على الطريق ،
فلمّا أن دفعنا إلى هذه المسلحة التى كانت بدَيْرِ الحرّارة فالحقناهم بعسكر
جماعتهم ورجعت المسالحة الأخرى حتّى اجتمعت ، منعها أهل العسكر دخول
العسكر وقالوا لهم : قَاتِلُوا ، وانضحوا عنكم بالنبل .

قال أبو مخنف : وحَدَّثَنِى جَرِيرُ بن الحسين الكندى ، قال : كان على
المسلحتين الأخرين عاصمُ بنُ حجرٍ على التّى تلى حُلُوان ، وواصلُ
ابنُ الحارث السّكونى على الأخرى . فلمّا أن اجتمعت المسالحة جعل شبيبُ
يَحْمِلُ عليها حتّى اضطرها إلى الخندق ، ورَشَقَهُمُ أهلُ العسكر بالنبل
حتّى ردّوهم عنهم . فلمّا رأى شبيب أنّه لا يصل إليهم قال لأصحابه :
سِيرُوا وَدَعُوهم ، ففضى على الطريق نحو حُلُوان حتّى إذا كان قريباً

(١) ملّطين ، بمعنى ملحقين .

من موضع قِباب حسين بن زُفَر من بني بَدْر بن فزارة - وإنَّما كانت قِبابُ حسين بن زُفَر بعد ذلك - قال : لأصحابه : انزلوا فاقضوا وأصلحوا ٩٠٦/٢ نبلكم وتروحووا وصَلُّوا ركعتين ، ثمَّ اركبوا ؛ فنزلوا ففعلوا ذلك . ثمَّ إنَّه أقبل بهم راجعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً ، وقال : سيروا على تعبيتكم التي عبَّأتكم عليها بدِيرِيرِما أوَّل الليل ، ثمَّ أطيفوا بعسكرهم كما أمرتكم ، فأقبلوا . قال : فأقبلنا معه وقد أدخل أهلُ العسكر مسالِحهم إليهم ، وقد أمَّنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافِر خيولنا قريباً منهم ، فأنتهينا إليهم قُبيل الصَّبح فأحطَّنا بعسكرهم ، ثمَّ صيَّحنا^(١) بهم من كلِّ جانب ، فإذا هم يُقاتلوننا من كلِّ جانب ، ويرموننا بالنبل . ثمَّ إنَّ شبيباً بعث إلى أخيه مصادٍ وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أنْ أقبل إلينا ونخلُّ لهم سبيل الطريق إلى الكوفة ، فأقبل إليه ، وترك ذلك الوجه ، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة ؛ حتَّى أصبحنا ، فأصبحنا ولم نستفل منهم شيئاً ، فسرنا وتركناهم ، فجعلوا يصيحون بنا : أين يا كلاب النار ! أينَ أيتها العِصابة المارقة ! أصبحوا نخرجُ إليكم ، فارتفعنا عنهم نحواً من ميل ونصف ، ثمَّ نزلنا فصلَّينا الغداة ، ثمَّ أخذنا الطريق على براز الرُّوذ ، ثمَّ متَّصيناً إلى جرجَرايا وما يليها ، فأقبلوا في طلبنا .

قال أبو مخنف : فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر ، قال : كنت مع الناس تاجراً وهم في طلب الحرورية ، وعلينا العِزَل بنُ سعيد ، فجعل ٩٠٧/٢ يتبعهم فلا يسير إلَّا على تعبئة ، ولا يَنزل إلَّا على خندق ، وكان شبيبٌ يدعه ويضرب في أرض جُوخى وغيرها يكسر الخراج ، وطال ذلك على الحجَّاج ، فكتب إليه كتاباً ، فقرأ على الناس :

أما بعد ، فإنِّي بعثتُك في فرسان أهل المِصر ووجوه الناس ، وأمرتُك بإتباع هذه المارقة الضَّالة المُضَلَّة حتَّى تلقاها ، فلا تُقلِّع عنها حتَّى تَمَتِّلها وتُفنيها ؛ فوجدتَ التعريسَ في القُرى والتَّخيمَ في الخنادق أهوَن عليك من المضيِّ لما أمرتُك به من مناهضتهم ومناجرتهم . والسلام .

فقرأ الكتابُ علينا ونحن بقطرانا ودَيْرِ أبي مَرِّيم ، فشَقَّ ذلك على

الجزل ، وأمر الناس بالسَّير ، فخرجوا في طلب الخوارج جادّين ، وأرجفنا بأمرنا وقلنا : يُعزّل .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهَمْداني ثمّ البرُسمي أن الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش ، وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف إليهم ولا تُناظرهم ولا تُطاوّلهم وواقفهم واستعين بالله عليهم ، ٩٠٨/٢ ولا تصنع صنيع الجزل ، واطلبهم طلب السَّبع ، وحيد عنهم حديدان الضَّبع . وأقبل الجزل في طلب شبيب حتّى انتهوا إلى النّهروان فأدركوه فلزم عسكره ، وخذق عليه . وجاء إليه سعيد بن المجالد حتّى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا ، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

يا أهل الكوفة ، إنكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم . أنتم في طلب هذه الأعراب العُجف منذ شهرين ، وهم قد خربوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزايدونها إلا أن يبلعكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ، ونزلوا بلداً سوى بلدكم ، فاخرجوا على اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل ، فقال له الجزل : أقم أنت في جماعة الجيش ، فارسيهم وراجلهم ، وأصحر له ؛ فوالله ليقدمن عليك ، فلا تُفرّق أصحابك ؛ فإنّ ذلك شرّ لهم وخير لك . فقال له : قف أنت في الصّف ، فقال : يا سعيد بن مجالد ، ليس لي فيما صنعت رأي ، أنا برىء من رأيك هذا ، سمع الله ومن حضر من المسلمين . فقال : هو رأيي إن أصبت ؛ فالله وفّقني له ، وإن يكن غير صواب فأنتم منه برء ، قال : فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق ، وجعل على ميمنتهم^(٢) عياض بن أبي لينة الكِندي ، وعلى يسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرّواسي ، ووقف الجزل في جماعتهم

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناس معه ، وقد أخذ شبيب^(١) إلى ٩٠٩/٢
برآز الروز ، فنزل قَطُفُتا^(٢) ، وأمر دهقَانَهَا أن يشتري لهم ما يصلحهم ،
ويتخذ لهم غداءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطُفُتا^(٣) وأمر بالباب فأغلق ، فلم
يتفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر ، فصعد
الدّهقان السور فنظر إلى الجُنْد مقلبين قد دنّوا من حصنه ، فنزل وقد تغير
لونه ، فقال له شبيب : ما لي أراك متغير اللون ! فقال له الدّهقان : قد
جاءتك الجنود من كل ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرك غداؤنا ؟ قال :
نعم ، قال : فقرّبته ، وقد أغلق الباب ، وأتى بالغداء ، فتغدّى وتوضأ وصلى
ركعتين ، ثم دعا ببغل له فركبه .

ثمّ لأنّهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب ففتّح ، ثمّ خرج على
بغله فحمّل عليهم . وقال : لا حكمَ إلّا للحكّم الحكيم ، أنا أبو مدله ،
اثبتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمع قومه وخيلته ، ويُرْلِفُها^(٤) في أثره ، ويقول :
ما هؤلاء ! إنّما هم أكلةُ رأس ، فلما رآهم شبيب قد تقطّعوا وانتشروا
لفّ خيله كلّها ، ثمّ جمعها ، ثمّ قال^(٥) : استعرضوهم استعراضاً ، وانظروا ٩١٠/٢
إلى أميرهم ، فوالله لأقتلته أو يقتلني . وحمّل عليهم مستعرضاً لهم ، فهزّمهم
وثبت سعيد بن المجالد ، ثمّ نادى أصحابه : إلىّ إلىّ ، أنا ابن ذى مُرّان !
وأخذ قلنسوّته فوضعها على قَرَبِوس سرّجه ، وحمّل عليه شبيب فعمّته
بالسيف ، فخالط دماغه ، فخرّ ميتاً ، وانهزم ذلك الجيش ، وقتلوا كل
قتلة ، حتّى انتهوا إلى الجَزَل ، ونزل الجزل ونادى : أيها الناس ، إلىّ .
وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد
هلك فأمركم الميمون النّقيب المبارك حيّ^(٦) لم يمت ، فقاتل الجزل قتالا
شديداً حتّى حمّل من بين القتلى ، فحمّل إلى المدائن مرثناً ، وقدم
فلّ أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكان من أشدّ الناس بلاء يومئذ خالد بن

(١) كذا في ابن أبي الحديد ٤ : ٢٤١ ، وهو الصواب ، وانظر مراد الاطلاع .

(٢) « يدلّها » . (٣) ب ، ف : « فقال » .

(٤) ب ، ف : « حي وهو الأمير المبارك » .

نَهَيْكَ مِنْ بَنِي ذُهْلَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَعِيَاضَ بْنِ أَبِي لَيْثَةَ ، حَتَّى اسْتَنْقَظَاهُ وَهُوَ مَرْتَشٌّ . هَذَا حَدِيثُ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ قِتَالُهُمْ فِيمَا بَيْنَ دَيْرِ أَبِي مَرْيَمَ إِلَى بَرَّازِ الرَّوْزِ . ثُمَّ إِنَّ الْجَزَلَ كَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ .

قال : وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ ، وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم ، وذلك اليوم يوم سوقهم ، وكان بلغه أنهم يخافونه ، فأحسب أن يؤمنهم ، وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دوابً وثياباً وأشياء ليس لهم منها بُدٌّ ، ثم أخذ بهم نحو الكوفة ، وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر المملِك الذي يلي قصر ابن هُبيرة . ثم أغدَّ السير من الغد ، فبات بين حمام عمر بن سعد وبين قُبَيْنَ . فلما بلغ الحجاج مكانه ٩١١/٢ بعث إلى سُوَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ ، فبعثه في ألفي فارس نقاوة ، وقال له : اخرج إلى شبيب فאלقه ، واجعل ميمنةً وميسرةً ، ثم انزل إليه في الرجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه . فخرج فمسكر بالسَّبَخَةِ ، فبلغه أن شبيباً قد أقبل ، فأقبل نحوه وكأنهما يساقون إلى الموت ، وأمر الحجاج عثمان ابن قَطَنَ فمسكر بالناس بالسَّبَخَةِ^(١) ، ونادى : ألا برئت الذمّة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج إلى عثمان بن قَطَنَ بالسَّبَخَةِ ! وأمر سُوَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يَسِيرَ فِي الْأَلْفَيْنِ اللَّذِينَ مَعَهُ حَتَّى يَلْقَى شَبِيبًا فَعَبَّرَ بِأَصْحَابِهِ إِلَى زُرَّارَةَ وَهُوَ يَعْثُفُهُمْ وَيَحْرُضُهُمْ إِذْ قِيلَ لَهُ : قَدْ غَشِيَكَ شَبِيبٌ ، فنزل ونزل معه جُلُّ أصحابه ، وقدّم رايته ومضى إلى أقصى زُرَّارَةَ ، فأخبر أن شبيباً قد أخبر بمكانك فتركك . ووجد مخاضة فعبقر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به . ثم قيل له : أما تراهم ! فنادى : في أصحابه ، فركبوا في آثارهم .

وإن شبيباً أتى دارَ الرِّزْقِ^(٢) ، فنزلها ، فقيل : إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسَّبَخَةِ ، فلما بلغهم مكان شبيب صاح^(٣) بعضهم ببعض

(١) ب ، ف : « في السبخة » :

(٢) ف : « الرزق » .

(٣) ١ : « صاح » .

وجالوا ، وهَمَّوْا أَنْ يَدْخُلُوا الْكُوفَةَ حَتَّى قِيلَ لَهُمْ : إِنَّ سُوَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي آثَارِهِمْ قَدْ لَحِقَهُمْ وَهُوَ يَقَاتِلُهُمْ فِي الْخَيْلِ .

قال هشام : وأخبرني عمرُ بنُ بشيرٍ ، قال : لَمَّا نَزَلَ شَيْبَابُ الدَّيْرِ أَمْرُ ٩١٢/٢
بَغْتَمَ تَهِيئاً لَهُ ، فَصَعِدَ الدَّهْقَانُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، فَقَالَ : مَا لَكَ !
قال : قَدْ وَاللَّهِ جَاءَكَ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، قَالَ : أَبْلَغِ الشَّوَاءُ بَعْدُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : دَعْنِي .
قال : ثُمَّ أَشْرَفَ لِإِشْرَافَةٍ أُخْرَى ، فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ أَحَاطُوا بِالْجَوْسِقِ ، قَالَ :
هَاتِ شِوَاءَكَ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ غَيْرَ مَكْتَرٍ لَهُمْ ، فَلَمَّا فَرَغَ تَوَضَّأَ وَصَلَّى
بِأَصْحَابِهِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ تَقَلَّدَ سَيْفَيْنِ بَعْدَمَا لَبَسَ دَرْعَهُ ، وَأَخَذَ عُمُودَ حَدِيدٍ
ثُمَّ قَالَ : أَسْرِجُوا لِي الْبَغْلَةَ ، فَقَالَ أَخُوهُ مَصَادٌ : أَفَى هَذَا الْيَوْمِ تُسْرِجُ
بَغْلَةً ! قَالَ : نَعَمْ أَسْرِجُوهَا ، فَرَكَبَهَا . ثُمَّ قَالَ : يَا فُلَانُ ، أَنْتَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ
وَأَنْتَ يَا فُلَانُ عَلَى الْمِيسِرَةِ ، وَقَالَ لِمَصَادٍ : أَنْتَ فِي الْقَلْبِ ، وَأَمْرُ الدَّهْقَانِ
فَفَتَحَ الْبَابَ فِي وَجْهِهِمْ . قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَحْكُمُ ، فَجَعَلَ سَعِيدٌ
وَأَصْحَابُهُ يَرْجِعُونَ الْقَهْقَرَى حَتَّى صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّيْرِ نَحْوُ مِنْ مِيلٍ .
قال : وَجَعَلَ سَعِيدٌ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ هَمْدَانٍ ، أَنَا ابْنُ ذِي مُرَّانَ ، إِلَى الْإِلَى .
وَوَجَّهَ سِرْباً مَعَ ابْنِهِ وَقَدْ أَحْسَنَ أَنَّهَا تَكُونُ عَلَيْهِ ، فَظَنَرَ شَيْبَابُ إِلَى مَصَادٍ
فَقَالَ : أَتُكَلِّمُنِيكَ اللَّهُ إِنْ لَمْ أَتُكَلِّمْهُ وَلَدَهُ . قَالَ : ثُمَّ عَلَاهُ بِالْعَمُودِ ،
فَحَسَقَ قَطْعَ مَيْتاً ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَمَا قُتِلَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قَتِيلٌ وَاحِدٌ . قَالَ :
وَانْكَشَفَ أَصْحَابُ سَعِيدِ بْنِ مَجَالِدٍ حَتَّى أَتَوْا الْجَزْلَ ، فَناداهمُ الْجَزْلُ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، إِلَى الْإِلَى . وَناداهمُ عِيَاضُ بْنُ أَبِي لَيْنَةَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ يَكُنْ
أَمِيرُكُمْ هَذَا الْقَادِمُ قَدْ هَلَكَ فَهَذَا أَمِيرُكُمْ الْمَيْمُونُ النَّقِيبَةُ ، أَقْبِلُوا إِلَيْهِ ، ٩١٣/٢
وَقَاتِلُوا مَعَهُ ؛ فَتَنَّهُمْ مِنْ أَقْبَلٍ إِلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَكِبَ رَأْسَهُ مِنْهَزِماً ، وَقَاتَلَ
الْجَزْلَ قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى صُرِعَ ، وَقَاتَلَ عَنْهُ خَالِدُ بْنُ نَهْيَكٍ وَعِيَاضُ
ابْنُ أَبِي لَيْنَةَ حَتَّى اسْتَنْقَذَاهُ وَهُوَ مُرْتَثٌ ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مِنْهَزِمِينَ
حَتَّى دَخَلُوا الْكُوفَةَ ، فَأَتَى بِالْجَزْلَ حَتَّى أَدْخَلَ الْمَدَائِنَ ، وَكُتِبَ إِلَى
الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ .

قال أبو مِيخْنَفٍ : حَدَّثَنِي بِذَلِكَ ثَابِتٌ مَوْلَى زُهَيْرٍ :

أما بعد ، فلإني أخبر الأمير أصلحه الله أني خرجت فيمن قبلي من
الجنود الذي وجهني إلى عدوه ، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلى فيهم
ورأيت ، فكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة ، وأحبس الناس عنهم إذا
خشيت الورطة ، فلم أزل^(١) كذلك ، ولقد أردت العدو بكل ريدة^(٢) فلم
يُصيب مني غيرة ، حتى قدم على سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ، ولقد أمرته
بالثؤدة ، ونهيتة عن العجلة ، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس
عامّة فعصاني ، وتعجل إليهم في الخيل ، فأشهدت عليه أهل المصيرين
أنني برى من رأيه الذي رأى ، وأنني لا أهوى ما صنع . فغضب فأصيب تجاوز
الله عنه ، ودفع الناس إلى ، فنزلت ودعوتهم إلى ، ورفعت لهم رأيتي ،
وقاتلت حتى صرعت ، فحملني أصحابي من بين القتلى ، فافقت إلا وأنا
على أيديهم على رأس ميل من المعركة ، فأنا اليوم بالمدان في جراحة قد يموت
الرجل من دونها ويغافى من مثلها . فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي
له ولجنده ، وعن مكايدي عدوه ، وعن موقفي يوم البأس ، فإنه يستبين له
عند ذلك أني قد صدقته ونصحت له . والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك وقرأته ، وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد
صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأمرتك ، وحيطتك
على أهل مصر ، وشدتك على عدوك ، وقد فهمت ما ذكرت^(٣) من أمر
سعيد وعجلته إلى عدوه ، فقد رضيت عجبكته وتؤدتك ، فأما عجلته
فإنها أفضت به إلى الجنة ، وأما تؤدتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ،
وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم ، وقد أصبت وأحسن البلاء ، وأجبرت^(٤) ،
وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة ، وقد أشخصت إليك حيّان

(١) ب ، ف : « فأذا لم » .

(٢) أي بكل نوع من أنواع الإرادة . وفي طه « إرادة » وأثبت ما في أ .

(٣) ب ، ف : « ذكرته » .

(٤) أجرت ، أي لقيت الأجر .

ابن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك ، وبعثُ إليك بألفي درهم فأنفقها في حاجتك^(١) وما ينوبك . والسلام .

فقدِم عليه حيَّان بنُ أبجر الكنانى من بنى فِراس — وهم يعالِجون الكِبيَّ وغيره — فكان يداويه ، وبعث إليه عبد الله بن أبي عَصِيفير بألف درهم ، وكان يعوده ويتعاهدُه باللَّطَف والهدية . قال : وأقبل شبيب نحو المدائن ، فعلم أنَّه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتَّى انتهَى إلى الكَرْخ ، فعبَدَ جِلَّةً إليه ، وبعث إلى أهل سُوق بَغْدَاد وهو بالكَرْخ أن اثبتُوا في سُوقكم فلا بأس عليكم — وكان ذلك يوم سوقهم — وقد كان بلغه أنَّهم يخافونه . ٩١٥/٢ قال : وبَسْرُجُ سُوَيْد حتَّى جعل بيوتَ مَزِينَة وبنى سُلَيْم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملةً منكراً ، وذلك عند المساء ، فلم يقدر منهم على شيء ، فأخذ على بيوت الكُوفَة نحو الحيرة ، وأتبعه سُوَيْد لا يفارقه حتَّى قطع بيوتَ الكُوفَة كلَّها إلى الحيرة ، وأتبعه سُوَيْد حتَّى انتهَى إلى الحيرة ، فبَسَجِدَه قد قَطَعَ قنطرة الحيرة ذاهباً ، فتركه وأقام حتَّى أصبح . وبعث إليه الحِجَّاج أن أتبعه فأتبعه ، ومضى شبيب حتَّى أغار في أسفل الفُرات على من وجد من قومه ، وارتفع في البر من وراء خَفَّان في أرض يقال لها الغلظة^(٢) ، فيصيب رجالاً من بنى الورثة ، فتحمَّل عليهم ، فاضطرَّهم إلى جَمَدٍ من الأرض ، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم ، فلمَّا نَفِدَت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحرمان بن مالك ؛ كلَّهم من بنى الورثة .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك عطاء بنُ عَرفَجة بن زياد بن عبد الله الورثي . ومضى شبيب حتَّى يأتى بنى أبيه على اللصف (ماء لِرَهْطَه) وعلى ذلك الماء الفِزْر بنُ الأسود ، وهو أحد بنى الصَّلْت ، وهو الذى كان يَنْهَى شبيباً عن رأيه ، وأن يُفسد بنى عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكْتُ سبعةَ أعنةٍ لأغزوَنَّ الفِزْر . فلمَّا غَشِيَهُم شبيب ٩١٦/٢

(١) ب ، ف : « جراحتك » .

(٢) ب ، ف : « الغلظة » .

في الخيل سأل عن الفِزْر فاتَّقاه الفِزْر ، فخرج على فرس لا تُجَارَى من وراء البيوت ، فذهب عليها في الأرض ، وهرب منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهل البادية حتَّى أخذ على القُطْقُطانة ؛ ثم على قصر مُقَاتِل ، ثم أخذ على شاطئ الفُرات حتَّى أخذ على الحَصَاصة ، ثم على الأنبار ، ثم مضى حتَّى دخل دَقُوءًا ، ثم ارتفع إلى أداني آذريجان . فتركه الحجَّاج وخرج إلى البَصْرَة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فاشعر الناس بشيء حتَّى جاء كتابٌ من ماذرواسب دهقان بابل مهزُود وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجرًا من تجار الأنبار من أهل بلادى أتاني فذكر أن شبيبًا يريد أن يدخل الكوفة في أوّل هذا الشهر المقبل ، أحببت لإعلامك ذلك لترى رأيك ، ثم لم ألبث إلا ساعة حتَّى جاءني جابييان من جبّاتي فحدّثاني أنّه قد نزل خانيجار . فأخذ عروة كتابه فأدرّجته وسرّح به إلى الحجَّاج بالبصرة ، فلمّا قرأه الحجَّاج أقبل بجوادًا إلى الكوفة ، وأقبل شبيب يسير حتَّى انتهى إلى قرية يقال لها حرّبي على شاطئ دجلة فعبر منها ، فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقالوا : حرّبي ، فقال : حرب يصلّي بها عدوكم ، وحرب تُدخلونه بيوتهم ، إنّما يتطيّر من يقفوف ويعيف ، ثم ضرب رايته وقال لأصحابه : سيروا ؛ فأقبل^(١) حتّى نزل عقرقوفًا ، فقال له سُويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ، لو تحوّلت بنا من هذه القرية المشنومة الاسم ! قال : وقد تطيّرت أيضًا ! والله لا أتحوّل عنها حتّى أسير إلى عدوى منها ، إنّما شؤمها إن شاء الله على عدوكم تحمّلون عليهم فيها ، فالعقر لهم .

ثم قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إنّ الحجَّاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء ، فسيروا بنا . فخرج يسادر الحجَّاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحجَّاج أن شبيبًا قد أقبل مسرعًا يريد الكوفة ، فاعجل العجل . فطوى الحجَّاج المنازل ، واستبقا إلى الكوفة ، ونزلها الحجَّاج صلاة الظهر ، ونزل شبيب السبّخة صلاة المغرب ، فصلّى المغرب والعشاء ، ثم أصاب هو وأصحابه من الطّعام شيئًا يسيرًا ، ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شبيب حتّى انتهى إلى السوق ، ثم شدّ حتى ضرب باب القصر بعموده

قال أبو المنذر: رأيت ضربة شبيب بباب القصر قد أثرت أثراً عظيماً، ثم أقبل حتى وقف عند^(١) المصطبة، ثم قال:

وَكَاَنَّ حَافِرَهَا بِكُلِّ خَمِيلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَجِيحٌ مُعْدِمٌ
عَبْدٌ دَعَى مِنْ ثَمُودٍ أَصْلَهُ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَقْدُمُ

ثم افتتحوا المسجد الأعظم وكان كبيراً لا يفارقه قوم يصلون فيه، فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعدى بن عمرو الشقي وأبا ليث بن أبي سليم مولى عتبة بن أبي سفيان، وقتلوا أزهري بن عبد الله العامري، ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فوقفوا على بابه وقالوا: إن الأمير يدعو حوشباً، فأخرج ميمون غلامه برذون حوشب ليركبه حوشب، فكأنه أنكرهم فظنوا أنه قد اتهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتى يخرج صاحبك. فسمع حوشب الكلام، فأنكر القوم، فخرج إليهم، فلما رأى جماعتهم أنكرهم، وذهب لينصرف، فعجلوا نحوه، ودخل وأغلق الباب، وقتلوا غلامه ميموناً، وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالبحاف ابن نبيط الشيباني من رهط حوشب، فقال له سويد: انزل إلينا، فقال له: ما تصنع بنزولي! قال له سويد: أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت منك بالبادية، فقال له البحاف: بش ساعة القضاء هذه الساعة، وبش قضاء الدين هذا المكان! أما ذكرت أمانتك إلا والليل مظلم، وأنت على ظهر فرسك! قبّح الله يا سويد ديناً لا يصلح ولا يتم إلا بقتل ذوى القرابة وسفك دماء هذه الأمة.

قال: ثم مضوا فرّوا بمسجد بنى ذهل فلقوا ذهل بن الحارث، وكان يصلّي في مسجد قومه فيطيل الصلاة، فصادفوه منصرفاً إلى منزله، فشدوا عليه ليقتلوه، فقال: اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمتهم وجهلهم. اللهم إني عنهم ضعيف، فانتصر لي منهم! فضر به حتى قتله، ثم مضوا ٩١٩/٢ حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة.

قال هشام : قال أبو بكر بن عَيَّاش : واستقبله النَّضْرُ بنُ قَعْقَاعِ ابنِ شُورٍ الذَّهْلِيُّ ، وأمه ناجية بنت هاني بن قبيصة بن هاني الشَّيباني فأبطره حين نظر إليه — قال : يعنى بقوله : «أبطره» أفزعه^(١) — فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ؛ قال له^(٢) سويد مبادراً : أمير المؤمنين ، ويملك ! فقال : أمير المؤمنين . حتَّى خرجوا من الكوفة متوجَّهين نحو المردمة ، وأمر الحجاج المندى فنادى : يا خيلَ الله اركبي وأبشري ، وهو فوق باب القَصْرِ ، وثمَّ مصباحٌ مع غلام له قائم ، فكان أوَّل من جاء إليه من الناس عثمان بن قَظَن بن عبد الله بن الحصين ذى الغُصَّة ، ومعه مواله ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قَظَن ، أعلموا الأمير مكانى ، فليأمر^(٣) بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قف مكانك حتَّى يأتيك أمرُ الأمير ، وجاء الناسُ من كلِّ جانب ، وبات عثمانُ فيمن اجتمع إليه من الناس حتَّى أصبح .

ثمَّ إنَّ الحجاج بعث بُسْرَ بنَ غالب الأسديَّ من بنى والبة في ألفي رجل ، وزائدة بن قدامة الثَّقَفِيَّ في ألفي رجل ، وأبا الضريس مولى بنى تميم في ألف من الموالى ، وأعيينَ صاحب حمَّام أعيينَ مولى يِشْرَ بن مروان في ألف ٩٢٠/٢ رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سِجِسْتان ، وكتب له عليها عهده ، وكتب إلى الحجاج : أمَّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهِّزْ معه ألفيَّ رجل إلى سِجِسْتان ، وعجِّلْ سَراحه . وأمَّر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج ، فلمَّا قدم محمد ابنُ موسى جعل يتجسَّس في الجَّهَّاز ، فقال له نصحاءُه : تعجِّلْ أيُّها الأمير^(٤) إلى عَمَلِك ؛ فإنَّك لا تدرى ما يكون من أمر الحجاج ! وما يبدو له . فأقام على حاله ، وحدث من أمرٍ شبيب ما حدث ، فقال الحجاج لمحمد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلقى شبيباً وهذه الخارجة فتجاهدْهم ثمَّ تَمْضِ إلى عملك ، وبعث الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضاً عبد الأعلى بن

(١) ب ، ف : «أهله» . (٢) ب ، ف : «فقال» .

(٣) ب ، ف : «بمكانى فليأمرنى» . (٤) ب ، ف : «الرجل» .

عبد الله بن عامر بن كُرَيْزِ الْقُرَشِيِّ وزياد بن عمرو العَتَكِيُّ ، وخرج شبيبٌ حيث خرج من الكوفة ، فأتى المردمة وبها رجل من حضر مَوْتُ على العُشُور يقال له ناجية بن مَرْثَدِ الحضرمي ، فدخل الحَمَامَ ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه ، واستقبل شبيب النضر بن القَعْقَعِ بن شَوْرٍ - وكان مع الحجَّاج حين أقبل من البصرة ، فلمَّا طوى الحجَّاجُ المنازل خلفه وراءه - فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه ، فقال له شبيب : يا نضر بن القَعْقَعِ ، لا حُكْمَ إِلَّا لله - وإنَّمَا أراد شبيب^(١) بمقاتلته له تَلْقِينَه ، فلم يفهم النضر - فقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شبيب : يا أمير المؤمنين ؛ كَأَنَّكَ إِنَّمَا تريد بمقاتلك أن تلقَّنه . فشَدَّوا ٩٢١/٢ على نضر فقتلوه .

قال : واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، فرك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القواد ، وأخذ نحو القادسية ، ووجه الحجَّاج زَحْرُ بن قيس في جرّيدة خيل نفاوة ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : أتبع شبيباً حتى تواقعه حيثما أدركته ، إِلَّا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرح إن هو أقام حتى تواقعه ، فخرج زَحْرُ حتى انتهى إلى السَّيْلَحِينَ ، وبلغ شبيباً مَسِيرَهُ إليه ، فأقبل نحوه فالتقى ، فجعل زَحْرُ على ميمنته عبد الله بن كَنْزِ النَّهْدِيِّ ، وكان شجاعاً ، وعلى ميسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندي الشيباني ، وجمع شبيب خيله كلّها كسبَكَةً واحدة ، ثم اعترض بها الصف ، فوجف وجيفاً ، واضطرب حتى انتهى إلى زَحْرُ بن قيس ، فنزل زَحْرُ بن قيس ، فقاتل زَحْرُ حتى صُرع ، وانهزم أصحابه ، وظن القوم أنهم قد قتلوه ، فلما كان في السَّحَرِ وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها ، وحُمِلَ منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فكث أياماً ، ثم أتى الحجَّاج وعلى وجهه وجراحه القُطْن ، فأجلسه الحجَّاج معه على السرير ، وقال لمن حوله : مَنْ سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشی بين الناس وهو ٩٢٢/٢

(١) ب ، ف : « تلقينه بمقاتلك هذه » .

شَهِيدٌ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا . وَقَالَ أَصْحَابُ شَيْبٍ لَشَيْبٍ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا زَحْرًا : قَدْ هَزَمْنَا لَهُمْ جُنْدًا ، وَقَتَلْنَا لَهُمْ أَمِيرًا مِنْ أَمْرَائِهِمْ عَظِيمًا ، انصَرَفَ بَنُو الْآنَ وَافَرِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا قَتَلْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، وَهَزِمْنَا هَذَا الْجُنْدَ ، قَدْ أُرْعِبَتْ هَذِهِ الْأَمْراءُ وَالْجُنُودُ الَّتِي بُعِثَتْ فِي طَلَبِكُمْ ، فَاقْصِدُوا بَنِي قَصْدَهُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَنْ نَحْنُ قَتَلْنَاهُمْ مَا دُونَ الْحِجَّاجِ مِنْ شَيْءٍ وَأَخَذَ الْكُوفَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالُوا : نَحْنُ لِرَأْيِكَ سَمِعَ تَبِعَ ، وَنَحْنُ طَوْعَ يَدِيكَ .

قال : فَانْقَضَ بِهِمْ جَوَادٌ حَتَّى يَأْتِيَ نَجْرَانُ — وَهِيَ نَجْرَانُ الْكُوفَةِ نَاحِيَةِ عَيْنِ التَّمَرِ — . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ جَمَاعَةِ الْقَوْمِ فَخُبِّرَ بِاجْتِمَاعِهِمْ بِرُوْذِبَارٍ فِي أَسْفَلِ الْفُرَاتِ فِي بَهْقُبَاذِ الْأَسْفَلِ ، عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ فَرَسَخًا مِنَ الْكُوفَةِ . فَبَلَغَ الْحِجَّاجَ مَسِيرَهُ إِلَيْهِمْ ، فَبِعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْغَرِقِ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَقِيلٍ — وَكَانَ عَلَى الْحِجَّاجِ كَرِيمًا — فَقَالَ لَهُ : الْحَقُّ بِجَمَاعَتِهِمْ — يَعْنِي جَمَاعَةَ الْأَمْراءِ — فَأَعْلَمْتُهُمْ بِمَسِيرِ الْمَارِقَةِ إِلَيْهِمْ ، وَقُلْ لَهُمْ : إِنْ جَمَعْتُمْ قِتَالَ فَأَمِيرِ النَّاسِ زَائِدَةَ بْنِ قَدَامَةَ ، فَأَتَاهُمُ ابْنُ الْغَرِقِ فَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ ، وَانصَرَفَ عَنْهُمْ .

٩٢٣/٢ قال أَبُو مَخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُسَيْدٍ قَالَ : انْتَهَى إِلَيْنَا شَيْبٍ وَفِينَا سَبْعَةُ أَمْراءَ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ زَائِدَةُ بْنُ قَدَامَةَ ، وَقَدْ^(١) عَبَّيَ كُلَّ أَمِيرٍ أَصْحَابَهُ عَلَى حِدَةٍ ، فِي مِمْتِنَا زِيَادُ بْنُ عَمْرِو الْعَتَكِيِّ ، وَفِي مِيسَرْتَنَا بِيْشَرُ بْنُ غَالِبِ الْأَسَدِيِّ ، وَكُلَّ أَمِيرٍ وَاقِفٌ فِي أَصْحَابِهِ . فَأَقْبَلَ شَيْبٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَى تَلٍّ ، فَأَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ كُمَيْتٌ أَغْرَ ، فَنَظَرَ إِلَى تَعْبِيَتِهِمْ ، ثُمَّ رَجَعَ^(٢) إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَأَقْبَلَ فِي ثَلَاثِ كُتَّابٍ يَوْجِفُونَ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّاسِ مَضَتْ كُتَيْبَةٌ فِيهَا سُؤْيِدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، فَتَقَفَ فِي مِمْتِنَا ، وَمَضَتْ كُتَيْبَةٌ فِيهَا مَصَادُ أَخُو شَيْبٍ ، فَرَقَفَتْ عَلَى مِيسَرْتَنَا ، وَجَاءَ شَيْبٌ فِي كُتَيْبَةٍ حَتَّى وَقَفَ مُقَابِلَ الْقَلْبِ . قَالَ : وَخَرَجَ زَائِدَةُ ابْنُ قَدَامَةَ يَسِيرُ فِي النَّاسِ فِيمَا بَيْنَ مِمْتِنَتِهِمْ إِلَى مِيسَرْتِهِمْ يَحْرُضُ النَّاسَ وَيَقُولُ :

(١) ب ، ف : « فَعِي » . (٢) ب ، ف : « وَرَجَعَ » .

يا عبادَ الله ، أنتم الكثيرون الطيبون ، وقد نزل بكم القليلون الحبيثون ، فاصبروا - جُعِلَتْ لَكُمْ الْفِدَاءُ - لِكُرَّتَيْنِ أو ثلاث تَسْكُرُونَ عليهم ، ثم هو النَّصْرَ ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترونَ لإيهمُ اللهُ ما يكونون مائتي رجل ، إنَّما هم أَكَلَّةُ رَأْسٍ ، إنَّما هم السَّرَّاقُ المُرَّاق ، إنَّما جاءوكم لِيُهَرِّيقُوا دماءكم ، ويأخذوا فَيْشَكُمْ ، فلا يكونوا على أَخْذِهِ أَقْوَى مِنْكُمْ على مَنَعِهِ ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أَهْلُ فُرْقَةٍ وأنتم أَهْلُ جَمَاعَةٍ ، غَضُّوا الأبصار ، واستقبلوهم بِالْأَسِنَّةِ ، ولا تَحْمِلُوا عليهم حتى آمركم ، ٩٢٤/٢ ثم انصرف إلى مَوْقِفِهِ .

قال : وَيَحْمِلُ سُؤْيِدُ بْنُ سَلِيمٍ على زياد بن عمرو ، فأنكشف صفَّهم ، وثبَّت زياد في نحو من نصف أصحابه ، ثم ارتفع عنهم سُؤْيِدُ قليلا ، ثم كرَّ عليهم ثانية ، ثم اطَّعنوا ساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : أنا والله فيهم يومئذ ، قال : اطَّعَنَّا ساعةً وصبروا لنا حتَّى ظننتُ أَنَّهُمْ لن يزلوا ، وقَاتَلَ زيادُ بنُ عمرو قتالا شديداً ، وجعل (١) ينادى : يا خيلي ، ويشدُّ بالسيف فيقاتل قتالا شديداً ، فلقد رأيتُ سُؤْيِدَ بْنَ سَلِيمٍ يومئذ وإنَّه لأشجع العرب وأشدَّ قتالاً ، وما يُعرض له . قال : ثمَّ إِنَّا ارتفعنا عنهم آخرأ فإذا هم يتقوضون ، فقال له أصحابه : ألا تراهم يتقوضون ! احْمِلْ عليهم ، فقال لهم شبيب : خلّوهم حتَّى يَسْخِفُوا ، فتركوهم قليلا ، ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا . فنظرت إلى زياد ابن عمرو وإنَّه ليضرب بالسيف (٢) وما من سيف يُضْرَبُ به إلَّا نبا عنه وهو مجفّف ، ولقد رأيتُه اعتوره أكثرُ من عشرين سيفاً فما ضرّه من ذلك شيء . ثمَّ إنه انهزم وقد جرح بجراحةٍ يسيرة ، وذلك عند المساء . قال : ثمَّ شدّدنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه ، وما قاتلنا كثيراً قتال ، وقد ضارب ساعةً ، وقد بلغني أنه كان جرح ثمَّ لحق بزياد بن عمرو ، فضينا منهزمين حتَّى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلنا قتالاً شديداً وصبر لنا .

(١) ب ، ف : « وحمل » . (٢) ب ، ف : « بالسيف » .

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ، أن أخا شبيب مصاداً حمل على بشير بن غالب وهو في الميسرة ، فأبلى وكرم والله وصبر ، فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين ، فصاربوا بأسيا فمهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي ، وأمه زارة امرأة ولدت في الأزدي ، فيقال لهم بنو زارة ، فلما قتلوه وانهمز أصحابه مالدوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم ، وهو يلي بشير بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموها حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه نزل ونادي : يا أهل الإسلام ، الأرض الأرض ، إلى إلى ! لا يكوزوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم ؛ فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر . ثم إن شبيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحفظ .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعت زائدة ابن قدامة ليلئذ رافعاً صوته يقول : يا أيها الناس ، اصبروا وصابروا ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . ٩٢٦/٢ ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل .

قال أبو مخنف : وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقير الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة ، وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل ابن عامر . قال : ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم إلى البيعة ، فدعاهم إلى البيعة عند الفجر .

قال عبد الرحمن بن جندب : فكنت فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخیله واقفة دونه ، فكل من جاء لبياعه نزع سيفه عن عاتقه ، وأخذ سلاحه منه ، ثم يئدني من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلني سبيله . قال : وإننا كذلك إذ انفجر الفجر ومحمد بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله فى أقصى العسكر ، معه عصابة من أصحابه قد صبروا ، فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن ، فلما سَمِعَ شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح ؛ فقال : قد ظننت أن حُصْمَه وخِيَلَاءَه سيحمله على هذا ؛ نَحَوْا هؤلاء عَنَّا وانزلوا بنا فلنُصَلِّ . قال : فنزل فأذن هو ، ثم استقدم فصلّى بأصحابه ، فقرأ : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(١) ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾^(٢) ، ثم سلّم ، ثم ركبوا فتحملهم عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه ، وثبت طائفة . قال فروة : فما أنسى قوله وقد غَشِيَنَاهُ وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿أَلَمْ يَحْزِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٣) . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتى قتل . قال : فسمعت أصحابى يقولون : إن شبيباً هو الذى قتله . ثم إننا نزلنا فأخذنا ما كان فى العسكر من شئ ، وهرب الذين كانوا بايعوا شبيباً ، فلم يبق منهم أحد .

* * *

وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبى مخنف أمراً غير الذى ذكرته عنه ، والذى ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولّى محمد بن موسى بن طلحة سجستان ، فكتب إليه الحجّاج : إنك عامل كل بلد مررت به ، وهذا شبيب فى طريقك . فعدل إليه محمد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ مخدوع ، قد اتقى بك الحجّاج ، وأنت جارّك حق ، فانطلق ليما أمرت به ولك الله لا آذيتك ، فأبى إلا محاربتة ، فواقفه شبيب ، وأعاد إليه الرسول ، فأبى إلا قتاله ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه البطّين ثم قعنب ثم سويد ، فأبى إلا شبيباً ، فقالوا لشبيب : قد رغب عنا إليك ، قال : فما ظنكم هذه^(٤) الأشراف ! فبرز إليه شبيب ، وقال^(٥) : إني أنشدك الله فى دميك ، فإن لك جيواراً . فأبى إلا قتاله ، فحمل عليه شبيب فضربه بعصا حديد

(٢) سورة الماعون: ١ .

(١) سورة الهمة: ١ .

(٤) ١ ، ب ، ف : « هاهم » .

(٣) سورة النكبت: ١ - ٣ .

(٥) ب ، ف : « فقال » .

فيها اثنا عشر رطلا بالشأمي ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كفّنه ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه وقال : هو جارى بالكوفة ، ولي أن أهب ما غنمت لأهل الرّدة . ٩٢٨/٢

قال عمر بن شبيب : قال أبو عبيدة : كان محمد بن موسى مع عمر ابن عبيد الله بن معمر بفارس ، وشهد معه قتال أبي فديك وكان على ميمنته ، وشهر بالنجدة^(١) وشدة البأس^(٢) وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان - فولاه سجستان ، فر بالكوفة وبها^(٣) الحجّاج بن يوسف ، فقبل للحجّاج : إن صار هذا إلى سجستان مع نجدته وصهره لعبد الملك فليجأ إليه أحد ممّن تطلب ، منّعتك منه ؛ قال : فما الحيلة ؟ قيل : تأتبه وتسلم عليه ، وتذكر نجدته وبأسه وأن شبيباً في طريقه ، وأنه قد أعياك ، وأنتك ترجو أن يريح الله منه على يده ، فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فواقعه شبيب ، فقال له شبيب : إني قد علمتُ خداع الحجّاج ، وإنما اغترّك ووقى بك نفسه ، وكأني بأصحابك لو قد التقت حلقتا البطان قد أسلموك ، فصرعت مصرع أصحابك ؛ فأطعني وانطلق لشأنك ، فإني أنفسُ بك عن الموت ؛ فأبى محمد بن موسى ، فبارزه شبيب فقتله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال عبد الرحمن : لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، فلمّا بايعه قال له شبيب : ألسنت أباردة ! قال : بلى ؛ قال شبيب لأصحابه : يا أخلاقي ، أبو هذا أحد الحكمين ، فقالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه ؛ قالوا : أجل قال : وأصبح شبيب : فأتى مقبلاً نحو القصر الذي فيه أبو الضريس وأعين

(٢) ب ، ف : « والياس » .

(١) ب : « وكان مشهوراً » .

(٣) ب ، ف : « وفيها » .

فرَمَوْهُ بِالنَّبْلِ ، وتحصَّنًا منه ، فأقام ذلك اليوم عليهم ، ثمَّ شخص عنهم ، فقال له أصحابه : ما دون الكوفة أحد يمنعنا ؛ فنظر فإذا أصحابه قد جرحوا^(١) ؛ فقال لهم : ما عليكم أكثر ممَّا قد فعلتم ، فخرج بهم على نِفَرٍ ، ثمَّ على الصَّرة ، ثمَّ على بَغْدَاد ، ثمَّ خرج إلى خانيجَار فأقام بها .

قال : ولمَّا بلغ الحَجَّاجَ أن شبيبًا قد أخذ نحو نِفَرٍ ظَنَّ أَنَّهُ يريد المدائن — وهى باب الكوفة ، ومَن أخذ المدائن كان ما فى يده من أرض الكوفة أكثر — فهال ذلك الحَجَّاجَ ، وبعث إلى عثمان بنِ قَظَن ، ودعاه وسرَّحه إلى المدائن ، وولَّاه منبرها والصَّلَاةَ ومَعُونَةَ جُوعَى كُلِّهَا وخِرَاجَ الأَسْتَانَ . فخرج مسرعًا حتَّى نزل المدائن ، وعزل الحَجَّاجُ عبدَ الله بنَ أبى عَصِيْفِرٍ ؛ وكان بها الجَزَلُ مقيمًا أشهرًا يُداوِي جراحَتَه ، وكان ابنُ أبى عَصِيْفِرٍ يعودُه ويكرمه ، فلمَّا قدم عثمانُ بن قطن المدائن لم يَعهُدْهُ ، ولم يَكن يَتَعهده ولا يُلطِّفه بشيء ، فقال الجَزَلُ : اللَّهُمَّ زِدْ ابنَ عَصِيْفِرٍ جودًا وكرمًا وفضلًا ، ٩٣٠/٢ وزد عثمانَ بن قطن ضيقًا وبُخْلًا . قال : ثمَّ إن الحَجَّاجَ دعا عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ محمد بن الأشعث فقال : انتخبِ الناسَ ، واخرجْ فى طلب هذا العدوِّ ، فأمره بِنُخْبَةِ سِتَّةِ آلاف ، فانتخب فرُسانَ الناسَ ووجوههم ، وأخرج من قومه سِتِّمِائَةَ من كِنْدَةَ وحَضْرَمَوْتَ ، واستحثَّ الحَجَّاجُ بالعسكر ، فعسكر بدير عبد الرحمن ، فلمَّا أراد الحَجَّاجُ إشخاصَهُمْ كتب إليهم :

أما بعد ، فقد اعتدْتُم عادةَ الأذلاء ، ولَوَيْمَ الدُّبُرِ يومَ الزَّحْفِ ، وذلك دأب الكافِرِينَ ، وإنى قد صفحتُ عنكم مرَّةً بعد مرَّةً ، ومرَّةً بعد مرَّةً . وإنى أقسمُ لكم بالله قَسَمًا صادقًا لئن عدتم لذلك لأُوقِعَنَّ بكم إيقاعًا أَكُونُ أَشدَّ عليكم من هذا العدوِّ الذى تَهْرَبُونَ منه فى بطون الأودية والشُعَابِ ، وتَسْتَتِرُونَ منه بِأَثْنَاءِ الأنهارِ وألْوَاذِ^(٢) الجِبَالِ ، فخافَ من له مَعْقُولٌ على نفسه ، ولم يَجْعَلْ عليها سبيلًا ، وقد أَعذَرَ من أُنذَرَ

وقد أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِى^(٣)

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « حرجوا » . (٢) لوز الجبل : جانبه .

(٣) لعمر بن معد يكرب ، سرح العيون ٤٦٦ .

والسلامُ عليكم .

قال : ثمَّ سَرَحَ ابنُ الأصمِّ مؤذَنَهُ ، فأَتَى عبدَ الرحمنِ بنَ مُحَمَّدٍ ابنُ الأشعثِ عندَ طلوعِ الشمسِ ، فقال له : ارتحِلْ الساعةَ ونادِ في الناسِ : أنَ برِئتِ الذمَّةُ من رجلٍ من هذا البعثِ وجَدُّناه متخلفًا . فخرجَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ بنُ الأشعثِ في الناسِ حتَّى مرَّ بالمَدائنِ فنزلَ يومًا و ليلةً ، وتشترى أصحابه حوائجَهم ، ثمَّ نادَى في الناسِ بالرحيلِ ، ٩٣١/٢ فارتحلوا ، ثمَّ أقبلوا حتَّى دَخَلَ على عُمَانَ بنِ قَطَنٍ ، ثمَّ أتَى الجَزَلُ فسأله عن جِراحَتِهِ ، وسأله ساعةً وحده . ثمَّ إنَّ الجَزَلَ قال له : يا بنَ عمِّ : إنَّكَ تسيرُ إلى فُرسَانَ العَرَبِ وأبناءِ الحربِ ، وأحلاسِ الخيلِ ، واللهِ لَكأنَّما خَلِقُوا من ضُلوعِها ، ثمَّ بَنَوْا على ظُهورِها ، ثمَّ هم أسَدُ الأَجَمِّ ، الفارسُ منهم أَشدُّ من مائةٍ ، إنَّ لم تَبْدَأْ به بَدْءًا ، وإنَّ هُجُوجَ أَقْدَمَ ، فإنِّي قد قاتلتُهم وبلَّوتُهم ، فإذا أصحرتُ لهم انتصفوا مِنِّي ، وكان لهم الفضلُ عليَّ ، وإذا خَسَدتُ عليَّ وقاتلتُهم في مَضِيقٍ نلتُ منهم بعضَ ما أَحِبُّ ، وكان لي عليهم الظَّفَرُ ، فلا تلقِهم وأنتَ تستطيعُ إلَّا في تعبٍ أو في خندقٍ . ثمَّ إنَّه ودَّعاه ، فقال له الجَزَلُ : هذه فَرَسِي الفُسَيْفِسياءُ ، خُذْها فإنَّها لا تَجَارِي . فأخَذَها ثمَّ خرجَ بالناسِ نحو شَيْبٍ ، فلمَّا دنا منه ارتفعَ عنه شَيْبٌ إلى دَقُوقاءَ وشَهْرَزُورَ ، فخرجَ عبدُ الرحمنِ في طلبِهِ ، حتَّى إذا كان على التَّخُومِ أقامَ ، وقال : إنَّما هو في أرضِ المَوْصِلِ ، فليقاتِلوا عن بلادِهِم أو لِيَسَدَّعوه ، فكتبَ إليه الحُجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ :

أَمَّا بعد ، فاطلب شَيْبًا واسلُكْ في أَثَرِهِ أين سَلَكَ حتَّى تُدْرِكَهُ فتقتله أو تَسْفِيهِه ، فإنَّما السُّلْطَانُ سُلْطَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ والْجُنْدِ جُنْدُهُ . والسلام .

٩٣٢/٢ فخرجَ عبدُ الرَّحْمَنِ حينَ قرَأَ كتابَ الحُجَّاجِ في طلبِ شَيْبٍ ، فكان شَيْبٌ يَدَّعاه حتَّى إذا دنا منه بَيْتُهُ ، فيجده قد خندقَ على نفسه وحَدَرَ ، فيمضي وَيَدَّعاه ، فيتبعه عبدُ الرحمنِ ، فإذا بلغه أَنَّهُ قد تَحَمَّلَ وَأَنَّهُ يسيرُ أَقْبَلَ في الخيلِ ، فإذا انتهى إليه وجَدَهُ قد صَفَّ الخيلَ والرَّجَالَ وأَدْنَى

المرامية ، فلا يصيبُ له غيرةٌ ولا له عيلةٌ ، فيمضي ويدعه .

قال : ولَمَّا رأى شبيبُ أنَّه لا يصيبُ لعبدِ الرحمنِ غيرةٌ ولا يصلُ إليه ، جعلَ يَخْرُجُ إذا دنا منه عبدُ الرحمنِ في خيله ، فينزلُ على مسيرةِ عشرين فرسخاً ، ثمَّ يقيمُ في أرضِ غليظةٍ حَزْنَةً^(١) ، فيجىءُ عبدُ الرحمنِ ، فإذا دنا من شبيبِ ارتحلَ شبيبُ فصارَ خمسةَ عشرَ أو عشرين فرسخاً ، فنزلَ منزلاً غليظاً خشناً ، ثمَّ يقيمُ حتَّى يدنو عبدُ الرحمنِ .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الرحمنِ بنُ جندبٍ أنَّ شبيباً كان قد عذَّبَ ذلكَ العسكرَ وشقَّ عليهم ، وأحى دوابَّهم ، ولتَقُوا منه كلَّ بلاءٍ ، فلم يزلَ عبدُ الرحمنِ يتسبَّعه حتَّى مرَّ به على خانقين ثمَّ على جلولاء ثمَّ على تامراً ، ثمَّ أقبلَ حتَّى نزلَ البتَّ - قريةٌ من قُرَى المَوْصِلِ على تَخُومِ المَوْصِلِ ، ليس بينها وبين سوادِ الكوفةِ إلَّا نهرٌ يسمَّى حَوْلَايا - قال : وجاءَ عبدُ الرحمنِ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ الأشعثِ حتَّى نزلَ في نهرِ حَوْلَايا وفي راذان^(٢) الأعلى من أرضِ جُوحَى ، ونزلَ عَوَاقِلَ من النِّهَرِ ، ونزلها عبدُ الرحمنِ حيثُ نزلها وهي تُعْجِبُهُ ، يرى أنَّها مثلُ الخندقِ والحصنِ . قال : ٩٣٣/٢ وأرسلَ شبيبُ إلى عبدِ الرحمنِ : إنَّ هذه الأيامُ أيامُ عيدٍ لنا ولكم ، فإن رأيتم أن تُؤادِ عونا حتَّى تمضي هذه الأيامُ فافعلوا . فقال له عبدُ الرحمنِ : نعم ، ولم يكنْ شيءٌ أحبَّ إلى عبدِ الرحمنِ من المطاولةِ والمُؤادَةِ . قال : وكتبَ عثمانُ بنُ قُطَيْبٍ إلى الحجَّاجِ :

أمَّا بعد ، فإنِّي أخبِرُ الأميرَ أوصَلَحَهُ اللهُ أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ مُحَمَّدٍ قد حَفَرَ جُوحَى كُلَّهَا خَسَدًا واحدًا ، ونَحَلَّتْ شبيبًا وكسرَ خِراجها وهو يأكلُ أهلَها . والسلام .

فكتبَ إليه الحجَّاجُ :

أمَّا بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ لي عن عبدِ الرحمنِ ، وقد لَعَمَرَى فعل

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « جدبة » . (٢) ب ، ف : « وهو في راذان » .

ما ذكرت ، فسير إلى الناس فأنت أميرهم ، وعاجل المارقة حتى تلقاهم ،
فإن الله إن شاء الله ناصرُك عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج
عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم
مُعسكرون على نهر حَوَلايا قريباً من البت ، عشية الثلاثاء ، وذلك يوم
التروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيها الناس ، اخرجوا إلى عدوكم .
فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُنشدك الله ، هذا المساءُ قد غُشينا ، والناس
لم يُوطئوا أنفسهم على القتال ، فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبئة .
فجعل يقول : لأناجزتهم ، ولنكونن الفرصة لى أو لهم . فأتاهم عبد الرحمن
فأخذ بعنان دابته ، وناشده الله لمّا نزل ، وقال ^(١) له عقيل بن شداد السلولي :
٩٣٤/٢ إن الذى تريد من مُناجزتهم الساعة أنت فاعله ^(٢) غداً ، وهو غداً أخيراً
لك وللناس . إن هذه ساعة ريح وغبرة ، وقد أُمِيتَ فانزل ، ثم أبكر بنا إليهم
غُدوةً . فنزل ، فسفت عليه الريح ، وشقّ عليه الغبار ، ودعا صاحب
الخراج العلّوج فبَسَبُوا له قُبّةً فَبَاتَ فيها ، ثم أصبح يوم الأربعاء ، فجاء
أهل البت إلى شبيب - وكان قد نزل ببيعتهم - فقالوا : أصلحك الله ! أنت
ترحم الضعفاء وأهل الجزية ، ويكلمك مَنْ تلى عليه ، ويَشْكُون إليك ما نزل
بهم فتنظر لهم ، وتكف عنهم ، وإن هؤلاء القوم جبابرة لا يُكَلِّمون ولا
يَقْبَلون العذر ، والله لئن بلغهم أنّك مقيم فى بيعتنا لَيَقْتُلُنَا إن قُضِيَ لك
أن تَرْتَحِلَ عنّا ، فإن رأيتَ فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالاً ،
قال : فإنى أفعل ذلك بكم ، ثم خرج فنزل جانب القرية . قال : فبات
عثمان ليلته كلها يجرّضهم ؛ فلما أصبح - وذلك يوم الأربعاء - خرج بالناس
فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة ، فصاح الناس إليه ، فقالوا ^(٣) : نُنشدك الله
أن تخرج بنا فى هذا اليوم ، فإن الريح علينا ! فأقام بهم ذلك اليوم ، وأراد
شبيب قتالهم ، وخرج أصحابه ، فلما رآهم لم يَخْرُجُوا إليه أقام ، فلما كان

(١) س : « فقال » . (٢) ب ، ف : « قادر عليه » .

(٣) ب ، ف : « وقالوا له » .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فعبى الناسَ على أرباعِهِمْ ، فجعل كلُّ رُبْعٍ في جانبِ العسكر ، وقال لهم : اخرجوا على هذه التعبئة ، وسألهم : من كان على ميممتكم ؟ قالوا : خالدُ بنُ نُهَيْك بنِ قيس الكِنْدِي ، وكان على ٩٣٥/٢ ميسرتنا عَقِيل بنُ شَدَّاد السَّلُولي ، فدعاها فقال لهما : قفا موافقكما اللّٰتي كنتمَا بها ، فقد وليتكما المَجَنَّبَتَيْنِ ، فاثبتا ولا تنفرا ، فوالله لا أزول حتّى يزول نخلُ راذان عن أصوله . فقالا : ونحن والله اللّٰذي لا إله إلا هو لا نفرّ^(١) حتّى نظفر أو نُقتل ، فقال لهما : جزاكما اللهُ خيرا . ثمّ أقام حتّى صلّى بالناس الغداة ، ثمّ خرج فجعل رُبْع أهل المدينة تميم وهمدان نحو نهر حوْلَايا في الميسرة ، وجعل ربع كِنْدَة وربيعة ومَدْحَج وأسد في الميمنة ، ونزل يمشى في الرّجال ، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا ، فقطع إليهم النّهر ، فكان هو في ميمنة أصحابه ، وجعل على ميسرته سُويْد بن سُلَيم ، وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه ، وزحفوا وسما^(٢) بعضهم لبعض .

قال أبو مخنف : فحدثني النّضر بنُ صالح العبسيّ أن عثمان كان يقول فيكثر : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣) . أين المحافظون على دينهم ، المحامون عن فيهم ! فقال عَقِيل بن شَدَّاد بن حُبْشَى السَّلُولي : لعلّي أن أكون أحدَهم ، قتل أولئك يومَ رُوذِبار . ثمّ قال شبيب لأصحابه : إني حاملٌ على ميسرتهم ممّا يلي النهر ، فإذا هزمتُها فليحمل صاحبُ ميسرتي على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحب القلب ٩٣٦/٢ حتّى يأتيه أمرى . وحمل في ميمنة أصحابه ممّا يلي النّهر على ميسرة عثمان بن قَطَنٍ فانهزموا ، ونزل عَقِيل بنُ شَدَّاد فقاتل حتّى قُتل ، وقُتل يومئذ مالك بن عبد الله الهمداني ثمّ المُرْهَبِي^(٤) ، عم عِيَّاش بن عبد الله بن عِيَّاش المَسْتَوْف ، وجعل يومئذ عَقِيل بنُ شَدَّاد يقول وهو يُجَالِدُهم :
لَأَضْرِبَنَّ بِالْحُسَامِ الْبَاثِرِ ضَرْبَ غُلَامٍ مِنْ سُلُولِ صَابِرِ

(١-١) ب ، ف : « لا نفرثهد الله الذي لا إله إلا هوعلينا بذلك » .

(٢) ب ، ف : « وتسمى » . (٣) سورة الأحزاب: ١٦ .

(٤) ب ف ، « الموهبي » .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سويد بن سليم في ميسرة شبيب على
 ميمنة عثمان بن قطن فهزماها ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي ،
 فنزل خالد فقاتل ^(١) قتالا شديدا ، وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على
 ربيع كندة وربيعه يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم يثن شبيب حتى علاه ^(٢)
 بالسيف فقتله ، ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس
 والفرسان نحو القلب ، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين رجلا ، فلما دنا
 منهم عثمان بن قطن شد عليهم في الأشراف وأهل الصبر فضاربهم حتى
 فرقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيول من ورائهم ، فما شعروا إلا والرمح في
 أكفاهم فكسبتهم لوجوههم ، وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في
 خييله ، ورجع مصاد وأصحابه ، وقد كان شبيب رجلا لهم ، فاضطربوا
 ساعة ^{٩٣٧/٢} ، وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال . ثم إنهم شددوا عليهم فأحاطوا
 به ، وحتمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ،
 ثم قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ ^(٣) . ثم إن الناس قتلوه ، وقتل يومئذ الأبرد بن
 ربيعة الكندي ، وكان على تل ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه ،
 وقاتل حتى قُتل . ووقع عبد الرحمن فرأه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على
 بغلة فعرفه ، فنزل إليه فناوله الرمح وقال له : اركب ، فقال عبد الرحمن
 ابن محمد : أبتنا الرديف ؟ قال ابن أبي سبرة : سبحان الله ! أنت الأمير
 تكون المقدّم ، فركب وقال لابن أبي سبرة : ناد في الناس : الحقوا بدير
 أبي مرثد ، فنادى ، ثم انطلقا ذاهبين ، ورأى واصل بن الحارث السكوني
 فرس عبد الرحمن الذي حمله عليه الجوزل يسجول في العسكر ، فأخذها
 بعض أصحاب شبيب ، فظن أنه قد هلك ، فطلبه في القتلى فلم يجده ،
 وسأل عنه فقبل له : قد رأينا رجلا قد نزل عن دابته فحمله عليها ، فأخلفه
 أن يكون إياه ؛ وقد أخذ هاهنا آتفا . فأتبعه واصل بن الحارث على
 برذونه ومع واصل غلامه على بغل ، فلما دنوا منهما قال محمد بن
 أبي سبرة لعبد الرحمن : قد والله لحق بنا فارسان ، فقال عبد الرحمن : فهل

(٢) ب ، ف : « عطف » .

(١) ب ، ف : « وقاتل » .

(٣) الأحزاب : ٣٧ .

غيرُ اثنين؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين .
قال : وجعل يحدث ابن أبي سبيرة كأنه لا يكثرث بهما ، حتى لحقهما
الرجلان ، فقال له ابنُ أبي سبيرة : رحمك الله ! قد لحقننا الرجلان ،
فقال له : فانزل بنا ، فنزلا فانضيا سيفيهما ، ثم مضيا إليهما ، فلما رأهما ٩٣٨/٢
واصل عرفهما ، فقال ^(١) لهما : إنكما قد تركتما النزول في موضعه ، فلا تنزلا
الآن ، ثم حسر العمامة عن وجهه ، فعرفاه فرحبا به ، وقال لابن الأشعث :
إني لمّا رأيتُ فرسك يحولُ في العسكر ظننتُك رجلا ، فأنتك بيزدوني هذا
لتركبته ، فترك لابن أبي سبيرة بغلته ، وركب البرذون ، وانطلق
عبدُ الرحمن بنُ الأشعث حتى نزل ديار اليعار ، وأمر شبيبُ أصحابه
فرفعوا عن الناس السيف ، ودعاهم إلى البسيعة ، فأثاه من بقي من الرجال
فبايعوه ، وقال له أبو الصقير ^(٢) الملقب : قتلت من الكوفيين سبعة في جوف
النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثوبي وصاح ، ورهبنى حتى رهبتهُ ، ثم
إني أقدمت عليه فقتلته . وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من
سائر الناس أو ستمائة ، وقتل عظم العرفاء يومئذ .

قال أبو مخنف : حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخشعمي
أنه قتل منهم يومئذ جماعة ، وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير
اليعار ، فأثاه فارسان فصعدا إليه فوق البيت ، وقام آخرُ قريبا منهما فخلا
أحدهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ، ثم نزل هو وأصحابه ، وقد كان الناس
يتحدثون أن ذلك كان شيبيا ، وأنه قد كان كاتبه ، ثم خرج عبد الرحمن
آخر الليل فسار حتى أتى ديار أبي مريم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع ٩٣٩/٢
لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبيرة صبر الشعر والقتت بعضه على بعض
كأنه القصور ، ونحر لهم من الجزر ^(٣) ما شاءوا ، فأكلوا يومئذ ، وعكفوا دوابهم ،
 واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له : إن سمع
شبيب بمكانك أتاك وكنت له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم
فالحق أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضا ، وجاء

(١) ب ، ف : « وقال » . (٢) ط : « الصفر » . (٣) ا : « الجزور » .

فاختبأ من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك .

* * *

[نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفي هذه السنة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم .

ذكر الواقدي : أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك .

قال : وحدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، أن عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ ، وهو أول من أحدث ضربها .

قال : وحدثني خالد بن أبي ربيعة ، عن أبي هلال ، عن أبيه ،

قال : كانت مئاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة ، وكان العشرة وزن سبعة .

قال : وحدثني عبد الرحمن بن جرير اللبني عن هلال بن أسامة قال :

سألت سعيد بن المسيب في كم تجب الزكاة من الدنانير ؟ قال : في كل

عشرين مثقالاً بالشأى نصف مثقال ، قلت : ما بال الشأى من المصرى ؟

قال : هو الذي تضرب عليه الدنانير . وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب

الدنانير ، كانت ^(٢) اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة ، قال سعيد . قد عرفته ،

قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك .

* * *

وفي هذه السنة : وفد يحيى بن الحَكَم على عبد الملك بن مروان

وولي أبان بن عثمان المدينة في رجب .

وفيهما استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خدّاش من

بنى عامر بن لؤي .

وفيهما وليد مروان بن محمد بن مروان .

وأقام الحج للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة ،

حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ،

عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف ، وعلى خراسان أمية بن

عبد الله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارّة بن أوفى .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

[محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها]

فى هذه السنة قتل شبيب عتّاب بن ورقاء الرّياحى وزهرة بن حوية
* ذكر الخبر عن سبب مقتلهما :

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام^(١) عن أبى مخنف ، عن عبد الرحمن
ابن جندب وفرّوة بن لقيط ، أن شبيباً لمّا هزم الجيش الذى كان
الحجّاج وجهه^(٢) مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إليه ، وقتل عثمان
ابن قطن ، وذلك فى صيفٍ وحرٍّ شديد ، اشتدّ الحرّ عليه وعلى أصحابه ،
فأتى ما بههزاذان فتصيّف بها ثلاثة أشهر ، وأناه ناسٌ كثيرٌ ممّن يطلب
الدنيا فلحقّوا به ، وناسٌ ممّن كان الحجّاج يطلبهم بمالٍ أو ثباعات ؛
كان منهم رجلٌ من الحى يقال له الحرّ بن عبد الله بن عوف ، وكان
دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساءا إليه وضيّقا عليه ، فشدّ عليهما
فقّسّلهما ، ثم لحق بشبيب فكان معه بماء ، وشهد معه موطنه حتّى
قتل ، فلمّا آمن الحجّاج كلّ من كان خرح إلى شبيب من أصحاب
المال والثباعات - وذلك بعد يوم السبت - خرج إليه الحرّ فيمن خرج ،
فجاء أهل الدّهقانين يستعدّون عليه الحجّاج ، فأتى به فدخل ، وقد
أوصى ويثس من نفسه ، فقال له الحجّاج : يا عدوّ الله ، قتلت رجُلين
من أهل الخراج ! فقال له : قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا ، فقال :
وما هو ؟ قال : خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ، ثمّ آمنت كلّ من
خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابك لى . فقال له الحجّاج : أولى لك ! قد
لعمري فعلتُ ، وخلّى سبيلَه .

قال : ولمّا انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماء فى نحو من ثمانمائة
رجل ، فأقبل نحو المدائن وعليها مطّرف بن المغيرة بن شُعْبة ، فجاء

(١) ب ، ف بعدها : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجّاج » .

حتى نزل قناطر حُذَيْفَةَ بن اليمَان، فكتب ما ذروا سب عظيم بابل مهرود إلى الحِجَّاج :

أمّا بعد : فلإني أخبر الأمير أصلحه الله أن شبيباً قد أقبل حتى نزل قناطر حُذَيْفَةَ ، ولا أدري أين يريد !

فلما قرأ الحِجَّاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيسكنكم أو لأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيط منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون فيسكنكم .

فقام إليه الناس من كل جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ونعتب الأمير ، فليدبنا الأمير إليهم فإننا حيث سره . وقام إليه زُهْرَةُ بن حَوَيْة وهو شيخ كبير لا يستم قائماً حتى يؤخذ بيده . فقال له : أصلح الله الأمير ! إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين ، فاستنفر الناس إليهم كافة فليستفروا إليهم كافة^(١) ، وابعث عليهم رجلاً تبتأسجاء مجرباً للحرب ممن يرى الفرار هضمّاً وعاراً والصبر مجداً وكرماً . فقال الحِجَّاج : فأنت ذاك فاخرج ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنما يصلح للناس في^(٢) هذا رجل يتحمّل الرمح والدرع ، ويهزّ السيف ، ويتبّ على متن الفرس ، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً ، وقد ضعف بصري وضعفت ، ولكن أخرجنى في الناس مع الأمير ، فلإني إنما أثبت على الرحلة^(٣) فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأى . فقال له الحِجَّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً ، فقد نصحت وصدقت ، أنا مُخْرِجُ الناس كافة . ألا فسيروا أيتها الناس . فانصرف الناس فجعلوا يسرون وليس يدرون من أميرهم !

وكتب الحِجَّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعد ، فلإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيباً قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فليستفروا إليهم » (٢) ١ ، س : « الناس في هذا » .

(٣) س : « الرحالة » .

كلها يقتلُ أمراءهم ، ويقتلُ جنودهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا^(١) عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل ، والسلام .

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سُفْيَان بن الأبرد في أربعة آلاف ،

٩٤٤/٢ وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي^(٢) من مَدْحَج في ألفين ، فسرَّحهم حين أتاه الكتاب إلى الحِجَّاج ، وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب ولا يدرون من أميرهم ! وهم يقولون : يبعث فلاناً أو فلاناً ، وقد بعث الحِجَّاج إلى عتَّاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيَل الكوفة مع المهلب ، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان يشرُّ بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطرى ، فلم يلبث عبد الرحمن بن ميخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحِجَّاج على العراق ، فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحِجَّاج إلا رَجَب وشعبان ، وقتل قطرى عبد الرحمن في آخر رمضان ، فبعث الحِجَّاج عتَّاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن ابن مخنف ، وأمر الحِجَّاج عتَّاباً بطاعة المهلب ، فكان ذلك قد كسب على عتَّاب ، ووقع بينه وبين المهلب شرٌّ ، حتى كتب عتَّاب إلى الحِجَّاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه إليه ، فلما أن جاءه كتاب الحِجَّاج بإتيانه سرَّ بذلك .

قال : ودعا الحِجَّاج أشراف أهل الكوفة ؛ فيهم زُهْرَةُ بن حَوِيَّة السَّعْدِي من بني الأعرج ، وقبَيْصَةُ بن والِق التَّغْلِبِي ، فقال لهم : من ترون أن أبعث على هذا الجيش ؟ فقالوا : رأيُك أيُّها الأمير أفضل ؛ قال : فإنني قد بعثتُ إلى عتَّاب بن ورقاء ؛ وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة ، فيكون هو الذي يسير في الناس^(٣) ؛ قال زُهْرَةُ بن حَوِيَّة : أصلح الله الأمير ! رمستهم بحجرهم ، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل . وقال له قبَيْصَةُ بن والِق : إني مُشيرٌ عليك برأى ، فإن يكن خطأ فبعد

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بعدها في ب ، ف : « من حكم سعد العشيرة » .

(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة لأُمير المؤمنين وللأُمير ولعامَّة المسلمين ، وإن يك صواباً فاللهُ سدَّنى له ؛ إنَّا قد تحدَّثنا وتحدَّث الناسُ أنْ جيشاً قد فصل إليك من قبيل الشام ، وأن أهل الكوفة قد هزِموا وفُلبوا واستخفُّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ الفرار ، فقلوبهم كأنَّها ليست فيهم ، كأنَّما هى فى قوم آخرين ، فإن رأيتَ أن تبعث إلى جيشك الذى أمددت به من أهل الشام . فياخذوا حذرهم ، ولا يبيتوا إلَّا وهم يرون أنَّهم مُبيتون فغلت ، فإنك تُحارب حوَّلاً قلباً ، ظمئاً رَحَّالاً ، وقد جهَّزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كلِّ الثقة ، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بُعثوا إليك من الشام . إنَّ شبيباً بينا هو فى أرضٍ إذ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتِيهم وهم غارون فإن يَهْلِكوا نَهْلِك ويَهْلِك العراق . فقال : لله أنت ! ما أحسن ما رأيت ! وما أحسن ما أشرت به على !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغريق مولى عَقِيل إلى مَنْ أَقْبَل من أهل الشام ، فأناهم وقد نزلوا هَيْتَ بكتاب من الحَجَّاج :

أما بعد ، فإذا حاذَيْتُم هَيْتَ^(١) فدَعُوا طريقَ الفُرات والأنبار ، وخذوا على عين التمرحتى تقدّموا الكوفة إن شاء الله : وخذوا حذرکم ، وعجّلوا السَّير . والسلام .

٩٤٦/٢

فأقبل القومُ سِراعاً . قال : وقدم عتاب بنُ رُقَاء فى اللَّيْلَةِ الَّتِى قال الحَجَّاج إنَّه قادم عليكم فيها : فأمره الحَجَّاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحمَّام أعينَ ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كَلَّوْادَا فقطع منها دِجْلَةً ، ثمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مَدِينَةَ بَهْرَسِير الدُّنْيَا . فصار بينه وبين مطرُف بن المغيرة ابن شُعْبَةَ جِسر دِجْلَةٍ .

فلما نزل شبيب مدينةَ بَهْرَسِير قَطَعَ مطرُف الجِسر ، وبعث إلى شبيب : أن ابعثْ إلى رجالا من وجوه أصحابك أدارِسهم القرآن ، وأنظر فيما تدعو إليه . فبعث إليه شبيب رجالاً من وجوه أصحابه ؛ فيهم قَعْنَب وسُوَيْد والمُحَلَّل ، فلما أرادوا أن ينزلوا فى السفينة بعث إليهم شبيب ألا

(١) : « فإذا حاذَيْتُم هَيْت » .

تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف ، فرجع الرسول .
 وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا
 رهناً في يدي حتى ترد علي أصحابي . فقال مطرف لرسوله : الله وقل
 له : كيف آمنتك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك ، وأنت
 لا تأمنني على أصحابك ! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه ، فأرسل إليه
 شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحل الغدر في ديننا ، وأنتم تفعلونه ٩٤٧/٢
 وتستحلونه ، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن
 حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاة وصاحب حرّسه ،
 فلما صاروا في يدي^(١) شبيب سرح إليه أصحابه ، فأتوا مطرفاً فكنّوا أربعة
 أيام يراسلون ، ثم لم يتفقوا على شيء ، فلما تبين لشبيب أن مطرفاً غير
 تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير إلى عتّاب بن ورقاء وإلى أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعا رؤوس
 أصحابه فقال لهم : إنّه لم يشبطني على رأي قد كنت رأيته إلا هذا الشقي
 منذ أربعة أيام ، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى
 ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غيرتهم أو يحذروا
 فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من الميصر ، ليس عليهم أمير كالحجاج
 يستندون إليه ولا ميصر كالكوفة يعتصمون به ؛ وقد جاءني عيونى اليوم
 فخرّوني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر ، فهم الآن قد شارفوا الكوفة ،
 وجاءني عيونى من نحو عتّاب بن ورقاء فحدثني أنه قد نزل بجماعة أهل
 الكوفة الصّراة ، فأقرب ما بيننا وبينهم ! فتيسروا بنا للمسير إلى عتّاب بن ورقاء .

قال : ونخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب
 الحجاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
 بين شبيب وعتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أمّا إذ لم تبايعني فقد نبذت إليك ٩٤٨/٢
 على سواء ، فقال مطرف لأصحابه : اخرجوا بنا وافرّين فإن الحجاج
 سيقايلنا ، فيقاتلنا وبنا قوة أمثل . فخرج ونزل المدائن ، فعقد شبيب الجسر ،

وبعث إلى ^(١) المدائن أخاه مصاداً ، وأقبل إليه عتّاب حتّى نزل بسوق حكمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ، ومن نشط إلى الخروج ^(٢) من شبابهم ^(٣) ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى الشباب ، ووافى مع عتّاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة ، فكانوا خمسين ألفاً ، ولم يدع الحجّاج قرشياً ولا رجلاً من بيوتات العرب إلّا أخرجه .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب ، قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المنبر حين وجه عتّاباً إلى شبيب في الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا مع عتّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلّا رجلاً قد ولّيناه من أعمالنا . ألا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة ، ألا وإنّ للناكل الهارب ^(٤) الهوان والجفوة . والذي لا إله غيره لئن فعلتم في هذا الوطن كفيعلكم في المواطن التي كانت لأوليئكم كنفاً خشناً ، ولأعزّ كنكم بكلّ ثقل . ثم نزل ، وتوافى الناس مع عتّاب بسوق حكمة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : عرضنا شبيباً بالمدائن فكنّا ألف رجل ، فقام فينا فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين ، إنّ الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، فأنتم اليوم مئون ومئون ، ألا إني مصلّ الظهر ثم سائر بكم . فصلّى الظهر ثم نودى في الناس : يا خيل الله اركبي وأبشري ، فخرج في أصحابه ، فأخذوا يتخلّفون ويتأخّرون ، فلمّا جاوزنا ساباط ونزلنا معه قصّ علينا وذكّرنا بأيّام الله ، وزهدنا في الدنيا ، ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ، ثم أمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا العصر ، ثم أقبل حتّى أشرف بنا على عتّاب بن ورقاء وأصحابه ، فلما أن رأهم من ساعتِهِ نزل وأمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا المغرب ،

(١) ا : « على المدائن » . (٢) ب ، ف : « للخروج » . (٣) ب ، ف : « من شبابهم » .

(٤) ب ، ف : « للناكل وللهارب » . ا : « للناكب الهارب » .

وكان مؤذنه سلام بن سَيَّار الشَّيبَانِي ، وكانت عيونُ عَتَّاب بن وَرْقَاء قد جاءوه فأخبروه أَنَّهُ قد أَقبل إليه ، فَخَرَجَ بالناس كلَّهم فعبأهم ، وكان قد خندَقَ أوَّل يوم نزل ، وكان يُظهر كلَّ يوم أَنَّهُ يريد أن يسير^(١) إلى شبيب بالمدائن^(٢) ، فبلغ ذلك شبيباً ، فقال : أسيرُ إليه أَحَبُّ إلىَّ من أن يسير إلىَّ ، فأتاه ، فلمَّا صَفَّ عَتَّابُ الناسَ بعثَ على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وقال : يا بن أخي ، إِنَّكَ شريف فاصبر وصابر ، فقال : أمَّا أنا فوالله لأقاتلنَّ ما نُسبتَ معي لإنسان. وقال لقبيصة بن الوليد - وكان يومئذ على ثُلُثِ بَنِي تَغْلِبَ : اكْفِنِي المَيْسِرَةَ ، فقال : أنا شيخٌ كبير ، كثيرٌ مني أن أثبت^(٣) تحت رايتي ، قد انبتَ مني^(٤) القيام ، ما أستطيع القيام إلَّا أن أقام ؛ ولكنَّ هذا عبيد الله بن الحُلَيْس ونُعَيْم بن عُليِّم التَّغْلِبِيَّان - وكان كل واحد منهما على ثُلُث من أثلاث تَغْلِبَ - فقال : ابعثْ أيتهما أحببتَ ، فأيتهما بعثت فلتبعنَّ ذا حِزْم وعِزْم^(٥) . وغنَّاء . فبعثَ نُعَيْم بن عُليِّم على ميسرته ، وبعثَ حنظلة بن الحارث اليربوعي - وهو ابن عم عَتَّاب شيخ أهل بيته - على الرِّجَالَة ، وصفهم ثلاثة صُفُوف : صفٌّ فيهم الرجال معهم السيوف ، وصفٌ وهم^(٥) أصحاب الرِّمَاح ، وصفٌ فيه المُرَّامِيَّة ، ثمَّ سار فيها بين الميمنة إلى الميسرة يمرُّ بأهل راية راية ؛ فيحشَّتهم على تمقوى الله ، ويأمرهم بالصَّبر ويتَّقَصَّ عليهم .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال : وقَّفَ علينا فنَقَصَ علينا قصصاً كثيراً ، كان ممَّا حفظتُ منه ثلاث كلمات ؛ قال : يا أهلَ الإسلام ، إنَّ أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمدَ منه للصَّابرين ، ألا ترون أَنَّهُ يقول : ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٦) ! فمن حميد الله فعله فما أعظم

(١ - ١) ب ، ف : « يلقو شبيباً بالمدائن وأن يسير إليه » .

(٢) ١ : « أبيت » . (٣) ب ، ف : « فقد انبت » .

(٤) ١ : « وحد » . (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال: ٤٦ .

مخرجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى ؛ ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله ! فهم شِرار أهل الأرض وكيلاب أهل النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يُجيبه الله أحدٌ مِنَّا ؛ فلمَّا رأى ذلك ، قال : أين من يروى شعر عنترة ؟ قال : فلا والله ما ردَّ عليه إنسان كلمة . فقال : إنَّا لله ! كأنى بكم قد فررتم عن عتَّاب بن ورقاء وتركتموه تسيى فى امته الريح .

ثم أقبل حتى جلس فى القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكر حمد بن أبي جهنم العدوى . وأقبل شبيب وهو فى ستمائة وقد تخلَّف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : لقد تخلَّف عنا من لا أحب أن يرمى فينا . فبعث سويد بن سليم فى مائتين إلى الميسرة ، وبعث المحلل بن وائل فى مائتين إلى القلب ، ومضى هو فى مائتين إلى الميسرة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم : لِمَن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . فقال : شبيب : رايات طالما نصرت الحق ، وطالما نصرت الباطل ، لها فى كل نصيب ، والله لأجاهدنكم محتسباً للخير فى جهادكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلَّة ، لا حكم إلا للحكم ، اثبتوا إن شئتم . ثم حمل عليهم : هو على (١) مسنة أمام الخندق ففضَّهم ، فثبت أصحاب رايات قبضة بن وئق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم ، فقتلوا ، وانهزمت الميسرة كلها وتدهى أناس من بنى تغلب : قتل قبضة بن وئق . فقال شبيب : قتلتم قبضة بن وئق التغلبى يا معشر المسلمين ! قال الله : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٢) ، هذا مثل ابن عمكم قبضة بن وئق ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ! ثم وقف عليه فقال : ويحك ! لو ثبتت على إسلامك الأول سعدت ، ثم حمل من الميسرة على عتَّاب بن ورقاء ، وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن ،

٩٥٢/٢

(٢) سورة الأعراف : ١٧٥ .

(١) : « فى مسنة » .

فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم ومحمدان ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتى أتوا فقيلا لهم : فقتل عتّاب بن ورقاء ، فانتفضوا ، ولم يزل عتّاب جالسا على طنفسة في القلّب وزهرة بن حويّة معه ، إذ غشيهم شبيب ، فقال له عتّاب : يا زهرة بن حويّة ، هذا يوم كثر فيه العدد ، وقتل فيه الغناء ، والهفي على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معي من جميع الناس ! ألا صابرا لعدوّه ! ألا مؤاسيا بنفسه ! فانتفضوا عنه وتركوه ، فقال له زهرة : أحسنت يا عتّاب ، فعلت فعل مثلك ، والله والله لو منحتهم كسفك ما كان بقاؤك إلا قليلا ، أبشر فلاني أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا . فقال له : جزاك الله خيرا ما جزى أمرا (١) بمعروف وحائثا على تقوى .

فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة ، وقد ذهب الناس يمينا وشمالا ، فقال له عمار بن يزيد الكلبى من بني المدينة : أصلحك الله ! إن عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصفت (٢) معه أناس كثير ، فقال له : قد فرّ قبل اليوم ، وما رأيت ذلك الفتى يبالي ما صنع ، ثم قاتلهم ساعة وهو يقول : ما رأيت كاليوم قطّ موظنا لم أبطل بمثله قطّ أقل مقاتلا ولا أكثر هاربا خاذلا ، فراه رجل من بني تغلب من أصحاب شبيب من بني زيد بن عمرو يقال له عامر عمرو بن عبد عمرو ، وكان قد أصاب دما في قومه ، فلحق بشبيب ، وكان من الفرسان . فقال لشبيب : والله إني لأظن هذا المتكلم عتّاب بن ورقاء ! فحمل عليه فطعنّه ، فوقّع فكان هو وليّ قتله . ووطئت الخيل زهرة بن حويّة ، فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم . فجاء النصل بن عامر الشيباني فقتله ، فأنهى إليه شبيب فوجده صريعا فعرفه ، فقال : من قتل هذا ؟ فقال الفضل : أنا قتلتّه ، فقال شبيب : هذا زهرة حويّة ، أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لربّ يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك ، وعظم فيه غناؤك ! ولربّ خيل للمشرّكين قد هزمتها ، وسريّة لهم قد

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أمر المعروف » . (٢) ب ، ف : « وانصفت عنك » .

ذعرتها^(١) وقرية من قراهم جسم^(٢) أهلها قد افتتحتها . ثم كان في عليم الله أن تقتل ناصراً للظالمين !

قال أبو ميخنف : فحدثني فروة بن لقيط قال : رأيت والله توجع له ، فقال رجل من شبان بكر بن وائل : والله إن أمير المؤمنين منذ الأيلة ليتوجع لرجل من الكافرين ! قال : إنك لست بأعرف بضلالتهم مني ، ولكنني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف : ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواناً . وقُتِل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي ، وقُتِل أبو خيشمة بن عبد الله يومئذ ، واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف . ودعا إلى البيعة . فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم ، وأخذ شبيب يُبايعهم ، ويقول : إلى ساعة يتهربون . وحوى شبيب على ما في العسكر ، وبعث إلى أخيه ، فأتاه من المدائن . فلماً وافاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره بيت قرّة يومين ، ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة ، وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مدحج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة . فشداً وللحجاج ظهرة ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزّ الله من أراد بكم العز ، ولا نصّر من أراد بكم النصّر . اخرجوا عنا . ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالخيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً ، ومن لم يكن شهيد قتال عتاب بن وراق .

٩٥٥/٢

قال أبو ميخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : والله لآخر جئنا نستبيع آثار الناس ، فانتهي إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وهما يمشيان كأني أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلاً طيناً ، فصددت عنهما ، وكهرت أن أدعراهما ، ولو أني أودن بهما أصحاب شبيب لقتلنا مكانتهما ، وقلت في نفسي : لئن سقت إلى مثلكما من قوى القتل ما أنا برشيد الرأي ؛ وأقبل شبيب حتى نزل الصّراة .

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أغرتها » ، وفي ب ، ف : « فلتها » . (٢) ١ : « حم أهلها » .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن سوار أن شبيباً خرج يريد الكوفة ، فانتهى إلى سورا ، فندب الناس ، فقال : أيكم يأتي برأس عامل سورا ؟ فانتدب له بطين وقعناب وسويد ورجلان من أصحابه ، فساروا مغذين حتى انتهوا إلى دار الخراج والعمل في سمرجة^(١) فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا : أجيئوا الأمير ، فقالوا : أي الأمراء ؟ قالوا : أمير خرج من قبل الحججاج يريد هذا الفاسق شبيباً ، فاغتر بذلك العامل منهم . ثم إنهم شهروا السيوف وحكموا حين وصلوا إليه فضرروا عنقه ، وقبضوا ٩٥٦/٢ على ما كان من مال ، ولحقوا بشبيب ، فلمّا انتهوا إليه قال : ما الذي أتيتُمونا به ؟ قالوا : جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال^(٢) ، والمال على دابة في بدوره ، فقال شبيب : أتيتُمونا بفتنة للمسلمين ، هلُمّ الحربة يا غلام ، فخرق بها البدور ، وأمر فتخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة ، فقال : إن كان بقي شيء فاقدفه في الماء . ثم خرج إليه سفيان بن الأبرد مع الحججاج ، وكان أتاه قبل خروجه معه ، فقال : ابعثنى أستقبله قبل أن يأتيتك ، فقال : ما أحب أن نفرق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية]

وفي^(٣) هذه السنة دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحججاج :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن موسى بن سوار ، قال : قدّم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة ، وكان مطرف بن المغيرة كتب إلى الحججاج : إن شبيباً قد أطلّ على ، فابعث إلى المدائن بعثاً . فبعث إليه سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف في مائتي فارس ، فلمّا خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) في اللسان : « السراج يوم جباية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أمواله » .

(٣) قبلها في ١ : « قال محمد بن جرير » .

٩٥٧/٢

معه وقد أعلمهم ما يريد ، وكنتم ذلك سبيرة . فلما انتهت إلى دسكرة الملك دعا سبيرة فأعلمه ما يريد ، ودعا إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك ، فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم . وأقبل بهم فصادف (١) عتّاب ابن رزقاء قد قُتِلَ وشيبيّا قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهت إلى قرية يقال لها بيطرى . وقد نزل شبيب حِصّامَ عُمَرُ ، فخرج سبيرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهی ، ثم أخذ الظّهر حتى قدّم على الحجّاج ، فوجد أهل الكوفة مسنّخوطاً عليهم ، فدخل على سُفیان بن الأبرد . فقَصَّ قصته عليه (٢) وأخبره بطاعته وفراقه مطرّفًا ، وأنه لم يشهد عتّابًا ولم يشهد هزيمةً في موطن من موطن أهل الكوفة ، ولم أرَ للأمير عاملاً . ومعى مائتا رجل لم يشهدوا معي هزيمةً قطّ ، وهم على طاعتهم (٣) ولم يدخلوا في فتنة . فدخل سُفیانُ إلى الحجّاج فخبره بخبر (٤) ما قصّ عليه سبيرة بن عبد الرحمن ، فقال : صدّق وبرّ ! قلّ له : فليشهد معنا لقاء عدونا ، فخرج إليه فأعلمه ذلك . وأقبل شبيب حتى نزل موضع حِصّامَ أعين ، ودعا الحجّاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثّقفيّ فوجهه في ناس من الشرّط لم يكونوا شهدوا يوم عتّاب ، ورجالا كانوا عمّالا في نحو من مائتي رجل (٥) من أهل الشام ، فخرج في نحو من ألف ، فنزل زُرارة . وبلغ ذلك شيبيّا ، فتعجّل إليه في أصحابه . فلما انتهى إليه حمل عليه فقتلته ، وهزّم أصحابه ، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة . وجاء شبيب حتى قطع الجسر ، وعسكر دونه إلى الكوفة ، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيّام ؛ فلم يكن في أول يوم إلّا قتل الحارث بن معاوية ، فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجّاج موالیهُ وغلمانَه عبيد السّلاح ، فأخذوا (٦) بأفواه السّكّك ممّا يلي الكوفة ، وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سيّكّهم ، وخشوا إن لم يخرجوا مؤجّدة الحجّاج وعبد الملك بن مروان . وجاء شبيب

٩٥٨/٢

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فيصادف » . (٢) ب ، ف : « فقص عليه قصته » .

(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وبخبر ما قص عليه » .

(٥) ب ، ف : « فارس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى ابنتي مسجداً في أقصى السَّبْخَةِ مما يلي موقف أصحاب القَتِّ عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتَّى الساعة ، فلمَّا كان اليوم الثالث أخرجَ الحِجَّاجَ أبا الوَرْدَ مولًى له عليه تَجَفُّفٌ ، وأخرجَ مَجْفُفَةً كثيرةً وعلِماناً له ، وقالوا : هذا الحِجَّاجُ ، فَحَمَلَ عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحِجَّاجُ فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحِجَّاجَ أخرج له غلامه طُهمانَ في مِثْلِ تلك العُدَّة على مثل تلك الهيئة ، فَحَمَلَ عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحِجَّاجُ فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحِجَّاجَ خرج ارتفاعَ النهار من القَصْرِ فقال : اثبتوني ببِغْلٍ أركبُه ما بَيْتِي وبين السَّبْخَةِ ، فأقْبَى ببِغْلٍ مَحْجَلٍّ ، فقبل له : إن الأعاجمَ أصلحك الله تَطْيِرُ^(١) أن تتركبَ في مثل هذا اليوم مثلَ هذا البِغْلِ ، فقال : أدنوه مِنِّي ، فإنَّ اليومَ يومٌ أغرَّ مَحْجَلٍّ ؛ فركبه ثم خرج في أهل الشام حتَّى أخذ في سكة البريد ، ثم خرج في أعلى السَّبْخَةِ ، فلمَّا نظر الحِجَّاجُ إلى شبيب^(٢) وأصحابه نزل ، وكان شبيب في سِتِّمِائَةِ فارس ، فلما رأى الحِجَّاجُ قد خرج إليه أقبل بأصحابه ، وجاء سبرة بن عبد الرحمن إلى الحِجَّاجِ

فقال : أين يأمرني الأمير أن أقف ؟ فقال : قفْ على أفواه السكك ، فإن جاءوكم فكان فيكم قتالٌ فقاتلوا ، فانطلقَ حتَّى وقف في جماعة الناس ، ودعا الحِجَّاجُ بكرسى له فقعَّد عليه ، ثم نادى : يا أهل الشام ، أنتم أهلُ السَّمْعِ والطاعة والصَّبْرِ واليَقِينِ ، لا يغلبنُ باطلُ هؤلاء الأرجاس حقَّكم : غضُّوا الأبصار ، واجشُّوا على الرِّكَبِ ، واستقبلوا القومَ بأطراف الأسِنَّة ، فاجشُّوا على الركب ، وأشرعوا الرِّمَاحَ ، وكأنَّهم حِرةٌ سوداء ، وأقبلَ إليهم شبيب حتَّى إذا دنا منهم عبى أصحابه ثلاثة كَراديسَ ، كتيبة معه : وكتيبة مع سُويد بن سُليم ، وكتيبة مع الحِجَّل بن وائل ، فقال لسويد : احمل عليهم في خيلِكَ ، فَحَمَلَ عليهم : فثبَّتوا له ، حتَّى إذا غشي أطراف الأسِنَّة وثبوا في وجهه ووجوه أصحابه ، فطعنوهم^(٣) قُدُمًا حتَّى انصَرَفَ ،

(١) : « تَطْيِرُ » . (٢) ب ، ف : « فلما رأى الحِجَّاجُ شبيباً » . (٣) ب ، ف : « فطعنوه » .

وصاحَ الحَجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَكَذَا فافْعَلُوا . قَدَمَ كُرْسَى يا غلام ، وأمر شبيبَ المَحَلَّلِ فَحَمَلَ عَلَيْهِم ، ففَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ما فَعَلُوا بِسُوَيْدٍ ، فناداهمَ الحَجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ؛ هَكَذَا فافْعَلُوا ، قَدَمَ كُرْسَى يا غلام (١) .

ثمَّ إِنَّ شَبِيبًا حَمَلَ عَلَيْهِم فِي كَتِيبَتِهِ فَشَبَّوْا لَهُ ، حَتَّى إِذَا غَشَى أَطْرَافَ الرِّمَاحِ وَثَبُوا فِي وَجْهِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ طَعَنُوهُ قُدُمًا حَتَّى أَلْحَقُوهُ بِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ نَادَى : يا سُوَيْدُ ، احْمِلْ فِي خَسَلِكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ السَّكَةِ - يَعْنِي سَبَكَةَ لِحَافِ جَرِيرٍ - لَعَلَّكَ تَزِيلُ أَهْلَهَا عَنْهَا ، فَتَأْتِي الحَجَّاجَ مِنْ وَرَائِهِ . وَنَحْمِلُ نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ . فافْتَرَدَ سُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ السَّكَةِ ؛ فَرَمَى مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ وَأَفْوَاهِ السَّكَكِ ، فَانْصَرَفَ ، وَقَدْ كَانَ الحَجَّاجُ جَعَلَ عُرْوَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ رَدَّاءَ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ لثَلَاثَ يَوْمَاتٍ مِنْ وَرَائِهِ (٢) .

٩٦٠/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فَرَوَةَ بْنُ لَقِيطٍ : إِنَّ شَبِيبًا قَالَ لَنَا يَوْمَئِذٍ : يا أَهْلَ الْإِسْلَامِ إِنَّمَّا شَرِينَا اللَّهَ . وَمَنْ شَرَى اللَّهَ لَمْ يَكْبِرْ (٣) عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى وَالْأَلَمِ فِي جَنْبِ اللَّهِ . الصَّبْرُ الصَّبْرُ : شِدَّةُ كَشْدَةِ اتِّكَمَ فِي مَوَاطِنِكُمُ الْكَرِيمَةِ . ثُمَّ جَمَعَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا ظَنَّ الحَجَّاجُ أَنَّهُ حَامِلٌ عَلَيْهِمْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ . اصْبِرُوا لِهَذِهِ الشَّدَّةِ الْوَاحِدَةِ . ثُمَّ وَرَبَّ السَّمَاءِ مَا شَيْءٌ دُونَ الْفَتْحِ . فَجَثُّوا عَلَى الرُّكَبِ . وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ شَبِيبٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَادَى الحَجَّاجُ بِجَمَاعَةِ النَّاسِ . فَوَثَبُوا فِي وَجْهِهِ ، فَمَا زَالُوا يَطْعَنُونَ وَيَضْرِبُونَ قُدُمًا وَيَدْفَعُونَ شَبِيبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يَقَاتِلُهُمْ حَتَّى بَلَّغُوا مَوْضِعَ بُسْتَانَ زَائِدَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ نَادَى شَبِيبٌ أَصْحَابَهُ : يا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، الْأَرْضُ الْأَرْضُ . ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَنَزَلَ نَصْفُهُمْ وَتَرَكَ نَصْفَهُمْ مَعَ سُوَيْدِ بْنِ سَلِيمٍ ، وَجَاءَ الحَجَّاجُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ شَبْتٍ ، ثُمَّ قَالَ : يا أَهْلَ الشَّامِ ، يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَذَا

(١) ساقطة من م . (٢) ب ، ف : « ورائهم » . (٣) ا : « لم يكبر » .

٩٦١/٢

أَوَّلَ الْفَتْحِ وَالَّذِي نَفْسُ الْحَجَّاجِ بِيَدِهِ ! وَصَعَدَ الْمَسْجِدَ مَعَهُ نَحْوُ مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا مَعَهُمُ النَّبْلُ ، فَقَالَ : إِنْ دَنَوْا مِنَّا فَارْشُقُوهُمْ ، فَاقْتَتَلُوا عَامَّةَ النَّهَارِ مِنْ أَشَدِّ قِتَالٍ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى أَقْرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ لِصَاحِبِهِ . ثُمَّ إِنَّ خَالِدَ بْنَ عَتَّابٍ قَالَ لِلْحَجَّاجِ : ائْذَنْ لِي فِي قِتَالِهِمْ فَلِئِنْ مَوْتُورٌ ، وَأَنَا مَمَّنْ لَا يَسْتَهْمُ فِي نَصِيحَةٍ^(١) ، قَالَ : فَلِئِنْ قَدْ أَذْنَتُ لَكَ ، قَالَ : فَلِئِنْ آتَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ حَتَّى أُغِيرَ عَلَى عَسْكَرِهِمْ ؛ فَقَالَ لَهُ : افْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ بِعَصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَقَتَلَ مَصَادًّا أَخَا شَيْبِيبٍ ، وَقَتَلَ غَزَالَةً امْرَأَتَهُ ، قَتَلَهَا فِرْوَةٌ بْنُ الدَّفَّانِ الْكَلْبِيِّ ، وَحَرَّقَ فِي عَسْكَرِهِ ، وَأَتَى ذَلِكَ الْخَبْرُ الْحَجَّاجَ وَشَيْبِيًّا ، فَأَمَّا الْحَجَّاجُ وَأَصْحَابُهُ فَكَبَّرُوا تَكْبِيرَةً وَاحِدَةً ، وَأَمَّا شَيْبِيبُ فَوُثِبَ هُوَ وَكُلُّ رَاجِلٍ مَعَهُ عَلَى خِيُولِهِمْ ، وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِأَهْلِ الشَّامِ : شُدُّوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ مَا أَرْعَبَ قُلُوبَهُمْ . فَشُدُّوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ ، وَتَخَلَّفَ شَيْبِيبُ فِي حَامِيَةِ النَّاسِ .

قال هشام : فحدثني أصغر الخارجي ، قال : حدثني من كان مع شبيب قال : لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه^(٢) خيل الحجَّاج ، قال : فجعل يخفق برأسه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، التفت فانظر من خلفك ؛ قال : فالتفت غير مكترث ، ثم أكب يخفق برأسه ؛ قال : ودنوا منا ؛ فقلنا : يا أمير المؤمنين ، قد دنوا منك ، قال : فالتفت والله غير مكترث ، ثم جعل يخفق برأسه . قال : فبعث الحجَّاج إلى خيله أن يدعو في حرق الله وناره ، فتركوه ورجعوا .

٩٦٢/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني أبو عمرو العذري^(٣) ، قال : قال : قَطَعَ شَيْبِيبُ الْجِسْرَ حِينَ عَبَّرَ . قَالَ : وَقَالَ لِي فِرْوَةٌ : كُنْتُ مَعَهُ حِينَ انْهَزَمْنَا فَمَا حَرَّكَ الْجِسْرَ ، وَلَا اتَّبَعُونَا حَتَّى قَطَعْنَا الْجِسْرَ . وَدَخَلَ الْحَجَّاجُ الْكُوفَةَ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا قُوتِلَ شَيْبِيبُ

(١) ب ، ف : «نصيحته» . (٢) ف ، ف : «ال جيش تبعته» .

(٣) ب : «العدوى» .

قَبْلَهَا ، وَلَّى وَاللهِ هَارِبًا ، وَتَرَكَ امْرَأَتَهُ يُكْسِرُ فِي أَسْتِهَا الْقَصَبَ .

وقد قيل في قتال الحَجَّاجِ شَبِيبًا بالكُوفَةِ ما ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ
 قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغيرةِ بنِ عطِيَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 مَزاحِمُ بْنُ زُفَرٍ بنِ جَسَّاسِ التَّيْمِيِّ ، قَالَ : لَمَّا فَضَّ شَبِيبٌ كُتَابَ الحَجَّاجِ
 أَذِنَ لَنَا فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يَبِيتُ فِيهِ وَهُوَ عَلَى سُرِيرٍ عَلَيْهِ لِحَافٌ ،
 فَقَالَ : إِنِّي دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرِ فِيهِ أَمَانٌ وَنَظَرٌ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ؛ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ
 تَبَحَّجَ بِحُبِّكُمْ ، وَدَخَلَ حَرِيمَكُمْ ، وَقَتَلَ مُقَاتِلَكُمْ ، فَأَشِيرُوا
 عَلَيَّ ؛ فَأَطَرَقُوا . وَفَصَلَ رَجُلٌ مِنَ الصَّفِّ بِكُرْسِيِّهِ فَقَالَ : إِنَّ أَذِنَ لِي
 الْأَمِيرُ تَكَلَّمْتُ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ وَاللهِ مَا رَاقِبَ اللهُ ، وَلَا
 حَفِظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا نَصَحَ لِلرَّعِيَّةِ ، ثُمَّ جَلَسَ بِكُرْسِيِّهِ فِي الصَّفِّ .
 قَالَ : وَإِذَا هُوَ قُتِيْبَةٌ ، قَالَ : فَغَضِبَ الحَجَّاجُ وَأَلْقَى اللِّحَافَ ، وَذَكَرْتُ
 قَدَمِيهِ مِنَ السَّرِيرِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا ؛ فَقَالَ : مَنِ الْمُتَكَلِّمُ ؟ قَالَ : فَخَرَجَ
 قُتَيْبَةُ بِكُرْسِيِّهِ مِنَ الصَّفِّ فَأَعَادَ الْكَلَامَ ، قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : أَنْ
 تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَتُحَاكِمَهُ ؛ قَالَ : فَارْتَدَّ لِي مُعْسَكِرًا ثُمَّ اغْدُ إِلَيَّ ، قَالَ :
 فَخَرَجْنَا نَلْعَنُ عَتْبَةَ بنَ سَعِيدٍ ، وَكَانَ كَلَّمَ الحَجَّاجَ فِي قُتَيْبَةٍ ، فَجَعَلَهُ
 مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَدْ أَوْصَيْنَا جَمِيعًا ، غَدَوْنَا فِي السَّلَاحِ ،
 فَصَلَّى الحَجَّاجُ الصُّبْحَ ثُمَّ دَخَلَ ، فَجَعَلَ رَسُولُهُ يَخْرُجُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَيَقُولُ :
 أَجَاءَ بَعْدُ ؟ أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَلَا نَدْرِي مَنِ يَرِيدُ ! وَقَدْ أَفْعَمَتِ الْمُقْصُورَةُ بِالنَّاسِ ،
 فَخَرَجَ الرَّسُولُ فَقَالَ : أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَإِذَا قُتَيْبَةُ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِ قَبَاءٌ
 هَرَوِيٌّ أَصْفَرٌ ، وَعِمَامَةٌ خَزْ أَحْمَرٌ ، مُتَقَلِّدًا سَيْفًا عَرِيشًا قَصِيرَ الْحَمَائِلِ
 كَأَنَّهُ فِي إِبْطِهِ ، قَدْ أَدْخَلَ بِرُكَّةَ قَبَائِهِ فِي مِئْطَقَتِهِ ، وَالذَّرْعُ يَصْفُقُ سَاقِيَتَهُ
 فَتَفْتَحُ لَهُ الْبَابُ فَدَخَلَ وَلَمْ يُحْجَبْ ، فَلَكِبَتْ طَوِيلًا ثُمَّ خَرَجَ ، وَأَخْرَجَ
 مَعَهُ لِيَوَاءً مَنشُورًا ، فَصَلَّى الحَجَّاجُ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ ، وَأَخْرَجَ الْيَوَاءَ
 مِنْ بَابِ الْفِيلِ ، وَخَرَجَ الحَجَّاجُ يَتْبَعُهُ ، فَإِذَا بِالْبَابِ بَغْلَةٌ شَقْرَاءُ غَرَاءُ
 مَحْجَلَةٌ فَرَكِبَهَا ، وَعَارَضَهُ الْوُصَفَاءُ بِالذَّوَابِ ، فَأَبَتِي غَيْرَهَا . وَرَكِبَ النَّاسُ .

وركب قُتَيْبَةُ فَرَسًا أَغْرَ حَجَّالًا كُفْمِيًّا كَأَنَّهُ فِي سَرَّجِهِ رُمَانَةٌ مِنْ عَظْمِ السَّرَجِ ، فَأَخَذَ فِي طَرِيقِ دَارِ السَّقَايَةِ حَتَّى حَرَجَ إِلَى السَّبَّخَةِ وَبِهَا عَسْكَرُ شَيْبٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، فَتَوَاقَفُوا ، ثُمَّ غَدَوْا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلْقِتَالِ ، ثُمَّ غَادَوْهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ انْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ .

* * *

قال أبو زيد: حدثني خلاد بن يزيد ، قال : حدثنا الحجاج بن قتيبة ، قال : جاء شبيبٌ وقد بعث إليه الحجاجُ أميراً فقتله ، ثم آخر^(١) فقتله ، أحدهما أعينٌ صاحبُ حَمَامٍ أعينٌ ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة ، وقد كانت نذرت أن تُصَلَّى في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلت . قال : واتخذ شبيب في عسكره أخصاصاً ، فقام الحجاج فقال : لا أراكم تناصحون^(٢) في قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق ! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُحْدِثَني بأهل الشام . قال : فقام قُتَيْبَةُ فقال : إِنَّكَ لَمْ تَنْصَحْ لِلَّهِ وَلَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِهِمْ .

قال عمر بن شُبَّة : قال خلاد : فحدثني محمد بن حفص بن موسى ابن عبيد الله بن معمر بن عثمان التميمي أن الحجاج خَسَقَ قُتَيْبَةَ بِعِمَامَتِهِ خَسَقًا شَدِيدًا .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الحجاج وقُتَيْبَةَ . قال : فقال : وكيف ذاك ؟ قال : تبع الرجل الشريف وتبعته معه رعاةً من الناس فينهزمون عنه ، ويستحيي فيقاتل حتى يُقتل ؛ قال : فما الرأي ؟ قال : أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاؤنك بأنفسهم . قال : فلعله من ثم . وقال الحجاج : والله لأبرزن له غداً ؛ فلما كان الغد حضر الناس ، فقال قتيبة : اذكر يمينك أصلح الله الأمير ! فلعنوه أيضاً ، وقال الحجاج : اخرج فارتد لي معسكرًا ، فذهب وتهيأ هو وأصحابه فخرجوا ، فأنى على موضع فيه بعض القدر : موضع كُنَاسَةٍ ،

(٢) ف : « تناصحون » .

(١) ب ، ف : « أميراً » .

فقال : ألقوا لي هاهنا . فقبل : إنَّ الموضع قَدَر ، فقال : ما تَدْعُونِي إليه أَقْدَر ، الأرض تحتَه طيِّبَة ، والسماءُ فوقه طيِّبَة . قال : فنزل وصَفَّ الناس ونخالد بن عَتَّاب بن زَرْهَاء مسخوط عليه فليس في القوم ، وجاء شبيب وأصحابه فقرَّبوا دوابَّهم ، وخرجوا يمشون ، فقال لهم شبيب : الهُوا عن رَمْيِكُم ، ودَبُّوا تحت تِراسِكُم ، حتَّى إذا كانت أَسَنَّتُهُم ^(١) فوقَها ، فأزَلِّقوها صُعْدًا ، ثُمَّ ادْخُلُوا ^(٢) تحتَها لتستَقِلُوا فتَقْطَعُوا أَقْداءَهُم ، وهى الهزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدَبُّون إليهم . وجاء خالد بن عَتَّاب في شاكِرِيَّتِه ، فدار من وراء عسكرهم ، فأضرم أخصاصَهم بالنار ، فلما رَأَوْا ضوءَ النار سمعوا مَعَمَّعَتَها التفتوا فرأوها في ^(٣) بيوتهم ، فولَّوا ^(٤) إلى خَيْلِهِم وتبَّعَهُم الناسُ ، وكانت الهزيمة . ورضيَ الحَجَّاجُ عن خالد ، وعَقَّدَ له على قتالهم . قال : ولمَّا قَتَلَ شبيبُ عَتَّابًا أراد دخول الكوفة ثانية ، فأقبل حتى شارَفَها فوجَّهَ إليه الحَجَّاجُ سيفَ بن هانئ ورجلاً معه لِيَأْتِيَاهُ بخبر شبيب ، فَأَتَيَا عسكره ، ففطن بهما ، فقتل الرجل ، وأفلت سيفٌ ، وتبَّعَهُ رجلٌ من الخوارج ، فأوثب سيفٌ فرسه ساقية ، ثُمَّ سأل الرجلَ الأمان على أن يُصَدِّقَهُ ، فأمنه ، فأخبره أنَّ الحَجَّاجَ بعثه وصاحبَه لِيَأْتِيَاهُ بخبر شبيب .

٩٦٥/٢

قال : فأخبره أَنَا نَأْتِيهِ يوم الاثنين . فَأَتَى سيفُ الحَجَّاجَ فأخبره ؛ فقال : كَذَبَ وماق ، فلمَّا كان يومَ الاثنين توجَّهوا يريدون الكوفة ، فوجَّهَ إليهم الحَجَّاجُ الحارث بن معاوية الثَّقَفِيّ ، فلقيه شبيب بزُرارة فقتله ، وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البَطِينِ في عشرة فوارس يرتاد له مَسْزِلًا على شاطئِ الفرات في دارِ الرِّزْقِ ، فأقبل البَطِينِ وقد وجَّهَ الحَجَّاجَ حَوْشَبَ بنَ يزيدَ في جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواهِ السِّكِّكِ ، فقتلَهم البَطِينِ فلم يَقْوَ عليهم ، فبعث إلى شبيب فأمدَّه بفوارس ، فعمَّقَروا فرس حَوْشَبَ وهزموه ونجا ، ومضى البَطِينِ إلى دارِ الرِّزْقِ ، وعسكر على شاطئِ الفرات ، وأقبلَ شبيب فنزل دون الجِسْرِ ، فلم يوجَّهَ إليه الحَجَّاجُ أحدًا ، فضى فنزل

٩٦٦/٢

(١) ب ، ف : « أَسَنَّتُهُم » . (٢) ب ، س : « ادخلوها » .

(٣) ب ، ف : « فرأوا ما في بيوتهم » . (٤) ب ، ف : « ولوا » .

السَّبَخة بين الكوفة والفُرات ، فأقام ثلاثاً لا يوجّه إليه الحجّاج أحدًا ، فأشير على الحجّاج أن يخرج بنفسه ، فوجّه قتيبة بن مسلم ، فهيّا له عسكرًا ثم رجع ، فقال : وجدتُ المأتى سهلاً ، فسِرُّ على الطائر الميمون ؛ فنادى في أهل الكوفة فخرجوا ، وخرج معه الوجوه حتّى نزلوا في ذلك العسكر (١) وتواقفوا ، وعلى مَيْمَنَة شبيب البَطِين ، وعلى مَيْسَرته قَعْنَب مولى بنى أبي ربيعة بن ذهل ، وهو في زُهاء مائتين . وجعل الحجّاج على ميمنته مطر بن ناجية الرّياحى ، وعلى ميسرته خالد بن عَتّاب بن ورّقاء الرّياحى في زُهاء أربعة آلاف ، وقيل له : لا تُعرّفه موضعك ، فتنكّر وأخفى مكانه ، وشبّه له أبا الورد مولاه . فنظر إليه شبيب ، فحمل عليه ، فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلاً فقتله ، وشبّه له أعيّن صاحب حَمَام أعيّن بالكوفة ، وهو مولى لبكر (٢) بن وائل فقتله ، فركب الحجّاج بغلة غرّاء محجلة ، وقال : إن الدّين أغرُّ محجّل . وقال لأبي كعب : قدّم لواءك ، أنا ابن أبي عقيل . وحمل شبيب على خاله بن عَتّاب وأصحابه ، فبلغ بهم الرّحبة ، وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه ، فنزل عند ذلك الحجّاج وأمر أصحابه فنزلوا ، فجلس على عباءة ومعه عنيسة بن سعيد ، فإنّهم على ذلك إذ تناول مَصْقلة بن مُهْسل الهَضْبى لحام شبيب ؛ فقال : ما تقول في صالح بن مُسَرّح ؟ وبم تشهد عليه ؟ قال : أعلى هذه الحال ، وفي هذه الحرّة (٣) ! والحجّاج ينظر ، قال : فبرئ من صالح ، فقال مَصْقلة : برئ الله منك . وفارقه إلا أربعين فارساً هم أشدّ أصحابه ، وانحاز الآخرون إلى دار الرّزق ؛ وقال الحجّاج : قد اختلفوا ، وأرسل إلى خالد بن عَتّاب فاتاهم فقاتلهم ، فقتلت غزّالة ، ومَرَّ برأسها إلى الحجّاج فارسٌ فعرفه شبيب ، فأمر علوان فشدّ على الفارس فقتلته وجاء بالرأس ، فأمر به فغُسل ودفنه وقال : هي أقرب إليكم رُحماً - يعنى غزّالة .

ومضى القوم على حاميتهم ، ورجع خالد إلى الحجّاج فأخبره بانصراف

(١) ب ، ف : « المسكر » . (٢) ف : « البكير » .

(٣) الحرّة : الشدة .

القوم ، فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم ، وأتبعه ثمانية ، منهم قعنب والبسطين وعبدوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان ، حتى بلغوا به الرحبة ، وأتى شبيب في موقفه بخوطة بن عُمَيْر السدوسي ، فقال له شبيب : يا خوطة ، لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ . فقال : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، فقال شبيب : خوطة من أصحابكم . ولكنه كان يخاف ، فأطلقه . وأتى بعُمَيْر بن القعقاع ، فقال له : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يا عُمَيْر ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول : في سبيل الله شباي ، فردد عليه شبيب : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، ليتخلصه ^(١) ، فلم يفقه . فأمر بقتله . وقتل مصاد أخو شبيب ، وجعل شبيب ينتظر التفر الثنين تبعوا خالدًا فأبطأوا ، ونعس شبيب فأيقظته حبيب بن خدره ، وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له ، وسار إلى دار الرزق ، فجمع رثة ^(٢) من قتل من أصحابه ، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ، فظنوا أنهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجاج فأمرهما فأتبعهما الرهط الثمانية . وأتبع الرهط شبيبًا . فضوا جميعًا حتى قطعوا جسر المدائن ، فدخلوا ديرًا هنالك وخالد يتقفوهم . فحصرهم في الدير ، فخرجوا عليه فهزموه هزيمة من فرسخين حتى ألقيوا أنفسهم في دجلة بخيلهم ، وألقى خالد نفسه بفرسه فمر به ولواؤه في يده ، فقال شبيب : قاتله الله فارسًا وفرسه هذا أشد الناس ، وفرسه أقوى فرس في الأرض : فقبل له : هذا خالد بن عسب ، فقال : معرق له في الشجاعة ؛ والله لو علمت لأقحمت خلفه ودخل النار .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . عن أبي عمرو العذري ، أن الحجاج دخل الكوفة حين انهرم شبيب ، ثم صعد المنبر ، فقال : والله ما قُوتِلَ شبيب قط قبلها مثلها ، ولّى والله هاربًا ، وترك امرأته يكسر في أستها القصب . ثم دعا حبيب بن

(٢) الرثة : المتاع .

(١) ف : « ليتخلصه » .

عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام ، فقال له الحجّاج : احذر بيّاته ، وحيماً لقيته فنارله ، فإن الله قد فلك حدّه ، وقصم نابته . فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتّى نزل الأنبار ، وبعث الحجّاج إلى العمّال أن دُسّوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو أمين ؛ فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال ينجى فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجّاج يوم هُزموا : إن من جاءنا منكم فهو أمين ، فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيباً منزلاً حبيب بن عبد الرحمن الأنبار ، فأقبل بأصحابه حتّى إذا دنا من عسكريهم نزل فصلى بهم المغرب .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فبيّتنا . قال : فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعاً ، وقال لكل ربع منا : ليُجزى كل ربع منكم جانبه ، فإن قاتل هذا الربع فلا يغنهم ^(١) هذا الربع الآخر ، فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منّا قريب ، فوطّئوا أنفسهم على أنكم مبستون ومقاتلون ؛ فما زلنا على تعبيتنا حتّى جاءنا شبيب فبيّتنا ، فشدّ على ربع منّا ، عليهم عثمان بن سعيد العذري فصار بهم طويلاً ، فما زالت قدمُ إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم ، فما زالت قدم إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع ^(٢) الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فقادهم على شيء ، ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً ، فلم يتظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ، وألز بنا حتى قلنا ، لا يُتمارقنا ، ثم نازلنا راجلاً طويلاً ، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي ، وفُتّت الأعين ، وكثرت القتلى ، قتلنا منهم نحواً من ثلاثين ، وقتلوا منّا نحواً من مائة ، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا ، وإيم الله على ذلك ما فارّقونا حتّى مَلَلناهم وملّونا ، وكريهونا وكريهناهم ،

(١) س : « يغنهم » ؛ ف : « يغنهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيء من الإعياء والضعف ، ولقد رأيت الرجل منّا يقاتل جالساً يتنفّح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء^(١) ، فلمّا يشّوا منّا ركب شبيب ثمّ قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلمّا استووا على متون خيولهم وجهه^(٢) منصرفاً عنّا . ٩٧١/٢

قال أبو مخنف : حدثني فروة بن لقيط ، عن شبيب ، قال : لمّا انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة ، وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدّ هذا الذي بنا لو كنّا إنّما نطلب الدنيا ! وما أيسرّ هذا في ثواب الله ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين ، قال : فما أنسى منه إقباله على سويد بن سليم ولا مقاتله له : فقلتُ منهم أمس رجلين : أحدهما أشجع الناس ، والآخر أجبن الناس ، خرجتُ عشية أمس طليعةً لكم فلقيتُ منهم ثلاثة نفر دخلوا قريةً يشرون منها حوائجهم ، فاشتري أحدهم حاجته ، ثمّ خرج قبل أصحابه وخرجتُ معه ، فقال : كأنّك لم تشتري علقيّ ، فقلت : إنّ لي رفقاء قد كفّوني ذلك . فقلت له : أين ترى عدوّنا هذا نزل ؟ قال : بلغني أنّه قد نزل منّا قريباً ، وإيم الله لوددت أنّي قد لقيتُ شبيبهم هذا ، قلت : فتحبّ ذلك ؟ قال : نعم ، قلت : فخذ حذرَكَ ، فأنا والله شبيب ، وانتضيّت سبقي ، فخرّ والله مبيّتاً ، فقلت له : ارتفع ويحك^(٣) ! وذهبتُ أنظر فإذا هو قد مات ، فانصرفتُ راجعاً ، فأستقبل الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنّما يرجع الناس إلى عسكرهم ! فلم أكلّمه ، ومضيتُ يقرب بي فرسي ، وأتبعني حتّى لحقني ، فقطعت عليه فقلت له : ما لك ؟ فقال : أنت والله من عدوّنا ؟ فقلت : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتّى تقتلني أو أقتلك ، فحملت عليه وحمل عليّ ، فاضطربنا بسيفينا ساعة . فوالله ما فضلتُ في شدة نفّس ولا إقدام إلا أن سبني كان أقطع من سيفه ، فقمتُ به ، قال : فضينا حتّى قطعنا دجلة ، ثمّ أخذنا في أرض جوخي حتّى قطعنا دجلة مرةً أخرى من

٩٧٢/٢

(١) ب ، ف : « من الإعياء والضعف » . (٢) ب : « وجد » .

(٣) ب ، ف : « ارتفع ويحك رأسك » .

عند واسط ، ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ، ثم ارتفعنا إلى كرمان .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك شبيب]

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد . وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين .

* ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أقفلنا الحجّاج إليه - يعني إلى شبيب - فقسّم فينا مالا عظيماً ، وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب ، فتجهّز سفيان ، فشقّ ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي ، وقال : تبعث سفيان إلى رجل قد فلتته وقتلت فرسان أصحابه ! فأمضى سفيان بعد شهرين ، وأقام شبيب بكرمان ، حتّى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعاً ، فيستقبله سفيان بجسر دجيل الأهواز ، وقد كان الحجّاج كتب إلى الحكمم بن أيوب بن الحكمم بن أبي عقيل ، وهو زوج ابنة الحجّاج وعامله على البصرة .

٩٧٣/٢

أما بعد ، فابعث رجلاً شجاعاً شريفاً من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومثّره فليكتحق بسفيان بن الأبرد ، وليسمع له وليطع .

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سفيان حتّى التقى سفيان وشبيب ، ولمّا أن التقيا بجسر دجيل عبر شبيب إلى سفيان فوجد سفيان قد نزّل في الرجال ، وبعث مهاصر^(١) بن صيفي العذري على الخيل ، وبعث على ميمته بيشر بن حسان الفهري ، وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري ، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه ، هو في كتيبة وسويد في كتيبة ، وقعنّب الموحلي في كتيبة ، وخلف المحلل بن وائل في عسكره . قال : فلمّا حمل سويد وهو في ميمته

على ميسر، سُفْيَانٌ ، وقَعَبٌ وهو في ميسرته على ميمته حَمَلٌ هو على سُفْيَانٍ ،
 فاضْطَرَبْنَا طويلاً من النهار ، حتَّى انحازوا فرجعوا إلى المكان الَّذي كانوا
 فيه . فكَرَّ عَيْنَا هو وأصحابه أَكْثَرَ من ثلاثين كَرَّةً ، كُلَّ ذَلِكَ لا نزول
 من صَمًا . وقال لنا سُفْيَانُ بنُ الأَبَرْدِ : لا تتفرقوا ، وَلَكِنْ لِيَتَزَحَفَ الرجالُ
 إليهم زَحَفًا ، فوالله ما زلْنَا نَطَاعِنُهُمْ ونضاربهم حتَّى اضْطَرَرْنَاهم إلى
 الجِسْرِ ، فلمَّا انتهى شبيب إلى الجِسْرِ نزل ونزل معه نحو من مائة رجل ،
 فقاتلناهم حتَّى المساء أَشدَّ قتال قاتله قومٌ قَطُ ، فها هو إلا أَن نزلوا
 فأوقِعُوا لنا من الطَّعْن والضَّرْب شيئًا ما رأينا مِثْلَهُ من قوم قَطُ . فلمَّا رأى
 سُفْيَانُ أَنَّهُ لا يَسْقُدُ عليهم ، ولا يأمن مع ذلك لفرهم ، دعا الرَّمَاءَ فقال :
 ارشقوهم بالنَّبْلِ ، وذلك عند المساء ، وكان التَّوَأْمُ نصفَ النهار ، فرماهم
 أصحابُ النَّبْلِ بالنَّبْلِ عند المساء ، وقد صَفَّهم سُفْيَانُ بنُ الأَبَرْدِ على حِدَةٍ .
 وبعث على المُرَامِيَةِ رجلاً ، فلمَّا رشقوهم بالنَّبْلِ ساعةً شَدُّوا عليهم ،
 فلمَّا شَدُّوا على رُمَاتِنَا شَدَدْنَا عليهم ، فشَغَلْنَاهم عنهم ، فلما رَدُّوا بالنَّبْلِ
 ساعةً ركب شبيب وأصحابه ثُمَّ كَرُّوا على أصحابِ النَّبْلِ كَرَّةً صُرْعَ منهم
 أَكْثَرُ من ثلاثين رجلاً ، ثُمَّ عطف بخَيْلِهِ علينا . فشى عدداً نحونا ، فطَاعَنَاهُ
 حتَّى اختلَطَ الظَّلام ، ثُمَّ انصَرَفَ عَنَّا ، فقال سُفْيَانُ لأصحابه :
 أَيُّهَا الناس ، دَعُوهم لا تتَّبِعُوهم حتَّى نُصَبَّحَهم غَدًا . قال : فكفَّفْنَا
 عنهم وليس شيء أحبَّ إلينا من أَن ينصرفوا عَنَّا .

٩٧٤/٢

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ : فحدثني فَرَوَةُ بنُ لَقِيطٍ . قال : فها هو إلا أَن
 انتهينا إلى الجِسْرِ ، فقال : اعبروا معاشرَ المسلمين ، فإذا أَصْبَحْنَا
 باكَرْنَاهم إن شاء الله ، فَعَبَرْنَا أَمَامَهُ ، وتخلَّفت في أَخْرَانَا ، فأقبل على
 فرسه . وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيَّانة ، فتزاورهُ عليها وهو على الجِسْرِ
 فاضْطَرَبَتِ الماذيَّانة ، ونزل حافرُ رجل فرس شبيب على حرف السَّفِينَةِ ،
 فسَقَطَ في الماء ، فلمَّا سَقَطَ قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

فارتعس^(١) في الماء ، ثُمَّ ارتَمَعَ فقال : ﴿ ذَلِكَ تَعْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

٩٧٥/٢

() ارتعس في الماء . إذا انغمس فيه حتَّى يغيب رأسه جميع جسده فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث - وكان ممن يقاتله من أهل الشام ، وحدثني فروة بن لقيط ، وكان ممن شهد موطنه - فأما رجل من رهطه من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ، ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة ، وكان قد قتل من عشائريهم رجلا كثيرا ، فكأن ذلك قد أوجع قلوبهم ، وأوغر صدورهم ؛ وكان رجل يقال له مقاتل من بني تيم بن شيبان من أصحاب شبيب ، فلما قتل شبيب رجلا من بني تميم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا ، فقال له شبيب : ما حرمك على قتلهم بغير أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتلت كفار قومي ، وقتلت كفار قومك ، قال : وأنت النوالى على حتى تقطع الأمور دوني ! فقال : أصلحك الله ! أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا ، منّا كان أو من غيرنا ! قال : بلى ، قال : فإنما فعلت ما كان ينبغي ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عشر ما أصبت من رهطي ، وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تسجد من قتل الكافرين ؛ قال : إني لا أبجد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائريهم ، فزعموا أنه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض : هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا الساعة ! فقطعوا الجسر ، فالت السفن ، ففزع الفرس ونفر ، ووقع في الماء فغرق .

٩٧٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ذلك المرّي بهذا الحديث ، وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا ؛ وأما حديث العامة فالحديث الأول .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : إني والله لنتهيًا للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال : أين أميركم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلحك الله ! إن رجلا منهم وقع في الماء ، فتنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين ! ثم إنهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد ، فكبر سفيان وكبرنا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر ، وبعث مهاصر بن صيني فعبّر إلى عسكرهم ، فإذا ليس فيه منهم صافر

ولا آثر^(١)، فنزل فيه، فإذا أكثرُ عسكرُ خلقِ الله خيراً، وأصبحنا فطلبنا شيباً حتى استخرجناه وعليه الدرع، فسمعتُ النَّاسَ يزعمون أنه شقّ بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة، وإنه كان يتضرب به الأرض فيتشبّ قامةً لإنسان؛ فقال سفيان: احمدوا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني خلاّد بن يزيد الأرقط، قال: كان شبيب يُنْعَى لأمّه فيقال: قتل فلا تقبل قال: فقيل لها: إنه غرق، فقيلت، وقالت: إني رأيتُ حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فعلمتُ أنه لا يُطفئه إلا الماء.

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني فرّوة بن لقيط الأزدي ثم الغامري أن يزيد بن نعيم أبا شبيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه^(٢) الوليد بن عتبة عن أمرِ عثمانٍ بإتياء بذلك مدداً لأهل الشام أرض الروم، فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع، فرأى يزيد ابن نعيم أبو شبيب جارية حمراء، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلةً تأخذها العين، فابتاعها ثم أقبل بها، وذلك سنة خمس وعشرين أول السنة، فلما أدخلها الكوفة قال: أسلمي، فأبت عليه، فضربها فلم ترد إلا عصياناً، فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت، ثم دعا بها فأدخلت عليه، فلما تغشّاها تلقت منه بحمل فولدت شبيباً، وذلك سنة خمس وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت. وأجبت مولاه حباً شديداً - وكانت حلوثة^(٣) - وقالت: إن شئتُ أجبتك إلى ما سألتني من الإسلام، فقال لها: شئتُ، فأسلمت، وولدت شيباً وهي مسلمة، وقالت: إني رأيتُ فيما يرى النائم أنه خرج من قبلي شهاب فتشعب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها، فبينما هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جارٍ فخبأ، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهرقون فيه الدماء، وإني

(١) يقال: ما في الدار من صافر، أي أحد يصفر، وهو مثل.

(٢) ١: «معد الوليد بن عتبة». (٣) كذا في ١، وفي ط: «تحدثه».

قد أولت رؤى هذه أنى أرى ولدى هذا غلاماً ، أراه سيكون صاحب دماء
يُهَرِّيقُهَا ، وإنى أرى أمره سيعلو ويعظم سريعاً . قال : فكان أبوه يتخلف ٩٧٨/٢
به وبأمه إلى البادية إلى أرض قومهِ على ماء يُدعى اللَّصَف .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بن أبي سويد بن رادى أن
جُنْدَ أهل الشام الذين جاءوا حملوا معهم الحَجَر فقالوا : لا نفر من
شبيب حتى يفر هذا الحجر ؛ فبلغ شبيباً أمرهم ، فأراد أن يكيدهم ، فدعا
بأفراس أربعة . فربط فى أذناها ترسة فى ذنب كل فرس تُرْسَيْن ، ثم
ندب معه ثمانية نفر من أصحابه ، ومعه غلام له يقال له حَيَّان ، وأمره
أن يحمل معه إداوة من ماء ، ثم سار حتى أتى ناحية من العسكر ،
فأمر أصحابه أن يكونوا فى نواحي العسكر ، وأن يجعلوا مع كل رجلين فرساً ،
ثم يُمِسُّوها الحديد حتى تجد حره ويخلوها فى العسكر ، وواعدهم تلعة
قريبة من العسكر ، فقال : من نجا منكم فإن موعده هذه التلعة ؛ وكره
أصحابه الإقدام على ما أمرهم به ، فترل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع
بالخيَلِ مِثْلَ الَّذِي أَمَرَهُمْ ، ثم وغلَّتْ فى العسكر ؛ ودخل يتلونها مُحَكِّمًا
فضرب الناس بعضهم بعضاً ، فقام صاحبهم الذى كان عليهم ، وهو
حبيب بن عبد الرحمن الحَكَمَى ، فنادى : أيها الناس ، إن هذه مكيدة ،
فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر ، ففعلوا وبقى شبيب فى عسكرهم ،
فلزم الأرض حيث رأهم قد سكنوا ، وقد أصابته ضربة عمود أو هنته ،
فلما أن هدا الناس ورجعوا إلى أبينتهم خرج فى غمارهم حتى أتى التلعة ، ٩٧٩/٢
فإذا هو بحَيَّان ، فقال : أفرغ يا حَيَّان على رأسى من الماء ؛ فلما مدَّ رأسه
ليصب عليه من الماء همَّ حَيَّان أن يضرب عنقه ، فقال لنفسه : لا أجد
لى مكرمةً ولا ذكراً أرفع من قتلى هذا ، وهو أمانى عند الحجَّاج ، فاستقبلته
الرَّعْدَةُ حيث همَّ بما همَّ به ، فلما أبطأ بحل الإداوة قال : ما يُبْطِئُكَ
بحلِّها ! فتناول السَّكِين من مَوْزَجِهِ ^(١) فخرقها به ، ثم ناولها إياه ،
فأفرغ عليه من الماء . فقال حيان : منعتنى والله الجُبْنُ وما أخذتني من

الرَّعدة أن أضرب عنقه بعد ما همتُ به . ثمَّ لَحِقَ شبيب بأصحابه في عسكره .

[خروج مطرّف بن المغيرة على الحجّاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج مُطَرِّف بن المغيرة بن شُعْبَةَ على الحجّاج ، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجلال فقتل .

* ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان :

قال هشامٌ عن أبي مخنف ، قال : حدّثني يوسفُ بنُ يزيدَ بن بكر الأزدِيّ أن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلأء ، أشرافاً بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومترليهم^(١) في قومهم . قال : فلما قدم الحجّاج فلقوه وشافهم علّم أنّهم رجال قومه وبنو أبيه ، فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة ، ومطرّف بن المغيرة على المدائن ، وحمزة بن المغيرة على همدان . ٩٨٠/٢

قال أبو مخنف : فحدّثني الحُصَيْن بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُفَيْل الأزدِيّ ، قال : قدّم علينا مطرّف بن المغيرة بن شُعْبَةَ المدائن فصعد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : أيّها الناس ، إن الأمير الحجّاج أصلحه الله قد ولّاني عليكم ، وأمّرني بالحُكْم بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن عملتُ بما أمّرني به فأنا أسعدُ الناس ، وإن لم أفعلْ فنفسى أوبقتُ ، وحظّ نفسى ضيّعت ، ألا^(٢) إني جالس لكم العَصْرين ، فارفعوا إلى حوائجكم^(٣) ، وأشيروا عليّ بما يصلحكم ويصلح بلادكم ، فإنّي لن آلوكم خيراً ما استطعت . ثمَّ نزل .

وكان بالمدائن إذ ذاك رجالٌ من أشراف أهل المصروبيوتات الناس ، وبها مقاتلة لا تسعها عدّة . إن كان كَوْنٌ بأرض جُوخَى أو بأرض الأنبار . فأقبل مطرّف حين نزل حتّى جلس للناس في الإيوان ، وجاء حكيمُ بن الحارث الأزدِيّ يمشي نحوه ، وكان من وجوه الأزد وأشرافهم ، وكان الحجّاج قد

(١) : « وميرائهم » .

(٢-٢) ب ، ف : « ارفعوا إلى حوائجكم فإنّي جالس لكم العصرين » .

استعمله بعد ذلك على بيت المال — فقال له : أصلحك الله ! إني كنتُ منك نائياً حين تكلمتَ ، وإني أقبلتُ نحوكَ لأجيبكَ ، فوافقتُ ذلك نزولك ، إننا قد فهمنا ما ذكرتَ لنا ، أنه عهد إليك ، فأرشد الله العاهد والمعهود إليه ، وقد منيتَ من نفسك العدل ، وسألتَ المعونة على الحق ، فأعانك الله على ٩٨١/٢ ما نويتَ ، إنك تشبه أباك في سيرته برضا الله والناس ، فقال له مطرف : ها هنا إلى ؟ فأوسع له فجلس إلى جنبه .

قال أبو مخنف : فحدثني الحُصَيْن بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط ، أقمعه لمُريب ، وأشدّه إنكاراً للظلم ، فقدم عليه بشر بن الأجدع الهَمْداني ، ثم الثوري ، وكان شاعراً فقال :

إني كلفتُ بخود غيرِ فاحشةٍ غراءَ وهَنانَةٍ حُسانَةٍ الجيدِ
كأنها الشمس يومَ الدَّجْنِ إذ برزتْ تمشي مَعَ الآنِسِ الهيفِ الأُمَليدِ
سلَّ الهوى بعلنداةٍ مُذكَّرةٍ عنها إلى المُجَنَّدَى ذى العُرفِ والوجودِ
إلى الفتى الماجدِ الفياضِ نعرفهُ في الناس ساعةٍ يُحَلَّى كلُّ مردودِ
من الأكرام أنساباً إذا نُسبوا والحامل الثقل يومَ المغرمِ الصَّيدِ
إني أعيدُكَ بالرحمنِ من فَرٍ حمر السَّبال كأُسدِ الغابةِ السُّودِ
فرسانُ شيبان لم نسمعُ بِمثلهمِ أبناءُ كلِّ كريم النَجَلِ صَنديدِ ٩٨٢/٢
شدُّوا على ابنِ حُصَيْنٍ في كَتِيبَتِهِ فغادروهُ صريعاً ليلةَ العيدِ
وابنُ المجالدِ أَرَدَتْهُ رماحُهُمُ كأنما زلَّ عن خوصاءِ صَيخُودِ
وكلُّ جَمعٍ بروذابارَ كان لهمُ قد فُضَّ بالطَّعنِ بينَ النَخْلِ والبَيدِ
فقال له : وَيَحْلكِ ! لا ترغبنا . وقد كان شبيب أقبل من مساتيدما ،
فكتب مطرف إلى الحجاج :

أمّا بعد ، فإني أخبر الأميرَ أكرمَه الله أنَّ شبيباً قد أقبل نحونا ، فإن رأى الأميرُ أن يُمدِّتي برجال أضبط بهم المدائن فعَل ، فإن المدائن بابُ الكوفة وحصنها .

فبعث إليه الحجاجُ بنُ يوسفَ سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ في مائتين وعبد الله بنَ كَتَّازٍ في مائتين ، وجاء شبيب فأقبل حتَّى نزل قناطرَ حَدَيفَةَ ، ثمَّ جاء حتَّى انتهى إلى كَلَّوْآذا ، فعَبَّرَ منها دِجْلَةَ ، ثمَّ أَقْبَلَ حتَّى نزل مدينةَ بَهْرُسِيرَ ومطَرَفَ بن المغيرة في المدينة العتيقة الَّتِي فِيهَا مَنْزِلُ كَسْرَى ٩٨٣/٢ والقَصْرُ الأَبْيَضُ ، فلمَّا نزل شبيب بَهْرُسِيرَ قطعَ مطَرَفُ الجِسْرَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَبِيبَ ، وبعث إلى شبيب أن ابعثْ إلى رجالا من صُلَحَاءِ أَصْحَابِكَ أَدَارِسُهُمُ الْقُرْآنَ ، وأنظر ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ ، فبعث إليه رجالا ؛ مِنْهُمْ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ وَقَعْنَبُ وَالْحُلَيْلُ بْنُ وَائِلٍ ، فلما أَدْنَيْ مِنْهُمْ الْمَعْبَرُ وأرادوا أن يَنْزِلُوا فِيهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ شَبِيبُ أَلَّا تَدْخُلُوا السَّفِينَةَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى رَسُولِي مِنْ عِنْدِ مَطَرَفَ ، وبعث إلى مطَرَفَ : أن ابعثْ إلى بَعْدَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ حَتَّى تَرُدَّ عَلَيَّ أَصْحَابِي ، فقال لِرَسُولِهِ : الْقَهَ فَقُلْ لَهُ : فَكَيْفَ آمْنُكَ عَلَى أَصْحَابِي إِذَا بَعَثْتُهُمُ الْآنَ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ لَا تَأْمَنِي عَلَى أَصْحَابِكَ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شَبِيبُ : إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَسْتَحِلُّ فِي دِينِنَا الْغَدْرَ ، وَأَنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ وَتَهْوُونَهُ . فَسَرَّحَ إِلَيْهِ مَطَرَفُ الرَّبِيعَ بْنَ يَزِيدَ الْأَسَدِيَّ ، وَسُلَيْمَانَ بْنَ حَدَيفَةَ بْنَ هَلَالِ بْنِ مَالِكِ الْمَرْزِيِّ . وَيَزِيدَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى الْمَغِيرَةِ — وَكَانَ عَلَى حَرَسِ مَطَرَفَ — فَلَمَّا وَقَعُوا فِي يَدَيْهِ بَعَثَ أَصْحَابَهُ إِلَيْهِ .

قال أبو مِخْنَفٍ :

حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ مَطَرَفَ بْنِ الْمَغِيرَةِ ابْنَ شُعْبَةَ فَمَا أَدْرَى أَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ فِي الْجَنْدِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، أَوْ قَالَ : كُنْتُ بِإِزَائِهِ حَيْثُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ رُسُلُ شَبِيبٍ ! وَكَانَ لِي وَلِأَخِي ٩٨٤/٢ وَدَأْمُكْرَمًا ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَسْتَرْ مَنْأً شَيْئًا ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَمَا عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرِ أَخِي حَلَامٍ بْنُ صَالِحٍ ، وَهُمْ سِتَّةٌ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ ، وَهُمْ شَاكُونَ فِي السَّلَاحِ ، وَنَحْنُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِلَّا سِوْفُنَا ، فَلَمَّا دَنَوْا قَالَ سُوَيْدُ : السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ خَافِ مَقَامِ رَبِّهِ وَعَرَفِ الْهُدَى وَأَهْلِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مَطَرَفُ : أَجَلٌ ، فَسَلَّمَ اللَّهُ عَلَى أَوْلَئِكَ ، ثُمَّ جَلَسَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ لَهُمْ

مطرف : قَصُّوا عَلَى أَمْرِكُمْ ، وَخَبِّرُونِي مَا الَّذِي تَطْلُبُونَ ؟ وَإِلَامَ تَدْعُونَ ؟
 فَحَمَدَ اللَّهُ سُؤِيدُ بْنُ سُلَيْمٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الَّذِي
 نَدْعُو إِلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ الَّذِي نَقَمْنَا عَلَى
 قَوْمِنَا الْإِسْتِثَارَ بِالْفَسَى وَتَعْطِيلَ الْحُدُودِ وَالتَّسْلُطَ بِالْجَبَرِيَّةِ . فَقَالَ لَهُمْ
 مَطْرَفٌ : مَا دَعْوَتُكُمْ إِلَّا إِلَى حَقٍّ ، وَلَا نَقَمْتُمْ إِلَّا جَوْرًا ظَاهِرًا ، أَنَا لَكُمْ
 عَلَى هَذَا مُتَابِعٌ ، فَتَابِعُونِي إِلَى مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ لِيَجْتَمَعَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ ،
 وَتَكُونَ يَدِي وَأَيْدِيكُمْ وَاحِدَةً ، فَقَالُوا : هَاتِ ، أَذْكَرُ مَا تَرِيدُ أَنْ تَذْكُرَ ،
 فَإِنْ يَكُنْ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ حَقًّا نُجِيبُكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَقَاتِلَ
 هَؤُلَاءِ الظَّالِمَةَ الْعَاصِينَ عَلَى إِحْدَانِهِمُ الَّذِي أَحْدَثُوا^(١) ، وَأَنْ نَدْعُوهُمْ إِلَى
 كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُؤْمَرُونَ
 عَلَيْهِمْ مَنْ يَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي تَرْكَبُهَا عَلَيْهِمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؛
 فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ مَا يَرَادُ بِالشُّورَى الرِّضَا مِنْ قَرِيشَ رَضُوا ،
 وَكَثُرَ تَبِعُكُمْ مِنْهُمْ وَأَعَاوَنُكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَتَمَّ لَكُمْ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي
 تَرِيدُونَ .

قَالَ : فَوَثِّبُوا مِنْ عِنْدِهِ ، وَقَالُوا : هَذَا مَا لَا نَجِيبُكَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، فَلَمَّا ٩٨٥/٢
 مَضَوْا فَكَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ صُفَّةِ الْبَيْتِ التَّفْتُ إِلَيْهِ سُؤِيدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، فَقَالَ :
 يَا بَنَ الْغَيْبَةِ ، لَوْ كَانَ الْقَوْمُ عُدَاةً غَدُرًا كُنْتُ قَدْ أَمَكَنْتَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ،
 فَفَزِعَ لَهَا مَطْرَفٌ ، وَقَالَ : صَدَقْتَ وَإِلَهُ مُوسَى وَعِيسَى .

قَالَ : وَرَجِعُوا إِلَى شَبِيبٍ فَأَخْبَرُوهُ بِمَقَالَتِهِ ، فَطَمَعَ فِيهِ ، وَقَالَ لَهُمْ :
 إِنَّ أَصْبَحْتُمْ فَلْيَأْتِيهِ أَحَدُكُمْ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا بَعَثَ إِلَيْهِ سُؤِيدًا وَأَمَرَهُ بِأَمْرِهِ ،
 فَجَاءَ سُؤِيدٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ مَطْرَفٍ ، فَكُنْتُ أَنَا الْمُسْتَأْذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ
 وَجَلَسَ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصُرَ ، فَقَالَ لِي مَطْرَفٌ : اجْلِسْ فَلَيْسَ دُونَكَ سِتْرٌ ؛
 فَجَلَسْتُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌّ أَغْيَدٌ ، فَقَالَ لَهُ سُؤِيدٌ : مَنْ هَذَا الَّذِي لَيْسَ لَكَ
 دُونَهُ سِتْرٌ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذَا الشَّرِيفُ الْحَسِيبُ ، هَذَا ابْنُ مَالِكِ بْنِ
 زُهَيْرِ بْنِ جَدْدِيمة ، فَقَالَ لَهُ : بَخٍّ أَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ ، إِنْ كَانَ دِينُهُ عَلَى

قدّر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال : إِنَّا لَقَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالَّذِي ذَكَرْتَ لَنَا ، فقال لنا : القسوه فقولوا له : أَلَسْتَ تَعْتَمِدُ أَنْ اخْتِيارَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ خَيْرُهُمْ لَهُمْ فِيمَا يَرُونَ رَأْيٌ رَشِيدٌ ! فَقَدْ مَضَتْ بِهِ السَّيِّئَةُ بَعْدَ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا قَالَ لَكُمْ : نَعَمْ ، فَقُولُوا لَهُ : فَإِنَّا قَدْ اخْتَرْنَا لِنَفْسِنَا أَرْضَانَا فِينَا ، وَأَشَدُّنَا اضْطِلَاعًا لِمَا حُمِّلَ ، فَمَا لَمْ يَغْيِرْ وَلَمْ يُبَدِّلْ فَهُوَ وَلِيُّ أَمْرِنَا . وَقَالَ لَنَا : قُولُوا لَهُ فِيمَا ذَكَرْتَ لَنَا مِنَ الشُّرُورِ حِينَ قُلْتَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّكُمْ لِمَّا تَرِيدُونَ بِهَذَا الْأَمْرِ قُرَيْشًا ^(١) كَانَ أَكْثَرُ لَتَبْعِكُمْ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَا يَنْقُصُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَقُولُوا ، وَلَا يَرِيدُ الظَّالِمِينَ خَيْرًا أَنْ يَكْتُمُوا ، وَإِنْ تَرَكْنَا حَقَّنَا الَّذِي خَرَجْنَا لَهُ ، وَدَخَلْنَا فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ مِنَ الشُّرُورِ خَطِيئَةٌ وَعَجْزٌ وَرُخْصَةٌ إِلَى نَصْرِ الظَّالِمِينَ وَوَهْنٌ ، لَأَنَّا لَا نَرَى أَنَّ قُرَيْشًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْعَرَبِ . وَقَالَ ^(٢) : فَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْعَرَبِ فَقُولُوا لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَإِنْ قَالَ : لِقَرَابَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ فَقُولُوا ^(٣) لَهُ : فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي إِذَا لَأَسْلَفْنَا الصَّالِحِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَتَوَلَّوْا عَلَى أَسْرَةِ مُحَمَّدٍ ، وَلَا عَلَى وَلَدٍ أَوْ ابْنٍ لَهَبٍ لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرُهُمْ ؛ وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ ، وَأَنَّ أَوْلَاهُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَتَقَاهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ فِيهِمْ ، وَأَشَدَّهُمْ اضْطِلَاعًا بِحَمْلِ أُمُورِهِمْ مَا تَوَلَّوْا أُمُورَ النَّاسِ . وَنَحْنُ أَوَّلَ مَنْ أَنْكَرَ الظُّلْمَ وَغَيَّرَ الْجَوْرَ وَقَاتَلَ الْأَحْزَابَ ، فَإِنْ اتَّبَعْنَا فَلَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِلَّا يَفْعَلُ فَهُوَ كِبَعْضٍ مِنْ نُعَادِي وَنُقَاتِلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

فَقَالَ لَهُ مَطْرَفٌ : قَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ ، إِرْجِعْ يَوْمَكَ هَذَا حَتَّى تَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا .

فَرَجَعَ ، وَدَعَا مَطْرَفٌ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ ثِقَاتِهِ وَأَهْلِ نَصَائِحِهِ مِنْهُمْ سَلْيَانُ بْنُ حَذِيفَةَ الْمُرْتَنِيِّ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ يُزَيْدَ الْأَسَدِيِّ . قَالَ النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ ٩٨٧/٢ : وَكَنتُ أَنَا وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى الْغُبَرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَائِمَيْنِ عَلَى

(١) ب : « قُرَيْشًا » . (٢) ط : « فَقَالَ لَهُ » . (٣) ط : « فَقُلْ » .

وَأَسِهَ بِالسَّيْفِ ، وَكَانَ عَلَى حَرَّسِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ مَطْرَفٌ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنَّكُمْ نَصَحْتُمُنِي وَأَهْلُ مَوَدَّتِي وَمَنْ أَتَقْبَلُ بِصِلَاحِهِ وَحَسَنَ رَأْيِهِ ، وَاللَّهِ مَا زِلْتُ لِأَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الظَّالِمَةِ كَارِهًا ، أَنْكِرُهَا بِقَلْبِي ، وَأَغْيِرُهَا مَا اسْتَطَعْتُ بِفِعْلِي وَأَمْرِي ، فَلَمَّا عَظُمَتْ خَطِيئَتُهُمْ ، وَمَرَّ بِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يُجَاهِدُونَهُمْ ، لَمْ أَرَ أَنَّهُ يَسْعَى إِلَّا مَنَاهَضَتَهُمْ وَخِلَافَهُمْ إِنْ وَجِدْتُ أَعْوَانًا عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي دَعَوْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَقَالُوا لِي كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَلَسْتُ أَرَى الْقِتَالَ مَعَهُمْ ، وَلَوْ تَابَعُونِي عَلَى رَأْيِي وَعَلَى مَا وَصَفْتُ لَهُمْ لَخَلَعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ وَالْحِجَّاجَ ، وَلَسِرْتُ إِلَيْهِمْ أَجَاهِدَهُمْ . فَقَالَ لَهُ الْمُزَنِّي : إِنَّهُمْ لَنْ يُتَابِعُوكَ ، وَإِنَّكَ لَنْ تُتَابِعَهُمْ فَأُخِفَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا تُظْهِرْهُ لِأَحَدٍ ، وَقَالَ لَهُ الْأَسَدِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَجَسَّأَ مَوْلَاهُ ابْنُ أَبِي زِيَادٍ عَلَى رِكْبَتَيْهِ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَخْفَى مِمَّا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَلَى الْحِجَّاجِ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، وَلَسِيَّزَادَنَ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ عَشْرَةٌ أَمْثَالًا ، وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُنْتُ فِي السَّحَابِ هَارِبًا مِنَ الْحِجَّاجِ لَيْلَتُمَسَّنَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ حَتَّى يُهْلِكَكَ ^(١) أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ : فَالْتَجَاءَ الْنَجَاءُ مِنْ مَكَانِكَ هَذَا ، فَإِنْ أَهْلَ الْمَدَائِنِ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ وَمِنْ ذَاكَ الْجَانِبِ ، وَأَهْلَ عَسْكَرِ شَيْبٍ يَتَحَدَّثُونَ بِمَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَيْبٍ ، وَلَا تَمَسْ مِنْ يَوْمِكَ هَذَا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ الْحِجَّاجَ ، فَاطْلُبْ دَارًا غَيْرَ الْمَدَائِنِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبَاهُ : مَا نَرَى الرَّأْيَ إِلَّا ٩٨٨/٢ كَمَا ذَكَرْنَا ^(٢) ، قَالَ لُهُمَا مَطْرَفٌ : فَمَا عِنْدَكُمَا ؟ قَالَا : الْإِجَابَةُ إِلَيْنَا مَا دَعَوْتُنَا إِلَيْهِ وَالْمُوَاسَاةُ لَكَ بِأَنْفُسِنَا عَلَى الْحِجَّاجِ وَغَيْرِهِ . قَالَ : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَقُلْتُ : قَتَلْتُ عَدُوَّكَ ، وَالصَّبْرُ مَعَكَ مَا صَبَرْتُ ، فَقَالَ لِي : ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ .

قَالَ : وَمَكْتُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَتَاهُ قَعْنَبُ فَقَالَ لَهُ : إِنْ تَابَعْتُنَا فَأَنْتَ مَنَا ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَقَدْ نَاذَرْنَاكَ : فَقَالَ : لَا تَعَجَّلُوا الْيَوْمَ غَيبًا نَنْظُرُ .

قَالَ : وَبَعَثَ إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ ارْحَلُوا اللَّيْلَةَ مِنْ عِنْدِ آخِرِكُمْ حَتَّى تُؤَفُّوا الدَّسَكُورَةَ مَعِيَ لِحَدَثِ حَدَثِ هَذَا .

(١) ب ، ف : « تهلك » .

(٢) ب ، ف ، « ما قال » .

ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مرَّ بدَيْرِ يَزْدَجِرْدَ فترله ، فلقيه قَبِيصَةُ بنُ عبد الرحمن القحافي من خَثْعَمَ ، فدعاه إلى صُحْبته ، فصَحَبه فكسَاه وحَمَلَه ، وأَمَرَ له بِنَقْفَةٍ ، ثم سَارَ حتى نزل الدَّسْكَرَةَ ، فلمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْتَحِلَ مِنْهَا لم يجد بداً من أَنْ يُعَلِّمَ أَصْحَابَهُ مَا يَرِيدُ ، فجمع إليه رِءُوسَ أَصْحَابِهِ ، فذكر الله بما هو أَهْلُهُ وصلَّى على رسوله ، ثم قال لهم : أمَّا بعد ، فإنَّ الله كتب الجهاد على خَلْقِهِ ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيما أنزَلَ علينا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) ولَمَّا أَشْهَدَ اللَّهُ أَنِّي قد خلعتُ عبدَ المَلِكِ بنَ مروانَ والحِجَّاجَ بنَ يوسفَ ، فمن أَحَبَّ مِنْكُمْ صُحْبَتِي وكان على مِثْلِ رَأْيِي فليَتَابِعْنِي ، فإنَّ له الأُسوةَ وحُسْنَ الصَّحْبَةِ ، ومن أبى فليذهب حيث شاء ، فَإِنِّي لست أَحِبُّ أَنْ يَتَّبِعَنِي مَنْ لَيْسَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي جِهَادِ أَهْلِ الْجَوْرِ . أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَإِلَى قِتَالِ الظَّالِمَةِ ، فَإِذَا جُمِعَ اللَّهُ لَنَا أَمْرًا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ شُوزَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَنْ أَحَبُّوا .

قال : فَوَثَّبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَبَايَعُوهُ ، ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَحْلَهُ وَبَعَثَ إِلَى سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ وإلى عبد الله بن كَنَازِ النَّهْدِيِّ فَاسْتَخْلَاهُمَا ، ودَعَاهُمَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَاهَا الرِّضَا ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ انصَرَفَا بَيْنَ مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَيَا الْحِجَّاجَ فوجداه قد نازَلَ شَيْبًا ، فَشَهِدَا مَعَهُ وَقَعَةَ شَيْبٍ . قال : وخرج مطرّف بأَصْحَابِهِ مِنَ الدَّسْكَرَةِ مُوجَّهًا نَحْوَ حُلُوانَ ، وقد كان الْحِجَّاجُ بَعَثَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ سُؤِيدَ بن عبد الرحمن السَّعْدِيَّ عَلَى حُلُوانَ وَمَاسْبَدَانَ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ مَطْرَفَ بن المغيرة قد أَقْبَلَ نَحْوَ أَرْضِهِ عَرَفَ أَنَّهُ إِنْ رَفَقَ فِي أَمْرِهِ أَوْ دَاهَنَ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ الْحِجَّاجُ ، فَجَمَعَ لَهُ سُؤِيدُ أَهْلَ الْبَلَدِ وَالْأَكْرَادَ ، فَأَمَّا الْأَكْرَادُ فَأَخَذُوا عَلَيْهِ ثَنِيَّةَ حُلُوانَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ سُؤِيدٌ وَهُوَ يَحِبُّ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ قِتَالِهِ ، وَأَنْ يُعَافَى مِنَ الْحِجَّاجِ ، فَكَانَ خُرُوجُهُ كَالْتَعَذِيرِ .

قال أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُلْقَمَةَ الْخَثْعَمِيُّ أَنَّ

الحجّاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلاً من قومه وغيرهم . قال : وكنت فيهم فليحقتاه بحدوان ، فكنتا ممن شهد معه قتال سُويد بن عبد الرحمن . ٩٩٠/٢

قال أبو مخنف : وحدثنى بذلك أيضاً النضر .

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الله بن علقمة . قال : ما هو إلا أن قدّمنا على مطرف بن المغيرة ، فُسّرَ بمقدّمنا عليه ، وأجلس الحجّاج ابن جارية معه على مجلسه .

قال أبو مخنف : وحدثنى النضر بن صالح ، وعبد الله بن علقمة ، أن سُويداً لمّا خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت ، وقدّم ابنه القعقاع في الخيل ، وما خيله يومئذ بكثير .

قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : أراهم كانوا مائتين ، وقال ابن علقمة : أراهم كانوا يتقصّون عن^(١) الثلثمائة . قال : فدعا مطرف الحجّاج بن جارية فسرحه إليهم في نحو من عديتهم^(٢) ، فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادّون في قتاله ، وهم فرسان متعالمون ، فلمّا رآهم سُويد قد تيسّروا^(٣) نحو ابنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رُسَم — قُتل معه بعد ذلك بدّير الجعماجم — وفي يده راية بني سعد ، فانطلق غلامه حتّى انتهى إلى الحجّاج بن جارية ، فأسرّ إليه : إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنّا ، فإنّا لا نريد قتالكم ، وإن كنتم إيانا تريدون فلا بدّ من مننّع ما في أيدينا . فلمّا جاءه بذلك قال له الحجّاج بن جارية : ائت أميرنا فاذكر له ما ذكرت لي ، فخرج حتّى أتى مطرفاً فذكر له مثل الذي ذكر للحجّاج بن جارية ، فقال له مطرف : ما أريدكم ولا بلادكم ، فقال له : فالزم هذا الطريق حتّى تخرج من بلادنا ، فإنّا لا نجد بدّاً من أن يبرى الناس وتسمع بذلك أنّا قد خرجنا إليك . قال : فبعث مطرف إلى الحجّاج فأتاه ، ولزموا الطريق حتّى مروا بالثنية فإذا الأكرادُ بها ، فترّل مطرف ونزل معه عامّة أصحابه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : «من» . (٢) ١ : «عدهم» . (٣) ١ ، س : «سيلوا» .

وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجّاجُ بنُ جارية، وفي الجانب (١) الأيسر سليمانُ بنُ حذيفة ، فهزّماه (٢) وقتلّاهم ، وسلم مطرف وأصحابه فضوا حتى دنوا من همدان ، فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماه دينار ، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان ، فكّره أن يدخلها فيثبّم أخوه عند الحجّاج ، فلمّا دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة :

أمّا بعد ، فإنّ النّفقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت ، فأمدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح .

وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة ، فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرف ليلاً ، فلمّا رآه قال له : ثكلتك أمك ! أنت قتلت مطرفاً ؟ فقال له : ما أنا قتلته جعلتُ فداك ! ولكنّ مطرفاً قتل نفسه وقتلتني ، وليته لا يقتلك ، فقال له : ويحك ! من سؤل له هذا الأمر ! فقال : نفسه سؤل هذا (٣) له . ثمّ جلس إليه فقصّ عليه القصص ، وأخبره بالخبر ، ودفع كتاب مطرف إليه ، فقرأه ثمّ قال : نعم ، وأنا باعثُ إليه بمال وسلاح ، ولكن أخبرني ترى ذلك يخفّي لي ؟ قال : ما أظنّ أن يخفى ، فقال له حمزة : فوالله لئن أنا خذلته في أنفع النّصرين له نصر العلانية ، لا أخذله في أيسر النّصرين نصر السريّة . قال : فسرّح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح ، فأقبل به حتى أتى مطرفاً ونحن نزولٌ في رُستاق من رُساتيق ماه دينار ، يقال له : سامان مُتأخيم أرض أصيهان ، وهو رُستان كانت الحمراءُ تنزله .

٩٩٢/٢

قال أبو مخنف : فحدثني النّضر بنُ صالح ، قال : والله ما هو إلاّ أن مضى يزيد بن أبي زياد ، فسمعتُ أهلَ العسكر يتحدّثون أنّ الأمير بعث إلى أخيه يسأله النّفقة والسلاح ، فأثبّت مطرفاً فحدثته بذلك ، فضرب بيده على جبهته ثمّ قال : سبحان الله ! قال الأوّل : ما يخفى إلاّ ما لا يكون (٤) ،

(١) ب ، ف : « في الجانب » . (٢) س : « فهزموهم » .

(٣) ب ، س : « له هذا » . (٤) كذا في أ ، وهو الصواب ، وفي ط : « قال » .

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبي زياد علينا . فسار مطرفُ بأصحابه حتى نزل قُمٌ وقاشان وأصبتهان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة أن مطرفاً حين نزل قُمٌ وقاشانَ وأطمأنَّ ، دعا الحجاجَ بن جارية فقال له : حدثني عن هزيمة شبيب يوم السَّبْخَةِ أكانت وأنتَ شاهدَها ، أم كنتَ خرجتَ قبل الواقعة ؟ قال : لا ، بل شهدتُها^(١) ، قال : فحدثني حديثهم كيف كان ؟ فحدثته ، فقال : إني كنتُ أحبُّ أن يَظْهَر شبيب وإن كان ضالاً فيقتل ضالاً . قال : فظننت أنه تمنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتمَّ له الذي يطلب لو هلك الحجاج . قال : ثم إن مطرفاً بعث عماله .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّضْرُ بنُ صالح أن مطرفاً عمل عملاً ٩٩٣/٢ حازماً لولا أن الأقدار غالبه . قال : كتب^(٢) مع الربيع بن يزيد إلى سُويد ابن سِرْحَانَ الثقفي ، وإلى بكير بن هارون البسْجَلِي :

أما بعد . فلما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى جهادٍ مَنْ عِنْدَ عَنِ الْحَقِّ ، واستأثر بالفِئَةِ ، وترك حُكْمَ الْكِتَابِ ، فإذا ظهر الحق ودُمِغَ الْبَاطِلُ ، وكانت كلمةُ الله هي العليا ، جعلنا هذا الأمرَ شُورَى بَيْنِ الْأُمَّةِ يَرْضَى الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الرِّضَا ، فَمَنْ قَبِيلَ هَذَا عَمَّا كَانَ أَنْحَانَا فِي دِينِنَا . وَلَيْسْنَا فِي مَحِيانٍ وَمَمَاتِنَا ، وَمَنْ رَدَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا بِجَاهِدِنَاهُ وَاسْتَنْصَرْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ فَكَفَى بِنَا عَلَيْهِ حُجَّةٌ ، وَكَفَى بِرُكَّةِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَبْنًا . وَبِعُدَاهَةِ الظَّالِمِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَهَنًا ! إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْقِتَالَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَمَاهُ كُرْهًا ، وَلَنْ يُنَالَ رِضْوَانُ اللَّهِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَأَجِيبُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْحَقِّ . وَادْعُوا إِلَيْهِ مَنْ تَرْجُونَ إِجَابَتَهُ ، وَعَرِّفُوهُ مَا لَا يَعْرِفُهُ ، وَلِيقْبَلِ إِلَى كُلِّ مَنْ رَأَى رَأْيَنَا ، وَأُجَابَ دَعْوَتَنَا ، وَرَأَى عَدُوَّ عَدُونَا . أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ ، وَتَابَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . وَالسَّلَامُ .

(١) ب ، ف : « شاهدتها » . (٢) ب ، ف : « وكتب » .

فلما قَدِمَ الكتابُ على ذَيْنُكَ الرجلين دَبَّاً في رجال من أهل الرِّى ودَعَوْا من تابعَهُما ، ثمَّ خَرَجَا في نحو من مائة من أهل الرِّى سرّاً لا يُفْطَنُ (١) بهم ، فجاءوا حتى وافوا مطرَقاً . وكتب البراءُ بنُ قبيصة ، وهو عامل الحِجَاج على أَصْبَهانَ :

أما بعد ، فإن كان للأمرِ أصلحه الله حاجةٌ في أَصْبَهانَ فليبعث إلى مطرَقٍ جيشاً كثيفاً يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتفحت له من بلدة من البلدان حتى تُوافيه (٢) بمكانه الذي هو به ، فإنه قد استكشَف وكثُرَ تَبَعُه ، والسلام .
فكتب إليه الحِجَاج :

أما بعد ، إذا أتاك رسولُ (٣) فعَسْكَرْ بمن معك ، فإذا مرَّ بك عَدِيّ ابن وتَاد فاخرج معه في أصحابك ، واسمع له وأطيع . والسلام .
فلما قرأ كتابه خرج فعسكَر ، وجعل الحِجَاج بن يوسف يسرِّح إلى البراء بن قبيصة الرجال على دوابِّ البريد (٤) عشرين عشرين ، وخمسة عشر خمسة عشر ، وعشرة عشرة ، حتى سرح إليه نحواً من خمسمائة ، وكان في ألفين .
وكان الأسود بن سعد الحمداني (٥) أتى الرِّى في فتح الله على الحِجَاج يومَ لقي شيبياً بالسَّبخة ، فرَّ بهمذان والجبال ، ودخل على حمزة فاعتذر إليه ، فقال الأسود : فأبلغت الحِجَاج عن حمزة ، فقال : قد بلغني ذلك ، وأراد عزله ، فخشي أن يَمْكُرَ به ، وأن يمتنع منه ، فبعث إلى قيس بن سعد العجليّ - وهو يومئذ على شُرطة (٦) حمزة بن المغيرة ولبنى عِجَل ورَبِيعَة عددٌ بهمذان - فبعث إلى قيس بن سعد بعهده على همذان ، وكتب إليه أن أوثق حمزة ابن المغيرة في الحديد (٧) : واحبسهُ قبلك حتى يأتيك أمرى .

فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير ، فلما دخل المسجد وافق الإقامة للصلاة العصر . فصلَّى حمزة (٨) ، فلما انصرف حمزة انصرف معه

(١) ب ، ف : « ففطن » .

(٢) ب : « يواقيه » .

(٣) ب ، ف : « كتاب ورسول » .

(٤) ب : « البرد » .

(٥) كذا في ١ ، و في ط : « الحمداني » .

(٦) ب ، ف : « شرط » .

(٧) ب ، ف : « بالحديد » .

(٨) ١ : « وصلى مع حمزة » .

قيس بن سعد العجليّ صاحب شُرطه ، فأقرأه كتابَ الحِجّاجِ إليه ، وأراه عهدَه ، فقال حمزة . سمعاً وطاعة ؛ فأوثقه وحبّسه في السجن ، وتولى أمر همّذان ، وبعث عمّاله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحِجّاج :

أما بعد ، فإنّي أخير الأمير أصلحه الله ، أني قد شددتُ حمزةَ بنَ المغيرة في الحديد ، وحبّسته في السجن ، وبعثتُ عمّالي على الخراج ، ووضعتُ يدي في الجباية ، فإن رأى الأميرُ أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي ، ومن أطاعني من أهل بلادى ؛ فإنّي أرجو أن يكون الجهادُ أعظمَ أجراً من جباية الخراج . والسلام .

فلما قرأ الحِجّاج كتابَه ضحك ثم قال : هذا جانب آثراً ممّا قد أمّناه . وقد كان حمزة بهمّذان أثقل ما خلق الله على الحِجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلّاح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعقّ ، فلم يزل يكيدُه حتى عزله ؛ فاطمأن وقصد قصد مطرف .

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة أن الحِجّاج لما قرأ كتابَ قيس بن سعد العجليّ وسمع قولَه : إن أحبّ الأميرُ سرت إليه حتى أجاهده في قومي ، قال : ما أبغض إليّ أن تكثر العربُ في أرض الخراج . قال : فقال لي ابن الغرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحِجّاج فعلمتُ أنه لو ٩٩٦/٢ قد فرّغ له قد عزّله .

قال : وحدثني النضر بن صالح أن الحِجّاج كتب إلى عدى بن وتاد الإيادي وهو على الرّي يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالممرّ على البراء ابن قبيصة ، فإذا اجتمعوا فهو أميرُ الناس .

قال أبو مخنف : وحدثني أبي عن عبدالله بن زهير ، عن عبدالله بن سليم الأزديّ ، قال : لئن لجالسٌ مع عدى بن وتاد على مجلسه بالرّي إذ أتاه كتابَ الحِجّاج . فقرأه ثم دفعه إليّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فانهض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرّي ، ثم أقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة بجيّى ، ثم سيراً جميعاً ، فإذا

لقيتهما فأنتَ أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنين مؤنتَه فانصرف إلى عملك في كَسَف من الله وكلاءتِه وسيرِه . فلما قرأته قال لي : قم وتجهز .

قال : وخرج فعسكر ، ودعا الكتاب فضرَبوا البعْث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جُمُعة حتى سرنا فانتهيَنا إلى جَيِّ ، ويؤاينا بها قبيلة القُحاف في تِسعمائة من أهل الشام ، فيهم عُمر بن هُبيرة ، قال : ولم نلبث بجيِّ إلا يومين حتى نهض عدى بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مُقاتِل من أهل الرِّيِّ وألف مُقاتِل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه ٩٩٧/٢ الحجاج من الكوفة ، وسبعمائة من أهل الشام ، ونحو ألف رجل من أهل أصبَهان والأكراد ، فكان في قريب من ستة آلاف مُقاتِل ، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن عبد الله بن علقمة ، أن مطرفاً لما بلغه سيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه .

قال أبو مخنف : وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير ، قال : كنتُ مع مولاى إذ ذاك ؛ قال : خرج عدى بن وتاد فبعث الناس ، فجعل على ميمته عبد الله بن زهير ، ثم قال للبراء بن قبيصة : قم في الميسرة ، فغضب البراء ، وقال : تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك ! تلك خيلى في الميسرة ، وقد بعثت عليها فارس مضر الطُفَيْل بن عامر بن وائلة ؛ قال : فأَنْهَيْتُ ذلك إلى عدى بن وتاد ، فقال لابن أقيصر الخثعمي : انطلق فأنت على الخيل ، وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له : إنك قد أمرت بطاعتي . ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجالة في شيء ، إنما عليك أن تؤمر فتطيع ، ولا تعرض لي في شيء أكرهه فأتنكر لك — وقد كان له مكرماً .

ثم إنَّ عدياً بعث على الميسرة عمر بن هبيرة ، وبعثه في مائة من أهل الشام ، فجاء حتى وقف برباعته ، فقال رجل من أصحابه للطُفَيْل بن عامر :

خَلَّ رَايَتَكَ وَتَسَحَّ عَنَّا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ أَصْحَابُ هَذَا الْمَوْقِفِ ، فَقَالَ الطُّفَيْلُ :
 إِنِّي لَا أَحَاصِمُكُمْ ، إِنَّمَا عَقَدْتُ لِي هَذِهِ الرَّايَةَ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ أَمِيرُنَا ،
 وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ عَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ عَقَّدَ لَصَاحِبِكُمْ ٩٩٨/٢
 هَذَا فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ ، مَا أَسْمَعْنَا وَأَطَوَعْنَا ! فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ بْنُ حُبَيْرَةَ : مَهَلًا ، كُفُّوا
 عَنْ أَخْبِكُمْ وَابْنِ عَمِّكُمْ ، رَايَتُنَا رَايَتَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْنَاكَ بِهَا . قَالَ : فَمَا
 رَأَيْنَا رَجُلَيْنِ كَانَا أَحْلَمَ مِنْهُمَا فِي مَوْقِفِهِمَا ذَلِكَ . قَالَ : وَفَزَلَ عَدَى بْنُ وَثَّالٍ ثُمَّ
 زَحَفَ نَحْوَ مِطْرَفٍ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي النَّضَرُ بْنُ صَالِحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ أَنَّ
 مِطْرَفًا بَعَثَ عَلَى مِيمَنَتِهِ الْحِجَّاجَ بْنَ حَارِيَةَ ، وَعَلَى مِيسِرَتِهِ الرَّبِيعَ بْنَ يَزِيدَ
 الْأُمْدِيَّ ، وَعَلَى الْحَامِيَةِ سَلْيَانَ بْنَ صَخْرٍ الْمُزَنِيَّ^(١) ، وَنَزَلَ هُوَ يَمْشِي فِي الرُّجَالِ ،
 وَرَأَيْتُهُ سَحَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى أَبِيهِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ . قَالَ : فَلَمَّا زَحَفَ
 الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَتَدَانَوْا قَالَ لِبَكِيرِ بْنِ هَارُونَ الْبَسْجَلِيُّ : اخْرُجْ
 إِلَيْهِمْ فَادْعِهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَبَسَّكْتُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ . فَخَرَجَ
 إِلَيْهِمْ بِكِيرُ بْنُ هَارُونَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَدْهَمَ أَفْرَجَ ذُنُوبٍ عَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمَغْفَرُ
 وَالسَّاعِدَانِ ، فِي يَدِهِ الرَّمْحُ ، وَقَدْ شَدَّ دَرْعَهُ بِصَابَةِ حِمْرَاءَ مِنْ حَوَاشِي الْبُرُودِ ،
 فَتَدَا بِصَوْتٍ لَهُ عَالٍ رَفِيعٍ : يَا أَهْلَ قَبِيلَتِنَا ، وَأَهْلَ مِلَّتِنَا ، وَأَهْلَ دَعْوَتِنَا ،
 إِنَّا نَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي عَلَّمَنَا بِمَا تُسْرَوْنَ مِثْلَ عِلْمِهِ بِمَا تُعْلَنُونَ
 لَمَّا أَنْصَفْتُمُونَا وَصَدَقْتُمُونَا ، وَكَانَتْ نَتَصِيحُكُمْ لِلَّهِ لَا لَخَلْقِهِ ، وَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ
 اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ . خَبِرُونِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ،
 وَعَنْ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَهُمَا جَبَارَتَيْنِ مَسْتَأْثَرَتَيْنِ يَتَّبِعَانِ الْهَوَى ، ٩٩٩/٢
 فَيَأْخِذَانِ بِالظُّنَّةِ ، وَيَقْتُلَانِ عَلَى الْغَضَبِ . قَالَ : فَتَدَاوَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ :
 يَاعَدُوْا اللَّهَ كَذِبًا ، لَيْسَا كَذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَيْلَكُمْ ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 فَيُصْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(٢) وَيْلَكُمْ ، أَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ ،
 إِنِّي قَدْ اسْتَشْهَدْتُكُمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ﴾^(٣) .

(١) أ : « المرئى » . (٢) سورة طه : ٦١ . (٣) سورة البقرة : ٢٨٣ .

فخرج إليه صارمٌ مولىً عدى بن وتاد وصاحب رايته، فحمل على بكير ابن هارون البجلي، فاضطربا بسيفيهما، فلم تعمل ضربة مولى عدى شيئاً، وضربه بكير بالسيف فقتله، ثم استقدم، فقال: فارس لفارس، فلم يخرج إليه أحد، فجعل يقول:

صَارِمُ قَدْ لَا قَيْتَ سَيْفًا صَارِمًا وَأَسَدًا ذَا لِبْدَةٍ ضُبَارِمًا^(١)

قال: ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة، وفيها الطفيل بن عامر بن وائلة، فالتقى هو والطفيل - وكانا صديقين متواخييين - فتعارفا، وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه، فكفأ أيديهما، واقتتلوا طويلا. ثم إن ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه. ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير، فاقتتلوا طويلا، ثم إن جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته، وانكشفت ميسرة مطرف ابن المغيرة حتى انتهت إليه. ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتلته قتالا طويلا، ثم إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف، وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الحسيل على سليمان بن صخر المزني فقتله، وانكشفت خيلهم، حتى انتهى إلى مطرف، فشم أقتلت الفرسان أشد قتال رآه الناس قط، ثم إنه وصل إلى مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ: **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٢﴾.

قال: ولم يزل يقاتل حتى قُتل، واحتز رأسه عمر بن هبيرة، وذكر أنه قتله، وقد كان أسرع إليه غير واحد، غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده

(١) الضبارم: الشديد الخلق من الأسد. (٢) سورة آل عمران: ٦٤.

إلى عدى بن وتاد وحظى به ، وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة ، وكان صاحب راية مطرف . قال : ودخلوا عسكر مطرف ، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقتل ، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبو مخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقصر الخثعمي ، فما ملكت نفسي أن قلت له : أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوي وقال : من أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ١٠٠١/٢ ما له ؟ قال : فأخبره بمقاتلي ، فقال : إنه ضعيف العقل ، قال : ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وتاد . قال : وبعث رجلاً من أهل البلاء إلى الحجاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فأمنه ، وطلبت ثقيف لسويد بن سرحان الثقيف الأمان فأمنه ، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته ، فأمنهم وأحسن في ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف ، فنادوا : يا برآء ، خذنا الأمان ، يا برآء ، اشفع لنا . فشفع لهم ، فتركوا ، وأسّر عدى ناساً كثيراً فخلت عنهم .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بخلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الرى وكان مكتتباً بها ، فطلب إلى عدى فيه ، فقال : هذا رجل مشهور قد شهّر مع صاحبه ، وهذا كتاب الحجاج إلى فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، قال : كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية ، فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف :

أما بعد : فإن كان الله قتلَ الحجاجَ بنَ جارية فبُعِدًا له . فذاك ما أهوى وأحِبَّ ؛ وإن كان حيًّا فاطلبه قبلكَ حتى تؤثِّقَه ، ثمَّ سَرِّحْ به إلىَّ إن شاء الله . والسلام .

١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كُتِبَ إلىَّ فيه ، ولا بدَّ من السمع والطاعة ، ولو لم يُكْتَبَ إلىَّ فيه آمنته لكم ، وكففتُ عنه فلم أطلبه . وقمنا من عنده . قال : فلم يزل الحجاج بن جارية خائفًا حتى عَزَلَ عديَّ بنَ وَثَّادٍ ، وقدم خالد ابن عتاب بن وُرَّقاء ، فمَشِيتُ إليه فيه ، فكلَّمته فأمنه . وقال حبيب بن خديرة مولى لبني هلال بن عامر :

هل أتى فائدَ عن أيسارنا	إذ خَشِينَا مِنْ عَدُوٍّ خُرْقَا
إذ أَنَا الخَوْفُ من مَأْمِنَا ^١	فَطَوِينَا فِي سَوَادٍ أَفْقَا
وَسَلَّى هَدْيَ يَوْمًا هل رَأَتْ	بَشْرًا أَكْرَمَ مِنَّا خُلُقَا !
وَسَلِيهَا أَعْلَى الْعَهْدِ لَنَا	أَوْ يُصِرُّونَ عَلَيْنَا حَقَقَا !
ولَكُم من خُلَّةٍ من قَبْلِهَا	قَدْ صَرَمْنَا حَبْلَهَا فَانْطَلَقَا
قَدْ أَصَبْنَا الْعَيْشَ عَيْشَانَا عَمَّا	وَأَصَبْنَا الْعَيْشَ عَيْشًا رَنَقَا
وَأَصَبْتُ الدَّهْرَ دَهْرًا أَشْتَهَى	طَبَقًا مِنْهُ وَالْوَى طَبَقَا
وَشَهِدْتُ الْخَيْلَ فِي مَلْمُومَةٍ	ما ترى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَا
يَتَسَاقَوْنَ بِأَطْرَافِ الْقَنَا	من نَجِيعِ الْمَوْتِ كَأَسَا دَهَقَا
فَطِرَادُ الْخَيْلِ قَدْ يُؤْنِقُنِي	وَيَرُدُّ اللَّهُ عَنِ الْأَنْقَا
بِمُشِيعِ الْبَيْضِ حَتَّى يَتْرَكُوا	لِسُيُوفِ الْهِنْدِ فِيهَا طُرْقَا
فَكَأَنِّي مِنْ غَدٍ وَافْقَتْهَا	مِثْلَ مَا وَافَقَ شَنْ طَبَقَا

١٠٠٣/٢

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

(١) ١ : « هل أَنَا الخوف » ، وسقط البيت الأول .

قَطْرَى بن الفُجَاءة ، فحذَّاهُ بعضهم واعتزلته ، وباع عبد ربّه ^(١) الكبير ، وأقام بعضهم على بيعة قطرى .

* ذكر الخبر عن ذلك ، وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك :

ذكر هشامٌ عن أبى مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، أن المهلب أقام بسابور فقاتل قطرياً وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحواً من سنة . ثم إنه زاحقهم يوم البُستان فقاتلهم قتالاً شديداً ، وكانت كِرمَانُ فى أيدي الخوارج ، وفارس فى يد المهلب ، فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذى هم به ، لا يأتهم من فارس مادة ، وبعُدَتْ ^(١) ديارهم عنهم ، فخرجوا حتى أتوا كِرمَانَ وتبعهم المهلب حتى نزل بجيرقت - وحيرفتُ مدينة كِرمَانَ فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالاً شديداً ، وحازهم عن فارس كلها ، فلما صارت فارس كلها فى يدي المهلب بعث الحجاج عليها عمالته وأخذها من المهلب ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ، فدعُ يبيد المهلب خراج جبال فارس ، فإنه لا بد للجيش ١٠٠٤/٢ من قوة ، ولصاحب الجيش من معونة ، ودعُ له كُورة فسأودرأبجرْدَ ، وكورةٍ لصطخُر .

فركبها للمهلب ، فبعث المهلب عليها عمالته ، فكانت له قوة على عدوه ، وما يصلحه ، ففى ذلك يقول شاعرُ الأزْد وهو يعاتب المهلب :

نقاتِلُ عن قُصورِ دَرَابَجِرِدٍ ونَجْجِي للمُغِيرَةِ والرُّقَادِ

وكان الرُّقَادُ بنُ زياد بن هَمَام - رجل من العَتِيك - كريماً على المهلب ، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة ، وكتب إلى المهلب :

أما بعد ، فإنك لو شئت فيما أرى لقد اضطلمت هذه الخارجة المارقة ، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك ، وقد بعثت إليك البراء بن

(١) كذا فى أ ، وفى ط : « عبد رب » . (٢) أ ، ط ، « بعد » ، وأثبت ما فى ب ، ف .

قبیصة لیُنهضك إلیهم ، فانهض إلیهم إذا قدِمَ علیك بجمع المسلمین ، ثمّ جاهدہم أشدّ الجہاد ، وإیّاك والعِللَ والأباطیلَ ، والأُمُورَ الّتی لیست لك عندی بسائغة ولا جائزة ؛ والسلام .

فأخرج المهلب بنیه ؛ کلّ ابن له فی کتّیبة، وأخرج الناسَ علی رایاتہم ومَصافِہُهم وأخماسہم ، وجاء البرّاء بن قبیصة فوقف علی تلّ قریب منهم ١٠٠٥/٢ حیث یراہم . فأخذتُ الکتابُ تحمل علی الکتاب ، والرّجالُ علی الرّجال ، فیقبتان أشدّ^(١) قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انصاف النهار ، ثم انصرفوا . فجاء البرّاء بن قبیصة إلی المهلب فقال له : لا والله ما رأیت کبشیک فرساناً قطّ ، ولا کفرسانیک من العرب فرساناً قطّ ، ولا رأیت مثل قوم یقاتلونک قطّ أصبر ولا أبأس ، أنتَ والله المعذور . فرجع بالناس المهلب ، حتّی إذا کان عند العصر خرج إلیهم بالناس وبنیه فی کتائبہم ، فقاتلوه کقتالہم فی أول مرّة . قال أبو مخنف : وجدّنی أبو المغلس الکنانی ، عن عمه أبی طلحة ، قال : خرجت کتّیبة من کتائبہم لکتّیبة من کتائبنا ، فاشتدّ بینہما القتال ، فأخذتُ کلّ واحدہما لا تصدّ عن الأخری ، فاقتتلتا حتّی حجّزَ اللیلُ بینہما ، فقالت إحداهما للأخری : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بنی تمیم ؛ وقال هؤلاء : نحن من بنی تمیم ؛ فانصرفوا عند المساء ، قال المهلب للبرّاء : کیف رأیت ؟ قال : رأیتُ قوماً والله ما یعینک علیہم إلاّ الله . فأحسنَ إلی البراء بن قبیصة وأجازہ ، وحملہ وکساه ، وأمر له بعشرة آلاف درہم ، ثمّ انصرف إلی الحجاج فأثاه بعذر المهلب ، وأخبرہ بما رأى ، وکتب المهلب إلی الحجاج :

أما بعد ، فقد أتانی کتابُ الأمير أصلحه الله ، واتهامہ إیّای فی هذه الخارجة المارقة ، وأمرنی الأميرُ بالنهوض إلیہم ، وإشهادِ رسولہ ذلك ؛ وقد فعلت ، فلیسألہ عمارأی ، فأما أنا فوالله لو کنت أقدر علی استئصالہم وإزالتہم عن مکانہم ثمّ أمسکتُ عن ذلك لقد غششتُ المسلمین ، وما وقّیتُ

١٠٠٦/٢

(١) بعدها فی ب ، ف : « وأعظم » .

لأُمير المؤمنين ، ولا نصحتُ للأمير^(١) - أصلحه الله - فعاذ الله أن يكون هذا من رأى ، ولا مما أدين الله به ، والسلام .

ثمَّ إنَّ المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقلَّ منهم شيئاً ، ولا يرى في موطن يُنقَعون له ولنَّ معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يَرُدُّوَنهم به وَيَكْفُونهم عنهم .

ثمَّ إنَّ رجلاً منهم كان عاملاً لقطَريّ على ناحية من كِرمَمان خرج في سرّية لم يُدعى المُقَعَطَر من بني ضَبَّة ، فقتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج ، ودخل منهم في ولاية ، فقتله المُقَعَطَر ، فوثبت الخوارج إلى قَطَريّ ، فذكروا له ذلك ، وقالوا : أمَكِنّا من الضبّي نقتله بصاحبنا ، فقال لهم : ما أرى أن أفعل ؛ رجلٌ تأوّل فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوى الفضل منكم . والسابقة فيكم ، قالوا : بلى ؛ قال لهم : لا ، فوقع الاختلاف بينهم ، فولّوا عبدَ ربِّه الكبير ، وخلعوا قَطَريّاً ، وباع قَطَريّاً منهم عصابةً نحواً من ربعهم أو خمسهم ، فقاتلهم نحواً من شهر غُدوةً وعَشيةً . فكتب بذلك المهلبُ إلى الحجاج :

أما بعد ، فإنَّ الله قد ألقى بأسَ الخوارج بينهم ، فخلع عظمهم قَطَريّاً وبايعوا عبدَ ربِّ ، وبقيت عصابة منهم مع قَطَريّ ، فهم يقاتل بعضهم بعضاً غُدوّاً وعَشيةً ، وقد رجوتُ أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله ؛ والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغني كتابُك تذكّر فيه اختلافَ الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابي هذا فهاضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فتكون مشؤنتهم عليك أشدَّ ، والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغني كتابُ الأمير ، وكلّ ما فيه قد فهمتُ ، ولستُ أرى أن أقاتلهم ما داموا يَقتلُ بعضهم بعضاً ، وينقص بعضهم عدَدَ بعض ، فإنَّ تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم

(١) : « الأمير » .

يَجْتَمِعُوا إِلَّا وَقَدْ رَقَّتْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَأَنَاهِضُهُمْ عَلَى تَفِيئَةٍ ^(١) ذَلِكَ ، وَهُمْ أَهْوَنَ مَا كَانُوا وَأُضْعِفُهُ شَوْكَةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَام .

فَكَفَّ عَنْهُ الْحِجَاجَ ، وَتَرَكَهُمْ الْمَهْلَبَ يَقْتَتِلُونَ شَهْرًا لَا يَحْرُكُهُمْ .

ثُمَّ إِنْ قَطَرِيًّا خَرَجَ بِنِ ابْتِغَاءِ نَحْوِ طَبْرِسْتَانَ ، وَبَايَعَ عَامَتَهُمْ عَبْدَ رَبِّهِ الْكَبِيرَ ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمُ الْمَهْلَبَ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ إِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَأَخَذَ عَسَاكِرَهُمْ وَمَا فِيهِ وَسَبَّوْا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَبَّوْنَ الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ كَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ - وَالْأَشْقَرُ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ - يَذْكُرُ يَوْمَ رَامَتْهُمُ مَرْزُ ، وَأَيَّامَ سَابُورَ ، وَأَيَّامَ جِيرَفَتٍ ^(٢) :

١٠٠٨/٢

يَا حَفْصَ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ
عُلَّقْتُ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةً
أَمْسُكُ أَنْتَ عَنْهَا بِالَّذِي عَهَدْتُ
عُلَّقْتُ خَوْدًا بِأَعْلَى الطَّفِّ مَنْزِلُهَا
دُرْمًا مَنَاقِيْهَا رِيًّا مَا كَمُهَا
وَقَدْ تَرَكْتُ بِشِطَّ الزَّائِبِينَ لَهَا
وَاخْتَرْتُ دَارًا بِهَا حَيٌّ أَسْرُ بِهِمْ
لَمَّا نَبَتْ بِي بِلَادِي سِرْتُ مُنْتَجِعًا
أَبَا سَعِيدَ فَإِنِّي جِئْتُ مُنْتَجِعًا
لَوْلَا الْمَهْلَبُ مَا زُرْنَا بِلَادَهُمْ
فَمَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَيٍّ عَلِمْتُهُمْ
أَحْيَيْتَهُمْ بِسَجَالٍ مِنْ نَدَاكَ كَمَا

١٠٠٩/٢

(١) أَيْ بَعْدَ ذَلِكَ . (٢) بَعْدَهَا فِي ب ، ف : « قَصِيدَةٌ » .

(٣) مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ فِي الْكَامِلِ ٣ : ٤٠٣ ، وَأَبْيَاتُهَا فِي الْأَغَانِي ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وَفِي الْكَامِلِ : « وَقَدْ سَهَرْتُ فَأَوْدَى عَيْنِي السَّهَرُ » . وَعِدَانِي : صَرَفْتِي وَشَغَلْتَنِي .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « ذَكَرْتُ خَوْدًا » .

إِنِّي لَأَرْجُو إِذَا مَا فَاقَةٌ نَزَلَتْ
فَاجْبِرْ أَخَاكَ أَوْ هِيَ الْفَقْرُ قُوَّتُهُ
جَفَا ذَوُو نَسَبِي عَنِّي وَأَخْلَفَنِي
يَا وَاهِبَ الْقَيْنَةِ الْحَسَنَاءِ سُنَّتُهَا
وَمَا تَزَالُ بُدُورٌ مِنْكَ رَائِحَةٌ
نَمَّاكَ لِلْمُحَدِّ أَمْلَاكَ وَرَثَتَهُمْ
ثَارُوا بِقَتْلِي وَأَوْتَارُ تُعَدِّدُهَا
وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ
وَمَا تَجَاوَزَ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
وَأُدْخِلَ الْخَوْفُ أَجْوَافَ الْبُيُوتِ عَلَى
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبَلَاؤُ وَحَلَّ بَنَّا
نَظْلٌ مِنْ دُونِ خَفْضِ مُعَصِّمِينَ بِهِمْ
كُنَّا نَهْوُنْ قَبْلَ الْيَوْمِ شَانَهُمْ
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَلُّوا بِسَاحَتِنَا
نَادَى أَمْرُو لَا خِلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ
أَفْشَى هُنَالِكَ مِمَّا كَانَ مَذْ عَصَرُوا
تَلَبَّسُوا لِقِرَاعِ الْحَرْبِ بَزَّتْهَا
سَارُوا بِاللَّوِيَةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رُفِعَتْ
حَتَّى إِذَا خَلَفُوا الْأَهْوَازَ وَاجْتَمَعُوا
نَعْيُ يَشِيرُ فَجَالِ الْقَوْمِ وَانْصَدَعُوا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بَنَّا رَاضٍ بِبَيْعَتِهِ

فَضْلًا مِنْ اللَّهِ فِي كَفِّكَ يَبْتَدِرُ
لَعَلَّهُ بَعْدَ وَهْيِ الْعَظْمِ يَنْجَبِرُ
ظَنِّي فَلَلَهُ دَرَى كَيْفَ آتِيرُ
كَالشَّمْسِ هِرْ كَوْلُهُ فِي طَرَفِهَا قَتَرُ^(١)
وَأَخْرُونَ لَهُمْ مِنْ سَيِّبِكَ الْغُرَرُ
شُمُّ الْعَرَانِينَ فِي أَخْلَاقِهِمْ يَسَرُّ
فِي حِينٍ لَا حَدَثُ فِي الْحَرْبِ يَتَثَرُ ١٠١٠/٢
فَمَا لِأَمْرِهِمْ وَرَدُّ وَلَا صَدْرُ
وَعَضَّتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَبَرُوا
مِثْلَ النِّسَاءِ رِجَالٌ مَا بِهِمْ غَيْرُ
أَمْرٌ تُشَمَّرُ فِي أَمْثَالِهِ الْأُرُرُ
قَشَمَّرَ الشَّيْخُ لَمَّا أَعْظَمَ الْخَطَرُ
حَتَّى تَفَاقَمَ أَمْرٌ كَانَ يُحْتَقَرُ
وَاسْتَنْفَرِ النَّاسُ تَارَاتٍ فَمَا نَفَرُوا
عَنَّهُ وَلَيْسَ بِهِ فِي مِثْلِهِ قِصَرُ
فِيهِمْ صَنَائِعُ مِمَّا كَانَ يُدْخَرُ ١٠١١/٢
فَأَصْبَحُوا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ قَدْ عَبَرُوا
وَتَحْتَهُنَّ لُيُوثٌ فِي الْوَعْيِ وَقُرُ
بِرَامَهُرْمَزَ وَافَاهُمْ بِهَا الْخَبِيرُ
إِلَّا بَقَايَا إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذَكَرُوا
يَنْوِي الْوَفَاءَ وَلَمْ نَغْدِرْ كَمَا غَدَرُوا

(١) الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية .

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
 نلقى مساعير أبطالا كأنهم
 نسقى ونسقيهم سماء على حنق
 قتلى هنالك لا عقل ولا قود
 حتى تذخوا لنا عنها تسوقهم
 لم يغن عنهم غداة التل كيدهم
 باتت كائبنا تردى مسومة
 هناك ولوا حزانا بعد ما فرحوا
 عبوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا
 وقد لقوا مصداقا منا بمنزلة
 بدشت بارين يوم الشعب إذ لحقت
 لا قوا كائب لا يخلون ثغرهم
 المقدمين إذ ما خيلهم وردت
 وفي جبيرين إذ صفوا بزحفهم
 والله ما نزلوا يوما بساحتنا
 ننفيهم بالقنا عن كل منزلة
 ولوا حذارا وقد هزوا أسنتنا
 صلت الجبين طويل الباع ذو فرج
 مجرب الحرب ميمون نقيته
 وفي ثلاث سنين يستديم بنا

١٠١٢/٢

١٠١٣/٢

١٠١٤/٢

شبت لنا ولهم نار لها شر
 جن نقارعهم ما مثلهم بشر
 مستانفي الليل حتى أسفر السحر
 منا ومنهم دماء سفكها هدر
 منا ليوث إذا ما أقدموا جسروا
 عند الطعان ولا المكر الذي مكروا
 حول المهلب حتى نور القمر
 وحال دونهم الأنهار والجدر
 بكارزون فما عزوا ولا ظفروا^(١)
 ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا
 أسد بسفك دماء الناس قد زيروا
 فيهم على من يقاسى حربهم صعر
 والعاطفين إذا ما ضيع الدبر
 ولوا خزايا وقد فلووا وقد قهروا
 إلا أصابهم من حربنا ظفر
 تروح منا مساعير وتبتكر
 نحو الحروب فما نجاهم الحذر
 صخم الدسيعة لا وإن ولا غمر^(٢)
 لا يستخف ولا من رأيه البطر
 يقارع الحرب أطوارا ويأتمر

(١) الأغاني : « وما نصروا » .

(٢) الدسيعة : مجتمع الكتفين ، يقال ذلك للرجل الجواد .

يقولُ إِنَّ غَدًا مُبْدٍ لَنَاظِرِهِ
 دعوا التَّتَابُعَ والإِسْرَاعَ وَارْتَقِبُوا
 حتى أَنْتَه أَمُورٌ عِنْدَهَا فَرَجٌ
 لما زَوَّاهُمْ إِلَى كَرَمَانَ وَانْصَدَعُوا
 سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَقُوا
 وَزَادَنَا حَنْقًا قَتَلَى نَذَكَّرُهَا
 إِذَا ذَكَّرْنَا جَرُوزًا وَالَّذِينَ بِهَا
 تَأْنَى عَلَيْنَا حَزَازَاتُ النَّفُوسِ فَمَا
 وَلَا يُقِيلُونَنَا فِي الْحَرْبِ عَشْرَتَنَا
 لَا عُذْرَ يُقْبَلُ مِنَّا دُونَ أَنْفُسِنَا
 صَفَّانٍ بِالْقَاعِ كَالطُّودَيْنِ بَيْنَهُمَا
 عَلَى بَصَائِرَ كُلِّ غَيْرٍ تَارِكُهَا
 يَمْسُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ إِذْ وَرَدُوا
 وَشِخْنَا حَوْلَهُ مِنَّا مُلْمَلَمَةٌ
 فِي مَوْطِنٍ يَقْطَعُ الْأَبْطَالُ مَنَظَرُهُ
 مَا زَالَ مِنَّا رِجَالٌ ثُمَّ نَضْرِبُهُمْ
 وَبَادَ كُلُّ سِلَاحٍ يُسْتَعَانُ بِهِ
 نَدُوسُهُمْ بَعْنَاجِيحٍ مُجَفَّفَةٍ
 يَغْشَيْنَ قَتْلَى وَعَقْرَى مَا بِهَا رَمَقٌ
 قَتَلَى بِقَتْلَى قِصَاصٌ يُسْتَقَادُ بِهَا

وَفِي اللَّيَالِي فِي الْأَيَّامِ مُعْتَبَرٌ
 إِنَّ الْمُحَارِبَ يَسْتَأْنِي وَيَنْتَظِرُ
 وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
 وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْأَجَالُ وَالْقَدَرُ
 وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَنَا مِثْرٌ^(١)
 لَا تَسْتَفِيقُ عَيْنٌ كُلَّمَا ذُكِرُوا
 قَتَلَى مَضَى لَهُمْ حَوْلَانِ مَا قُبِرُوا
 نُبْقَى عَلَيْهِمْ وَمَا يَبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا ١٠١٥/٢
 وَلَا نَقِيلُهُمْ يَوْمًا إِذَا عَشَرُوا
 وَلَا لَهُمْ عِنْدَنَا عُذْرٌ لَوْ اعْتَذَرُوا
 كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ حَتَّى يَشْخَصَ الْبَصَرُ
 كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ تُتْلَى فِيهِمُ السُّورُ
 مَشَى الزَّوَامِلُ تَهْدِي صَفَّهُمْ زُمْرٌ^(٢)
 حَىٍّ مِنَ الْأَزْدِ فِيمَا نَابَهُمْ صَبْرٌ
 تُشَاطُ فِيهِ نَفُوسٌ حِينَ تَبْتَكِرُ
 بِالْمَشْرِقِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
 فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِلَّا الصَّارِمَ الذَّكْرُ ١٠١٦/٢
 وَبَيْنَنَا ثُمَّ مِنْ صُمِّ الْقَنَا كَسْرُ
 كَأَنَّمَا فَوْقَهَا الْجَادِي يُعْتَصِرُ
 تَشْفَى صُدُورَ رِجَالٍ طَالَمَا وَتَرُوا

(١) المِثْرُ : جمع مِثْرَةٍ ؛ وهى الذلعة والعداوة .

(٢) الزوامل : جمع زاملة ؛ وهو البعير يحمل الطعام والمتاع .

مُجاورينَ بها خَيْلاً مُعَقَّرَةً للطيرِ فيها وفي أجسادهم جَزْرُ
 في مَعْرَكَةٍ تَحَسَّبُ القَتْلَى بِسَاحَتِهِ أعجازَ نخْلِ زَفَتَهُ الرِّيحُ يَنْعَتِرُ
 وفي مواظِنَ قَبْلَ اليَوْمِ قَدْ سَلَنْتُ قد كان للأزْدِ فيها الحمدُ والظَّفَرُ
 في كُلِّ يَوْمٍ تُلَاقِي الأَزْدُ مُفْظِلَةً يَشِيبُ في سَاعَةٍ مِنْ هَوْلِهَا الشَّعْرُ
 والأَزْدُ قَوْمِي خِيَارُ القَوْمِ قَدْ عِلِمُوا إِذَا قُرُومُهُمْ يَوْمَ الوَغَى خَطَرُوا
 فِيهِمْ عَاقِلٌ مِنْ عِزٍّ يِلَادُ يَوْمًا إِذَا شَمَرَتْ حَرْبٌ لَهَا دِرَرُ
 حَتَّى بِأَسَافِهِمْ يَبْغُونَ مَجْدَهُمْ إِنَّ المَكَارِمَ فِي المَكْرُوءِ تُبْتَدَرُ
 لَوْلَا المَهْلَبُ للجَيْشِ الَّذِي رَرَدُوا أَنهَارَ كَرَمَانَ بَعْدَ اللَّهِ مَا صَدَرُوا
 إِنَّا اعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللَّهِ إِذْ جَنَحُوا بِالمُحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوا
 جَارُوا عَنِ القِصْدِ وَالإِسْلَامِ وَاتَّبَعُوا دِينًا يُخَالِفُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّسْرُ
 رِغَالُ الطُّفْسِيلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ وَهُوَ يَذْكُرُ قَتْلَ عَبْدِ رَبَّةَ ^(١) الْكَبِيرِ وَأَصْحَابِهِ ،
 وَذَهَابَ قَتْلَهُ فِي الأَرْضِ وَاتَّبَاعَهُمْ لِمَا بِهِ وَمِراوغته إِيَّاهُمْ :

١٠١٧/٢

لَقَدْ مَنَّ مَنَّا عَبْدَ رَبِّ وَجَسَدُهُ عِقَابٌ فَأَسَى سَبِيَّهُمْ فِي المِقَاسِمِ
 سَأَلَهُمْ بِالْجَيْشِ حَتَّى أَرَا حُهُمُ بِكِرْمَانَ عَنْ مَثْوَى مِنَ الأَرْضِ نَاعِمِ
 وَمَا قَطَرِي الكُفْرُ إِلَّا نَعَامَةٌ طَرِيدٌ يَدْوَى لَيْلَهُ غَيْسِرِ نَائِمِ
 إِذَا فَرَّ مَنَّا هَارِبًا كَانَ وَجْهُهُ طَرِيقًا سَوَى قِصْدِ الْهُدَى وَالْمَعَالِمِ
 فَلَيْسَ بِمَنْجِيهِ الْفِرَارُ وَإِنْ جَرَتْ بِهِ الْفُلُكُ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ دَائِمِ

* * *

[ذَكَرَ الْخَبِيرُ عَنْ هَلَاكِ قَطَرِي وَأَصْحَابِهِ]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ هَلَاكَةُ قَطَرِي وَعَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ
 وَعَبْدُ رَبِّ الْكَبِيرِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزَارِقَةِ .

١٠١٨/٢

(١) كَذَا فِي م ، وَفِي ط : « عَبْدُ رَبِّ » .

* ذكر سبب مهلكتهم ^(١) :

وكان سبب ذلك أن أمر ^(٢) الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّه الكبير وبعضهم مع قطرى ووهى أمر قطرى ، توجهه يريد طبرستان ، وبلغ أمره الحجاج ، فوجهه — فيما ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن يونس بن يزيد — سفيان بن الأبرد ، وجهه معه جيشاً من أهل الشام عظيم ^(٣) فى طلب قطرى ، فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم . وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان ، أن اسمع وأطيع لسفيان . فأقبل إلى سفيان فصار معه فى طلب قطرى حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه ، ففترق عنه أصحابه ، ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتدهى ^(٤) حتى نحر إلى أسفل ، فقال معاوية بن مِحصن الكندى : رأيتُه حيث هوى ولم أعرفه ، ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن فى الجمال والبازة وحسن الهيئة كما شاء ربك ، ما عدا عجوزاً فيهن ، فحملت عليهن فصرتهن إلى سفيان بن الأبرد .

فلما دنوتُ بهنّ منه انتحت لى بسيفها ^(٥) العجوز فتضرب به عنق ، ١٠١٩/٢
فقطعت المغنر ، وقطعت جلدة من حلقى ، وأختلج السيف فأضرب به وجهها . فأصاب قحف رأسها ، فوقعت ميتة ، وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفيان وإنه ليضحك من العجوز : وقال : ما أردت ^(٦) إلى قتل هذه أخزاهما الله — فقلت : أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها إياى ! والله إن كادت لتقتلنى ؛ قال : قد رأيت . فوالله ما ألومك على فعلك ، أبعدها الله . ويأتى قطرياً حيث تدهدى من الشعب عالج من أهل البلد ، فقال له قطرى : اسقنى من الماء — وقد كان اشتد عطشه — فقال : أعطنى شيئاً حتى أسقيك ، فقال : ويحك ! والله ما معى إلا ما ترى من سلاحى . فأنا مؤنيكه إذا

(١) ١ : « هلكهم » ، ب ، ف : « هلاكهم » .

(٢) ف : « الأمراء » .

(٣) ب ، ف : « عظيم من أهل الشام » .

(٤) ب ، ف : « قتهده » ، ا ، س : « فتدهده » .

(٥) س : « سيفها » . (٦) ب : « أردت » .

أتيتني بماء ، قال : لا ، بل أعطنيه الآن ، قال : لا ، ولكن ائتني بماء قبل ، فانطلق العليج حتى أشرف على قطري ، ثم حذر عليه حَجَرًا عظيمًا من فوقه دَهْدَاه عليه ، فأصاب إحدى وركيه فأوثته ، وصاح بالناس ، فأقبلوا نحوه . والعلج حينئذ لا يعرف قطريًا ، غير أنه يظن أنه من أشرفهم لحسن هيئته ، وكمال سلاحه ، فدفع إليه نفرًا من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه ، منهم سَوْرَة بن أبيجر التميمي ، وجعفر بن عبد الرحمن بن ميخنف ، والصباح بن محمد بن الأشعث ، وباذام مولى بني الأشعث ، وعمر بن أبي الصلت بن كنار مولى بني نصر بن معاوية ، وهو من الدهاقين ، فكل هؤلاء ادَّعَوْا قتلَه . فدفع إليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبي - وكلهم يزعم أنه قاتله - فقال لهم : ادفعوه إلى حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه .

١٠٢٠/٢

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد - وهو على أهل الكوفة - ولم يأتيه جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك - وكان لا يكلمه ، وكان جعفر مع سُفْيَان بن الأبرد ، ولم يكن معه إسحاق ، وكان جعفر على ربع أهل المدينة بالري ، فلما مرَّ سُفْيَان بأهل الري انتخب فرسانهم بأمر الحجاج ، فسار بهم معه ، فلما أتى القوم بالرأس فاخترصموا فيه إليه وهو في يدي^(١) أبي الجهم^(٢) بن كنانة الكلبي ، قال له : امض به أنت . ودع هؤلاء المختلفين ، فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج ، ثم أتى به عبد الملك بن مروان ، فألحق في ألفين ، وأعطى فطما^(٣) - يعني أنه يفرض للصغار في الديوان - وجاء جعفر إلى سُفْيَان فقال له : أصلحك الله ! إن قطريًا كان أصاب والدي فلم يكن لي هم غيره ، فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادَّعَوْا قتلَه ، فسلكهم ، ألم أكن أُمَامهم حتى بدرتهم فضربتهم ضربة فصرعته ، ثم جاءني بعد ، فأقبلوا يضربونه بأسيا فهم ! فإن أقرؤا لي بهذا فقد صدقوا ، وإن أبوا فأنا أحلف بالله أني صاحبه . وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه ، وأنهم لا يعرفون ما أقول ، ولا حق لي فيه . قال : جئت الآن وقد سرحتنا بالرأس . فانصرف عنه فقال له أصحابه : أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه .

(١) ب ، ف : « يد » .

(٢) س : « جهم » .

ثمَّ إنَّ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ أَقْبَلَ مُنْصَرِفًا إِلَى عَسْكَرِ عُبَيْدَةَ بْنِ هَلَالٍ ،
وَقَدْ تَحَصَّنَ فِي قَصْرِ بَقُومِيسَ ، فَحَاصِرُهُ فَقَاتَلَهُ أَيَّامًا . ثُمَّ إِنَّ سُفْيَانَ بْنَ ١٠٢١/٢
الْأَبْرَدِ سَارَ بِنَا إِلَيْهِمْ حَتَّى أَحْطَطْنَا بِهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى فِيهِمْ : أَيُّمَا
رَجُلٍ قَتَلَ صَاحِبَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ آمِنٌ ؛ فَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ هَلَالٍ :

لَعَمْرِي لَقَدْ قَامَ الْأَصَمُ بِخُطْبَةٍ لَدَى الشَّكِّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ غَلِيلُ
لَعَمْرِي لَئِنْ أُعْطِيتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِي وَفَارَقْتُ دِينِي إِنَّنِي لَجَهْلُولُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا تَرَى بِجِيَادِنَا تَسَاوُكَ هَزَلِي مُخْهِنٌ قَلِيلُ (١)
تَعَاوَرَهَا الْقُدَافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِقُومِيسَ حَتَّى صَغِبَهُنَّ ذُلُولُ
فَإِنْ يَكُ أَفْنَاهَا الْحِصَارُ فَرُبَّمَا تَشَحَّطَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ
وَقَدْ كُنَّ مِمَّا إِنْ يُقْدَنَ عَلَى الْوَجَى لَهُنَّ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ صَهِيلُ
فَحَاصِرَهُمْ حَتَّى جَهَدُوا ، وَأَكَلُوا دَوَابَّهُمْ . ثُمَّ إِنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهِ فَقَاتَلُوهُ ،
فَقَتَلْتَهُمْ وَبَعَثَ بَرَعَوْسَهُمْ إِلَى الْحِجَّاجِ ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى دُبَاوَتِدْ وَطَبَرِ سِتَّانَ ،
فَكَانَ هُنَاكَ حَتَّى عَزَلَهُ الْحِجَّاجُ قَبْلَ الْجَمَاجِمِ .

* * *

[ذَكَرَ الْخُبَرُ عَنْ مَقْتَلِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ بِبُكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ السَّعْدِيُّ أُمَيَّةَ بْنَ ١٠٢٢/٢
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ :

* ذَكَرَ سَبَبَ قَتْلِهِ إِيَّاهُ .

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ - أَنَّ
أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى خُرَّاسَانَ ، وَلَتَى بِبُكَيْرٍ
غَزَا مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَقَدْ كَانَ وَلاَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طُخَارِسْتَانَ ، فَتَجَهَّزَ لِلْخُرُوجِ
إِلَيْهَا ، وَأَنْفَقَ نَفَقَةً كَثِيرَةً ، فَوُشِيَ بِهِ إِلَيْهِ بِحَيْرِ بْنِ رِقَاءِ الصُّرَيْمِيِّ عَلَى مَا بَيَّنَّتْ
قَبْلُ ، فَأَمَرَهُ أُمَيَّةَ بِالْمَقَامِ .

(١) التَّسَاوُكُ : السَّيْرُ الضَّعِيفُ ، وَالْبَيْتُ فِي اللَّسَانِ (سُوكٌ) يَنْسَبُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ

الْجَمْعُ .

فلما ولّاه غزو ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح ، وادّان من رجال السّغند وتجارهم ، فقال بحير لأُميّة : إنّ صار بينك وبينه النهر ولقي الملوكة خلعت الخليفة ودعا إلى نفسه ، فأرسل إليه أُميّة : أقم لعل أغزو فتكون معي ، فغضب بكير وقال : كأنه يُضارّني . وكان عتّاب اللّثّوة الغدانيّ استدان ليخرج مع بكير ، فلما أقام أخذه غرامؤه ، فحبس فأدّى عنه بكير وخرج ، ثمّ أجمع أُميّة على الغزو . قال : فأمر بالجهاز ليغزو بخاري ، ثمّ يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترّمذ ، فاستعدّ الناس وتجهّزوا ، واستخلف على خراسان ابنه زياداً ، وسار معه بكير فمسكر بكشّماسهّن ، فأقام أياماً ، ثمّ أمر بالرحيل ، فقال له بحير : إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكّير : فلتكن في الساقة ولنحشر الناس . قال : فأمره أُميّة فكان على الساقة حتى أتى النهر ، فقال له أُميّة : اقطع يا بكير ، فقال عتّاب اللّثّوة الغدانيّ : أصلح الله الأمير ! عبر ثمّ يعبر الناس بعدك . فعبر ثمّ عبر الناس ، فقال أُميّة لبكّير : قد خفت ألا يصيبيّ ابني عمله وهو غلام حدث ، فارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتكمها ، فزّان ابني وقم بأمره . فانتخب بكير فرساناً من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ، ومضى أُميّة إلى بخاري وعلى مقدّمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة . فقال عتّاب اللّثّوة لبكّير لما عبر وقد مضى أُميّة : لما قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ، ثمّ طلبنا أميراً من قريش يجمع أمرنا ، فجاءنا أميرٌ يلعب بنا يحولنا من سجن إلى سجن ، قال : فما ترى ؟ قال : أحرق^(١) هذه السفن ، وامض إلى مرو فاخلع أُميّة ، وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما ، قال : فقال الأحنف بن عبد الله العنبري : الرأي ما رأى عتّاب ، فقال بكير : إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي ، فقال : أتخاف عدم الرجال ! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك ، قال : يهلك المسلمون ، قال : إنما يكفيك أن ينادي مناد : من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع ، قال : فيهلك أُميّة ومن معه ، قال : ولیم يتهلكون ولهم عدّة وعدّة وسجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ، ليقاتلوا عن

١٠٢٣/٢

١٠٢٤/٢

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرق بكير السفن ، ورجع إلى مرو ، فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أبلَ بُغاري على فدية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فاتخذت له وجسمت ، وقال لمن معه من وجوه تميم : ألا تعجبون من بكير ! إني قدمتُ خُرَّاسانَ فحدّثته ، ورفّع عليه وشكى منه ، وذكروا أموالاً أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحداً من عمّاله ، ثم عرضت عليه شرطتي فأبى ، فأعفيتّه ، ثم وليته فحدّثته ، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظراً له ، ثم رددته إلى مرو ، ووليته الأمر ، فكفر ذلك كله ، وكافأني بما ترون . فقال له قوم : أيها الأمير ، لم يكن هذا من شأنه ، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتابُ اللّفة ، فقال : وما عتاب ! وهل ^(١) عتاب إلا دجاجة ١٠٢٥/٢ حاضنة ، فبلغ قوله ^(٢) عتاباً ، فقال عتاب في ذلك :

إِنَّ الْحَوَاضِنَ تَلَقَّاهَا مَجْفَفَةً غُلِبَ الرَّقَابُ عَلَى الْمُنْسُوبَةِ النَّجِبِ
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَوَرٍ وَجِئْتَنَا حُمُقًا يَا أَلَّامَ الْعَرَبِ
لَا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّغْدِ مُعْرَضَةً وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحًا عُكُوءَ الذَّنْبِ
وَجِئْتَ ذِيخًا مُغِدًّا مَا تَكَلَّمْنَا وَطَرْتُ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرَبِ
أَوْعِدْ وَعِيدَكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ اللَّجِبِ
يَخْبُ بِي مَشْرُفٌ عَارِ نَوَاهِقِهِ يَغْشَى الْكِتَبَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْخَبِيبِ

قال : فلما تهيأت السفن ، عبرَ أمية وأقبل إلى مرو ، وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهم إني أحسنت إلى بكير ، فكفر إحساني ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفنيه .

فقال شماس بن دثار - وكان رجوع من سجستان بعد قتل ابن خازم ، ١٠٢٦/٢ فغزا مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفبك إن شاء الله . فقدّمه أمية في ثمانمائة ، فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر ، وسار إليه بكير ومعه مدرك بن أنيف وأبوه

مع شماس ، فقال : أما كان في تميم أحدٌ يحاربني غيرك ! ولأمة . فأرسل إليه شماس : أنت ألوم وأسوأ صنيعاً مني ، لم تَفِ لأمة ولم تشكر له صنيعه بك ؛ قدّم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك .

قال : فبيته بكير ففرق جمعه وقال : لا تقتلوا منهم أحداً ، وخذوا سلاحهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلبوه وخلّوا عنه ، ففترقوا ، ونزل شماس في قرية لطيفة يقال لها : بؤينة ، وقدّم أمة فنزل كسماهن ، ورجع إليه شماس بن دثار فقدّم أمة ثابت بن قطبة مولى خزاعة ، فلقية بكير فأسر ثابتاً وفرق جمعه ، ونحى بكير سبيل ثابت لئلا كانت له عنده . قال : فرجع إلى أمة ، فأقبل أمة في الناس ، فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رستم الخليل بن أوس العبشمي ، فأبلى يومئذ ، فنادوه : يا صاحب شرطة عارمة - وعارمة جارية بكير - فأحجم ، فقال له بكير : لا أبالك ، لا يتهدك نداء هؤلاء القوم ، فإن للعارمة فتحلاً يمنعها ، فقدّم لواءك ، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط ، فنزل (١) السوق العتيقة ، ونزل أمة بأسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد ، فانكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثم التقوا يوماً آخر في الميدان ، فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها ، وهريم يحميه ، فقال الرجل : اللهم أئدنا فأمدنا بالملائكة ، فقال له هريم : أيها الرجل ، قاتل عن نفسك ، فإن الملائكة في شغل عنك ، فتساحمنا ثم أعاد قوله : اللهم أمدنا بالملائكة ، فقال هريم : لتكنفن عني أو لأدعنك والملائكة ، وحماه حتى ألحقته بالناس . قال : ونادى رجل من بني تميم : يا أمة ، يا فاضح قريش ؛ فألى أمة إن ظفّر به أن يذبحه ، فظفّر به فذبحه بين شرفتين من المدينة ، ثم التقوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى : أنا ابن وشاح ؛ فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابه ، وأتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناداه : أين يا بكير ؟ فكرّ عليه ، فضربه حريث على رأسه ، فقطع المغفر ، وعصّ

١٠٢٧/٢

السيفُ برأسه ، فصرَّع ، فاحتلمه أصحابه ، فأدخلوه المدينة .
قال : فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكيرٍ يَغْدُونُ متفضِّلين
في ثياب مصبَّغة ، وملاحفَ وأزُرَ صُفْرَ وحُمْرَ ، فيجلسون على نواحي
المدينة يتحدَّثون ، وينادى منادٍ : مَنْ رَمَى بسهمٍ رَمَيْنَا إليه برأس رجل من
ولده وأهله ؛ فلا يرميهم أحد .

قال : فأشفق بكير . وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس ، فطلب
الصِّلح ، وأحبَّ ذلك أيضاً أصحابُ أمية لما كان عيالاتهم بالمدينة ، فقالوا
لأمية : صالحه - وكان أمية يحبَّ العافية - فصالحه على أن يقضى عنه
أربعمائة ألف ، ويصِلَ أصحابه ويولِّيه أيضاً أىَّ كُورٍ خُرَّاسان شاء ،
ولا يسمع قولَ بَحِيرٍ فيه ، وإن رآبه منه رَيْبٌ فهو آمِنٌ أربعين يوماً حتى ١٠٢٨/٢
يخرج عن مرو ، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك ، وكتب له كتاباً على
باب سِنْجَان^(١) ، ودخل أميةُ المدينة .

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بكير مع أمية غازياً ، ولكن أمية لما غزا
استخلفه على مرو فخلعه ، فرجع أميةُ فقاتله ، ثم صالحه ودخل مرو
ووفى أميةُ لبكير ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحُسْنِ الإِذْنِ ، وأرسل
إلى عتَّاب اللقوة ، فقال : أنت صاحبُ المَشُورَةِ ؛ فقال : نعم أصلح الله
الأمير ! قال : ولِمَ ؟ قال : خفَّ ما كان في يدي ، وكشَّرَ دَبْنِي ،
وأعديت على غرمائي ؛ قال : وَيَحْك ! فضربت بين المسلمين ، وأحرقت السفن
والمسلمون في بلاد العدو ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفر
الله . قال : كم دَبْنُكَ ؟ قال : عشرون ألفاً ؛ قال : تكفَّ عن غِيْشِ
المسلمين وأقضي دينك ؟ قال : نعم ، جعلني الله فداك ! قال : فضحك
أميةُ وقال : إنَّ ظني بك غير ما تقول ، وسأقضي عنك . فأدَّى عنه عشرين
ألفاً ، وكان أمية سهلاً ليناسخياً ، لم يُعط أحدٌ من عُمال خُرَّاسان بها مثل
عطاياه ؛ قال : وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم ، كان فيه زهْوٌ شديد ، وكان
يقول : ما أكتفى بخُرَّاسان^(٢) وسِجِسْتان لمَطْبَخِي . وعزل أميةُ بَحِيرًا

(١) ا ، ب ، ف : « سنجار » . (٢) بعدها في ب ، ف : « كلها » .

١٠٢٩/٢

عن شرطته ، وولاتها عطاء بن أبي السائب . وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه . ف ضرب عبد الملك بعتاً إلى أمية بخراسان ، فتسجاعل الناس ، فأعطى شقيق بن سليل الأسدى جعلته رجلاً من جرّم ، وأخذ أمية الناس بالخراج ، واشتدّ عليهم فيه ، فجلس بكير يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم ، فذكروا شدة أمية على الناس ، فذمّوه ، وقالوا : سلط علينا الدهاقين في الجباية وبسحير وضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية ابن قدامة في المسجد ، فنقل بسحير ذلك إلى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء ، وادعى شهادة مزاحم بن أبي المجرش السلمي ، فدعا أمية مزاحماً فسأله فقال : إنما كان يمزح ، فأعرض عنه أمية ، ثم أتاه بجير فقال : أصلح الله الأمير ! إن بكيراً والله قد دعاني إلى خلعتك ، وقال : لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان ؛ فقال أمية : ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل ؛ فأمنتّه ووصلته .

١٠٣٠/٢

قال : فأتاه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشهدا أن بكيراً قال لهما : لو أطلعتماني لقتلت هذا القرشي الخنث ، وقد دعانا إلى الفتك بك . فقال أمية : أنتم أعلم وما شهدتم ، وما أظنّ هذا به وإن تركه . وقد شهدتم بما شهدتم عجز ؛ وقال لحاجبه عبدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبلد وشمر دل ابنا أخيه ، فنهضت فخذوهم . وجلس أمية للناس ، وجاء بكير وابنا أخيه ، فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير . فحبسه وابنى أخيه . فدعا أمية بكير فقال : أنت القائل كذا وكذا ؟ قال : تشبّت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن مخلوق ! فحبسه ، وأخذ جاريته العارمة فحبسها . وحبس الأحنف ابن عبد الله العنبري ، وقال : أنت ممن أشار على بكير بالخلع .

فلما كان من الغد أخرج بكيراً فشهد عليه بجير وضرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلعه والفتك به ، فقال : أصلحك الله ! تشبّت فإن هؤلاء أعدائي . فقال أمية لزياد بن عتبة - وهو رأس أهل العالية - ولابن والان العدوي - وهو يومئذ من رؤساء بني تميم - ليعقوب بن خالد الذهلي :

استلونه ؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لبَحِير : أَتَقْتُلُهُ ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ،
 فنهض يعقوب بن القَعْقَاع الأَعْلَمُ الأَزْدِيّ من مجلسه — وكان صديقاً لبُكَيْر —
 فاحتَضَنَ أُمَيَّةَ ، وقال : أذكرك الله أيها الأمير في بكير ، فقد أعطيتَه ما
 أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال
 عطاءُ بن أبي السائب الليثي وهو على حَرَسِ أُمَيَّةَ : خلّ عن الأمير ؛ قال :
 لا ، ففَضَرَبَهُ عطاءُ بِقَاطِمِ السيف ، فأصاب أنفَه فأدماه ، فخرج ، ثم قال
 لبَحِير : يا بحير ، إن الناس أعطوا بكيراً ذمتهم في صلحه ، وأنت منهم ،
 فلا تخفر ذمتك ؛ قال : يا يعقوب ، ما أعطيتَه ذمّةً . ثم أخذ بحير سيفَ
 بكير الموصول الذي كان أخذه من أسوار الترجمان ترَجَّمان ابن خازم ،
 فقال له بكير : يا بحير ، إنك تُفَرِّقُ أمرَ بني سعد إن قتلتنى ، فدعَ هذا
 القرشيّ يلي مني ما يريد ؛ فقال بحير : لا والله يا ابن الإصبهانية لا تصلح
 بنو سعد ما دُمنا حيّين ، قال : فشأنك يا ابن الحلوقة ، فقتلته ، وذلك يوم
 جمعة .

وقتل أُمَيَّةَ ابني أخى بكير ، وهب جارية بكير العارمة لبَحِير ، وكلمَ
 أُمَيَّةَ في الأحنف بن عبد الله العنبري ، فدعا به من السجن ، فقال : وأنت
 ممن أشار على بُكَيْر ، وشتمته ، وقال : قد وهبتك هؤلاء . قال : ثم وجه أُمَيَّةُ
 رجلاً من خِزَاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم ، فقتلته عمرو بن خالد بن
 حُصَيْن^(١) الكلابي غيلةً ، ففترق جيشه : فاستأمن طائفةٌ منهم موسى ،
 فصاروا معه ، ورجع بعضهم إلى أُمَيَّةَ .

وفي هذه السنة عبر النهر ، نهَرَ بَلَخُ أُمَيَّةَ للغزو ، فحوصِرَ حتى جُهِدَ
 هو وأصحابه ، ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك ؛ فانصرف والذين معه من
 الجُند إلى مرو . وقال عبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة
 يهجو أُمَيَّةَ :

أَلَا أَبْلَغُ أُمَيَّةَ أَنْ سُبُجَزَى ثَوَابَ الشَّرِّ إِنَّ لَهُ ثَوَابَا
 وَمَنْ يَنْظُرُ عِتَابَكَ أَوْ يُرْدَهُ فَلَسْتُ بِنَاظِرٍ مِنْكَ الْعِتَابَا

محا المعروف منك خلالُ سوءٍ مُنحتَ صَنِيعَهَا باباً فباباً
ومن سَمَّاكَ إذْ قَسَمَ الأسامي أُمِّيَّةَ إذْ وُلِدْتَ فقد أصابا

قال أبو جعفر : وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أميرٌ على
المدينة ، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف ، وعلى خراسان أُميَّة
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . ١٠٣٢/٢

وحدثني أحمد بن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر ، قال : حجَّ أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجَّتَيْن سنة
ست وسبعين وسنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إنَّ هلاكَ شبيب كان في سنة ثمان وسبعين ، وكذلك قيل في
هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبد ربه (١) الكبير .

وغزَا في هذه السنة الصائفة الوليدُ .

(١) كذا في أ ، وفي ط : « عبد رب » .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
فمن ذلك عزلُ عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان
وضمته خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف . فلما ضم ذلك إليه فرق
فيه عماله^(١) .

* * *

ذكر الخبر عن العمال الذين ولّاهم الحجاج خراسان وسجستان
وذكر السبب في توليته من ولّاه ذلك وشيئا منه

ذكر أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شتخص من الكوفة إلى
البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد
قيل : إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، ثم عزله ،
وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها ، وقد فرغ من
[أمر]^(٢) الأزارقة .

فقال هشام : حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي ، أن
المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدم على الحجاج - وذلك سنة
ثمان وسبعين - فأجلسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب ،
فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن إلا
صدقة الحجاج بذلك ، فحملتهم الحجاج وأحسن عظامهم ، وزاد في
أعطياتهم ، ثم قال : هؤلاء أصحاب الفِعال ، وأحق بالأموال ، هؤلاء
حمّة الثغور ، وغيظ الأعداء .

قال هشام عن أبي مخنف : قال يونس بن أبي إسحاق : وقد كان
الحجاج ولي المهلب سجستان مع خراسان ، فقال له المهلب : ألا أدلك على
رجل هو أعلم بسجستان مني ، وقد كان ولي كابُل وزابل ، وجباهم
(١) « عماله فيها » . (٢) من ١ -

وقَاتَلَتْهُمْ وَصَالَحَتْهُمْ ؟ قال له : بلى ، فمن هو ؟ قال عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ .
 ثُمَّ إنه بعث المهلب على خُرَّاسان وعبيد الله بن أبي بَكْرَةَ على سِجِسْتان ،
 وكان العامل هناك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ،
 وكان عاملاً لعبد الملك بن مَرْوَان ، لم يكن للحجاج شيء من أمره حين بُعِثَ
 على العراق حتى كانت تلك السنة ، فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج ،
 ففضى المهلب إلى خُرَّاسان ، وعبيد الله بن أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتان ، فكث
 عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ بقية سنته .

فهذه رواية أبي مِخْنَفٍ عن أبي المخارق ، وأما علي بن محمد فإنه ذكر
 عن المفضل بن محمد أن خُرَّاسان وسِجِسْتان جُمِعَتَا للحجاج مع العراق في ١٠٣٤/٢
 أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ
 على خراسان ، والمهلب بن أبي صفرة على سِجِسْتان ، فكره المهلب سِجِسْتان ،
 فلقى عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العَبَّشِيَّ - وكان على شُرطة الحجاج -
 فقال : إن الأمير ولّاني سِجِسْتان ، وولي ابن أبي بَكْرَةَ خُرَّاسان ، وأنا
 أعرف بخراسان منه ، قد عرفتُها أيام الحَكَم بن عمرو الغِفَارِيَّ ، وابن
 أبي بَكْرَةَ أقوى على سِجِسْتان مِنِّي ، فكلّم الأميرَ يحوّلني إلى خُرَّاسان ، وابن
 أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتان ، قال : نعم ، وكلّم زاذانَ فَرَوُخَ يُعِينُنِي ، فكلّمه ،
 فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج : وليت المهلب سِجِسْتان
 وابن أبي بَكْرَةَ أقوى عليها منه ، فقال زاذان فَرَوُخَ : صدّق ، قال : إنّا
 قد كتبنا عهدَه ؛ قال زاذان فروخ : ما أهوّن تحويلَ عهدِه ! فحوّل ابن
 أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتان ، والمهلب إلى خُرَّاسان ، وأخذ المهلب بألف ألف
 من خراج الأهواز ، وكان ولاها إِيَّاه خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه
 المغيرة : إن خالداً ولّاني الأهواز ، ولّالك إصطخَر ، وقد أخذني الحجاج
 بألف ألف ، فنصفُ علي ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلب مالٌ ، كان
 إذا عزل استقرض ؛ قال : فكلّم أبا ماويةَ مولى عبد الله بن عامر - وكان
 أبو ماويةَ على بيت مال عبد الله بن عامر - فأسلف المهلب ثلثمائة ألف ^(١) ،

(١) ب ، ف : « ألف ألف » .

فَقَالَتْ خَيْرَةُ الْقُشَيْرِيَّةِ سُرَّةَ الْمُهَلَّبِ : هَذَا لَا يُنَى ^(١) بِمَا عَلَيْكَ ، فَبَاعَتْ حُلِيَّاتَهَا وَمَتَاعًا ، فَأَكْمَلَ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ ، وَحَمَلَ الْمَغِيرَةَ إِلَى أَبِيهِ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ ^(٢) ، فَحَمَلَهَا إِلَى الْحِجَّاجِ ، وَوَجَّهَ الْمُهَلَّبُ ابْنَهُ حَبِيبًا عَلَى مَقْدَمَتِهِ ، فَأَتَى الْحِجَّاجُ فَوَدَّعَهُ ، فَأَمَرَ الْحِجَّاجُ لَهُ بَعْشَرَ آلَافٍ وَبَغْلَةً خَضْرَاءَ ، قَالَ : فَسَارَ حَبِيبٌ عَلَى تِلْكَ الْبَغْلَةِ حَتَّى قَدِمَ خُرَّاسَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَسَارَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، فَتَلَقَّاهُمْ حِينَ دَخَلُوا حَمْلُ حَطَبٍ ، فَتَنَفَّرَتِ الْبَغْلَةُ فَتَعَجَّبُوا مِنْهَا وَمِنْ نِفَارِهَا بَعْدَ ذَلِكَ التَّعَبِ وَشِدَّةِ السَّيْرِ . فَلَمْ يَعْرِضْ لِأَمِيَّةٍ وَلَا لِعَمَّالِهِ ، وَأَقَامَ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ ابْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذِكْرِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ . وَكَانَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَأَمِيرَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ يَنْخُرَاسَانُ وَسَجِسْتَانُ وَكِرْمَانُ الْحِجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ، وَخَلِيفَتَهُ بِخُرَّاسَانَ الْمُهَلَّبُ ، وَبِسَجِسْتَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، وَعَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قِضَاءِ الْبَصْرَةِ — فِيمَا قِيلَ — مُوسَى بْنُ أَنَسٍ .

وَأَغْزَى عَبْدُ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَحْيَى بْنَ الْحَكَمِ .

(١) ب ، ف : « لَا يُنَى هَذَا » . (٢) ب ، ف : « أَلْفُ أَلْفٍ » .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

١٠٣٦/٢

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنّون من شدّته ، فلم يغزُ في تلك السنة أحدٌ - فيما قيل - للطاعون الذي كان بها ، وكثرة الموت .

وفيهما - فيما قيل - : أصابت الرومُ أهل أنطاكية .

* * *

[ذكر الخبر عن غزو عبّيد الله بن أبي بكره رُتبيل]

وفيهما غزا عبّيد الله بن أبي بكره رُتبيل .

ذكر الخبر عن غزوته إياه :

قال هشام : حدّثني أبو مخنف ، عن أبي المخارق الراسبي ، قال : لما ولّى الحجاجُ المهلبَ خراسان ، وعبّيد الله بن أبي بكره سجستان ، مضى المهلبُ إلى خراسان وعبّيد الله بن أبي بكره إلى سجستان ، وذلك في سنة ثمان وسبعين ، فكث عبّيد الله بن أبي بكره بقيّة سنته . ثمّ إنه غزا رُتبيل وقد كان مصالحاً ، وقد^(١) كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً ، وربّما امتنع فلم يفعل ، فبعث الحجاج إلى عبّيد الله بن أبي بكره أنّ ناجزه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه ، وتهدم قلاعته ، وتقتل مقاتلته ، وتسبي ذريته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثمّ الضبابي ، وكان من أصحاب عليّ ، وكان عبّيد الله على أهل البصرة ، وهو أمير الجماعة ، ففضى حتى وغلّ في بلاد رُتبيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء وهدم قلاعاً وحُصوناً ، وغلّب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب^(٢) رُتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعنوا في بلادهم

١٠٣٧/٢

(١) ساقطة من أ . (٢) ب ، ف : « وأصاب » .

ودنوا من مدينتهم ، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخا ، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب ، وخلوهم والرساتيق ، فسقط في أيدي المسلمين ، وظنوا أن قد هلكوا ، فبعث ابن أبي بكر إلى شريح بن هاني : إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ، ويخلتوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فلقية شريح فقال : إنك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في أعطيائكم ، قال : لو منعنا العطاء ما حبسينا كان أهون علينا من هلاكنا : قال شريح : والله لقد بلغت سننا ، وقد هلكت ليداتي ، ما تأتي على ساعة من ليل أو نهار فأظننها تمضي حتى أموت ، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتني اليوم ما إخالني مدركها حتى أموت ، وقال : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوكم ؛ فقال له ابن أبي بكر : إنك شيخ قد خرفت ، فقال شريح : إنما حسبك أن يقال : بستان ابن أبي بكر وحمام ابن أبي بكر ، يا أهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادة فإلى . فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير ، وفرسان الناس وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا ، فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول :

أصبحتُ ذا بئس أفاقي الكبيراً قد عشتُ بين المشركين أعصراً
ثمت أدركتُ النبيَّ المُنذِراً وبعده صديقه وعمرأ
ويوم مهران ويوم تُسترا والجمع في صفيهم والنهرا
وباجميرات مع المُشَقِّرا هيهات ما أطولَ هذا عُمرأ
فقاتل حتى قُتِلَ في ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رُبَيْل حتى خرجوا منها ، فاستقبلتهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة ، فإذا أكل أحدُهم وشبع مات ، فلما رأى ذلك الناس حذروا ، يطعمونهم ، ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا ، حتى استمروا . وبلغ ذلك الحجاج ، فأخذه ما تقدّم وما تأخر ، وبلغ ذلك منه كل مبلغ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم

يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم ، وغلبوا على حصونهم وقصورهم ، وقد أردت أن أوجه إليهم جنداً كثيفاً من أهل المصرين ، فأحببت أن أستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك ، فإن رأي لي بعثة ذلك الجند أمضيته ، وإن لم ير ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده ، مع أني أتخوف إن لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جنداً كثيفاً عاجلاً أن يستولوا على ذلك الفرج كله .

١٠٣٩/٢

وفي هذه السنة قدّم المهلب خراسانَ أميراً ، وانصرف عنها أمية بن عبد الله ، وقيل استعفى شريح القاضي من القضاء في هذه السنة ، وأشار بأبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فأعفاه الحجاج وولّى أبا بردة .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة - فيما حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر - أبان بن عثمان ، وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السير .

وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف .

وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج .

وقيل : إن المهلب كان على حربها ، وابنه المغيرة على خراجها ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس^(١) .

(١) بعدها في ١ : « وهو آخر الجزء السادس والأربعون » .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجلييلة التي كانت في هذه السنة

١١ وفي هذه السنة جاء^(١) - فيما حدثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي - سيل بمكة ذهب بالحججاج ، فغترقت بيوت مكة فسمي ذلك العام^{١٠٤٠/٢} العام الجحاف ، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مَرَّ به .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن رفاعه بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : جاء السيل حتى ذهب بالحججاج ببطن مكة ، فسمى لذلك عام الجحاف ، ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تَمَرُّ بهم مالأحد فيهم حيلة ، وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزة .

وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجارف ، فيما زعم الواقدي .

[ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر]

وفي هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ فتزل على كيس ، فذكر على بن محمد ، عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كيس أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يغني غناء ألفين في البأس والتدبير والنصيحة . قال : فأتى المهلب وهو نازل على كيس ابن عم ملك الختل ، فدعاه إلى غزو الختل ، فوجه معه ابنه يزيد ، فتزل في عسكره ، ونزل ابن عم الملك - وكان ١٠٤١/٢ الملك يومئذ اسمه السبل^(٢) - في عسكره على ناحية ، فبيت السبل ابن عمه ، فكبر في عسكره ، فظن ابن عم السبل أن العرب قد غدرُوا به ، وأنهم خافوه . على الغدر حين اعتزل عسكرهم ، فأسر السبل ، فأتى به قلعته فقتله . قال : فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل ، فصالحوه على فدية حملوها إليه ، ورجع^(٣) إلى المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبل إلى أم السبل : كيف ترجين

(١-١) ب ، ف : « ففيا » . وقبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

(٢) ط : « كس » ، صوابه من ١ . (٣) ابن الأثير : « رجع » .

بقاء السبيل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وترهم ! وأنت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسدَ تَقِلّ أولادُها ، والخنازير كثير أولادها .

ووجه المهلب ابنه حبيباً إلى رَينَجَن^(١) فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، فدعا رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جبيلة غلام حبيب ، فقتل المشرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ثم رجع ورجع العسكر ، ورجع العدو إلى بلادهم ، ونزلت جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف ، فقاتلهم فظفر بهم ، فأحرقتهم ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة . ويقال إن الذي أحرقتها جبيلة غلام حبيب .

قال : فكث المهلب سنتين مقيماً بكس^٢ ، فقبل له : لو تقدّمت إلى السغد وما وراء ذلك ! قال : ليت حظّي من هذه الغزوة سلامة هذه الجُنُود ، حتى يرجعوا إلى مَرَوَ سالمين .

قال : وخرج رجلٌ من العدو يوماً ، فسأله البراز ، فبرز إليه هريم بن عدى ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدّها فوق البيضة ، فأنتهى إلى جدول ، فجاوَلَه المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه ، فلامه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدّ لك عندي ، واتهم المهلب وهو بكيس قوماً من مضر فحبسهم بها ، فلما قتل وصار صلح خلاهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم ؛ وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم . فقال المهلب : خفتهم فحبستهم ، فلما أمنت تخليتهم .

١٠٤٢/٢

وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري . ثم صالح المهلب أهل كيس على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعته ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجاج .

[تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رُتبيل]

وفي هذه السنة وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رُتبيل صاحب الترك ؛ وقد اختلف أهل السير في سبب

(١) : « صاحب رينجن » .

توجيهه إياه إليها، وأين كان عبد الرحمن يوم ولّاه الحجاج سجستان وحرب رتبيل، فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدث هشام، عن أبي مخنف عنه فإنه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بخبر الجيش الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رتبيل وما لقوا بها كتب إليه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان ، وأولئك قوم كُتِبَ الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وعلى الله ثوابهم .
وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى (١) ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون أو كفها ، فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشداً موقفاً .

وكان الحجاج وليس بالعراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلا أردت قتله .

قال أبو مخنف : فحدثني نمير بن وعلة الهمداني ، ثم البناعي ، عن الشعبي ، قال : كنت عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال : انظر إلى مشيتيه ، والله لهما أن أضرب عنقه . قال : فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبته وانتظرت على باب سعيد بن قيس السبيعي ، فلما انتهى إلى قلت : ادخل بنا الباب ، إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج . فقال : نعم ، فأخبرته بمقالة الحجاج له ، فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه ، فأجهد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

ثم إن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وجد في ذلك وشم ، وأعطى الناس أعطياتهم كملاً (٢) ، وأخذهم بالخيول الرائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته ، فر عبيد الله بن أبي محجن الثقفي على عباد بن الحصين الحبطي ، وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ، وهو يعرض الناس ، فقال

(١) : « في ذلك الفرج » . (٢) يقال : أعطاه المال كلاً ، أي كاملاً .

عباد: ما رأيتُ فرساً أروعَ ولا أحسنَ من هذا^(١) ، وإنَّ الفرسَ قوَّةٌ وسلاحٌ وإنَّ هذه البغلةَ عاتنةٌ . فزادَ الحجاجَ خمسينَ وخمسمائةَ درهمٍ ، ومرتَ به عطيةُ العنبريِّ ، فقال له الحجاجُ : يا عبدَ الرحمنَ ، أحسنُ إلى هذا . فلما استتبَّ له أمرُ ذينك الجدين ، بعثَ الحجاجُ عطارداً بنَ عمرَ التميميِّ فعسكرَ بالأهوازَ ، ثم بعثَ عبيدَ اللهَ بنَ حجرَ بنَ ذى الجوشنَ العامريَّ من بنى كلاب . ثم بدا له ، فبعثَ عليهم عبدَ الرحمنَ بنَ محمدَ بنَ الأشعثَ وعزلَ عبيدَ اللهَ بنَ حجرَ ، فأتى الحجاجَ عمه إسماعيلَ بنَ الأشعثَ ، فقال له : لا تبعثه فإنى أخافُ خلافه . والله ما جازَ جسرَ الفراتِ قطَّ فرأى لوالٍ من الولاةِ عليه طاعةٌ وسلطاناً . فقال الحجاجُ : ليس هناك ، هو لى أهيبُ وفى أرغبُ من أن يخالفَ أمرى ، أو يخرجَ من طاعتي ؛ فأمضاه على ذلك الجيشَ ، فخرجَ بهم حتى قدمَ سجستانَ سنة ثمانينَ ؛ فجمعَ أهلها حينَ قدِمَها .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الأرحبيّ - رجلٌ من همدانٍ كان معه - أنه صعدَ منبرها فحمدَ اللهَ وأثنىَ عليه ثم قال : أيها الناسَ ، إنَّ الأميرَ الحجاجَ ولأنى ثغرَكم ، وأمَرَنى بجهادِ عدوكم الذى استباحَ بلادكم وأبادَ خيارَكم ، فإياكم أن يتخلفَ منكم رجلٌ فيُحِلَّ بنفسه العقوبةَ ، اخرجوا إلى معسكركم فعسكروا به مع الناسَ . فعسكرَ الناسُ كلهم فى معسكرهم ووُضِعَ لهم الأسواقُ ، وأخذَ الناسُ بالجهازِ والهيئةِ بآلة الحربِ ، فبلغَ ذلك رُتبيلَ ، فكتبَ إلى عبدِ الرحمنَ بنَ محمدَ يعتذرُ إليه من مُصابِ المسلمينَ ويخبره أنه كان لذلك كارهاً ، وأنهم أُلجئوا إلى قتالهم ، ويسأله الصلحَ ويعرضُ عليه أن يقبلَ منه الحراجَ ، فلم يُجِبْه ، ولم يقبلَ منه . ولم يستشَبْ عبدُ الرحمنَ أن سارَ فى الجنودِ إليه حتى دخلَ أولَ بلاده ، وأخذَ رُتبيلَ يضمُّ إليه جنده ، ويدعُ له الأرضَ رُسْتاقاً رُسْتاقاً ، وحصناً حصناً ، وطفقَ ابنُ الأشعثَ كلما حوىَ بلدأً بعثَ إليه عاملاً ، وبعثَ معه أعواناً ، ووضعَ

١٠٤٥/٢

(١) ١ : « من ذا » .

(٢) العتدة : الغليظة .

البرُدَ فيما بين كلِّ بلد وبلد، وجعل الأرصَادَ على العقاب والشعاب، ووضع المسالِحَ بكلِّ مكانٍ مخوفٍ، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمةً، وملاً يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناسَ عن الوُغولِ في أرض رُتَبِيلٍ وقال: نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها، وتجتري المسلمون على طُرُقها، ثم نتعاطى في العام انزال ما وراءها، ثم لم نزل ننتقصهم في كلِّ عام طائفةً من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذرائعهم، وفي أقصى بلادهم، وممتنع حصونهم، ثم لا نزائل بلادهم حتى يهلكهم الله. ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو، وبما صنع الله للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم.

وأما غيرُ يونسَ بن أبي إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستانَ ومسيره إلى بلاد رُتَبِيلٍ غير الذي رويت عن أبي مخنف، وزعم أن السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هيمان بن عدى السدوسيَّ إلى كرمان، مسلحة لها ليمد عامل سجستانَ والسند إن احتاجا إلى مدد، فعصى هيمانُ ومن معه، فوجه الحجاج ابن الأشعث في محاربته، فهزمه، وأقام بموضعه.

ومات عبيد الله بن أبي بكر، وكان عاملاً على سجستان، فكتب الحجاج عهداً لابن الأشعث عليها، وجهز إليها جيشاً أنفق عليهم ألفى ألف سوى أعطيائهم، كان يدعى جيش الطواويس، وأمره بالإقدام على رُتَبِيلٍ.

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، كذلك حدثني أجمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال ٢- ١٠٤٠٠ محمد بن عمر الواقدي.

وقال بعضهم: الذي حجَّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك. وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق كله

الحجّاجُ بن يوسف ، وعلى خُراسانَ المهلب بن أبي صُفْرة من قبَل الحجّاج ،
وعلى قضاء الكوفة أبو بُردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس

* * *

وأغزى عبدُ الملك في هذه السنة ابنه الوليد .

Obeliskandl.com

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

في هذه السنة كان فتح قاليقلا، حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بن عبد الملك، ففتح قاليقلا.

[ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان]

وفي هذه السنة قُتِلَ بحير بن ورقاء الصرمي بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتله أن بحيراً كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح أمر أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلاً من الأبناء من آل بكير بالوتر: لعمري لقد أغضبت عينا على القذى وخليت ثاراً طلل واخترت نومة فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة فقل لبجير نم ولا تخش ثائراً دع الضأن يوماً قد سبقتم بوتركم وهبوا فلو أمسى بكير كعهديه وقال أيضاً:

فلو كان بكر بارزاً في أدائه وذى العرش لم يقدم عليه بحير

(١) ابن الأثير: «ومن يشرب». (٢) الجلبق: صغار الغنم. (٣) في اللسان: «كتيبة جاواء: بينة الجأى، وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع».

ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب وفي الله طلابٌ بذاك جديرٌ
وبلغ بحيراً أن الأبناء يتوعدونه ، فقال :

توعدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فتاني مُقْفِراً من بني كعب
رفعتُ له كفىً بحدٍّ مُهَنَّدٍ ^(١) حُسامٌ كلون الملح ذي روثٍ عَضْبٍ ^(٢)

١٠٤٩/٢

فذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن سبعة عشر رجلاً من
بني عوف بن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بَكَيْرٍ ، فخرج فتى
منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خُرَّاسان ، فنظر إلى بحير
واقفاً ، فشدَّ عليه فطعنه فصرعه ، فظن أنه قد قتله ، وقال الناس : خارجي ،
فراكَضَهُمْ ، فعشَّر فرسه فنسدر عنه فقتل .

ثم خرج صَعْصعة بن حرب العوفي ، ثم أحد بني جندب ، من البادية
وقد باع غنيمات له ، واشترى حماراً ، ومضى إلى سجستان فجاور
قَرابةً لبَحِير هناك ولا طَقَمَهُمْ ، وقال : أنا رجل من بني حنيفة من أهل
اليامة ، فلم يزل يأتهم ويجالسهم حتى أنسوا به ، فقال لهم : إن لي بخُرَّاسان
ميراثاً قد غلبت عليه ، وبلغني أن بحيراً عظيم القدر بخُرَّاسان ، فاكتبوا
لي إليه كتاباً يُعِينُنِي على طلب حتى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقدم مَرَوَ
والمهلب غاز . قال : فلقى قوماً من بني عوف ، فأخبرهم أمره ، فقام ^(٣) إليه
مولي لبكير صَيْقَل ^(٤) ، فقبل رأسه ، فقال له صَعْصعة : اتخذ لي خنجرأ ، فعمل له
خنجرأ وأحماء وغَمَسَه في لبنِ أتانٍ مِراراً ، ثم شَخَصَ من مَرَوَ فقطع النهر
حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ ، فلقى بِحِيرًا بالكتاب ، وقال :
إني رجل من بني حنيفة ، كنتُ من أصحاب ابن أبي بَكْرَةَ ، وقد ذهب
مالي بسجستان ، ولي ميراثٌ بِمَرَوَ ، فقدِمْتُ لأبيعه ، وأرجع إلى اليامة .
قال : فأمر له بنفقة وأنزله معه ، وقال له : استعن بي على ما أحببت ،
قال : أقيمُ عندك حتى يقفل الناسُ ، فأقام شهراً أو نحواً من شهر يحضر

١٠٥٠/٢

(١) ب ، ف : « بعض » . (٢) ابن الأثير : « كلون الثلج » .

(٣) ب ، ف : « فاقبل » . (٤) الصقيل : شحاذ السيوف وبلادها .

معه بابَ المهلبَ ومجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفتك به ، ولا يأمن أحداً ، فلما قدِم صمصعةُ بكتاب أصحابه قال : هو رجلٌ من بكر بن وائل ، فأمنه ، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، ففقد خلفه ، ثم دنا منه ، فأكب عليه كأنه يكلمه ، فوجأه بخنجره في خاصرته ، فغيبه في جوفه ، فقال الناس : خارجي ! ، فنادى : بالثارات بكير ، أنا ناثر بيكير ! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الخرقاء ، وهو يومئذ على شرط المهلب ، فأتى به المهلب فقال له : بؤساً لك ! ما أدركت بئارك ، وقتلت نفسك ، وما على بحير بأس ، فقال : لقد طعنته طعنةً لو قُسمت بين الناس لما تَوَّأ ، ولقد وجدتُ ريح بطنه في يدي ، فحبسته فدخل عليه السجن قومٌ من الأبناء فقبلوا رأسه . قال : ومات بحير من غدة عند ارتفاع النهار ، فليل لصمصعة : مات بحير ، فقال : اصنعوا بي الآن ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلت نذورُ نساء بني عوف ، وأدركت بئاري ! لا أبالي ما لقيت ، أما والله لقد أمكنني ما صنعتُ خالياً غيرَ مَرَّة ، فكرهت أن أقتله سراً ؛ فقال المهلب : ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا ؛ وأمر بقتله أبا سؤيفة ابن عم لبحير ، فقال له أنس بن طلق : ١٠٥١/٢ ويحك ! قتل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتله ، فشتمه أنس .

وقال آخرون : بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت ، فقال له أنس ابن طلق العيشمي : يا بحير ، إنك قتلت بكيراً ، فاستحيى هذا ، فقال بحير : أدنوه مني ، لا والله لا أموت وأنت حي ، فأذنوه منه ، فوضع رأسه بين رجليه وقال : اصبر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبحير : لعنك الله ! أكلمك فيه وقتله بين يدي ! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزوة أصيب فيها بحير ؛ فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا : علام قُتل صاحبنا ، وإنما طلب بئاره ! فنازعتهم مقاعس والبُطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس ، فقال أهل الحجي : احملوا دم صمصعة ، واجعلوا دم بحير بواءً بيكير

فَوَدَّ وَاصِعَصَّة ، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة :
 لِلَّهِ دَرُّ فِتْيَ تَجَاوَزَ هَمَّهُ دُونَ الْعِرَاقِ مَفَاوِزًا وَبُحُورًا
 مَا زَالِ يَدَّأْبُ نَفْسَهُ وَيَكْغُهَا حَتَّى تَتَاوَلَ فِي خُرُونٍ بَحِيرًا
 قال : وخرج عبدُ ربِّه الكبير أبو وكيع ، وهو من رَهْطِ صَعَصَعَة إلى
 البادية ، فقال لرَهْطِ بُكَيْرٍ : قُتِلَ صَعَصَعَة بِطَلْبِهِ بِدَمِ صَاحِبِكُمْ ،
 فَوَدَّوْهُ ، فَأَخَذَ لَصَعَصَعَة دَيْتَيْنِ .

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 الحجّاجَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ الْعِرَاقِ ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ لِحَرْبِهِ فِي قَوْلِ أَبِي مَخْنَفٍ ،
 وَرَوَاتِهِ لذلِكَ عَنْ أَبِي الْمُخَارِقِ الرَّاسِبِيِّ ، وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ ذلِكَ كَانَ
 فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ .

• ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل

من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافة الحجّاج في هذه السنة :
 قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رُثَيْبِلِ ،
 وكتابه إلى الحجّاج بما كان منه ^(١) هناك ، وبما عُرِضَ ^(٢) عليه من الرأى فيما
 يستقبل من أيامه في سنة ثمانين ^(٣) ، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى
 وثمانين في رواية أبي مخنف ، عن أبي المخارق .

ذكر هشام عن أبي مخنف قال : قال أبو المخارق الراسبي : كتب
 الحجّاج إلى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه :

أما بعد ، فإن كتابك أتاني ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب
 امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى المودعة ، قد صانع عدوا قليلا ذليلا ، قد
 أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً ، وغناؤهم في الإسلام عظيماً .
 لعمرك يا بن أم عبد الرحمن ؛ إنك حيث تكف عن ذلك العدو يجتدي وحدتي

١٠٥٢/٢

لسخبي النفس عمن أصيب من المسلمين . إني لم أعدد رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأي مكيدة ، ولكني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك ، والتيات رأيك ، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسب ذراريهم . ثم أردفه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمر من قبلك من المسلمين فليحرقوا وليقيموا ، فإنها دارهم حتى ينفقها الله عليهم . ثم أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم ، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته .

فقال حين قرأ كتابه : أنا أحمل ثقل إسحاق ؛ فعرّض له ، فقال : لا تفعل ، فقال : وربّ هذا - يعني المصحف - لئن ذكرته لأحد لأقتلنك . فظن أنه يريد السيف ، فوضع يده على قائم السيف ، ثم دعا الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصلاحيكم محب ، ولكم في كل ما يُحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من رأي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوي أعلامكم ، وأولى التجربة للحرب^(١) منكم ، فرضوه لكم رأياً ، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبت^(٢) إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها^(٣) بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيت ، وآبى إذا أبيتم . فتأثر إليه الناس فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكنانى أن أباه كان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد ، فإن الحجاج والله ما يرسى بكم إلا ما رأى القاتل الأول إذ قال

(٢) بعدها في ب ، ف : « بذلك » .

(١) ب ، ف : « منكم الحرب » .

(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه: احمِلْ عَبْدَكَ عَلَى الْقَمَرَسِ، فَإِنْ هَلَكَ هَلَكَ، وَإِنْ نَجَا فَتَك. إِنْ الْحِجَا جَ وَاللَّهِ مَا يَبَالِي أَنْ يَخَاطِرَ بِكُمْ فَيُفَقِّحَ حِمَّكُمْ بِلَادًا كَثِيرَةً اللَّيْثُوبِ وَاللُّصُوبِ^(١)، فَإِنْ ظَفِرْتُمْ فَنَعْتُمْ أَكْثَلَ الْبِلَادِ وَحَازَ الْمَالَ، وَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي سُلْطَانِهِ، وَإِنْ ظَفَرَ عَدُوُّكُمْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْأَعْدَاءُ الْبُغْضَاءُ الَّذِي لَا يَبَالِي عَنْتَهُمْ، وَلَا يَبْقَى عَلَيْهِمْ، اخْلَعُوا عَدُوَّ اللَّهِ الْحِجَا جَ وَبَايَعُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أَوَّلُ خَالِجٍ. فَنَادَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ تَجَانِبٍ، فَعَلْنَا فَعَلْنَا، قَدْ خَلَعْنَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ شُبَيْثِ بْنِ رَيْعَى التَّمِيمِيِّ ثَانِيًا - وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ حِينَ أَقْبَلَ - فَقَالَ: عِبَادَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْحِجَا جَ جَعَلَ هَذِهِ الْبِلَادُ بِلَادَكُمْ مَا بَقِيَتْمْ - وَجَمَعَتْكُمْ تَجْمِيرَ فِرْعَوْنَ الْخَنُودِ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْبُعُوثَ، مَا تَعَانِيُوا الْأَحْبِيَّةَ^(٢) فِيمَا أَرَى أَوْ يَمُوتَ أَكْثَرُكُمْ^(٣). بَايَعُوا أَمِيرَكُمْ، وَانصَرَفُوا لِمَنْ عَدُوُّكُمْ فَانْفَوْهُ عَنْ بِلَادِكُمْ، فَوَثَبَ النَّاسُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَبَايَعُوهُ، فَقَالَ: تَبَايَعُونِي عَلَى خَلْعِ الْحِجَا جَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَلَى النِّصْرَةِ لِي وَجِهَادِهِ مَعِيَ حَتَّى يَنْفِيَهُ اللَّهُ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ. فَبَايَعَهُ النَّاسُ، وَلَمْ يَذْكُرْ خَلْعَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِذْ ذَاكَ بَشْيَاءَ.

١٠٥٥

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ ذَرِّ النَّاصِ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ مَعَهُ هُنَالِكَ - وَأَنَّ ابْنَ مُحَمَّدٍ كَانَ ضَرْبَةً وَجَبَّسَهُ لَانْقِطَاعِهِ كَانَ إِلَى أَخِيهِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ - فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي كَانَ مِنَ الْخِلَافِ دَعَاهُ فَحَمَلَتْهُ وَكَسَاهُ وَأَعْطَاهُ، فَأَقْبَلَ مَعَهُ فِيمَنْ أَقْبَلَ، وَكَانَ قَاصِدًا خَطِيبًا.

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ: حَدَّثَنِي سَيْفُ بْنُ بَشْرٍ الْعِجْلِيُّ، عَنْ الْمُنْخَلِ بْنِ حَابِسِ الْعَبْدِيِّ أَنَّ ابْنَ مُحَمَّدٍ لَمَّا أَقْبَلَ مِنْ سَجِسْتَانَ أَمَرَ عَلَى بُسْتِ عِيَاضَ ابْنَ هَمِيَانَ الْبَسْكَرِيَّ، مِنْ بَنِي سَدُّوسَ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَعَلَى زَرْتَجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ الدَّارِمِيِّ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رُثْبِيلَ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ إِنْ ظَهَرَ فَلَا خِرَاجَ عَلَيْهِ أَبَدًا مَا بَقِيَ، وَإِنْ هُتِمَ فَأَرَادَهُ أَلْجَأَهُ عِنْدَهُ.

(١) اللُّهُوبُ: جَمْعُ لُهِبٍ، وَهُوَ وَجْهٌ مِنَ الْجَبَلِ لَا يُمْكِنُ ارْتِقَاؤُهُ، وَاللُّصُوبُ: جَمْعُ لُصْبٍ، وَهُوَ ضَيْقُ الْوَادِي. (٢-٢) ب، ف: «فِيمَا أَرَى أَوْ يَمُوتُ أَكْثَرُهُمْ».

قال أبو مخنف : حدثني خُشَيْبَةُ بْنُ الْوَلِيدِ الْعَبْسِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مِجِيسْتَانَ مَقْبِلًا إِلَى الْعِرَاقِ سَارِبِينَ يَدِيهِ الْأَعَشَى عَلَى فَرَسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

شَطَطَتْ نَوَى مِنْ دَارُهُ بِالْإِيوَانِ إِيوَانِ كِسْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانِ (١)
مِنْ عَاشِيَةِ أَمْسَى بِزَابُلِسْتَانَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ
كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَّابُ ثَانِ أَمَكَنَّ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانِ
يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ
حِينَ طَعَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
سَارَ بِجَمْعٍ كَالدَّبْيِ مِنْ قَحْطَانِ (٢) وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى أَبْنِ عَدْنَانَ
بِجَحْفَلٍ جَمٍّ شَدِيدِ الْإِرْنَانَ (٣) فَقُلْ لِحِجَّاجٍ وَلِيَ الشَّيْطَانِ
يَثْبُتُ لَجَمْعٍ مَدْحِجٍ وَهَمْدَانِ فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأْسَ الذَّيْفَانِ

١٠٥٧/٢

* وَمُحِقُّوهُ بَقْرَى ابْنِ مَرْوَانَ *

قال : وَبَعَثَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ عَطِيَّةَ بَنِ عَمْرِو الْعَنْبَرِيِّ ، وَبَعَثَ الْحِجَّاجَ إِلَيْهِ الْخَلِيلَ ، فَيَجْعَلُ لَا يَلْقَى نَحِيلًا إِلَّا هَزَمَهَا ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : عَطِيَّةٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى :

فَإِذَا جَعَلَتْ دُرُوبُ فَارِسٍ خَلْفَهُمْ دَرْبًا فَدَرْبًا (٤)
فَابْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخِيُولِ يُكِيَّهُنَّ عَلَيْكَ كِبًا
ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَقْبَلَ يَسِيرُ بِالنَّاسِ ، فَسَأَلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَهُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنْتَ خَالِي ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَأْتِيهِ فَقَدْ سَأَلَ عَنْكَ ! فَكَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِكَرْمَانَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ خَرَّشَةً ابْنِ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ ، وَنَزَلَ أَبُو إِسْحَاقَ بِهَا ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي فِتْنَتِهِ حَتَّى كَانَتْ

(١) هُوَ أَعَشَى هَمْدَانِ ، وَانْظُرِ الْأَغَانِي ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فَهَنَّاكَ رَوَايَةً مُخَالَفَةً .

(٢) الدَّبْيُ : الْجَرَادُ ، وَفِي الْأَغَانِي : « كَالْقَطَا » .

(٣) الْإِرْنَانُ : الضُّوْضَاءُ وَالْجَلْبَةُ .

الجماع ، ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إنا إذا خلعتنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعتنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى
عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي : خلع عبد الملك بن
مروان تيحان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ،
إني خلعت أبا ذبآن^(١) كخلعتي قميصي ، فخلعه الناس إلا قليلا منهم ،
ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعته : تباعون على كتاب الله وسنة
نبيه وخلع أئمة الضلالة^(٢) وسفهاء المحللين ، فإذا قالوا : نعم بايع . فلما
بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبد الملك
يتمثل في آخره بهذه الأبيات ، وهي للحارث بن وعلة :

١٠٥٨/٢

سائل مجاور جرم هل جئيت لهم حرباً تفرق بين الجيرة الخلط^(٣)
وهل سموت بجرار له لجب^(٤) جم الصواهل بين الجم والفرط^(٥)
وهل تركت نساء الحى ضاحية في ساحة الدار يستوقدن بالغبط^(٦)
وجاء حتى نزل البصرة . وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو
بسيستان ، فكتب إليه :

١٠٥٩/٢

أما بعد ، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرر طويل الغى على أمة
محمد صلى الله عليه وسلم . الله الله فانظر^(٧) لنفسك لا تهلكها ؛ ودماء
المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبسعة فلا تسكسها ،
فإن قلت : أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس ،
فلا تعرضها لله في سفك دم ، ولا استحلل محرم والسلام عليك .

(١) أبو ذبان ، كنيته عبد الملك بن مروان ؛ وكان ينز بها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦

(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة واخلعهم » .

(٣) الأغاني ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغاني : « أم هل علوت » .

(٥) الأغاني : « يغشى المحارم بين السهل والفرط » .

(٦) الأغاني : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحد من عل ، وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شرّة في أول مخرجهم ، وصباية إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهلهم ، ويشمّوا أولادهم ، ثم واقفهم عندها ، فإن الله ناصرٌ عليهم إن شاء الله .

فلما قرأ كتابه قال : فعَلَّ الله به وفعل ، لا والله ما لي نَظَر . ولكن لابن عمّه نصّح . لما وقع كتابُ الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، ودعاه فأقرأه الكتاب ، ورأى ما به من الجزع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من قبيل سجستان ، فلا تخفّه ، وإن كان من قبيل خراسان تخوفته . قال : فخرج إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

١٠٦٠/٢

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري . اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سُخْطك . ثم نزل .

وأقام الحجاج بالبصرة وتجهّز ليلقي ابن محمد ، وترك رأى المهلب وفرسان^(١) الشام يسقطون إلى الحجاج ، في كل يوم مائة وخمسون عشرة وأقل على البرد من قبيل عبد الملك ، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر ابن محمد أي كورة نزل ، ومن أي كورة يرتحل ، وأي الناس إليه أسرع .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكرمان ، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم ابن محمد بن الأشعث ، انجسوا معه ، وعزم الحجاج رأيّه على استقبال ابن الأشعث ، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر ، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ العكيّ - أو الجذامي - وعبد الله بن رُمَيْث الطائي ، ومطهر على الفريقين ، فجاءوا حتى انتهوا إلى دُجَيْل ، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له ،

(١) ب ، ف : « وسار » .

عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلثمائة فارس — وكانت مسلحة له وللجند — فلما انتهى إليه مطهر بن حرّ أمر عبد الله بن رُمَيْثَةَ الطائي فأقدم عليهم ، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه ، وجرح أصحابه .

١٠٦١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الهمداني ، قال : كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال : اعبروا إليه من هذا المكان ، فأفحم الناس خيولهم فجعل من ذلك المكان الذي أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرع من أن عبّر عظم خيولنا ، فما تكاملت حتى حملنا على مطهر بن حرّ والطائي فهزمناهما يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قتلاً ذريعاً ، وأصبنا عسكرهم ، وأنت الحجاج الهزيمية وهو يخطب ، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجس فأخبره بهزيمة الناس ، فقال : أيتها الناس ، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة ، فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند . ثم انصرف راجعاً وتبعته خيول أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذاً قتلوه ، وأصابوا ثِقلاً حووه ، ومضى الحجاج لا يلكي على شيء حتى نزل الزاوية ، وبعث إلى طعام التجار بالكلاء ^(١) فأحذه فحمله إليه ، وخطى البصرة لأهل العراق . وكان عامله عليها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعاً دعا بكتاب المهلب ، فقرأه ثم قال : لله أبوه ! أي صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأي ، ولكننا لم نقبل .

* * *

وقال غير أبي مخنف : كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط ، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رُسْتُقْبَاد وهي من دَسْتَوَى من كور الأهواز ، فعسكر بها ، وأقبل ابن الأشعث فتزل تُسْتَر : وبينهما نهر ، فوجه الحجاج مُطَهَّر ابن حرّ العسكي في ألفي رجل ، فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث ، وصار ابن

١٠٦٢/٢

الأشعث مبادراً، فواقعتهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى، وثمانين فيقال :
لأنهم قتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمائة ، وجاءه الباكون منهزمين ، ومعه
يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقتها في قوادده، وضمنهم إياها، وأقبل
منهزماً إلى البصرة. وخطب ابن الأشعث أصحابه فقال : أما الحجاج فليس
بشيء ، ولكننا نريد غزو عبد الملك ، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج ،
فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونة ، فرشاه الحكيم
ابن أيوب مائة ألف ، فكف عنه . ودخل الحجاج البصرة ، فأرسل إلى
ابن عامر فانتزع المائة الألف منه .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني .
فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج ،
وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرأتها وكهولها ، وكان رجل من الأزديين
الجهمي يقال له عقبة بن عبد الغافر له صحابة ، فتزايغ^(١) عبد الرحمن
مستبصراً في قتال الحجاج ، وحنق الحجاج عليه ، وحنق عبد الرحمن
على البصرة . وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة
إحدى وثمانين .

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك ، كذا حدثني أحمد
ابن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال الواقدي ، وقال : في هذه السنة ولد ابن أبي ذئب .
وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان ، وعلى العراق
والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعلى حرب خراسان المهلب ، وعلى خراسانها
المغيرة بن مهلب من قبيل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن
أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية. ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني ١٠٦٤/٢ قال: كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في المحرم من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم. ثم إن أهل العراق هزموهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلوهم على خنادقهم، وانهزمت عامة قريش وثقيف، حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكتابه:

فر البراء وابن عمه مضعب وفرت قريش غير آل سعيد ثم إنهم تزاحفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام، فنكصت ميمنتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتقوض صفهم؛ حتى دنوا منا، فلما رأى الحجاج^(١) ذلك جثا على ركبتيه، وانتفضى نحواً من شبر من سيفه، وقال: لله در مضعب! ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفر. قال: فغمزت أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربه بسيفي، فغمزتي غمزة شديدة، فسكنت^(٢)، وحانت مني التفاتة، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزّمهم من قبل الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزّم العدو. فقال لي: قم فانظر؛ قال: فقممت فنظرت؛ فقلت: قد هزّمهم الله، قال: قم يا يزيد فانظر؛ قال: فقام فنظر فقال: الحق أصلحك الله يقيناً^(٣) قد هزّموا، فخرّ ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردت أن تهلكني وأهل بيتي.

١٠٦٥/٢

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «فسكت».

(٣-٢) ب، ف: «أيها الأمير أصلحك الله».

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عَوْسَجَة أَبُو سُفْيَانِ النَّهْمِيّ ، وقتل عقبه ابن عبد الغافر الْأَزْدِيّ ثُمَّ الْجَهْضَمِيّ ، في أولئك القراء في رِبْضَة ^(١) واحدة ، وقتل عبد الله بن رِزَامِ الْحَارِثِيّ ، وقتل المنذر بنُ الْجَارُودِ ، وقتل عبد الله ابن عامر بن مِسْمَعٍ ، وأتى الحجاجُ برأسه ، فقال : ما كنتُ أرى هذا فارقي حتى جاءني الآن برأسه ؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتله ، وزعموا أنه كان مولئى للفضل ^(٢) بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، كان شجاعاً يُدْعَى نُصَيْرًا ، فلما رأى مشيته بين الصّفيّين ، وكان يلومه على مشيته قال : لا ألومه على هذه المشية أبداً .

وقتل الطفيل بن عامر بن وائلة ، وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كَرَمَانَ إلى الحجاج :

أَلَا طَرَقْتُنَا بِالْغَرِيِّينَ بَعْدَمَا كَلَلْنَا عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ جُنُوبُ
أَتَوْكَ يَقْوَدُونَ الْمَنَابِا وَإِنَّمَا هَدَتْهَا بِأَوْلَانَا إِلَيْكَ ذُنُوبُ
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
أَلَا أَبْلِغِ الْحَجَّاجَ أَنَّ قَدْ أَظْلَهُ عَذَابُ بَأْيَدِي الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبُ
مَتَى نَهْبِطُ الْمَصْرِينَ يَهْرُبُ مُحَمَّدٌ وَلَيْسَ بِمُنْجِي ابْنِ اللَّعِينِ هُرُوبُ
قال : مَنِيَّتَنَا أَمْرًا كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّكَ أَوْلَى بِهِ ، فَعَجَّلَ لَكَ فِي الدُّنْيَا ،
وهو معذبك في الآخرة . وانهزم الناس ، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه
من كان معه من أهل الكوفة ، وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من
أهل البصرة .

ولما مضى عبدُ الرحمن نحو الكوفة وتب أهل البصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ، ثم انصرف فلاحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة فلاحقوا به ، وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة — وكان جريحاً — إلى سَقَوَانَ فَاتَ مِنْ جِرَاحَتِهِ ،

(١) الرِبْضَة بكسر الراء وسكون الباء ؛ مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة .

(٢) ط : « المفضل » ، تصحيف .

وَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ زِيَادُ بْنُ مُقَاتِلِ بْنِ مِيسَمٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَامَتْ حَمِيدَةُ ابْنَتُهُ تَسَدُّبُهُ ، وَكَانَ عَلَى خُمْسِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَعَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَتْ :

وَحَامَى زِيَادٌ عَلَى رَايَتَيْهِ^(١) وَفَرَّ جُدَىُّ بْنُ الْعَنْبَرِ
فَجَاءَ الْبَلَتَعُ السَّعْدِيُّ فَسَمِعَهَا وَهِيَ تَسَدُّبُ أَبَاهَا ، وَتَعِيبَ التَّمِيسِيَّ ، فَجَاءَ
وَكَانَ يَبِيعُ سَمْتًا بِالْمِرْبَدِّ ، فَتَرَكَ سَمْتَهُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ ، وَجَاءَ حَتَّى قَامَ تَحْتَهَا
فَقَالَ :

عَلَامَ تَلُومِينَ مِنْ لَمْ يُلِمَ تَطَاوَلَ لَيْلُكَ مِنْ مُعْصِرِ !
فَإِنْ كَانَ أَرْدَى أَبَاكَ السَّنَانُ فَقَدْ تَلَحَّقَ الْخَيْلُ بِالْمَذِيرِ
وَقَدْ تَنْطَحُ الْخَيْلُ تَحْتَ الْعَجَا جَ غَيْرَ الْبَرَى وَلَا الْمُعْذِرِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا لَوَاءَ الْحَرِيشِ وَطَاحَ لَوَاءُ بَنِي جَحْدَرِ

فَقَالَ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ يَرِثِي ابْنَهُ طُفَيْلًا :

خَلَى طُفَيْلٌ عَلَى الْهَمِّ فَانْشَعَبَا وَهَدَّ ذَلِكَ رُكْنِي هَدَّةً عَجَبًا^(٢)
وَابْنِي سُمَيَّةً لَا أَنْسَاهَا أَبَدًا فِيمَنْ نَسِيتُ وَكُلَّ كَانَ لِي نَصَبًا^(٣)
وَأَخْطَأْتَنِي الْمَنَايَا لَا تُطَالَعْنِي حَتَّى كَبُرْتُ وَلَمْ يَتْرُكْنِي لِي نَشَبًا
وَكُنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كَالَّذِي نَضَبْتُ عَنْهُ الْمِيَاهُ وَفَاضَ الْمَاءُ فَانْقَضَبَا
فَلَا بَعِيرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ يَرْكَبُهُ وَإِنْ سَعَى إِثْرُ مَنْ قَدْ فَاتَهُ لُغَبَا
وَسَارَ مِنْ أَرْضِ خَاقَانَ الَّتِي غَلَبَتْ أَبْنَاءَ فَارِسٍ فِي أَرْبَائِهَا غَلَبَا
وَمَنْ سَجِسْتَانَ أَسْبَابُ تَرْزِنُهَا لَكَ الْمَنِيَّةُ حَيْنًا كَانَ مُجْتَلَبَا
حَتَّى وَرَدَتْ حِيَاضُ الْمَوْتِ فَانْكَشَفَتْ عَنْكَ الْكَتَائِبُ لَا تَخْفَى لَهَا عَقَبَا
وَعَادَرُوكَ صَرِيحًا رَهْنُ مَعْرَكَةٍ تُرَى النُّسُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِهَا عُصَبَا

(١) ط : « حامى » . (٢) الأغاني ١٥ : ١٥٣ ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) الأغاني : « وصبا » .

تَعَاهَدُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْفُوا بِمَا عَاهَدُوا وَأَسْلَمُوا لِلْعَدُوِّ السَّيِّئِ وَالسَّلْبَا
يَا سَوْءَةَ الْقَوْمِ إِذْ تُسَبَّى نِسَاؤُهُمْ وَهُمْ كَثِيرٌ بَرَوْنَ الْخَزْيَ وَالْحَرْبَا

قال أبو مخنف : فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل
الثقفي أن الحجاج أتم بقية الحرم وأول صفر، ثم استعمل على البصرة أيوب
ابن الحكم بن أبي عقيل، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة، وقد كان الحجاج
خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي، حليف حرب
ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مخنف - كما حدثني يونس بن أبي إسحاق : إنه كان على أربعة
آلاف من أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهمي أنهم كانوا
الفين ، وكان حنظلة بن الرراد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب
ابن ورقاء على المدائن ، وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة ،
فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة ، فتحصن
منه ابن الحضرمي في القصر ، ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية يابن
الحضرمي ومن معه من أهل الشام فحاصروهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلوه
والقصر ، فصالحهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رأى رآهم يتزلون من
القصر على العجبل ، وفتح باب القصر لمطر^(١) بن ناجية ، فآذ حتم الناس على
باب القصر ، فزحم مطر على باب القصر ، فاخترط سيفه ، فضر به جحفلة
بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من القصر ، فألقى جحفلة ودخل
القصر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم . قال يونس : وأنا رأيتهما
تقسم بينهما ، وكان أبو السرفيمن أعطيها . وأقبل ابن الأشعث منهزماً إلى
الكوفة ، وتبعه الناس إليها .

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دَيْرِ الْجَمَامِج بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم. قال الواقدي: كانت وقعة دَيْرِ الْجَمَامِج في شعبان من هذه السنة، وفي قول بعضهم: كانت في سنة ثلاث وثمانين. * ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دَيْرِ الْجَمَامِج وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها:

ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير المصنفاني ثم الأرحبي، قال: كنت قد أصابتني جراحة، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل، فاستقبلوه بعد ما جاز قنطرة زبارا^(١)، فلما دنا منها قال لي: إن رأيت أن تعدل عن الطريق - فلا يرى الناس جراحتك فإني لا أحب أن يستقبلهم الجرحى - فافعل. فعدلتُ ودخل الناس، فلما دخل الكوفة مالَ إليه أهل الكوفة كلهم، وسبقتُ همدان إليه، فحفت به عند دار عمرو بن حريث إلا طائفة من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية، فأرادوا أن يقاتلوا دونَه، فلم يُطيقوا قتال الناس. فدعا عبد الرحمن بالسلالم والعجّل، فوضعتُ لِيَصْعَدَ الناسُ القَصْرَ، فصعد الناسُ القصر فأخذوه، فأتي به عبد الرحمن بن محمد، فقال له: استبقني فإني أفضلُ فرسانك وأعظمهم عنك غنًا، فأمر به فحبس، ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه. وبأيعه مطر، ودخل الناس إليه فبايعوه، وسقطَ إليه أهل البصرة، وتفقّضتُ إليه المسالِحَ والثغور، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعرف بذلك، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثًا، فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان، فقال: قاتل الله عدِي الرَّحْمَنِ، إنه قد فرّ! وقاتل غلمان من غلمان قريش بعده ثلاثًا. وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البرّ حتى مرّ بين القادسية والعدّيب، ومنعوه من نزول القادسية، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصريين

١٠٧١/٢

١٠٧٢/

(١) ب: «زبارا»، س: «ديارا».

فنعوه من نزول القادسيّة ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادى السباع ، ثمّ تسايروا حتى نزل الحجاج ديرَ قُرّة ، ونزل عبدُ الرحمن بنُ العباس ديرَ الجماجم ، ثمّ جاء ابن الأشعث فنزل بديرِ الجماجم والحجاج بديرِ قُرّة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبدُ الرحمن يزجُر الطيرَ حيث رآنى نزلتُ ديرَ قُرّة ، ونزل ديرَ الجماجم !

واجتمع أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة وأهلُ الثغور والمسالخ بديرِ الجماجم والقرّاء من أهلِ المِصرين ، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، وجمعتهم عليه بغضهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مُقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم . وجاءت الحجاج أيضاً أمداده ^(١) من قبيل عبد الملك من قبل أن ينزل ديرَ قُرّة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل ديرَ قُرّة أن يرتفع إلى هَيْتَ وناحية الجزيرة لإرادة أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيه المددُ من الشام من قريب ، ويقترب من رفاغة سِعْر الجزيرة ، فلما مرّ بديرِ قُرّة قال : ما بهذا المنزل بُعدٌ من أمير المؤمنين ، وإنّ الفلاليج وعين التمر إلى جَنْبِنَا . فنزل فكان في عسكره نخندقا وابن محمد في عسكره نخندقا ، والناس يخرجون في كلّ يوم فيقتتلون ، فلا يزال أحدهما يُدْنِي خندقه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خندقاً أيضاً ، وأدنى خندقه من صاحبه . واشتدّ القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رءوس قريش وأهلُ الشام قبيل عبد الملك ومواليه قالوا : إن كان إنما يُرْضِي أهل العراق أن يُتْرَعَ عنهم الحجاج ، فإنّ نزع الحجاج أيسرُ من حَرْب أهل العراق ، فانزعه عنهم تُخْلَص لك طاعتهم ، وتحقن به دِمَانَا ودِمَاءُهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض المتوصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمعوا جميعاً عنده ؛ كلاهما في جُنْدِيَهُمَا ، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يُجْرَى عليهم أعطياتهم كما تُجْرَى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن محمد أى بلد من عراق شاء ، يكون عليه والياً ما دام حياً ، وكان عبد الملك والياً ؛ فإن هم قبلوا ذلك عُزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

أمير العراق ، وإن أبوا أن يقبلوا فالحججاج أمير جماعة أهل الشام وولى القتال ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعته . فلم يأت الحججاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغبط له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم ، فكتب إلى عبد الملك :

يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلّا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلّا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوئوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان ، فلما سألم ما يريدون قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ! إن الحديد بالحديد يفتلح . خار الله لك فيما ارتأيت . والسلام عليك . ١٠٧٤/٢

فأبى عبد الملك إلّا عرض هذه الخصال على أهل العراق لإرادة العافية من الحرب . فلما اجتمعا مع الحججاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال التى ذكرنا . وقال محمد بن مروان : أنا رسول أمير المؤمنين إليكم ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال . قالوا : نرجع العشية . فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلّا أنه ، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فقد أعطيتم أمراً انتهزكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذى الرأى غدا حسرة ، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر . فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء . والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون^(١) . فلا والله^(٢) لا زلتم عليهم جرءاء ، ولا زلتم عندهم أعزاء ، إن أنتم قبلتم أبدا ما بقيتم . ١٠٧٥/٢

فؤب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم ، فأصبحوا فى

(١) ب : « منتقصون » .

(٢) ب ، ف : « فواقه » .

الزَّل والضَّنك والحجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسعر الرفيع ^(١) ، والمادة القريبة ، لا والله لا نقبل .

فأعادوا خلعه ثانية . وكان عبد الله بن ذواب السلمى وعمير بن تيحان أول من قام بخلعه فى الجماجم ، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم ^(٢) أجمع من خلعههم إياه بفارس .

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك ، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع ، فقال : قد قلت لكما : إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما ، وإنما سلطاني سلطانكما ، فكانا إذا لقياه سلما عليه بالإمرة ، وقد زعم أبو يزيد السكسكى أنه إنما كان أيضا يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما ، وخلياه والحرب فتولاها .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماجم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إن بنى مروان يعيرون بالزرقاء ، والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بنى أبى العاص أعلام من أهل صقورينة ، فإن يكن هذا الأمر فى قريش فعنى فقتت ببيضة قريش ، وإن يك فى العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس - ومد بها صوته يسمع الناس - وبرزوا للقتال ، فجعل الحجاج على يمينته عبد الرحمن ابن سليم الكلبي ، وعلى يسارته عمار بن تميم اللخمي ، وعلى خيله سفيان ابن الأبرد الكلبي ، وعلى رجاله عبد الرحمن ^(٣) بن حبيب ^(٤) الحكمي ، وجعل ابن الأشعث على يمينته الحجاج بن جارية الخثعمي ، وعلى يسارته الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبى وقاص ، وعلى محففته ^(٥) عبد الله بن رزام الحارثي ، وجعل على القراء جبيلة بن زحر بن قيس الجعفي ،

(١) السعر الرفيع : السهل . (٢) ب ، ف : « يدبر الجماجم » .

(٣) ب ، ف : « الله » . (٤) ابن الأثير : « خبيب » .

(٥) الخيل المحففة : التي عليها التجفاف ، وهو ما جليل به من سلاح .

وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش ، وكان فيهم عامر الشعبي ، وسعيد ابن جبير ، وأبو البخترى الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

ثم لأنهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون ؛ وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاعوا من خصبهم ، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد ، قد غلت عليهم الأسعار ، وقتل عندهم ، الطعام ، وفققدوا اللحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يغادون أهل العراق ويرأو حوئهم ، فيقتتلون أشد القتال ، وكان الحجاج يُدنى خندقه مرة ومرة أخرى ، حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبلة بن زحر . ثم لأنه بعث إلى كُمَيْل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوت في الناس ، وكانت كتيبته تُدعى كتيبة القراء ، يُحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ، ويحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناس ، فعبى الحجاج أصحابه ، ثم زحف في صفوفه ، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض ، وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي ، فأقبلوا نحوهم .

١٠٧٧/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في الخيل التي عسيبت لجبلة بن زحر ، قال : حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ؛ كل كتيبة تحمل حملة ، فلا والله ما استنقصنا منهم شيئاً .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب]

وفي هذه السنة توفى المغيرة بن المهلب بخراسان .

ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : كان المغيرة بن المهلب خليفة أبيه بمرو على عمله كله ، فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين ، فأتى الخبر يزيد ، وعلمه أهل العسكر فلم يُخبروا المهلب ، وأحب يزيد أن يبلغه ، فأمر النساء فصرخن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترجع ، وجزع حتى ظهر بجزعه عليه ، فلأمه بعض خاصته ، فدعا يزيد فوجهته إلى مَرَوْ ، فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تسحدر على لحيته . وكتب الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة ، وكان سيدها ، وكان ١٠٧٨/٢ المهلب يوم مات المغيرة مقيماً بكيس وراء النهر لحرب أهلها .

قال : فسار يزيد في ستين فارساً - ويقال : سبعين - فيهم مُجَاعَة بن عبد الرحمن العسكي ، وعبد الله بن مُعَمَّر بن مُسَمِّر اليشكري ، ودينار السجستاني ، والهيثم بن المنخل الجرموزي ، وغزوان الإسكاف صاحب زَمَ - وكان أسلم على يد المهلب - وأبو محمد الزمي ، وعطية - مولى لعتيك - فلقبهم خمسمائة من الترك في مَقَاذِرَ نَسَفَ ، فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجار ؟ قالوا : فأين الأثقال ؟ قالوا : قد مناهنا ؛ قالوا : فأعطونا شيئاً ، فأبى يزيد ، فأعطاهم مُجَاعَة ثوباً وكرابيس وقوساً ، فانصرفوا ثم غدرُوا وعادُوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنت أعلمُ بهم فقاتلُوهم ، فاشتد القتال بينهم ، ويزيد على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجلٌ من الخوارج كان يزيد أخذَه ، فقال : استبقني ؛ فن عليه ، فقال له : ما عندك ؟ فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلاً ، ثم كرفخالطهم حتى تقدمهم وقتل رجلاً ثم رجع^(١) إلى يزيد . وقتل يزيد عظيمًا من عظمائهم . ورعى يزيد في ساقه ، واشتدت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزمي ، وصبر لم يزيد حتى حاجزوه ، وقالوا : قد غدرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعاً أو نموتوا أو تعطونا شيئاً ، فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً ، فقال مُجَاعَة : أذكرك الله ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشدك الله أن تصاب اليوم !

قال : إن المغيرة لم يعد أجله ، ولست أعدو أجلى . فرمى إليهم مُجَاعَة بعمامة صفراء فأخذوها وانصرفوا ، وجاء أبو محمد الزمي بفوارس وطعام ، فقال له يزيد : أسلمتنا يا أبا محمد ؛ فقال : إنما ذهب لأجيتكم بمدد وطعام ، فقال الراجز :

يزيدُ يا سَيْفَ أبى سعيدٍ قد علمَ الأَقوامُ والجنودُ
والجمعُ يَوْمَ المجمعِ المشهودِ أنك يومَ التُّركِ صَلَبُ العودِ
وقال الأشقرى :

والتُّركُ تعلمُ إذ لاقى جُموعَهُمُ أنْ قد لقوهُ سُهَاباً يَفْرِجُ الظُّلُمَا
بِفَتِيَّةٍ كَأَسْوَدِ العَابِ لم يَجِدُوا غيرَ النَّاسِ وغَرَ الصَّبِرِ مُعْتَصِمَا
نرى شَرَائِجَ تَخْشى القومَ من عَنِّي وما أرى نبوةً منهم ولا كَزَمَا
وتَحْتَهُمُ قَرَحٌ يَرَكِبْنَ ما رَكِبُوا من الكَرِهَةِ حتَّى يَنْتَلِعْنَ دَمَا
فى حَازِرَةِ المَوْتِ حتَّى جَنَّ لَيْلُهُمُ كِلَا الفَرِيقَيْنِ ما وَلَّى ولا انْهَزَمَا

١٠٨٠/٢

وفى هذه السنة صالح المهلب أهل كس^(١) على فِدْيَةٍ، ورحل عنها يريد مَرَوْ.

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس

ذكر على بن محمد ، عن الفضل بن محمد ، أن الهباب اتهم قومًا من مَصْرَ فحبسهم وقتل من كس وخلفهم ، وخلف حرث بن قُطَيْبَةَ مولى خِزْرَةَ ، وقال : إذا استوفيت الفدية فردَّ عليهم الرهن . وقطع النهر فلما صار بسلخ أقام بها وكتب إلى حرث : إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك ، فإذا قبضت الفدية فلا تخل الرهن حتى تقدم أرض سلخ . فقال حرث للملك كس : إن المهلب كتب إلى أن احبس الرهن حتى أقدم أرض سلخ ، فإن عجزت لي ما عليك سلمت إليك رهاثتك ، وسرت فأخبرته أن كتابه ورد ، وقد سرغت ما عليكم ، ورددت عليكم الرهن ، فعجل لهم صلحتهم ، وردَّ عليهم من كان فى أيديهم منهم . وأقبل فعرض لهم الترك ، فقالوا : افد نفسك ومن معك ، فقد لقينا

(١) ط : « كس » ، وكس مدينة تقارب سمرقند .

١٠٨١/٢

يزيد بن المهلب فقدى نفسه. فقال حُرَيْث: ولدَتْنِي إِذَا أُمُّ يَزِيدَ! وَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلَهُمْ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ أَسْرَى فَقَدَوْهُمْ، فَنَزَعُوا عَنْهُمْ وَخَلَّاهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْفِدَاءَ. وَبَلَغَ الْمُهَلَّبُ قَوْلَهُ: وَلَدَتْنِي أُمُّ يَزِيدَ إِذَا، فَقَالَ: يَا نَفْسَ الْعَبْدِ أَنْ تَكْلَهُ رَحِمَهُ! وَغَضِبَ.

فلما قدم عليه بَلَخَ قَالَ لَهُ: أَيْنَ الرَّهْنُ؟ قَالَ: قَبِضْتُ مَا عَلَيْهِمْ وَخَلَّيْتُهُمْ، قَالَ: أَلَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكَ أَلَّا تَخْلِيَهُمْ! قَالَ: أَنَا نِيَّتُكَ وَقَدْ خَلَّيْتُهُمْ، وَقَدْ كُنْفَيْتُ مَا خَفْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَقْرَبُتْ إِلَيْهِمْ وَإِلَى مَلَكَهِمْ فَأُطْلَعَتَهُ عَلَى كِتَابِي إِلَيْكَ. وَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ، فَجَزَعَ مِنَ التَّجْرِيدِ حَتَّى ظَنَّ الْمُهَلَّبُ أَنَّ بِهِ بَرَصًا، فَجَرَّدَهُ وَضَرَبَهُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا. فَقَالَ حُرَيْث: وَدِدْتُ أَنَّهُ ضَرَبَنِي ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَلَمْ يَجْرِدْنِي، أَنَفَقًا وَاسْتِحْيَاءَ مِنَ التَّجْرِيدِ، وَحَلَفَ لِيَقْتُلَنَّ الْمُهَلَّبَ.

فَرَكِبَ الْمُهَلَّبُ يَوْمًا وَرَكِبَ حُرَيْثُ، فَأَمَرَ غُلَامَيْنِ لَهُ وَهُوَ يَسِيرُ خَلْفَ الْمُهَلَّبِ أَنْ يَضْرِبَاهُ، فَأَبَى أَحَدُهُمَا وَتَرَكَهُ وَانصَرَفَ، وَلَمْ يَجْعَرْهُ الْآخَرُ لَمَّا صَارَ وَحْدَهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَغُلَامِهِ: مَا مَنَعَكَ مِنْهُ؟ قَالَ: الْإِشْفَاقُ وَاللَّهُ عَلَيْكَ، وَاللَّهُ مَا جَزَعْتُ عَلَى نَفْسِي، وَعَلِمْتُ أَنَا إِنَّ قَتْلَانَهُ أَتَكَ سَتُقْتَلُ وَنَقْتَلُ، وَلَكِنْ كَانَ نَظَرِي لَكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْلَمُ مِنَ الْقَتْلِ لَقَتَلْتُهُ.

١٠٨٢/٢

قَالَ: فَتَرَكَ حُرَيْثُ إِيَّانَ الْمُهَلَّبِ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ وَجَّعٌ، وَبَلَغَ الْمُهَلَّبُ أَنَّهُ تَمَارَضَ وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْقَتْلَ بِهِ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لثَابِتِ بْنِ قُطَيْبَةَ: جَنِّ بِأَخِيكَ، فَإِنَّمَا هُوَ كِبَعُضٌ وَلَدِي عِنْدِي، وَمَا كَانَ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ إِلَّا نَظَرًا لَهُ وَأَدَبًا، وَلَرُبَّمَا ضَرَبْتُ بَعْضَ وَلَدِي أَوْدَّ بِهِ. فَأَتَى ثَابِتُ أَخَاهُ فَنَاشَدَهُ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْكَسَ إِلَى الْمُهَلَّبِ، فَأَبَى وَخَافَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَجِئُهُ بَعْدَ مَا صَنَعَ بِي مَا صَنَعَ، وَلَا أَمْنُهُ وَلَا يَأْمَنُنِي. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَخُوهُ ثَابِتُ قَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ كَانَ هَذَا رَأْيُكَ فَاخْرُجْ بِنَا إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ، وَخَافَ ثَابِتُ أَنْ يَسْقِيَهُ حُرَيْثُ بِالْمُهَلَّبِ فَيَقْتُلُونِ جَمِيعًا؛ فَخَرَجَا فِي ثَلَاثَةِ مَنَ شَاكِرَتَيْهِمَا وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِمَا مِنَ الْعَرَبِ.

[خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفّي المهلب بن أبي صفرة .

* ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته :

قال علي بن محمد : حدثني المفضل ، قال : مضى المهلب منصوراً من كسّ يريد مرواً ، فلما كان بزاغول من مرو الروذ أصابته الشوصة - وقوم يقولون : الشوكة^(١) - فعدا حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أفرونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرّحيم ، فإن صلة الرّحيم تُنسي في الأجل ، وتُشري المال ، وتُكثّر العُدّة ؛ وأنها كم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعقب النار ، وتورث الذلّة والقلّة ، فتحابّوا وتواصلوا ، وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا ، وتباروا تجمع أموركم ؛ إن بني الأم يختلفون ، فكيف ببني العتلات ! وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ، فإنّي أحبّ للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه ، واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك . اعرفوا لمن يغشاكم حقّه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحبّوا العرب واصطنعوا العرف ، فإن الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف الصنعة عنده ! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوّه قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثمّ ظفر فحمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل : ما فرط ولا ضيّع ، ولكنّ القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن ، وأدب الصالحين ، وإياكم والحيف وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجُند حتى يتقدم بهم على يزيد ، فلا تُخالقوا يزيد ، فقال له المفضل : لو لم تقدّمه لقدّمناه .

(١) في اللسان : « الشوصة » : ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا ، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الحواش . وفيه أيضاً : « الشوكة داء كاطاعون » .

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلّى عليه حبيب، ثم سار إلى مرو .
 وكتب يزيد إلى عبد الملك ب وفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج^(١).
 ويقال : إنه قال عند موته ووصيته : لو كان الأمر إلىّ لوليتُ سيد ولدي
 حبيباً . قال : وتوفّي في ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين ، فقال نهار بن
 تسمية التميمي :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى	ومات الندى والجود بعد المهلب ^(٢)
أَقَامَا بِمِرْوَالِرُودٍ رَهْنَى ضَرِيحِهِ	وقد غيباً عن كلّ شرقٍ ومغربٍ
إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ أُولَىٰ بِنِعْمَةٍ	على الناس؟ قلناه ولم نتهيب
أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَحَزَنَهَا	بخيلٍ كآرسال القطّ المتسرب
يُعْرِضُهَا لِلطَّعْنِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا	يُجَلِّلُهَا بِالْأَرْجَوَانِ الْمُخْضَبِ
تُطِيفُ بِهِ قَحْطَانٌ قَدْ عَصَبَتْ بِهِ	وأحلافها من حيّ بكرٍ وتغلب
وَحَيًّا مَعْدُ عُوْذٌ بِلِوَاهِ	يُفْدُونَهُ بِالنَّفْسِ وَالْأَمِّ وَالْأَبِ

* * *

وفي هذه السنة ولي الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد
 موت المهلب .

وفيهما عزّل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة ؛ قال الواقدي : عزله
 عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة .

قال : وفيها ولّى عبد الملك هشام بن إسماعيل الخزومي المدينة . وعزّل
 هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري ، وكان
 يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة ، فلما عزّل يحيى ووليها أبان
 ابن عثمان أقره على قضائها ؛ وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة
 أشهر وثلاث عشرة ليلة ، فلما عزّل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق
 عن القضاء ولّى مكانه عمرو بن خالد الزرقى .

(١) ابن الأثير : « فلما توفى كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاة ، فأقر يزيد على خراسان » .

(٢) البيت الأول والثاني في كتاب المعمرين ١٤٣ .

وحجّ بالناس في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، كذلك حدّثني أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي معشر .
 وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاجُ ، وعلى خراسان يزيدُ بنُ المهلب من قبل الحجاج .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم .
١٠٨٦/٢

* ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال : حدثني أبو الزبير الهمداني، قال : كنت في خيـل جبـلة بن زحل، فلما حـمـل عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا^(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال : يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم؛ إني سمعتُ علياً^(٢) - رفع الله درجته في الصالحين ، وأثابته^(٣) أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين^(٤) - يقول يوم لقينا أهل الشام : أيها المؤمنون ، إنه من رأى عدواناً يُعـمـل به ، ومُنـكـراً يُدعى إليه ، فأثـبـره بقلـبه فقد سـلـم وبـرئ ، ومن أنكر بلسانه فقد أجـر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، ونور في قلبه اليقين^(٥) . فقاتلوا هؤلاء المُـحـلـدِـيـن المُـحـدِـثِـيـن المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه ، وعملوا بالعدوان فليس يُشكرونه .

وقال أبو البختري : أيتها الناس ، قاتلوهم على دينكم ودنياكم ، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم ، وليغليسن على دنياكم .
وقال الشعبي : يا أهل الإسلام ، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ،

(١) ب : « نادى يا » ، ابن الأثير : « نادى جبلة يا » .

(٢) ب : « علي بن أبي طالب » . (٣ - ٣) ب : « ثواب الصديقين والشهداء » .

(٤) نهج البلاغة ٢ : ٢٢٤ .

فوالله ما أعلم قومًا على بَسِيطِ الأرض أعمَل بِظُلْمٍ ، ولا أَجَوَرَ منهم في الحُكْمِ ^(١) ، فليكن بهم البدار . ١٠٨٧/٢

وقال سعيد بن جُبَيْر : قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيةً وبقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جَوَرِهِمْ في الحُكْمِ ، وتجبرهم في الدين ، واستذلّ إليهم الضعفاء ، وإمامتتهم الصلابة .

قال أبو مخنف ، قال أبو الزبير : فتهيأنا للحملة عليهم ، فقال لنا جبلة : إذا حملتم عليهم فاحملوا حملةً صادقة ، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفّهم . قال : فحملنا عليهم حملةً بجدةً منا في قتالهم ، وقوةً منا عليهم ، فضربنا الكتائب الثلاث حتى اشتفت ^(٢) ، ثم مضينا حتى واقعنا صفّهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه ، ثم انصرفنا فررنا بجملة صريعًا لا ندرى كيف قُتل .

قال : فهدّنا ذلك وجبنا فوقفنا موقفنا الذي كنّا به ، وإن قرأنا المتوافرون ، ونحن ننتسعي جبلة بن زحر بيننا ، كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو في ذلك الموطن كان أشدّ علينا فقدًا . فقال لنا أبو البختري الطائي : لا يستبينن فيكم قتل جبلة بن زحر ، فإنما كان كرجل منكم أتته منيته ليومها ، فلم يكن ليتقدّم يومه ولا ليتأخّر عنه ، وكلّكم ذائق ما ذاق ، ومدعو فجيّب . قال : فنظرت إلى ^(٣) وجوه القراء فإذا الكآبة على وجوههم بيّنة ، وإذا ألسنتهم منقطعة ، وإذا الفسّسل فيهم قد ظهر ، وإذا أهل الشام قد سرّوا وجدّوا ، فنادوا ^(٤) : يا أعداء الله ، قد هلككم وقد قتل الله طاغوتكم ^(٥) . ١٠٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا ، وتبعونا ، وافترق منا فرقة فكانت ^(٦) ناحية ، فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا ، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على

(١) ب : « بحكم » . (٢) اشتفت : افترت . (٣) ب : « في » . (٤) ب : ف : « فنادونا » . (٥) ب ، ف : « طاغيتكم » . (٦) ب ، ف : « فقامت » .

رأس رهوة ، فقال بعضنا ، هذا والله جبيلة بن زحر ، احملاوا عليه ما دام أصحابه مشاغلي بالقتال عنه لعلكم تصيبونه . قال : فحملنا عليه ، فأشبهه ما ولّى ، ولكن حمل علينا بالسيف . فلما هبط من الرهوة ^(١) شجرناه بالرمح فأذريناه عن فرسه فوقع قتيلاً ، ورجع أصحابه ، فلما رأيناهم مقبلين تنحيناه عنهم ، فلما رأوه قتيلاً رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قرت به أعيننا ، قال : فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا وخروجهم إلينا .

* * *

قال أبو مخنف : حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهمي ، قال : لما أصيب جبيلة هذ الناس مقتله ، حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فشجع الناس مقدمه ، وقالوا : هذا يقوم مقام جبيلة ، فسمع هذا القول من بعضهم أبو البختري ، فقال : قبّحتم ! إن قتل منكم رجل ^(٢) واحد ظننتم أن قد أحيط بكم ، فإن قُتل الآن ابن مصقلة ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة ، وقلتم : لم يبق أحد يقايل معه ! ما أنخلقكم أن يخالف رجاؤنا فيكم ! وكان مقدم بسطام بن الرّي ، فالتقى هو وقتيبة في الطريق ، فدعاه قتيبة إلى الحجّاج وأهل الشام ، ودعاه بسطام إلى عبد الرحمن وأهل العراق ، فكلاهما أبي على صاحبه ، وقال بسطام : لأن أموت مع أهل العراق أحسب إلى من أن أعيش مع أهل الشام ، وكان قد نزل ماسبندان ؛ فلما قدم قال لابن محمد : أمرتني على خيل ربيعة ؛ ففعل ، فقال لهم : يا معشر ربيعة ، إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي - وكان شجاعاً - فخرج الناس ذات يوم ليقبضوا ، فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم ، فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمة وسريّة ، فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردّهن ، فجئن ودخلن عسكر الحجّاج ، فقال : أولى لهم ! مننع القوم نساءهم ، أما لولم يردّوهن لتسببت نساؤهم غداً إذا ظهرت . ثم اقتتلوا يوماً آخر بعد ذلك ، فحمل عبد الله بن مُلّيل المسمداني في خيل له حتى دخل

(١) ب ، ف : « الرهو » ، والرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله .

(٢) ب ، ف : « رجل واحد منكم » .

عسكرهم فسبا ثمانى عشرة امرأة ، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي - وكان رامياً - فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه ، فأخذ الأسدي يقول لبعض أصحابه : استر منى ^(١) هذا الشيخ لعلنى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه ، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوته : اللهم لمتنا وإياهم بعافية ؛ فقال الأسدي : ما أحب أن أقتل مثل هذا ، فركه ، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ؛ ثم خلنى سبيلهن أيضاً ، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى .

١٠٩٠/٢

قال هشام : قال أبي : أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كتيبة إلى جبلة بن زحر ، فانحط عليه الوليد من رابية - وكان جسيماً ، وكان جبلة رجلاً ربعة - فالتقىا ، فضربه على رأسه فستقط ، وانهزم أصحابه وجيء برأسه .

قال هشام : فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي ، قال : لما جئ برأس جبلة بن زحر إلى الحجاج حملاً على رحين ثم قال : يا أهل الشام ، أبشروا ؛ هذا أول الفتح ، لا والله ما كانت فتنة قط فخبث حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمس ، وهذا من عظمائهم . ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه الحجاج ابن جارية ، فحمل عليه ، فطعننه فأذراه ، وحمل أصحابه فاستنقذوه ، فإذا هو رجل من خشمم يقال له أبو الدرداء ، فقال الحجاج بن جارية : أما إنى لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفته ما بارزته ، ما أحب أن يصاب من قومي مثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال كل واحد منهما : أنا الغلام الكلابي ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : من أنت ؟ فلمّا تساءلا تحاجزاً . وخرج عبد الله بن رزام الحارثي إلى كتيبة الحجاج ، فقال : اخرجوا إلى رجلا رجلا ، فأخرج إليه رجل ، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، يقتل كل يوم رجلاً ، حتى إذا كان اليوم الرابع

١٠٩١/٢

أقبل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارزة ، فقال الحجاج للجراح : اخرج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبد الله بن رزام - وكان له صديقاً : ويحك يا جراح ! ما أخرجك إلى ! قال : قد ابتليت بك ، قال : فهل لك في خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك ، وأما أنا فلن أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حباً لسلامتك ، فلن لا أحب أن أقتل من قومي مثلك ؛ قال : فافعل ، فحمل عليه فأخذ يستطرد له - وكان الحارثي قد قطعته لسانه ، وكان يعطش كثيراً ، وكان معه غلام له معه إداوة من ماء ، فكلما عطش سقاه الغلام فاطرد له الحارثي ، وحمل عليه الجراح حملةً يجدد لا يريد إلا قتله ، فصاح به غلامه : إن الرجل جاد في قتلك ! فعطش عليه فضر به بالعمود على رأسه فصرعه ، فقال للغلامه : انضح على وجهه من ماء الإداوة ، واسقه ؛ ففعل ذلك به ، فقال : يا جراح ، بشم ما جزيته ، أردت بك العافية وأردت أن تزيرني المنيّة ! فقال : لم أرد ذلك ، فقال : انطلق فقد تركتكم للقرابة والعشيرة .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال سعيد الحرشي : أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحريش التميمي ، فوقف بين الصّفين ، فقال : يا معشر جرّامقة أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن أبيتم فليخرج إلى رجل ، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادى : لا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، قال : فكف الناس . قال سعيد الحرشي : فدنوت من الحجاج فقلت : أصلح الله الأمير ! إنك رأيت ألا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بأجلهم ، ولهذا الرجل أجل ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأذن لأصحابي الذين قدّموا معي فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا^(١) له عادة

(١) بملها في ب ، ف : « الدعاء » .

وقد أَرعَب الناس ، وقد أَذنت لأصحابك ، فمن أَحَبَّ أن يقوم فليَقم .
 فرجع سعيد الحَرشي إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برَّرَ
 إليه رجل من أصحاب الحَرشي ، فقتله قدامه ، فشقَّ ذلك على سعيد ، وثَقُلَ
 عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامة : مَنْ يُبارِز ؟ فدنا سعيد من الحجاج ،
 فقال : أَصْلَحَ الله الأمير ! ائذَنْ لِي في الخروج إلى هذا الكَلْب ، فقال :
 وعندك ذلك ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحب^(١) ، فقال الحجاج : أَرِنِي
 سيفك ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج : معي سيفٌ أَثْقَلُ من هذا ، فأمر
 له بالسيف^(٢) ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج - ونظر إلى سعيد فقال : ما أجودَ
 دِرْعَكَ وأقوى فرسك ! ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب ! قال سعيد :
 أرجو أن يُظْفِرَني الله به ، قال الحجاج : أخرج على بركة الله . قال سعيد :
 فخرجتُ إليه ، فلما دنوتُ منه ، قال : قفْ يا عدوَّ الله ، فوقفتُ ، فسرتني
 ذلك منه ، فقال : اخترَ إما أن تُمكنني فأضربك ثلاثاً ، وإما أن أمكنك
 فتضربني ثلاثاً ، ثم تُمكنني . قلت : أمكنني ، فوَضَعَ صدره على قَرْبوسه
 ثم قال : اضربْ ، فجمعتُ يديَّ على سَيْفِي ، ثم ضربتُ على المغْفَرِ
 متمكِّناً ، فلم يصنع شيئاً ، فسأني ذلك من سيفي ومن ضربتي ، ثم أجمع
 رأيي أن أضربه على أصل العاتق ، فإذا أن أقطع وإما أن أوهن يده عن ضربته ،
 فضربه فلم أصنع شيئاً ؛ فسأني ذلك ومن غاب عني ممَّن هو في ناحية العسكر
 حين بلغه ما فعلت ، والثالثة كذلك . ثم اخترط سيفاً ثم قال : أمكنني ،
 فأمكنته ، فضربني ضربةً صَرَغَني منها ، ثم نزل عن فرسه وجلس على
 صدرِي ، وانتزع من خُفْيِهِ خِنْجراً أو سكيناً فوضعها على حَلْقِي يريد
 ذبحي ، فقلتُ له : أنشدك الله ! فإنك لست مصيباً من قتلي الشرف
 والذكر مثل ما أنت مصيب من تَرْكِي ، قال : ومن أنت ؟ قلت : سعيد
 الحَرشي ، قال : أولى يا عدوَّ الله ! فانطلقتُ فأعلم صاحبك^(٣) ما لقيت .
 قال سعيد : فانطلقتُ أسعى حتى انتهيتُ إلى الحجاج ، فقال : كيف

١٠٩٣/٢

١٠٩٤/٢

(٢) ب ، ف : « سيف » .

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » .

(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رَأَيْتَ ! فَقُلْتُ : الْأَمِيرُ كَانَ أَعْلَمَ بِالْأَمْرِ ^(١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف ، عن أبي يزيد ^(٢) ، قال : وكان أبو البختري الطائي وسعيد بن جببر يقولان : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلاً ... ﴾ ^(٣) إلى آخر الآية ، ثم يَحْمِلَانِ حَتَّى يُوَاقِعَا الصَّفَّ .

قال أبو المُخَارِقِ : قَاتَلْنَاهُمْ مِائَةَ يَوْمٍ سَوَاءَ أَعَدَّهَا عَدَا . قال : نَزَلْنَا دِيرَ الْجَمَاحِمِ مَعَ ابْنِ مُحَمَّدٍ غَدَاةَ الثَّلَاثَةِ لِلَّيْلَةِ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ، وَهَزَمْنَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ مَضَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ عِنْدَ امْتِدَادِ الضُّحَى وَمُتَوَسِّعِ النَّهَارِ ، وَمَا كُنَّا قَطْرًا أَجْرًا عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قال : خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ مَضَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَقَاتَلْنَاهُمْ عَامَّةَ النَّهَارِ أَحْسَنَ قِتَالٍ قَاتَلْنَاهُمُوهُ قَطْرًا ، وَنَحْنُ آمِنُونَ مِنَ الْهَزِيمَةِ ، عَالُونَ لِلْقَوْمِ ، إِذْ خَرَجَ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ فِي الْخَيْلِ مِنْ قَيْسَلٍ مِيمَنَةِ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى دَنَا مِنَ الْأَبْرَدِ بْنِ قُرَّةِ التَّمِيمِيِّ ، وَهُوَ عَلَى مَيْسَرَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَوَاللَّهِ مَا قَاتَلَتْهُ كَبِيرُ قِتَالٍ حَتَّى انْهَزَمَ ، فَأَنْكَرَهَا النَّاسُ مِنْهُ ، وَكَانَ شَجَاعًا ، وَلَمْ يَكُنْ الْفِرَارَ لَهُ بَعَادَةً ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَوْمِينَ ، وَصُولِحَ عَلَى أَنْ يَنْهَزِمَ بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَهَا ١٠٩٥/٢ تَقَوَّضَتِ الصَّفُوفُ مِنْ نَحْوِهِ ، وَرَكِبَ النَّاسُ وَجُوهَهُمْ ^(٤) وَأَخَذُوا فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَصَعِدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُنْبَرَّ ، فَأَخَذَ ^(٥) يَسْنَدِي النَّاسِ : عِبَادَ اللَّهِ ، إِلَى أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ ؛ فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِزَامِ الْحَارِثِيِّ ، فَوَقَفَ تَحْتَ مَنْبَرِهِ ، وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَوَابِ السُّلَمِيِّ فِي خَيْلٍ لَهُ ^(٦) ، فَوَقَفَ مِنْهُ قَرِيبًا ، وَثَبَتَ حَتَّى دَنَا مِنْهُ أَهْلُ الشَّامِ ، فَأَخَذَتْ نَبْلُهُمْ تَحْوِزُهُ ، فَقَالَ : يَا بَنَ رِزَامَ ، احْمِلْ عَلَى هَذِهِ الرِّجَالِ وَالْخَيْلِ ، فَحَمَلْ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَمْعَنُوا . ثُمَّ جَاءَتْ

(١) بعدها في ب ، ف : « مني » . (٢) أول الحديث ص ٣٥٨ .

(٣) سورة آل عمران: ١٤٥ . (٤) ب ، ف : « رؤسهم » .

(٥) ب ، ف : « وأخذ » . (٦) ب ، ف : « لهم خيل » .

خيل لهم أخرى ورجالة ، فقال : احمل عليهم يا بن دؤاب ، فحمل عليهم حتى أمعنوا ، وثبت لا يبرح منبره ، ودخل أهل الشام العسكر ، فكثروا^(١) ، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت مملّكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال : انزل ، فإني أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسر ، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به بعد اليوم . فنزل وخلّى أهل العراق العسكر ، وانهمزوا لا يلوون على شيء ، ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته ؛ حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر ، فعبروا فيه ، فأنهى إليهم بسطام بن مصقلة ، فقال : هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد ؟ فلم يكلموه ، وظن أنه فيهم ، فقال :

* لا وآلت نفس عليها تُحاذِر *

ضَرَمَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَاءِ دَحَى إِذَا اضْطَرَمْتَ أَجْذَمًا^(١) ١٠٩٦/٢

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم يتزل عنه ، فخرجت إليه ابنته فالتزما ، وخرج إليه أهله ليكون ، فأوصاهم بوصية وقال : لا تسبكوا ، رأيتم إن لم أترككم ، كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت ! وإن أنا ميت فإن الذي رزقكم الآن حي لا يموت ، وسيررزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ؛ ثم ودع أهله وخرج من الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب ، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتدّ ومتّع ، قال : جئتُ أشدّ ومعى الرمح والسيف والثرس حتى بلغتُ أهلي من يومى ، ما ألقى شيئاً من سلاحى ، فقال الحجاج : اتركهم فليبتدوا ولا تتبعوهم ، ونادى المنادى : من رجع فهو أمين . ورجع محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الوقعة ، وخليها الحجاج والعراق ، وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة ، وأجلس مصقلة ابن كرب بن رقية العبدى إلى جنبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشم كل

(١) س : «فكثروا» . (٢) من أبيات للربيع بن زياد ، ديوان الحماة بشرح التبريزى ٢ : ٦١ .

امرئ بما فيه ممن كننا أحسننا إليه، فاشتبه بقلّة شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه، وصغّر إليه نفسه. وكان لا يبايعه أحدٌ إلّا قال له: أتشهد أنك قد كفرت؟ فإذا قال: نعم، يابّعه وإلّا قتله، فجاء إليه رجل ١٠٩٧/٢ من خشعته قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء القُرات، فسأله عن حاله فقال: ما زلتُ معتزلاً وراء هذه التطفة، منتظراً أمر الناس حتى ظهرت، فأتيتك لأبايعك مع الناس؛ قال: أمتربص! أتشهد أنك كافر؟ قال: بئس الرجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنة ثمّ أشهد على نفسي بالكفر؛ قال: إذا أقتلتك؛ قال: وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلّا ظمٌّ حمار، وإني لأنتظر الموت صباح مساء، قال: اضربوا عنقه، فضربت عنقه، فزعموا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحد من الحزبين إلّا رحمه ورثي له من القَتيل.

ودعّا بكُميل بن زياد النخعي فقال له: أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال: والله ما أدري على أيّنا أنت أشدّ غضباً؟ عليه حين أقاد من نفسه، أم على حين عفوت عنه؟ ثمّ قال: أيّها الرجل من ثقيف، لا تصرف على أنيابك، ولا تهذم على تهذم الكثيب، ولا تكثير كثران الذئب، والله ما بقي من عمري إلّا ظمٌّ الحمار، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، اقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله، وبعد القتل الحساب. قال الحجاج: فإن الحجّة عليك، قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى، كنت فيمن قتل عثمان، وخلعت أمير المؤمنين، اقتلوه. ١٠٩٨/٢ فقُدّم فقتل، قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف، ابن عم منصور بن جمهور.

وأتيّ بآخر من بعده، فقال الحجاج: إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر، فقال: أخادعني عن نفسي! أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد، فضحك الحجاج وخلق سبيله. وأقام بالكوفة شهراً، وعزّل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة.

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن]

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن أبي يزيد السكسكي ، قال :
خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن ،
 واجتمع إليه ناسٌ كثير ، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن
 حبيب بن عبد شمس القرشي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن
 أبي عقيل ، ابن عم الحجاج ، فأخذها ، وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم
 البصرة وهو بها ، فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل ، فأقبل عبيد الله
 حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إني لم أريد فراقك ، وإنما
 أخذتها لك . وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها خمسة حتى هبأ الرجال
 في المعابر ، فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن
 الأشعث جميعاً . وأقبل نحوهم الحجاج ، فخرج الناس معه إلى مسكن
 على دجيل ، وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف ، وتلاوم الناس على
 الفرار ، وباع أكثرهم بسطام بن مصقلة على الموت ، وخندق عبد الرحمن
 على أصحابه ، وبسق الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم
 عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث
 الكوفة ، فاقتتلوا خمس عشرة ليلة^(١) من شعبان أشد القتال حتى قتل
 زياد بن غنيم القيني ، وكان على مسالح الحجاج ، فهذه ذللك وأصحابه^(٢)
 هداً شديداً .

١٠٩٩/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو جهمم الأزدي ، قال : بات الحجاج
 ليلته كله يسير فينا يقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم
 تسعون في رضوان الله ، وهم يسعون في سخط الله ، وعادة الله عندكم فيهم

(١) ب : « خمسة عشر يوماً » .

(٢) ب : « وهداً أصحابه » .

حَسَنَةً ؛ ما صدقتموهم في موطين قط ولا صبرتم لهم إِلَّا أعقبكم الله النصر عليهم والظفر بهم ؛ فأصبحوا إليهم عاديّين جادّين ، فإني لست أشك في النصر إن شاء الله .

١١٠٠/٢

قال : فأصبحنا^(١) ، وقد عبأنا في السّحر ، فباكرناهم^(٢) فقاتلناهم أشدّ قتال قاتلناهموه قط ، وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب محققاً ، وقد كُشفت خيل سُفَيان بن الأبرد ، فقال له الحجاج : ضمّ إليك يا عبد الملك هذا النّشر^(٣) لعلّ أحمل عليهم ، ففعل ، وحمل الناس من كلّ جانب ، فانهزم أهل العراق أيضاً ، وقتل أبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقالوا قبل أن يُقتلوا : إنّ الفرار كلّ ساعة بنا لتقبيح . فأصيبا . قال : ومشي بسطام بن مَصْقَلَة الشيبانيّ في أربعة آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المصريّين ، فكسّروا جفون السيوف ، وقال لهم ابن مَصْقَلَة : لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجونا منه فرّنا ، ولكنّا^(٤) قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل ، فأين المسّجد عما لا بدّ منه ! يا قوم إنكم مُحَقَّقون ، فقاتلوا على الحقّ ، والله لو لم تكونوا على الحقّ لكان موت في عزّ خيراً من حياة في ذلّ . فقاتل هو وأصحابه قتالاً شديداً كَشَفُوا فيه أهل الشام مراراً ، حتى قال الحجاج : على الرّماة لا يقاتلهم غيرهم ، فلما جاءهم الرّماة وأحاط بهم الناس من كلّ جانب قتلوا إِلَّا قليلاً ، وأخذ بكبير بن ربيعة بن ثروان^(٥) الضّبيّ أسيراً ، فأَتى به الحجاج فقتله .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجهمّ ، قال : جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، إنه من صنّع الله لكم أن هذا غلام من الغلمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً ، أضرب عنقه ، فقتله .

قال : ومضى ابن الأشعث والفّل من المنهزمين معه نحو سجستان فأتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخميّ ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير

(١) بعدها في ب : « إليهم » . (٢) ب : « وباكرناهم » .

(٣) النّشر : القوم المتفرون لا يجمعهم رئيس . وفي ب : « البشر » .

(٤) ب : « لكنّا » . (٥) ط : « أبي ثروان » ، والصواب ما أثبتته .

١١٠١/٢

على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس، فقاتلته ساعة من نهار، ثم إنه انهزم هو وأصحابه ففضوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفلول، فقاتلهم عمارة بن تميم قتالا شديداً على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه، ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلدوا لهم عن العقبة، ومضى عبد الرحمن حتى مر بكرمان.

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المختل بن حابس العبدى، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كرمان تلقاه عمرو بن لقيط العبدى - وكان عاملاً عليها - فنبأ له نزلًا فنزل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل: والله لقد بلكنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جباناً، فقال عبد الرحمن: والله ما جبنت، والله لقد دلفت الرجال بالرجال، ولففت الخيل بالخيول، ولقد قاتلت فارساً، وقاتلت راجلاً، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلاً ولا أرى معي مقاتلاً، ولكني زاولت ملكاً مؤجلاً. ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كرمان.

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كرمان وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرًا في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة البشكري، وهي قصيدة طويلة:

أَيَا لَهْفًا وَيَا حَزَنًا جَمِيعًا وَيَا حَرَّ الْفَوَادِ لِمَا لَقِينَا !
 تَرَكْنَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا جَمِيعًا وَأَسْلَمْنَا الْحَلَائِلَ وَالْبَيْنَا
 فَمَا كُنَّا أَنَاسًا أَهْلَ دِينٍ فَتَنْصِرَ فِي الْبَلَاءِ إِذَا ابْتَلَيْنَا
 وَمَا كُنَّا أَنَاسًا أَهْلَ دُنْيَا فَتَمْنَعَهَا وَلَوْ لَمْ نَرْجُ دِينَا

تركنا دُورنا لَطَغامٍ عَكَ وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا^(١)

ثمَّ إنَّ ابنَ محمد مَضَى حتَّى خَرَجَ عَلى زَرْئِجَ مَدِينَةِ سِجِستانَ ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ كَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْبَعَّارِ مِنْ بَنِي مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ ، فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ١١٠٣/٢ مِنْهَزِمًا أَغْلَقَ بَابَ الْمَدِينَةِ دُونَهُ ، وَمَنْعَهُ دُخُولَهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيَّامًا رَجَاءَ افْتِتَاحِهَا وَدُخُولِهَا . فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَرَجَ حَتَّى أَتَى بُسْتَ ، وَقد كَانَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ يُقَالُ لَهُ عِيَاضُ بْنُ هِمْيَانَ أَبُو هِشَامِ بْنِ عِيَاضِ السَّدُوسِيِّ ، فَاسْتَقْبَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : انْزِلْ ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى إِذَا غَفَلَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَثَبَّ عَلَيْهِ فَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ بِهَا عِنْدَ الْحِجَاكِ ، وَيَتَّخِذَ بِهَا عِنْدَهُ مَكَانًا . وَقد كَانَ رُتْبِيلُ سَمِعَ بِمَقْدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ فِي جَنْودِهِ ، فَجَاءَ رُتْبِيلُ حَتَّى أَحَاطَ بِبُسْتَ ، ثُمَّ نَزَلَ وَبَعَثَ إِلَى الْبَكْرِىَ : وَاللَّهِ لَنْ آذِيَنَّهُ بِمَا يُقْدِرُ عَلَيْهِ ، أَوْ ضَرَرْتَهُ بِبَعْضِ الْمَضَرَّةِ ، أَوْ رَزَأْتَهُ حَبَلًا مِنْ شَعَرٍ لَا أُبْرَحُ الْعَرِضَةَ حَتَّى اسْتَرْزِلَكَ فَأَقْتُلَكَ وَجَمِيعَ مَنْ مَعَكَ ، ثُمَّ أَسْبَى ذُرَارِيَكُمْ ، وَأَقْسَمَ بَيْنَ الْجُنْدِ أَمْوَالَكُمْ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْبَكْرِىَ أَنْ أَعْطَانَا أَمَانًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا ، وَنَحْنُ نَدْفَعُهُ إِلَيْكَ سَالِمًا ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ مُؤَقَّرًا . فَصَالَحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَآمَنَهُمْ ، فَفَتَحُوا لَابْنَ الْأَشْعَثِ الْبَابَ وَخَلَوْا سَبِيلَهُ ، فَأَتَى رُتْبِيلُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا كَانَ عَامِلًا عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَكُنْتُ حَيْثُ وَلِيَّتُهُ وَاثْقَابُهُ ، مَطْمَئِنًّا إِلَيْهِ ، فَغَدَرَ بِي وَرَكِبَ مِنِّي مَا قَدْ رَأَيْتَ ، فَأَذَنْ لِي فِي قَتْلِهِ ، قَالَ : قَدْ آمَنْتُهُ وَأَكْرَهَ أَنْ أَغْدِرَ بِهِ ، قَالَ : فَأَذَنْ لِي فِي دَفْعِهِ وَلَهْزِهِ^(٢) ، وَالتَّصْغِيرِ ١١٠٤/٢ بِهِ ، قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . فَفَعَلَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى دَخَلَ مَعَ رُتْبِيلِ بِلَادَهُ ، فَأَنْزَلَهُ رُتْبِيلُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْقَلِّ كَثِيرٌ .

ثمَّ إنَّ عَظْمَ الْقُلُولِ وَجَمَاعَةَ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَنْ كَانَ لَا يَرْجُو

(٢) اللَّهْزُ : الضَرْبُ .

(١) انْظُرْ : الْأَغَانِي ١١ : ٣١٢ ، ٣١٣ .

الآمان؛ من الرؤوس والقادة الذين نصبوا للحجّاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يتقبلوا أمان الحجّاج في أوّل مرة، وجهّدوا عليه الجهد كلّهُ، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى ستَقَطُوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفاً، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعّار فحصره، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدميهم وعددهم وجماعتهم، وهو عند رُتَبِيل. وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإنّ بها مناجنداً عظيماً، فلعلّهم يبايعوننا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عامر البعّار حتى استزّلوه، فأمر به عبد الرحمن فضرِبَ وعُذِّبَ وحُبِسَ. وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها^(١) له ونأتى خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد: على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، ولبس بتارك لكم سلطانته، ولو دخلتموها وجدتموه إليكم سريعاً، ولن يدع أهل الشام اتّباعكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، وأخاف ألا تنالوا ما تطلبون^(٢)، فقالوا: إنما أهل خراسان منّا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر من يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة نتحمي^(٣) فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يهلك الله الحجّاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيرُوا على اسم الله.

١١٠٥/٢

فساروا حتى بلغوا همرّة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبّيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشيّ في ألفين، ففارقته، فأخذ طريقاً سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمّد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أما بعد، فإنّي قد شهدتكُم في هذه المواطن، وليس فيها مشهّد

(١) ب: «ولندعها». (٢) ب: «ألا تنالوا ما تطلبونه». (٣) ب: «نتحمي».

إِلَّا أَصْبِرْ لَكُمْ فِيهِ نَفْسِي حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ فِيهِ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ ، وَلَا تَصْبِرُونَ ، أَتَيْتُ مُلْجَأً وَمَأْمَنًا فَكُنْتُ فِيهِ ، فَجَاءَتْنِي كُتُبُكُمْ بِأَنْ أَقْبِلَ إِلَيْنَا ، فَإِنَا قَدْ اجْتَمَعْنَا وَأَمَرْنَا وَاحِدٌ ، لَعَلَّنَا نَقَاتِلَ عَدُوَّنَا ، فَأَتَيْنَكُمْ فَرَأَيْتُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى خُرَّاسَانَ وَزَعَمْتُمْ أَنْكُمْ مَجْتَمِعُونَ لِي ، وَأَنْكُمْ لَنْ تَفَرَّقُوا عَنِّي . ثُمَّ هَذَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ صَنَعَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، فَحَسْبِي مِنْكُمْ يَوْمَ هَذَا فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ ، أَمَا أَنَا فَتَنْصَرَفْ إِلَى صَاحِبِي الَّذِي أَتَيْتُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي فَلْيَتَّبِعْنِي ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَذْهَبْ حَيْثُ أَحَبَّ فِي عِيَاذِ مِنَ اللَّهِ .

فَتَفَرَّقَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَنَزَلَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ ^(١) ، وَبَقِيَ عَظُمُ الْعَسْكَرِ ، فَوُثِّبُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَبَايَعُوهُ . ثُمَّ مَضَى ابْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى رُتْبِيلٍ وَمَضَوْا هُمْ إِلَى خُرَّاسَانَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى هَرَّاءَ ، فَلَقُوا بِهَا الرَّقَادَ الْأَزْدِيَّ مِنَ الْعَتِيكِ ، فَقَتَلُوهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا انْهَزَمَ مِنْ مَسْكِنٍ مَضَى إِلَى كَابُلٍ ، وَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ أَتَى هَرَّاءَ ، فَذَمَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ وَعَابَهُ بِفِرَارِهِ ، وَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ سَجِسْتَانَ فَانْضَمَّ إِلَيْهِ فَكَلَّمَ ابْنَ الْأَشْعَثِ ، فَسَارَ إِلَى خُرَّاسَانَ فِي جَمْعٍ يُقَالُ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، فَتَزَلَّ هَرَّاءَ وَلَقُوا الرَّقَادَ بْنَ عَبِيدِ الْعَتِيكِ فَتَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : قَدْ كَانَ لَكَ فِي الْبِلَادِ مَتَسَعٌ ، وَمَنْ هُوَ أَكَلَّ مَنِي حَسَدًا وَأَهْوَنُ شَوْكَةً ، فَارْتَحِلْ إِلَى بِلَدٍ لَيْسَ فِيهِ سُلْطَانٌ ، فَلَمَّا أَكْرَهَ قِتَالَكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَمِدَّكَ بِمَالٍ لِسَفَرِكَ أَعْنَتُكَ بِهِ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : مَا نَزَلْنَا هَذِهِ الْبِلَادَ لِمُحَارَبَةٍ وَلَا لِمَقَامٍ ، وَلَكِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَرِيحَ ، ثُمَّ نَشْخَصَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَيْسَتْ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى مَا عَرَضَتْ . فَانْصَرَفَ رَسُولُ يَزِيدَ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ الْهَاشِمِيُّ عَلَى الْجَبَايَةِ ، وَبَلَغَ يَزِيدَ ، فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُرِيحَ ثُمَّ يَجْتَازَ لَمْ يَحْسِبِ الْخِرَاجَ ؛ فَقَدْ تَمَّ الْمُفَضَّلُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ - وَيُقَالُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ -

(١) ب : « طائفة معه » . (٢) كذا في ب .

ثم أتبعه في أربعة آلاف ، ووزن يزيد نفسه بسلاحه ، فكان أربع مائة رطل ، فقال : ما أراى إلا قد ثقُلْتُ عن الحرب ، أى فرس يحملنى ! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه ، واستخلف على مرو خاله جُدَيْع بن يزيد ، وصير طريقته على مرو الرُّوذ ، فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام ، وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم ، ثم أتى هرة فأرسل إلى الهاشمي : قد أرحمت وأسمنت وجببت ، فلك ما جببت ، وإن أردت زيادة زدناك ، فأخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك . قال : فأبى إلا القتال ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، ودس الهاشمي إلى جند يزيد بمنيتهم ويدعوهم إلى نفسه ، فأخبر بعضهم يزيد ، فقال : مجل الأمر عن العتاب ، أنغدى بهذا قبل أن يتعشى بى ؛ فسار إليه حتى تدانى العسكران ، وتأهبوا للقتال ، وألقى ليزيد كرسى فقعده عليه ، وولّى الحرب أخاه المفضل ، فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي — يقال له خلّيد عيسني من عبد القيس — على ظهر فرسه ، فرفع صوته فقال (١) :

دَعَتْ يَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ دَعْوَةٌ لَهَا جَزَعٌ ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ عِيُونُهَا
وَلَوْ يُسْمِعُ (٢) الدَّاعِيَ النَّدَاءَ (٣) أَجَابَهَا بِصُمِّ الْقَنَّا وَالْبَيْضِ تُلْقَى جَفُونُهَا
وَقَدْ فَرَّ أَشْرَافُ الْعِرَاقِ وَغَادَرُوا بِهَا بَقَرًا لِلْحَيْنِ جُمًّا قُرُونُهَا (٤)

وأراد أن يحض يزيد ، فسكت يزيد طويلا حتى ظن الناس أن الشعر قد حرّكه ، ثم قال لرجل : نادِ وأسمِعهم ، جشموهم ذلك ، فقال خلّيد : لبئس المنادى والمنوّه باسمه يزيد إذا يدعى ليوم حفيظة فإننى أراه عن قليل بنفسه فلا حرة تبكيه لكن نوائح

(٢) ر : « تسع » .

(١) ب : « وقال » .

(٤) ب : « بها نفر » .

(٣) ب : « يزيد » .

فقال يزيدُ للمفضل: قدّم خيلك ، فتقدّم بها ، وتهايجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرت معه ١١٠٩/٢ طائفةٌ من أهل الحفاظ ، وصبر معه العبديّون ، وحمل سعد بن نجد القرْدوسيّ على حُلَيْس^(١) الشيبانيّ وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنه حُلَيْس فأذراه عن فرسيه ، وحمّاه أصحابه ، وكثّروا الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأسروا منهم أسرى ، فولى يزيدُ عطاء بن أبي السائب العسكر ، وأمره بضّم ما كان فيه ، فأصابوا ثلاث عشرة امرأة ، فأتوا بهن يزيد ، فدفعهن إلى مرة بن عطاء بن أبي السائب ، فحملهن إلى الطبّستين ، ثم حملهن إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجد: من طعنك ؟ قال : حليس الشيبانيّ ، وأنا والله راجلاً أشدّ منه وهو فارس . قال : فبلغ حُلَيْسًا ، فقال : كذب والله ، لأنّا أشدّ منه فارساً وراجلاً . وهرب عبد الرحمن بن منذر بن بشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن خازم . قال : فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، وعيَّاش بن الأسود بن عوف الزّهريّ والهلّقام بن نعيم بن القسّاقع بن معبد بن زُرارة ، وفَيْر وزحّصين ، وأبو العليّج مولّى عبّيد الله بن معمر ، ورجل من آل أبي عتّيقيل ، وسوّار بن مروان ، ١١١٠/٢ وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وعبد الله بن فضالة الزّهرايّ . ولحق الهاشميّ بالسند ، وأتى ابنُ سَمُرَة مرو ، ثم انصرف يزيدُ إلى مرو وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرَة بن تَخَف بن أبي صُفْرَة ، وخلي عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة ، وسعى قومُ عبّيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَة ، فأخلّده يزيدُ فحبسه .

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدّثه القاسم بن محمد الحضرميّ ، عن حفص ابن عمرو بن قبيصة ، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أن يزيد بن المهلب حبس عندّه عبد الرحمن بن طلحة وآمنته ، وكان الطلحيّ قد آلّى على عيّسٍ ألا يصرّ يزيد بن المهلب في موقفٍ إلّا أنّاه حتى يقبّل يده شكرًا لما أبلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد : أسألك

بدعوة أبي لأبيك ! فخلّني سبيلَه . ولقول محمد بن سعد ليزيد : « أسألك بدعوة أبي لأبيك » حديث فيه بعضُ الطول .

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عَقِيل الثقفي ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف ؛ بعمر بن موسى بن عُبَيْد الله بن مَعْمَر ، فقال : أنت صاحبُ شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنةٌ ١١١١/٢

شملت البرّ والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكسك الله منا ، فإن عفوت « فبحلمك وفضلك »^(١) ، وإن عاقبت عاقبت ظالمًا مذنبين ، فقال^(٢)

الحجاج : أما قولك : « إنها شملت البرّ والفاجر » فكذبت ، ولكنها شملت الفُجَّارَ ، وعُوفٍ منها الأبرار ، وأما اعترافك بذنبك فعسى أن يستغفرك .

فعزّل ، ورجا الناس له العافية حتى قدّم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخيرني عنك ، ما رجوت من إتباع عبد الرحمن بن محمد ؟

أرجوت أن يكون خليفه ؟ قال : نعم ، رجوت ذلك ، وطمعت^(٣) أن يُنزلني منزلك من عبد الملك ، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقه ، فقتل .

قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر وقد نُحِى عنه فقال : اضربوا عنقه ، وقتل بقيتهم . وقد كان آمن عمرو بن أبي قرّة الكندي

ثم الحَجْرِي وهو شريف وله بيتٌ قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تُفضي إلىّ وتحدثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثم تبعَ

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ والله ما بك عن اتباعهم رغبةٌ ، ولا نعمةٍ عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاج حين هُزِم الناس بالجمام نادى مناديه : من لحق بقتيبة بن مسلم بالريّ فهو أمانه ، فلحق ناسٌ كثير ١١١٢/٢

بقتيبة^(٤) ، وكان^(٥) فيمن لحق به عامر الشعبي ، فذكر الحجاجُ الشعبيّ يوماً فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم : بلغني أيها

الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالريّ ، قال : فابعث إليه فلنؤت^(٦) به ،

(١-١) ب : « فبفضلك وحلمك » . (٢) بعدها ب : « له » .

(٣) ب : « فطمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض قتيبة » .

(٥) ب : « فكان » . (٦) ر : « فليؤت » .

فَكَتَبَ الْحِجَااجَ إِلَى قَتِيْبَةِ : أَمَّا بَعْدَ ، فَابْعَثْ إِلَىّ بِالشَّعْبِيّ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي هَذَا ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ؛ فَسُرِّحْ إِلَيْهِ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ لِابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ صَدِيقًا ، فَلَمَّا قُدِّمَ بِي ^(١) عَلَى الْحِجَااجَ لَقِيتُ ابْنَ أَبِي مُسْلِمٍ فَقُلْتُ : أَشِيرَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : مَا أَدْرِي مَا أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ ^(٢) غَيْرَ أَنْ أَعْتَلِرَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ عَذَرٍ ^(٣) ! وَأَشَارَ بِمِثْلِ ذَلِكَ عَلَيَّ نَصَحَاتِي وَإِخْوَانِي ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَأَيْتُ وَاللَّهِ غَيْرَ مَا رَأَوْنِي ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ ^(٤) ثُمَّ قُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَمَرُونِي أَنْ أَعْتَذَرَ إِلَيْكَ بِغَيْرِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَابْنُ اللَّهِ لَا أَقُولُ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا حَقًّا ، قَدْ وَاللَّهِ سَوَدْنَا ^(٥) عَلَيْكَ ، وَحَرَضْنَا وَجْهَنَا عَلَيْكَ كُلَّ الْجَهْدِ ، فَمَا آلُونَا ^(٦) ، فَمَا كُنَّا بِالْأَقْوِيَاءِ الْفَسَجَرَةِ ، وَلَا الْإِتْقِيَاءِ ^(٧) الْبَرَّةِ ، وَلَقَدْ نَصَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَأَظْفَرَكَ بِنَا ، فَإِنْ سَطَوْتَ فَبِذُنُوبِنَا وَمَا جَرَّتْ إِلَيْهِ أَيْدِينَا ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنَّا فَبِحِلْمِكَ ، وَبَعْدَ الْحِجَةِ ^(٨) لَكَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَااجُ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ قَوْلًا مِمَّنْ يَدْخُلُ عَلَيْنَا يَنْقُطِرُ سَيْفُهُ مِنْ دِمَائِنَا ثُمَّ يَقُولُ : مَا فَعَلْتُ وَلَا شَهِدْتُ ؛ قَدْ أَمِنْتُ عِنْدَنَا يَا شُعْبِيُّ ، فَاَنْصَرِفْ . قَالَ : فَاَنْصَرَفْتُ ، فَلَمَّا مَشَيْتُ قَلِيلًا قَالَ : هَلُمَّ يَا شُعْبِيُّ ؛ قَالَ : فَوَجِلَ لَذَلِكَ قَلْبِي ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ : « قَدْ أَمِنْتُ يَا شُعْبِيُّ » ، فَاطْمَأْنَنْتُ نَفْسِي ، قَالَ : كَيْفَ وَجَدْتَ النَّاسَ يَا شُعْبِيُّ بَعْدَنَا ؟ قَالَ — وَكَانَ لِي مَكْرَمًا : فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ! اكْتَحَلْتُ وَاللَّهِ بَعْدَكَ السَّهْمَ ، وَاسْتَوْعَرْتُ الْجَنَابَ ، وَاسْتَحْلَسْتُ الْخَوْفَ ، وَفَقَدْتُ صَالِحَ الْإِخْوَانِ ، وَلَمْ أَجِدْ مِنَ الْأَمِيرِ خَلْفًا . قَالَ : اَنْصَرِفْ يَا شُعْبِيُّ ، فَاَنْصَرَفْتُ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : قَالَ خَالِدُ بْنُ قَطَّانَ الْحَارِثِيُّ : أَتَيْتُ الْحِجَااجَ بِالْأَعَشَى ، فَأَعَشَى هَمْدَانًا ، فَقَالَ : إِيهِ يَا عَمْدُ وَاللَّهِ ! أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ : « بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ

(١) ب : « قَدِمْتُ » . (٢) ب : « عَلَيْكَ بِهِ » . (٣) ب : « بَعْدُ » .

(٤) ر : « فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ سَلَّمْتُ » . (٥) ب : « تَمَرَدْنَا » . (٦) ب : « وَمَا آلُونَا » .

(٧) ب : « وَلَا بِالْإِتْقِيَاءِ » .

(٨) ب : « فَالْحِجَةِ » .

قيس» ، أنفذ بيتك ، قال : بل أنشدك ما قلت لك ؛ قال : بل أنشدني هذه ؛ فأنشده :

أبى الله إلا أن يتم نوره
ويظهر أهل الحق في كل موطن
ويُنزل ذلاً بالعراق وأهله
وما أخذوا من بدعة وعظيمة^(١)
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة
وجبناً حشاه ربهم في قلوبهم
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
فقتلهم قتلى ضلال وفتنة
ولما زحفنا لابن يوسف غداة^(٢)
قطعنا إليه الخندقين وإنما
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا^(٣)
بصف كأن البرق في حجراته
دلغنا إليه في صفوف كأنها
فما لبث الحجاج أن سل سيفه
وما زاحف الحجاج إلا رأيتُه

ويطفئ نور الفاسقين فيخمدا^(١)
ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
لما نقضوا العهد الوثيق الموكدا^(٢)
من القول لم تصعد إلى الله مصعدا^(٣)
إذا صمئوها اليوم خاسوا بها غدا
فما يقربون الناس إلا تهددا
ولكن فخرأ فيهم وتزيذا
ومزقهم عرض البلاد وشردا !
وحجهم أسمى ذليلا مطردا^(٥)
وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطنا وأفضينا إلى الموت مرصدا^(٧)
كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
إذا ما تجلى بيضه وتوقدا
جبال شرورى لوتعان فتنهدا
علينا فولى جمعنا وتبددا
معانا ملقى للفتوح معودا

(١) الأغاني ٦ : ٥٩ - ٦١ ، المسعودي ٣ : ١٦٢

(٢) الأغاني : « كما نقضوا » . (٣) المسعودي : « وضلالة » .

(٤) ابن الأثير : « لم يصعد » . (٥) ابن الأثير : « وحجهم أسمى » .

(٦) الأغاني : « ضلة » . (٧) مرصداً : متربحاً .

(٨) الأغاني : « فصادفنا الحجاج » .

وَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَنِي مَرْجَحَةٌ
فَمَا شَرَعُوا رُمَحًا وَلَا جَرَدُوا لَهُ
وَكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
وُسُفْيَانَ يَهْدِيهَا كَأَنَّ لَوَاءَهُ
كُهُولٌ وَمُرْدٌ مِنْ قُضَاعَةَ حَوْلَهُ
إِذَا قَالَ شُدُّوا شَدَّةَ حَمَلُوا مَعًا
جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
فِيهِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
نَزَوْا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
وَجَدْنَا بَنِي مروَانَ خَيْرَ أئِمَّةٍ
وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشِ أَرْوَمَةٍ
إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
سَيُغْلِبُ قَوْمَ غَالِبُوا اللَّهَ جَهْرَةً (١)
كَذَاكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
فَقَدْ تَرَكُوا الْأَهْلِينَ وَالْمَسَالَ خَلْفَهُمْ
يُنَادِينَهُمْ مُسْتَعِيرَاتٍ إِلَيْهِمْ
فَالَا تُنَاوِلُهُنَّ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ
أَنْكَثَا وَعِصْيَانًا وَغَدْرًا وَذِلَّةً
لَقَدْ شَامَ الْمِصْرَيْنِ فَرُخُ مُحَمَّدٍ

نُسَبُّهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدًا
أَلَا رُبَّمَا لَاقَى الْجَبَانَ فَجَرَدًا ١١١٦/٢
بِفُرْسَانِهَا وَالسَّمْهَرَى مُقَصِّدًا
مِنَ الطَّعْنِ سِنْدُ بَاتٍ بِالصَّبْغِ مُجَسِّدًا
مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا النُّكُوسُ عَرَدًا
فَأَنْهَلَ خِرْصَانَ الرِّمَاحِ وَأَوْرَدًا
وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مُوَيَّدًا
عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بَغَاةً وَحُسِّدًا
وَكَانُوا هُمْ أَبْغَى الْبَغَاةِ وَأَعْنَدًا
وَأَفْضَلَ هَذِي النَّاسِ حِلْمًا وَسُودًا
وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ١١١٧/٢
وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدًا
وَإِنْ كَانِدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدًا
مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَالْحَدَا
وَبَيْضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ خُرَدًا
وَيُذْرِينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَإِثْمِدًا
يَكُنَّ سَبَايَا وَالْبُعُولَةُ أَعْبَدًا
أَهَانَ الْإِلَهِ مِنْ أَهَانَ وَأَبْعَدًا
بِحَقِّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدًا (٢)

(١) الأغاني : « سيغلب قوماً » .

(٢) رواية الأغاني :

فَظَلُّوا وَمَا لَاقُوا مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدًا

لَقَدْ شِمَّتْ يَابْنَ الْأَشْعَثِ الْعَامِ مِصْرَنَا

١١١٨/٢ كما شأَمَ اللهُ النُّجَيْرَ وَأَهْلَهُ بِجَدِّ لَهُ قَدْ كَانَ أَشَقَى وَأَنْكَدَا

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف ألا يكون ظهرك وظفرك، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

* بَيْنَ الْأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذَخٌ * (١)

فأنفذها، فلما قال:

* بَخْ بَخْ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ *

قال الحجاج: لا والله لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً، فقصده فضرَبَ عُنُقَهُ.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم إلى الحجاج ومن فلول ابن الأشعث الذين انهزموا يوم مسكين أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه. والذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفل إلى الرى، وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كنانا مولى بني نصر بن معاوية، وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه، فأقبل قتيبة بن مسلم إلى الرى من قبيل الحجاج وقد ولاه عليها. فقال النفر الذين (٢) ذكرت أن يزيد بن المهلب وجههم إلى الحجاج مقيدين وسائر فل ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرى لعمر بن أبي الصلت: نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة؛ فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بُنَيَّ ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غد. فعقد لواءه، وسار فهزم وهزم أصحابه، وانكشفوا إلى سجستان، واجتمعت بها الفلول، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتبيل، ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت.

(١) المسمى ٣ : ١٦٣ .

(٢) ب : «الذى» .

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب : بأى وجه تنظر إلى اليانية وقد بعث ابن طلحة ! فقال يزيد : هو الحجاج ، ولا يتعرض له ! وقال : وطن نفسك على العزل ، ولا ترسل به ، فإن له عندنا بلاء ، قال : وما بلاءه ؟ قال لزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف ، فأدّاها طلحة عنه . فأطلقه ، وأرسل بالباقيين ، فقال الفرزدق :
وَجَدَ ابْنُ طَلْحَةَ يَوْمَ لَاقَى قَوْمَهُ قَحْطَانَ يَوْمَ هَرَاةَ خَيْرَ الْمُعْشَرِ

وقيل : إن الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه : إذا دعوتك بسيدهم فأنى بفسيروز ، فأبرز سريره — وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن تبني مدينة واسط — ثم قال لحاجبه : جئنى بسيدهم ؛ فقال لفسيروز : قم ؛ فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمك من لحومهم ، ولا دمك من دمائهم ! قال : فتنه عمت الناس ، فكنا فيها ، قال : اكتب لى أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أول ؛ قال : ثم أنا أمين على دى ؟ قال : اكتبها ، ثم أنظر ؛ قال : اكتب يا غلام ، ألف ألف ألفى ، فذكر مالا كثيرا ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندى ، قال : فأدّاها ؛ قال : وأنا أمين على دى ؟ قال : والله لتؤدبنيها ثم لأقتلنك ؛ قال : والله لا تجمع مالى ودى ، فقال الحجاج للحاجب : نسحه ، فنحاه .

ثم قال : اثنى بمحمد بن سعد بن أبى وقاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : إيه يا ضليل الشيطان أعظم الناس تيهًا وكبرًا ، تأبى بيعة يزيد بن معاوية ، وتشبه بحسين وابن عمر ، ثم صرت مؤذنا لابن كنار^(١) عبد بنى نصر — يعنى عمر بن أبى الصلت — وجعل يضرب بعود فى يده رأسه حتى أدماه ؛ فقال له محمد : أيها الرجل ، سلكت فأسجح ! فكشف يده ، فقال : إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاعك عفو كنت شريكًا فى ذلك محمودًا ، وإن جاعك غير ذلك كنت قد أعدرت . فأطرق مليًا ثم قال : اضرب عنقه ، فضربت عنقه .

(١) ط : « كنار » ، وانظر التصويريات .

١١٢١/٢

ثم دعا بعمر بن موسى فقال : يا عبد المرأة ، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك^(١) ، وتشرب معه الشراب في حمام فارس ، وتقول المقالة التي قلت ! أين الفرزدق ؟ قم فأنشده ما قلت فيه ، فأنشده :

وَحَضَبْتَ أَيْدِيكَ لِلزَّانِءِ وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ الْهَيْجِ لِتَخْضِبِ الْأَبْطَالَ
فَقَالَ : أما والله لقد رفعته عن عقائل نساءك ، ثم أمر بضرب عنقه .

ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، فإذا غلام حدث ، فقال : أصلح الله الأمير ! ما لي ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهى ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمك مع أبيك في هذه الفتن كلها ؟ قال : نعم ، قال : على أبيك لعنة الله .

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال : اجعل ابن الأشعث طلب ما طلب ، ما الذي أملت أنت معه ؟ قال : أملت أن يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك . قال : قم يا حوشب فاضرب عنقه ، فقام إليه ، فقال له الهلقام : يا بن لقيطة^(٢) ، أتستكأ القرح ! فضرب عنقه .

ثم أتى بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأيت عيناك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع . قال : وما صنع ؟ قال :

لَأَنَّهُ كَاسٌ فِي إِطْلَاقِ أُسْرَتِهِ وَقَادَ نَحْوَكَ فِي أَغْلَالِهَا مُضْراً
وَقَى بِقَوْمِكَ وَرَدَ الْمَوْتَ أُسْرَتَهُ وَكَانَ قَوْمُكَ أَدْنَى عِنْدَهُ خَطْراً

فأطرق الحجاج ملياً ووقرت في قلبه ، وقال : وما أنت وذاك ! اضرب عنقه . فضربت عنقه . ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن

١١٢٢/٢

خراسان وحبسه .

ثم أمر بفسيروز فعذب ، فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ، ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ، ثم ينضج عليه الخلل والملح ، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكون أني قد قُلت ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدّي

(١) ابن الحائك ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يعير بذلك .

(٢) كذا في ب ، س ، وفي ط : « لطيفة » .

إِلَيْكُمْ أَبَدًا ، فَأَظْهِرُونِي لِلنَّاسِ لِيَعْلَمُوا أَنِّي حَيٌّ فَيُؤَدُّوا الْمَالَ . فَأَعْلِمَ الْحِجَّاجَ ، فَقَالَ : أَظْهِرْهُ ، فَأَخْرَجَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَصَاحَ فِي النَّاسِ : مَنْ عَرَفْتِي فَقَدْ عَرَفْتِي ، وَمَنْ أَنْكَرْتَنِي فَأَنَا فَيْرُوزُ حَصِينٍ ؛ إِنَّ لِي عِنْدَ أَقْوَامٍ مَالًا ، فَمَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ شَيْءٌ فَهُوَ لَهُ ، وَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ ، فَلَا يُؤَدِّينَ مِنْهُ أَحَدٌ دَرَهْمًا ، لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ . فَأَمَرَ بِهِ الْحِجَّاجَ فَقُتِلَ . وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا رَوَى الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ قُحْذَمٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ .

وذكر ضَمْرَةُ بن ربيعة ، عن أَبِي شَوْذَبٍ ، أَنَّ عَمَالَ الْحِجَّاجِ كَتَبُوا إِلَيْهِ : إِنَّ الْخِرَاجَ قَدْ انْكَسَرَ ، وَإِنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ قَدْ أَسْلَمُوا وَلَسَّحَقُوا بِالْأَمْصَارِ ، فَكَتَبَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ فِي قَرْيَةٍ فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهَا . فَخَرَجَ النَّاسُ فَعَسَّكَرُوا ، فَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَيَنَادُونَ : يَا مُحَمَّدَاهُ يَا مُحَمَّدَاهُ ! وَجَعَلُوا لَا يَرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ ! فَجَعَلَ قَرَاءُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِمْ مُتَقَنِّعِينَ فَيَبْكُونَ لَمَّا يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ وَيَرَوْنَ . قَالَ : فَقَدِمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَلَى ١١٢٣/٢ تَفِيئَةَ ذَلِكَ ، وَاسْتَبْصَرَ قَرَاءَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي قِتَالِ الْحِجَّاجِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ .

وذكر عن ضَمْرَةَ بن ربيعة عن الشَّيْبَانِيِّ ، قَالَ : قَتَلَ الْحِجَّاجُ يَوْمَ الزَّوَايَةِ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا ، مَا اسْتَحْيَا مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدًا ، كَانَ ابْنُهُ فِي كُتَّابِ الْحِجَّاجِ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَحِبُّ أَنْ نَعْفُوَ لَكَ عَنْ أَبِيكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَفَرَّكَهُ لِابْنِهِ ؛ وَإِنَّمَا خَدَعْتَهُمْ بِالْأَمَانِ ، أَمْرٌ مَنَادِيًّا فَنَادَى عِنْدَ الْهَزِيمَةِ : أَلَا لَا أَمَانَ لِفُلَانٍ وَلَا فُلَانٍ ، فَسَمَّى رِجَالًا مِنْ أَوْلَئِكَ الْأَشْرَافِ ، وَلَمْ يَقْتُلْ : النَّاسُ آمَنُونَ ، فَقَالَتِ الْعَامَّةُ : قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى حُجْرَتِهِ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَمَرَهُمْ بِوَضْعِ أَسْلِحَتِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : لَا مَرْنَ بِكُمْ الْيَوْمَ رِجَالًا لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ ، فَأَمَرَ بِهِمْ عُمَارَةُ بْنُ تَمِيمٍ اللَّخْمِيُّ فَقَتَلَهُمْ .

وَرَوَى عَنْ النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ ، أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَ

ما قَتَلَ الحِجَّاجُ صَبْرًا مائةً وعشرين ، أو مائةً وثلاثين ألفًا .

وقد ذُكِرَ في هزيمة ابن الأشعث بِمَسْكِين قولٌ غيرُ الذى ذكره أبو مخنف ؛ والذى ذُكِرَ من ذلك أن ابن الأشعث والحِجَّاج اجتمعَا بِمَسْكِين من أرض أبزقباد ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدعى خدّاش مؤخّر النهر ، نهر تيرى ، ونزل الحِجَّاج على نهر أفريد والعسكران جميعًا بين دجلة والسيب والكرخ ، فاقتتلوا شهيرًا - وقيل : دون ذلك - ولم يكن الحِجَّاج يَعْرِفُ إليهم طريقًا إلا الطريق الذى يَلْتَقُونَ فيه ، فأَتَى بِشَيْخٍ كان راعيًا يُدعى زورقًا ، فدله على طريق من وراء الكرخ طولُه ستّة فراسخ ، في أجْمَةِ وَضَحْضَاح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من جِلَّةِ أَهْلِ الشَّام ، وقال لقائدهم : لِيَكُنْ هذا العِلْجُ أَمَامَكَ ، وهذه أربعة آلاف دِرْهَمٍ معك ، فإن أقامَكَ على عسكرهم فادفع المَالَ إليه ، وإن كان كَذِبًا فاضربْ عُنُقَهُ ، فإن رأيتَهُم فاحملْ عليهم فيمن معك ، وليكنْ شِعَارُكُمْ : يا حِجَّاج . فانطلق القائدُ صلاةَ العصر ، والتقى عسكرُ الحِجَّاج وعسكرُ ابن الأشعث حين فَصَلَ القائدُ بمن معه ، وذلك مع صلاة العصر ، فاقتتلوا إلى الليل ، فانكشف الحِجَّاجُ حَتَّى عَبرَ السَّيْبُ - وكان قد عقده - ودخل ابنُ الأشعث عسكرَهُ فانتَهَبَ ما فيه ، فقيل له : لو اتبعتَهُ ؟ فقال : قد تعبنا ونَصَبْنَا ، فَرَجَعَ إلى عسكرِهِ فألقى أصحابُهُ السَّلاحَ ، وباتوا آمِنِينَ في أَنفُسِهِمْ لِمَ الظَّنِّ . وهجم القومُ عليهم نصفَ الليل يصيحون بِشِعَارِهِمْ ، فجعل الرجلُ من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجّه ! دُجِيلَ عن يساره ودجلة أمامه ، ولها جُرْفٌ منكّرٌ ، فكان من غَرِقَ أكثرُ ممن قُتِلَ . وسمع الحِجَّاجُ الصوتَ فعبّرَ السَّيْبَ إلى عسكرِهِ ، ثم وَجَّهَ خيلَهُ إلى القومِ فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحازَ في ثلثمائة ، فضى على شاطئ دجلة حَتَّى أَتَى دُجِيلًا فعبّره في السفن ، وعَقَرُوا دوابَّهُمْ ، وانحدروا في السفن إلى البَصْرَةِ ، ودخل الحِجَّاج عسكرَهُ فانتَهَبَ ما فيه ، وجعل يَقْتُلُ مَنْ وجدَ حَتَّى قَتَلَ أربعة آلاف ؛ فيقال : إن فيمن قُتِلَ عبد الله

١١٢٤/٢

١١٢٥/٢

ابن شدّاد بن الهاد ؛ وقتل فيهم بسطام بن مَصْقَلَة بن هُبيرة ، وعمر (١)
ابن ضُبَيْعَة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخزّمة
العبديّين ، وبُكَيْر بن ربيعة بن ثَرْوَان الضبيّ ؛ فَأَتَى الحجاجُ برعوسهم على
تُرْس ، فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويتمثل :

إِذَا مَرَرْتَ بَوَادِي حَيَّةٍ ذَكَرٍ فَاذْهَبْ وَدَعْنِي أَقَاسِي حَيَّةَ الْوَادِي
ثم نظر إلى رأس بُكَيْر ، فقال : ما أَلَى هذا الشقيّ مع هؤلاء . خذْ بأذنه
يا غلام فألقه عنهم . ثم قال : ضَعْ هذا الرس بين يديّ مسمّع بن مالك
ابن مِسمّع ، فوَضِع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجاج : ما أبكاك ؟ أحرزنا
عليهم ؟ قال : بل جَزَعًا لهم من النار .

* * *

[ذكر خبر بناء مدينة واسط]

وفي هذه السنة: بَنَى الحجاجُ واسطاً، وكان سبب بنائه ذلك - فيما ذُكِرَ -
أنّ الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خُرَاسان ، فعمسكروا بحمّام
عُمر . وكان فتيّ من أهل الكوفة من بني أسدٍ حديثُ عهدٍ بعُرسِ ابنة
عمّ له ، انصرف من العسكر إلى ابنة عمّه لَسَيْلاً ، فطرق البابَ طارقٌ ودقّه دَقّاً
شديداً ، فلذا سَكَرَ من أهل الشَّام ، فقالت للرجل ابنةُ عمّه : لقد لقينا
من هذا الشاميّ شرّاً ، يفعل بنا كلّ ليلة ما تَرَى ، يريد المكروه ، وقد
شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعَرَفُوا ذلك (٢) ، فقال : ائذّنوا له ، ففعلوا ،
فأغلقت الباب ، وقد كانت المرأة نيجدت منزلها وطيبته . فقال الشاميّ :
قد آن لكم ، فاستقنأه الأسدى ، فأندَرَ رأسه (٣) ، فلما أذّن بالفَجْرِ
خرج الرجل إلى العسكر وقال لامراته : إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين
أن يخرجوا صاحبكم ، فسيأتون بك الحجاج ، فاصدقيه - سر على وجهه ؛

(١) ابن الأثير : « عمرو » .

(٢ - ٢) ابن الأثير : « فقال لها زوجها : ائذني له ، فأذنت له فقتله زوجها » . وفي

اللسان : « أفتأت الرجل : حملته على القتل » .

ففعلت ، ورفّع القتيلُ إلى الحجاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عُبَيْسَةُ ابن سعيد على سريره ، فقال لها : ما خَطْبُكِ ؟ فأخبرته ، فقال : صدقتني . ثم قال لولاء الشامي : ادفنوا صاحبكم فإنه قتيلُ الله إلى النار ، لا قودَ له ولا عَقْل ، ثم نادى مناديه : لا ينزلن أحدٌ على أحد ، واخرجوا فعسكروا . وبعث رُوَادًا يرتادون له مَنَزِلًا ، وأمعن ^(١) حتى نزل أطراف كَمَسْكَر ، فبينما هو في موضع واسِطَ إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبرَ دِجْلَةَ ، فلما كان في موضع واسِطَ تفاجت الأتان فبالت ، فترل الراهب ، فاحتفر ذلك البول ، ثم احتملَه فرمى به في دِجْلَةَ ، وذلك بَعَيْنُ الحجاج ، فقال : عليَّ به ، فأثني به ، فقال : ما حَمَلَك على ما صنعت ؟ قال : نجد في كُتُبنا أنه يُبْنَى في هذا الموضع مَسْجِدٌ يُعْبَدُ اللهُ فيه ما دام في الأرض أحدٌ يوحدُه . فاخطت الحجاج مدينةَ واسِطَ ، وبَنَى المسجدَ في ذلك الموضع .

* * *

١١٢٧/٢

وفي هذه السنة عزلَ عبدُ الملك - فيما قال الواقدي - عن المدينة أَبَانَ بْنَ عثمان ، واستعملَ عليها هشامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ المخزومي .
وحجَّجَ بالناس في هذه السنة هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت ، عن حدثه ، عن إِسْحَاقَ بْنَ عِيسَى ، عن أَبِي معشر .
وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سِوَى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها ؛ وأمّا المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها ^(٢) .

(١) ب : « فأبعد » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها في السنة التي قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ، ففتح فيها المصيصة ، كذلك ذكر الواقدي .

[خبر قتل الحجاج أيوب بن القرية]

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه - فيما ذكر - أنه كان يدخل على حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجمامح - وحوشب على الكوفة عامل للحجاج ^(١) - فيقول حوشب : انظروا إلى هذا الواقف معي ، وغداً أو بعد غد يأتي ^(٢) كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه ، فيينا هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج :

أما بعد ، فإنك قد صرت كنهناً لمنافقي أهل العراق ومساوي ، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القرية مشدودة يده إلى عنقه ، مع ثقة من قبلك .

فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به إليه ، فقرأه فقال : سمعاً وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مؤثقاً ، فلما دخل الحجاج قال له : يا ابن القرية ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثة حروف كأنهن ركب وقوف ، دنيا ، وآخرة ، ومعروف . قال : اخرج مما قلت ، قال : أفعل ، أما الدنيا فال حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، وأما الآخرة فيوزان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فلن كان علي اعترفت ، وإن كان لي اعترفت . قال : إما لا فاعترف بالسيف إذا وقع بك . قال : أصلح الله الأمير ! أقلتني عشرتي ، وأسغني ^(٣) ريتي ، فإنه ليس جواد إلا له

(٢) ب : « يأتيني » .

(١) ب : « الحجاج » .

(٣) ط : « واسغني »

كَبْشَوَ ، وَلَا شَجَاعٌ إِلَّا لَهُ هَبْشَوَ ^(١) . قَالَ الْحِجَّاجُ : كَلَّا وَاللَّهِ لِأُرَيْنَكَ ^(٢) جَهَنَّمَ ، قَالَ : فَأُرِحْنِي فَأُبْدِ حَرَّهَا ، قَالَ : قَدْ مَنَّهُ يَا حَرَمِي فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَالَ : لَوْ كُنَّا تَرَكْنَا ابْنَ الْقَرِيَّةِ حَتَّى نَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ فَرُمِي بِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَانَةُ : حِينَ مَنَعَ الْحِجَّاجُ مِنَ الْكَلَامِ ابْنَ الْقَرِيَّةِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ الْقَرِيَّةِ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى السَّوَاءِ لَسَكُنَّا جَمِيعًا ، أَوْ لَأَلْفَيْتُ مَنِيْعًا .

١١٢٩/٢

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وفي هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس .

* ذكر سبب فتحه إياها :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : كَانَ نِيزَكُ يَسْتَزِلُّ بِقَلْعَةِ بَاذَغَيْسٍ ، فَتَحَّتْ يَزِيدُ غَزْوَهُ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعِيُونَ ، فَلَبِغَهُ خُرُوجُهُ ، فَخَالَفَهُ يَزِيدُ إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ نِيزَكُ فَرَجَعَ ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا فِي الْقَلْعَةِ مِنَ الْخِزَانِ ، وَيَرْتَحِلَ عَنْهَا بَعِيَالَهُ ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَعْدَانَ الْأَشْقَرِيُّ :

وَبَاذَغَيْسُ الَّتِي مَنَ حُلْ ذُرْوَتَهَا	عَزَّ الْمُلُوكَ فَإِنْ شَأْ جَارٍ أَوْ ظَلَمَا
مَنِيْعَةٌ لَمْ يَكِدْهَا قَبْلَهُ مَلِكٌ	إِلَّا إِذَا وَاجَهَتْ جَيْشًا لَهُ وَجَمَا
تَخَالَ نِيرَانُهَا مِنْ بُعْدٍ مَنَظَرُهَا	بَعْضُ النُّجُومِ إِذَا مَالِيْهَا عَمَّا
لَمَّا أَطَافَ بِهَا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ	حَتَّى أَقْرَأُوا لَهُ بِالْحُكْمِ فَاحْتَكَمَا
فَذَلَّ سَاكِنُهَا مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ	يُعْطَى الْجِزْيَ عَارِفًا بِالذَّلِّ مُهْتَضِمًا
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامًا نَعْدَدُهَا	وَقَبْلُهَا مَا كَشَفَتْ الْكَرْبَ وَالظَّلْمَا
أَعْطَاكَ ذَاكَ وَلِيُّ الرِّزْقِ يَقْسِمُهُ	بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَالْمَحْرُومِ مِنْ حُرْمَا

١٢٣٠/٢

(٢) ابن الأثير : « لأزيرتك » .

(١) البيان والتبيين ١ : ١١٢ ، ٣٥٠ .

يداك إحداهما تُسقى العدو بها
فهل كَسَيْبٍ يَزِيدُ أَوْ كَنَائِلِهِ
ليسا بأجود منه حينَ مَدِّهِما
وقال :

ثَنَانِي عَلَى حَيِّ الْعَتِيكَ بِأَنَّهَا
إِذَا عَقِدُوا لِلجَارِ حَلًّا بِنَجْوَةٍ
نَفَى نِيزَكًا عَنْ بَادِغَيْسٍ وَنِيزَكُ
مُحَلَّقَةٍ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
وَلَا يَبْلُغُ الْأَرُوزِ شَمَارِيخَهَا الْعَلَا
وَمَا خُوفَتْ بِالذُّئْبِ وَلِدَانُ أَهْلِهَا
تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَى الْعَتِيكَ ذَوِي النَّهْيِ
كَمَا يَتَمَنَّى صَاحِبُ الْخَرْثِ أُعْطِشَتْ
فَأُسْقَى بَعْدَ الْيَأْسِ حَتَّى تَحْيَرَتْ
لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ النَّوَى وَتَشَعَّبَتْ
قال : وكان نيزكُ يُعْظِمُ القلعة إذا رآها سَجَدَ لها . وَكَتَبَ يَزِيدُ بْنُ

المُهَلَّبِ إِلَى الْحِجَاكِجِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَتْ كُتِبَ يَزِيدُ إِلَى الْحِجَاكِجِ بِكَتْبِهَا
يَحْيَى بْنُ يَعْمَرِ الْعَدَوَانِي ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُذَيْلَ ، فَكَتَبَ : إِنَّا لَتَقِينَا الْعَدُوَّ
فَنَحْنُ اللَّهُ أَكْثَرُهُمْ ، فَقَتَلْنَا طَائِفَةً ، وَأَسْرُنَا طَائِفَةً ، وَلَحِقَتْ طَائِفَةٌ بِرُءُوسِ
الْجِبَالِ وَعُرَاعِرِ الْأَوْدِيَةِ ، وَأَهْضَامِ الْغَيْطَانِ وَأَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ^(١) ؛ فَقَالَ الْحِجَاكِجُ :
مَنْ يَكْتُبُ لِيَزِيدَ ؟ فَقِيلَ : يَحْيَى بْنُ يَعْمَرٍ ، فَكَتَبَ إِلَى يَزِيدَ فَحَمَلَهُ عَلَى
الْبَرِيدِ ، فَقَدَّمَ عَلَيْهِ أَفْصَحَ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ وَلِدَتَ ؟ قَالَ : بِالْأَهْوَازِ ؛
قَالَ : فَهَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : حَفِظْتَ كَلَامَ أَبِيي وَكَانَ فَصِيحًا^(٢) . قَالَ : مِنْ

(١) الرعدة قلة الجبل ، وجمعها عراعر ، والأهضام : أحضان الأودية وأسافلها .

(٢) الفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هناك فأخبرني هل يَلْحَنَ عنبسة بن سعيد؟ قال : نَعَمْ كثيراً ، قال : ففُلان؟
 قال : نعم ، قال : فأخبرني عَنَى أَلْحَنَ؟ قال : نعم تلحَنَ لَحْنًا خَفِيًّا ؛
 تزيد حرفاً وتَنْقُصُ حرفاً ، وتجْعَلُ أنْ في موضع إنْ ، وإنْ في موضع أنْ .
 قال : قد أجبَلْتُكَ ثلاثاً ، فإن أجبِدْكَ بعد ثلاث بأرض العراق قتلْتُكَ .
 فرَجَعَ إلى خُرَّاسان .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومي ، كذلك جدُّني
 أحمد بن ثابت ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
 وكانت عمَّالُ الأمصار في هذه السنة عمَّالها الذين سمَّيتُ قبلُ في سنة
 ثلاث وثمانين .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .
* ذكر السبب الذي به هلك ، وكيف كان :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف . قال : لما انصرف ابن الأشعث من هرة راجعاً إلى رتبيل ^(١) كان معه رجل من أود يقال له علقمة بن عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخل معك ؛ فقال له عبد الرحمن : لم ؟ قال : ^(٢) لأنني أتخوف عليك وعلى من معك ، والله لكأني بكتاب الحجاج قد جاء ، فوقع إلى رتبيل يرغبه ويرهبه ، فإذا هو قد بعث بك مسلماً أو قتلكم . ولكن ها هنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فنتحصن ^(٣) فيها ، ونقاتل حتى نعطي أماناً أو نموت كراماً . فقال ^(٤) له عبد الرحمن : أما لو دخلت معي لأسيئتلك ^(٥) وأكرمتك ، فأبى عليه علقمة . ودخل عبد الرحمن بن محمد إلى رتبيل . وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النضري ، وأقاموا حتى قدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصروهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم ، فخرجوا إليه فوفى لهم .

قال : وتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعت به إلى ، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف مقاتل . وكان عند رتبيل رجل من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع ، فقال لرتبيل : أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكفن الخراج

(١) بعدها في ب : « ملك الترك » . (٢) س : « إني » .

(٣) ب : « نتحصن » . (٤) ب : « قال » .

(٥) ب : « لأمتك » .

عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن بن محمد ، قال رُبَيْل لعبيد : فإن فعلت فإن لك عندى ما سألت .

فكتب إلى الحجاج يُخبره أن رُبَيْل لا يعصيه ، وأنه لن يدع رُبَيْل حتى يتبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد ، فأعطاه الحجاج على ذلك مالاً وأخذ من رُبَيْل عليه مالاً ، وبعث رُبَيْل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج ، وترك له الصلح الذى كان يأخذه منه سبع سنين . وكان (١) الحجاج يقول : بعث إلى رُبَيْل بعدو الله . فألقى نفسه من فوق إجمار فأت . (٢)

١١٢٤/٢

قال أبو مخنف : وحدثني سليمان بن أبي راشد . أنه سمع مُليكة ابنة يزيد تقول : والله كُلمات عبد الرحمن وإن رأسه لعل فتخذي ، كان السل قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رُبَيْل فتحز رأسه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشر رجلاً من آل الأشعث فحبسهم عنده ، وترك جميع من كان معه من أصحابه . وكتب إلى الحجاج يأخذه الثمانية عشر رجلاً من أهل بيت عبد الرحمن ، فكتب إليه : أن اضرب رقابهم ، وابعث إلى برءوسهم ، وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك ، فيترك منهم أحداً .

وقد قيل في أمر بن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف ، وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول : زعم أن حمارة بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني العنبر يدعى مودوداً ، فحصره ثم آمنه ، ثم استولى على سجستان ، وأرسل إلى رُبَيْل . وكتب إليه الحجاج : أما بعد ، فإنني قد بعثت إليك حمارة بن تميم في ثلاثين ألفاً من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ، ولم يخلعوا خليفة ، ولم يتبعوا إمام صلالة ، يُجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم ، يستطيعون الحرب استطعماً ، يطلبون ابن الأشعث . فأبى رُبَيْل أن يسلمه . وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التميمي قد خص به ،

١١٣٥/٢

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا في ط ، وانظر الصفحة التالية . والإجمار : سطح المنزل .

وكان رسوله إلى رُتبيل ، فخصَّ رُتبيل أيضاً ، وخفَّ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إني لا آمن غدرَ التميمي ، فاقتله ، فهَمَّ به ، وبلغ ابن أبي سبيح ، فخافه فوشى به إلى رُتبيل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغدر بـابن الأشعث فأجابه ، فخرج سراً إلى عُمارة بن تميم ، فاستعجل في ابن الأشعث ، فجعل له ألف ألف ، فأقام عنده ، وكتبَ بذلك عُمارة إلى الحجاج ، فكتب إليه أن أعطَ عبيداً ورُتبيلَ ما سألاك واشترط^(١) ، فاشترط رُتبيلُ ألا تغزى بلادَهُ عشر سنين ، وأن يؤدَّى بعد العشر سنينَ في كلِّ سنة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتبيل وعبيداً^(٢) ما سألا ، وأرسل رُتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدَّ لهم الجوامع والقيود ، فألقى في عنقه جامعةً ، وفي عنق القاسم جامعة ، وأرسل بهم جميعاً إلى أدنى مسالِح عُمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس : تفرقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عُمارة ألقى نفسه من فوق قَصْر فات ، فاحتزَّ رأسه ، فأتى به وبالأسرى عُمارة ، فضرب أعناقهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرءوس أهليه وبامراته إلى الحجاج ، فقال في ذلك بعضُ الشعراء :

هيهات موضعُ جُثَّةٍ من رأسها رأسٌ بمصرَ وجُثَّةٌ بالرخج^(٣) ١١٣٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك ، فأرسل^(٤) به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر .

وذكر عمر بن شبَّه أن ابن عائشة حَدَّثه قال : أخبرني سعد بن عُبَيْد الله قال : لما أتى عبدُ الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصيٍّ إلى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش ، فلما وُضع بين يديها قالت : مرحباً بزائر لا يتكلم ؛ مَلِك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقادير . فذهب الخصي يأخذ الرأس فاجتذبتَه من يده ، قالت : لا والله حتى أبلغ

(١) كذا في ب ، وفي ط : « فاشترط » . (٢) ر : « وعبيد الله » .

(٣) ر : « بالرخج » ، س : « بالرجح » . (٤) ب : « وأرسل » .

حاجتي ، ثم دعت بخصمي فغسلته وغلفته ثم قالت : شأنك به الآن .
فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلما دخل عليه زوجها ، قال : إن استطعت
أن تصيب منها سخله .

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد
رتبيل فتمثل :

يطرده الخوف فهو تائه^(١) كذاك من يكره حرّ الجلال
منخرق الخفين يشكو الوجأ تنكبه أطراف مرو جداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

فالتفت إليه فقال : يا حية ، هلاّ ثبت في موطن من المواطن فتموت
بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرت إليه !

قال هشام : قال أبو مخنف : خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه
حميد الأرقط وهو يقول :

١١٣٧/٢

ما زال يبني خندقاً ويهدمه^(٢) عن عسكر يقوده فيسلمه
حتى يصير في يديك مقسمة هيات من مصفه منهزمة .
* إن أخا الكظاظ من لا يسأله *

فقال الحجاج : هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان :

نُبئت أنّ بُنيّ يو سف خرّ من زلّقي فتبّا

قد تبين له من زلّقي وتبّ ودحّض فانكبّ ، وخاف وخاب ، وشكّ
وارتاب ؛ ورفع صوته فما بقي أحدٌ إلا فترع لغضبه ، وسكت الأريقط ، فقال
له الحجاج : عدّ فيما كنت فيه . ما لك يا أرقط ! قال : إني جعلت
فداك أيّها الأمير وسُلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتك غضبت فأرعدت
خصائلي ، واحزألت مقاصلي ، وأظلم بصري ، ودارت بي الأرض . قال له

(١) ب : « طرده الخوف » . (٢) ر : « ويهدمه » .

الحجاج : أجل ، إن سلطان الله عزيز ، عد فيما كنت فيه ، ففعل .
 وقال الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جريير بن عبد الله البجلي
 وهو أعور ، فقال الحجاج للأريقط : كيف قلت لابن سمره ؟ قال : قلت :
 يا أعور العين فدئت العورا^(١) كنت حسبت الخندق المحفورا
 يرُدُّ عنك القدر المقدورا ودائرات السوء أن تدورا
 وقد قيل : إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في ستة أربع وثمانين .

١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلب عن خراسان]

وفي هذه السنة عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان
 ولأها المفضل بن المهلب أخا يزيد .

* ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل :
 ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن الحجاج وقد إلى
 عبد الملك ، فرقى منصرفه بدير فتركه ، فقيل له : إن في هذا الدير
 شيخا من أهل الكتب عالما ، فدعا به فقال : يا شيخ ، هل تجدون في
 كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه
 وما هو كائن ؛ قال : أفسسى أم موصوفا ؟ قال : كل ذلك ؛ موصوف بغير
 اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده
 في زماننا الذي نحن فيه ؛ ملك أقرع ، من يقيم لسبيله يصرع ، قال : ثم
 من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل اسمه
 اسم نبي يفتح به على الناس ، قال : أتعرفني ؟ قال : قد أخبرت بك .
 قال : أتعلم ما ألي ؟ قال : نعم ، قال : فن يلكيه بعدى ؟ قال : رجل
 يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أتعرف
 صفته ؟ قال : يغدر غدرة ؛ لا أعرف غير هذا .

١١٣٩/٢

قال : فوقَّع في نفسه يزيدُ بنُ المهلب ، وارتحل فسار سبَّعًا وهو وجِل من قولِ الشيخ ؛ وقدِم فكتَّب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق ، فكتب إليه : يا بنَ أمِّ الحجاج ، قد علمتُ الذي تغزو ، وأنتك تريد أن تعلم رأيي فيك ، ولتعمري إني لأرى مكانَ نافع بنِ علقمة ، قاله عن هذا حتى يأتي الله بما هو آت ؛ فقال الفرزدق يذكُر مسيره :

لو أنَّ طيرًا كلَّفتُ مثلَ سيره إلى واسطٍ من إيلياء لملت^(١)
 سرى بالمهاري من فلسطين بعدما دنا الليل من شمس النهار فوقَّت^(٢)
 فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها بميسان قد ملت سراها وكتلت^(٣)
 كأنَّ قطامياً على الرّحل طاوياً إذا غمره الظلّماء عنه تجلّت^(٤)
 قال فبينما^(٥) الحجاج يوماً خال^(٦) إذ دعا عبید^(٧) بنَ موهب ،
 فدخل وهو ينكت في الأرض ، فرفع رأسه فقال : ويحك يا عبید !
 إن أهل الكتب يذكرون أن ماتحت يدي يليه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت
 يزيد بنَ أبي كبشة ، ويزيد بنَ حصين بنِ نمير ، ويزيد بن دينار ، فليسوا
 هناك ، وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب ؛ فقال عبید : لقد شرفتهم
 وأعظمت^(٨) ولايتهم ، وإن لهم لعدداً وجسداً ، وطاعة وحظاً ، فأخلق به .
 فأجمع على عزل يزيد فلم يجد له شيئاً حتى قدم الخيار بن أبي سبرة بن
 ذؤيب بن عرفة بن محمد بن سفيان بن مجاشع - وكان من فرسان المهلب -
 وكان مع يزيد - فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ، قال : حسن
 الطاعة ، لين السيرة ، قال : كذبت ، أصدقني عنه ، قال : الله أجل وأعظم ،
 قد أسرج ولم يلجم ، قال : صدقت ، واستعمل الخيار على عُثمان بعد
 ذلك .

١١٤٠/٢

(٢) الديوان : « دنا النى » .

(١) ديوانه ١٣٧ .

(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » . (٤) بعده في الديوان :

وقد علم الأقبام أن ابن يوسف قطوب إذا ما المشرفية سلّمت

(٦) ب : « خاليا » .

(٥) ب : « فيينا » .

(٨) ب : « وعظمت » .

(٧) ب : « عبید » .

قال : ثم كتّبت إلى عبد الملك يذمّ يزيد وآل المهلب بالزيرية ، فكتب إليه عبد الملك : إني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي . فكتّبت إليه الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ . فكتب إليه عبد الملك : قد أكثرت في يزيد وآل المهلب ، فسمّ لي رجلاً يصلح خراسان ؛ فسمّى له جماعة بن سحر السعدى ، فكتب إليه عبد الملك : إنّ رأيك الذى دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك إلى جماعة بن سحر ، فانظر لي رجلاً صارماً ، ١١٤١/٢ ماضياً لأمرى ، فسمّى بقتيبة بن مسلم ، فكتب إليه : ولّه . وبلغ يزيد أنّ الحجاج عزّله ، فقال لأهل بيته : من ترون الحجاج يولى خراسان ؟ قالوا : رجلاً من ثقيف ، قال : كلاً ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهدّه ، فإذا قدمت عليه عزّله وولى رجلاً من قيس ، وأخلق بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك للحجاج فى عزّله يزيد كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه أن استخلف المفضل وأقبل . فاستشار يزيد حُضَيْنَ بن المنذر ، فقال له : أقم واعتلّ ، فإنّ أمير المؤمنين حسّن الرأى فيك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فإنّ أقمتم ولم تتعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقرّ يزيد ، قال : إنّنا أهل بيت بُورك لنا فى الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ؛ فأخذ فى الجھّاز ، وأبطأ ذلك على الحجاج ، فكتب إلى المفضل : إني قد وليتُك خراسان ، فجعل المفضل يستحيّ يزيد ، فقال له يزيد : إنّ الحجاج لا يقرّك بعدى ، وإنما دعاه إلى ما صنعت مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدتنى ، قال يزيد : يا بن بهلة ، أنا أحسدك ! ستعلم . وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين . فعزل الحجاج المفضل ، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه :

يا بُنَىْ بِهَلَّةٍ إِنَّمَا أَخْزَاكُمَا رَبِّىْ غَدَاةَ غَدَاةٍ الْهَمَامُ الْأَزْهَرُ ١١٤٢/٢
أَحْفَرْتُمْ لِأَخِيكُمُ فَوْقَعْتُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَحْشَوْهَا الْمُعْوَرُ
جُودُوا بِتَوْبَةٍ مُّخْلِصِينَ فَإِنَّمَا يَأْبَى وَيَأْنَفُ أَنْ يَتُوبَ الْأَخْسَرُ

وقال حُضَيْن ليزيد :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَأَصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ نَادِمًا
فَمَا أَنَا بِالْبَاكِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَمَا أَنَا بِالْدَّاعِي لَتَرْجَعَ سَالِمًا

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَتَفَسَّكَ أَوَّلُ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتُ لَا تَمَّا
فَإِنْ يَبْلُغُ الْحِجَّاجَ أَنْ قَدْ عَصَيْتُهُ فَإِنَّكَ تَلْقَى أَمْرَهُ مُتَّفَقًا

قال : فإذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته ألا يدع صفراء ولا
بيضاء إلا حملتها إلى الأمير ، فقال رجل لعياض بن حضين : أما أبوك
فوجدته قتيبة حين فره قارحًا بقوله : « أمرته ألا يدع صفراء ولا بيضاء
إلا حملها إلى الأمير » .

قال علي : وحدثنا كلثيب بن خلسف ، قال : كتب الحجاج إلى يزيد
أن اغزو خوارزم ، فكتب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السلب ، شديدة
الكلب . فكتب إليه الحجاج : استخلف واقدم ، فكتب إليه : إني
أريد أن أغزو خوارزم . فكتب إليه : لا تغزها فإنها كما وصفت ، فغزا
ولم يطعه ، فصالحه أهل خوارزم ، وأصاب سببًا مما صالحوه ، وقتل
في الشتاء ، فاشتد عليهم البرد ، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها ، فأت
ذلك السبي من البرد . قال : ونزل يزيد بلسانة ، وأصاب أهل مرو
الروذ طاعون ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن اقدم ، فقدم ، فلم يمر
ببلد إلا فرشوا له الرياحين . وكان يزيد ولي سنة اثنتين وثمانين ، وعزل سنة خمس
وثمانين ، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة .

١١٤٣/٢

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن
خراسان سببًا غير الذي ذكره علي بن محمد ، والذي ذكر من ذلك عن
أبي مخنف أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين
فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته — وقد

كان الحجاج أذلَّ أهلَ العراقَ كلَّهم إلا يزيدَ وأهلَ بيته ومنَ معهم من أهلِ
المِصْرَينَ بخُرَّاسانَ ، ولم يكن يتخوَّفُ بعدَ عبدِ الرحمن بن محمد بالعراق
غيرَ يزيد بن المهلب - فأخذ الحجاجُ في مواربة يزيدَ ليستخرجَه من خُرَّاسانَ ،
فكان يبعثُ إليه لِيأتيه . فيعتلُّ عليه بالعدوِّ وحربِ خُرَّاسانَ ، فمكثَ
بذلك^(١) حتى كان آخرَ سلطان عبدِ الملك . ثمَّ إنَّ الحجاجَ كتب إلى عبد الملك
يشير عليه بعزلَ يزيدَ بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ،
وأَنه لا وفاءَ لهم ؛ فكتب إليه عبدُ الملك : إنِّي لا أرى تقصيراً بولَدِ المهلب
طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإنَّ طاعتهم ووفاءهم لهم ، هو دعاهم إلى
طاعتي والوفاء لي .

ثمَّ ذكر بقية الخبر نحوَ الذي ذكره علي بن محمد .

* * *

[غزو المفضل باذغيس وآخرين]

وفي هذه السنة غزا المفضل باذغيس ففتَحَها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : عَزَلَ الْحَجَّاجُ
يَزِيدَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُفَضَّلِ بِوَلَايَتِهِ عَلَى خُرَّاسَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، فَوَلِيَهَا
تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، فَغَزَا بِإِذْغِيسَ فَفَتَحَهَا وَأَصَابَ مَغْنَمًا ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ ،
فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَمَانِمِائَةَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ غَزَا أُخْرُونَ وَشُؤْمَانُ ، فَظَفِيرَ
وَعَسِيمٍ ، وَقَسَمَ مَا أَصَابَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُفَضَّلِ بَيْتُ مَالٍ ، كَانَ
يُعْطِي النَّاسَ كُلَّمَا جَاءَهُ شَيْءٌ ، وَإِنْ غَنِمَ شَيْئًا قَسَمَهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ كَعْبُ
الْأَشْقَرِيِّ يمدح المفضل :

تَرَى ذَا الْغِنَى وَالْفَقْرَ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ^(٢) عَصَائِبَ شَتَّى يَنْتَوُونَ الْمُفَضَّلَا
فَمَنْ زَائِرٍ يَرْجُو فَوَاضِلَ سَيْبِهِ وَأَخَرَ يَقْضِي حَاجَهُ قَدْ تَرَحَّلَا^(٣)

(٢) ب : « نرى ذا الغنى » .

(١) ب : « كذلك » .

(٣) ب : « ترجلا » .

إذا ما انتَوينا غير أرضك لم نجد
إذا ما عدَدنا الأكرمين ذوى النهى
لعمري لقد صال المفضلُ صَوْلَةً
ويوم ابن عباس تناولتَ مثلها
صَفَتْ لك أخلاقُ المهلبِ كُلِّها
أَبوك الذى لم يسع ساعٍ كسعيه
بها منتوى خيرًا ولا مُتعللاً
وقد قدّموا من صالحٍ كنتَ أولاً
أَباحتُ بشومانَ المناهل والكلا
فكانت لنا بين الفريقين فيصلاً
وسُرِبتَ من مَسعاته ما تَسربلاً
فأورثَ مجدًا لم يكن مُتَنَحِّلًا^(١)

١١٤٥/٢

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمز]

وفي هذه السنة قُتِلَ موسى بنُ عبد الله بن خازم السُّلَميَّ بالترمز .
* ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قُتِلَ بها :

«ذكر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قَتَلَ مَنْ قَتَلَ من بني تميم بفرستنا - وقد مضى ذكرى خبر قتله إياهم - تفرق عنه عظم من كان بى معه منهم ، فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بمرو ، فقال لابنه موسى : حول ثقلى عن مرو ، واقطع نهر بلسخ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى^(٢) حصن تقيم^(٣) فيه . فشخص موسى من مرو في عشرين ومائتي فارس ، فأتى أمل وقد ضوى إليه قوم من الصعاليك ، فصار في أربعمائة ، وانضم إليه رجال من بني سليم ، منهم زُرعة بن علقمة ، فأتى زم فقاتلوه ، فظفر بهم وأصاب^(٤) مالا ، وقطع النهر ، فأتى بخارى فسأل صاحبها أن يلجأ إليه ، فأبى وخافه ، وقال : رجل فانتك ، وأصحابه مثله أصحاب حرب وشر ، فلا آمنه . وبعث إليه بصلة عين ودواب وكسوة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى في نوقان ، فقال له : إنه

١١٤٦/٢

(٢) ب : « وال » .

(١) ب : « متخلا » .

(٣) ابن الأثير : « تقوم » .

(٤) ب : « فأصاب » .

لا خيرَ في المُقام في هذه البلاد ، وقد هَآبَكَ القومُ وهم لا يَأمَنونَكَ . فأقام عند دَهقان نوقانَ أشهراً ، ثمَّ خرج يَلتمس مَلِكاً يَلجأُ إليه أو حِصناً ، فلم يَأْتْ بلداً إلا كثرَ هوا مُقامه فيهم ، وسألوهُ أن يَخرج عنهم .

قال عليّ بن محمد: فأبى سمرقند فأقام بها ، وأكرمه طَرْنُونُ مَلِكُهَا ، وأذن له في المُقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصُّغد مائدةٌ يوضع عليها لحم ودك^(١) وخُبْز وإبريق شراب ، وذلك في كلِّ عام يوماً ، يُجعل ذلك لفارس الصُّغد فلا يَقرِّبه أحدٌ غيره ، هو طعامه في ذلك اليوم ، فإنَّ أكل منه أحدٌ غيره بارزَه فأَيُّهُما قَتَلَ صاحبه فالمائدةُ له ، فقال رجلٌ من أصحاب موسى : ما هذه المائدة ؟ فأخبر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لا أكلن ما على هذه المائدة ، ولأبارزنَ فارسَ الصُّغد ، فإن قتلته كنتُ فارسَهم . فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مُغضباً ، فقال : يا عرَبِي ، بارِزْنِي ، قال : نعم ، وهل أريدُ إلا المُبارزة ! فبارزَه فقتله صاحب موسى ، فقال مَلِكُ الصُّغد : أنزلتُكم وأكرمتُكم فقتلتم فارسَ الصُّغد ! لولا أَنِّي أعطيتُك وأصحابك الأمان لقتلتُكم ، اخرجوا عن بلدي ، ووَصَله . فخرج موسى فأبى كَيْسَ فكَتَبَ صاحبُ كَيْسَ إلى طَرْنُونِ يستنصره ، فأثاه ، فخرج إليه موسى في سبعِمائة فقاتلَهم حتى أَمَسُوا ، وتَحَاجَزُوا وبأصحاب موسى جراحٌ كثيرةٌ ، فلما أصبحوا أمرهم موسى فحلقوا رؤوسَهم كما يَصْنَعُ^(٢) الخوارج ، وقطعوا صَفِينَاتِ أَخِيَّتِهِمْ كما يَصْنَعُ العَجَمُ إذا استأثوا . وقال موسى لِرُزْعة بن علقمة : انْطَلِقْ إلى طَرْنُونِ فاحتلْ له . فأثاه ، فقال له طَرْنُونُ : لِمَ صَنَعَ أصحابُك ما صَنَعُوا ؟ قال : استقتلوا فما حاجتك إلى أن تَقْتُلَ أَيُّهَا المَلِكُ موسى وتَقْتُلَ ! فإنك لا تصل إليه حتى يقتلَ مثلَ عدتِهم منكم ، ولو قتلته وإياهم جميعاً ما نلتَ حظاً ، لأنَّ له قَدْرًا في العَرَبِ ، فلا يلي أحدٌ خُرَاسانَ إلا طالِبُكَ بدمه ، فإن سلمتَ من واحد لم تَسَلَمْ من آخرٍ ؛ قال : ليس إلى تَرْكِ كَيْسَ في يَدِهِ سَبِيلٌ ؛ قال : فكُفَّ عنه حتى

(١) لحم ديك : فيه دسم .

(٢) ب : « تصنع » .

يَسْرَحِلْ ، فَكَفَّ وَأَتَى مُوسَى التَّرْمِذَ وَبِهَا حَصْنٌ يُشْرِفُ عَلَى النُّهْرِ إِلَى جَانِبِ
مِنْهُ ، فَتَزَلَّ مُوسَى عَلَى بَعْضِ دَهَاقِينَ التَّرْمِذِ خَارِجًا مِنَ الْحِصْنِ وَالِدَّهْقَانِ
مُجَانِبَ لِيَرْمِيَنِي شَاهُ ، فَقَالَ لِمُوسَى : إِنَّ صَاحِبَ التَّرْمِذِ مُتَكَرِّمٌ شَدِيدُ
الْحَيَاءِ ، فَإِنْ أَلْفَطْتَهُ ^(١) وَأَهْدَيْتَ إِلَيْهِ أَدْخَلَكَ حِصْنَهُ ، فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ ،
قَالَ : كَلَّا ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُهُ أَنْ يُدْخِلَنِي حِصْنَهُ ، فَسَأَلَهُ فَأَبَى ، فَأَكْرَهُهُ
مُوسَى وَأَهْدَى لَهُ ^(٢) وَالْطَّفَقَةَ ، حَتَّى لَطَفَ الَّذِي بَيْنَهُمَا ، وَخَرَجَ فَتَصَيَّدَ مَعَهُ ،
وَكَثُرَ لِلطَّافِ مُوسَى لَهُ ، فَصَنَعَ صَاحِبُ التَّرْمِذِ طَعَامًا وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنِّي أَحِبُّ
أَنْ أَكْرِمَكَ ، فَتَغَدَّ عِنْدِي ، وَاتْنَنِي فِي مَائَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ . فَانْتَخَبَ مُوسَى
مِنْ أَصْحَابِهِ مَائَةً ، فَلَخَلُوا عَلَى خِيُولِهِمْ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي الْمَدِينَةِ تَصَاهَلَسَتْ ،
فَنَظِيرُ أَهْلِ التَّرْمِذِ وَقَالُوا لَهُمْ : انْزِلُوا ، فَتَنَزَّلُوا ، فَأَدْخَلُوا بَيْتًا ، خَمْسِينَ فِي
خَمْسِينَ ، وَغَدَّوهُمْ .

١١٤٨/٢

فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الْغَدَاءِ اضْطَجَعَ مُوسَى ، فَقَالُوا لَهُ : اخْرُجْ ، قَالَ :
لَا أَصِيبُ مَتَزِلًا مِثْلَ هَذَا ، فَلَسْتُ بِخَارِجٍ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ بَيْنِي أَوْ قَبْرِي .
وَقَاتَلُوهُمْ فِي الْمَدِينَةِ ، فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ التَّرْمِذِ عِدَّةٌ ، وَهَرَبَ الْآخَرُونَ فَدَخَلُوا
مَتَنَازِلَهُمْ ، وَغَلَبَ مُوسَى عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ لِيَرْمِذِ شَاهُ : اخْرُجْ ، فَإِنِّي لَسْتُ أَعْرِضُ
لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ . فَخَرَجَ الْمَلِكُ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ فَأَتَوْا التُّرْكَ يَسْتَنْصِرُونَهُمْ ،
فَقَالُوا : دَخَلَ إِلَيْكُمْ مَائَةُ رَجُلٍ فَأَخْرَجُوكُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَقَدْ قَاتَلْنَاكُمْ بِكَيْسٍ ،
فَنَحْنُ لَا نَقَاتِلُ هَؤُلَاءِ . فَأَقَامَ ابْنُ خَازِمٍ بِالتَّرْمِذِ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ،
وَكَانُوا سَبْعِمِائَةً ، فَأَقَامَ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ انْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِيهِ أَرْبَعِمِائَةً
فَارِسَ ، فَقَوَى ، فَكَانَ يَخْرُجُ فَيَغِيرُ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ . قَالَ : فَأَرْسَلَ التُّرْكَ قَوْمًا
إِلَى أَصْحَابِ مُوسَى لِيَتَعَلَّمُوا عِلْمَهُ ، فَلَمَّا قَدَّمُوا قَالَ مُوسَى لِأَصْحَابِهِ :
لَا بَدَّ مِنْ مَسْكِيْدَةٍ لِهَؤُلَاءِ — قَالَ : وَذَلِكَ فِي أَشَدِّ الْحَرِّ — فَأَمَرَ بِنَارٍ فَأَجْجَسَتْ ،
وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَلَبَسُوا ثِيَابَ الشِّتَاءِ ، وَلَبَسُوا فَوْقَهَا لُبُودًا ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى
النَّارِ كَأَنَّهُمْ يَصْطَلُّونَ . وَأَذِنَ مُوسَى لِلتُّرْكَ فَدَخَلُوا ، فَفَرَّعُوا مِمَّا رَأَوْا ، وَقَالُوا :

١١٤٩/٢

(١) ب : « لَاطَفْتَهُ » .

(٢) ب : « إِلَيْهِ » .

لِمَ صَنَعْتُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَجِدُ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْوَقْتُ ، وَنَجِدُ الْحَرَّ فِي الشِّتَاءِ ، فَرَجَعُوا وَقَالُوا : جِنٌّ لَا نَقَاتِلُهُمْ . قَالَ : وَأَرَادَ صَاحِبُ التُّرْكِ أَنْ يَغْزُو مُوسَى ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رُسُلًا ، وَبَعَثَ بِسَمِ وَنُشَابَ فِي دَسَكِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالسَّمِ أَنْ حَرِبَهُمْ شَدِيدَةً ، وَالنُّشَابَ الْحَرْبَ ، وَالْمَسَكَ السَّلْمَ ، فَاخْتَرَهُ الْحَرْبَ أَوْ السَّلْمَ ، فَأَحْرَقَ السَّمِ ، وَكَسَرَ النُّشَابَ ، وَنَثَرَ الْمَسَكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : لِمَ يَرِيدُوا الصَّلَاحَ ، وَأَخْبِرَ أَنْ حَرِبَهُمْ مِثْلَ النَّارِ ، وَإِنَّهُ يَكْسِرُنَا ، فَلَمْ يَغْزِهِمْ .

قال : فَوَلَّى بُكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ خُرَّاسَانَ فَلَمْ يَتَعَرِّضْ لَهُ ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيْهِ أَحَدًا ، ثُمَّ قَدِمَ أُمِيَّةُ^(١) فَسَارَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُهُ ، فَخَالَفَتْهُ بِكَيْرٌ ، وَخَلَعَ ، فَرَجَعَ إِلَى مَرَوْ ، فَلَمَّا صَالَحَ أُمِيَّةَ بِكَيْرًا أَقَامَ عَامَتَهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي قَابِلٍ وَجَّهَ إِلَى مُوسَى رَجُلًا مِنْ خُرَّاعَةٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَعَادَ أَهْلَ التُّرْمَذِ إِلَى التُّرْكِ فَاسْتَنْصَرَوْهُمْ فَأَبَوْا ، فَقَالُوا لَهُمْ : قَدْ غَزَاهُمْ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَحَصَرَوْهُمْ ، فَإِنْ أَعْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ ظَفِيرُنَا بِهِمْ . فَسَارَتِ التُّرْكُ مَعَ أَهْلِ التُّرْمَذِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَأُطَافَ بِمُوسَى التُّرْكُ وَالْخُرَّاعِيُّ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ الْخُرَّاعِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ وَالتُّرْكُ آخِرَ النَّهَارِ ، فَقَاتَلَتْهُمْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، فَقَالَ مُوسَى لِعَمْرُو بْنِ خَالِدِ بْنِ حَصِينٍ^(٢) الْكَلَابِيِّ - وَكَانَ فَارِسًا : قَدْ طَالَ أَمْرُنَا وَأَمْرُهُؤَلَاءِ ، وَقَدْ أَجْمَعْتُ أَنْ أُبَيِّتَ عَسْكَرَ الْخُرَّاعِيِّ ، فَإِنَّهُمْ لِلْبَيَاتِ آمِنُونَ ، فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : الْبَيَاتُ نَعْمًا هُوَ ، وَلَيْكُنْ ذَلِكَ بِالْعَجَمِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَشَدَّ حَذَرًا ، وَأَسْرَعَ فِرَاعًا ، وَأَجْرًا عَلَى اللَّيْلِ مِنَ الْعَجَمِ ، فَبَيَّتْتُهُمْ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ نَنفِرُ لِقِتَالِ الْخُرَّاعِيِّ فَتَنَحْنُ فِي حِصْنٍ وَهُمْ بِالْعَرَاءِ ، وَلَيْسُوا بِأَوْلَى بِالْصَبْرِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْحَرْبِ مِنَّا . قَالَ : فَأَجْمَعَ مُوسَى عَلَى بَيَاتِ التُّرْكِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُهُ خَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ لِعَمْرُو بْنِ خَالِدٍ : اخْرُجُوا بَعْدَنَا وَكُونُوا مِنَّا قَرِيبًا ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَخِذْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ الْعَسْكَرِ ، ثُمَّ أَخِذْ مِنْ نَاحِيَةِ كَفْتَانِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ جَعَلَ أَصْحَابُهُ أَرْبَعًا ، ثُمَّ قَالَ : أَطْفِئُوا بِعَسْكَرِهِمْ ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَقْبَلْ

(١) هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

(٢) ب ، ر : « حَصِين » .

وقدَّم عَمْرًا بين يديه ومشَوْا خلفه ، فلما رأته أصحاب الأرصاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : عابري سبيل .

قال : فلما جازوا الرِّصْد تفرَّقوا وأطافوا بالعسكر وكبَّروا ، فلم يشعر الترك إلا بوقوع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضاً وولَّوا ، وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلاً ، وحوَّوا عسكرهم وأصابوا سلاحاً ومالاً ، وأصبح الخُزاعي وأصحابه قد كسرهم ذلك ^(١) ، وخافوا مثلها من البسات ، فتحدَّروا ^(٢) . فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تظفر ^(٣) إلا بمكيكة ^(٤) ولهم أمداد وهم يكثرُونَ ، فدعني آتيهم لعلِّي أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إني ^(٥) إن خلوتُ به قتلته ، فتناولني بضرب ، قال : تتعجل الضرب وتتعرض للقتل ! قال : أما التعرض للقتل فأنا كلَّ يوم متعرِّضٌ له ، وأما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد . فتناولته بضرب ؛ ضربه خمسين سوطاً ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخُزاعي مستأمنًا وقال : أنا رجل من أهل اليَمَن كنتُ مع عبد الله بن خازم ، فلما قُتِلَ أتيَتْ ابنته فلم أزل معه ، وكنتُ أوَّل من أتاه ، فلما قدمت اتهمني ، وتعصَّب عليّ ، وتنكَّر لي وقال لي : قد تعصبت لعدونا ، فأنت عينٌ له ، فضربني ، ولم آمن القتل ، وقُلْتُ : ليس بعد الضرب إلا القتل ، فهربت منه ، فأمنه الخُزاعي وأقام معه .

١١٥١/٢

قال : فدخل يوماً وهو خالٍ ولم يترَ عنده سلاحاً ، فقال كأنه يتصَّح له : أصلحك الله ! إنَّ مِثْلَكَ في مِثْلِ حالِك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح ، فقال : إنَّ معي سلاحاً ، فرفع صدر فراشه فإذا سيفٌ منتضى ، فتناوله عمرو فضربه فقتله ، وخرج فركب فرسه ، ونسَدوا به بعد ما أمعن ، فطلبوه ففاتتهم ، فأتى موسى وتفرَّق ذلك الجيش ، فقطع بعضهم النهر ، وأتى بعضهم موسى مستأمنًا ، فأمنه ، فلم يوجَّه إليه أمةٌ أحدًا . قال : وعزَّل أمةً ، وقَدِّم المهلب أميراً ، فلم يعرض لابن خازم ،

(١) ب : « ذلك » . (٢) ب : « فتحزروا » .

(٣) ب : « إنكم لا تظفرون » . (٤) ب : « لمكيكة » .

(٥) ب : « فإني » .

وقال لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولادة هذا الثغر ما أقام هذا الثبط^(١) ١١٥٢/٢
بمكانه ، فإن قُتل كان أول طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من
قيس . فات المهلب ولم يوجه إليه أحداً ، ثم تولى^(٢) يزيد بن المهلب فلم
يعرض له . وكان المهلب ضرب حرِيث بن قُطَيْبَة الخُزَاعِي ، فخرج هو
وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرَمَهما
وقَتَلَ أخاهما لأُمهما ؛ الحارث بن مُثَنِّد ، وقَتَلَ صِهْرَهما كما كانت عنده
أم حفص ابنة ثابت ، فبَلَغَهما ما صنع يزيد .

قال : فخرج ثابت إلى طَرْنُخُون فَشَتَكَ إليه ما صنع به — وكان ثابت
مُحِبِّباً في العَجَم ، بعيد الصوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرجل منهم
إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يَخْدُر — فغَضِبَ له
طَرْنُخُون وَجَمَعَ له نَيْزِكَ والسَّبَل وأهل بخارى والصَغَمَانِيَان ، فَقَدِمُوا مع
ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سَقَطَ إلى موسى فَلَ عبد الرحمن بن العباس
مِنْ هَرَاة ، وفَلَ ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كَابُل ، وقوم من بني
تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خُرَاسَان ، فاجتمع إلى موسى
ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن ، فقال له ثابت وحرِيث : سر
تقطع النهر فتُخْرِج يزيد بن المهلب عن خُرَاسَان ؛ ونوليك ، فإن طَرْنُخُون
ونَيْزِكَ والسبل وأهل بَخَارَى معك ، فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : ١١٥٣/٢
إن ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد ، وإن^(٣) أخرجت يزيد عن خُرَاسَان وأَمِنَّا تَوَلَّيَا
الأمر وغلبناك على خُرَاسَان ، فأقم مكانك . فقبل رأيهم ، وأقام بالترمذ .
وقال لثابت : إن أخرجنا يزيد قَدِمَ عامل لعبد الملك ، ولكننا نخرج عمال
يزيد من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها . فرضى ثابت
بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر ، وحملت إليهم
الأموال ، وقوى أمرهم وأمر موسى ، وانصرف طَرْنُخُون ونَيْزِكَ وأهل بخارى والسبل
إلى بلادهم ، وتَدَبَّر الأمر لحرِيث وثابت ، والأمير موسى ليس له غير الاسم ،

(١) الثبط : الثقل البطل ، أو الكسج الذي عرى وجهه من الشعر .

(٢) ب : « فإن » .

(٣) ر : « ولي » ، س : « نزل » .

فقال لموسى أصحابه : لسا نرى من الأمر فى يدك شيئاً أكثر من اسم
الإمارة . فأماً التدبير فليحريث وثابت ، فاقْتُلْهُمَا وتولَّ الأمر . فأبى وقال :
ما كنت لأغدر بهما وقد قوياً أمرى ، فحسدُوهما وألحوا على موسى فى
أمرهما حتى أفسدوا قلبه ، وخوفوه غدرهما ، وهمَّ بمتابعتهم على الوثوب
بثابت وحريث . واضطرب أمرهم ؛ فإنهم لى ذلك إذ خرجت عليهم الهياطلة
والثبَّت والتَّرك ، فأقبلوا فى سبعين ألفاً لا يعدون الحاسر ولا صاحب بيضة
جماء ، ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قوْنَس . قال : فخرج ابنُ
خازم إلى ربض المدينة فى ثلثة راجل وثلاثين مجتفماً ، وألقى له كرسىً
فقعده عليه . قال : فأمر طرُخون أن يثلم ^(١) حائط الربض ، فقال موسى :
دَعُوهم ، غنِّدوهم ودخلوا أهلهم ، فقال : دَعُوهم يكثرُونَ ، وجعل يقلب
طَبْرزِيناً بيده ، فلما كثروا قال : الآن امنعوهم ، فركب وحمل ^(٢) عليهم
فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلثة ، ثم رجع فجلس على الكرسيّ وذمر
الملكُ أصحابه ليعودوا ، فأبوا ، فقال لفرسانه : هذا الشيطان ، من سرّه أن
ينظرَ إلى رسم فلينظرَ إلى صاحب الكرسيّ ، فن أبى فليقدم عليه . ثمَّ
تحوّلت الأعاجم إلى رُستاق كفتان . قال : فأغاروا على سرح موسى ، فاغتم
ولم يطمع ، وجعل يعبثُ بليحيته ، فسار ليلاً على نهر فى حافته ^(٣)
نبات لم يكن فيه ماء ، وهو يفضي إلى خسد قهم ، فى سبعمائه ، فأصبحوا عند
عسكرهم ، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قومٌ منهم ، فعطف
عليه سوار ، مولى لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرَّعه ، فرجعوا عنهم وسلم
موسى بالسرح . قال : وغاداهم العجم القتال ، فوقف ملكهم على تلٍّ فى
عشرة آلاف فى أكمل عُدّة ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون
بشيء . فقصدهم حريثُ بن قُطبة فقاتلهم صدر النهار ، وألح عليهم حتى
أزالوهم عن التلِّ ، ورُمى يومئذ حريثُ بنشابة فى جبهته ، فتحاجزوا ، فبيّتهم
موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شعبة ملكهم ،

١١٥٤/٢

(٢) ب : « وركب فحمل » .

(١) ب : « يتلم » .

(٣) ب : « ناحيته » .

فوجاً رجالاً منهم بقبيعة^(١) سيفه ، فطعن فرسه . فاحتلمه فألقاه في نهر
بكنخ فغرق ، وعليه درعان ، فقتل العجم قتلًا ذريعاً ، ونجا منهم من
نجا بشر ، ومات حرث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن في قبته .

١١٥٥/٢

قال : وارتحل موسى ، وحملوا الرؤوس إلى الترمذ ، فبنوا من تلك الرؤوس
جوتسقين ، وجعلوا الرؤوس يقابل بعضها بعضاً . وبلغ الحجاج خبر الواقعة ،
فقال : الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى :
قد كُفينا أمر حرث ، فأرحنا من ثابت ، فأبى وقال : لا . وبلغ ثابتاً بعض
مايخوضون فيه ، فلدس محمد بن عبد الله بن مَرثد الخزاعي ، عم نصر بن
عبد الحميد عامل أبي مسلم على الرمي - وكان في خدمة موسى بن عبد الله - وقال
له : إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألك من أين أنت ! فقل : من سبى
الباميان^(٢) ، فكان يستخدم موسى وينقل إلى ثابت خبرهم ، فقال له :
تحفظ ما يقولون . وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام ، وأمر قومًا
من شاكريته يحرسونه ويبيتون عنده في داره ، ومعهم قوم من العرب ،
وألح القوم على موسى فأضجروه ، فقال لهم ليلة : قد أكثرتم على ، وفيهم تريدون
هلاككم ، وقد أبرمتموني ! فعلى أي وجه تفتكون به ، وأنا لا أغدير به ! فقال
نوح بن عبد الله أخو موسى : خلنا وإياه ، فإذا غدا إليك غداة عدلنا به
إلى بعض الدور ، فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك ، قال : أمّا والله
إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم - والغلام يسمع - فأتى ثابتاً فأخبره ، فخرج من
ليلته في عشرين فارساً ، فضى ، وأصبحو وقد ذهب فلم يدروا من أين أتوا ،
وفقدوا الغلام ، فعلموا أنه كان عينا له عليهم ، ولحق ثابت بحشورا فنزل
المدينة ، وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم ، فقال موسى لأصحابه :
قد فتحتم على أنفسكم باباً فسدوه ، وسار إليه موسى^(٣) ، فخرج إليه ثابت
في جمع كثير فقاتلهم ، فأمر موسى بإحراق السور ، وقاتلهم حتى ألبخوا
ثابتاً وأصحابه إلى المدينة ، وقتلهم عن المدينة .

١١٥٦/٢

(١) القبيعة : ما يكون على طرف مقبض السيف ، تكون من فضة أو حديد .

(٢) ر : « الباميان » .

(٣) ب : « موسى إليه » .

فأقبل رقية بن الحر العنبري حتى اقتحم النار^(١)؛ فأنتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحمي أصحابه، فقتله، ثم رجع فخاص النار وهي تلتهب، وقد أخذت بجوانب تتمط عليه، فرمى به عنه ووقف، وتحصن ثابت في المدينة، وأقام موسى في الربض، وكان ثابت حين شخص إلى حشورا أرسل إلى طرخون، فأقبل طرخون معينا له، وبلغ موسى مجيء طرخون، فرجع إلى الترمذ، وأعاناه أهل كيس ونسيف وبخاري، فصار ثابت في ثمانين ألفا، فحصروا موسى وقطعوا عنه المادة حتى جهدوا.

قال : وكان أصحاب ثابت يعبرون نهرا إلى موسى بالنهار—ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم، فخرج يوما رقية— وكان صديقا لثابت، وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا— فنادى ثابتا، فبرز له— وعلى رقية قباء خنز— فقال له : كيف حالك يا رقية ؟ فقال : ما تسأل عن رجل عليه جبة خنز في حمار القسيظ ! وشكا إليه حالهم، فقال : أنتم صنعتم هذا بأنفسكم، فقال : أما والله ما دخلت في أمرهم، ولقد كرهت ما أرادوا، فقال ثابت : أين تكون حتى يأتيك ما قد ر لك ؟ قال : أنا عند المثل الطفاوى— رجل من قيس من يعنصر— وكان المثل شيخا صاحب شراب— فنزل رقية عنده.

١١٥٧/٢

قال : فبعث ثابت إلى رقية بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي، وقال : إن لنا تجارا قد خرجوا من بلخ، فإذا بلغك أنهم قد قدوا فأرسل إلى تأتلك حاجتلك. فأتى علي باب المثل، فدخل فإذا رقية والمثل جالسان بينهما جفنة فيها شراب، وخوان عليه دجاج وأرغفة، ورقية شعث الرأس، متوشح بميلحة حمراء، فدفع إليه الكيس، وأبلغته الرسالة وما كلمه، وتناول الكيس وقال له بيده، اخرج، ولم يكلمه. قال : وكان رقية جسيما كبيرا، غائر العينين، ناتي الوجنتين، مفلج، بين كل سنين له موضع سن، كأن وجهه ترس.

قال : فلما أضاق أصحابُ موسى واشتدَّ عليهم الحصارُ قال يزيدُ بنُ هزبل : إنما مقامُ هؤلاء مع ثابتٍ والقَتْلُ أحسنُ من الموتِ جُوعاً ، والله لأفتكنَّ بثابتٍ أو لأموتنَّ . فخرج إلى ثابتٍ فاستأمنه ، فقال له ظهير : أنا أعرفُ بهذا منك ، إن هذا لم يأتِكَ رغبةٌ فيكَ ولا جزعاً لك ، ولقد جاءك بغدرةٌ ، فاحذره وخلّني وإياه ، فقال : ما كنتُ لأقدم على رجلٍ أتاني ، لا أدري أكذلك هو أم لا . قال : فدعني أرتهن منه رهناً ، فأرسل ثابتٌ إلى يزيدٍ فقال : أما أنا فلم أكن أظنَّ رجلاً يتعدّر بعد ما يسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلم بك مني ، فانظر ما يُعاملك عليه ، فقال يزيد لظهير : أبيت يا أبا سعيد إلا حسداً ! قال : أما يكفيك ما تَرَى من الدُّلِّ ! تشردتُ عن العراق وعن أهلي ، وصرتُ بخراسان فيما ترى ، أفما تعطفك الرَّحْمُ ! فقال له ظهير : أما والله لو تركتُ ورأيي فيكَ لما كان هذا ، ولكن أرهنا ابنك قدامة والضحاك . فدفعهما^(١) إليهم ، فكانا في يدَي ظهير .

١١٥٨/٢

قال : وأقام يزيدُ يَلْتَمِسُ غيرةَ ثابتٍ ، لا يتعدّر منه على ما يريد ، حتى مات ابنُ لزياد القصير الخزاعي ، أتى أباه نعيته من مرو ، فخرج متفضلاً إلى زياد ليعزيه ، ومعه ظهير ورهطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هزبل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيد بن هزبل ورجلان معه ، وقد تقدم ظهير وأصحابه ، فدنا يزيد من ثابت فضربه فعضَّ السيف برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : ورمى يزيد وصاحبه بأنفسهم في نهر الصغانيان ، فرمَوْهم ، فنجى يزيدُ سباحةً وقتل صاحبه ، وحمل ثابت إلى منزله ، فلما أصبح طرّخون أرسل إلى ظهير : ائني بابني يزيد ، فأناه بهما ، فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله ، ورمى به وبرأسه في النهر ، وقدم قدامة ليقبله ، فالتفت فوقَّع السيف في صدره ، ولم يسبن ، فألقاه في النهر حياً فغرق ، فقال طرخون : أبوهما قتلها وغدره . فقال يزيد بن هزبل : لأقتلن يا بني كلَّ خزاعي بالمدينة ، فقال له عبد الله بن بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بن ورقاء — وكان ممن أتى موسى من فُلِّ ابن الأشعث :

لو رُمْتَ ذاكَ من خُرَاعةٍ لَتَصْعُبَ عَلَيْكَ . وعاش ثابت سبعةَ أيامٍ ثم مات . وكان يزيدُ بنُ هزِيلٍ سخيًّا شجاعًا شاعرًا ، ولى أَيْتَامَ ابنِ زياد جزيرةَ ابنِ كاوان ، فقال :

١١٥٩/٢

قد كنتُ أدعو اللهَ في السرِّ مُخلصاً ليُمَكِّنني من جزيرةٍ ورجالٍ^(١)
فأتُركُ فيها ذِكْرَ طَلْحَةَ خاملاً ويُحَمَّدُ فيها نائلي وفِعالي

قال : فقام بأمرِ العَجَمِ بعد موتِ ثابتِ طَرْنُخُون ، وقام ظُهَيْرٌ بأمرِ أصحابِ ثابت ، فقاما قيامًا ضعيفًا ، وانتَشَر أمرُهُم ، فأجمع موسى على بَيَاتِهِم ، فجاء رجلٌ فأخبرَ طَرْنُخُون ، فضَحِكَ وقال : موسى يَعْجِزُ أن يدخلَ متوضَّأه ، فكيف يبيِّتنا ! لقد طار قلبُك ، لا يحرسن الليلةَ أحدٌ العَسْكَرَ . فلما ذهب من الليل ثُلُثُهُ خرج موسى في ثمانمائةٍ قد عبَّاهم من النهار ، وصيَّرتهم^(٢) أربعاء . قال : فصيَّر على رُبْعِ رَقَبَةِ بنِ الحرِّ وعلى رُبْعِ أخاه نُوحِ بن عبد الله بن خازم ، وعلى رُبْعِ يزيدَ بن هزِيل ، وصار هو في رُبْع ، وقال لهم : إذا دخلتم^(٣) عسكرَهُم فتفرَّقوا ، ولا يَمُرُّن أحدٌ منكم بشيءٍ إلا ضربَه ، فدخلوا عسكرَهُم من أربعِ نواحٍ لا يَمُرُّون بدابةٍ ولا رجلٍ ولا خيَّاء ولا جِوَالِقٍ إلا ضَرَبَوْه . وسمع الوجبةُ نَيْزَكَ فلبسَ سلاحَه ، ووقف في ليلةٍ مظلمةٍ ، وقال لعلَّ بنِ المُهاجرِ الخُرَاعيَّ : انطلق إلى طَرْنُخُون فأعلمه مَوقِفِي ، وقل له : ما ترى أعملُ به ، فأتى طَرْنُخُون ، فإذا هو في فِازَةٍ^(٤) قاعدٌ على كِرميٍّ وشاكِرِيته قد أوقدوا النيرانَ بين يديه ، فأبلغه رسالةَ نَيْزَكَ . فقال : اجلسْ ، وهو طامحٌ ببصره نحوَ العسكرِ والصوتِ ، إذا أقبلَ حَمِيَّةُ السُّلَاميِّ وهو يقول : «حم لا يُنْصَرُونَ» ، فتفرَّق في الشاكِرِيَّة ، ودخلَ حَمِيَّةُ الفِازَةَ ، وقام إليه طَرْنُخُون فبَدَرَه فضرَبَه ، فلم يُغْنِ شيئًا ، قال : وطَعَنَه طَرْنُخُون بِذُبَابِ السيفِ في صَدْرِهِ فصرَّعه ، ورجع إلى الكِرميِّ فجلس عليه . وخرج حَمِيَّةُ يَعدُّو .

١١٦٠/٢

(١) ب ، ر : « حربه وحلالى » . (٢) ب : « وميزهم » .

(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفِازَةُ : مظلةٌ تمدُّ بمعدٍ .

قال : ورجعت الشاكرية ، فقال لهم طرخون : فترتم من رجل ! أرايتم لو كان ناراً هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد ! فما فترغ من كلامه حتى دخل جواريه الفازة ، وخرج الشاكرية هرباً ، فقال للجواري : اجلسن ، وقال لعل بن المهاجر : قم ، قال : فخرجنا فإذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السرداق ، فتجاولاً ساعة ، واختلفا ضربتين ، فلم يصنعا شيئاً ، وولّى نوح وأتبعه طرخون ، فطعن فرس نوح في خاصرته فشب ، فسقط نوح والفرس في نهر الصغانيان ، ورجع طرخون وسيفه يقطر دماً ، حتى دخل السرداق وعلى بن المهاجر معه ، ثم دخلا الفازة . وقال طرخون للجواري : ارجعن ، فرجعن إلى السرداق ، وأرسل طرخون إلى موسى : كُف أصحابك ؟ فإننا نرتحل إذا أصبحنا ، فرجع موسى إلى عسكريه ، فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعاً ، فأتى كل قوم بلادهم . قال : وكان أهل خراسان يقولون : ما رأينا مثل موسى ابن عبد الله بن خازم ، ولا سمعنا به ، قاتل مع أبيه ستين ، ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكاً فغلبه على مدينته وأخرجته منها ، ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار ، وأقام في حصنه خمس عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى ، لا يعاذه فيه أحد .

١١٦١/٢

قال : وكان بقوميس رجل يقال له عبد الله ، يجتمع إليه فتيان يتنادمون عنده في مؤونته ونفقتته ، فلزمه ديس ، فأتى موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعة آلاف ، فأتى بها أصحابه ، فقال الشاعر يعاتب رجلاً يقال له موسى :

فما أنت موسى إذ يُناجى إلهه ولا واهب القينات موسى بن خازم

قال : فلما عزل يزيد وولّى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمان بن مسعود - وكان يزيد حبسه - فقال : إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله ، فقال : والله لقد وترتني ، وإني لثائر بابن عمي ^(١) ثابت وبالحزاعي ، وما يد أبليك

وأخيك عندى وعند أهل بيتى بالحسنة ، لقد حبستمونى وشرّدتُم بنى عمى ، واصطفَيْتُم أموالهم . فقال له المفضل : دَعُ هذا عنك ، وسرُّ فأدركْ بثأرك ، فوجهه فى ثلاثة آلاف ، وقال له : مُرْ منادياً فليُناد : مَنْ لحق بنا فله دِوان ، فنادى بذلك فى السوق ، فسارَعَ إليه الناس . وكتب المفضل إلى مدرك وهو ببَلْخَ أن يسيرَ معه ، فخرج ، فلما كان ببَلْخَ خرج ليلةً يطوف فى العسكر ، فسَمِعَ رجلاً يقول : قتلته والله ، فرَجَعَ إلى أصحابه ، فقال : قتلْتُ موسىَ وربَّ الكعبة !

١١٦٢/٢

قال : فأصبحَ فسارَ مِنْ بَلْخَ وخرج مدرك معه مُستاقلاً ، فقطع النهرَ فنَزَلَ جزيرةً بالترمذِ يقال لها اليومَ جزيرة عثمان — لنزولِ عثمانَ بها فى خمسة عشر ألفاً — وكتب إلى السَّيِّلِ وإلى طَرْخُونَ فقَدَموا عليه ، فحَصَرُوا موسىَ ، فضيَّقوا عليه وعلى أصحابه ، فخرج موسىَ ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثم رجع فكثَّ شهرين فى ضيق ، وقد حَسَدَ عُثمانُ وحذر البسيَّات ، فلم يَقدِر موسىَ منه على غيرة ، فقال لأصحابه : حتى متى ! اخْرُجُوا بنا فاجعلوا يومكم ؛ إما ظفرتُم وإما قُتِلْتُم . وقال لهم : اقصدوا للصَّغْدِ والترك ، فخرج وخلفَ النضرَ بنَ سليمان بن عبد الله بن خازم فى المدينة ، وقال له : إن قُتِلْتُ فلا تدفعنَّ المدينةَ إلى عثمان ، وادفعنَّها إلى مدرك بن المهلب . وخرج فصيَّر ثلثَ أصحابه بإزاء عثمان وقال : لا تهابجوه إلا أن يقاتلكم ، وقصد لطرُخُونَ وأصحابه ، فصَدَقوهم ، فانهزم طَرْخُونُ والترك ، وأخذوا عسكرهم فجعلوا يَنْقُلُونَهُ ، ونظر معاويةُ بن خالد بن أبى بَرَزَةَ إلى عثمان وهو على بَرْدَوْنٍ لخالد بن أبى بَرَزَةَ الأسلمى ، فقال : أنزل أيها الأمير ، فقال خالد : لا تنزلْ فإنَّ معاويةَ مشغوم . وكَرَّت الصَّغْدُ والترك^(١) راجعةً ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقَاتَلَهُمْ ، فمُعِير به فسَقَطَ ، فقال لمولى له : احملى ، فقال : الموتُ كَرِيه ، ولكن ارتدِف ، فإنَّ نجونا نجونا جميعاً ، وإن هلكنا هلكنا جميعاً . قال : فارتدَفَ ، فنظر إليه عثمان حين وثب فقال : وثبةُ موسىَ وربَّ الكعبة ! وعليه مِغْفَرٌ له مؤشَّى بخزٍّ أحمر

١١٦٣/٢

في أعلاه^(١) ياقوتة اسما نَجُونِيَّةً، فخرج من الخندق فكششفوا أصحاب موسى .
فقصد لموسى ، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه ، فابتدروا فأنطوا
عليه فقتلوه ، ونادى منادى عثمان : لا تقتلوا أحداً ، من لقيتموه فخذوه
أسيراً .

قال : ففترق أصحاب موسى ، وأسير منهم قومٌ ، فعرضوا على عثمان ،
فكان إذا أتى بأسير من العرب قال : دماؤنا لكم حلال ، ودماؤكم علينا
حرام ! ويأمر بقتله ، وإذا أتى بأسير من الموالى شتمه ، وقال : هذه العرب
تقاتلني ، فهلاً غضبت لي ! فيأمر به فيشده . وكان فظاً غليظاً ، فلم
يسلم عليه يومئذ أسيراً إلا عبد الله بن بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بن
ورقاء ؛ فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن يخلوا عنه ،
ورقبة بن الحر لما أتى به نظّر إليه وقال : ما كان من هذا إلينا كبيرٌ ذنب ،
وكان صديقاً لثابت ، وكان مع قوم فتوى لهم ، والعجب كيف أسرتموه !
قالوا : طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسير ؛ فأطلقه وحمله ، وقال
نخالة بن أبي بَرَزَة : ليكن عندك . قال : وكان الذي أجهز على موسى
ابن عبد الله واصل بن طيسلة العنبري .

ونظر يومئذ عثمان إلى زُرعة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان
وسنان الأعرجي ناحية فقال : لكم الأمان ، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه .
قال : وبقيت المدينة في يدى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال :
لا أدفعها إلى عثمان ، ولكني أدفعها إلى مُدرك ، فدفعها إليه وأمنه ، فدفعها
مُدرك إلى عثمان . وكتب المفضل بالفتح إلى الحجاج ، فقال الحجاج : العجب
من ابن بهلة ! أمره بقتل ابن سمره فيكتب إلى أنه لَمَّابه ويكتب إلى : إنه
قتل موسى بن عبد الله بن خازم ؛ قال : وقتل موسى سنة خمس وثمانين ،
فذكر البحرى أن مغراء بن المغيرة بن أبي صُفْرة قتل موسى فقال :

وقد عرَكت بالترمد الخيلُ خازماً ونوحاً وموسى عركةً بالكلاكل

قال : فضرب رجل من الجند ساقَ موسى ، فلما ولّى قتيبة أخبر عنه فقال :
ما دعاك إلى ما صنعتَ بفتى العرب بعد موته ! قال : كان قَتَلَ أخى ،
فأمر به قُتِيبة فقتل بين يديه .

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفى هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ
مروان .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذكر الواقدي أن عبدَ الملك همَّ بذلك ، فتنهاه عنه قبيصةُ بنُ ذؤيب ،
وقال : لا تفعلْ هذا ، فإنك باعثٌ على نفسك صوتَ نَعَارٍ ، ولعلَّ الموتَ
يأتيه فتستريحُ منه ! فكفَّ عبدُ الملك عن ذلك ونفسه تُنازعه إلى أن يسخّله .
ودخل عليه رَوْحُ بنُ زِنْبَاع الجُدَامِيّ — وكان أجلَّ الناسِ عندَ عبدِ الملك —
فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لو خلعتَه ما انتطّحَ فيه عِزُّان ، فقال : ترى
ذلك يا أبا زُرْعَة ؟ قال : إى والله ، وأنا أوّلُ من يُجيبُك إلى ذلك ؛ فقال :
نَصِيحٌ^(١) إن شاء الله . قال : فبينما هو على ذلك وقد نامَ عبدُ الملك ورَوْحُ
ابنُ زِنْبَاع إذ دخل عليهما قبيصةُ بنُ ذؤيب طروقاً ، وكان عبدُ الملك قد
تقدّم إلى حُجَّابِه فقال : لا يُحجب عني قبيصةُ أىّ ساعة جاء من ليل أو نهار ،
إذا كنت خالياً أو عندى رجل واحد ، وإن كنت عند النساء أدخل المجلسَ
وأعلِمتُ بمكانه فدخل ، وكان الخاتمُ إليه ، وكانت السكّة إليه ، تأتيه الأخبارُ
قبل عبدِ الملك ، ويقرأ الكتبَ قبله ، ويأتى بالكتاب إلى عبدِ الملك مَسْنُوراً
فيقرؤه ، إعظاماً لقبیصة — فدخل عليه فسلم عليه وقال : آجرك الله يا أميرَ المؤمنين
في أخيك عبدِ العزيز ! قال : وهل تُوفّى ؟ قال : نعم ، فاسترجع
عبدُ الملك ، ثمّ أقبل على رَوْح فقال : كفانا الله أبا زُرْعَة ما كنّا نريد
وما أجمعتنا عليه ، وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا إسحاق ، فقال قبيصة :
ما هو ؟ فأخبره بما كان ؛ فقال قبيصة : يا أميرَ المؤمنين ، إن الرأى كله

١١٦٥/٢

(١) ابن الأثير : « عار » . (٢) ابن الأثير : « نصيح » .

الأنثاة، والعجلة فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان في العَجَلَة خيرٌ كثير ، رأيتُ أمرَ عمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العَجَلَة فيه خيراً من التأني !

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ عبدُ العزيز بنُ مروان بمصرَ في جمادى الأولى ، ضمَّ عبد الملك تَمَلُّه إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولَّاه مصرَ .

وأما المدافني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه ، أن الحجاج كَتَبَ إلى عبد الملك يزيتن لهبيعة الوليد ، وأوفدَ وفداً في ذلك عليهم عمران بن عيصم العنزي ، فقام عمران خطيباً ، فتكلم وتكلم الوفد وحشوا بيدَ الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بن عيصم :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي	عَلَى النَّاسِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ ^(١)
أَجِئْتُ فِي بَنِيكَ يَكُنْ جَوَابِي	لَهُمْ عَادِيَّةٌ وَلَنَا قِيَامَا
فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ	جَعَلْتَ لَهُ الْخِلَافَةَ وَالذُّمَامَا ^(٢)
شَبِيهَكَ حَوْلَ قُبَّتِهِ قَرِيشُ	بِهِ يَسْتَمِطِرُ النَّاسُ الْغَمَامَا
وَمِثْلَكَ فِي الثَّقَى لَمْ يَصُبْ يَوْمَاً	لَدُنْ خَلَعَ الْقِلَائِدَ وَالْتِمَامَا
فَإِنْ تَوَثَّرَ أَخَاكَ بِهَا فَإِنَّا	وَجَدَكَ لَا نُنْطِيقُ لَهَا اتِّهَامَا
وَلَكِنَّا نَحَازِرُ مِنْ بَنِيهِ	بَنَى الْعَلَاتِ مَائِثَةَ سَمَامَا
وَنَخْشَى إِنْ جَعَلْتَ الْمُلْكَ فِيهِمْ	سَحَابَا أَنْ تَعُودَ لَهُمْ جَهَامَا
فَلَإِيكَ مَا حَلَبَتْ غَدَاً لِقَوْمِ	وَبَعْدَ غَدٍ بَنُوكَ هُمُ الْعِيَامَا
فَأَقْسِمُ لَوْ تَخَطَّأَنِي عِصَامُ	بِذَلِكَ مَا عَذَرْتُ بِهِ عِصَامَا
وَلَوْ أَنِّي حَبَوْتُ أَخَاً بِفَضْلِ	أُرِيدُ بِهِ الْمَقَالَةَ وَالْمَقَامَا

(١) الأغانى ١٦ : ٥٨ (سأسى) وفيه : « على الشحط » .

(٢) الأغانى : « جعلت له الإمامة » .

١١٦٧/٢

لَعَقَبَ فِي بَنِي عَلَى بَنِيهِ كَذَلِكَ أَوْ لَرُمْتُ لَهُ مَرَامًا^(١)
فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوعٌ فَصَدَعُ الْمَلِكِ أَبْطَوُهُ التَّشَامَا
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا عِمْرَانُ ، إِنَّهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : احْتَلَّ لَهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ عَلَى : أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ قَبْلَ أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، لِأَنَّ
الْحِجَّاجَ بَعَثَ فِي ذَلِكَ عِمْرَانَ بْنَ عَصَامٍ ، فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَعْرَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ
عَمَّا أَرَادَ حَتَّى مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْخَلَعَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَيُبَايِعَ
لَابَنَهُ الْوَلِيدَ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَصِيرَ هَذَا الْأَمْرَ لِبْنِ أَخِيكَ ! فَأَبَى ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ : فَاجْعَلْنَاهُ مِنْ بَعْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : إِنِّي أَرَى فِي أَبِي بَكْرٍ بَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا تَرَى فِي الْوَلِيدِ ،
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
عَبْدُ الْمَلِكِ : أَحْمِلْ خَرَجَ مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي
وَلِيَّائِكَ قَدْ بَلَغْنَا سِنًا لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا كَانَ بَقَاؤُهُ قَلِيلًا ،
وَلِيَّيْ لَا أَدْرِي وَلَا تَدْرِي^(٢) أَيُّنَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ أَوَّلًا ! فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَغْثُ^(٣) عَلَى
بَقِيَّةِ عَمْرِي فَافْعَلْ .

١١٦٨/٢

فَرَّقَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَعَمْرِي لَا أَغْثُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ عُمرِهِ ، وَقَالَ
لَابَنِيهِ : إِنْ يُرِدَ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكَمُوهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ .
وَقَالَ لَابَنِيهِ : الْوَلِيدُ وَسْلِيَانٌ : هَلْ قَارَفْتُمَا حَرَامًا قَطَّ ؟ قَالَا : لَا وَاللَّهِ ،
قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، نَلِئْتُمَا هَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

قَالَ : فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنْ يُجِيبَ عَبْدَ الْمَلِكِ إِلَى مَا أَرَادَ ، قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ قَدْ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي فَاقْطَعْنِي ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ أَهْلُ
الشَّامِ : رَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْحِجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشِيرُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ
الْأَنْصَارِيَّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ أَرَدْتَ رَجُلًا مَأْمُونًا فَاضْلَأْ عَاقِلًا وَدِيْعًا مُسْلِمًا

(١) ب : « لَمْ لَزِمْتُ » . (٢) ب : « وَلَا أَرَى » . (٣) لَا تَنْثُثُ عَلَى ، أَيْ لَا تَنْقُذُ .

كُتِبُوا تَتَّخِذُهُ لِنَفْسِكَ، وَتَضَعُ عِنْدَهُ سِرَّكَ، وَمَا لَا تَحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ، فَاتَّخِذْ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَحْمِلْهُ إِلَى . فَحَمَلَهُ ، فَاتَّخِذْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ كَاتِبًا . قَالَ مُحَمَّدٌ : فَلَمْ يَكُنْ بِأَتِيهِ كِتَابٌ إِلَّا دَفَعَهُ إِلَى ، وَلَا يَسْتَرُ شَيْئًا إِلَّا أَخْبَرَنِي بِهِ وَكَتَمَهُ النَّاسَ ، وَلَا يَكْتُبُ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عَمَالِهِ إِلَّا أَعْلَمَنِيهِ ، فَإِنِّي لَجَالِسٌ يَوْمًا نِصْفَ النَّهَارِ إِذَا يَبْرِيدٌ قَدْ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، فَقَالَ : الْإِذْنَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قُلْتُ : لَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةٌ إِذْنَ ، فَأَعْلَمْنِي مَا قَدْ قَدِمَتْ لَهُ ، قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ مَعَكَ كِتَابٌ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ . قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَبْلَغَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَني أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَخَرَجَ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : رَسُولٌ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، قَالَ : فَخُذْ الْكِتَابَ ، قُلْتُ : زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ كِتَابٌ ، قَالَ : فَسَلِّهُ عَمَّا قَدِمَ لَهُ ، قُلْتُ : قَدْ سَأَلْتُهُ فَلَمْ يُخْبِرْنِي ، قَالَ أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلْتُهُ ، فَقَالَ: آجَرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ ! فَاسْتَرْجِعْ وَبِسْكَى وَوَجِّهْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمَ اللَّهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ ! مَضَى وَاللَّهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَشَأْنِهِ ، وَتَرَكْنَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ ، ثُمَّ بَكَى النِّسَاءُ وَأَهْلُ الدَّارِ ، ثُمَّ دَعَانِي مِنْ غَدٍ ، فَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَلَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عِلْمِهِ وَقَامَ يَقُومُ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَمَنْ تَرَى ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَيِّدَ النَّاسِ وَأَرْضَاهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : صَدَقْتَ وَفَقَلَكَ اللَّهُ ! فَمَنْ تَرَى أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ ^(١) ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ تَعُدُّهَا عَنْ سُلَيْمَانَ فَتَنَى الْعَرَبُ ! قَالَ : وَفَقْتُ ، أَمَا إِنَّا لَوَتَرَكْنَا الْوَلِيدَ وَإِيَّاهَا لَجَعَلْنَا بَنِيهِ ، اكِتُبْ عَهْدًا لِلْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَكُتِبَتْ بَيْعَةُ الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ . فَغَضِبَ عَلَى الْوَلِيدِ فَلَمْ يُؤَلِّنِي شَيْئًا حِينَ أَشْرْتُ بِسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ .

قَالَ عَلِيٌّ ، عَنْ ابْنِ جُعْدَبَةَ ^(٢) : كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيِّ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لِبَيْعَةِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ، فَبَايَعُوا غَيْرَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَإِنَّهُ أَبَى ، وَقَالَ : لَا أَبَايِعُ وَعَبْدَ الْمَلِكِ حَتَّى ؛ فَضَرَبَهُ هِشَامُ ضَرْبًا

(١) ب : « ثُمَّ مِنْ » ، ر : « ثُمَّ قَالَ مِنْ » .

(٢) ب : « ابْنُ جَعْدَةَ » . ر : « عَنْ أَبِي جَعْدَةَ » .

مُبْرَحًا وَأَلْبَسَهُ الْمُسُوحَ ، وَسَرَّحَهُ إِلَى ذَبَابٍ - ثَنِيَّةٍ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يُقْتَلُونَ عِنْدَهَا وَيُصَلَّبُونَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ رَدَّوهُ ، فَقَالَ : لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَصَلَّبُونِي مَا لَبَسْتُ سُرَاوِيلَ مُسُوحٍ ، وَلَكِنْ قُلْتُ : يَصَلَّبُونِي فَيَسْتَرْنِي . وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبْرُ ، فَقَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ هَشَامًا ! إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَإِنْ أَبَى يَضْرِبَ عُنُقَهُ ، أَوْ يَكْفَّ عَنْهُ .

* * *

[بيعة عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَابْنَيْهِ : الْوَلِيدَ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِسُلَيْمَانَ ، وَجَعَلَهُمَا وَلِيَّيْ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ بِبَيْعَتِهِ لهما إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَبَايَعَ النَّاسُ ، وَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، فَضْرَبَهُ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ - وَطَافَ بِهِ وَحَبَسَهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هَشَامٍ يُلَوِّمُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَالَ ضَرْبَهُ سَتِينَ سَوَاطٍ ، وَطَافَ بِهِ فِي تَبَّانٍ^(١) شَعَرَ حَتَّى بَلَغَ بِهِ رَأْسَ الثَّنِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحَارِثُ فَإِنَّهُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الْوَاقِدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفِ الزَّهْرِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : لَا ، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضْرَبَهُ سَتِينَ سَوَاطٍ ، فَجَلَعَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يُلَوِّمُهُ ، وَقَالَ : مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ ، دَعَا !

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو أَخْبَرَهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ تَوَفَّى بِمَصْرَ فِي جُمَادَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، فَعَقَّدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَابْنَيْهِ الْوَلِيدَ وَسُلَيْمَانَ الْعَهْدَ ، وَكَتَبَ بِالْبَيْعَةِ لهما إِلَى الْبُلْدَانِ ، وَعَامِلُهُ يَوْمَئِذٍ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيُّ ،

(١) التَّبَّانُ : سُرَاوِيلٌ صَغِيرٌ يَسْتُرُ الْعُورَةَ .

فدعا الناسَ إلى البَيْعة ، فبايعَ الناسُ ، ودعا سعيد بن المسيَّب أن يبايع
لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظرَ ، فضرَبه هشام بن إسماعيل ستين سَوْطًا ،
وظاف به في ثُبَّانٍ شَعْرٍ حتى بلغَ به رأسَ الثَّنية ، فلما كَرَّوا به قال : أين
تَكْرُونُ^(١) بى ؟ قالوا : إلى السَّجْنِ ؛ قال : والله لولا أنى^(٢) ، ظننتُ أنه
الصَّلْبُ لما لَبِستُ هذا الثُّبَّانَ أبدًا. فردَّه^(٣) إلى السَّجْنِ ، وحَبَسَه^(٤) وكتبَ
إلى عبد الملك يُخْبِرُه بخِلافه^(٥) ، وما كان من أمره ، فكتبَ إليه عبدُ الملك
يَلُومُه فيما صَنَعَ ويقول : سعيدٌ والله كان أَحْوَجَ أن تَصَلَ رحمةً من أن
تَضْرِبَه ، وإنا لنعلم ما عندَه من شِقَاقٍ ولا خِلافٍ .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بن إسماعيل المخزومي ، كذلك حدثنا
أحمدُ بنُ ثابتٍ عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف .

(١) ر : « تكررُون » . (٢) ب : « إننى » .

(٣) ب : « فردوه » . (٤) ب : « فحبسه » .

(٥) ب : « بخبر خلافته » .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وفاة عبد الملك بن مروان]

فمما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان، وكان مهلكه في النصف من شوال منها . حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال : توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين^(١)، فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر^(٢).

وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال : حدثني شرجيل بن أبي عون، عن أبيه، قال : أجمع^(٣) الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين .

قال ابن عمر : حدثني أبو معشر نجيج، قال : مات عبد الملك بن مروان بد مشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين، فكانت^(٤) ولايته منذ^(٥) يوم بؤيع إلى يوم توفى إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً، كان^(٦) تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير، ويسلم عليه بالخلافة بالشام، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب، وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال .

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه - فيما حدثنا أبو يزيد عنه - قال : مات عبد الملك سنة ست وثمانين بد مشق، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً .

(١) بعدها في س : « بدمشق » . (٢) بعدها في س : « وذلك بعد موت ابن الزبير » .

(٣) ب : « اجتمع » . (٤) ب : « وكانت » .

(٥) ب : « من يوم بؤيع » . (٦) ب : « وكان » .

ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفى

اختلف أهل السير في ذلك، فقال أبو معشر فيه - ما حدثني الحارث عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو معشر نَجِيج. قال: مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة. قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. قال: والأول أثبت. وهو على مولده، قال: وولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين. وقال المدائني على بن محمد - فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ذكر نسبه وكنيته

أمّا نسبه، فإنه عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأمّا كنيته فأبو الوليد. وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وله يقول ابن قيس الرقيّات:

أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَلْتَ أَرْوَمَ نَسَائِهَا^(١)
لَمْ تَلْتَفِتْ لِلِدَاتِهَا وَمَضْتَ عَلَى غُلَوَائِهَا

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر - درج^(٢) - وعائشة، أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جنديمة بن راحة بن

(٢) درج، أي مات صغيراً.

(١) ديوانه ١١٧.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْبَة بن عَبَّس بن بَغِيض .
 ويزيد، ومروان، ومعاوية - دَرَج - وأمّ كلثوم، وأمهم عاتكة بنت
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

وهشام، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن
 المغيرة المخزومي . وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام .

وأبو بكر، واسمّه بكار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله،
 والحكمم - دَرَج - أمّه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان .

وفاطمة بنت عبد الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص
 ابن هشام بن المغيرة .

وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنيسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج ؛ لأمهات
 أولاد .

* * *

قال المدائني : وكان له من النساء - سوى من ذكرنا - شقراء بنت سلمة
 ابن حليّس الطائي، وابنة لعلّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأمّ أبيها بنت
 عبد الله بن جعفر .

وذكر المدائني ، عن عوانة وغيره أن سلمة بن زيد بن وهب بن نُبَاتَة
 الفهمي دخل على عبد الملك فقال له : أيّ الزمان أدركت أفضل ؟ وأيّ
 الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أرَ إلاّ ذاماً وحامداً ؛ وأما الزمان فيرفع
 أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يندم زمانه لأنه يبلى جديدهم ، ويهزم صغيرهم ،
 وكل ما فيه منقطع غير الأمل ؛ قال : فأخبرني عن فهمهم ، قال : هم
 كما قال من قال :

١١٧٥/٢

دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى فَهٍ	مِ بْنِ عَمْرٍو فَأَصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ
وَخَلَّتْ دَارُهُمْ فَأَضَحَّتْ يَبَاباً	بَعْدَ عَزٍّ وَثَرَوَةٍ وَنَعِيمِ
كَذَاكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بَالَنَا	مِ وَتَبَقَّى دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومِ

قال : فمن يقول منكم ^(١) :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُلُقُوا وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْغَنَىَّ مِنَ الرِّجَالِ
وَإِنْ كَانَ الْغَنَىُّ قَلِيلَ خَيْرٍ بَخِيلًا بِالْقَلِيلِ مِنَ النِّوَالِ
فَمَا أَذْرَى عَلَامَ وَفِيمَ هَذَا وَمَاذَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْبِخَالِ ^(٢) !
أَلِدُنِيَا ؟ فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا وَلَا يُرْجَى لِحَادَثَةِ اللَّيَالِي
قال : أنا .

قال عليّ : قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ
لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

نَبَّئْتُ أَنَّ أَبْنَ الْقَلَمْسِ عَابَى وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الصَّحِيحُ الْمَسْلَمُ ^(٣) !
فَأَبْصَرَ سُبُلَ الرُّشْدِ سَيْدُ قَوْمِهِ وَقَدْ يُبْصِرُ الرُّشْدَ الرَّئِيسُ الْمَعْمُ ^{١١٧٦/٢}
فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ هَا خَبَرْنَا مِنْ أَنْتُمْ ؟ وَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ
فقال عبد الملك : ما كنتُ أرى أنْ مِثْلَنَا يُقالَ له : مَنْ أَنْتُمْ ! أما
والله لولا ما تعلم لقلتُ قَوْلًا أَخْطِمْ بِأَصْلِكُمُ الْخَبِيثَ . ولضربتُكُ حتى
تموت .

وقال عبد الله بنُ الْحِجَّاجِ الثَّعْلَبِيُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا بْنَ أَبِي الْعَاصِ وَيَا خَيْرَ فَتَى أَنْتَ سِدَادُ الدِّينِ إِنْ دِينَ وَهَى ^(٤)
أَنْتَ الَّذِي لَا يَجْعَلُ الْأَمْرَ سَأَى جَبِيتَ قَرِيشَ عَنْكُمْ جَوْبَ الرَّحَى
إِنْ أَبَا الْعَاصِي فِي ذَاكَ أَعْتَصَى أَوْصَى بَنِيهِ فَوَعَوْا عَنْهُ الْوَصَى
إِنْ يَسْعُرُوا الْحَرْبَ وَيَأْبُوا مَا أَبِي الطَّاعِنِينَ فِي النُّحُورِ وَالْكُلَى
شَزْرًا وَوَضَلًا لِلسُّيُوفِ بِالْخُطَا إِلَى الْقِتَالِ فَحَوُوا مَا قَدْ حَوَى

(١) ب : « فيكم » . (٢) البخال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .

(٣) الأغاني ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل المداهية . (٤) الأغاني ١٣ : ١٦٩ ، مع اختلاف في الرواية .

وقال أعشى بنى شيبان :

عرفتُ قريشَ كُلَّهَا لِبَنَى أَبِي العاصِ الإمارةُ
لأَبْرَها وَأَحَقَّها عندَ المَشْوَرةِ بالإِشارةِ
المانعينِ لِمَا وَلُوا والنافعينِ ذَوِي الضَّرارةِ
وَهُمْ أَحَقُّهُمْ بها عندَ الحلاوةِ والمرارةِ

وقال عبد الملك : ما أعلم مكانَ أحدٍ أقوى على هذا الأمرِ مني ، وإنَّ
ابنَ الزبير لطويلُ الصَّلَاةِ ، كثيرُ الصِّيَامِ ، ولكنَّ لبخله لا يَصْلُحُ أنْ
يكونَ سائِسًا .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بُويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة ، فَنَدُّ كِرْأُهُ لَمَّا دَفِنَ
أَبَاهُ وَانصَرَفَ عَنْ قَبْرِهِ ، دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ،
فَخَطَبَ فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مِصْيَبَتِنَا بِمَوْتِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الْخِلَافَةِ . قَوْمُوا فَبَايَعُوا .
فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَامَ لِبَيْعَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامِ السَّلُولِيُّ ، فَإِنَّهُ قَامَ وَهُوَ
يَقُولُ :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْفَهَا
عَنْكَ وَيَأْنِي اللَّهُ إِلَّا سَوْفَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوْفَهَا
فَبَايَعَهُ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ .

١١٧٨/٢

وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ الْوَلِيدَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ دَفْنِ أَبِيهِ ، وَدَفِنَ خَارِجَ
بَابِ الْجَابِيَةِ ، لَمْ يَدْخُلْ مَنْزِلَهُ حَتَّى صَعِدَ عَلَى مِنبَرِ دِمَشْقَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ اللَّهُ ، وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ اللَّهُ ،
وَقَدْ كَانَ مِنْ قِضَاءِ اللَّهِ وَسَابِقِ عِلْمِهِ وَمَا كَتَبَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ
الْمَوْتِ . وَقَدْ صَارَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ وَلِيَ هَذِهِ الْأُمَّةَ الَّذِي يَحَقُّ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنَ
الشَّدَةِ عَلَى الْمُرِيبِ ، وَاللَّيْنِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَالْفَضْلِ ، وَإِقَامَةِ مَا أَقَامَ اللَّهُ مِنْ سَنَارِ
الْإِسْلَامِ وَأَعْلَامِهِ ؛ مِنْ حَيْجِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَغَزْوِ هَذِهِ الثُّغُورِ ، وَشَنْ هَذِهِ
الْغَارَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ عَاجِزًا وَلَا مُفْرَطًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ
بِالطَّاعَةِ ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَرْدِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَبْدَى
لَنَا ذَاتَ نَفْسِهِ ضَرْبَنَا الَّذِي فِيهِ عَيْنَانَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ مَاتَ بَدَأْتُهُ .
ثُمَّ نَزَلَ ، فَنَظَرَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ دَوَابِّ الْخِلَافَةِ فَحَمَّازَهُ ، وَكَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا .

[ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج]

وفي هذه السنة قَدِمَ قتيبةُ بنُ مسلم خُراسانَ والياً عليها من قِبَلِ الحجاج ، فذكر على بن محمد أن كليب بن خَلَفٍ ، أخبره عن طَقِيلِ ابنِ مِرْدَاسِ العمي^(١) والحسن بن رُشيد ، عن سليمان بن كثير العمي . قال : أخبرني عمي قال : رأيت قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ حينَ قَدِمَ خُراسانَ في سنة ست وثمانين ، فَمَدِمَ والمفضلُ يَعْرِضُ الجُندَ ، وهو يريد أن يَغْزُوَ أنْخَرُونَ وشُومانَ ، فَخَطَبَ الناسَ قُتَيْبَةُ . وحثهم على الجهاد ، وقال :

إنَّ اللهَ أَحْلَمَ هذا المَحَلَّ لِيُعَزَّزَ دينَه ، ويَذِبَ بكم عن الحُرُماتِ ، ويزيد بكم المالَ استفاضةً ، والعدوَّ وقَماً^(٢) ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٣) . ووعدَ المجاهدين في سبيله أحسنَ الثواب . وأعظمَ الذُّخْرَ عندَه فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا يَخْمَصُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) . ثم أخبر عن قُتَيْلٍ في سبيله أنه حتى مرزوق ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٥) . فتنجزوا موعودَ رَبِّكم ووطنوا أنفسكم على أَقْصَى أثر وأمضى ألم ، وإيتى والهَوْنِي .

* * *

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة
ثم عَرَضَ قُتَيْبَةُ الجُندَ في السلاح والكُرَاع ، وسار واستخلفَ بمروَ على حَرَبِها إِيَّاسَ بنَ عبد الله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعدي^(٦) ، فلما كان بالطائفتان تلقاه دهاقين بِلَسْخٍ وبعضُ عِظَمَائِهِمْ فساروا معه ، فلما قَطَعَ النهرَ تلقاه تيش^(٧) الأعورَ مَلِكَ الصَّغَانِيانِ بهدايا ومِفْتَاحَ من

(١) ب : « القمي » . (٢) الوقم : الذل . (٣) سورة الصف : ٩ .

(٤) سورة التوبة : ١٢٠ ، ١٢١ (٥) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٦) ابن الأثير : « عثمان السعدي » . (٧) ط : « بيش » .

ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأثاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده ، ففضى مع بيش إلى الصغانيان ، فسلم إليه بلاده ، وكان ملك آخرون وشومان قد أساء جوار تيش وغزاه وضيّق عليه . فسار قتيبة إلى آخرون وشومان — وهما من طخارستان ، فجاءه غشتاسبان^(١) فصالحه على فدية أداها إليه ، فقبلها قتيبة ورضى ، ثم انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، وتقدّم بجندة فسبقتهم إلى مرو ، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسارا ، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ ؛ فوهب له قرية تدعى تنجانه ، ثم قدّم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ .

قال : وأما الباهليّون فيقولون : قدّم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فعرّض الجند ، فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جيش خراسان ثلثمائة وخمسين درعاً ، فغزا آخرون وشومان ، ثم قفل فركب السفن فأنحدر إلى آمل ، وخلف الجند ، فأخذوا طريق بسلخ إلى مرو ، وبلغ الحجاج ، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند . وكتب إليه : إذا غزوت فكن في مقدّم الناس ، وإذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقطهم .

وقد قيل : إن قتيبة أقام قبل أن يتقطع النهر في هذه السنة على بسلخ ، لأن بعضها كان منتقضا عليه ، وقد ناصب المسلمين ، فحارب أهلها ، فكان من سبى امرأة برمك ، أبي خالد بن برمك — وكان برمك على الشوبهار — فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير ، أخت قتيبة بن مسلم ، فوقع عليها ، وكان به شيء من الجذام . ثم إن أهل بسلخ صالحوا من غنم اليوم الذي حاربهم قتيبة ، فأمر قتيبة برد السبي ، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم : يا تازي ، إنني قد علققت منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى أن يلحق به ما في بطنها ، وردت إلى برمك ، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاءوا أيام المهدي حين قدّم الرّى إلى خالد ، فادعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لا بدّ لكم إن

استلحققتهموه ففعل من أن تزوجه ، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم .
وكان برمك طبيياً ، فدأوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به .

• • •

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم .
وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب ، وعزل حبيب بن
المهلب عن كرمان ، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته .

١١٨٢/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف . وعلى
الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل . وعلى الحرب بها من قبل
الحجاج زياد بن جريير بن عبد الله . وعلى البصرة أيوب بن الحكم . وعلى
خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزّل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة ،
ووردَ عزله عنها - فيما ذكر - ليلة الأحد لسبع ليال خلّوَن من شهر
ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وكانت إمّرتة^(١) عليها أربع سنين غير شهر
أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينة . قال الواقدي :
قدّمها ولياً في شهر ربيع الأول ؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولد
سنة اثنتين وستين .

قال : وقَدِم على ثلاثين بغيراً ، فنَزَلَ دارَ مروان . قال : فحدثني
عبدُ الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما قَدِم عمر بنُ عبد العزيز
المدينة ونَزَلَ دارَ مروان دخل عليه الناسُ فسلموا ، فلما صلّى الظهر دعا
عشرة من فقهاء المدينة : عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ،
وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حشمة^(٢) ، وسليمان بن
يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله
ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ، فدخلوا عليه
فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

إني إنما دعوتكم لأمرٍ توجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ،
ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضّر منكم ، فإن رأيتم أحداً

(١) ساقطة من ب .

(٢) ط : « خيشمة » ، وأنظر الفهرس .

يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظُلامة ، فأجرحُ الله على مَنْ بلغه ذلك إلا بلغنى .

فخرجوا يُجزونه خيراً ، وافترقوا .

قال : وكتب الوليدُ إلى عمرَ يأمره أن يقف هشامُ بنُ إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيئُ الرأي .

قال الواقدي : فحدثني داودُ بنُ جبير ، قال : أخبرتني أمّ ولد سعيد بن المسيّب أن سعيداً دعا ابنه ومواليه فقال : إن هذا الرجل يُوقف للناس — أو قد وقف — فلا يتعرضُ له أحدٌ ولا يؤذيه بكلمة ، فإننا سنترك ذلك لله وللرحيم ، فإن كان ما علمتُ لسيئُ النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً .

قال : وحدثني محمد بنُ عبد الله بن محمد بن عمر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بنُ إسماعيلَ يسيء جوارنا ويؤذي بنا ، ولقي منه على بنُ الحسين أذى شديداً ، فلما عزل أمرَ به الوليدُ أن يُوقف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من عليّ بنِ الحسين . ففتر به عليّ وقد وقف عند دارِ مروان ، وكان عليّ قد تقدّم إلى خاصته ألاّ يتعرض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مرّ ناداه هشامُ بنُ إسماعيلَ : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

١١٨٤/٢

* * *

[خبر صلح قتيبة ونيزك]

وفي هذه السنة قدّم نيزك على قتيبة ، وصالح قتيبة أهلَ باذغيس على ألاّ يدخلها قتيبة .

* ذكر الخبر عن ذلك :

* ذكر عليّ بنُ محمد أن أبا الحسن الجُشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان ، وجبله بن فروخ عن محمد بن المثني ، أن نيزك طرّخان كان في يديه أسراءُ من المسلمين ، وكتب إليه قتيبة حين صالح مملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ، ويهدده^(١) في كتابه ،

فخافته^(١) نيزك ، فأطلق الأسرى ، وبعث بهم إلى قتيبة ، فوجه إليه قتيبة
سليماً الناصح مولى عبید الله بن أبي بكر يدعوه إلى الصلح وإلى أن يؤمنه ،
وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله: لئن لم يقدم عليه ليغزونه ، ثم ليطلبنه حيث
كان ، لا يقطع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك . فقدّم سليم على
نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه - فقال له : يا سليم ، ما أظنّ عند صاحبك
خيراً ، كتب إلى كتاباً لا يكتب إلى مثلي ! قال له سليم : يا أبا
الهيّاج ، إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهّل إذا سُوهِل ، صعب إذا
عُوسِر ، فلا يمنحك منه غلظة كتابه إليك ، فما أحسن حالك عنده وعند
جميع مضر ! فقدّم نيزك مع سليم على قتيبة ، فصالحه أهل باذغيس
في سنة سبع وثمانين على ألاّ يدخل باذغيس .

* * *

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم]

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ومعه يزيد بن
جبّير ، فلقى الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية المصيصة .
قال الواقدي : فيها لاقى مسلمة ميمونا الجرجماني ومع مسلمة نحو
من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانة ، فقتل منهم بشراً كثيراً ،
وفتح الله على يديه حصوناً .

وقيل : إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ،
ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم وحصن بولس وقمقم ،
وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبى^(٢) ذراريهم ونساءهم .

* * *

[خبر غزو قتيبة بيكند]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكند .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

١١٨٦/٢

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا الذَّيَّالِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ إِيَّاسَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُسَيْنٍ ^(١) بْنِ مُجَاهِدِ الرَّازِيِّ وَهَارُونَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ يُونُسَ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمْ ، أَنَّ قُتَيْبَةَ لَمَّا صَالَحَ نَيْزَكَ أَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ ، ثُمَّ غَزَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ - سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ - بِيكَنْدَ ، فَسَارَ مِنْ مَرَّوٍ وَأَتَى مَرَّوَ الرُّوْدَ ، ثُمَّ أَتَى آمُلَ ! ثُمَّ مَضَى إِلَى زَمٍّ فَقَطَّعَ النَّهْرَ ، وَسَارَ إِلَى بِيكَنْدَ - وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النَّهْرِ ، يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ التَّجَارِ عَلَى رَأْسِ الْمَقَازَةِ مِنْ بُخَارَى - فَلَمَّا نَزَلَ بَعَثُوا قُوَّتَهُمْ اسْتَنْصَرُوا الصُّغُنْدَ ، وَاسْتَمَدُوا مِنْ حَوِطِهِمْ ، فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَأَخَذُوا بِالطَّرِيقِ ، فَلَمْ يَنْفُذْ لِقُتَيْبَةَ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَجِرْ لَهُ خَبَرٌ شَهْرَيْنِ ، وَأَبْطَأَ خَيْرُهُ عَلَى الْحِجَّاجِ ، فَأَشْفَقَ الْحِجَّاجُ عَلَى الْجُنْدِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأُمَصَارِ وَهُمْ يَقْتَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

قَالَ : وَكَانَ لِقُتَيْبَةَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهُ تَنْذَرٌ ^(٢) مِنَ الْعَجَمِ ، فَأَعْطَاهُ أَهْلُ بُخَارَى الْأَعْلَى مَالًا عَلَى أَنْ يَتَّقُوا عَنْهُمْ قُتَيْبَةَ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : أَخْلَنِي ، فَتَهَضَّصَ النَّاسُ وَاحْتَبَسَ قُتَيْبَةُ ضِرَارَ بْنَ حَصِينِ الضَّبِّيِّ ، فَقَالَ تَنْذَرُ : هَذَا عَامِلٌ يَتَّقِدُكُمْ عَلَيْكَ ، وَقَدْ عَزَلَ الْحِجَّاجُ ، فَلَوْ انصَرَفْتَ بِالنَّاسِ إِلَى مَرَّوٍ ! فِدَعَا قُتَيْبَةَ سَيِّئَهُ مَوْلَاهُ ، فَقَالَ : اضْرِبْ عُنُقَ تَنْذَرٍ ، فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَضِرَارٍ : لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَعْلَمُ هَذَا الْخَبَرَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، وَإِنِّي ^(٣) أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا إِنْ ظَهَرَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى تَنْقُضِيَ حَرْبُنَا هَذِهِ لِأَلْحَقَنَّكَ بِهِ ، فَاْمْلِكْ لِسَانَكَ ، فَإِنْ انْتَشَرَ هَذَا الْحَدِيثُ يَفُتَّ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ . ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ .

١١٨٧/٢

قَالَ : فَدَخَلُوا ، فَرَاَعَهُمْ قَتْلُ تَنْذَرٍ ، فَوَجَعُوا وَأَطْرَقُوا ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ : مَا يَرَوْعُكُمْ مِنْ قَتْلِ عَبْدٍ أَحَاذَنَةِ اللَّهِ ! قَالُوا : إِنَّا كُنَّا نَظَنُّهُ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : بَلْ كَانَ غَاشًّا ^(٤) ، فَأَحَاذَنَهُ اللَّهُ بِذَنْبِهِ ، فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فَاغْدُوا عَلَى

(٢) ر : « تَنْذَرٌ » .

(١) ب : « وَحَصِينِ » .

(٤) بعدها في ب : « لَمْ » .

(٣) ب : « فَإِنِّي » .

قتال عدوكم ، والقسوهم بغير ما كنتم تلقونهم به . فغدا الناس متأهبين ، وأخذوا مصافهم ، ومشى قتيبة فحضر أهل الرايات ، فكانت بين الناس مشاورة^(١) ، ثم تراحقوا^(٢) ، وأخذت السيوف مأخذها ، وأنزل الله على المسلمين الصبر ، فقاتلهم حتى زالت الشمس ، ثم منح الله المسلمين أكتافهم ، فانهزموا يريدون المدينة ، وابتعهم المسلمون فشغلهم عن الدخول ففترقوا ، وركبهم المسلمون قتلاً وأسرأ كيف شاءوا ، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة ، وهم قليل ، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهديها ، فسأله الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة .

وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار مرحلة^(٣) أوثنتين ، وكان منهم على خمسة فراسخ نفضوا وكفروا ، فقتلوا العامل وأصحابه ، وجعدوا آنفهم وأذانتهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها^(٣) بالخشب ، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهديم ، فسقط الحائط وهم يعلقونه ، فقتل أربعين من الفعلة ، فطلبوا الصلح ، فأبى وقاتلهم ، فظفر بهم عشوة ، فقتل من كان فيها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدي نفسي ، فقال له سليم الناصح : ما تبدل ؟ قال : خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن فداءه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كسب هذا ! قال : لا والله لا تروغ بك مسلمة أبداً ، وأمر به فقتل .

قال علي : قال أبو الذئال ، عن المهلب بن إياس ، عن أبيه والحسن ابن رشيد ، عن طفيل بن مرداس ، أن قتيبة لما فتح بيكنند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، فولى الغنائم والقسم عبد الله بن ولان العلوي أحد بني ماسكان — وكان قتيبة يسميه الأمين ابن الأمين — وإياس بن

(١) ب : « مساواة » . والمشاولة : القتال بالرمح . (٢) ب : « تراجعوا » .

(٣) ب : « فعلقها » .

يَبْهَتَسُ الْبَاهِلِيَّ ، فَأَذَابَا الْآيِيَّةَ وَالْأَصْنَامَ فَرَفَعَاهُ إِلَى قَتِيْبِيَّةَ ، وَرَفَعَا إِلَيْهِ خَبَبَتْ مَا أَذَابَا ، فَوَهَبَهُ لَهَا ، فَأَعْطِيَا بِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَأَعْلَمَاهُ فَرَجَعَ فِيهِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يُذَيِّبَاهُ فَأَذَابَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ خَمْسُونَ وَمِائَةُ أَلْفٍ مِثْقَالٍ - ١١٨٩/٢
أَوْ خَمْسُونَ أَلْفٍ مِثْقَالٍ - وَأَصَابُوا فِي بِيكَنْدُ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَصَارَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ بِيكَنْدُ شَيْءٌ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهُ بِخُرَّاسَانَ . وَرَجَعَ قَتِيْبِيَّةَ إِلَى مَرَوْ ، وَقَوَّى الْمُسْلِمُونَ ، فَاشْتَرَوْا السِّلَاحَ وَالْخَيْلَ ، وَجَلَبَتْ إِلَيْهِمُ الدَّوَابَّ ، وَتَنَافَسُوا فِي حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْعُدَّةِ ، وَغَالَتُوا بِالسِّلَاحِ حَتَّى بَلَغَ الرَّمْحُ سَبْعِينَ ؛ وَقَالَ الْكُمَيْتُ :

وَيَوْمَ بِيكَنْدُ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَمَا بُخَارَاءُ مِمَّا أَخْطَأَ الْعَدَدُ

وَكَانَ فِي الْخَزَائِنِ سِلَاحٌ وَآلَةٌ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ كَثِيرَةٌ ، فَكَتَبَ قَتِيْبِيَّةُ إِلَى الْحِجَاجِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دَفْعِ ذَلِكَ السِّلَاحِ إِلَى الْجُنُودِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَخْرَجُوا مَا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ مِنْ عُدَّةِ الْحَرْبِ وَآلَةِ السَّفَرِ ، فَقَسَمَهُ فِي النَّاسِ ، فَاسْتَعَدُّوا ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّبِيعِ نَدَبَ النَّاسَ وَقَالَ : إِنِّي أَغْزِيكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى حَسْمَلِ الزَّادِ ، وَأَنْتَقِلُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى الْإِدْفَاءِ ؛ فَسَارَ فِي عُدَّةِ حَسَنَةِ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّلَاحِ ، فَأَتَى أَمْلَ ؛ ثُمَّ عَبَرَ مِنْ زَمٍّ إِلَى بُخَارَى ، فَأَتَى نَوْمُشْكُوتَ - وَهِيَ مِنْ بُخَارَى - فَصَالَحُوهُ .

قَالَ عَلِيٌّ : حَدَّثَنَا أَبُو الذِّيَالِ ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، أَنَّ مُسْلِمًا الْبَاهِلِيَّ قَالَ لِوَالِدِهِ : إِنِّي عِنْدِي (١) مَالًا أَحَبُّ أَنْ أَسْتَوْدِعَ عَسْكَتَهُ ، قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا أَوْ لَا تَكْرَهُ أَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : أَحِبُّ أَنْ تَكْتُمَهُ ؛ قَالَ : ابْعَثْ بِهِ مَعَ رَجُلٍ تَشِقُّ بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، وَمُرَّهُ إِذَا رَأَى رَجُلًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَنْ يَضَعَهُ مَعَهُ وَيَتَصَرِّفُ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَجَعَلَ مُسْلِمُ الْمَالِ فِي خُمْرِجٍ ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى بَغْلٍ وَقَالَ لِمَوْلَايَ لَهُ : انْطَلِقْ بِهَذَا الْبَغْلِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا فَخَلَّ عَنْ الْبَغْلِ وَانْصَرَفَ . فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالْبَغْلِ ، وَقَدْ كَانَ وَالِدَانِ أَتَى الْمَوْضِعَ لِمِيعَادِهِ ،

فأبطأ عليه رسولُ مسلم ، ومضى الوقتُ الذي وَعَدَهُ ، فظنَّ أنه قد بدا له ، فانصرف ، وجاء رجلٌ من بني تَغْلِبَ فجلس في ذلك الموضع ، وجاء مولَى مسلم فرأى الرجل جالساً ، فخلَّى عن البغل ورجع ، فقام التغلبيُّ إلى البِغْل ، فلما رأى المال ولم يَرمع البِغْلَ أحداً قَادَ البِغْلَ إلى منزله ، فأخذ البِغْلَ وأخذَ المال ، فظنَّ مسلم أن المال قد صار إلى وَاَلآن ، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه ، فَلَيقِيَه فقال : مالى ! فقال : ما قبضت شيئاً ، ولا لك عندى مال . قال : فكان مُسْلِم يشكوه ويتنقّصه . قال : فأتى يوماً مجلس بني ضُبَيْعَةَ فشكاه والتغلبيُّ جالسٌ ، فقام إليه فخلّاً به وسأله عن المال ، فأخبره ، فانطَلَقَ به إلى منزله ، وأخرج الخُرْج فقال : أتعرّفه ؟ قال : نعم ، قال : وانخاتم ؟ قال : نعم ؛ قال : اقبض مالك ، وأخبره الخبر ، فكان مسلم يأتى الناسَ والقبائلَ التي كان يشكو إليهم وَاَلآن فيُعَذِّره ويُخبرهم الخبر ، وفي وَاَلآن يقول الشاعر :

وَلَسْتُ كَوَاَلَانَ الَّذِي سَادَ بِالتَّقَى وَلَسْتَ كَعِمْرَانٍ وَلَا كَالْمُهَلَّبِ ١١٩١/٢
وعِمرانُ : ابنُ الفَصِيلِ الْبُرْجُمِيِّ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة — فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعْشَرٍ — عُمَرُ بن عبد العزيز ، وهو أميرُ على المدينة .

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عَمْرٍو بن حَزْمٍ من قبَلِ عُمَرُ بن عبد العزيز .

وكان على العراق والمَشْرِقِ كُلِّهِ الحُجَّاجُ بن يوسف ، وخليفته على البَصْرَةِ في هذه السنة — فيما قيل — الجَرَّاحُ بن عبدِ اللَّهِ الْحَكَمِيُّ . وعلى قضائها عبد الله ابن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، وعلى خُرَّاسَانَ قُتَيْبَةُ بن مسلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

* * *

[خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الروم]

فمن ذلك ما كان من فَتْحِ الله على المسلمين حِصْنًا من حصون الروم يُدعى طُوانة في جُمادى الآخرة ^(١) ، وشتوا بها ، وكان على الجيش مُسلمة بن عبد الملك ، والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك .

١١٩٢/٢

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال : كان فَتْحُ طُوانة على يدِ مُسلمة بن عبد الملك والعبّاس بن الوليد ، وهَزَمَ المسلمون العدو يومئذ هزيمةً صاروا إلى كنيستهم ، ثم رَجَعُوا فانْهَزَمَ الناس حتى ظَنُّوا ألا يجتبروها أبدًا ، وبقي العبّاس معه نُفَيْرٌ منهم ابن مُحَيْرِيز الجُمَحِيّ ، فقال العبّاس لابن مُحَيْرِيز : أين أهل القرآن الذين يريدون البخلنة ؟ فقال ابن مُحَيْرِيز : نادهم يأتوك ؛ فنادى العبّاس : يا أهل القرآن ! فأقبلوا جميعًا ، فهَزَمَ الله العدو حتى دخلوا طُوانة .

وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة . فذكر محمد بن عمر ، عن أبيه ، أن نَخْرَمَةَ بن سليم الوالي قال : ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاععوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلّف خمسمائة ، فغزوا الصائفة مع مُسلمة والعبّاس ، وهما على الجيش . وإنهم شتوا بطُوانة وافتتحوها .

* * *

وفيها وُلِدَ الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

* * *

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم]

وفيهما أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد ، فذكر محمد بن عمر ، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدّم في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، قدم معتمراً ، فقال الناس : ما قدّم به الرسول ! فلندخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له : قدّم القبلة إن قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك ، فن أوى منهم فرأى أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك سلك صدق ، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخذت في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يملكث إلا يسيراً^(١) حتى قدّم الفعلة ، بعث بهم الوليد . قال محمد بن عمر : وحدّثني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمر ، يرونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه ، فأسسوا أساسه .

قال محمد بن عمر : وحدّثني يحيى بن النعمان الغفاري ، عن صالح بن كيسان ، قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار^(٢) خمس عشرة بهدم المسجد ، تجرد عمر بن عبد العزيز . قال صالح : فاستعملني على هدمه وبناءه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم حتى قدّم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد .

(١) ب : « رسول الله » . (٢) ب : « قليلا » .

(٣) ط : « سار » .

قال محمد : وحدثنى موسى بن أبي بكر ، عن صالح بن كيسان ، قال : ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ثمان وثمانين ، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يعينه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف منقال ذهب ، وبعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز .
وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد .

* * *

وفيها غزاً أيضاً مسلمة الروم ، ففتح على يديه حصون ثلاثة : حصن تسططينية ، وغزالة ، وحصن الأخرم . وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبى الذرية وأخذ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نومشكت وراميشنه]

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكت وراميشنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

ذكر علي بن محمد ، أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان ، عن مولى لهم أدرك ذلك ، أن قتيبة غزا نومشكت في سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مرو بشار بن مسلم ، فتلقاه أهلها ، فصالحهم ، ثم صار إلى راميشنه فصالحه أهلها ، فانصرف عنهم ^(١) وزحف إلى الترك ، معهم ^(٢) السعد وأهل فرغانة ، فاعترضوا المسلمين في طريقهم ، فلحقوا عبد الرحمن ابن مسلم الباهلي وهو على الساقة ، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فلما قربوا منه أرسل رسولا إلى قتيبة بخبره ، وغشيه الترك فقاتلوه ، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس ، فأنتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم ، وقد كاد

١١٩٥/٢

(٢) ب : « ومعهم » .

(١) ب : « عنها » .

الترك يستعملونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا، وقتلوه
إلى الظهر، وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة، فهزم الله الترك، وفض
جسمهم، ورجع قتيبة يريد مرو، وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ، ثم
أتى مرو. وقال الباهليّون: لقي الترك المسلمين عليهم كورمغانون التركي
ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف، فأظهر الله المسلمين عليهم.

* * *

[ذكر ما عمل الوليد من المعروف]

وفي هذه السنة كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في
تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان.

قال محمد بن عمر: حدثني ابن أبي سبرة، قال: حدثني صالح بن
كيسان، قال: كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة،
وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله
بذلك. قال: وحبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس، وأجرى
عليهم أرزاقاً، وكانت (٢) تُجرى عليهم.

وقال ابن أبي سبرة، عن صالح بن كيسان، قال: كتب الوليد إلى عمر
ابن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم،
فعملها عمر وأجرى ماءها، فلما حج الوليد وقف عليها، فنظر إلى بيت الماء
والفوارة، فأعجبته، وأمر لها بقوام يتقوّمون عليها، وأن يسقّى أهل المسجد
منها، ففعل ذلك.

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر.
ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبير - مولى لبني العباس - حدثه عن
صالح بن كيسان، قال: خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة - يعني سنة ثمان
وثمانين - بعدة من قريش، أرسل إليهم بصلات وظهر للحُمولة، وأحرموا
معه من ذى الحليفة، وساق معه بدنا، فلما كان بالتنعيم لقيهم نقر

(٢) ب: «فكانت».

(١) ط: «كور بغانون».

من قريش، منهم ابن أبي مُسَيْكَةَ وغيره ، فأخبروه أنَّ مَكَّةَ قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاجِّ العَطَشَ ، وذلك أنَّ المطر قلَّ ، فقال عمر : فالْمَطْلَبُ هاهنا بيِّنٌ ، تعالوا نَدْعُ الله . قال : فرأيتُهم دَعَوْا ودعا معهم ، فالتحوا في الدِّعاء . قال صالح :. فلا^(١) والله إنَّ وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل ، وسكَّبت السماء ، وجاء سَيْلُ الوادي ، فجاء أمرُ خافته أهلُ مَكَّةَ ، ومُطرت عَرَفَةُ ومِيَّ وَجُمُعُ ؛ فإِ كانت إِلا عُبْرًا ، قال : ونبتت مَكَّةَ تلك السنة للخِصْبِ .

وأما أبو مَعْشَرٍ فإنه قال : حجَّ بالناس سنة ثمان وثمانين عمرُ بنُ الوليد ابن عبدِ الملك ، حدثني بذلك أحمدُ بنُ ثابتٍ عَمَّنْ ذكره ، عن إِسْحاقَ ابن عيسى عنه .

وكانت العمَّال على الأمصار في هذه السنة العمَّال الذين ذكرنا أنهم كانوا عمَّالها في سنة سبع وثمانين .

(١) ب : « فوالله » ، س : « ولا والله » .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر غزو مسلمة أرض الروم]

ففي ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سورية ، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك ، زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ، ومعه العباس بن الوليد ودخلها جميعاً ثم تفرقا ، فافتتح مسلمة حصن سورية ، وافتتح العباس أذروبيته ، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم . وأما غير الواقدي فإنه قال : قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعاً كثيراً ، فهزمهم الله ، وافتتح هرقلة وقمودية . وغزا العباس الصائفة من ناحية البندنون .

* * *

[خبر غزو قتيبة بخارى]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى ، ففتح راميثنه . ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها في طريق بلخ ، فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج : أن رد وردان خذاه . فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين ، فأقى زم ، فقطع النهر ، فلقية السغد وأهل كس ونسف في طريق المفازة ، فقاتلوه ، فظفر بهم ومضى إلى بخارى ، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين ، ثم أعطاه الله الظفر عليهم ؛ فقال نهار بن توسعة : وباتت لهم منا بخرقان ليلة وليلتنا كانت بخرقان أطولا قال علي : أخبرنا أبو الديال عن المهلب بن إياس ، وأبو العلاء عن

١١٩٩/٢

إدريس بن حنظلة ، أن قتيبة غزا وَرْدَانَ خَدَاهُ (١) ملك بُخَارَى سنة تسع
وثمانين فلم يُطِيقَهُ ، ولم يَظْفِر من البلد بشيء ، فرجع إلى مَرُو ، وكتب إلى
الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاج : أن صَوَّرَهَا لِي ، فبعث إليه بصورتها ،
فكتب إليه الحجاج : أن ارجع إلى مَرَاغِيَتِكَ (٢) فتب إلى الله مما كان منك ،
وأتيها من مكان كذا وكذا .

وقيل : كتب إليه الحجاج أن كيس بكس وانسف نسف ورد
وردان ، وإياك والتحويط (٣) ، ودعني من بنيات الطريق (٤) .

* * *

[خبر ولاية خالد القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي ،
وذكر أن عمر بن صالح حدثه عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعت
خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب :

أيها الناس ، أيهما أعظم ؟ أخليفة الرجل على أهله ، أم رسوله إليهم ؟
والله لو لم تعلموا فضل الخليفة ، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى
فسقاه ملجأ أجاباً ، واستسقاها (١) الخليفة فسقاه عذاباً فراثاً ، بئراً حفراً
الوليد بن عبد الملك بالثنتين - ثنية طوى وثنية الحجون (٢) - فكان ينقل
ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليُعرف فضله على زمزم .

١٢٠٠/٢

قال : ثم غارت البئر فذهبت فلا يُدرى أين هي اليوم .

(١) ب : « خداه » .

(٢) المراجعة في الأصل : ممرغ الدابة ؛ أراد بها بخارى أى أن يفتحها ويتخذها معقلاً يتقلب
فيه كما تتقلب الدابة في مراعتها .

(٣) حوط حول الأمر ، أى دار ، وأصله من حوط كرمه تحويطاً ، أى بنى حوله حائطاً ؛
يريد : إياك والدوران في القول وكثرة المراجعة فيه .

(٤) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنشعب من الجادة ، أى اسلك الطريق المستقيم الذى
لا تعرج فيه . (٥) ب : « واستسقى » .

(٦) ابن الأثير : « ثنية طوى في ثنية الحجون » .

* * *

وفيها غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التُّرْكِيَّ حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ مِنْ نَاحِيَةِ
أَذْرَبَيْجَانِ . فَفَتَسَّحَ حُصُونًا وَمَدَائِنَ هُنَاكَ .

* * *

وَحَجَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ
ابْنُ ثَابِتٍ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْنَسَرٍ .
وَكَالَ الْعَمَّالُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَمْصَارِ الْعَمَالُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبِلَتْهَا ،
وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمْ قَبْلَ .

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

ففي هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم - فيما ذكر محمد بن عمر - من ناحية سورية ، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية .

وغزا فيها العباس بن الوليد ؛ قال بعضهم : حتى بلغ الأرز ؛ وقال بعضهم : حتى بلغ سورية . وقال محمد بن عمر : قول من قال : حتى بلغ سورية أصح .

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي - داهر بن صصة ملك السند ، وهو على جيش من قبل الحججاج بن يوسف .

وفيهما استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر - موضع عبد الله بن عبد الملك .

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . ١٢٠١/٢

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيهما فتحت قتيبة بخارى ، وهزم جموع العدو بها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبهره عن المهلب بن إياس ؛ وأبا العلاء عن إدريس بن حنظلة ؛ أن كتاب الحججاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان ، من انصرافه عن وردان - خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه ، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه ، نخرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازياً ، فأرسل وردان خذاه إلى السغد والتürk ومن حولهم

يستنصرونهم^(١)، فأثروهم وقد سبقت إليها قتيبة فحصرهم، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلونا على حدة^(٢)، ونخلوا بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدموا؛^(٣) فتقدموا يقاتلونهم^(٤) وقتيبة جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً ملياً، ثم جال المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين، فكروا راجعين، وانطوت مجنبتنا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقعهم، فوقف الترك على ١٢٠٢/٢ نشز، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع^(٥)؟ فلم يقدم عليهم أحد،^(٦) والأحياء كلها وقوف^(٧).

فشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الخطمية، فيوم كأيامكم، أبي^(٨) لكم الفداء! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بني تميم، أتسلمونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف - وهريم بن أبي طلحة المجاشعي على خيل بني تميم وكيع رأسهم، والناس وقوف - فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدّم^(٩)، ودفع إليه الراية، وقال: قدّم خيلك فتقدّم هريم، ودب وكيع في الرجال، فأنتهى هريم إلى نهر بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: اقحم يا هريم؛ قال: فنظر هريم إلى وكيع نظر الجمل الصّول^(١٠) وقال: أنا أقحم^(١١) خيلي هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها! والله إنك لأحمق؛ قال: يا بن اللّخناء، ألا أراك تردّ أمري! وحده بعمود كان معه، فضرّب هريم فرسه فأقحمه، وقال: ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هريم في الخيل، وانتهى^(١٢) وكيع إلى النهر، فدعا بخشب فقتل النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على الموت فليعبّر، ومن لا فليثبت مكانه؛ فاعبر معه إلا ثمانمائة

(١) ب: «يستنصرونهم فأتوه».

(٢-٣) ب: «فقاتلوهم».

(٤-٥) ب: «والأحياء من العرب كلهم وقوف».

(٦) ر: «إني».

(٧) ب: «الهائج».

(٨) ب: «فانتهى».

(٩) ابن الأثير: «أقحم».

١٢٠٣/٢

راجل^(١)، فذبّ فيهم حتى إذا أعيوا^(٢) أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو ، فجعل^(٣) الخيل مجنبتين ، وقال لريم : إني مطاعن القوم ، فاشغلهم عنا بالخيل ، وقال للناس : شدّوا ، فحملوا فما انتشوا حتى خالطوهم ، وحمل هريم خيلته عليهم فطاعنهم بالرماح ، فما كفوا عنهم حتى حصد رؤسهم عن موقفهم ، ونادى قتيبة : أما ترون العدو منهزمين ! فما عبر أحدٌ ذلك النهر حتى ولّى العدو منهزمين ، فأتبعهم الناس ، ونادى قتيبة : من جاء برأس فله مائة .

قال : فزعم موسى بن المتوكل القريعي ، قال : جاء يومئذ أحد عشر رجلاً من بني قرّيع ، كل رجل يجيء برأس ، فيقال له : من أنت ؟ فيقول : قرّيعي . قال : فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه ، فقالوا له : من أنت ؟ قال : قرّيعي ؛ قال : وجههم بن زحرّ قاعد ، فقال : كذب والله أصلحك الله ! إنه لابن عَمّي ، فقال له قتيبة : ويحك ! ما دعاك إلى هذا ؟ قال : رأيتُ كلَّ من جاء قرّيعي : فضننتُ أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقول : قرّيعي . قال : فضحك قتيبة .

قال : وجرح^(٤) يومئذ خاقان وابنه ، ورجع قتيبة إلى مرو ، وكتب إلى الحجاج : إني بعثتُ عبد الرحمن بن مسلم ، ففتح الله على يديه .

قال : وقد كان شهد الفتح مولّى للحجاج . فقدم فأخبره الخبر ، فغضب الحجاج على قتيبة . فاعتم^(٥) لذلك ، فقال له الناس : ابعتْ وقُدْ من بني تميم وأعطهم وأرضهم بخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت ، فبعث رجلاً فيهم عُرّام بن شثير الضبي . فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجّام بيده مقرّاض فقال : لأقطعنّ ألسنتكم أو لتصدقنّني ، قالوا : الأمير قتيبة ، وبعث عليهم عبد الرحمن . فافتح^(٦) للأمير والرأس الذي يكون على الناس ، وكنتم بهذا عُرّام بن شثير . فسكن الحجاج .

١٢٠٤/٢

(١) ب : « رجل » .

(٢) ب ، ر : « وخرج » .

(٣) ب : « بالفتح » .

(٤) ب : « ورجل » .

(٥) ب : « وجعل » .

(٦) ب : « كذلك » .

[خبر صلح قتيبة مع السُّغْد]

وفي هذه السنة جدّد قتيبةُ الصلحَ بينه وبين طَرْنُخُون مَلِكِ السُّغْد .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : ذَكَرَ أَبُو السَّرِيِّ عَنِ الْجَهْمِ الْبَاهِلِيِّ . قَالَ : لَمَّا أَوْقَعَ قَتِيبَةُ بِأَهْلِ بُخَارَى فَفَقَضَ جَمْعَهُمْ هَابَهُ أَهْلُ السُّغْد ، فَرَجَعَ طَرْنُخُونُ مَلِكُ السُّغْد وَمَعَهُ فَارِسَانٌ حَتَّى وَقَفَ قَرِيباً مِنْ عَسْكَرِ قَتِيبَةَ ، وَبَيْنَهُمَا نَهْرُ بُخَارَى ، فَسَأَلَ أَنْ يَسْبِغَ إِلَيْهِ رَجُلًا يَكَلِّمُهُ ، فَأَمَرَ قَتِيبَةُ رَجُلًا فَدَنَا مِنْهُ .

وَأَمَّا الْبَاهِلِيُّونَ فَيَقُولُونَ : نَادَى طَرْنُخُونُ حَيَّانَ النَّبْطِيِّ فَأَتَاهُ ، فَسَأَلَهُ الصَّلْحَ عَلَى فِدَايَةٍ يُؤَدِّيهَا إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُ قَتِيبَةُ إِلَى مَا طَلَبَ . وَصَالَحَهُ ، وَأَخَذَ مِنْهُ رَهْنًا حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِمَا صَالَحَهُ عَلَيْهِ ، وَانْصَرَفَ طَرْنُخُونُ إِلَى بِلَادِهِ ، وَرَجَعَ قَتِيبَةُ وَمَعَهُ نَيْزَكَ .

* * *

[غدر نيزك]

وفي هذه السنة غَدَرَ نَيْزَكَ ، فَفَقَضَ الصَّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَامْتَنَعَ بِقَاعَتِهِ ، وَعَادَ حَرْبًا ، فَغَزَاهُ قَتِيبَةُ .

* ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظَّفَرِ بِهِ :

قال عليّ : ذَكَرَ أَبُو الدَّيَّالِ ، عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ إِيَّاسٍ وَالْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ . عَنْ أَبِيهِ ، وَعَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ وَكُتَيْبِ بْنِ خَلْفٍ الْعُمِيِّ : كُلٌّ قَدْ ذَكَرَ شَيْئًا فَأَلْفَقَتْهُ . وَذَكَرَ الْبَاهِلِيُّونَ شَيْئًا فَأَلْحَقَتْهُ فِي خَبَرٍ هُوَ لاءُ وَأَلْفَقَتْهُ ، أَنَّ قَتِيبَةَ فَصَلَ سِنَ بُخَارَى وَمَعَهُ نَيْزَكَ وَقَدْ كَدَّرَهُ مَا قَدْ رَأَى مِنَ التَّمُوحِ ، وَخَافَ قَتِيبَةَ ، فَقَالَ : لِأَصْحَابِهِ وَخَاصَّتِهِ : مُتَّهِمٌ أَنَا مَعَ هَذَا . وَلَسْتُ آمَنُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْكَلْبِ ؛ إِذَا ضَرَبَتْهُ نَبْجٌ ، وَإِذَا أَطْعَمْتَهُ بِصَبِيصٍ وَاتَّبَعَكَ ، وَإِذَا غَزَوْتَهُ ثُمَّ أَعْطَيْتَهُ شَيْئًا رَضِيَ ، وَنَسِيَ مَا صَنَعْتَ بِهِ ، وَقَدْ قَاتَلَكُمُ طَرْنُخُونُ مَرَارًا ، فَلَمَّا أَعْطَاهُ فِدَايَةً قَبِلَهَا وَرَضِيَ ، وَهُوَ شَدِيدُ السَّطْوَةِ فَاجِرٌ

فلو استأذنت^(١) ورجعتُ كان الرأي ، قالوا : استأذنه . فلما كان قتيبة بأمْل استأذنته في الرجوع إلى تخارستان ، فأذن له ، فلما فارق عسكره متوجّهاً إلى بَلَخ قال لأصحابه : أغذُّوا السَّيرَ ؛ فساروا^(٢) سيراً شديداً حتى أتوا النوبهار^(٣) ، فذكر يصلى فيه وتبرك به . وقال لأصحابه : إني لا أشكّ أن قتيبة قد ندّم حين فارقنا عسكره على إذنه لي ، وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة بن عبد الله بأمره بحبسى ، فأقيموا ربيّةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى تبلغ تخارستان ، فبعث المغيرة رجلاً فلا يُدرِكنا حتى ندخل شعب خلم ، ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قِبل^(٤) قتيبة إلى المغيرة بأمره بحبس نيزك . فلما مرّ الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان — ومدينة بَلَخ يومئذ خراب — ركب نيزك وأصحابه فمضوا ، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه ، فوجدّه قد دخل شعب خلم ، فانصرف المغيرة ، وأظهر نيزك الخلع ، وكتب إلى أصبهيد بَلَخ وإلى باذام ملك مَرَوَرُود ، وإلى سهراب^(٥) ملك الطالقان ، وإلى ترسل ملك الفارياب ، وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعوه إلى خلع قتيبة ، فأجابوه ، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاه يستظهر به ، وبعث إليه بشقله وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده ، فأجابته إلى ذلك وضمّ ثقله . قال : وكان جبغويه ملك تخارستان ضعيفاً ، واسمه الشذّ ، فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافة أن يشغب عليه — وجبغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده — فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء ، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه ، وكان العامل محمد بن سليم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء ، وقد تفرّق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل مَرَو ، فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بَلَخ في اثني عشر ألفاً إلى البروقان ، وقال : أقم بها ،

١٢٠٦/٢

١٢٠٧/٢

(١) ب : « استأذنته » . (٢) ب : « وسار » .

(٣) ب : « التوبهار » . (٤) ب : « عند » .

(٥) ط : « سهرك » ، وانظر الطبري ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

ولا تُحدث شيئاً ، فإذا حَسَرَ الشتاء فَعَسَّكَير وسِرَّ نحو تخارستان ، واعلم
أنى قريب منك ، فسار عبدُ الرحمن فنزل البروقان ، وأمهل قتيبة حتى
إذا كان في آخر الشتاء كَسَّتَب إلى أبرشهر ويورد وسر نخس وأهل هرة
ليقدّموا قبل أوانهم الذى كانوا يقدّمون عليه فيه .

[خبر فتح الطالقان]

وفى هذه السنة ، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان - فيما قال بعض
أهل الأخبار - فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم ستمائين أربعة
فراسخ في نظام واحد .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن نيزك طرخان لما غدر وخسّ قتيبة
وعزّم على حربه ، طابقت على حربه ملك الطالقان ، وواعدته المصير
إليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة ، فلما هرب نيزك من
قتيبة ودخل شعب خلم الذى يأخذ إلى طخارستان عليم أنه لا طاقة له
بقتيبة ، فهرب ، وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها ، ففعل ما ذكرت فيما قبل .
وقد خولف قائل هذا القول فيما قال من ذلك ، وأنا ذاكره في أحداث
سنة إحدى وتسعين .

١٢٠٨/٢

وحجّ بالناس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، كذلك حدثني أحمد
ابن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال محمد بن عمر .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على
مكة والمدينة والطائف . وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعامل
الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائهما عبد الرحمن بن أذينة ،
وعلى الكوفة زياد بن جريز بن عبد الله . وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى .
وعلى خراسان قتيبة بن مسلم . وعلى مصر قرّة بن قرّة بن شريك .

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج]

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم، فلاحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج ابن يوسف، والوليد بن عبد الملك.

• ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان :

قال هشام : حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسبي، قال : خرج الحجاج إلى رُسْتَقْبَازٍ لِلْبَعَثِ، لأنَّ الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج يزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدّم بهم رُسْتَقْبَازَ، فجعلهم في عسكره، وجعل عليهم كهَيئَةَ الحَنْدَقِ، وجعلهم في فُسْطَاطٍ قَرِيبًا مِنْ حُجْرَتِهِ. وجعل عليهم حَرَسًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَغْرَمَهُمْ سِتَّةَ آلَافِ أَلْفٍ، وَأَخَذَ يَعْذِّبُهُمْ، وَكَانَ يَزِيدُ يَتَصَيَّرُ صَبْرًا حَسَنًا، وَكَانَ الْحَجَّاجُ يَغِيظُهُ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ رُمِيَ بِنُشَابَةٍ فَتَبَتَ فَصَلُّهَا فِي سَاقِهِ، فَهُوَ لَا يَمْسُهَا شَيْءٌ إِلَّا صَاحَ، فَإِنْ حَرَكْتَ أَدْنَى شَيْءٍ سَمِعْتَ صَوْتَهُ، فَأَمَرَ أَنْ يَعْذَّبَ وَيُدْهَقَ^(١) سَاقُهُ، فَلَمَّا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ صَاحَ، وَأَخْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا سَمِعَتْ صِيحَ يَزِيدَ صَاحَتْ وَنَاحَتْ، فَطَلَّقَهَا. ثُمَّ إِنَّهُ كَفَّ عَنْهُمْ، وَأَقْبَلَ يَسْتَأْذِيهِمْ، فَأَخَذُوا يُؤْذِنُونَ وَهُمْ يَتَعَمَّكُونَ فِي التَّخْلُصِ مِنْ مَكَانِهِمْ، فَبِعَثُوا إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ بِأَمْرِهِ أَنْ يَضُمَّرَ لَهُمُ الْخَيْلَ، وَيُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُ بَيْعَهَا وَيَعْرِضُهَا عَلَى الْبَيْعِ، وَيُغْلَى بِهَا لَثْلًا تُشْتَرَى فَتَكُونُ لَنَا عُدَّةٌ إِنْ نَحْنُ قَدَرْنَا عَلَى أَنْ نَنْجُو مِمَّا هَاهُنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرْوَانُ، وَحَبِيبُ بِالْبَصْرَةِ^(٢) يَعْذَّبُ أَيْضًا، وَأَمَرَ يَزِيدُ بِالْحَرَسِ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا فَأَكَلُوا، وَأَمَرَ بِشَرَابٍ فَسُقُوا، فَكَانُوا مَتَشَاعِلِينَ بِهِ، وَلَيْسَ يَزِيدُ ثِيَابَ طَبَّاحِهِ، وَوَضَعَ عَلَى لَحْيَتِهِ لَحْيَةً

١٢٠٩/٢

(٢) ب : « يعذب بالبصرة » .

(١) الدهق : شد الساق بخشبين .

بَيْضَاء ، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كأنَّ هذه مِشْيَةُ يَزِيد ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً ، فرأى بياضَ اللَّحْيَةِ ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضلُ على أثره ، ولم يَفْطِنْ له ، فجاءوا إلى سفنهم وقد هيئوها في البطائح ، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشرَ فرَسَخًا ، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشغلَ عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب بنا فإنه لاحقٌ ، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأُمِّه - وهى بهلة ، هندية : لا والله ، لا أبرح حتى يجيء ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا عند ذلك السفن ، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرس عليهم أبطأ بهم ، فرفع ذلك إلى الحجَّاج ، وقال الفرزدق في خروجهما ^(١) :

فلم أرَ كالرُّهْطِ الذينَ تتابعوا على الجِذَعِ والحرَّاسِ غيرُ نِيَامِ
مَضَوْا وَهُمْ مُسْتَيْقِنُونَ بَأَنَّهُمْ إلى قَدَرِ آجَالِهِمْ وَحِمَامِ
وإنَّ مِنْهُمْ إِلَّا يُسَكِّنُ جَاشُهُ ^(٢) بعَضْبِ صَقِيلِ صَارِمِ وَحُسامِ
فلَمَّا التَّقَوْا لم يَلْتَقُوا بِمُنْفَعِهِ ^(٣) كبيرٍ ولا رَخِصِ العظامِ غلامِ
بِمِثْلِ أَبِيهِمْ حينَ تَمَّتْ لِدَاتُهُمْ لخمسينِ قُلْ في جُرْأَةٍ وتمامِ

ففرغ له الحجَّاج ، وذهبَ وهمه أنَّهم ذَهَبوا قِبَلَ خُرَّاسان ، وبعث البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذِّره قدومهم ، ويأمره أن يستعدَّ لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكُور أن يرصدوهم ، ويستعدوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخبره بهربهم ، وأنه لا يراهم أَرَادوا إلا خُرَّاسان . ولم يزل الحجَّاج يظنُّ بيزيدَ ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدثُ نفسه بمِثْلِ الذي صنع ابنُ الأشعث .

ولمَّا دنا يزيدُ من البطائح ، من مَوْقُوع ^(٤) استقبلته الخيلُ قد هيئت له ولاخوته ، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كَلْبٍ يقال له : عبد الجبار بن يزيد بن الربعة ، فأخذ بهم على السَّماوَةِ ، وأتى الحجَّاج بعد يومين ، فقيل

(١) ديوانه ٨١٦ - ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .

(٣) كذا في ب والديوان ، والمنفَعَةُ : الضعيف من العلة . وفي ط : « بمنفَع » .

(٤) مَوْقُوع : ماء بتاحية البصرة .

له : إنما أخذ الرجل طريقَ الشام ، وهذه الخيلُ حَسْرَى في الطريق ، وقد أتى من رآهم موجَّهين في البرِّ ، فبعث إلى الوليد يُعَلِّمه ذلك ، ومَضَى يزيدُ حتى قدِمَ فلسطِينَ ، فَتَنَزَّلَ على وهيب بن عبد الرحمن الأزدِيّ - وكان كريمًا على سليمان - وأنزل بعضَ ثِقَلِه وأهلِه على سُفْيَان بن سليمان الأزدِيّ ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال : هذا يزيدُ بن المهلب ، وإخوته في منزلي ، وقد أتوك هُرَّابًا من الحجاج متعوذين بك ، قال : فأُتِيتُ بهم فهم آمِنون لا يُوصَلُ إليهم أبدًا وأنا حيٌّ . فجاء بهم حتى أدخلتهم عليه ، فكانوا في مكان آمِن . وقال الكلبي (١) دليلهم في مسيرهم :

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ
لِنِعْمِ الْفَتَى يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ أَسْعَفَتْ
عَدْلُنَ يَمِينًا عَنْهُمْ رَمْلُ عَالِجٍ
فَالَّا تُصْبِحُ بَعْدَ خَمْسِ رَكَابِنَا
تَقَرُّ قَرَارَ الشَّمْسِ مِمَّا وَرَاءَنَا (٥)
بِقَوْمٍ هُمْ كَانُوا الْمُلُوكَ هَدَيْتُهُمْ (٦)
وَلَا قَمَرٍ إِلَّا ضُثِيلًا كَأَنَّهُ
فِدَاءٌ عَلَى مَا كَانَ لَا بِنِ الْمُهَلَّبِ
رِكَابُكُمْ بِالْوَهَبِ شَرَقِيَّ مَنْقَبِ (٢)
وَذَاتِ يَمِينِ الْقَوْمِ أَعْلَامُ غُرَبِ (٣)
سُلَيْمَانَ مِنْ أَهْلِ اللَّوَى تَتَاوَبِ (٤)
وَتَذْهَبُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبٍ
بِظُلُمَاءٍ لَمْ يُبْصَرْ بِهَا ضَوْءُ كَوْكَبٍ
سِوَارُ حَنَاهُ صَائِغِ السُّورِ مُذْهَبِ

قال هشام : فأخبرني الحسن بن أبان العلَيميُّ ، قال : بينا عبد الجبار ابن يزيد بن الرِّبَعة يسري بهم فسقطتُ عمامةُ يزيد ، ففقدَها فقال : يا عبد الجبار ، ارجع فاطلبها لنا ، قال : إنَّ مثلي لا يؤمَرُ بهذا ، فأعاد ؛ فأبى ، فتناولَه بالسوط ، فانتسَبَ له ، فاستحيا منه ، فذلك قوله :

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ
فِدَاءٌ عَلَى مَا كَانَ لَا بِنِ الْمُهَلَّبِ

- (١) ب : « وقد قال ابن » .
(٢) ب : « عزب » ، ر : « عرب » .
(٣) ب : « نفر فرار » .
(٤) ب : « ركايم بالوهد » .
(٥) ب : « ب » ، « نتأوب » .
(٦) ب : « يقوم من أبناء الملوك » .

وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله وهرَبوا مني ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدِموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرّحوا إلى خراسان، لا يَروْنَ إلا أن يزيدَ توجّهَ إلى خراسان ليُفتنَ من بها. فلما بلغ الوليدَ مكانه عند سليمان هوّن عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضباً للمال الذي ذَهَبَ به. وكتب سليمانُ إلى الوليد: إن يزيدَ بنَ المهلبِ عندي وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدّوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي علىّ. فكتب إليه: لا والله لا أؤمّنه حتى تبعث به إلىّ. فكتب إليه: لأنّ أنا بعثتُ به إليك لأجيئنَ معه، فأشدُّك الله أن تفضّحنى ولا أن تُخفِرنى. فكتب إليه: والله لأنّ جئتني لا أؤمّنه. فقال يزيد: ابعثني إليه، فوالله ما أحبّ أن أوقع بينك وبينه عداوةً وحرباً، ولا أن يتشاءمَ بى لكما الناسُ، ابعث إليه بى^(١)، وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بالطف ما قدّرت عليه. فأرسلَ ابنه أيوب معه. وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سِلْسِلَة ثم ادخلا جميعاً على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد، فدخلا عليه، فلما رأى الوليدُ ابنَ أخيه في سِلْسِلَة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمّه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسى فداؤك! لا تُخفر ذمّة أبى، وأنت أحقّ من منعه، ولا تقطع منّا رجاء من رجاء السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تُدِلّ من رجا العزّ في الانقطاع إلينا لعزنا بك. وقرأ الكتاب:

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك. أما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنت لأظنّ لو استجار بى عدوّ قد نابذك وجاهدك فأنزله وأجرته أنك لا تُدِلّ جارى. ولا تُخفر جوارى، بله لم أجبر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثتُ به إليك، فإن كنت إنما تغزو قطيعتى والإنخاف لذمتى، والإبلاغ فى مَسْأَآتى، فقد

(١) ب: «بينه وبينك». (٢) ب: «بى إليه».

قدرت إن أنت فعلت . وأنا أعيدك بالله من احتراد^(١) قَطِيعَتِي ، وانتهاك حُرْمَتِي وتركِ بِرِّي وصِلَتِي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تَدْرِي ما بقائِي وبقاؤك ، ولا متى يُفَرِّق الموت بيني وبينك ! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهولى واصل ، ولحقى مؤد ، وعن مساعى نازع ، فكذلك فعل . والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر منى برضاك وسرورك . وإن رضاك مما ألتبس به رضوان الله ، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتى وصِلَتِي وكَرَامَتِي وإِعْظَامَ حَقِّي فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على .

١٢١٥/٢

فلما قرأ كتابه ، قال : لقد شققنا على سليمان ! ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه . وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيته صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فن ينس ذلك فلئسا ناسيه ، ومن يكفر فلئسا كافريه ، وقد كان من بلاتنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشرق والمغرب ما إن المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجلس ، فجلس فأمته وكف عنه ، ورجع إلى سليمان وسعى لإخوته في المال الذى عليه ، وكتب إلى الحجاج :
إني لم أصِل إلى يزيد ، وأهل بيته مع سليمان ، فاكف عنهم ، والله عن الكتاب إلى فيهم .

فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم . وكان أبو عبيدة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب . ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يُعلِّمه الحديث ، ويصنع له طيب الأطعمة ، ويهدي له^(٢) الهدايا العظام . وكان من أحسن الناس عنده منزلة ، وكان لا تأتى يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان ، ولا تأتى سليمان هدية ولا فائدة إلا بعث بنصفها إلى يزيد بن المهلب ،

١٢١٦/٢

(١) الاحتراد : من الحرد ؛ وهو القصد ، وفى ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .

(٢) ب : « إليه » .

وكان لا تُعجبه جاريةٌ إلا بعث بها إلى يزيدٍ إلا خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري ، فقال : انطلق إلى سليمان فقل له : يا خالفةَ أهل بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه ^(١) أنه لا تأتلك هديّة ولا فائدةٌ إلا بعثت إلى يزيد بنصفها ، وإنك تأتي الجارية من جواريك فلا يستقضى ^(٢) طهرها حتى تبعث بها إلى يزيد ، وقبّح ذلك عليه ، وعيّر به ، أترك مبلّغاً ما أمرتك به ؟ قال : طاعتك طاعة ، وإنما أنا رسول ؛ قال : فأته فقل له ذلك ، وأقيم عنده ، فإنني باعث إليه بهدية فادفعها إليه ، وخذ منه البراءة بما تدفع إليه .

ثم أقبل فتضى حتى قدّم عليه وبين يديه المصحف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلم ، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثم رفع رأسه إليه فكلّمه ^(٣) بكلّ شيء أمره به الوليد ، فتمعر وجهه ، ثم قال : أما والله لئن قدرت عليك يوماً من الدهر لأقطعن منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت على الطاعة .

ثم خرج من عنده . فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليد إلى سليمان ، دخل عليه ^(٤) الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له : أعطيت البراءة بهذا الذي دفعت إليك ، فقال : كيف قلت لي ؟ قال : لا أعيدُه علماً أبداً ^(٥) ، إنما كان على فيه الطاعة . فسكّن . وعلم أن قد صدقه الرجل ، ثم خرج وخرجوا معه ، فقال : خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسفاط ^(٦) وابعثوا بها إلى يزيد ^(٧) .

قال : فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيد أحد ، ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر .

وتوفي الحجاج سنة خمس وتسعين في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة .

(١) ب : « إنه قد بلغ أمير المؤمنين » . (٢) ب : « يقضى » .

(٣) ب : « وكله » . (٤) ب : « له » .

(٥) ر : « إليك أبداً » . (٦) ب : « ونصف هذه الأسفاط » .

(٧) ب : « يزيد بن المهلب » .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا — فيما ذكر محمد بن عمرو وغيره — الصائفة عبد العزيز بن الوليد ، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وفيها غزا أيضاً مسلمة الترك ؛ حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتّح على يديه مدائن وحصون .

وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتّح على يديه أيضاً مدائن وحصون .

* * *

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان .

١٢١٨/٢

* * *

[تمة خبر قتيبة مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله . ولما قدم من كان قتيبة كتب إليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وخرنخس وهرة على قتيبة ، سار بالناس إلى مرو وروذ واستخلف على الحرب حماد بن مسلم ، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم . وبلغ مزربان مرو وروذ لإقباله إلى بلاده ، فتهرب إلى بلاد الفرس . وقدم قتيبة مرو وروذ فأخذ ابنين له فقتلتهما وصلبهما ، ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربته ، فكف عنه ، وفيها لصوص ، فقتلهم قتيبة وصلبهم ، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ، ومضى إلى الفارياب ، فخرج إليه ملك الفارياب مذعناً مقرأ بطاعته ، فرضى عنه ، ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها رجلاً من باهلة . وبلغ صاحب الخوزجان خبرهم ، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً ، وسار قتيبة إلى الخوزجان فلقه أهلها سامعين مطيعين ،

فَقَبِّلَ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْتُلْ فِيهَا ^(١) أَحَدًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَامِرَ بْنَ مَالِكِ الْحِمَافِي ، ثُمَّ أَنَّى بَلَخَ فَلَقِيَهُ الْأَصْبَهَبِيُّ فِي أَهْلِ بَلَخَ ، فَدَخَلَهَا فَلَمْ يُقِمِ بِهَا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا .

١٢١٩/٢ ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلهم ، وقد مضى نيزك فمسكر ببغلان ، وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه بمنعونه ^(٢) ، ووضع مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب ، فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء ، ولا يتقدر على دخوله ، وهو مضيق ، الوادي يجري وسطه ، ولا يعرف طريقاً يفضي به ^(٣) إلى نيزك إلا الشعب أو مفازة لا تحتل العساكر ، فبقى متلداً يلتمس الحيل .

قال : فهو في ذلك إذ قدّم عليه الروب خان ملك الروب وسمنجان ، فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب ، فأمنه قتيبة ، وأعطاه ما سأله ، وبعث معه رجالاً ليلاً ، فانتهى بهم إلى القلعة التي من وراء شعب خلهم ، فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم ، وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب ، فدخل قتيبة والناس الشعب ، فأنى القلعة ثم مضى إلى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فسنج جاه ، وبين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة

١٢٢٠/٢ قال : فأقام قتيبة بسمنجان أياماً ، ثم سار نيزك ، وقدّم أخاه عبد الرحمن ، وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة ، ووجه ثقله وأمواله إلى كابُل شاه ، ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه ، فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ، ونزل قتيبة أسكيمشت بينه ^(٤) وبين عبد الرحمن فرسخان . فتحرّز نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد ، وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب ، فحصره قتيبة شهرين حتى قلّ ما في يد نيزك من الطعام ، وأصابهم الجُدري وجُدّر جبغويه ، وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سُلَيْمًا الناصح ، فقال : انطلق إلى نيزك

(١) ب : « ولم يقتل بها » . (٢) ر : « بمنعون » .

(٣) ب : « فيه » . (٤) ب : « وبينه » .

واحتسَلْ لَأَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ بِغَيْرِ أَمَانٍ ، فَإِنْ أَعْيَاكَ وَأَبَى فَأَمِينَهُ ، وَاعْلَمْ أَنِّي إِنْ عَايَنْتُكَ وَلَيْسَ هُوَ مَعَكَ صَلْبَتُكَ ؛ فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ : فَارْتَبْتُ لِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يُخَالِفُنِي ؛ قَالَ : نَعَمْ . فَكَتَبَ لَهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : ابْعَثْ رَجُلًا فَلْيَكُونُوا عَلَى فِئَةِ الشَّعْبِ ، فَإِذَا خَرَجْتَ أَنَا وَنِيزَكَ فَلْيَعْطِفُوا مِنْ وَرَائِنَا فَيَسْجُدُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشَّعْبِ . قَالَ : فَبِعَثْتُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ خَدِيمًا فَكَانُوا حَيْثُ أَمَرَهُمْ سُلَيْمٌ ، وَمَضَى سُلَيْمٌ وَقَدْ حَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي تَبَقِيَ أَيَّامًا وَالْأَخْبِيصَةَ أَوْقَارًا ، حَتَّى أَتَى نِيزَكَ ، فَقَالَ لَهُ نِيزَكَ : خَذْلَتْنِي يَا سَلِيمُ ، قَالَ : مَا خَذَلْتُكَ ، وَلَكِنَّكَ عَصَيْتَنِي وَأَسَأْتَ بِنَفْسِكَ ، خَلَعْتَ وَغَدَرْتَ ، قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : الرَّأْيُ أَنْ تَأْتِيَهُ فَقَدْ أَحْكَمْتَهُ ^(١) ، وَلَيْسَ بِيَارِحَ مَوْضَعُهُ هَذَا ، قَدْ اعْتَزَمَ عَلَى أَنْ يَسْتَوْ بِمَكَانِهِ ^(٢) ؛ هَلَكَ أَوْسَلَمُ ؛ قَالَ : آتِيَهُ ^(٣) عَلَى غَيْرِ أَمَانٍ ! قَالَ : مَا أَظُنُّهُ يَوْضَعُكَ لَمَّا فِي قَلْبِهِ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ مَلَأْتَهُ غِيظًا ، وَلَكِنِّي أَرَى أَلَّا يَعْلَمَ بِكَ حَتَّى تَضَعَ يَدَكَ فِي يَدِهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَحْيِيَ وَيَعْفُو عَنْكَ ، قَالَ : أَتَرَى ذَلِكَ ^(٤) ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : إِنَّ نَفْسِي لَتَأْبَى هَذَا ، وَهُوَ إِنْ رَأَى قَتَلَنِي ، فَقَالَ لَهُ سَلِيمٌ : مَا أَتَيْتُكَ إِلَّا لِأَشِيرَ عَلَيْكَ بِهَذَا ، وَلَوْ فَعَلْتَ لَرَجَوْتُ أَنْ تَسَلَّمَ وَأَنْ تَعُودَ ^(٥) حَالُكَ عِنْدَهُ إِلَى مَا كَانَتْ ؛ فَأَمَّا إِذَا أُبَيَّتَ فَإِنِّي مُنْصَرِفٌ . قَالَ : فَنَغْدِيكَ ^(٦) إِذَا ، قَالَ : إِنِّي لِأُظَنُّكُمْ فِي شُغْلٍ عَنْ تَهْيِئَةِ الطَّعَامِ ، وَمَعَنَا طَعَامٌ كَثِيرٌ .

١٢٢١/٢

قَالَ : وَدَعَا سَلِيمٌ بِالْغَنَاءِ فَجَاءُوا بِطَعَامٍ كَثِيرٍ لَا عَشَدَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ مِنْذُ حَصَرُوا ، فَانْتَهَبَهُ الْأَتْرَاكُ ، فَغَمَّ ذَلِكَ نِيزَكَ ، وَقَالَ سَلِيمٌ : يَا أَبَا الْهَيْجَاجِ ، أَنَا لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، أَرَى أَصْحَابَكَ قَدْ جُهِدُوا ، وَإِنْ طَالَ بِهِمُ الْحَصَارُ وَأَقِمْتَ عَلَى حَالِكَ لَمْ آمَنْهُمْ أَنْ يَسْتَأْمِنُوا بِكَ ، فَانْطَلِقْ وَأَتِ قُتَيْبَةَ ، قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَمْنَهُ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا آتِيَهُ عَلَى غَيْرِ ^(٧) أَمَانٍ ؛ فَإِنْ ظَنِّي بِهِ أَنَّهُ

(١) اَلْحَكُّ : الْغَضَبُ وَالْمُشَارَةُ . (٢) ب : « مَكَانَهُ » .

(٣) ب : « آتِيَهُ » . (٤) ب : « ذَلِكَ » .

(٥) ب : « وَيَعُودُ » . (٦) ب : « فَيَغْدِيكَ » .

(٧) ب : « بِغَيْرِ » .

قاتلي وإن آمنني ، ولكنّ الأمان أعذر لي وأرجسي ، قال : فقد آمنتك أفنتهمني ! قال : لا ، قال : فانطلق معي ، قال له أصحابه : اقبل قول سليم ، فلم يكن ليقول إلا حقاً ، فدعا بدوابه وخرج مع سليم ، فلما انتهى إلى الدرجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يعلم متى يموت فإني أعلم متى أموت ، أموت إذا عاينت قتيبة ؛ قال : كلاً أقتلك مع الأمان ! فركب ومضى معه جبغويه — وقد برأ من الجدرى — وصول وعثمان ابنا أخي نيزك — وصول طرخان خليفة جبغويه ، وخنس طرخان صاحب شرطه ^(١) — قال : فلما خرج ^(٢) من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم على فوهة ^(٣) الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال نيزك لسائمين : هذا أول الشر ؛ قال : لا تفعل ، تخلف هؤلاء عنك خير لك . ١٢٢٢/٢

واقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم ، فأرسل رسولاً إلى قتيبة يُعلمه ، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مِهْزَم إلى عبد الرحمن : أن اقدم بهم على ، فقدّم بهم عبد الرحمن عليه ، فحبس أصحاب نيزك ، ودفع نيزك إلى ابن بسام الليثي ، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، فجعل ابن بسام نيزك في قبسته ، وحفر حول القبة خندقاً ، ووضع عليه حرساً . ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العليمي ، فاستخرج ما كان في الكُرُز من متاع ومن كان فيه ، وقدّم به على قتيبة ، فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه ، فأثاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندي عقْد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم ؟ قال : لي عند سليم ؛ قال : كذبت ، وقام فدَخَلَ وردّ نيزك إلى حبسه ، فمكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس . قال : فقام ^(٤) المهلب ابن أبياس العدوي ، وتكلم في أمر نيزك ، فقال بعضهم : ما يحلّ له أن يقتله ، وقال بعضهم : ما يحلّ له تركه ، وكثرت الأقاويل فيه .

(١) ب : « شرطه » .

(٢) ب : « خرجوا » .

(٣) ب : « فم الشعب » .

(٤) ب : « خرجوا » .

(٥) كذا في ر ، وفي ط : « فقال » .

وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قتل نيزك؟
فاختلصوا، فقال قائل^(١): اقتله، وقال قائل: أعطيتُه عهداً فلا تقتله؛
وقال قائل: ما نأمنه^(٢) على المسلمين. ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال:
ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إني سمعتك تقول: أعطيت الله عهداً إن
أمكنك منه أن تقتله، فإن لم^(٣) تفعل لا ينصرك^(٤) الله عليه أبداً. فأطرق
قتيبة طويلاً، ثم قال: والله لو لم يبق من أجلى إلا ثلاث كلمات لقلت:
اقتلوه، اقتلوه، اقتلوه؛ وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه^(٥) فقتل مع
سبعمائة.

وأما الباهليّون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما أراد قتله دعا به
ودعا بسيف حسني فانتضاه^(٦) وطول كميته^(٧) ثم ضرب عنقه بيده، وأمر
عبد الرحمن فضرب عنق صول، وأمر صالحاً فقتل عثمان - ويقال:
شقران ابن أخي نيزك - وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهليّة: هل
بك قوة؟ قال: نعم، وأريد - وكانت في بكر أعرابية - فقال: دونك
هؤلاء الدهاقين. قال: وكان إذا أتى برجل ضرب عنقه وقال: أوردوا
ولا تصدروا، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليّين، وصلب
نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى ونحش نخاشان في أسكيمشت، فقال
المغيرة بن حبيب^(٨) يذكّر ذلك في كلمة له طويلة:

لعمري لنعمت غزوة الجند غزوة قضت نحبها من نيزك وتعلت

قال علي: أخبرنا مصعب بن حبان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس
نيزك مع محض بن جرز الكلابي، وسوار بن زهدم الحرثي، فقال
الحجاج: إن كان قتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع ولد مسلم،
فقال سوار:

(٢ - ٢) ب: «يفعل فلا ينصرك».

(٤) ب: «فانتضى».

(٦) ابن الأثير: «نهار بن تومعة».

(١) ب: «تأمنه».

(٣) ب: «فقتل وقتل أصحابه».

(٥) ب: «كنه».

أَقُولُ لِمُحْفَنٍ وَجَرَى سَنِحٌ وَأَخَرُ بَارِحٌ مِنْ عَنْ يَمِينِي
وَقَدْ جَعَلْتُ بَوَائِقُ مِنْ أُمُورٍ تَرْفَعُ حَوْلَهُ وَتَكْفُ دُونِي
نَشِدْتُكَ هَلْ يُمْرُكَ أَنَّ سَرْجِي وَسَرْجَكَ فَوْقَ أَبْغُلٍ بَاذِبِينَ
قال : فقال مُحْفَنٌ : نعم وبالصَّيْنِ .

قال عليّ : أَخْبَرَنَا حمزة بن إبراهيم وعليّ بن مجاهد ، عن حَسَنَ بن
أبي حريدة ؛ عن مَرْزَبَانَ قَهْشْتَانَ وَغَيْرِهِمَا ، أَنَّ قَتِيْبَةَ دَعَا يَوْمًا بَنِيْزَكَ
وهو محبوبس ، فقال : مَا رَأَيْتُكَ فِي السَّبَلِ وَالشَّدِّ ؟ أَتَرَاهُمَا يَأْتِيَانِ إِنْ أُرْسِلَتْ
إِلَيْهِمَا ؟ قال : لا ؛ قال : فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمَا قَتِيْبَةَ فَقَدِمَا عَلَيْهِ ، وَدَعَا نِيْزَكَ
وَجَبْغُوِيَه فَدَخَلَا ، فَإِذَا السَّبَلُ وَالشَّدُّ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى كُرْسِيَيْنِ ، فَجَلَسَا بِإِزَائِهِمَا ،
فقال الشَّدُّ لِقَتِيْبَةَ : إِنْ جَبْغُوِيَه — وَإِنْ كَانَ لِي عَدُوًّا — فَهَوِ أَسَنَ مَنْتَى ، وَهُوَ
الْمَلِكُ وَأَنَا كَتَعْبِيدُهُ ، فَأَذِنَ لِي أَدُنُ مِنْهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَبِلَ يَدَهُ
وَسَجَدَ لَهُ ، قال : ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي السَّبَلِ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَنَا مِنْهُ فَقَبِلَ يَدَهُ ، ١٢٢٥/٢
فقال نِيْزَكَ لِقَتِيْبَةَ : ائْذِنْ لِي أَدُنُ مِنَ الشَّدِّ ، فَإِنِّي عَبِيدُهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَنَا مِنْهُ
فَقَبِلَ يَدَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ قَتِيْبَةَ لِلْسَّبَلِ وَالشَّدِّ^(١) فَانصَرَفَا إِلَى بِلَادِهِمَا ، وَضَمَّ إِلَى
الشَّدِّ الْحِجَااجَ الْقَبِيْئِيَّ ، وَكَانَ مِنْ وَجُوهِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ . وَقَتْلَ قَتِيْبَةَ نِيْزَكَ ، فَأَخَذَ
الزَّبِيرُ مَوْلَى عَابِسِ الْبَاهِلِيِّ خُفًّاءَ لِنِيْزَكَ فِيهِ جَوْهَرٌ ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ فِي
بِلَادِهِ مَالًا وَعَقَارًا ؛ مِنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ الَّذِي أَصَابَهُ فِي خُفِّهِ . فَسَوَّغَهُ إِيَّاهُ قَتِيْبَةَ ،
فَلَمْ يَزَلْ مُوسِرًا حَتَّى هَلَكَ بِكَابُلٍ فِي وَلايَةِ أَبِي دَاوُدَ .

قال : وَأَطْلَقَ قَتِيْبَةَ جَبْغُوِيَه وَمَنْ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمْ يَزَلْ
بِالشَّامِ حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ . وَرَجَعَ قَتِيْبَةَ إِلَى مَرْوٍ ، وَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
عَلَى بَلْخِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ : غَدَرُ قَتِيْبَةَ بَنِيْزَكَ ، فَقَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ :

لَا تَحْسَبَنَّ الْغَدَرَ حَزْمًا فَرُبَّمَا تَرَقَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ يَوْمًا فَزَلَّتْ
وَقَالَ : وَكَانَ الْحِجَااجُ يَقُولُ : بَعَثْتُ قَتِيْبَةَ فَتَى غِرًّا فَمَا زِدْتُهُ ذِرَاعًا إِلَّا

زادني باعاً .

قال عليّ : أخبرنا حمزة بن إبراهيم ، عن أشياخ من أهل خراسان ، وعلى بن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة ، عن مرزبان قهستان وغيرهما ، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده - فأرسل يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه ، فطلب رهناً يكونون في يديه ويعطي رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، فخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض^(١) حصونه ، وقدم على قتيبة فصالحه ، ثم رجع فأت بالطاقان . فقال أهل الجوزجان : سموه ، فقتلوا حبيباً ، وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده ، فقال نهار بن توسعة لقتيبة :

١٢٢٦/٢

أراك الله في الأتراك حكماً كحكم في قريظة والنضير
قضاء من قتيبة غير جور به يشفى الغليل من الصدور
فإن ير نيزك خزيًا ودلاً فكم في الحرب حمق من أمير!
وقال المغيرة بن حسان يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن
أنحى نيزك وعثمان - أو شقران :

لَمَن الدِّيارُ عَفَتْ بَسْفَحَ سَنامٍ
عَصَفَ الرِّياحُ ذُيولَها فَمَحَوَها
إِلا بَقِيَّةَ أَيْصَرَ وُثْمامٍ
وَجَرَيْنَ فَوْقَ عِراصِها بَتْمامٍ
مِسْكُ يُشابُّ مِزاجَهُ بِمُدْمامٍ
واقرأ عليه تَحِيَّتِي وسلامي
حَسَنٌ وإِنَّكَ شَاهدٌ لِمَقامي
لِقُتَيْبَةَ الحامِي حِمَى الإسلامِ
يا سِيفُ أبلغْها فَإِنَّ ثَناءَها
يُسْمُو فَتَضَعُ الرِّجالُ إِذا سَما

لَا غَرْمٌ مُنْتَجِبٌ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ
عَمَضَى إِذَا هَابَ الْجَبَانُ وَأَحْمَسَتْ^(٢)
تُرَوَّى الْقَنَاءُ مَعَ اللِّوَاءِ أَمَامَهُ
وَالِهَامُ تَفْرِيه السُّيُوفُ كَأَنَّهُ
وَتَرَى الْجِيَادَ مَعَ الْجِيَادِ ضَوَايِرًا
وَبَهْنٌ أَنْزَلَ نِيزَكًا مِنْ شَاهِقٍ
وَأَخَاهُ شَقْرَانًا سَقَيْتَ بِكَاسِهِ^(٥)
وَتَرَكْتَ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجَدَّلًا
نَحَرَ يَبَاحَ بِهِ الْعُدُوُّ لِهَامٍ^(١)
حَرْبٌ تَسْعُرُ نَارُهَا بِضِرَامٍ
تَحْتَ اللِّوَامِ وَالنَّحُورُ دَوَامٍ^(٣)
بِالْقَاعِ حِينَ تَرَاهُ قَيْضُ نَعَامٍ^(٤)
بِفَنَائِهِ لِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ
وَالْكَرْزِ حَيْثُ يَرُومُ كُلُّ مَرَامٍ
وَسَقَيْتَ كَأْسَهُمَا أَخَا بَادَامٍ
يَرْكَبْنَهُ بِدَوَابِرٍ وَحَوَامٍ

١٢٢٧/٢

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف)

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وتسعين - غزا قتيبة شومان وكس^(٦) ونسف غزواته الثانية وصالح طرخان.

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علي : أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان ، وأبو السري وجبلة بن فروخ عن سليمان بن مجالد ، والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمي ، وأبو السري المروزي عن عمه ، وبشر بن عيسى وعلي ابن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة عن مَرْزُبَان قِهْسْتَان ، وعيَّاش ابن عبد الله الغنوي ، عن أشياخ من أهل خراسان ، قال : حدثني ظفري - كل قد ذكر شيئاً ، فألفته ، وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض - أن فيلسنشب باذق - وقال بعضهم : قيسبشتان^(٧) ملك شومان - طرد عامل قتيبة ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة ، فبعث إليه قتيبة عيَّاشا الغنوي ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي الفدية

١٢٢٨/٢

(١) النحر : العاقل المحرب .

(٢) ب : « وأحمت » .

(٣) ب : « دواي » .

(٤) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » .

(٥) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » .

(٦) ط : « قيسلشتان » .

(٧) ط : « قيسلشتان » .

على ما صالح عليه قُتَيْبَةُ ، فَقَدِمَ ما البلدَ ، فخرجوا إليهما فرموهما ، فانصرف الرجلُ وأقام عِيَّاشُ الغَسَوِيُّ فقال : أما هاهنا مسلمٌ ! فخرج إليه رجلٌ من المدينة فقال : أنا مسلمٌ ، فما تريد ؟ قال : تُعِينُنِي على جهادِهِمْ ، قال : نعم ، فقال له عِيَّاشُ : كن خَلْفِي لَتَمْنَعَ لِي ظَهْرِي ، فقام خلفه - وكان اسمُ الرجلِ المهلبُ - فقاتلَهُم عِيَّاشُ ، فحملَ عليهم ، ففترقوا عنه ، وحملَ المهلبُ على عِيَّاشٍ مِنْ خلفه فَقَتَلَهُ ، فوجدوا به ستينَ جراحةً ، فغَمَّهم قتلُهُ ، وقالوا : قتلنا رجلاً شجاعاً .

وبلغ قتيبة ، فسار إليهم بنفسه ، وأخذ^(١) طريقَ بَلَخْ ، فلما أتاها قدَّم أخاه عبد الرحمن ، واستعمل على بَلَخْ عمرو بن مسلم ، وكان مَلِكُ شومانَ صديقاً لصالِحِ بن مسلم ، فأرسلَ إليه صالحُ رجلاً يأمره بالطاعة ، وَيَضْمَنُ له رِضاً قتيبة إن رجع إلى الصلح ، فأبى وقال لرسول صالح : ما تخوفني به من قتيبة ، وأنا أمتنعُ المُلُوكَ حصناً أرْمِي أعلاه ، وأنا أشدُّ الناس قوساً وأشدُّ الناس رَمياً^(٢) ، فلا تَبْلُغْ نُشَابَتِي نصفَ حِصْنِي ، فلما أخاف من قتيبة ! ففضى قتيبة من بَلَخْ فعبَرَ النهر ، ثم أتى شومانَ وقد تحصَّنَ مَلِكُهَا فوضع عليه المجانيقَ ، ورَمَى حصنه فتهشمه ، فلما خاف أن يَظْهَرَ عليه ، ورأى ما نَزَلَ به جَمَعَ ما كان له من مال وجوهر فَرَمَى به في عَيْنِ في وَسَطِ القلعة لا يَدْرِكُ قعرُها .

قال : ثم فَتَحَ القلعة وخرج إليهم فقاتلَهُم فَقُتِلَ ، وأخذ قتيبةُ القلعة عنوةً ، فَقَتَلَ المُقاتِلَةَ وَسَبَى الذريةَ^(٣) ، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كَيْسٍ وَنَسَفَ ، وَكَتَبَ^(٤) إليه الحجاج ، أنْ كَسَ بِكْسٍ^(٥) وأنسِفَ نَسَفَ^(٥) ، وإيَّاكَ والتحويط . ففتَحَ كَسٌ وَنَسَفَ ، وامتنع عليه فِرْيَابُ^(٦) فحرقها فسميتَ المحترقة . وسرح قتيبة من كَيْسٍ وَنَسَفَ أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السَّغْدِ^(٧) ، إلى طرخون ، فسار حتى نزل بمَرْجٍ قريباً منهم ، وذلك في وقت

١٢٢٩/٢

(٢) كذا في ب ، وفي ط : « أشده » .

(٤) ب : « فكتب » .

(٦) ب : « قريات » .

(١) ب : « فأخذ » .

(٣) ب : « من فيها » .

(٥) ب : « نسفا » .

(٧) ب : « الصفد » .

العَصْر ، فانتَبَهَ الناسُ وشَرَبُوا حتى عبثوا وعاثُوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مرضية - مولى لهم - أن يَمْنَحَ الناسَ من شُرْبِ العصير ، فكان يضربهم ويكسر آتيتهم ويصب نبيذهم ، فسال في الوادي ، فسُمِّي مَرَجُ النبيذ ، فقال بعض شعرائهم :

أَمَّا النَّبِيذُ فَلَسْتُ أَشْرِبُهُ أَخْشَى أبا مرضيةَ الْكَلْبِ
مُتَعَسِّفًا يَسْعَى بِشِكْنَتِهِ يَتَوَثَّبُ الْجِيْطَانُ لِلشُّرْبِ

فقتَبَضَ عبدُ الرحمن من طرخون شيئًا كان قد صالحه عليه قتيبة ، ودفع إليه رهنًا كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببُخَارَى ، فرجعوا إلى مَرَوْ ، فقالت السُّغْد لطرخون : إنك قد رضيتَ بالذل واستطبت^(١) الجزية ، وأنت شيخٌ كبير فلا حاجةَ لنا بك^(٢) . قال : فولُّوا من أحببتم . قال : فولُّوا غَوَزَكَ^(٣) ، وحَبَسُوا طرخون ؛ فقال طرخون : ليس بعد سَلْبِ المُلْكِ إلا القتل ، فيكون ذلك بيئدي أحبَّ إلى من أن يليه مني غيري ، فاتَّكأ على سيفه حتى خرج من ظَهْرِهِ . قال : وإنما صنعوا بطرخون ١٢٣٠/٢ هذا^(٤) حين خرج قتيبةُ إلى سِجِسْتَانَ ولولا غوزك .

وأما الباهليُّون فيقولون : حَصَرَ قتيبةُ ملكَ شومان ، ووَضَعَ على قلعته المسجانيق ، ووَضَعَ منجنيقًا كان يسميها الفَحْجَاء ، فرمى بأول حَجَر فأصاب الخائط ، ورمى بآخر فوقع في المدينة ، ثم تابعت الحجارةُ في المدينة فوقَعَ حَجَرٌ منها في مجلس المَلِك ، فأصاب رجلًا فقتله ، ففتح القلعة عَشْوَةً ، ثم رجع إلى كَسٍّ ونَسَفَ ، ثم مضى إلى بُخَارَى فنزل قريةً فيها بيتُ نار وبيتُ آلهة ، وكان فيها طواويس ، فسمَّوه مَسْنَل الطَّوَاوِيس ، ثم سار إلى طرخون بالسُّغْد ليقبض منه ما كان صالحه عليه ، فلما أشرَف على وادي السُّغْد فرأى حُسْنَهُ تمثَّل :

(٢) ب : « فيك » .

(١) ر : « وأعطيت » .

(٤) ب : « هذا بطرخون » .

(٣) ويقال . « غوزك » .

وَأَدْ خَصِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ يَمْنَعُهُ مِنْ الْأَيْبِ حَذَارُ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ ^(١)
 وَرَدَّتُهُ بَعْنَانِيَجٌ مُسَوِّمَةٌ يَرْدِينَ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهَجِ ^(٢)
 قال : فَقَبَضَ مِنْ طَرَحُونِ صَلَاحِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بُخَارَى فَكَلَّمَكَ بِخَارَى
 نَحْدَاهُ غَلَامًا حَدَّثَا ، وَقَتَّلَ مِنْ خَافَ أَنْ يُضَادَّهُ ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى أَمَلٍ
 ثُمَّ أَتَى مَرَّو .

قال : وَذَكَرَ الْبَاهِلِيُّونَ عَنْ بِشَارِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلِيَّةٍ ، قَالَ :
 لَمْ يَقْرُغِ النَّاسُ مِنْ ضَرْبِ أَبِيئَتِهِمْ حَتَّى افْتُتِحَتِ الْقَلْعَةُ .

[ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة]

وفى هذه السنة ولَّى الوليدُ بنُ عبد الملك مكةَ خالدَ بنَ عبد الله القسريَ
 فلم يزلْ والياً عليها إلى أن مات الوليد . فذكرَ محمد بن عمر الواقدي أنَّ إسماعيلَ
 بنَ إبراهيم بن عتبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعتُ
 خالدَ بنَ عبد الله يقول :

١٢٣١/٢

يَأْتِيهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ بِأَعْظَمِ بِلَادِ اللَّهِ حُرْمَةً ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَارَ اللَّهُ مِنْ
 الْبُلْدَانِ ، فَوَضَعَ بِهَا بَيْتَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَى عِبَادِهِ حَجَّهَ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ
 سَبِيلًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ ، وَإِيَاكُمْ وَالشُّبُهَاتِ ،
 فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَوْتَى بِأَحَدٍ يَطْعُنُ عَلَى إِمَامِهِ إِلَّا صَلَبْتُهُ فِي الْحَرَمِ . إِنَّ اللَّهَ
 جَعَلَ الْخِلَافَةَ مِنْهُ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي جَعَلَهَا ، فَسَلَمُوا وَأَطِيعُوا ، وَلَا تَقُولُوا كَيْتَ
 وَكَيْتَ . إِنَّهُ لَا رَأْيَ فِيمَا كَتَبَ بِهِ الْخَلِيفَةُ أَوْ رَأَاهُ إِلَّا إِمَاضَاؤُهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ
 بَلَّغَنِي أَنْ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ يَقْدُمُونَ عَلَيْكُمْ ، وَيَقِيمُونَ فِي بِلَادِكُمْ ، فَإِيَاكُمْ
 أَنْ تُتْرَلُوا أَحَدًا مَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ زَائِعٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ
 فِي مَنْزِلٍ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا هَدَمْتُ مَنْزِلَهُ ^(٣) ، فَانْظُرُوا مَنْ تَتْرَلُونَ فِي مَنَازِلِكُمْ ،
 وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنَّ الْفُرْقَةَ هِيَ الْبِلَاءُ الْعَظِيمُ .

قال محمد بن عمرو : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُثْبَةَ

(١) ب : « الموت والرهج » . (٢) العناجيج : جمع عنجوج ؛ وهي الخيل النجبية .

(٣) ب : « هدمته » .

عن أبي حسيبة ، قال : اعتمرتُ فترلتُ دورَ بني أسدٍ في منازل الزبير ، فلم أشعر إلا به يدعوني ، فدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة ؛ قال : ما أنزلتُك^(١) في منازل المخاليف للطاعة ! قلت : إنما مقامي إن أقمتُ يوماً أو بعضه ، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف ، أنا ممن يُعظم أمر الخلافة ، وأزعم أن من جحدتها فقد هلك . قال : فلا عليك^{١٢٣٢/٢} ما أقمت ، إنما ينكره^(٢) أن يُقيمَ من كان زارياً على الخليفة . قلت : معاذ الله !

وسمعتُه يوماً يقول : والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نظقت لم تقِرَّ بالطاعة لأخرجتها من الحرم . إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة ، زارٍ عليهم . قلتُ : وفق الله الأمير .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بن عبد الملك ، حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : حجَّ الوليد بن عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

وكذلك قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن أبي بكر ، قال : حدثنا صالح بن كيسان ، قال : لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه ، فيلقون الوليد بن عبد الملك ، منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام ، وأخوه محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فخرجوا حتى بلغوا السويداء ، وهم مع عمر بن عبد العزيز - وفي الناس يومئذ دوابٌ وخيلٌ - فلقوا الوليد وهو على ظهْر ، فقال لهم الحاجب : انزلوا لأمر المؤمنين ، فتركوا ، ثم أمرهم فركبوا ، فدعا بعمر بن عبد العزيز فسأبره حتى نزل بذي خُسْب ، ثم أحضرُوا ، فدعاهم رجلاً رجلاً ، فسلموا عليه ، ودعا^(٣) بالغداء ، فتغدوا عنده ، وراح من ذي خُسْب ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينتظر إلى بناءه ، فأخرج الناس منه ، فما ترك

(١) ب : « فأنزلك » . (٢) ر : « نكره » .

(٣) ب : « ثم دعا » .

فيه أحدٌ ، وبقى سعيد بن المسيّب ما يجترئ أحد من الحرّس^(١) أن يخرج به ، وما عليه إلا رِيْطَتَانِ ما تساويان إلا خمسة دراهم في مُصَلَّاه ، فقيل له : لو قمت ! قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين ! قال : والله لا أقوم إليه . قال عمر بن عبد العزيز : فجعلتُ أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نَظْرَةٌ إلى القبلة ، فقال : مَنْ ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فجعل عمر يقول : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ... ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه ، فدار في المسجد حتى وقّف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرّك سعيد ولا قام ، فقال : بخير والحمد لله . فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقيّة الناس . فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .

قال : وقسّم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس ، وآنية من ذهب وفضة ، وأموالاً وخطب بالمدينة في الجمعة وصلى بهم .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى إسحاق بن يحيى ، قال : رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حجّ ، قد صَفّ له جُنْدُهُ صَفَّيْنِ من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، في أيديهم الجِرَزَةُ وعمد الحديد على العواتق ، فرأيتُه طلّح في دُرَاعَةٍ وقَلَنَسُوَةٍ ، ما عليه رداء ، فصعد المنبر ، فلما صعد سلم ثم جلس فأذن^(٢) المؤذنون ، ثم سكتوا ، فخطب الخطبة الأولى وهو جالس ، ثم قام فخطب الثانية قائماً ، قال إسحاق : فلقيت رجاء بن حيوة وهو معه ، فقلت : هكذا يصنعون^(٣) ! قال : نَعَمْ ، وهكذا صنّع معاوية فهلّم جرّاً ، قلت : أفلا تكلمه ؟ قال : أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان

(٢) ب : « وجلس وأذن » .

(١) ر : « الناس » .

(٣) ابن الاثر : « تصنعون » .

فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ؛ وَقَالَ : هَكَذَا خَطَبَ عُمَانُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا خَطَبَ هَكَذَا ، مَا خَطَبَ عُمَانُ إِلَّا قَائِمًا . قَالَ رَجَاءُ : رُؤِيَ لَهُمْ هَذَا فَأَخَذُوا بِهِ . قَالَ إِسْحَاقُ : لَمْ نَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا أَشَدَّ تَجَبُّرًا مِنْهُ .

قال محمد بن عمر : وَقَدِمَ بِطَيْبِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجْمَرِهِ وَبِكِسْوَةِ الْكَعْبَةِ فَتَشَرَّتْ وَعُلِقَتْ عَلَى حَبَالٍ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ دِيْبَاجٍ حَسَنٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطً ، فَتَشَرَّتْهَا يَوْمًا وَطُرِي (١) وَرَفَعَ . قَالَ : وَأَقَامَ الْحَجَّ الْوَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة تسعين ، غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي .

وقال غيره : كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففي ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ،
ففتح على يد مسلمة حصون ثلاثة ، وجلا أهل سوسنة إلى جوف
أرض الروم .

* * *

[فتح الأندلس]

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني
عشر ألفاً ، فلقى ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدريونق ، وكان
رجلاً من أهل أصبهان ، قال : وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف
له طارق بجميع سن معه ، فزحف الأدرينوق في سرير الملك ، وعلى
الأدرينوق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدرينوق ، وفتح الأندلس سنة
اثنتين وتسعين .

* * *

وفيها غزاً - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة سيجستان يريد ربيع
الأعظم والزابل ، فلما نزل سيجستان تلقته رسل ربيع بالصلح ،
فقبل ذلك وانصرف ، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير
الليثي .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فتفتح الله على يديه سمسطية .

وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم ، فبلغ خنجرية .
وفيهما كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، فافتتح ماسة
وحصن الحديد وغزالة وبرجصة من ناحية ملطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيهما قتلت قتيبة ملك خام جرد ، وصالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

١٢٣٧/٢

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس
والحسن بن رشيد ، عن طفيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد ، عن حنبل
ابن أبي حريذة ، عن مرزبان قهستان وکليب بن خلائف والباهلين
وغيرهم — وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعضه — فالفقه — أن ملك خوارزم
كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه خرزاد على أمره — وخرزاد أصغر منه — فكان إذا
بلغه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعاً فآخرأ
أرسل فأخذه ، أو بلغه أن لأحد منهم بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل
إليه فغصبه ، وأخذ ما شاء ، وجس ما شاء ، لا يمتنع عليه أحد ، ولا يمتنع
الملك ، فإذا قيل له ، قال : لا أقرى عليه ، وقد ملأه مع هذا غيظاً ، فلما
طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه ،
وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ، ثلاثة مفاتيح من ذهب ، واشترط عليه أن
يسدفع إليه أخاه وكل من كان بضاده ، يحكم فيه بما يرى . وبعث في
ذلك رسلاً ، ولم يطلع أحداً من مرازمته ولا دهاقينه على ما كتب به

إلى قتيبة ، فقدمتْ رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو ، وقد تهيأ للغزو ، فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبل قتيبة ، وسار واستخلف على مرو ثابتاً الأعور مولى مسلم . قال : فجمع ملوكه وأخباره ودهاقينه فقال : إن قتيبة يريد السغد ، وليس بغازيكم . فهل نتنعم في ربيعنا هذا . فأقبلوا ^(١) على الشرب ^(٢) ، والتنعم ، وأمنوا عند أنفسهم الغزو .

١٢٣٨/٢

قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزأرسب دون النهر ، فقال خوارزم شاه لأصحابه : ما ترون؟ قالوا : نرى أن نقاتله ^(٣) ، قال : لكني لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ، ولكني أرى أن نصرفه بشيء نؤديه إليه ، فنصرفه عامنا ^(٤) هذا ، ونرى رأينا . قالوا : ورأينا رأيك . فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر . قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل أحصنهن ، فترها خوارزم شاه — وقتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ — فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومشاغ ، وعلى أن يعينه على ملك خام جرد ، وأن يتقى له بما كتب إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووفى له . وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد ، وكان يُعادي خوارزم شاه ، فقاتله ، فقتله عبد الرحمن ، وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وأمر قتيبة لما جاءهم بهم ^(٥) عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس . قال : وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف . قال : قال المهلب بن إياس : أخذت يومئذ سيف الأشراف فضربت بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يقطع ولا يجرح ، فأخذوا سيفي فلم يضرب به شيء إلا أبانه ، فحسدني بعض آل قتيبة ، فغمر الذي يضرب أن أصفح به ، فصفح به قليلا ، فوقع في ضرس المقتول فثلمه . قال أبو الذيال والسيف عندي . قال : ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه

١٢٣٩/٢

(١) ب : « فلهما » . (٢) ر : « الشراب » . (٣) ب : « نقاتل » .

(٤) ب : « عامتنا » . (٥) كذا في ب ، وفي ط : « لما جاءهم بهم أخاه عبد الرحمن » .

ومَن كان يخالِفُهُ ففَتَنَتْهُم ، واصطَفَى أهُم فبعثَ بِهَا إلى قَتِيبة ،
ودخل قَتِيبة مَدِينَةَ فَيْل ، ففَقَّبِيل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ، ثم رَجَعَ
إلى هزاسب . وقال كَتَعَبَ الْأَشْقَرَى :

رَمَتْكَ فَيْلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمْتُ وَرَامَهَا قَبْلَكَ الْفَجْجَاجَةُ الصَّلَفُ (١)
لَا يُجْزِي الثَّغَرَ خَوَارُ الْقَنَاةِ وَلَا كَشُّ الْمَكَاسِرِ وَالْقَلْبُ الَّذِي يَجْفُ
هَلْ تَذْكُرُونَ لِيَالِي التُّرْكِ تَقْتُلُهُمْ مَا دُونَ كَاذِهِ وَالْفَجْجَاجُ مُلْتَحِفُ
لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا كَبَرُوا فَهَمْ يُقَالُ عَلَى أَكْثَافِهَا عُفُ
أَنْتُمْ شَبَاسٌ وَمِرْدَاذَانُ مُحْتَقَرُ وَبُسْخَرَاءُ قُبُورٍ حَشَوَهَا الْقَلْفُ (٢) ١٢٤٠/٢
إِنِّي رَأَيْتُ أَبَا حَفْصٍ تُفَضِّلُهُ أَيَّامُهُ وَمَسَاعِي النَّاسِ تَخْتَلِفُ
قَيْسٌ صَرِيحٌ وَبَعْضُ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ قُرَى وَرَيْفٌ فَمَنْسُوبٌ وَمُقْتَرَفُ
لَوْ كُنْتَ طَاوَعْتَ أَهْلَ الْعِزِّ مَا اقْتَسَمُوا سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزُّ السُّغْدِ مُؤْتَفُ
وَفِي سَمَرْقَنْدٍ أُخْرَى أَنْتَ قَاسِمُهَا لَنْ تَأْخُرَ عَنْ حَوَائِكِ التَّلَفُ
مَا قَدَّمَ النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ سَبَقَتْ بِهِ وَلَا يَفُوتُكَ مِمَّا خَلَفُوا شَرَفُ
قَالَ : أَنَشِدْنِي عَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ :

* رَمَتْكَ فَيْلٌ بِمَا دُونَ كَاذٍ ... *

قَالَ : وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدِ الْخُوزْجَانِيِّ ؛ وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَقَالَ :

* رَمَتْكَ فَيْلٌ بِمَا فِيهَا ... *

وَقَالُوا : فَيْلٌ مَدِينَةُ سَمَرْقَنْدٍ ؛ قَالَ : وَأَثْبَتُهَا عِنْدِي قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ .
قَالَ : وَقَالَ الْبَاهِلِيُّونَ : أَصَابَ قَتِيبةٌ مِنْ خُورَزْمٍ مِائَةَ أَلْفِ رَأْسٍ . قَالَ :

وَكَانَ خَاصَّةً قَتِيبةٌ كَلِمَتُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَقَالُوا : النَّاسُ كَانُوا قَدِمُوا ١٢٤١/٢

(١) الْأَغَانِي ١٤ : ٢٩٩ ، ياقوت ٦ : ٤١٤ . وَالْفَجْجَاجَةُ : الْكَثِيرُ الْكَلَامِ .

(٢) رَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي الْأَغَانِي :

مِنْهُمْ شَنَاسٌ وَمِرْدَاذَاءٌ نَعْرِفُهُ وَفَسْخَرَاءُ قُبُورٍ حَشَوَهَا الْقَلْفُ

قَالَ فِي شَرْحِهِ : « شَنَاسٌ اسْمُ أَبِي صَفْرَةَ ، فَغَيْرُهُ وَتَسْمَى ظَالِمًا ، وَمِرْدَاذَاءٌ : أَبُو أَبِي صَفْرَةَ ، وَاسْمُهُ
بِسَرَّاقٍ لَمَّا تَعَرَّبُوا . وَفَسْخَرَاءُ : جَدُّهُ وَهُوَ قَوْمٌ مِنَ الْخُوزِ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ عَمَانَ ، نَزَلُوا الْأَزْدَ ثُمَّ ادَّعَوْا
أَنَّهُمْ صَالِبَةُ صَرْحَاءِ مِنْهُمْ » .

من سَجِسْتَانٍ فَأَجْمَعَهُمْ عَامَتَهُمْ هَذَا، فَأَبَى. قَالَ: فَلَمَّا صَالَحَ أَهْلَ خُوَارِزْمٍ سَارَ إِلَى السُّغْدِ، فَقَالَ الْأَشْقَرِيُّ:

لَوْ كُنْتُ طَاوَعْتُ أَهْلَ الْعَجْزِ مَا أَقْتَسَمُوا سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزُّ السُّغْدِ مُؤْتَنَفٌ

[فتح سمرقند]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ مَنَصْرَفَهُ مِنْ خُوَارِزْمٍ سَمَرْقَنْدَ، فَافْتَتَحَهَا.

• ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ:

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْإِسْنَادِ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ أَخَذَ عَنْهُمْ حِينَ صَالَحَ قُتَيْبَةُ صَاحِبَ خُوَارِزْمٍ، ثُمَّ ذَكَرَ مَدِيرَ جَا فِي ذَلِكَ أَنَّ قُتَيْبَةَ لَمَّا قَبِضَ صُلْحَ خُوَارِزْمٍ قَامَ إِلَيْهِ الْمَجَشْتَرُ^(١) بْنُ مَرْزَاحِمِ السُّلَيْمِيِّ فَقَالَ: إِنَّ لِي حَاجَةً، فَأُخْلِصْنِي، فَأُخْلَاهُ، فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ السُّغْدَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالآنَ، فَإِنَّهُمْ آمَنُونَ مِنْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ مِنْ عَامِلِكَ هَذَا، وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَشْرَةُ أَيَّامٍ. قَالَ: أَشَارَ بِهَذَا عَلَيْكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَعْلَمْتَهُ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَنْ تَكَلِّمَ بِهِ أَحَدًا، لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. فَأَقَامَ يَوْمَهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: سِرْ فِي الْفُرْسَانَ وَالْمُرَامِيَةَ، وَقَدِّمْ الْأَثْقَالَ إِلَى مَرَوْ، فَوُجِّهَتِ الْأَثْقَالُ إِلَى مَرَوْ، وَوَضِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَّبِعُ الْأَثْقَالَ يَرِيدُ مَرَوْ يَوْمَهُ كُلَّهُ، فَلَمَّا أَمْسَى كَتَبَ إِلَيْهِ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَوُجِّهْ الْأَثْقَالَ إِلَى مَرَوْ وَسِرْ فِي الْفُرْسَانَ وَالْمُرَامِيَةَ نَحْوِ السُّغْدِ، وَاكْتُمِ الْأَخْبَارَ، فَإِنِّي بِالْأَثَرِ.

١٢٤٢/٢

قَالَ: فَلَمَّا أَتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْخَبَرُ أَمَرَ أَصْحَابَ الْأَثْقَالِ أَنْ يَمْضُوا إِلَى مَرَوْ، وَسَارَ حَيْثُ أَمَرَهُ، وَخَطَبَ قُتَيْبَةُ النَّاسَ فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ لَكُمْ هَذِهِ الْبَلَدَةَ فِي وَقْتِ الْغَزْوِ فِيهِ مُمْكِنٌ، وَهَذِهِ^(٢) السُّغْدُ شَاغِرَةٌ بِرِجْلِهَا، قَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا، مَنَعُونَا مَا كُنَّا

صَالَحْنَا عَلَيْهِ طَرَحُونَ ، وَصَنَعُوا بِهِ مَا بَلَغَكُمْ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَيَأْتِيَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، فَسِيرُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خُورَارِزْمَ وَالسُّغُنْدَ كَالنَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ ^(٢) .

قال : فَأَتَى السُّغُنْدَ وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ قَتِيبَةُ فِي أَهْلِ خُورَارِزْمَ وَبُخَارَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مِائِينَ نَزُولٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَذَرِّينَ ﴾ ^(٣) . فَحَصَرَهُمْ شَهْرًا ، فَقَاتَلُوا فِي حِصَارِهِمْ مِرَارًا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . وَكَتَبَ أَهْلُ السُّغُنْدِ وَخَافُوا طَوْلَ الْحِصَارِ إِلَى مَلِكِ الشَّاشِ وَإِنْخِسَادِ فَرَّغَانَةَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِنْ ظَفَرُوا بِنَا عَادُوا ^(٤) عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا أَتَوْنَا بِهِ ، فَاَنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ . فَاجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : أَرْسِلُوا مَنْ يَشْغَلُهُمْ حَتَّى نَبِيتَ عَسْكَرَهُمْ .

قال : وَانْتَخَبُوا فُرْسَانًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَّازِيَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَشْدَاءِ الْأَبْطَالِ ١٢٤٢/٢ فَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبِيتُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَجَاءَتْ عِيُونُ الْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرَوْهُمْ . فَانْتَخَبَ قَتِيبَةُ ثَلَاثَةً أَوْ سِتَّةً مِنْ أَهْلِ السَّجْدَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ ^(٥) عَلَيْهِمْ صَالِحَ ابْنِ مُسْلِمٍ ، فَصَبَّرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُؤْتَى مِنْهُ . وَبَعَثَ صَالِحٌ عِيُونًا يَأْتُونَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَنَزَلَ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ عِيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهِمْ يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَيْلَتِهِمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحٌ خِيَلَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فَيَجْعَلُ كَتَمِينَ فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَأَقَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَطَرَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَيْلًا ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِمَكَانِ صَالِحٍ ، وَهُمْ آمِنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُمْ أَحَدٌ دُونَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِصَالِحٍ حَتَّى غَشَوْهُ . قَالَ : فَشَدُّوا عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَتِ الرِّمَاحُ بَيْنَهُمْ خَرَجَ الْكَتَمِينَانِ فَاقْتَتَلَا . قَالَ : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ : حَصَرْتُهُمْ فَارَأَيْتُ قَطَعَ قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ قِتَالًا مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلَئِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَصْبَرَ ، فَقَتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُقْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا نَفَرًا يَسِيرُ ، وَحَوَيْنَا

(١) سورة الفتح: ١٠ . (٢) سورة الفتح: ٢١ . (٣) سورة الصافات: ١٧٧ .

(٤) ب : « أَغَارُوا » . (٥) ب : « فَاسْتَعْمَلَ » .

سلاحهم ، واحتززنّا رءوسهم ، وأسرنّا منهم أسرى ، فسألناهم عمن قتلنا ، فقالوا : ما قتلتم إلا ابن ملك ، أو عظيماً من العُظماء ، أو بطلاً من الأبطال ؛ ولقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليُعدّل بمائة رجل . فكتبنا على أذانهم ، ثمّ دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وسلبنا من جيّد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودوابّ فرّسة ، فنقلنا قتيبة ذلك كله . وكسّر ذلك أهل السُغد ، ووضع قتيبة عليهم المحانيق ، فرماهم بها . وهو في ذلك يُقاتلهم لا يُقلع عنهم ، وناصحه من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم ، فقاتلوا قتالا شديداً ، وبذلوا أنفسهم .

١٢٤٤/٢

فأرسل إليه غوزك : إنما تقاتلني بإخوتى وأهل بيتي من العجم ، فأخرج إلى العرب ، فغضب قتيبة ودعا الجدل فقال : اعرض الناس ، وميّز ، أهل البأس فجمعهم ، ثمّ جلس قتيبة يعرضهم بنفسه ، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل . فيقول : ما عندك ؟ فيقول العريف : شجاع ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : مختصر ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : جبان ، فسمى قتيبة الحبّباء الأنثان ، وأخذ خيلهم وجيّد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك لهم رثّ السلاح ، ثمّ زحف بهم فقاتلهم بهم فرساناً ورجالاً ، ورَمَى المدينة بالمحانيق ، فشكّم فيها ثلثمةً فسدّها بغرائر الدُخن ، وجاء رجل حتى قام على الثلثة فشتّم قتيبة ، وكان مع قتيبة قوم رُماة ، فقال لهم قتيبة : اختاروا منكم رجلين ، فاختاروا ، فقال : أيكما يرمي هذا الرجل . فإنّ أصابه فله عشرة آلاف ، وإن أخطأه قُطعت يده ؟ فتلكأ أحدهما وتقدّم الآخر ، فرماه فلم يُخطئ عينه ، فأمر له بعشرة آلاف .

قال : وأخبرنا الباهليّون ، عن يحيى بن خالد ، عن أبيه خالد بن باب مولى مُسلم بن عمرو ، قال : كنتُ في رُماة قتيبة ، فلما افتتحنا المدينة صعدتُ السور فأتيتُ مقامَ ذلك الرّجل الذي كان فيه فوجدته ميتاً على الحائط ، ما أخطأت النّشابة عينه حتى خرجتُ من قفاه ، ثمّ أصبحوا من

١٢٤٥/٢

غد فرموا المدينة ، فثَلَمُوا فيها . وقال قتيبة : أَلَحُوا عليها حتى تَعْبُرُوا
الثَّلْثَةَ ، فقاتلوهم حتى صاروا على ثُلْثَةِ المدينة ، ورماهم السَّغْد بالنشَاب ، وَوَضَعُوا
تَرَسَهُمْ ^(١) فكان الرجل يضعُ ترسَهُ على عَيْنِهِ ، ثُمَّ يَحْمِلُ ^(٢) حتى
صاروا على الثَّلْثَةِ ، فقالوا له : انصِرِفْ عَنَّا اليومَ حتى نصالحك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قتيبة : لانصالحهم إلا ورجالنا على الثَّلْثَةِ ،
ومجانيقنا تَخْطِرُ على رؤوسهم ومدينتهم .

قال : وأما غيرُهم فيقولون : قال قتيبة : جَزَعَ العبيدُ ، فانصرفوا
على ظفرِ كُمٍ ، فانصرفوا ، فصالَحهم من الغد على أَلْف ومائتي ألف ^(٣)
في كلِّ عام ، على أن يُعْطَوْه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، ليس فيهم
صبي ولا شَيْخ ولا عيب ، على أن يُخْلُوا المدينةَ لِقُتَيْبَةٍ فلا يكون لهم فيها
مُقاتِل . فَيُبْنَى له فيه مسجد فيدخل ويصلي ، ويُوَضَّع له فيها مَنبَر
فيَسْخُط ، ويتغَدَّى ويَخْرُج .

قال : فلما تمَّ الصَّلح بعث قتيبةُ عشرةً ، من كلِّ خُمس برجلين ،
فقبَضُوا ما صالحوهم عليه ، فقال قتيبة : الآن ذَلُّوا حين صار إخوانهم وأولادهم
في أيديكم . ثُمَّ أَخْلُوا المدينةَ وبنَوْا مسجداً ووَضَعُوا مَنبَراً ، ودخلوها في
أربعة آلاف انتخبهم ، فلما دخلوها أتى المسجد فصلَّى وخطبَ ثُمَّ
تَغَدَّى ، وأرسل إلى أهل السَّغْد : من أراد منكم أن يأخذَ مَتَاعَهُ فليأخذْهُ ؛
فإني لستُ خارجاً منها ، وإنما صنعتُ هذا لكم ، ولستُ آخذُ منكم أكثرَ
مما صالحتكم عليه ، غير أن الجُنْدَ يقيمون فيها .

قال : أما الباهليّون فيقولون : صالَحهم قتيبةُ على مائة ألف رأس ،
وبيوت النيران وحلِية الأصنام ، فقبَضَ ما صالحهم عليه ، وأتى بالأصنام
فَسَلَبَتْ ، ثُمَّ وُضِعَتْ بين يديه ، فكانت كالقَصْرِ العظيم حين جُمِعَتْ ،
فأمَرَ بتحريقها ، فقالت الأعاجم : إن فيها أصناماً مَنَ حرقها هلك ،
فقال قتيبة . أنا أحرقها بيدى ، فجاء غوزك ، فجثا بين يديه وقال :

(١) ب : « ترسهم » . (٢) ب : « ويحمل » . (٣) بعدها في ب : « مثقال » .

أيها الأمير، إن شُكرك على واجب، لا تعرض لهذه الأصنام؛ فلدعا قتيبة بالنار وأخذ شُعلة بيده، وخرج فكبر، ثم أشعلها، وأشعل الناس فاضطربت، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال.

* * *

قال: وأخبرنا مَخْلَدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ بَيْضٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مِنْ شَهِدِ قَتِيبَةَ وَفَتَحَ سَمَرْقَنْدَ أَوْ بَعْضَ كُورِ خُرَّاسَانَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهَا قَدُورًا عَظَامًا مِنْ نُحَاسٍ، فَقَالَ قَتِيبَةُ لِحَضَرَتِهِ: يَا أَبَا سَاسَانَ، أَتُرَى رِقَاشَ كَانَ لَهَا مِثْلُ هَذِهِ الْقَدُورِ؟ قَالَ: لَا، لَكِنْ كَانَ لَعَيْلَانٍ قِدْرٌ مِثْلُ هَذِهِ الْقَدُورِ، فَضَحِكَ قَتِيبَةُ وَقَالَ: أَدْرَكَتَ بِشَأْرِكَ.

قال: وقال محمد بنُ أَبِي عُسَيْبَةَ لِسَلَمِ بْنِ قَتِيبَةَ بَيْنَ يَدَيِ سَلِيَانَ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ الْعَجَمَ لَيُعِيرُونَ قَتِيبَةَ الْغَدْرَ لِأَنَّهُ غَدَرَ بِخُورَزْمَ وَسَمَرْقَنْدَ.

قال: فأخبرنا شيخٌ من بني سَدُوسَ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ بَيْضٍ قَالَ: أَصَابَ قَتِيبَةُ بِخُرَّاسَانَ بِالسُّغْدِ جَارِيَةً مِنْ وَلَدِ يَزِيدٍ جَرْدٍ، فَقَالَ: أَتَرَوْنَ ابْنَ هَذِهِ يَكُونُ هَجِينًا؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. يَكُونُ هَجِينًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْحِجَاجِ، فَبَعَثَ بِهَا الْحِجَاجُ إِلَى الْوَلِيدِ. فَوَلَدَتْ لَهُ يَزِيدُ ابْنُ الْوَلِيدِ.

١٢٤٧/٢

قال: وأخبرنا بعضُ الْبَاهِلِيِّينَ، عَنْ نَهْشَكِلَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَمِّهِ - وَكَانَ هُوَ أَدْرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ - قَالَ: لَمَّا رَأَى غُزُوكُ الْحَاحِ قَتِيبَةَ عَلَيْهِمْ كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الشَّامِ وَإِخْشَادِ فَرَّغَانَةَ وَخَاقَانَ: إِنَّا نَحْنُ دُونَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ. فَإِنْ وَصَلَ إِلَيْهَا كُنْتُمْ أَضْعَافَ وَأَذَلَّ، فَهَمَّا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ فَابْدُؤُوهَا؛ فَظَفَرُوا فِي أَمْرِهِمْ فَقَالُوا: إِنَّمَا نَتَوَتَّى مِنْ سَتْلِيتِنَا، وَإِنَّهُمْ لَا يَسْجِدُونَ كَسُجْدِنَا. وَنَحْنُ مَعَشَرَ الْمَالُوكِ الْمَعْنِيِّينَ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَانْتَحَبُوا أَبْنَاءَ الْمَالُوكِ وَأَهْلَ النَجْدَةِ مِنْ فِتْيَانِ مَلُوكِهِمْ، فَلْيَخْرِجُوا حَتَّى يَأْتُوا عَسْكَرَ قَتِيبَةَ فَلْيَبِيتَ، فَإِنَّهُ مَشْغُولٌ بِحُمَاةِ السُّغْدِ، فَفَعَلُوا، وَلَوْ عَلَيْهِمْ ابْنُ خَاقَانَ، وَسَارُوا وَقَدَ

اجتمعوا أن يبيتوا العسكر ، وبلغ قتيبة فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس ، فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب ، فكانوا أربعمائة ، فقال لهم : إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عنكم ، وتأيدته إياكم في مزاحمتكم ومكائرتكم ، كل ذلك يفلجكم الله عليهم ، فأجمعوا على أن يحتالوا غررتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم ومسلوكتهم ، وأنتم دهاقين العرب وفرمائهم ، وقد فصلكم الله بدينه ، فأبلوا الله بلاءً حسناً تستوجبون به الثواب ، مع الذب عن أحسابكم .

١٢٤٨/٢

قال : ووضع قتيبة عيوناً على العدو حتى إذا قرَّبوا منه قدراً ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم ، فكلَّتهم وحصَّهم ، واستعمل عليهم صالح بن مسلم ، فخرجوا من العسكر عند المغرب ، فساروا ، فترلوا على فرسَحين من العسكر على طريق القوم الذين وصَّفوا لهم ، ففرق صالح خيله ، وأكن كميناً عن يمينه ، وكميناً عن يساره ، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت ، وصالح واقف في خيله ، فلما رأوه شدوا عليه ، حتى إذا اختلفت الرماح شدَّ الكمينان عن يمين وعن شمال ، فلم نسمع إلا الاعتزاء ، فلم نرَ قوماً كانوا أشدَّ منهم .

قال : وقال رجلٌ من البراجم : حدثني زهير أو شعبة قال : إنا لنختلف عليهم بالطعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة ، وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة ، فقلت : كيف ترى بأبي أنت وأمي ! قال : اسكُتْ دقَّ الله فاك ! قال : فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا الشريد ، وأقمنا نحوي الأسلاب ونحترء الروس حتى أصبحنا ، ثم أقبلنا إلى العسكر ، فلم أر جماعة قطَّ جاءوا بمثل ما بجنا به ، ما منّا رجلٌ إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وأسير في وثاقه .

قال : وجئنا قتيبة بالروس ، فقال : جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً . ١٢٤٩/٢
وأكرمنا قتيبة من غير أن يكون باح لي بشيء ، وقرن بي في الصلة والإكرام حيان العدو وحلياً الشيباني ، فظننت أنه رأى منهما مثل الذي رأى

متى . وكسر ذلك أهل السُّعْد ، فطلبوا الصِّلح ، وعَرَضُوا الفِدْيَةَ فَأَبَى ، وقال : أنا ناثِر بدم طَرْنُخُون ، كان مولاي وكان من أهلِ ذِمَّتِي .

قالوا : حَدَّثَ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ . قال : أطال قُتَيْبَةُ الْمُقَامَ ، وَثُلُمَتِ الثُّلُمَةُ فِي سَمَرْقَنْدٍ . قال : فَنَادَى مُنَادٌ فَصِيحٌ بِالْعَرَبِيَّةِ يَسْتَهْمُ قُتَيْبَةَ ؛ قال : فقال عمرو بن أبي زَهْدَمٍ : وَنَحْنُ حَوْلَ قُتَيْبَةَ ، فَحِينَ سَمِعْنَا الشَّتْمَ نَخْرُجُنَا مَسْرِعِينَ ، فَكَشَرْنَا طَوِيلًا وَهُوَ مُلْحٌ بِالشَّتْمِ ، فَجِئْتُ إِلَى رِوَاقِ قُتَيْبَةَ فَأُطْلِعْتُ ، فَإِذَا قُتَيْبَةُ مُخْتَبِبٌ بِشَدْلَةٍ يَقُولُ كَالْمَنَاجِي لِنَفْسِهِ : حَتَّى مَتَى يَا سَمَرْقَنْدُ يَعْشَشُ فِيكَ الشَّيْطَانُ ! أَمَا وَاللَّهِ لئن أَصْبَحْتُ لِأَحْوَالِنَ مِنْ أَهْلِكَ أَقْصَى غَايَةٍ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى أَصْحَابِي . فَقُلْتُ : كَمْ مِنْ نَفْسٍ أُبَيِّتُ سَتَمُوتُ غَدًا مِنَّا وَمِنْهُمْ ! وَأَخْبَرْتُهُمُ الْخَبَرَ .

قال : وَأَمَا بِأَهْلَةٍ فِيَقُولُونَ : سَارَ قُتَيْبَةُ فَمَجَّلَ النَّهْرَ يَمِينَهُ حَتَّى وَرَدَ بُخَارَى ، فَاسْتَهَضَمَهُمْ مَعَهُ ، وَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَدِينَةِ أَرْبِنْجَنَ ، وَهِيَ الَّتِي تُجَلِّبُ مِنْهَا اللَّبُودُ الْأَرْبِنْجَنِيَّةُ ، لَقِيَهُمْ غُوزُكَ صَاحِبُ السُّعْدِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ التَّرْكِ وَأَهْلِ الشَّاشِ وَفَرَّغَانَةِ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَائِعٌ مِنْ غَيْرِ مُزَاحِفَةٍ ، كُلٌّ ذَلِكَ يَتَظَهَّرُ الْمُسْلِمُونَ . وَيَسْتَحَاجِزُونَ حَتَّى قَرَّبُوا مِنْ مَدِينَةِ سَمَرْقَنْدٍ ، فَتَزَاحَفُوا يَوْمَئِذٍ ، فَحَمَلَ السُّعْدُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمَلَةً حَطَطُوا بِهِمْ حَتَّى جَازُوا عَسْكَرَهُمْ . ثُمَّ كَرَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَقَتَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَدَدًا كَثِيرًا ، وَدَخَلُوا مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدٍ فَصَالَحَهُمْ .

قال : وَأَخْبَرَنَا الْبَاهِلِيُّونَ عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ خَيْلًا يَوْمَئِذٍ تُطَاعِنُ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ أَمَرَ يَوْمَئِذٍ قُتَيْبَةُ بِسَرِيرِهِ فَأَبْرَزَ ، وَقَعَدَ عَلَيْهِ ، وَطَاعَنُوهُمْ حَتَّى جَازُوا قُتَيْبَةَ ، وَإِنَّهُ لَمُخْتَبِبٌ بِسَيْفِهِ مَا حَلَّ حَبَبُوتُهُ ، وَانْطَوَتْ مُجْتَبِئَاتُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الَّذِينَ هَزَمُوا الْقَلْبَ ، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَقَتَّلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَدَدًا كَثِيرًا . وَدَخَلُوا مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدٍ فَصَالَحَهُمْ . وَصَنَعَ غُوزُكَ طَعَامًا وَدَعَا قُتَيْبَةَ ، فَأَتَاهُ فِي عَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا تَعَدَّى اسْتَوْهَبَ مِنْهُ سَمَرْقَنْدُ ، فَقَالَ لِلْمَمْلُوكِ : انْتَقِلْ عَنْهَا ، فَانْتَقَلَ عَنْهَا ، وَتَلَا قُتَيْبَةَ :

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَنَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ (١)

قال : وأخبرنا أبو الذّيال، عن عمر بن عبد الله التميمي، قال : حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند ، قال : قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام ، فقدمتها فدخلت مسجداً ، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جثني رجلٌ ضريب ، فسألتُه عن شيء من أمر الشام ، فقال : إنك ١٢٥١/٢ لغريب ، قلتُ : أجل ؛ قال : من أي بلد أنت ؟ قلتُ : من خراسان . قال : ما أقدمك ؟ فأخبرته ؛ فقال : والذي بعث محمدًا بالحق ما افتتحتموها إلا غدرًا ، وإنكم يا أهل خراسان لتلذذين تسلبون بني أمية ملكهم ، وتسفّضون دمشق حَجَرًا حَجَرًا .

قال : وأخبرنا العلاء بن جرير ، قال : بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقَفَ على جبلها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السَّغْد ، فتمثل قول طرفة :

وَأَرْتَعَ أَقْوَامٌ وَلَوْلا مَحَلُّنَا بِمَخْشِيَةٍ رَدُّوا الْعِجَالَ فَقَوَّضُوا

قال : وأخبرنا خالد بن الأصْفَح ، قال : قال الكُمَيْت : كانت سمرقند أحقاباً يمانية فالיום تنسبها قيسية مضر

قال : وقال أبو الحسن الجُشَمي : فدعا قتيبة نهار بن تَوْسِعة حين صالح أهل السَّغْد ، فقال : يا نهار ، أين قولك :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ
أَقَامَا بِمِرْوِ الرُّودِ رَهْنَ ضَرِيحِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
أَفْغَزُوا هَذَا يَا نَهَارُ ؟ قال : لا ، هذا أحسن^(١) ، وأنا الذي أقول :

وَمَا كَانَ مُذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَا بَعْدَنَا كَابِنٌ مُسْلِمٌ
أَعَمَّ لِأَهْلِ التُّرْكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسِمِ

(١) في الشعر والشعراء ٥٢٣ : « إن الذي أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب » .

قال : ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو ، واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم ، وخلف عنده جنداً كثيفاً ، وآلة من آلة الحرب كثيرة ، وقال : لا تدعن مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد ، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله ، وإن وجدت معه حديدة ؛ سكيناً فما سواه فاقتله ، وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله ، فقال كعب الأشقرى - ويقال رجل من جعقن :

كُلُّ يَوْمٍ يَحْوِي قَتِيْبَةً نَهَباً وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالاً جَدِيداً

باهلٍ قد ألبس التاج حتى شاب منه مفارق كن سوداً

دوخ السغد بالكتائب حتى ترك السغد بالعرء قعوداً

فوليد يبكي لفقد أبيه وأب موجع يبكي الوليداً

كلما حلّ بلدة أو أتاها تركت خيله بها أخذوداً

قال : وقال قتيبة : هذا العداء لا عداة غيرين ، لأنه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد ؛ وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد غيرين قيل : عادى بين غيرين . ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو .

* * *

وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها ، وكان ضعيفاً . وكان على خراجها عبید الله بن أبي عبید الله مولى بني مسلم . قال : فاستضعف أهل خوارزم إياساً ، وجمعوها له ، فكتب عبید الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً ، وقال : اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة ، واحلقهما ، وضم إليك عبید الله بن أبي عبید الله ، مولى بني مسلم ، واسمع منه فإن له وفاء . ففضي حتى إذا كان من خوارزم على سكة ، فدس إلى إياس فأنذره فتنحى ، وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه .

قال : ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم ، فبكتهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعترل أبناء الذين قتلهم

خوارزم شاه ، وقالوا : لا نعينك ، فهرب إلى بلاد الترك . وقدِم المغيرة فسبى وقُتِلَ .
وصالحة الباقون ، فأخذ الجزية . وقدِم على قتيبة ، فاستعمله على تيسابور .

* * *

[فتح طليطلة]

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس
ووجهه إلى مدينة طليطلة .
* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة
ثلاث وتسعين ، فشحخص إليه في رجب منها ، ومعه حبيب بن عتبة بن نافع
الفهري ، واستخلف حين شحخص على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن
نصير ، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف ، فلقاه ، فرفضاه
فرضي عنه ، وقبيل منه عذره ، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة - وهي
من عظام مدائن الأندلس ، وهي من قرطبة على عشرين يوماً^(١) - فأصاب
فيها مائدة سليمان بن داود ، فيها من الذهب والحوهر ما الله أعلم به .

* * *

قال : وفيها أجذب أهل إفريقية جنداً شديداً ، فخرج موسى بن نصير
فاستسقى ، ودعا يوماً حتى انتصف النهار ، وخطب الناس ، فلما أراد
أن ينزل قيل له : ألا تدعو لأمر المؤمنين ! قال : ليس هذا يوم ذاك .
فسقوا سقياً كفاهم حيناً .

* * *

[خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز]

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة .
* ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها :
وكان سبب ذلك فيما ذكر - أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد
يُخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق ، واعتدائه عليهم ، وظلمه لهم
بغير حق ولا جناية ، وأن ذلك بلغ الحجاج ، فاضطغنه على عمر ، وكتب
إلى الوليد : إن من قبلي من مرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جثوا عن

(١) بعدها في ابن الأثير : « ففتحها » .

العراق ، ولجئوا إلى المدينة ومكة ، وإنّ ذلك وهن .
فكتب الوليدُ إلى الحجاج : أن أشرّ على برجلين ، فكتب إليه يشير عليه
بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله ، فولى خالدًا مكة وعثمان المدينة ، وعزل
عمر بن عبد العزيز .

قال : محمد بنُ عمر : خرج عمرُ بنُ عبد العزيز من المدينة فأقام
بالسويداء وهو يقول لمزاحم : أتخاف أن تكون ممن نقتله طيبة !

* * *

وفيها ضربَ عمرُ بن عبد العزيز خُبيبَ بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد
إيَّاه ، وصبَّ على رأسه قربةً من ماء بارد . ذكر محمد بنُ عمر ، أن أبا المليلح
حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلدَ خُبيب بن عبد الله بن
الزبير خمسين سوطاً ، وصبَّ على رأسه قربةً من ماء في يوم شاتٍ .
ووقفه على باب المسجد ، فسكَّت يومه ثم مات .

١٢٥٥/٢

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك ، حدثني
بذلك أحمد بنُ ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكانت عمَّال الأمصار في هذه السنة عمَّالها في السنة التي قبلها ، إلا ما كان من
المدينة ، فإنَّ العاملَ عليها كان عثمان بن حيان المُرِّي ، وليها - فيما قيل -
في شعبان سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقدي فإنه قال : قدِمَ عثمانُ المدينةَ لليلتين بقيتا من شوال
سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شَخَّصَ عمرُ بنُ عبد العزيز عن المدينة معزولا في
شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزاً فيها ، واستخلف عليها حين شَخَّصَ
عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري . وقدِمَ عثمانُ بنُ
حيان المدينةَ لليلتين بقيتا من شوال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل : إنه
فتتح فيها أنطاكية .

وفيها غزاة - فيما قيل - عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزاة . ١٢٥٦/٢
وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض بُرج الحمام ، ويزيد بن أبي كبشة
أرض سورية .

وفيها كانت الرجفة^(١) بالشام^(٢) .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفى أرض الهند .

* * *

[غزو الشاش وفرغانة]

وفيها غزاة قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان ؛ مدينتي
فرغانة .

ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه :

ذكر علي بن محمد ؛ أن أبا الفوارس التميمي ، أخبره عن ماهان ويونس
ابن أبي إسحاق ، أن قتيبة غزا سنة أربع وتسعين . فلما قطع النهر فرض على
أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل . قال : فساروا
معه إلى السغد ، فوجهوا إلى الشاش ، وتوجه هو إلى فرغانة ، وسار حتى أتى
خجندة ، فجمع له أهلها . فلقوه فاقتتلوا مراراً ، كل ذلك يكون الظفر
للمسلمين . ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم ، فأوفى رجل على نسر
فقال : تالله ما رأيت كاليوم غرة ، لو كان هيج اليوم ونحن على ما أرى

(١) ب : « الزحفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام ، ودامت أربعين يوماً ، فخرت البلاد ؛ وكان
عظم ذلك في أنطاكية » .

من الانتشار لسكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنبه : كلا ، نحن كما قال عوف بن الحرير :

١٢٥٧/٢ نَوْمَ الْبِلَادِ لِحُبِّ اللَّقَا وَلَا نَتَقَّى طَائِرًا حَيْثُ طَارَا
سَنِحًا وَلَا جَارِيًا بَارِحًا عَلَى كُلِّ حَالٍ نُلَاقِي الْيَسَارَا^(١)
وقال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة :

فَسَلِّ الْفَوَارِسَ فِي خُجَنْدَ مَدَّةَ تَحْتِ مُرْهَقَةِ الْعَوَالِي
هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ^(٢) إِذَا هُزِمُوا وَأَقْدِمُ فِي قِتَالِي
أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةَ الْهَانِ^(٣) وَأَصِيرُ لِلْعَوَالِي
هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْدِ سِ كُلَّهَا ضَخْمُ النَّوَالِ
وَقَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكْمِكَ فِيهِمْ فِي كُلِّ مَالٍ
تَمَّتْ مَرُوءَتُكُمْ وَنَا غَى عِزُّكُمْ غُلْبَ الْجِبَالِ

قال : ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة ، وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها . وانصرف قتيبة إلى مرو . وكتب إلى الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة ، ووجه إليهم جهنم بن زحر بن قيس ، فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام . وكان محمد واداً لجهنم بن زحر ، فبعث سليمان بن صعصعة وجهنم بن زحر . فلما ودعه جهنم بكى وقال : يا جهنم ، إنه لتفراق ؛ قال : لا بد منه .

قال : وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

• • •

(١) ر : « النصارا » . (٢) ب : « أحيم » . (٣) ب : « الهاني » .

[ولاية عثمان بن حيان المروى على المدينة]

وفي هذه السنة قدم عثمان بن حيان المروى المدينة واليها عليها من قبل الوليد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأميره على المدينة عثمان بن حيان ، فزعم محمد بن عمر أن عثمان قدم المدينة أميراً عليها للثلاثين بقيتاً من شوال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دار مروان وهو يقول : محلة والله ميطعان ، المغرور من غربتك . فاستقضى أبا بكر بن حزم .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن عبد الله بن أبي حرة ، عن عمه قال : رأيت عثمان بن حيان أخذ رياح بن عبيد الله ومنفذاً العيراق فحبسهم وعاقبهم ، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر . وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد ، فرأيتهم في الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء . وأخذ هيصماً فقطعه ، ومنحوراً . وكان من الخوارج قال : وسمعتُه يخطب على المنبر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس . إنا وجدناكم أهل غيش^١ لأمر المؤمنين في قديم الدهر وحديثه ، وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبالاً . أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق ، هم والله عش النفاق وبنيضته التي تفلقت عنه . والله ما جربت عيراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل ١٢٥٩/٢

أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم فإني والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم ، أو أكرهه منزلاً ، ولا أنزلته ، إلا هدمت منزله ، وأنزلت به ما هو أهله . ثم إن البلبان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح رعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشام أحب إليك أم العراق ؟ فيقول : الشام أحب إلى . إني رأيت العراق داءً عضالاً ، وبها فرخ الشيطان . والله

لقد أعضلوا^(١) بى ، وإنى لأرانى سأفرقهم فى البُلْدان ، ثم أقول : لو فرقتهم لأفسدوا من دخلوا عليه بجدك وحجاج ، وكيف ؟ ولیم ؟ وسُرعة وبجيف فى الفتنة ، فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل^(٢) . لم يصلحوا على عثمان ، فلقى منهم الأمرين^(٣) ، وكانوا أول الناس فشق هذا الفشق العظيم ، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة ، وأنزلوا^(٤) البُلْدان . والله إنى لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم وسداهيهم . ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فدامسجهم^(٥) ، فلكم يصلحوا عليه ، ووليهم رجل الناس^(٦) جلدًا فبسط عليهم السيف . وأخافهم ، فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا ، وذلك أنه خببرهم وعرفتهم .

أيها الناس ، إنا والله ما رأينا شعاراً قطه مثل الأمن ، ولا رأينا حليماً^(٧) قطه شرًا من الخوف ، فالزموا الطاعة ، فإن عندى يا أهل المدينة خيرة من الخلاف . والله ما أنتم بأصحاب قتال ، فكونوا من أحلاس بيوتكم ، وعصتوا على النواجد ، فإنى قد بعثت فى مجالسكم من يسمع فيبلغنى عنكم . إنكم فى فضول كلام غيره ألزم لكم ، فدعوا عيب الولاية . فإن الأمر إنما ينقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء . والفتن تندهب بالدين وبالمال والولاء . قال : يقول القاسم بن محمد : صدق فى كلامه هذا الأخير ، إن الفتنة لهكذا .

قال محمد بن عمر : وحدثنى خالد بن القاسم ، عن سعيد بن عمرو الأنصارى ، قال : رأيت منادى عثمان بن حيان ينادى عندنا : يا بنى أمية بن زيد ، برئت ذمة من آوى عراقيباً - وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل

(١) عضل به الأمر وأعزل : اشتد . (٢) الطائل والطائلة والطول : الفضل والقدرة .

(٣) الأمران : الفقر والحرم ؛ وهما كناية عن اشتداد الأمر .

(٤) أنزلوا : أفسدوا ، من نفل الأديم إذا فسد فى الدباغ ، وأنزله : أفسده .

(٥) دامسجهم : وافقهم ؛ من المداججة وهى مثل المداجاة . (٦) رجل الناس ، يريد الحجاج .

(٧) الحلس فى الأصل : كساء على ظهر بعير يوضع تحت رحله ؛ والمراد لزوم الشيء .

يقال له أبو سَوَادَةَ، من العُبَاد - فقال: والله ما أحب أن أدخل عليكم مكروهاً، بلغوني^(١) متأمّني؛ قلت: لا خير لك في الخروج، إن الله يندفع عنا وعنك. قال: فأدخلته بيّتي، وبلغ عثمان بن حيان فبَسَعَتْ أحراساً فأخرجته إلى بيت أخي، فما قَدَرُوا على شيء، وكان الذي سمعني بيّتي، فقلت للأُمير: أصلح الله الأمير! يؤتني بالباطل فلا تُعاقب عليه. قال: فضرب الذي سمعني بيّتي عشرين سوطاً. وأخبر جُنُودُ الْعِرَاقِ، فكان يصلّي معنا ما يغيب يوماً واحداً، وحَدِّبَ عليه أهلُ دارنا، فقالوا: نموت دونك! فما بَرِحَ حتى عَزَلَ الخبيث.

قال محمد بنُ عمر: وحدَّثنا عبدُ الحَكِيمِ^(٢) بن عبد الله بن أبي فَرَوَةَ، قال: إنما بَسَعَتْ الوليدُ عثمانُ بنَ حَيَّانَ إلى المدينة لإخراج مَنْ بها من الْعِرَاقِيَيْنِ ١٢٦١/٢ وتفرّق أهلُ الأهواء ومن ظَهَرَ^(٣) عليهم أو علا بأمرهم^(٤)، فلم يبعثه والياً، فكان لا يَصْعَدُ المِنْبَرَ ولا يَخْطُبُ عليه، فلما فعل في أهلِ الْعِرَاقِ ما فعل. وفي مَنْحُورٍ وغيرِهِ أثْبَتَهُ على المدينة، فكان يَصْعَدُ على المِنْبَرِ.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جُبَيْر]

وفي هذه السنة قَتَلَ الحِجَاجُ سَعِيدَ بنَ جُبَيْرٍ.

ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتل الحِجَاجِ إِيَّاهُ خروجه عليه مع مَنْ خَرَجَ عليه. مع عبدِ الرحمنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الْأَشْعَثِ، وكان الحِجَاجُ جعله على عطاء الجُندِ حين وجّه عبد الرحمن إلى رُتْبِيلَ لِقَاتِلِهِ، فلما خلَعَ عبدُ الرحمنِ الحِجَاجَ كان سعيد فيمن خَلَعَهُ معه، فلما هَزِمَ عبدُ الرحمنِ وهَرَبَ إلى بلاد رُتْبِيلَ هَرَبَ سعيد.

فحدَّثنا أبو كريب، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عياش، قال: كتب الحِجَاجُ إلى فلان وكان على أصبهان - وكان سعيد، قال الطبري: أظنه أنه لما هَرَبَ

(١) ب: «بلغوا بي». (٢) ط: «الحكم»، تصحيف.

(٣) ب: «طن». (٤) ب: «عاب أمرهم».

من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه - إن سعيداً عندك فخذْه .
فجاء الأمر إلى رجل تحرّج ، فأرسل إلى سعيد : تحوّل عتي ، فتنحّى عنه ،
فأتى أذربيجان ، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون ، واعتسّر
فخرج إلى مكة فأقام بها ، فكان أناس من ضربه يستخفّون فلا يُخبرون
بأسمائهم . قال : فقال أبو حصّين وهو يحدثنا هذا : فبَلَّغْنَا أَنَّ فلاناً قد أُمِرَّ
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل
سوء ، وأنا أتقيه عليك ، فاطعن واشخص ، فقال : يا أبا حصّين ، قد
والله فررت حتى استحييت من الله ! سيحييني ما كتب الله لي . قلت :
أظنك والله سعيداً كما سمتك أملك . قال : فقَدِمَ ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخِذَ فلان له وكلمه . فجعل يديره .

١٢٦٢/٢

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس ، قال : كتب الحجاج إلى
الوليد : إن أهل النفاق والشفاق قد لجئوا إلى مكة ، فإن رأى
أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم ! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسريّ ؛
فأخذ عطاءً وسعيد بن جبّير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ؛
فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلّا لأنهما مكيّان ، وأما الآخران فبعث بهم
إلى الحجاج ، فمات طلق في الطريق ، وحُبِسَ مجاهد حتى مات الحجاج ،
وقُتِلَ سعيد بن جبّير .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الأشجعيّ ،
قال : لما أقبل الحرّسيّان سعيد بن جبّير ونَزَلَ منزلاً قريباً من الرّبذة ،
فانطلقت أحد الحرّسيّين في حاجته وبقي الآخر ، فاستيقظ الذي عنده ،
وقد رأى رؤيا ، فقال : يا سعيد ، إني أبرأ إلى الله من دمك ! إني رأيتُ
في منامي ؛ فقيل لي : ويلَ لك ! تبرأ من دم سعيد بن جبّير . اذهب
حيث شئت لا أطلبك أبداً ؛ فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو ، وأبى حتى

١٢٦٣/٢

(١) هو أبو حصين عثمان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول

جاء ذاك، فتنزلاً من الغد، فأرى مثلها، فقيل: أبرا من دم سعيد.
فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني أبرا إلى الله من دمك، حتى جاء به.
فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه، حدثنا
أبو كريـب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد
مولي بني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، فجاء به
مقيداً فدخل عليه قراء أهل الكوفة. قلت: يا أبا عبد^(١) الله، فحدثكم؟
قال: إني والله ويضحك. وهو يحدثنا، وبُنيّة له في حجره، فنظرت
نظرة فأبصرت القيد فبككت، فسمعتُه يقول: أي بُنيّة لا تطيرى،
إياك - وشقّ والله عليه - فاتبعناه نسيه، فانتبهينا به إلى الجسر، فقال
الحرسيان: لا نعبُر به أبداً حتى يعطينا كفيلاً، نخاف أن يغرق نفسه.
قال: قلنا: سعيدٌ يغرق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به.

قال وهـب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعتُ الفضل بن سُويد
قال: بعثني الحجاج في حاجة، فجاء بسعيد بن جبير، فرجعتُ
فقلت: لأنظرون ما يصنع، فقامت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: ١٢٦٤/٢
يا سعيد، ألم أشرّكك في أمانتي! ألم أستعملك! ألم أفعل! حتى ظننتُ
أنه يخلى سبيله؟ قال: بلى، قال: فما حَمَلَك على خروجك عليّ؟
قال: عَزِم عليّ، قال: فطار غَضَباً وقال: هيه! رأيت لعزمة عدو
الرحمن عليك حقاً، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لبي عليك حقاً!
اضربا عنقه، فضربت عنقه، فسند رأسه عليه كمة بيضاء
لا طية صغيرة.

وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعتُ خلف بن خليفة
يتذكر عن رجل قال: لما قُتل سعيد بن جبير فندّر رأسه لله، هلل ثلاثاً:
مرة يُفصح بها، وفي الثنتين يقول. مثل ذلك فلا يُفصح بها.
وذكر أبو بكر^(٢) الباهلي، قال: سمعتُ أنس بن أبي شيخ، يقول: لما

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبي زياد. تهذيب التهذيب.

(٢) ط: «بكراً»، وانظر الفهرس.

أتى الحجاج بسعيد بن جبير ، قال : لعن الله ابن النصرانية - قال : يعنى خالداً القسرى ، وهو الذى أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ! بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ، ما أخرجك على ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنما أنا امرؤ من المسلمين يُخطئ مرة ويصيب مرة ، قال : فطابت نفس الحجاج ، وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، قال : فعاودة فى شيء ، فقال له : إنما كانت له بيعة فى عنق ؛ قال : فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفى رداءه عن منكبيه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير . ثم أخذت^(١) بيعة أهلها ، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ! قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجذدت لأمر المؤمنين البيعة ، فأخذت بيعتك له ثانية ! قال : بلى ؛ قال : فتشكت^(٢) بيعتين لأمر المؤمنين ، وتغيبى بواحدة للحائك ابن الحائك ! اضربا عنقه ؛ قال : فإياه عسى جرير بقوله :

١٢٦٥/٢

يَارُبَّ نَاكِثٍ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ وَخِصَابُ لَحِيَّتِهِ دَمُ الْأَوْدَاجِ^(٣)

وذكر عتاب بن بيشر ، عن سالم الأفطس ، قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب ، وقد وضع إحدى رجليه فى الغرر - أو الركاب - فقال : والله لا أركب حتى تبوء مقعدك من النار ، اضربوا عنقه . فضربت عنقه ، فالتبس مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه قال : القيود التى على سعيد بن جبير ، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود .

قال محمد بن حاتم : حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن خباب^(٤) قال : جىء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتببت إلى مصعب ابن الزبير ؟ قال : بلى كتببت إلى مصعب ؛ قال : والله لأقتلنك ؛ قال :

(١) ب : « وأخذت » . (٢) ب : « فشكت » .

(٣) ديوانه ٩٠ . (٤) ط : « جناب » ، وانظر الفهرس .

إِنِّي إِذَا لَسَعِيدٌ كَمَا سَمَنِي أُمِّي! قَالَ : فَتَقَاتَلَهُ ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا نَحْوًا
 مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَكَانَ إِذَا نَامَ يَرَاهُ فِي مَنَامِهِ يَأْخُذُ بِمَجَامِيعِ ثَوْبِهِ فَيَقُولُ :
 يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، لِمَ قَتَلْتَنِي ؟ فَيَقُولُ : مَالِي وَلَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ! مَالِي وَلَسَعِيدُ
 ابْنِ جُبَيْرٍ !

* * *

قال أبو جعفر: وكان يقال لهذه السنة سنةُ الفقهاء، مات فيها عامةُ
 فقهاء أهل المدينة، مات في أولها عليُّ بنُ الحُسَيْنِ عليه السلام^(١)، ثم
 عُرْفَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ، ثم سعيدُ بْنُ المَسِيَّبِ، وأبو بكرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ.

واستقضى الوليدُ في هذه السنة بالشَّامَ سليمانَ بْنَ حَبِيبٍ .
 واختلَفَ فيمن أقامَ الحجَّ للناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر -
 فيما حدَّثَنِي أحمدُ بْنُ ثابتٍ عَنْ ذَكَرِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى عَنْهُ -
 قال : حَجَّ بالناس مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الملك سنة أربع وتسعين .

وقال الواقدي : حجَّ بالناس سنة أربع وتسعين عبدُ العزيزُ بْنُ الوليدِ بْنِ
 عبد الملك - قال : ويقال : مَسْلَمَةُ بْنُ عبد الملك .

وكان العاملُ فيها على مكة خالدُ بْنُ عبد الله القَسْرِيُّ ، وعلى المدينة
 عثمانُ بْنُ حِثَّانِ المُرِّي ، وعلى الكوفة زيادُ بْنُ جَرِيرٍ ، وعلى قضائِها أبو بكر
 ابن أبي موسى . وعلى البَصْرَةِ الجراحُ بْنُ عبد الله . وعلى قضائِها عبد الرحمن
 ابن أذينة . وعلى خُرَّاسَانَ قَتِيبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وعلى مصرَ قُرَّةُ بْنُ شريك ،
 وكان العراقَ والمَشْرِقَ كله إلى الحجَّاج^(٢) .

(١) ب : «على بن الحسين بن علي صلى الله عليه» .

(٢) بعده في ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

١٢٦٧/٢

ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ، ففتَح اللهُ على يديه ثلاثة حصُون فيما قبل ، وهى : طولس ، والمرزبانين ، وهِرَقْلَة . وفيها فتح آخر الهند إلا الكَثيرَج والمَسَدَل . وفيها بُنِيَتْ واسِط القَصَب في شهر رمضان . وفيها انصرفَ موسى بن نُصَيْر إلى إفريقية من الأندلس ، وَضَحَى بِقَصْرِ الماء - فيما قبل - على ميل من القيسروان .

* * *

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيها غزا قتيبة بن مُسْلِم الشاش .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فغزا ، فلما كان بالشاش - أو بكُشَاهَمَن - أتاه موتُ الحجاج في شوال ، فغممه ذلك ، وقفل راجعاً إلى مرو ، وتمثل :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر
بحوران أمسى أعلقته الحبائل^(١)
فإن تحنى لا أملل حياي وإن تمت
فما في حياة بعد موتك طائل
قال : فرجع بالناس ففرقهم ، فحلف في بخارى قوماً ، ووجه قوماً إلى كس ونسف ، ثم أتى مرو فأقام بها ، وأتاه كتاب الوليد : قد عرفت أمير المؤمنين بلاءك وجيدك^(٢) في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين^(٣)

١٢٦٨/٢

(١) الخطيئة ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فات علقمة قبل أن يصل إليه الخطيئة ؛ فقال أبياتاً منها هذان البيتان . (٢) ب : « وجهادك » .

(٣) ب : « المسلمين » .

رافعك وصانع بك كالذى يجب لك ، فالتم مغازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب^(١) عن أمير المؤمنين كتبك ؛ حتى كأني أنظر إلى بلادك^(٢) والنهر الذى أنت به^(٣) .

* * *

وفيهما مات الحجاج بن يوسف في شوال - وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة - وقيل : كانت وفاته في هذه السنة الخمس ليال بقيت من شهر رمضان .

وفيهما استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج . وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقدي عشرين سنة . وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين .

وفيهما قتل الواحشي بأرض الروم ونحو ألف رجل معه . وفيها - فيما ذكر - ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي .

وفيهما ولّى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبششة على الحرب والصلاة بالمصريين^(٤) : الكوفة والبصرة ، وولّى خراجهما يزيد بن أبي مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهم يزيد بن أبي كبششة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك ، حدثني

(٢) ب : « بلادك » .

(١) ب : « تغيب » .

(٣) ب : « فيه » .

(٤) ب : « على المصريين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابتٍ عمَّن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي مَعْشَرٍ .
وكذلك قال الواقدي .

* * *

وكان عُمالُ الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة
التي قبلها ، إلا ما كان من الكُوفَةِ والبَصْرَةِ ، فإنهما ضُمَّتَا إلى مَنْ
ذَكَرْتُ بَعْدَ مَوْتِ الْحِجَّاجِ .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة بشر بن الوليد الشامية ،
فقتل وقد مات الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيها كانت وفاة الوليد بن عبد الملك، يوم السبت في التصف من
جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير .
واختلف في قدر مدة خلافته، فقال الزهري في ذلك - ما حدثت
عن ابن وهب عن يونس عنه : مملكت الوليد عشر سنين إلا شهراً .
وقال أبو معشر فيه ، ما حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ،
عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر .
وقال هشام بن محمد : كانت ولاية^(١) الوليد ثمان سنين وستة^(٢) أشهر .
وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين .
واختلف أيضاً في مبلغ عمره ، فقال محمد بن عمر : توفي بدمشق
وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشام بن محمد : توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة .
وقال علي بن محمد : توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر .
وقال علي : كانت وفاة الوليد بدير مرّان، ودُفِنَ خارج باب الصغير .
ويقال : في مقابر الفراءيس .

ويقال : إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة .
وقيل : صلى عليه عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « خلافة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له - فيما قال علي - تسعة عشر ابناً: عبد العزيز، ومحمد، والعباس،
ولإبراهيم، وتمّام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسروق، وأبو عبدة،
وصدقة، ومنصور، ومروان، وعنيسة، وعمر، وروح، وبشر،
وزيد، ويحيى؛

أم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان، وأم
أبي عبدة فزارية، وسائرهم لأمهات شتى.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

١٢٧١/٢

حدثني عمّار، قال: حدثني عليّ، قال: كان الوليد بن عبد الملك عند
أهل الشام أفضل بجلالتهم، بنى المساجد مسجداً دمشق ومسجداً المدينة،
ووضع المنار، وأعطى الناس، وأعطى المجدّمين، وقال: لا تسألوا
الناس. وأعطى كلّ مقيم خادماً، وكلّ ضريح قائداً. وفتح في ولايته
فتوح عظام؛ فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر،
وفتح محمد بن القاسم الهند.

قال: وكان الوليد يمرّ بالبحال فيصيف عليه فيأخذ حزمة البقل
فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس؛ فيقول: زد فيها.

قال: وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم، إن
كنت مستحقاً لذلك، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقاً
لذلك مع قرأتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني،
فدنا منه، فنزع عمامته بقصيب كان في يده، وقراه قرعات بالقصيب،
وقال لرجل: ضم هذا إليك، فلا يثأرك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمان
ابن يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أمير المؤمنين،
إن عليّ دينا، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات
من الأنفال، وعشر آيات من براءة، فقرأ، فقال: نعم، نقضى^(١) عنكم،
ونصّل أرحامكم على هذا.

١٢٧٢/٢

قال : ومَرَضَ الوليدُ فَرَهَقَتْهُ غَشِيَّةٌ ، فَكَثَّ عَامَةٌ يَوْمِهِ عِنْدَهُمْ مَيْتًا ، فَبُكِيَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَتْ الْبُرْدُ بِمَوْتِهِ ، فَقَدِمَ رَسُولٌ عَلَى الْحِجَاجِ ، فَاسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِجَمَلٍ فُشِدَتْ فِي يَدَيْهِ ، ثُمَّ أُوثِقَ إِلَى أَسْطَوَانَةٍ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَسْلُطْ عَلَيَّ مِنْ لَا رَحْمَةَ لَهُ ، فَقَدْ طَلَمَّا سَأَلْتُكَ أَنْ تَجْعَلَ مِنِّي قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ! وَجَعَلَ يَدْعُو ، فَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ بِرِيدٌ بِإِفَاقَتِهِ .

قال عليّ : ولما أَفَاقَ الوليدُ قال : ما أَحَدٌ أَمَرَ بِعَافِيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) مِنَ الْحِجَاجِ ؛ فَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا أَعْظَمَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِعَافِيَتِكَ ، وَكَأَنِّي بَكُنَابِ الْحِجَاجِ قَدْ أَتَاكَ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ بِرُؤُكُ خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَأَعْتَقَ كُلَّ مَمْلُوكٍ لَهُ ، وَبَعَثَ بِقَوَارِيرٍ مِنْ أَنْبَاجِ الْهِنْدِ . فَمَا لَبِثَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى جَاءَ الْكِتَابُ بِمَا قَالَ .

قال : ثُمَّ لَمْ يَمُتِ الْحِجَاجُ حَتَّى ثَقُلَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَقَالَ خَادِمٌ لَالِوَيْدِ : إِنِّي لِأَوْضَيْتُ الْوَلِيدَ يَوْمًا لِلْغَدَاءِ ، فَقَدْ يَدَّهِ ، فَجَعَلْتُ أُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَهُوَ سَاهٍ وَالْمَاءُ يَسِيلُ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، ثُمَّ نَضَّحَ الْمَاءَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ : أَنَا عَسَى أَنْتَ ! وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى وَقَالَ : مَا تَدْرِي مَا جَاءَ اللَّيْلَةَ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : وَيَحْسُوكَ ! مَاتَ الْحِجَاجُ ! فَاسْتَرْجَعْتُ . قَالَ : اسْكُتْ مَا يُسِرُّ مَوْلَاكَ أَنْ فِي يَدِهِ تَفَاحَةٌ يَسْمُومُهَا .

قال عليّ : وَكَانَ الْوَلِيدُ صَاحِبَ بِنَاءٍ وَاتَّخَذَ لِلْمَصَانِعِ وَالضِّيَاعِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَلْتَقُونَ فِي زَمَانِهِ ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْبِنَاءِ وَالْمَصَانِعِ . فَوَلَّى ^{١٢٧٢/٢} سُلَيْمَانَ ، فَكَانَ صَاحِبَ نِكَاحٍ وَطَعَامٍ ، فَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ التَّزْوِيجِ وَالْخَوَارِئِ . فَلَمَّا وَلَّى عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانُوا يَلْتَقُونَ فَيَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : مَا وَرَدَكَ اللَّيْلَةَ ؟ وَكَمْ تَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ وَمَتَى تَخْتِمُ ؟ وَمَتَى خَتَمْتَ ؟ وَمَا تَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَرَأَى جَرِيرَ الْوَلِيدِ فَقَالَ :

يَا عَيْنَ جُودِي بِدَمْعِ هَاجَةٍ الذِّكْرُ فَمَا لَدِمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدَّخَرٌ ^(١)

(١) س : « الوليد » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ غِبْرَاءُ مُلْحَدَةٌ فِي جُودِهَا زَوْرٌ^(١)
أَضْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعاً فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عَمْرُ^(٢)

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حج الوليد بن عبد الملك، وحج محمد بن يوسف من اليممن، وحمل هدايا للوليد، فقالت أم البنين للوليد: يا أمير المؤمنين، اجعل لي هدية محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فجاءت رسل أم البنين إلى محمد فيها، فأبى وقال: ينظر إليها أمير المؤمنين فيرى رأيت - وكانت هدايا كثيرة - فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلى، ولا حاجة لي بها، قال: ولِمَ؟ قالت: بلغني أنه غصبها الناس، وكلفهم عملها، وظلمهم. وحمل محمد المتاع إلى الوليد، فقال: بلغني أنك أصبتها غصباً، قال، معاذ الله! فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يميناً بالله ما غصب شيئاً منها، ولا ظلم أحداً، ولا أصابها إلا من طيب، فحلف، فقبلها الوليد ودفعها إلى أم البنين، فمات محمد بن يوسف باليممن، أصابه داء تنقطع منه.

١٢٧٤/٢

وفي هذه السنة كان الوليد أراد الشخوص إلى أخيه سليمان لخلعه، وأراد البسعة لابنه من بعده، وذلك قبل مراضته التي مات فيها. حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك، فلما أفضى الأمر إلى الوليد، أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فأمره على أن يجعله له من بعده، فأبى، فعرض عليه أموالاً كثيرة، فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز،

(١) الديوان: «غبراء ملحدة». وأجوال البئر: نواحيها. والزور: الاعوجاج.

(٢) بعده في الديوان.

وخالِدٌ لو أراد الدهرُ فديته أغلوا مخاطرةً لو يقبلُ الخطرُ
قد شَفَّنِي روعة العباين من فزعٍ لما أتاه بدير القسطل الخبرُ

ودعا الناس إلى ذلك ؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخوصاً من الناس . فقال عبّاد بن زياد : إن الناس لا يُجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابتك ، فكتب إلى سليمان فليقدم عليك ، فإن لك عليه طاعة ، فأردّه على البسعة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لا يتقدّر على الامتناع وهو عندك ، فإن أبي كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم^(١) ، فأبطأ ، فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يسخّسه ، فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بحجّجره فأخرجت ، فريض ، ومات قبل أن يسير^(٢) وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال عليّ : وأخبرنا أبو عاصم الزياتي عن الهذليّ الكلبّي ، قال : كنا بالهيند مع محمد بن القاسم ، فقتل الله داهراً^(٣) ، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان ، فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان ، أن ازرعوا واحرثوا ، فلا شأّم لكم ، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا .

قال عمر : قال عليّ : أراد الوليد أن يبنى مسجداً دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه : أقسمت عليكم لمّا أتاني كل رجل منكم بلسينة ، فجعل كل رجل يأتيه بلسينة ، ورجل من أهل العراق يأتيه بلسينتين ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق ، تُفرضون في كلّ شيء حتى في الطاعة ! وهدموا الكنيسة وبنوها مسجداً ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه ، فقيل : إن كلّ ما كان خارجاً من المدينة افتتحت عنوة ، فقال لهم عمر : نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة ثوماً ، فإنها فتحت عنوة ، نبنينا مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا : بل نندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ، ودعوا لنا كنيسة ثوماً . ففتحت عمر ذلك .

(١) بعدها في ب : « عليه » .

(٢) بعدها في ب : « إليه » .

(٣) داهر ، ملك مكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر ، وغزى الصين .

ذكر الخبر عن ذلك :

رَجَعَ الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرتُ قبلُ . قال : **ثم غزا قتيبة في سنة ست وتسعين ، وحمل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحجز عياله في سمرقند خوفاً من سليمان ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخوارزمي على مقطع النهر ، وقال : لا يجوز أن أحد إلا يجاوز ، ومضى إلى سرغانة ، وأرسل إلى شعب عصام من يستهل له الطريق إلى كاشغر ، وهي أذن مدائن الصين ، فأتاه موت الوليد وهو بسرغانة .**

١٢٧٦/٢

قال : **فأخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن إياس ، قال : قال إياس بن زهير : لما عبر قتيبة النهر أتيت فقلت له : إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال فأتخذ أهبة ذلك ، وبني الأكابر معي ، ولي عيال قد خلقتهم وأم عجوز ، وليس خندهم من يقوم بأمرهم ، فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بني أوجه فيعتمد علي بأهلي ! فكتب ، فأعطاني الكتاب فأنتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر ، فألويت بيدي ، فجاء قوم في سفينة فقالوا : من أنت ؟ أين جوازك ؟ فأخبرتهم ، فقمعد معي قوم ورد قوم السفينة إلى العامل ، فأخبروه . قال : ثم رجعوا إلى فحملوني ، فأنتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائع ، فرميت بنفسي ، فسألني عن الأمر ، وأنا آكل لا أجيبه ، فقال : هذا أعرابي قد مات من الجوع ، ثم ركب فضيت فأتيت مرو ، فحملت أمي ، ورجعت أريد العسكر ، وجاءنا موت الوليد ، فأنصرف إلى مرو .**

وقال : **وأخبرنا أبو مخنف ، عن أبيه ، قال : بعث قتيبة كثير بن فلان إلى كاشغر ، فسب منها سبباً ، فخم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة ، ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد .**

قال : **وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني عن أشياخ من أهل خراسان**

وَالْحَكَمَ بِنِ عُمَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ . قَالَ : وَغَلَّ قَتِيْبَةٌ حَتَّى قَرَبَ ^(١) مِنَ الصِّينِ . قَالَ : فَكَتَسَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ الصِّينِ أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ مَنْ مَعَكُمْ يُخْبِرُنَا عَنْكُمْ ، وَنُسَائِلُهُ عَنْ دِينِكُمْ . فَانْتَخَبَ قَتِيْبَةٌ مِنْ عَسْكَرِهِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَشْرَةٌ مِنْ أَفْدَاءِ الْقِبَائِلِ ، لَمْ جَمَالٍ وَأَجْسَامٍ وَالسُّنْ وَشُعُورٍ وَأَسْ ، بَعْدَ مَا سَأَلَ عَنْهُمْ فَوَجَدَهُمْ مِنْ صَالِحِ مَنْ هُمْ مِنْهُ . فَكَلَّمَهُمْ قَتِيْبَةٌ ، وَفَاطَسَتْهُمْ فَرَأَى عَقُولًا وَجَمَالًا ، فَأَمَرَ لَهُمْ بَعْدَةَ حَسَنَةٍ مِنَ السِّلَاحِ وَالْمَتَاعِ الْجَيِّدِ مِنَ الْخَزْ وَالْوَشْيِ وَاللَّيْنِ مِنَ الْبَيَاضِ وَالرَّقِيقِ ^(٢) وَالنِّعَالِ ^(٣) وَالْعِطْرَ ، وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى خِيُولٍ مَطْهَمَةٍ تُقَادُ مَعَهُمْ ، وَدَوَابَّ يَرْكَبُونَهَا ^(٤) . قَالَ : وَكَانَ هُبَيْرَةُ بْنُ الْمَشْتَمَرَجِ الْكَلَابِيِّ مَفُوهًا بِسَيْطَةِ اللِّسَانِ ، فَقَالَ : يَا هُبَيْرَةُ ، كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! قَدْ كُفِّيتَ الْأَدَبَ وَقُلَّ مَا شِئْتَ أَقْلُهُ . وَآخِذْ بِهِ ، قَالَ : سَيَّرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ . لَا تَضَعُوا الْعِمَامَةَ عَنْكُمْ حَتَّى تَقْدَمُوا الْبِلَادَ ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِ فَأَعْلَمُوهُ أَنِّي قَدْ حَلَفْتُ إِلَّا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَطَأَ بِلَادَهُمْ ، وَأَخْتَمَ مَلُوكَهُمْ ، وَأَجْنَبِي خِرَاجَهُمْ .

قَالَ : فَسَارُوا ، وَعَلَيْهِمْ هُبَيْرَةُ بْنُ الْمَشْتَمَرَجِ ، فَلَمَّا قَدَمُوا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الصِّينِ يَدْعُوهُمْ ، فَدَخَلُوا الْحَمَامَ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَلَبَسُوا ثِيَابًا بَيْضًا ^(٥) تَحْتَهَا الْغِلَاطِلُ ، ثُمَّ مَسَّوْا الْغَالِيَةَ ، وَتَدَخَّلُوا ^(٦) وَلَبَسُوا النِّعَالَ وَالْأَرْدِيَةَ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ عِظَمَاءُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَجَلَسُوا ، فَلَمْ يَكَلِّمْهُمْ الْمَلِكُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُلَسَائِهِ فَتَهَضَّبُوا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِمَنْ حَضَّرَهُ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَا قَوْمًا مَا هُمْ إِلَّا نِسَاءٌ ، مَا بَقِيَ مِنْهُنَّ أَحَدٌ حِينَ رَأَيْنَاهُمْ وَوَجَدْنَاهُمْ رَائِحَتَهُمْ إِلَّا انْتَشَرَ مَا عِنْدَهُ .

قَالَ : فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَلَبَسُوا الْوَشْيَ وَعَمَّامَاتِ الْخَزْ وَالْمِطَارِفَ ، وَغَدَوْا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قِيلَ لَهُمْ : ارْجِعُوا ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ

(١) ب : « بلغ قرب » .

(٢) ب : « والبقال » .

(٣) ب : « والبقال » .

(٤) ب : « يربطونها » .

(٥) ب : « بيضا » .

(٦) ب : « بيضا » .

(٧) ب : « بيضا » .

(٨) ب : « بيضا » .

رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْهَيْئَةَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ الْهَيْئَةُ أَشْبَهَتْ بَهَيْئَةَ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْأُولَى ، وَهُمْ أَوْلَتْكَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَشَدَّوْا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ ، وَلَبَسُوا الْبَيْضَ وَالْمَغَافِرَ ، وَتَقَلَّدُوا السُّيُوفَ ، وَأَخَذُوا الرِّمَاحَ ، وَتَنَكَّبُوا الْقَسِيَّ ، وَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَغَدَوْا فَانْظَرَّ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِيَالِ مُقْبِلَةً ، فَلَمَّا دَنَوْا رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُمْ مُشْتَرِينَ ، فَقِيلَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا : ارجعوا ، لِمَا دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ .

قال : فَانصَرَفُوا فَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَاخْتَلَسَجُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ دَفَعُوا خَيْولَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ بِهَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ قَطُّ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ ، أَنْ ابْعَثُوا إِلَى زَعِيمَتِكُمْ وَأَفْضَلِكُمْ رَجُلًا ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ : قَدْ رَأَيْتُمْ (١) عَظِيمَ مُلْكِي ، وَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكَ مِنِّي ، وَأَنْتُمْ فِي بِلَادِي ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ فِي كَفِّي . وَأَنَا سَائِلُكَ (٢) عَنْ أَمْرِ فَإِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي (٣) قَتَلْتُكَ . قال : سَلْ ؛ قال : لِمَ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ مِنَ الزَّيِّ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّالِثِ ؟ قال : أَمَا زَيْنَا الْأَوَّلُ فَلِبَاسَنَا فِي أَهَالِنَا (٤) وَرِيحُنَا عِنْدَهُمْ ، وَأَمَا يَوْمُنَا الثَّانِي فَإِذَا أَتَيْنَا أَمْرَاءَنَا ، وَأَمَا الْيَوْمُ الثَّالِثُ فَزَيْنَا لَعْدُونَا ، فَإِذَا هَاجَسْنَا هَيْجَ وَفَزَعٍ (٥) كُنَّا هَكَذَا . قال : مَا أَحْسَنَ مَا دَبَرْتُمْ دَهْرَكُمْ ! فَانصَرِفُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقُولُوا لَهُ : يَنْصَرِفُ ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حِرْصَهُ وَقِلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَإِلَّا بَعَثْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ يُهْلِكُكُمْ وَيُهْلِكُهُ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوَّلَ خِيَلِهِ فِي بِلَادِكَ وَآخِرِهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ ! وَكَيْفَ يَكُونُ حَرِيصًا مَنْ خَلَفَ الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَيْهَا وَغَزَاكَ ! وَأَمَا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّ لَنَا أَجَالَ إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمَهَا الْقَتْلُ ، فَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ ؛ قَالَ : فَمَا الَّذِي يُرْضِي صَاحِبَكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ حَلَفَ أَلَّا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَطَّأَ أَرْضَكُمْ ، وَيَخْتَمَ مَلُوكَكُمْ ، وَيُعْطَى الْجِزْيَةَ . قَالَ : فَإِنَّا نَخْرِجُهُ مِنْ يَمِينِهِ ، نَبْعَثُ إِلَيْهِ

١٢٧٩/٢

(١) ب : « رَأَيْتُمْ » .

(٢) ب : « سَائِلُكَ » .

(٣) ب : « تَصْدُقْنِي » .

(٤) ب : « أَهْلُنَا » .

(٥) ب : « أَوْ فَزَعٍ » .

بتراب من تراب أرضنا فيطوؤه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه
بحرية يرضها . قال : فدعا بصيحات من ذهب فيها تراب ، وبعث بحريير
وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ،
فساروا فقتلوا بما بعث به ، فقتل قتيبة الحزبية ، وختم الغلطة وردهم ،
ووطئ التراب ، فقال سودة بن عبد الله السلولي :

لا عيب في الوفاء الذين بعثتهم للصين إن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشا الكريم هبيرة بن مشمرج
لم يرض غير الختم في أعناقهم ورهائن دفعت بحمل سمرج
أدى رسالتك التي استرعيت وأتاك من جنب اليمن بمخرج ١٢٨٠/٢
قال : فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد ، فأت بقرية^(١) من فارس ، فترثاه
سودة ، فقال :

لله قبر هبيرة بن مشمرج ماذا تضمن من ندى وجمال !
وبديهة يعيا بها أبناؤها عند احتفال مشاهد الأقوال
كان الربيع إذا السنون تتابعت والليث عند تكعكع الأبطال
فسقت بقرية حيث أمسى قبره غر يرحن بمسيل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقدته وبكاه كل متقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مواسيا في العام ذى السنوات والإمجال
قال : وقال الباهليون : كان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى
اثنى عشر فرسا من جياد الخيل ، واثنى عشر هجيناً ، لا يجاوز بالفرس أربعة
آلاف ، فيقام عليها إلى وقت الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعسكر قيادت
وأضميرت ، فلا يقطع نهراً بخيل حتى تخف لحومها ، فيحمل عليها
من يحملها في الطلائع . وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف ،
ويبعث معهم رجالا من العجم ممن يستنصيح على تلك الهجن ، وكان إذا بعث

(١) قرية : اسم موضع .

بطليعة^(١) أمّـر بلتوح فنقش ، ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة ، واحتبس شقة ، لئلا يمثّل مثلها ، وبأمره أن يدفنها في موضع يصفه له من^(٢) مخاضة معروفة ، أو تحت شجرة معلومة ، أو خربة ، ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق في طليعته أم لا .

وقال ثابت قُطْنة العسكى يذكر من قُتِل من ملوك الترك :

أَقْرَّ العَيْنَ مَقْتَلُ كَارِزْنِكِ وَكُشْبِيزِ وَمَا لَأَقَى بِيَارِ

وقال الكُمَيْتُ يَذْكُرُ غَزْوَةَ السُّغْدِ وَخُورَزْمَ :

وَبَعْدُ فِي غَزْوَةٍ كَانَتْ مُبَارَكَةً	تَرَدَّى زِرَاعَةً أَقْوَامٍ وَتَحْتَصِدُ
نَالَتْ غَمَامَتُهَا فَيْلًا بَوَائِلَهَا	وَالسُّغْدُ حِينَ دَنَا شَوْبُوبُهَا الْبَرْدُ
إِذْ لَا يَزَالُ لَهُ نَهَبٌ يُنْقَلُ	مِنَ الْمَقَائِمِ لَا وَخْشٌ وَلَا نَكْدُ
تِلْكَ الْفُتُوحُ الَّتِي تُدَلِّي بِحُجَّتِهَا	عَلَى الْخَلِيفَةِ إِنَّا مَعَشَرُ حُشْدُ
لَمْ تَشْنِ وَجْهَكَ عَنْ قَوْمٍ غَزَوْتَهُمْ	حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ : بُعْدًا وَقَدْ بَعْدُوا
لَمْ تَرْضَ مِنْ حِصْنِهِمْ إِنْ كَانَ مَمْتَنِعًا	حَتَّى يُكَبَّرَ فِيهِ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ

(١) ب : « طليعة » .

(٢) ب : « في » .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بُويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي تُوفّي فيه الوليد بن عبد الملك ، وهو بالرملة .

وفيهما عزّل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ، ذكر محمد بن عمر ، أنه نزعته عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست (١) ١٢٨٢/٢ وتسعين .

قال : وكان عمله على المدينة ثلاث سنين . وقيل : كانت إمرته عليها سنتين غير سبع (٢) ليال .

قال الواقدي : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينام في غد ، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بن سلمة المخزومي عنده ، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سيئاً ، فقال أيوب لعثمان : ألم تر إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رياء ؛ فقال عثمان : قد رأيت ذلك ، ولست لأبى إن أرسلتُ إليه غُدوةً ولم أجده جالساً لأجلدنه مائة ، ولأحلقن رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءني أمرٌ أجبه ، فمَجَلَّتْ من السحر ، فإذا شَمْعَةٌ في الدار ، فقلتُ : عَجِلَ المرءُ ، فإذا رسولُ سليمان قد قدِمَ على أبي بكر بتأميمه وعزّل عثمان وحده .

قال أيوب : فدخلتُ دارَ الإمارة ، فإذا ابنُ حَيَّان جالس ، وإذا بأبي بكر على كرسيّ يقول للحداد : اضرب في رِجْلِ هذا الحديد ، ونظر إلى عثمان فقال (٣) :

أَبُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ كُشُفًا وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ

(١) ب : « في سنة » .

(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أثبتته من ب .

(٣) بعدها في ب : « متمثلاً » .

وفي هذه السنة عَزَلَ سليمانُ يزيدَ بنَ أبي مسلمٍ عن العراق ، وأمرَ عليه يزيدَ بنَ المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخِراج ، وأمره أن يَقتُلَ آلَ أبي عَقيـلٍ وَيَبْسُطَ عليهم العذاب . فحدثني عمرُ بنُ شَبَّه ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قَدِمَ صالحُ العراقَ على الخِراج ، ويزيدُ على الحَرْبِ ، فبعثَ يزيدُ زيادَ بنَ المهلبِ على عُمان ، وقال له : كاتبُ صالحاً ، وإذا كتبتَ إليه فابدأ باسمه ، وأخذ صالحُ آلَ أبي عَقيـلٍ فكان يُعَذِّبُهُمْ ، وكان يلبي عذابَهُمْ عبدُ الملكِ بنَ المهلبِ .

* * *

[خبر مقتل قتيبة بن مسلم]

وفي هذه السنة قُتِلَ قتيبة بنُ مسلمٍ بخُرَّاسان .

هـ ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ابن الوليد وليَّ عهده ، ودسَّ في ذلك إلى القواد والشعراء ، فقتل جرير في ذلك :

إذا قيلَ أَىَّ الناسِ خَيْرُ خليفة؟ أشارت إلى عبد العزيز الأصابع^(١)
رأوه أحقَّ الناسِ كُلِّهِمْ بها وما ظلموا ، فبايعوه وسارَعُوا^(٢)
وقال أيضاً جرير يحضُّ الوليد على بِسْعَةِ عبد العزيز :

إلى عبد العزيز سَمَتَ عيونُ الرِّ عِيَّةٍ إذ تَحَيَّرَتِ الرَّعَاءُ^(٣)
إليه دَعَتْ دَواعِيهِ إذا مَا عِمَادُ المُلْكِ خَرَّتْ والسَّمَاءُ
وقال أولو الحكومة من قُرَيْشٍ علينا البيعُ إن بلغ الغلاءُ^(٤)

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارَعُوا » ، ر : « فبايعوه وسارَعُوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَلِيَّ عَهْدٍ وما ظلموا بذلك ولا أَسَاءُوا
فَمَاذَا تَنْظُرُونَ بِهَا وَفِيكُمْ جُسُورٌ بِالْعِظَائِمِ وَاعْتِلَاءٌ !
فَزَحْلِفُهَا بِأَزْمَلِهَا إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَشَاءُ (١)
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ مَدُّوا إِلَيْهِ أَكْفُهُمْ وَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ
ولو قد بَايَعوكَ وَلِيَّ عَهْدٍ لِقَامِ الْوِزْنِ وَاعْتَدَلَ الْبِنَاءُ (٢)

١٢٨٤/٢

فبَايَعَهُ عَلَى خَلْعِ سُلَيْمَانَ الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ وَقَتِيبة . ثم هلك الوليد
وقام سليمان بن عبد الملك ، فخافه قتيبة .

قال علي بن محمد : أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ عَيْسَى وَالْحَسَنُ بْنُ رُشِيدٍ وَكُلَيْبُ
ابْنِ خَلْعَفٍ . عَنْ طُفَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَجَبَلَةَ بْنِ فَرْوَخٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ
الْكِنْدِيِّ ، وَجَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَادٍ (٣) وَمُسْلِمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ ، عَنْ السَّكِينِ بْنِ قِسَادَةَ ؛
أَنَّ قَتِيبةً لَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقِيَامُ سُلَيْمَانَ ، أَشْفَقَ مِنْ سُلَيْمَانَ
لأنه كان يَسْعَى فِي بَيْعَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ مَعَ الْحِجَاجِ ، وَخَافَ أَنْ
يُولَّى سُلَيْمَانَ يُزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ خُرَّاسَانَ . قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُهَنِّئُهُ
بِالْخِلَافَةِ ، وَيُعْزِيهِ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَيُعَلِّمُهُ بِلَاءَهُ وَطَاعَتَهُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ ،
وَأَنَّهُ لَهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ إِنْ لَمْ يَعْزِلْهُ عَنْ
خُرَّاسَانَ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ يُعَلِّمُهُ فِيهِ فَتُوْحَهُ وَنِكَايَتَهُ وَعَظْمَ
قُدْرِهِ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَجَمِ . وَهَيْبَتِهِ فِي صُدُورِهِمْ ، وَعَظْمَ صَوْتِهِ فِيهِمْ ، وَيَذِمُّ
الْمُهَلَّبَ وَآلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيُحْلِفُ بِاللَّهِ لَنْ اسْتَعْمَلَ يُزِيدَ عَلَى خُرَّاسَانَ لِيُخْلَعَنَّهُ .
وَكُتِبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ خَلْعُهُ ، وَبُعِثَ بِالْكِتَابِ الثَّلَاثَةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ (٤) ،
وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ كَانَ يُزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَاضِرًا ، فَقَرَأْهُ
ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهِ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى يُزِيدَ فَادْفَعْ
إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَى يُزِيدَ فَاحْتَبَسِ الْكِتَابَيْنِ
الْآخَرَيْنِ .

١٢٨٥/٢

(١) زحلفها إليه ، أى ادفعها . وقوله : « بأزملها » ، أى بأجمعها .

(٢) الديوان : « لِقَامِ الْقِسْطِ » . (٣) ط : « دَوَاد » ، تحريف . (٤) ب : « أهله » .

قال : فَقَدِمَ رَسُولُ قَتِيْبَةَ فَدَخَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ وَعِنْدَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَهُ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَى يَزِيدَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ فَقَرَأَهُ ، ثُمَّ رَمَى بِهِ إِلَى يَزِيدَ ، فَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ الثَّالِثَ ، فَقَرَأَهُ فَتَمَعَّرَ لَوْنُهُ ^(١) ، ثُمَّ دَعَا بَطِيْنَ فَخْتَمَهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ .

* * *

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى ، فَإِنَّهُ قَالَ — فِيمَا حَدَّثَتْ عَنْهُ : كَانَ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَاقِيعَةٌ فِي يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ . وَذَكَرُ غَدْرِهِ وَكَفَرِهِ وَقِلَّةَ شُكْرِهِ ، وَكَانَ فِي الثَّانِي ثَنَاءٌ عَلَى يَزِيدَ ، وَفِي الثَّالِثِ : لَنْ لَمْ تُقَرِّتَنِي عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ وَتَوَسَّنِي لِأَخْلَعْنَكَ خَلْعَ النَّعْلِ ، وَلَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرِجَالًا . وَقَالَ أَيْضًا لَمَّا قَرَأَ سُلَيْمَانُ الْكِتَابَ الثَّالِثَ وَضَعَهُ بَيْنَ مِثَالَيْنِ مِنَ الْمُثُلِ الَّتِي تَحْتَهُ وَلَمْ يُحَرِّحْ فِي ذَلِكَ مَرْجُوعًا .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ . قَالَ : ثُمَّ أَمَرَ — يَعْنِي سُلَيْمَانَ — بِرَسُولِ قَتِيْبَةَ أَنْ يُنَزَّلَ ، فَحَوَّلَ إِلَى دَارِ الضِّيَافَةِ ، فَلَمَّا أَمْسَى دَعَا بِهِ سُلَيْمَانُ ، فَأَعْطَاهُ صُورَةً فِيهَا دَنَانِيرٌ ، فَقَالَ : هَذِهِ جَائِزَتُكَ ، وَهَذَا عَهْدُ صَاحِبِكَ ١٢٨٦/٢ عَلَى خُرَّاسَانَ فَسِرْ . وَهَذَا رَسُولُ مَعِكَ بِعَهْدِهِ . قَالَ : فَخَرَجَ الْبَاهِلِيُّ ، وَبَعَثَ مَعَهُ سُلَيْمَانُ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي لَيْثٍ يَقَالُ لَهُ صَعْمُصَعَةٌ — أَوْ مُصْعَبٌ — فَلَمَّا كَانَ بِحُلُوَانٍ تَلَقَّاهُمُ النَّاسُ بِخَلْعِ قَتِيْبَةَ ، فَرَجَعَ الْعَبْدِيُّ ، وَدَفَعَ الْعَهْدَ إِلَى رَسُولِ قَتِيْبَةَ ، وَقَدْ خَلَعَ ؛ وَاضْطَرَبَ الْأَمْرُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ ، فَاسْتَشَارَ إِخْوَتَهُ ، فَقَالُوا : لَا يَثِقُ بِكَ سُلَيْمَانُ بَعْدَ هَذَا .

قَالَ عَلِيٌّ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الْعَسْبَرِيِّينَ ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْهُمْ ، أَنَّ تَوْبَةَ ابْنِ أَبِي أَسِيدِ الْعَسْبَرِيِّ ، قَالَ : قَدِمَ صَالِحُ الْعِرَاقِ ، فَوَجَّهَنِي إِلَى قَتِيْبَةَ لِيُطْلِعَنِي ^(٢) طُلُوعَ مَا فِي يَدِهِ . فَصَحَّبَتْنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدَ ، فَسَأَلَنِي عَمَّا خَرَجْتُ فِيهِ ، فَكَاتَمْتُهُ أَمْرِي ، فَإِنَّا لَنَسِيرُ إِذْ سَنَحَ لَنَا سَانِحٌ ؛ فَنَظَرَ إِلَى رَفِيقِي

(١) تَمَعَّرَ لَوْنُهُ ، أَيِ تَغَيَّرَ .

(٢) ب : « لِيُطْلِعَ » .

قال : أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني ! فضيت ، فلما كنت بحلوان
تلقاني الناسُ بقتل قتيبة .

قال عليّ : وذكر أبو الذّيال وكلّسب بن خلسف وأبو عليّ الجوزجاني عن
طفيل بن مرداس ، وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حيّان ^(١) عن أخيه
مقاتيل بن حيّان . وأبو مخنف وغيرهم ، أن قتيبة لما هم بالخلع استشار
إخوته ، فقال له عبدالرحمن : اقطع بعثاً فوجه فيه كلّ من تخافه ، ووجه
قوماً إلى مرو ، وسرّ حتى تنزل سمرقند ، ثم قل لمن معك : من أحبّ
المقام فله المواساة ، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء ،
فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : اخاعه مكانك ، وادع الناس إلى
خلعه ، فليس يختلف عليك رجلان . فأخذ برأى عبد الله ، فخلع
سليمان ، ودعا الناس إلى خلعه ، فقال للناس :

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضمت الأخ إلى أخيه ،
والولد إلى أبيه ، وقسمت بينكم فينكم ، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكدرة
ولا مؤخرّة ، وقد جرتبتم الولاة قبلي ، أتاكم أمية ^(٢) فكتب إلى أمير المؤمنين
إنّ خراج خراسان لا يقوم ^(٣) بمطبخي ، ثم جاءكم أبو سعيد ^(٤) فدوم بكم ^(٥)
ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية ! لم يجب فيئاً ، ولم
يتنكأ عدواً ، ثم جاءكم بنوه بعده ، يزيد ، فحل تبارى إليه النساء ،
وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان هبنقة القيسي ^(٦) .

قال : فلم يجبه أحد ، فغضب فقال : لا أعزّ الله من نصرتم ، والله
لو اجتمعتم على عزّ ما كسرتم قرنّها ، يا أهل السافلة - ولا أقول أهل
العالية - يا أوباش الصدقة ، جمعتمكم كما تجمع إبل الصدقة من كل
أوب . يا معشر بكر بن وائل ، يا أهل النفع والكذب والبخل ، بأيّ

(١) ط : « حيّان » ، تحريف . (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن

أبي العاص بن أمية ، عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . (٣) ط : « لا يقيم » ،

وفي البيان : « لو كان في مطبخه لم يكفه » . (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبي صفرة .

(٥) ب : « فرزم فيكم » .

(٦) هو يزيد بن ثروان بن هبنقة ذو الودعات القيسي ، المضروب به المثل في الحق .

يَوْمَيْكُمْ تَتَفَخَّرُونَ ؟ بِيَوْمِ حَرْبِكُمْ ، أَوْ بِيَوْمِ سَلَامِكُمْ ! فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْكُمْ . يَا أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ ، يَا بَنِي ذَمِيمٍ - وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ - يَا أَهْلَ الْخَجُورِ ^(١) وَالْقَصُوفِ وَالْعَدَرِ ، كُنْتُمْ تَسْمُونَ الْعَدَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ ^(٢) . يَا أَصْحَابَ مَسْجَدِ جَحَاحٍ ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقُسَاةَ ، تَبَدَّلْتُمْ بِأَبْرِ النَّحْلِ ^(٣) أَعْنَةَ الْخَيْلِ . يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَبَدَّلْتُمْ بِقُلُوسِ ^(٤) السَّفَنِ أَعْنَةَ الْخَيْلِ الْخُصْنَ ؛ ^(٥) إِنَّ هَذَا لَبِدْعَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ! وَالْأَعْرَابُ ، وَمَا الْأَعْرَابُ ! لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ! يَا كُنَاسَةَ الْمَصْرِيِّينَ ، جَمَعْتُمْكُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَمَنَابِتِ الْقَلْقَلِ ^(٦) ، تَرْكَبُونَ الْبَقْعَةَ وَالْحُمْرُ فِي جَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ ، حَتَّى إِذَا جَمَعْتُمْكُمْ كَمَا تُجْمَعُ قَنْزَعُ الْخَرِيفِ ^(٧) قُلْتُمْ كَسَيْتَ وَكَسَيْتَ ! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَابْنُ أَبِيهِ ! وَأَخُو أَخِيهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ . إِنَّ حَوَّلَ الصَّلِّيَّانِ الزَّمْزَمَةَ ^(٨) . يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، هَلْ تَدْرُونَ مَنْ وَلِيَّكُمْ ؟ وَلِيَّكُمْ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ . كَأَنِّي بِأَمِيرٍ مَزْجَاءٍ ^(٩) ، وَحَكَمَ قَدْ جَاءَكُمْ فَتَغْلِبَكُمْ عَلَى فَيْئِكُمْ وَأُظْلَالِكُمْ . إِنَّهَا هُنَا نَارًا أَرْمُوهَا أَرْمُكُمْ ، أَرْمُوا غَرْضَكُمْ الْأَقْصَى . قَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ أَبُو نَافِعٍ ذُو الْوَدَّاعَاتِ . إِنَّ الشَّامَ أَبٌ مَسْبُورٌ ، وَإِنَّ الْعِرَاقَ أَبٌ مَكْفُورٌ . حَتَّى مَتَى يَنْبَطِحُ ^(١٠) أَهْلُ الشَّامِ بِأَفْنِيَّتِكُمْ وَظِلَالِ دِيَارِكُمْ يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، أَنْسَبُونِي تَجِدُونِي عِرَاقِي الْأُمِّ ، عِرَاقِي الْأَبِ ، عِرَاقِي الْمَوْلِيدِ ، عِرَاقِي الْهَوَى وَالرَّأْيِ وَالِدِينَ ^(١١) ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ فَمَا تَرَوْنَ مِنَ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ قَدْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الْبِلَادَ ، وَأَمِنْ سُبُلِكُمْ ، فَالظَّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنْ مَرَوْ إِلَى بَلَخَ بِغَيْرِ جَوَازٍ ،

١٢٨٨/٢

- (١) ب : « الجور » . (٢) البيان : « وأما هذا الحى من تميم ، فإنهم كانوا يسمون الغدر كيسان » . (٣) أبر النحل : إصلاحه ، وفي ب : « تأبير » . (٤) القلوس : جمع قلس ؛ وهو جبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرها من قلوس سفن البحر . (٥) الحصن : جمع حصان . (٦) الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَالْقَلْقَلِ ، من منابت البادية . (٧) ط : « قَنْزَعُ » تحريف : والقَنْزَعُ : كل شيء يكون قطعاً متفرقة ؛ ومنه قطع السحاب . (٨) الصلبيان : نبت من أفضل المرعى ، يختل للخيال التي لا تفارق الحى . والزَّمْزَمَةُ ، بمعنى صوت الفرس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب للرجل يخدم لثروته . قال الميداني ١ : ٢٠٦ : « ويروى : « حول الصلبيان الزمزمة » ؛ جمع صليب ، والزمزمة : صوت عابديها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشيء لا يظهر مرامه » . (٩) مزجاء للمطى ، أى كثير الإجزاء لها ، زجاءها وأزجاءها : ساقها . (١٠) س : « ينططح » . (١١) ب : « الرأى والهوى » .

فاحمدوا الله على النعمة ، وسئلوه الشكر والمزيد^(١) .

قال : ثم نزل فدخل منزله ، فأتاه أهل بيته فقالوا : ما رأينا كالיום قط ، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودينارك ، حتى تناولت بركاً وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تمياً وهم إخوتك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك ! . فقال : لما تكلمت فلم يجبني أحدٌ غضبت ، فلم أدري ما قلت ؛ إن أهل العالية كإبل الصدقة قد جمعت من كل أوب ، وأما برك فإنها أمة لا تمنع يد لاميس ، وأما تميم فجمل أجرب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه ، وأما الأزد فأعلاج ، شرار من خلقت الله ، لو ملكت أمرهم لوسمتهم .

قال : فغضب الناس وكبرها وخلع سليمان ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعوه ، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد ، فأتوا حُضَيْن بن المنذر فقالوا : إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا ، ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا ، فما ترى يا أبا حفص ؟ وكان يُكتمنى في الحرب بأبي ساسان ، ويقال : كنسيت أبو محمد - فقال لهم : حُضَيْن : مُضَرُّ بخراسان تعدل هذه الثلاثة الأخماس ؛ وتميم أكثر الخمسين ، وهم فرسان خراسان ، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مُضَر ، فإن أخرجتهم من الأمر أعانوا قتيبة ؛ قالوا : إنه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الأهم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمُضَرِّية ، فأنصرفوا رادين لرأى حُضَيْن ، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوْذان الجَهْضَمِيَّ ، فأبى ، وتدافعوها ، فرجعوا إلى حُضَيْن ، فقالوا : قد تدافعنا الرياسة ، فنحن نوليكم أمرنا ، وريبعة لا تخالفك ، قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ؛ قالوا : ما ترى ؟ قال : إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم ، قالوا : فمن ترى من تميم ؟ قال : ما أرى أحداً غير وكيع ، فقال حيَّان مولى بنى شيبان : إن أحداً لا يتقلد هذا الأمر فيصلي بحره ، ويبذل دمه ، ويتعرض للقتل ، فإن قلد أمير

(١) أورد الجاحظ خطبة قتيبة في ثلاث خطب متفرقة ، في البيان والحد : ١٣٢ - ١٣٥ .

أَخَذَهُ بِمَا جَسَنَى وَكَانَ الْمُهْنَأُ لغيره إِلا هَذَا الْأَعْرَابِيَّ وَكَيْعَ ؛ فَإِنَّهُ مِقْدَامٌ لَا يُبَالِي مَا رَكِبَ ، وَلَا يَسْتَنْظِرُ فِي عَاقِبَةٍ ، وَلَهُ عَشِيرَةٌ كَثِيرَةٌ تَطْلِعُهُ ، وَهُوَ مَوْثُورٌ يَطْلُبُ قَتِيلَةً بِرِيَاستِهِ الَّتِي صَرَفَهَا عَنْهُ وَصَبَّرَهَا لِضِرَارِ بْنِ حُصَيْنَ بْنِ زَيْدِ الْقَوَارِسِ بْنِ حُصَيْنَ بْنِ ضِرَارِ الضَّبِّيِّ . فَشَتَّى النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ سِرًّا ، وَقِيلَ لِقَتِيلَةٍ : لَيْسَ يُفْسِدُ أَمْرَ النَّاسِ إِلا حِيَّانٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَغْتَالَهُ - وَكَانَ حِيَّانٌ يَلَاطِفُ حَشَمَ الْوَلَاةِ فَلَا يُخَفُّونَ عَنْهُ شَيْئًا - قَالَ : فَدَعَا قَتِيلَةً رَجُلًا فَأَمَرَهُ بِقَتْلِ حِيَّانَ ، وَسَمِعَهُ بَعْضُ الْخَدَمِ ، فَأَتَى حِيَّانَ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ ، فَحَذِرَ وَتَعَارَضَ ، وَأَتَى النَّاسَ وَكَيْعًا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهِمْ ؛ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَتَمَثَّلَ قَوْلَ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ :

سَاجِنِي مَا جَنَيْتَ وَإِنْ رُكِنِي لِمُعْتَمِدٍ إِلَى نَصِيدِ رَكِينِ

قَالَ : وَبِخُرَاسَانَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ تِسْعَةَ آلَافٍ ، وَبِكَرِّ سَبْعَةِ آلَافٍ ، رُئِيسُهُمُ الْخُصَيْنُ بْنُ الْمُنْدَرِ ، وَتَعِمُّ عَشْرَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ الضَّبِّيِّ ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْوَانَ عَوْذِي^(١) ، وَالْأَزْدُ عَشْرَةَ آلَافٍ رَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوْذَانَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ جِهْتُهُمْ بْنُ زَحْرٍ - أَوْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ - وَالْمَوَالِي سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ حِيَّانٌ - وَحِيَّانُ يَقَالُ إِنَّهُ مِنْ الدَّيْلَمِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ نَبْطِيٌّ لِلْكُنَّةِ - فَأَرْسَلَ حِيَّانُ إِلَى وَكَيْعَ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَفَفْتُ عَنْكَ وَأَعْنَتُكَ تَجْعَلَ لِي جَانِبَ نَهْرٍ يَبْلُغُ وَخَرَاجَهُ مَا دَمْتُ حَيًّا ، وَمَا دَمْتُ وَالِيًّا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ لِلْعَجَمِ : هَؤُلَاءِ يَفَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ ، فَدَعَوْهُمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَايَعُوا وَكَيْعًا سِرًّا ، فَأَتَى ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ قَتِيلَةً ، فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى وَكَيْعَ ، وَهُمْ يُبَايِعُونَهُ - وَكَانَ وَكَيْعَ يَأْتِي مَنْزَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْفَقِيرِ فَيَشْرَبُ عِنْدَهُ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذَا يَحْسُدُ وَكَيْعًا ، وَهَذَا الْأَمْرُ بَاطِلٌ . هَذَا وَكَيْعَ فِي بَيْتِي يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ وَيَسْلَحُ فِي ثِيَابِهِ ؛ وَهَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُمْ يَبَايِعُونَهُ . قَالَ : وَجَاءَ وَكَيْعَ إِلَى قَتِيلَةٍ فَقَالَ : احْذَرِ ضِرَارًا فَإِنِّي

١٢٩١/٢

لا آمَنَهُ عليك ، فَأَنْزَلَ قُتَيْبَةُ ذَلِكَ مِنْهُمَا عَلَى التَّحَاسُدِ . وَتَمَارَضَ وَكَيْعٌ .
 ثُمَّ إِنَّ قُتَيْبَةَ دَسَّ ضِرَارَ بْنَ سِنَانَ الضَّبِّيَّ إِلَى وَكَيْعٍ فَبَايَعَهُ سِرًّا ، فَتَبَيَّنَ لِقُتَيْبَةَ
 أَنَّ النَّاسَ يَبَايَعُونَهُ ، فَقَالَ لَضِرَارٍ : قَدْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي ، قَالَ : إِنِّي لَمْ أَخْبِرْكَ
 إِلَّا بِعَلْمٍ ، فَأَنْزَلَتْ ذَلِكَ مِنِّي عَلَى الْحَسَدِ ، وَقَدْ قَضَيْتُ الَّذِي كَانَ عَلَىَّ ، قَالَ : ١٢٩٢/٢
 صَدَقْتَ . وَأَرْسَلَ قُتَيْبَةُ إِلَى وَكَيْعٍ يَدْعُوهُ ^(١) فَوَجَدَهُ رَسُولُ قُتَيْبَةَ قَدْ طَلَسَى
 عَلَى رِجْلِهِ مَغْرَةً ، وَعَلَى سَاقِهِ ^(٢) خَرَزًا وَودَعَا ، وَعِنْدَهُ رَجُلَانِ مِنْ
 زَهْرَانَ يَتَرَقِيَانِ رِجْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَجِيبِ الْأَمِيرَ ، قَالَ : قَدْ تَرَى مَا بِيَرَجُلِي ،
 فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى قُتَيْبَةَ فَأَعَادَهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : يَقُولُ لَكَ : ائْتِنِي مُحَمَّدًا عَلَى
 سَرِيرٍ ، قَالَ : لَا أُسْتَطِيعُ . قَالَ قُتَيْبَةُ لَشَرِيكَ بْنِ الصَّامِتِ الْبَاهِلِيِّ أَحَدِ
 بَنِي وَائِلٍ - وَكَانَ عَلَى شَرْطِهِ - وَرَجُلٌ مِنْ غَنِيٍّ انْطَلِقَا إِلَى وَكَيْعٍ فَأَتِيَانِي بِهِ ،
 فَإِنَّ أَبِي فَاضِرًا بِعُنُقِهِ ، وَوَجْهَهُ مَعَهُمَا خِيَلًا ، وَيُقَالُ : كَانَ عَلَى شَرْطِهِ
 بِخُرَاسَانَ وَرَقَاءُ بْنُ نَصْرٍ الْبَاهِلِيُّ .

قَالَ عَلَى : قَالَ أَبُو الذَّيَالِ : قَالَ ثُمَامَةُ بْنُ نَاجِدٍ الْعَدَوِيُّ : أَرْسَلَ قُتَيْبَةُ
 إِلَى وَكَيْعٍ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ ، فَقُلْتُ : أَنَا آتِيكَ بِهِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! فَقَالَ : ائْتِنِي
 بِهِ ، فَأَتَيْتُ وَكَيْعًا - وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ الْخَبَرُ أَنَّ الْخَيْلَ تَأْتِيهِ - فَلَمَّا رَأَى قَالَ :
 يَا ثُمَامَةُ ، نَادِ فِي النَّاسِ ؛ فَنَادَيْتُ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَتَاهُ هُرَيْمُ بْنُ
 أَبِي طَحْمَةَ فِي ثَمَانِيَةِ .

قَالَ : وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدِ الْجَوْزَجَانِيِّ : أَرْسَلَ قُتَيْبَةُ إِلَى وَكَيْعٍ ،
 فَقَالَ هُرَيْمُ : أَنَا آتِيكَ بِهِ ، قَالَ : فَانْطَلِقْ . قَالَ هُرَيْمُ : فَرَكِبْتُ بِرَدَوْنِي
 مَخَافَةَ أَنْ يَرُدَّنِي ، فَأَتَيْتُ وَكَيْعًا وَقَدْ خَرَجَ .

قَالَ : وَقَالَ كَلِيبُ بْنُ خَلْفٍ : أَرْسَلَ قُتَيْبَةُ إِلَى وَكَيْعٍ شُعْبَةَ بْنُ ظَهِيرٍ
 أَحَدِ بَنِي صَخْرٍ بَنِي نَهْشَلٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا بَنَ ظَهِيرِ :
 * لَبِثْتُ قَلِيلًا تَلَحَّقَ الْكَتَائِبُ *

ثُمَّ دَعَا بِسَكِينٍ فَقَطَعَ خَرَزًا كَانَ عَلَى رِجْلِهِ ، ثُمَّ لَبَسَ سِلَاحَهُ ، وَتَمَثَّلَ : ١٢٩٣/٢

شُدُّوا عَلَى سُرَّتِي لَا تَنْقَلِبْ يَوْمَ لَهْمَدَانَ وَيَوْمَ لِلصَّدِفِ

(١ - ١) ب : « فوجده قد طلى رجليه بمغرة وعلق على رأسه » . والمغرة : طين أحمر يصنع به .

وخرج وحده ، ونظر إليه نسوة فقلن : أبو مطرف وحده ؛ فجاء هُريم بن أبي طحمة في ثمانية ، فيهم عميرة البريد بن ربيعة العُجَينِي . قال حمزة بن إبراهيم وغيره : إن وكيعاً خرج فتلَقَّاه رجلٌ ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني أسد ؛ قال : ما اسمك ؟ قال : ضِرْغامَة ؛ قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابن لَيْث ، قال : دونك هذه الراية .

قال المفضل بن محمد الضَّبِّي : ودفع وكيع رايته إلى عتبة بن شهاب المازني ؛ قال : ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا : فخرج وكيع وأمر غلمانَه ، فقال : اذهبوا بشفقلى إلى بني العم ، فقالوا : لا نعرف موضعهم ، قال : انظروا رُمحين مجموعين أحدهما فوق الآخر ، فوقهما مخلدة ، فهم بنو العم . قال : وكان في العسكر منهم خمسمائة ؛ قال : فنادى وكيع في الناس ، فأقبلوا أرسالا من كل وجه ، فأقبل في الناس يقول :

قَرَمٌ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةٌ شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ^(١)
وقال قومٌ : تمثل وكيع حين خرج :

أَنخَنَ بِلُقَمَانَ بْنِ عَادٍ فَجُسِّنَهُ أَرِيْنِي سِلَاحِي لَنْ يَطِيروا بِأَعْزَلِ
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته ، وخواص من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس ابن بَيْسَهَس بن عمرو ، ابن عم قتيبة دُنْيَا ، وعبد الله بن وَاَلان العدوي ، وناس من رهطه ، بنو وائل . وأتاه حيَّان بن إياس العدوي في عشرة ، فيهم عبد العزيز بن الحارث ، قال : وأتاه مَيْسِرَة الجذلي — وكان شجاعاً — فقال : إن شئت أتيتك برأس وكيع ، فقال : قف مكانك . وأمر قتيبة رجلاً ، فقال : ناد في الناس ، أين بنو عامر ؟ فنادى : أين بنو عامر ؟ فقال محض بن جَزء الكلابي — وقد كان جفاهم : حيث وصعتهم ؛ قال : ناد أذكركم الله والرحيم ! فنادى محض : أنت قطعتَها ، قال : ناد لكم العُتْبِي ، فناداه محض أو غيره : لا أقالنا الله إذأ ، فقال قتيبة :

يَا نَفْسُ صَبِرَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانَا

(١) الشراسيف : أطراف أصلاع الصدر التي تشرف على البطن . والحزيم : موضع الحزام

ودعا بعمامة كانت أمته بعثت بها إليه . فاعتم بها ، كان يعتم بها في الشدائد ، ودعا ببرذون له مدرّب ، كان يتطيّر إليه في الرّحوف ، فقرب إليه ليركّبه ، فجعل يقيص حتى أعياه ، فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فقعد عليه وقال : دعوه ، فإنّ هذا أمرٌ يُراد . وجاء حيّان التّبطّي في العجّمْ ، فوقف وقتيبة واجد عليه ، فوقف معه عبدُ الله بنُ مسلم ، فقال عبدُ الله لحيّان : احمل على هذين الطّرفين ، قال : لم بأنّ لذلك ، فغضب عبدُ الله ، وقال : ناولني قوسى ، قال حيّان : ليس هذا يوم قوس ، فأرسل ١٢٩٥/٢ وكيع إلى حيّان : أين ما وعدتني ؟ فقال حيّان لابنه : إذا رأيتني قد حولت قلنسوتي ، ومضيت نحوَ عسكرٍ وكيع ، فإل بمن معلق في العجّمْ إلى . فوقف ابنُ حيّان مع العجّمْ ، فلما حول حيّان قلنسوته مالت الأعمام إلى عسكرٍ وكيع ، فكبر^(١) أصحابه . وبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجلٌ من بني ضبّة يقال له سليمان الزنجيرج - وهو الخرنوب ، ويقال : بل رماه رجل من بلّعثم فأصاب هامته - فحمل إلى قتيبة رأسه مائل ، فوضع في مُصلّاه ، فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة ، ثمّ تحول إلى سريره .

قال : وقال أبو السريّ الأزديّ : رمى صالحاً رجلٌ من بني ضبّة فأثقله ، وطعته زياد بن عبد الرحمن الأزديّ ، من بني شريك بن مالك . قال : وقال أبو مخنف : حمل رجلٌ من غنى على الناس فرأى رجلاً مجففاً فشبهه بجهنم بن زحر بن قيس فطعته ، وقال :

إِنَّ غَنِيًّا أَهْلُ عِزٍّ وَمَصْدَقٍ إِذَا حَارَبُوا وَالنَّاسُ مُفْتَتِنُونَا
فَإِذَا الَّذِي طُعِنَ عُلِجَ . وَتَهَابَجَ النَّاسُ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ
نَحْوَهُمْ ، فرماه أَهْلُ السُّوقِ وَالْعَمَوُغَاءِ ، فمَثَلُوهُ ، وَأَحْرَقَ النَّاسُ مُوضِعًا
كَانَتْ فِيهِ لِمِثْلٍ لِقَتِيْبَةٍ وَدَوَابِّهِ ، وَدَنَوْا مِنْهُ ، فَقَاتَلَ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ مِنْ
بَنِي وَائِلٍ ، فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : ائْتِجْ بِنَفْسِكَ ، فَقَالَ لَهُ : بئس ما جزيتك إذا ،

وقد أطعمتني الجردق^(١) وألبستني النرملق^(٢) !

قال: فدعا قتيبةً بدابته ، فأتى ببرذون فلم يقر لركبه ، فقال: إن له لشأناً ، فلم يركبه . وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسطاط ، فخرج إلياس بن بيتهس وعبد الله بن وآلان حين بلغ الناس الفسطاط وتركوا قتيبة . وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمراً -- أو حمراً -- فلقية الطائي فحذره ، ووجد ابنه فأردقه . قال : وفطين قتيبة للهيم بن المنخل وكان ممن يعين عليه ، فقال :

١٢٩٦/٢

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال: وقيل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ، بنو مسلم . وقيل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار ، استنقذه أحواله . وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة . وقال قوم : قتل عبد الكريم بن مسلم بقرزوين . وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك: قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين ، وقيل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلبهم وكيع ، سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم: قتيبة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفقير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبشار ، ومحمد بنو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلس بن عبد الرحمن ، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو - وكان عامل الجوزجان - وضرار ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ، فجاء أحواله فدفعوه حتى نحتوه ، ففي ذلك يقول الفرزدق :

١٢٩٧/٢

عَشِيَّةَ مَا وَدَّ ابْنُ غَرَّةَ أَنَّهُ لَه مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانِ^(٣)

وضرب إلياس بن عمرو - ابن أخي مسلم بن عمرو - على ترقوته فعاش . قال : ولما غشى القوم الفسطاط قطعوا أطنابه . قال زهير : فقال جهنم ابن زحر لسعد : انزل ، فحز رأسه ، وقد أثخن جراحاً ، فقال : أخاف

(١) الجردق : الرغيف ، بالفارسية . والنرملق : اللين ، وهو فارسي أيضاً . وفي ب : « النرملق » .

(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أَنْ تَحُولَ الْخَيْلُ ، قَالَ : تخاف وأنا إلى جنبك ! فقتل سعد فشق صَوْقَةَ^(١) الفُسطاط ؛ فاحتز رأسه ، فقال حُصَيْنُ بن المنذر :

وَإِنَّ ابْنَ سَعْدٍ وَابْنَ زَحْرٍ تَعَاوَرَا بِسَيْفَيْهِمَا رَأْسَ الْهَمَامِ الْمُتَوَجِّعِ
عَشِيَّةً جِئْنَا بِابْنِ زَحْرٍ وَجِثْمُ بِأَدْعَمَ مَرْقُومِ الذَّرَاعِينَ دَيْرَجِ
أَصَمُّ غُدَانِي كَأَنَّ جَبِينَهُ لَطَاخَةُ نِقْسٍ فِي أَدِيمٍ مُمَجْمَجِ

قال : فلما قتل مسلمةُ يزيد بن المهلب استعمل على خُرَاسَانَ سَعِيدُ بن خُدَيشَةَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص . فحبس عمال يزيد ، وحبس فيهم جِثْمُ بن زَحْرٍ الجُعْفَى ، وعلى عذابه رجلٌ من باهِلَةَ ، فقبل له : هذا قاتلُ قُتَيْبَةَ ، فقتلته في العذاب ، فلامه سعيدٌ ، فقال : أُمِرْتُ أَنْ أُسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْمَالَ فَعَذَّبْتُهُ فَأَتَى عَلَى أَجَلِهِ .

قال : وستعلتُ على قُتَيْبَةَ يومَ قُتِلَ جاريةٌ له بخوارزمية ، فلما قُتِلَ ١٢٩٨/٢ خرجت ، فأخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب ، فهي أمٌ خُلَيْدَةٍ .

قال عليّ : قال حمزة بن إبراهيم وأبى اليتيمطان : لما قُتِلَ قُتَيْبَةُ صَعِدَ نُمارة بن جنية الرياحي المنبر فتكلم فأكثر ، فقال له وكيع : دعنا من قدرك وهذرك ، ثم تكلم وكيع فقال : مثلي ومثلي قُتَيْبَةَ كما قال الأول :

• مِنْ يَنْكِ الْغَيْرَ يَنْكِ نِيَاكَ •

أراد قُتَيْبَةُ أَنْ يَقْتُلَنِي وَأَنَا قَتَلَهُ .

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غُلُوتَيْنِ رَمَى الْمِثْنِ
حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبُّونِي خَلُّوا عِنَانِي وَتَنَكَّبُونِي
أَنَا أَبُو مَطْرَفٍ .

قال : وأخبرنا أبو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال : قال وكيع يوم قُتِلَ قُتَيْبَةَ :

(١) صَوْقَةُ الفُسطاط ، أى أعلاه .

أَنَا ابْنُ خِنْذِفَ تَنْمِينِي قَبَائِلُهَا لِلصَّالِحَاتِ وَعَمِّي قَيْسُ عَيْلَانَا
ثُمَّ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ثُمَّ قَالَ :

شَيْخُ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ

وَاللَّهُ لَا قَتْلَانَ ، ثُمَّ لَا قَتْلَانَ ، وَلَا ضَلْبَنَ ، ثُمَّ لَا ضَلْبَنَ ؛ إِنِّي وَالْغُ دَمًا ، إِنْ
مَرَّزُبَانَكُمْ هَذَا ابْنُ الزَّانِيَةِ قَدْ أَغْلَى عَلَيْكُمْ أَسْعَارَكُمْ ، وَاللَّهُ لِيَصِيرَنَّ الْقَفِيزُ
فِي السُّوقِ غَدًا بِأَرْبَعَةٍ أَوْ لِأَصْلَبَنِهِ ، صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ . ثُمَّ نَزَلَ .

قَالَ عَلِيٌّ : وَأَخْبَرَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَشَيْخٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ، وَمُسْلِمَةُ بْنُ
مُحَارِبٍ . قَالُوا : طَلَبَ وَكَيْعَ رَأْسِ قَتَيْبَةَ وَخَاتَمَتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ الْأَزْدُ أَخَذَتْهُ ،
فَخَرَجَ وَكَيْعٌ وَهُوَ يَقُولُ : دُهُ دُرَيْنَ ، سَعْدُ الْقَتَيْنِ :

فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفِرَّ أَيُّومَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِّرَ
لَا خَيْرَ فِي أَحْزَمِ جِيَادِ الْقَرَعِ فِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ أَرِغْ وَلَمْ أَرِغْ

وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا أَبْرَحَ حَتَّى أَوْتِيَ بِالرَّأْسِ ، أَوْ يُدْهَبَ بِرَأْسِي
مَعَ رَأْسِ قَتَيْبَةَ . وَجَاءَ بِخَشَبٍ فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ الْخَلِيلُ لَا بَدْءَ لَهَا مِنْ فُرْسَانٍ -
يَتَهَدَّدُ بِالصَّلْبِ - فَقَالَ لَهُ حُضَيْنٌ : يَا أَبَا مَطْرَفَ ، تَوَفَّى بِهِ فَاسْكُنْ . وَأَتَى
حُضَيْنُ الْأَزْدَ فَقَالَ : أَحْمَقَتِي أَنْتُمْ ! بَايَعْتَانَهُ وَأَعْطَيْتَانَهُ الْمَقَادَةَ ، وَعَرَضَ
نَفْسَهُ ، ثُمَّ تَأْخُذُونَ الرَّأْسَ ! أَخْرَجُوهُ لَعَنَهُ اللَّهُ مِنْ رَأْسٍ ! فَجَاءُوا بِالرَّأْسِ
فَقَالُوا : يَا أَبَا مَطْرَفَ . إِنْ هَذَا هُوَ احْتَزَّهُ . فَاشْكُمُهُ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَبَعَثَ بِالرَّأْسِ مَعَ سَلِيطَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَنْظَلِيِّ وَرِجَالٍ
مِنَ الْقَبَائِلِ وَعَلَيْهِمْ سَلِيطٌ ، وَلَمْ يَبْعَثْ مِنْ بَنِي تَيْمٍ أَحَدًا .

قَالَ : قَالَ أَبُو الذَّيَّالِ : كَانَ فَيَدُنْ ذَهَبَ بِالرَّأْسِ أَنْتَيْفَ بْنُ حَسَانَ أَحَدِ
بَنِي عَدَى .

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ : وَفَى وَكَيْعَ لِحْيَانَ النَّبْطِيِّ بِمَا كَانَ أَعْطَاهُ . قَالَ :
قَالَ خُرَيْمُ بْنُ أَبِي يَحْيَى ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ قَيْسٍ ، قَالُوا : قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْهَيْدِلِ

ابن زُفَر حين وُضِعَ رأسُ قتيبة ورعوسُ أهل بيته بين يديه : هل ساءك هذا يا هُذَيْل ؟ قال : لو ساءني ساء قومًا كثيرًا ؛ فكلّمه خُرَيْم بن عمرو والقَعَنَاع ابن خُلَيْد ، فقال : ائذّن في دَفْنِ رعوسهم ، قال : نعم ، وما أردت هذا كله .

قال عليّ : قال أبو عبد الله السلمي ، عن يزيد بن سُويّد ، قال : قال رجلٌ من عَجَمِ أهلِ خُرَاسان : يا معشر العَرَب ، قَتَلْتُم قتيبةَ ، والله لو كان قتيبةُ منّا فأتَ فينا بجعلناه في تابوت فكُنّا نستفتح به إذا غَزَوْنَا ، وما صنع أحد قطّ بخُرَاسانَ ما صنع قتيبة ، إلا أنه قد غَدَرَ ، وذلك أنّ الحجاج كتب إليه أن يختلهم واقتلهم في الله .

قال : وقال الحسن بن رُشيد : قال الإصْبَهَيْدِي لرجُلٍ : يا معشر العَرَب ، قَتَلْتُم قتيبةَ ويزيدَ وهما سيّدَا العرب ! قال : فأَيُّهما كان أعظم عندكم وأهْيَب ؟ قال : لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جُحُرٍ به في الأرض مكبلاً بالحديد ، ويزيد معنا في بلادنا وال علينا لكان قتيبةُ أهْيَب في صدورنا وأعظم من يزيد .

قال عليّ : قال المفضل بن محمد الضبيّ : جاء رجل إلى قتيبةَ يوم قُتِل وهو جالس ، فقال : اليوم يُقْتَل ملك العَرَب - وكان قتيبةُ عندهم مَلِكُ العرب - فقال له : اجلس .

قال : وقال كَلْبِيب بن خَلَسَف : حدثني رجل ممن كان مع وكيع حين قُتِل قتيبة ، قال : أمر وكيعُ رجلًا فنادى : لا يُسَلِّبن قَتِيل ، فمَرَّ ابنُ عبيد الهَجَرِيّ على أبي الحجر الباهليّ فسَلَّبه ، فبَلَغَ وكيعاً فضرَبَ عنقه .

قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عمر ، من تَسِم اللات : رَكِيب وكيع ذاتَ يوم ، فَأَتَوْهُ بسكرانٍ ، فَأمر به فقتل ، فقيل له : ليس عليه القَتْل ، إنما عليه الحَدّ ، قال : لا أعاقِب بالسياط ، ولكنّي أعاقِب بالسيف ، فقال نهار بن تَوْسِيعَة :

وَكُنَّا نُبَكِّي مِنَ الْبَاهِلِيِّ فِهَذَا الْغُدَانِي شَرُّ وَشَرُّ

وقال أيضاً :

ولما رأينا الباهليّ ابنَ مسلمٍ
وقال الفرزدق يذكُر وقعةَ وكيع :

ومنا الذي سلّ السيوفَ وشامها
عشية لم تمنعَ بنيتها قبيلة
عشية ما ودَّ ابنُ غراء أنه
عشية لم تسترَ هوازنُ عامر
عشية ودَّ الناسُ أنهم لنا
رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التقت
رجال على الإسلام إذ ما تجالدوا
وحتى دعا في سور كلِّ مدينة
سبجزي وكيعا بالجماعة إذ دعا
جزاء بأعمال الرجال كما جرى
وقال الفرزدق في ذلك أيضاً :

١٣٠٢/٢

أتاني ورَحلي بالمدينة وقعة
وقال عليّ : أخبرنا خُريم بن أبي يحيى ، عن بعض عمومته قال : أخبرني
شيوخ من غسان قالوا : إنا لبنيّة العُقاب إذ نحن برجل شبه الفُيُوج (٢) مع
عصاً وجراب ، قلنا : من أين أقبلت ؟ قال : من خُرَاسان ؛ قلنا : فهل
كان بها من خبر ؟ قال : نعم ، قُتل قتيبةُ بن مسلم أمّس ، فتعجبنا
لقوله ، فلما رأى إنكارنا ذلك قال : أين ترونّتي الليلة من إفريقية ؟ ومضى
واتبعناه على خيولنا ، فإذا شيء يسبق الطُرف . وقال الطرمّاح :

لولا فوارس مذحج ابنة مذحج
والأزد زعزع واستبيح العسكر

(١) ديوانه ٨٧٢ .

(٢) ديوانه ٨٢٣ .

(٣) الفيح : جمع فيح وهو ريد السلطان .

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ وَلَمْ يَكُوبْ
وَاسْتَضْلَعَتْ عُقَدُ الْجَمَاعَةِ وَازْدَرَى
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا قُتَيْبَةَ عَنُوءَ
بِالْمَرْجِ مَرْجَ الصَّبِينِ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ
إِذْ حَالَفَتْ جَزَعًا رُبِيعَةً كُلَّهَا
وَتَقَدَّمَتْ أَزْدُ الْعِرَاقِ وَمَذْحِجُ
قَحْطَانُ تَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ مَذْجٍ
وَالْأَزْدُ تَعْلَمُ أَنَّ تَحْتَ لَوَائِهَا
فِيْعِزَّنَا نُصِرَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ جُمَانَةَ الْبَاهِلِيُّ :

مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مُخْبِرٌ
أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَاسْتَحِيلَ الْمَنْكَرُ
وَالْخَيْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا الْعِثِيرُ
مُضَرُّ الْعِرَاقِ مِنَ الْأَعْزُ الْأَكْبَرُ !
وَتَفَرَّقَتْ مُضَرُّ وَمَنْ يَتَمَضَّرُ
لِلْمَوْتِ يَجْمَعُهَا أَبُوهَا الْأَكْبَرُ
تَحْمِي بِصَائِرُهَا إِذْ لَا تَبْصُرُ
مُلْكًا قُرَاسِيَّةً وَمَوْتَ أَحْمَرُ
وَبْنَا تَثَبَّتْ فِي دِمَشْقَ الْمَنْبَرُ

١٣٠٢/٢

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ لَمْ يَسِرْ
وَلَمْ تَخْفِقِ الرَّايَاتُ وَالْقَوْمُ حَوْلَهُ
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ
فَمَا رُزِيَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
- بِعْنَى أُمَّ وَلَدِهِ .

بِجَيْشٍ إِلَى جَيْشٍ وَلَمْ يَعْلُ مِنْبَرًا
وَقَوْفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرًا
وَرَاحَ إِلَى الْجَنَاتِ عَفَا مُطَهَّرًا
بِمَثَلِ أَبِي حَفْصٍ فَبَكَيَهُ عَبْهَرًا

وَقَالَ الْأَصَمُ بْنُ الْحُجَّاجِ بِرُثْيَى قُتَيْبَةَ :

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا
نَقُودُ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَذْحِجًا
نَقْتُلُ مَنْ شَنَّا بَعِزَّةَ مُلْكِنَا
سُلَيْمَانَ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَتْ لَكُمْ
وَكَمْ مِنْ حَصُونٍ قَدْ أَبْحَنَّا مَنِيعَهُ
وَمِنْ بِلَدَةٍ لَمْ يَغْزُهَا النَّاسُ قَبْلَنَا

بَلَى نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَأَزْدَ وَعَبْدَ الْقَيْنِيسِ وَالْحَيَّ مِنْ بَكْرِ
وَنَجِيرُ مَنْ شَنَّا عَلَى الْخُسْفِ وَالْقَسْرِ
أَسْتَنْنَا وَالْمُقَرَّبَاتُ بَنَا تَجْرَى
وَمِنْ بِلَدٍ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ
غَزَوْنَا نَقُودُ الْخَيْلِ شَهْرًا إِلَى شَهْرٍ

١٣٠٤/٢

مرَّ عَلَى الْغَزْوِ الْجُرُورِ وَوُقِرَتْ
وَحَتَّى لَوْ أَنَّ النَّارَ شُبَّتْ وَأَكْرِهَتْ
تَلَاعِبُ أَطْرَافِ الْأَيْسَةِ وَالْقَنَاسِ
بِهِنَّ أَبْخَنَّا أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ
وَلَوْ لَمْ تُعْجَلْنَا الْمَنَايَا لَجَاوَزَتْ
وَلَكِنَّ آجَالًا قُضِينَ وَمُدَّةً
عَلَى النَّفْرِ حَتَّى مَا تُهَالُ مِنَ النَّفْرِ
عَلَى النَّارِ خَاضَتْ فِي الْوَعْيِ لَهَبَ الْجَمْرِ
بَلْبَاتِيهَا وَالْمَوْتَ فِي لَجَجِ خَضِرٍ
مِنَ الشُّرَكَ حَتَّى جَاوَزَتْ مَطْلِعَ الْفَجْرِ
بِنَارِ دَمِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَا الصَّخْرِ وَالْقَطْرِ
تَنَاهَى إِلَيْهَا الطَّيْبُونَ بَنُو عَمْرِو

وفي هذه السنة عزَّلَ سليمانُ بنُ عبد الملك خالداً بنَ عبد الله القسريَّ
عن مكة ، وولَّاهَا طَلْحَةَ بنَ داودَ الحضرميَّ . ١٣٠٥/٢

وفيها غزا مَسْلَمَةُ بن عبد الملك أرضَ الرُّومِ الصائفةَ ، ففتح حصناً
يقال له حِصْنُ عَوْفٍ .

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ قُرَّةُ بن شريك العبَّسيّ وهو أميرُ مصرَ في صفرَ في
قول بعض أهل السَّيَرِ .

وقال بعضهم : كان هلاكُ قُرَّةَ في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين
في الشهر الذي هلك فيه الحجاج .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ ،
كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمَّنْ ذَكَرَهُ ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان الأميرُ على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن
حزْمَ ، وعلى مكة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حَرْبِ
العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن .
وعلى البصرة سُفْيَانُ بنُ عبد الله الكِنْدِيُّ مِنْ قِبَلِ يزيد بن المهلب ، وعلى
قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ،
وعلى حَرْبِ خُرَّاسَانَ وكيعُ بن أبي سُود .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ١٣٠٦/٢ واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصن المرأة . وفيها غزا - فيما ذكر الواقدي - مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا عمر^(١) بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم ، فشتا بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس ، وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد الفهري .

[ولاية يزيد بن المهلب على خراسان]

وفيها ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

* ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه ولي يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة ونحراجها .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد نظر لما ولّاه سليمان ما ولّاه من أمر العراق في أمر نفسه ، فقال : إن العراق قد أنحربها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ؛ ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعدّتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ، ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني . فأقضى يزيد سليمان فقال : أدلك على رجل بصير بالخراج توليه إياه ، فتكون أنت تأخذه به ؟ صالح بن عبد الرحمن ، مولى بني تميم . ١٣٠٧/٢ فقال له : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق .

(١) ط : « عمرو » ، تحريف .

وحدثني عمرُ بنُ شُبّة، قال : قال عليّ : كان صالح قدّم العراق قبل قدوم يزيد ، فنزل واسطاً . قال عليّ : فقال عباد بن أيوب : لما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ، فقبل لصالح : هذا يزيد ، وقد خرج الناس يتلقونه ، فلم يخرج حتى قُرب يزيد من المدينة ، فخرج صالح ، عليه دُرّاعة ودبوسية صفراء صغيرة ، بين يديه أربع مائة من أهل الشام ، فلقى يزيد فسايرته ، فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرغت لك هذه الدار - فأشار له إلى دار - فنزل يزيد ، ومضى صالح إلى منزله . قال : وصيقت صالح على يزيد فلم يملكه شيئاً ، واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها ، فأخذها صالح ، فقال له يزيد : اكتب ثمنها عليّ ، واشترى متاعاً كثيراً ، وصكّ صيكاكاً إلى صالح لباعتيها ^(١) منه ، فلم ينفذه ، فرجعوا إلى يزيد ، فغضب وقال : هذا عملي بنفسى ، فلم يلبث أن جاء صالح ، فأوسع له يزيد ، فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصّكاك ؟ الخراج لا يقوم لها ، قد أنفذت لك منذ أيام صكاً بمائة ألف ، وعسجت لك أرزاقك ، وأسالت مالا للجند ، فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يرضى أمير المؤمنين به ، ويتخذ به ! فقال له يزيد : يا أبا الوليد ، أجز هذه الصّكاك هذه المرة ، وضاحكته . قال : فإني أجزها ، فلا تكثرن عليّ ، قال : لا ^(٢) .

١٣٠٨/٢

قال عليّ بن محمد : حدثنا مسلمة بن محارب وأبو العلاء التيمي والطنيل بن مرداس العمى وأبو حفص الأزدي عن حدث عن جدهم ابن زحر بن قيس ، والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير ، وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني ، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان ابن عمرو بن محصن الأزدي وزهير بن هنيد وغيرهم - وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض ، فالتفت ذلك - أن سليمان بن عبد الملك ولى يزيد ابن المهلب العراق ولم يولّه خراسان ، فقال سليمان بن عبد الملك لبيد الملك ابن المهلب وهو بالشام ويزيد بالعراق : كيف أنت يا عبد الملك إن وليتك خراسان ؟ قال : يحيدني أمير المؤمنين حيث يحب ، ثم أعرض سليمان عن

(١) ابن خلكان : «البيتاعها» . (٢) الخبر في ابن خلكان ٢ : ٢٧١ ، نقله عن الطبري .

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جرير بن يزيد الجتهضمي وإلى رجال من خاصته : إنَّ أميرَ المؤمنين عَرَضَ على ولاية خُرَّاسانَ . فبلغ الخبرُ يزيدَ بنَ المهلب ، وقد ضَجِرَ بالعراق ، وقد ضَيَّقَ عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يصل معه إلى شيء ، فدعا عبد الله بن الأَهم ، فقال : إني أريدك لأمر قد أهُمَّنِي ، فأحبَّ أن تكفيني به ، قال : مُرَّنِي بِمَا أَحْبَبْتَ ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجرتني ذلك ، وخُرَّاسان شاغرةٌ بـرجلها ، وقد بَلَغَنِي أنَّ أميرَ المؤمنين ذكَّرَها لـبـدِ المَلِكِ بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرَّحْنِي ^(١) إلى أميرِ المؤمنين ، فإني أرجو أن آتيك بعَهْدِكَ عليها ، قال : فاکم ما أخبرتُك به . وكتب إلى سليمانَ كتابَين : أحدهما يذكِّرُ له فيه أمرَ العراق ، وأثنى فيه على ابن الأَهم وذكَّرَ له علمه بها ، ووجهَ ابن الأَهم وحمله على البَريد ، وأعطاه ثلاثين ألفاً . فسار سبعةً ، فمَقَدِّم بكتاب يزيدَ على سليمان ، فدخل عليه وهو يتغذى ، فجلس ناحيةً ، فأَتَيْتَ بدَجَاجَتَيْن فأَكَلَتَهُمَا .

قال : فدخل ابنُ الأَهم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرُ هذا تعوِّد ^(٢) إليه . ثمَّ دعا به بعدَ ثلاثة ، فقال له سليمان : إنَّ يزيدَ بنَ المهلب كتب إلى يذكِّرُ علمك بالعراق وبخُرَّاسان ، ويُسْنِي عليك ، فكيف علمكُ بها ؟ قال : أنا أعلمُ الناسَ بها ؛ بها وُلِدْتُ ، وبهانشأتُ ، فلي بها وبأصلها خبر وعلمي . قال : ما أحوَجَ أميرَ المؤمنين إلى مثلك يسأوره في أمرها ! فأشَرَّ على رَجُلٍ أولَّيَّه خُرَّاسان ؛ قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ بمن يريد يولي ، فإن ذكرَ منهم أحداً أخبرته برأى فيه ، هل يصلحُ لها أو لا ؛ قال : فسَمِّي سليمانُ رجلاً من قريش ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين ، ليس من رجال خُرَّاسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عددَ رجالاً ، فكان في آخرِ مَنْ ذَكَرَ وكيع بن أبي سُود ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، وكيعٌ رجلٌ شجاعٌ صارمٌ بشَّيس ^(٣) مِقْدَام ، وليس بصاحبها ^(٤) مع هذا ، إنه لم

(١) ب : « ترحني » . (٢) ابن خلكان : « نعوذ » .

(٣) ب : « رئيس » . والبشيس : الشديد . (٤) ب : « لصاحبها » .

يَقْدُ ثَلَاثَةَ قَطْعَ فَرَأَى^(١) لِأَحَدٍ عَلَيْهِ طَاعَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ وَيَحْكُ ، فَن لَهَا !
 قَالَ : رَجُلٌ أَعْلَمَهُ لَمْ تُسَمِّهِ^(٢) ، قَالَ : فَن هُو ؟ قَالَ لَا أَبُوح بِاسْمِهِ إِلَّا
 أَنْ يَتَضَمَّنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَتَرَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يُجِيرَنِي مِنْهُ إِنَّ عِلْمَ ؛ قَالَ :
 نَعَمْ ، سَمِعَهُ مَنْ هُو ؟ قَالَ : يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ؛ قَالَ : ذَاكَ بِالْعِرَاقِ ، وَالْمَقَامُ
 بِهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَقَامِ بِخُرَّاسَانَ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ
 تُكْرِهُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَسْتَخْلِفُ عَلَى الْعِرَاقِ رَجُلًا وَيَسِيرُ ؛ قَالَ : أَصَبْتَ
 الرَّأْيَ . فَكَتَبَ عَهْدَ يَزِيدَ عَلَى خُرَّاسَانَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا : إِنَّ ابْنَ
 الْأَهَمِّ كَمَا ذَكَرْتَ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ وَرَأْيِهِ . وَدَفَعَ الْكِتَابَ وَعَهْدَ يَزِيدَ إِلَى
 ابْنِ الْأَهَمِّ ، فَسَارَ سَبْعًا ، فَقَدِمَ عَلَى يَزِيدَ فَقَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ :
 فَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ ! أَعِنْدَكَ خَيْرٌ ؟ فَأَعْطَاهُ الْعَهْدَ ، فَأَمَرَ
 يَزِيدُ بِالْجِهَازِ لِلْمَسِيرِ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَدَعَا ابْنَهُ مَخْلَدًا فَقَدَّمَهُ إِلَى خُرَّاسَانَ . قَالَ :
 فَسَارَ مِنْ يَوْمِهِ ، ثُمَّ سَارَ يَزِيدُ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى وَاسِطَةِ الْجَرَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْحَكَمِيِّ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَلَالِ الْكَلَابِيِّ ، وَصَيَّرَ مَرْوَانَ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى أَمْوَالِهِ وَأُمُورِهِ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ أَوْثَقَ إِخْوَتِهِ عِنْدَهُ ، وَلِمَرْوَانَ
 يَقُولُ أَبُو الْبَهَاءِ الْإِيَادِيُّ :

رَأَيْتُ أَبَا قَبِيصَةَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْعَلَاتِ أَكْرَمَهُمْ طِبَاعًا
 إِذَا مَا هُمْ أَبَوًا أَنْ يَسْتَطِيعُوا جَسِيمَ الْأَمْرِ بِحِمْلِ مَا اسْتَطَاعَا
 وَإِنْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ بِأَمْرِ فَضَلَتْهُمْ بِذَاكَ نَدَى وَبَاعَا

١٣١١/٢

* * *

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ : حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ أَنَّ
 وَكَيْعَ بْنَ أَبِي سُودٍ بَعَثَ بِطَاعَتِهِ وَبِرَأْسِ قُتَيْبَةَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنْ
 سُلَيْمَانَ كُلِّ مَوْقِعٍ ، فَجَعَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَهَمِّ مَائَةَ أَلْفٍ
 عَلَى أَنْ يَنْقُرُ^(٣) وَكَيْعًا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ

(١) ب : « وَلَا رَأَى » . (٢) ب : « لَمْ يَسْمَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

(٣) ب : « يَنْقُرُ » ، س : « يَبْقُرُ » وَيُقَالُ : نَقَرَ الرَّجُلُ يَنْقُرُهُ ، أَيَّ عَابَهُ وَوَقَعَ فِيهِ .

أوجب شكرًا، ولا أعظم عندى يداً من وكيع ، لقد أدرك بشأرى ، وشفانى من عدوى ، ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب على حقاً ، وإن النصيحة تلزمنى لأمر المؤمنين ؛ إن وكيعاً لم يجتمع له مائة عتاة قط إلا حدث نفسه بغدرة ؛ خامل فى الجماعة ، نابه فى الفتنة ، فقال : ما هو إذاً ممن نستعين به - وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع - فاستعمل سليمان يزيد ابن المهلب على حرب العراق ، وأمره إن أقامت قيس البيعة أن قتيبة لم يخلع فينزع يداً من طاعة ، أن يُفقد وكيعاً به . فعذر يزيد ، فلم يعط عبد الله ابن الأهم ما كان ضمن له ، ووجه ابنه مخلد بن يزيد إلى وكيع .

* * *

رجع الحديث إلى حديث على . قال على : أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محسن ، وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني ، قال : وجه يزيد ابنه مخلداً إلى خراسان فقدم مخلد عمرو بن عبد الله بن سنان ١٣١٢/٢ العتسكي ، ثم الصنابحي^(١) ، حين دنوا من مرو ، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن القتي ، فأبى ، فأرسل إليه عمرو ، يا أعرابي أحمق جلفاً جافياً ، انطلق إلى أميرك فتلقه . وخرج وجوه من أهل مرو يتلقون مخلداً ، وثاقل وكيع عن الخروج ، فأخرجته عمرو الأزدي ، فلما بلغوا مخلداً نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدي وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة ، فأنزلوهم ، فلما قدم مرو حبس وكيعاً فعذبه ، وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه .

قال على عن كليب بن خلف ، قال : أخبرنا إدريس بن حنظلة ، قال : لما قدم مخلد خراسان حبسنى ، فجاءني ابن الأهم فقال لي : أتريد أن تسجوا ؟ قلت : نعم ، قال : أخرج الكتب التي كتبها القعقاع بن خليد العبسي وخريم بن عمرو المري إلى قتيبة في خلع سليمان ، فقلت له : يا ابن الأهم ،

لِيَأَيَّ تَخْدَعُ عَن دِينِي ! قَالَ : فِدَعَا بِطُومَارٍ وَقَالَ : إِنَّكَ أَحْمَقُ . فَكَتَبَ
كَتُبًا عَن لِسَانِ الْقَعْقَاعِ وَرِجَالٍ مِّن قَيْسٍ إِلَى قُتَيْبَةَ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ
عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ مَاتَ ، وَسُلَيْمَانُ بَاعَثَ هَذَا الْمَرْؤُونَ عَلَى خُرَّاسَانَ فَاخْلَعَهُ .
فَقُلْتُ : يَا بَنَ الْأَهَمِّ ، تَهْلِكُ وَاللَّهِ نَفْسَكَ ! وَاللَّهِ لَن دَخَلْتُ عَلَيْهِ لِأَعْلَمَنَّهُ
أَنَّكَ كَتَبْتَهَا .

* * *

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ شَخَّصَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى خُرَّاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ،
فَذَكَرَ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَن أَبِي السَّرِيِّ الْمُرُوزِيِّ الْأَزْدِيَّ ، عَن عَمِّهِ ، قَالَ : وَلِيَ وَكَيْعَ
خُرَّاسَانَ بَعْدَ قَتْلِ قُتَيْبَةَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ . وَقَدِمَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ . ١٢١٢/٢

قَالَ عَلَى : فَذَكَرَ الْمَفْضِلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَن أَبِيهِ ، قَالَ : أَدْنَى يَزِيدُ أَهْلَ
الشَّامِ وَقَوْمًا مِّنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِيعَةَ :

وَمَا كُنَّا نُوْمَلُّ مِنْ أَمِيرٍ كَمَا كُنَّا نُوْمَلُّ مِنْ يَزِيدٍ
فَأَخْطَأَ ظَنَّنَا فِيهِ وَقْدَمًا زَهْدُنَا فِي مَعَاشِرَةِ الزَّهِيدِ
إِذَا لَمْ يُعْطِنَا نَصْفًا أَمِيرُ مَشِينَا نَحْوَهُ مِثْلَ الْأُسُودِ
فَمَهْلًا يَا يَزِيدُ أَنْيَبُ إِلَيْنَا وَدَعْنَا مِنْ مَعَاشِرَةِ الْعَبِيدِ
نَجِيءُ فَلَا نَرَى إِلَّا صُدُودًا عَلَى أَنَا نُسَلِّمُ مِنْ بَعِيدِ
وَنَرْجِعُ خَائِبِينَ بِلَا نَوَالٍ فَمَا بَالُ التَّجَهُُّمِ وَالصُّدُودِ !

قَالَ عَلَى : أَخْبَرَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَن غَالِبِ الْقَطَّانِ ، قَالَ : رَأَيْتُ
عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا بِعَرَافَاتٍ فِي خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ ، وَقَدْ حَجَّ سُلَيْمَانُ عَامِنْدَ
وَهُوَ يَقُولُ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ : الْعَجَبُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى أَفْضَلِ ثَغَرٍ لِلْمُسْلِمِينَ ! فَقَدْ بَلَغَنِي عَمَّنْ يَقْدَمُ مِنَ التَّجَارِ
مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ أَنَّهُ يُعْطَى الْجَارِيَةَ مِنْ جَوَارِيهِ مِثْلَ سَهْمِ أَلْفِ رَجُلٍ . أَمَّا وَاللَّهِ

ما الله أراد بولايته - فعرفت أنه يعنى يزيد والجهنية - فقلت: يشكر بلاءهم أيام الأزارقة .

قال : ووَصَلَ يزيدُ عبدَ الملك بنِ سلام السَّلُولِيَّ فقال :

ما زال سيبك يا يزيدُ بحوبتي حتى آرتويتُ وجودكم لا يُنكرُ
أنتَ الربيعُ إذا تكونَ خصاصةً عاش السقيم به وعاش المُقْتِرُ
عمت سحابتهُ جميعَ بلادكم فرووا وأغدقهم سحابُ مُمطرٍ ١٣١٤/٢
فسفأك ربك حيثُ كنتَ مخيلةً ريًا سحائبها تروحُ وتُبكرُ (١)

• • •

وفي هذه السنة حجَّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وفيهما عزَّل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحَضْرَمِيَّ عن مكة ، قال الواقدي : حدثني إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، قال : لما صدرَ سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجِّ عزَّل طلحةَ بن داودَ الحَضْرَمِيَّ عن مكة ، وكان عمَلُهُ عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وكانت عُثمَالُ الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان ، فإن عاملها على الحرب والحراج والصلاة يزيدُ بنُ المهلب .

وكان خليفته على الكوفة - فيما قيل - حرَّملة بن عُمر اللّخْمِيَّ أشهراً ، ثم عزَّله وولَّاه بشير بن حسان النّهْدِيَّ .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القُسْطَنْطِينِيَّة ، وأمره أن يقيمَ عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشَتَّابُهَا وصاف . فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى ، قال : لما دنا مسلمة من قُسْطَنْطِينِيَّة أمر كل فارس أن يحمل على عَجْز فرسه مُدَّيْن ^(١) من طعام حتى يأتي به القُسْطَنْطِينِيَّة ، فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً . أغبروا في أرضهم ، وازدروا ^(٢) . وعمل بيوتاً من خشب ، فشَتَّابُهَا ، ورَعَ الناس ، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يَكْنُ شَيْء ، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ، فأقام مسلمة بالقُسْطَنْطِينِيَّة قاهراً لأهلها ، معه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان . وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي ، ومجاهد بن جبر ، حتى أتاه موت سليمان فقال القائل :

• تحمِل مُدَّيَّيْهَا ومُدَّيَّيْ مُسْلَمَة •

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : لما ولي سليمان غزاً الروم فنزل دابق ، وقدّم مسلمة فهاجبه الروم ، فشخص إليّون من أرمينية ، فقال لمسلمة : ابعث إلى رجلا يكلمني ، فبعث ابن هُبيرة ، فقال له ابن هُبيرة : ما تعدّون الأحمق فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده . فقال له ابن هُبيرة : إننا أصحاب دين ، ومن ديننا طاعة

(١) المدى : مكيال ضخم لأهل الشام ومصر .

(٢) ازدروا ، أى اتخذوا لأنفسكم زرعاً لكم ، وفي ب : « وازدروا » .

أمرائنا ؛ قال : صدقت ، كنا وأنتم نُقاتِل على الدين ونَغْضَب له ، فأما اليومَ فلما نُقاتِل على الغلبة والمُلْك ، نُعطيك عن كلِّ رأس ديناراً . ١٣١٦/٢
فرجع ابنُ هُبيرة إلى الروم من غده ، وقال : أبى أن يَرْضَى ، أتيتُه وقد تغدَّى وملأ بطنه ونام ، فانتبَه وقد غَلَب عليه البلم ، فلم يدرِ ما قلتُ .
وقالت البطارقة لإليون : إن صرفت عنا مَسَلَمَة مَلِكناك . فوثَّقوا له ، فأتى مَسَلَمَة فقال : قد علِم القومُ أنك لا تصدقهم القتال ، وأنتك تطاولهم ما دام الطعام عندك ، ولو أحرقت الطعامَ أعطوا بأيديهم ، فأحرقه ، فقوى العدو ، وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمانُ بنُ عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عَهْداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية .

قال : وهلك ملك الروم ، فأتاه إليون فأخبره ، وضمن له أن يَدْفَع إليه أرضَ الروم ، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها ، وجمع كلَّ طعام حولها وحصر أهلها ^(١) وأتاهم إليون فملكوه ^(٢) ، فكتب إلى مَسَلَمَة يخبره بالذي كان ، ويسأله أن يُدخل من الطعام ما يعيش به القوم ، ويصدقونه بأن أمره وأمر مَسَلَمَة واحد ، وأنهم في أمان من السبأ والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلةً في حمل الطعام ، وقد هبَّ إليون السفن والرجال ، فأذن له ، فما بقى في تلك الحظائر إلا ما لا يُذكر ؛ حمل في ليلة ، وأصبح إليون محارباً ، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعيبَ بها ، فلقى الجند ما لم يَلتَقَ جيشٌ ، حتى إن كان الرجلُ ليخافُ أن يخرج من العسكر وحده ، وأكلوا اللدَّ وأبواب الجلود وأصولَ الشجر والورق ، وكلَّ شيء غير التراب ، ١٣١٧/٢
وسليمان مقيمٌ بدابق ، ونزل الشتاء فلم يقدرُ يمدِّهم حتى هلك سليمان .

* * *

[مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد]

وفي هذه السنة بايع سليمانُ بنُ عبد الملك لابنه أيوبَ بن سليمان وجعلته وليَّ عهده ، فحدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمد ، قال : كان عبدُ الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة ولروان بن عبد الملك

من بعده ، قال : فحدثني طارقُ بنُ البارك ، قال : مات مروانُ بنُ عبد الملك في خلافة سليمانَ منصرفه من مكة ، فباع سليمان حين مات مروانُ لأيوبَ ، وأمسك عن يزيدَ وربص به ، ورَجَا أن يهلك ، فهلك أَيْوُب وهو وليّ عهده .

“ “ “

وفي هذه السنة نُتحت مدينة الصّقالية ، قال محمد بنُ عمر : أغارت بُرجان في سنة ثمانٍ مئتين على مَسَلَسَة بن عبد الملك وهو في قِلَة من الناس ، فأمدّه سليمانُ بنُ عبد الملك بِمَسَلَسَة - أو عمرو بن قيس - في جَسَم فمكّرت بهم الصّقالية ، ثمّ نزلهم الله بعد أن قتلوا شراحيلَ بن عبد ابن عبدة (١) .

وفي هذه السنة نزل زعم النواغدي - غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس ، فأصيب ناسٌ من أهل لانتاكية ، وأصاب الوليدُ ناساً من ضواحي الروم وأسر منهم بئسراً كثيراً .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جرجانَ وطبرستان ، فذكر هشامُ بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد بن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثمّ أقبل إلى دِهستان وجرجان ، وبعث ابنه مخلداً على خراسان ، وجاء حتى نزل بدَهستان ، وكان أهلها طائفة من الترك ، فأقام عليها ، وحاصر أهلها ، معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ومجوه أهل خراسان والري ، وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين ، فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس ، فلا يلبثهم الناس أن يهزمهم فميدخلون حصنهم ، ثمّ يخرجون أحياناً فيقاتلون فيشتد قتالهم . وكان جهنم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان ، وكان يكرمهما ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي له لسان وبأس ، غير أنه كان يفسد نفسه بالشراب ، وكان لا يكثر غشيان يزيد وأهل بيته ، وكأنه

١٣١٨/٢

(١) ط : « شراحيل بن عبدة » ، والصواب ما أثبتته ، وهو أبو عامر الشعبي .

أَيْضًا حَجَرَهُ^(١) عَنْ ذَلِكَ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ أَثَرِهِمْ عَلَى ابْنِ زَحَرٍ جَهَنَّمَ وَجَمَالَ . وَكَانَ إِذَا نَادَى الْمَنَادِي : يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي وَأَبْشِرِي كَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْعُسْكَرِ يَسْبِرُ^(٢) إِلَى مَوْقِفِ الْبَاسِ عِنْدَ الرَّوْعِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، فَتَوَدَّى ذَاتَ يَوْمٍ فِي النَّاسِ ، فَبَدَرَ^(٣) النَّاسُ ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، فَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى تَلٍّ إِذْ مَرَّ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَسْبِقَكَ إِلَى الْمَوْقِفِ قَطُّ ، فَقَالَ : وَمَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنِّي ، وَأَنْتُمْ تُرْشِحُونَ غِلْمَانَ مَذْحِجٍ ، وَتَسْجَهَلُونَ حَقَّ ذَوِي ١٣١٩/٢
الْأَسْنَانِ وَالنَّجَارِبِ وَالْبِلَاءِ ! فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَرِيدَ مَا قَبَلْنَا لَمْ نَعْدِلْ^(٤) عَنْكَ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ .

قَالَ : وَخَرَجَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَلَى تَرْكِيٍّ قَدْ صَدَّ النَّاسَ عَنْهُ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَثَبَّتَ سَيْفُ التَّرْكِيِّ فِي بَيْضَةِ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، وَضَرَبَهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ فَتَقَتْلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَسَيْفُهُ^(٥) فِي يَدِهِ يَنْقُطِرُ دَمًا ، وَسَيْفُ التَّرْكِيِّ فِي بَيْضَتِهِ ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى أَحْسَنَ مَسْتَنْظَرٍ رَأَوْهُ مِنْ فَارِسٍ ، وَنَظَرَ يَزِيدُ إِلَى ائْتِلَاقِ السَّيْفَيْنِ وَالْبَيْضَةِ وَالسَّلَاحِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، فَقَالَ : لِلَّهِ أَبُوهُ ! أَيْ رَجُلٌ هُوَ لَوْلَا إِسْرَافُهُ عَلَى نَفْسِهِ !

وَخَرَجَ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا وَهُوَ يَرْتَادُ مَكَانًا يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّرُكِ - وَكَانَ مَعَهُ وَجُوهُ النَّاسِ وَفَرَسَانُهُمْ ، وَكَانَ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَالْعَدُوُّ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ - فَقَاتَلَهُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالُوا لِيَزِيدُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، انصَرِفْ وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَنْكَ ، فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَغَشِيَ الْقِتَالَ يَوْمُئِذٍ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ كَأَحَدِهِمْ ، وَقَاتَلَ ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ وَابْنَ زَحَرٍ وَالْحَجَّاجُ بْنُ جَارِيَةَ^(٦) الْخَشَعَمِيَّ وَجُلَّ أَعْسَابِهِ ، فَأَحْسَنُوا الْقِتَالَ ، حَتَّى إِذَا أَرَادُوا الْانْصِرَافَ جَعَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ جَارِيَةَ عَلَى

(١) ب : « فكَانَهُ إِذَا كَانَ يَحْجَرُهُ » . (٢) ب : « يَنْهَد » .

(٣) ب : « فَبَادَرَ » . (٤) ب : « مَا عَدَلْنَا » .

(٥) ب : « سَيْفُهُ » بِلَوْنٍ وَاحِدٍ . (٦) ب : « سَارِيَّة » .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَنْ وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عطشوا فشرَبوا ، وانصَرَف عنهم العدو ، ولم يَظْفَرُوا منهم بشيء ، فقال سُفْيَانُ ابن صَفْوَانَ الحِشْعَمِيُّ :

١٣٢٠/٢ لولا ابنُ جاريةِ الأغرِّ جَبِينُهُ لَسُقِيتَ كأساً مُرةً المُتَجَرِّعِ وَحَمَاكَ في فُرْسَانِهِ وَخِيُولِهِ حَتَّى وَرَدَتِ الماءَ غَيْرَ مُتَعَمِّعِ

ثم إنَّه ألحَّ عليها^(١) وأنزل الجنود^(٢) من كلِّ جانب حولها، وقطَّع عنهم الموادَّ، فلمَّا جَهِدوا^(٣)، وعَجَزوا عن قتالِ المسلمين، واشتدَّ عليهم الحصار والبلاء، بعث صُول دِهْقَانَ دِهْستانَ إلى يزيدَ: إني أصالحك على أن تؤمِّنني على نفسي وأهل بيتي ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها. فصالحه، وقبِل منه، ووفَّى له، ودَخَلَ المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السَّبي شيئاً لا يُحصَى، وقتل أربعةَ عشر ألف تُركيَّ صَبْرًا، وكتبَ بذلك إلى سليمانَ بن عبد الملك.

ثم خَرَجَ حتى أتى جُرْجَانَ، وقد كانوا يُصالحون أهلَ الكوفة على مائة ألف، ومائتي ألف أحيانًا، وثلثمائة ألف، وصالحوهم عليها، فلما أتاهم يزيدُ استقبلوه بالصلح، وهابوه وزادُوهُ. واستخلفَ عليهم رجلًا من الأزد يقال له: أسدُ بنُ عبد الله، ودخل يزيدُ إلى الإصبيهد في طَبَرِستانَ فكان معه الفِئْسةُ يقطعون الشَّجر، ويُصلحون الطرق، حتى انتهوا إليه، فنَزَلَ به فحَصَرَهُ^(٤) وغَلَبَ على أرضه، وأخذ الإصبيهد يعرض على يزيدَ الصلح ويريده على ما كان يُؤخِّدُ منه، فيابى رجاء^(٥) افتتاحهما. فبعث ذاتَ يوم أخاه أبا عُبَيْنة في أهلِ المِصرين^(٦). فأصعد في الجَبَلِ إليهم، وقد بعث الإصبيهد إلى الدَّيلم، فاستجاشَ بهم، فاقتتلوا، فحازهم المسلمون ساعةً وكشفوهم، وخرج رأسُ الدَّيلم يسألُ المِبارزةَ، فخرج إليه ابن أبي سَبْرَةَ فقتله، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فَمِّ الشَّعب؛

١٣٢١/٢

(١) ب : « عليهم وعليها » .	(٢) ب : « الخيول » .
(٣) ب : « أجهدوا » .	(٤) ب : « وحصره » .
(٥) ب : « رجال » .	(٦) ب : « العسكر » .

فَذَهَبُوا لِيَتَصَعَّدُوا فِيهِ ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ يَرْشُقُونَهُمْ بِالنَّشَابِ ،
وَيَرْمُونَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ مِنْ فِتْمِ الشَّعْبِ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ قِتَالٍ
وَلَا قُوَّةَ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ وَطَلْبِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
حَتَّى أَخَذُوا يَتَسَاقَطُونَ فِي اللَّهْيُوبِ ، وَيَتَدَهَّدِي الرَّجُلُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ حَتَّى
نَزَلُوا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ لَا يَتَعَبَتُونَ بِالْشَّرِّ شَيْئًا .

وَأَقَامَ يَزِيدُ بِمَكَانِهِ عَلَى حَالِهِ ، وَأَقْبَلَ الْإِصْبَهَيْدُ يَكَاتِبُ أَهْلَ جَرْجَانَ
وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا بِأَصْحَابِ يَزِيدَ ، وَأَنْ يَقْطَعُوا عَلَيْهِ مَادَّتَهُ وَالطَّرِيقَ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَعِدُهُمْ أَنْ يَكْفِيَتْهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَوَثَّقُوا بِمَنْ كَانَ يَزِيدُ
خَلَفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ بَقِيَّتُهُمْ
فَتَحَصَّنُوا فِي جَانِبٍ ، فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ ، وَأَقَامَ يَزِيدُ عَلَى
الْإِصْبَهَيْدِ فِي أَرْضِهِ حَتَّى صَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ
نَقْدًا وَمِائَتِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ حِمَارٍ مَوْقَرَةٍ زَعْفَرَانًا ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ،
عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ بُرْنُسٌ ، عَلَى الْبُرْنُسِ طَيْلَسَانٌ وَلِجَامٌ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَرَقَةٌ^(١) مِنْ حَرِيرٍ ، وَقَدْ كَانُوا صَالِحُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ .
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا يَزِيدُ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّهُمْ قَتَلُوا ، وَلَوْلَا مَا صَنَعَ أَهْلُ جَرْجَانَ
لَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَبَرِ سَتَانَ حَتَّى يَفْتَحَهَا .

وَأَمَّا غَيْرُ أَبِي مَخْنَفٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ يَزِيدَ وَأَمْرِ أَهْلِ جَرْجَانَ مَا حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ كُتَيْبِ بْنِ خَلْفٍ وَغَيْرِهِ ؛ أَنَّ
سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالَحَ أَهْلَ جَرْجَانَ ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا ، فَلَمْ يَأْتِ
جَرْجَانَ بَعْدَ سَعِيدٍ أَحَدٌ ، وَمَنَعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ
خُرَّاسَانَ مِنْ نَاحِيَةِ أَحَدٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ خَوْفٍ مِنْ أَهْلِ جَرْجَانَ ؛ كَانَ
الطَّرِيقُ إِلَى خُرَّاسَانَ مِنْ فَارَسَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَأَوَّلَ مَنْ صَيَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ
قَوْمِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ حِينَ وَلِيَ خُرَّاسَانَ . ثُمَّ غَزَا مَصْقَلَةَ خُرَّاسَانَ أَيَّامَ
مُعَاوِيَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَأَصِيبَ وَجَنْدُهُ بِالرُّوْيَانِ ، وَهِيَ مَتَاخِيمةُ طَبَرِ سَتَانَ

(١) السَّرَقَةُ : شَقَّةُ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ .

فهلكوا في واديٍّ من أوديتها ، أخذ العدو عليهم بمضايقه ، فقتلوا جميعاً ، فهو يُسمّى وادي مصقلة .

قال : وكان يُضرب به المثل : حتى يرجع مصقلة من طبرستان ، قال عليّ ، عن كليب بن خلعف العمي ، عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حسنظة : إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ، فكانوا يميئون أحياناً مائة ألف ، ويقولون : هذا صلحنا ، وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً ثلثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك ، وربما منعه ، ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً ، حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدّمها ، فلما صالح صول وفتح البُحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص . ١٣٢٣/٢

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن كليب بن خلعف العمي ، عن طفيل بن مرداس ، وبشر بن عيسى عن أبي (١) صفوان ، قال عليّ : وحدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير ، وغيرهم ؛ أن صولاً التركي كان ينزل دِهستان والبُحيرة - جزيرة في البحر بينهما وبين دِهستان خمسة فراسخ ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم - فكان صول يُغير على فيروز بن قول ، مَرزبان جرجان ، وبينهم خمسة وعشرون فرسخاً ، فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البُحيرة ودهستان ، فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المَرزبان مُنازعة ، فاعتزله المَرزبان ، فنزل البياسان ، فخاف فيروز أن يُغير عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان ، وأخذ صول جرجان . فلما قدّم على يزيد بن المهلب قال له : ما أقدمك ؟ قال : خفتُ صولاً ، فهِرَبْتُ منه ، قال له يزيد : هل من حيلة لِقْنا له ؟ قال : نعم ، شيء واحد ، إن ظفرتُ به قتلته ، أو أعطى (٢) بيده ، قال : ما هو ؟ قال : إن خرج من جرجان حتى يستزل (٣) البُحيرة ، ثم أتيته ثم فحاصرتُه بها ظفرتُ به ، فاكتب إلى الإصهبذ كتاباً تسأله فيه أن يخال

(١) ساقطة من ط (٢) ب : « وأعطى » . (٣) ب : « يترك » .

لصول حتى يقيم بجرجان ، واجعل له على ذلك جُعلًا ، ومنه ، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه ، فيتحول عن جرجان ، فينزل البُحيرة .

فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان : إني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان ، فخفتُ إنْ بَلَغَهُ أُنَى أريدُ ذلك أنْ يتحول إلى البُحيرة فينزلها ، فإن تحول إليها لم أقدر^(١) عليه ؛ وهو يسمع منك^(٢) ويستنصحك ، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البُحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال ؛ فاحتل له حيلة ؛ تحبسه بجرجان ، فإنه إن أقام بها ظفرت به . فلما رأى الإصبيذ الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها . وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البُحيرة ، فاعتزم على السير إلى الجرجان ، فخرج في ثلاثين ألفًا ، ومعه فيروز ابن قنول ، واستخلف^(٣) على خراسان محمد بن يزيد ، واستخلف على سمرقند وكيس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وأقبل حتى أتى جرجان — ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال مُحيطَةٌ بها ، وأبوابٌ ونخارم ، يقوم الرجل على باب منها فتلا يتقدم عليه أحدٌ — فدخلها يزيد لم يعازه أحد ، وأصاب أموالًا ، وهرب المرزبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البُحيرة ، فأناخ على صول ، وتمثل حين نزل بهم :

فخرَ السيفُ وارْتَعَشَتْ يَدَاهُ وَكَانَ بِنَفْسِهِ وَقَيْتَ نَفُوسُ

قال : فحاصرهم ، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة . ثم ذكر من قصة جهنم ابن زحر وأخيه محمد نحرًا لما ذكره هشام ، غير أنه قال في ضربة التركي ابن أبي سبرة : فنسب سيف التركي في درة ابن أبي سبرة .

(١) ب : « لم يقدر عليه » . (٢) ب : « منا » .

(٣) ب : « واستعمل » .

قال علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد ، عن عتبسة ، قال : قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتدوه بأسياهم ، فانقطع في يده ثلاثة أسياف .

ثم رجع إلى حديثهم ؛ قال : فكثروا بذلك - يعني الترك - محصورين يخرجون فيقتاتلون ، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماء الأحساء ، فأصابهم داء^(١) يسمى السواد^(٢) ، فتوقع فيهم الموت ، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح ، فقال يزيد بن المهلب : لا ، إلا أن يتزل على حكمي ، فأبى . فأرسل إليه : إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي ، على أن تؤمنني فتتزل البُحيرة . فأجابته إلى ذاك يزيد ، فخرج بماله وثلاثمائة من أحسب ، وصار مع يزيد ، فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً ، ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً . وقال الجند ليزيد : أعطنا أرزاقنا ، فدعا إدريس بن حنظلة العمي ، فقال : يا بن حنظلة ، أحص لنا ما في البُحيرة حتى نعطى الجند ، فدخلها إدريس ، فلم يتقدر على إحصاء ما فيها ، فقال ليزيد : فيها ما لا أستطيع إحصاءه ، وهو في ظروف ، فنحصى الجوالق ونعلم ما فيها ، ونقول للجند : ادخلوا فخذوا ، فن أخذوا شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم^(٣) والعسل . قال : نعم ما رأيت ، فأحصوا الجوالق عند داء^(٤) ، وعلموا كل جوالق^(٥) ما فيه ، وقالوا^(٦) للجند : خذوا ، فكان الرجل يخرج وقد^(٧) أخذ ثياباً^(٨) أو طعاماً أو ما حصل^(٩) من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ ، فأخذوا شيئاً كثيراً .

١٣٢٦/٢

قال علي : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفعوا عليه أنه أخذ خريطة^(١٠) ، فسأله يزيد عنها ، فأناه بها ، فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتمه ؛ وقال لشهر : هي لك ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال القطامي الكلبى - ويقال : سنان بن مكمل النعمري :

(١) في القاموس : « السواد ، كغراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والغنم من شرب الماء الملح »

(٢) ب : « واسن » . (٣) ب : « على جوالق » .

(٤) ب : « وقال » . (٥) ر : « قد » . (٦-٦) ب : « وطعاماً وما » .

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ فَمَنْ يَأْمَنُ الْقِرَاءَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ؟
أَخَذَتْ بِهِ شَيْئاً طَقِيفاً وَبِعْتَهُ مِنْ ابْنِ جُونُبُوذٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْغَدْرُ
وقال مرة النّخعي لشهْر :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ لولاك كان كصالح القراء
قال عليّ : قال أبو محمد الثّقفني : أصاب يزيدُ بن المهلب تاجاً بجرّجان فيه جَوْهر ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزديّ ، فقال : خذْ هذا التاج فهو لك ؛ قال : لا حاجة لي فيه ، قال : عزمتُ عليك ، فأخذه ، وخرج فأمر يزيدُ رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً فدفعه إليه ، فأخذ الرجلُ السائل ، فأتى به يزيدُ وأخبره الخبر ، فأخذ يزيدُ التاج ، وعوّض السائل مالا كثيراً .

قال عليّ : وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتتح قتيبةً فتّحاً قال ليزيد بن المهلب : أما ترى ما يصنع الله على يدى قتيبة ؟ فيقول ابنُ المهلب : ما فعلتُ جرّجانُ التي حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدت قوميّس وأبرشهر ! ويقول : هذه الفتوحُ ليست بشيء ، الشأنُ في جرّجان . فلما ولي يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جرّجان . قال : ويقال : كان يزيدُ بنُ المهلب في عشرين ومائة ألف ، معه من أهل الشام ستون ألفاً .

قال عليّ في حديثه ، عمن ذكر خبر جرّجان عنهم : وزاد فيه عليّ ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أن يزيد بن المهلب لما صالح صولاً طمع في طبرستان أن يفتّحها ، فاعترّم على أن يسير إليها ، فاستعمل عبد الله بن العنبر الشكريّ على البياسان ودهستان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جرّجان مما يلي طبرستان ، واستعمل على أندريستان أسد ابن عمرو — أو ابن عبد الله بن الرّبعة — وهى مما يلي طبرستان ، وخلقته في أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبهنة ، فأرسل إليه يسأله الصّلىح ،

وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَبَرِستان ، فَأَبَى يَزِيدُ وَرَجَا أَنْ يَفْتَحَهَا ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ
أَبَا عُسَيْنَةَ مِنْ وَجْهِه . وَخَالِدَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَهُ مِنْ وَجْهِه ، وَأَبَا الْجَهْمِ الْكَلْبِيَّ مِنْ
رِجْلِهِ ، وَقَالَ : إِذَا اجْتَمَعَتْ فَأَبُو عُسَيْنَةَ عَلَى النَّاسِ . فَسَارَ أَبُو عُسَيْنَةَ فِي أَهْلِ
الْمِصْرَيْنِ وَمَعَهُ هُرَيْمُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ . وَقَالَ يَزِيدُ لِأَبِي عُسَيْنَةَ : شَاوِرْ هُرَيْمًا
فَإِنَّهُ نَاصِحٌ . وَأَقَامَ يَزِيدُ مَعْسَكَرًا .

قَالَ : وَاسْتَجَاشَ الْإِصْبَهَيْدُ بِأَهْلِ جِيلَانَ وَأَهْلَ الدَّيْلَمِ ، فَأَتَوْهُ فَالْتَقَوْا
فِي سَنَدِ جَبَلٍ ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى فَمِّ الشَّعْبِ
فَدَخَلَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَصَعَدَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَبَلِ ، وَأَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَرَمَاهُمْ
الْعُدُوُّ بِالنَّشَابِ وَالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عُسَيْنَةَ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
يَنْسَاقُونَ مِنَ الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَسْتَبْتُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ ، وَكَثَفَ
الْعُدُوُّ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ ، وَخَافَتْهُمْ الْإِصْبَهَيْدُ . فَكَتَبَ إِلَى الْمَرْزَبَانَ بْنِ عِمٍّ
فَيُرُوذُ بْنُ قُؤُلٍ وَهُوَ بِأَقْصَى جَرْجَانَ مِمَّا بِلَى الْبِيَّاسَانَ : إِنْ أَقْدَ قَتَلْنَا يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ
فَاقْتُلْ مَنْ فِي الْبِيَّاسَانَ مِنَ الْعَرَبِ . فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِ الْبِيَّاسَانَ وَالْمُسْلِمُونَ
غَارُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ ، فَأَصْبَحَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَمَّرِ مَسْتَوْلًا وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،
وَقُتِلَ مِنْ بَنِي الْعِمِّ خَمْسُونَ رَجُلًا ، قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِسْمَاعِيلُ
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَمَّاسٍ . وَكَتَبَ إِلَى الْإِصْبَهَيْدُ بِأَحَدٍ بِالْمَضَائِقِ ^(١) (الطَّرِقِ .
وَبَلَغَ يَزِيدُ قَتْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعَمَّرِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَهَالَسَهُمْ ،
فَسَفَرَحَ يَزِيدُ إِلَى حِيَّانَ النَّبْطِيِّ . وَقَالَ : لَا يَمْنَعُكَ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكَ مِنْ
نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ جَاءَنَا عَنْ جَرْجَانَ مَا جَاءَنَا ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا بِالطَّرِقِ ،
فَاعْمَلْ فِي الصَّلَاحِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَى حِيَّانُ الْإِصْبَهَيْدُ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ
مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الدَّيْنُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنِّي لَكُمْ ^(٢) نَاصِحٌ ، وَأَنْتَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَزِيدَ . وَقَدْ بَعَثَ يَسْتَمِدُّ ، وَأَمْدَادُهُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ ، وَإِنَّمَا أَصَابُوا
مِنْهُ طَرَفًا . وَلَسْتُ أَمِّنُ أَنْ يَأْتِيَكَ مَا لَا تَقُومُ لَهُ ، فَأَرْحُ نَفْسَكَ مِنْهُ ، وَصَالِحَهُ

(١) ب : « المضايق » .

(٢) كذا في ب ، وفي ط : « فأنا لك » .

إنك إن صالحته صير حده على أهل جرجان ، بغدرهم رقتهم سن
قتلوا ، فصالحه على سبعمئة ألف -- وقال علي بن مجاهد : على خمسمئة
ألف -- وأربعمئة وقر زعفران أو قيمته من العيس ، وأربعمئة رجل ،
على كل رجل برنس وطيلسان ، ومع كل رجل جام فضة وسرقة
خنز وكسوة .

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال : ابعت من يحمل صلحهم الذي
صالحتهم عليه ، قال : من عندهم أو من عندنا ؟ قال : من عندهم .
وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا ، ويرجع إلى جرجان
فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان ، وانصرف إلى جرجان ،
وكان يزيد قد غرم حياناً مائتي ألف ، فخاف ألا ينال صبحه .

والسبب الذي له أغرم حيان فيه ما حدثني علي بن مجاهد ، عن خالد بن
صبيح ، قال : كنت مؤدباً لوليد حيان ، فدعاني فقال لي : اكتب كتاباً إلى
مخلد بن يزيد -- ومخلد يومئذ ببسلخ ، ويزيد بمرو -- فتناولت القيرطاس ،
فقال : اكتب : من حيان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد ، فغمرني مقاتل
ابن حيان ألا تكتب ، وأقبل على أبيه فقال : يا أبت تكتب إلى مخلد
وتبدأ بنفسك ! قال : نعم يا بني ، فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة . ثم قال
لي : اكتب ، فكتبت ، فبعث مخلد بكتابه إلى أبيه ، فأغرم يزيد حيان
مائتي ألف درهم .

* * *

[فتح جرجان]

وفي هذه السنة فتح يزيد جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنوده
ونقضهم العهد ، قال علي ، عن الرهط الذين ذكروا أنهم حدّثوه بخبر
جرجان وطبرستان : ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصده
لجرجان ، فأعطى الله عهدها ، لأن ظفر بهم ألا يقلع عنهم ، ولا يرفع
عنهم السيف حتى يطعن بدمائهم . ويختبر من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الإصبيهد وتوجه إلى جرجان ، جتمع أصحابه وأتى وجهه ، فتحصن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة من طعام ولا شراب . وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها ، وحولها غياض فليس يعرف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء ، ولا يعرف لهم مآتي إلا من وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم ، فبينا هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيد ومعه شاكيرة له .

١٣٣١/٢

وقال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : فخرج رجل من عسكره من طيئ يتصيد ، فأبصر وعيلاً يرقى في الجبل ، فاتبعه ، وقال لمن معه : قضا مكانكم ، ووَقَلَ في الجبل يقتص الأثر ، فاشعر بشيء حتى هجم على عسكرهم ، فرجع يريد أصحابه . فخاف ألا يهتدى ، فجعل يخرق قباءه ويعقّد على الشجر علامات ، حتى وصل إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر . ويقال : إن الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس ، وكان منهوماً بالصيد ، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أنيم الواشجي صاحب شرطة يزيد ، فسأله من الدخول ، فصاح : إن عندي نصيحة .

وقال هشام عن أبي مخنف : جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زحر بن قيس ، فانطلق به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد ، فأعلمه ، فضمن له بضمن الجهنية - أم ولد كانت ليزيد - على شيء قد سماه .

١٣٣٢/٢

وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجهه بغير قتال ؟ قال : نعم ، قال : جعالتى ؟ قال : احتكيم ، قال : أربعة آلاف ، قال : لك دية ، قال : عجلوا لي أربعة آلاف ، ثم أنتم بعد من وراء الإحسان . فأمر له بأربعة آلاف ، ونادى الناس ، فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض ، فاختر منهم ثلثمائة ، فوجههم ، واستعمل عليهم جهنم بن زحر .

وقال بعضهم : استعمل عايهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت ، وإياك أن أراك عندى منهزماً ، وضمت إليه جتهم بن زحر ، وقال يزيد للرجل الذى ندب الناس معه : متى تصل إليهم ؟ قال : غداً عند العصر فيما بين الصلاتين ، قال : امضوا على بركة الله ، فإني سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطاب كان جمعه في حصاره إياهم ، فصيره أكاماً ، فأضرموه ناراً ؛ فلم تنزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران ، ونظر العدو إلى النار ، فهالهم ما رأوا من كثرتها ، فخرجوا إليهم . وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا ، فجمعوا بين الصلاتين ، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا ، وسار الآخرون بقيّة يومهم والغد ، فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر ، وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيد يُقاتل من هذا الوجه ، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم ، وركبهم المسلمون ، فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبي ذراريهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندهرز - وادى جرجان - وقال : من طلبهم بثأر فليقتل ، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادى ، وأجرى الماء في الوادى على الدّم ، وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ، ولتبر يمينه ، فطحن واختبر وأكل وبنتى مدينة جرجان . وقال بعضهم : قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جتهم بن زحر الجعفي .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أنه قال : دعا يزيد جهم ابن زحر فبعث معه أربعمئة رجل حتى أخذوا في المكان الذى دلّوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال : إذا وصلتم إلى المدينة فانتظروا ، حتى إذا كان في السحر فكبروا ، ثم انطلقوا نحو باب المدينة ، فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ؛ فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت

الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه، فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله . وكثّر، ففزع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قط فيما مضى ، فلم يسرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدعاهم ، فألقى الله في قلوبهم الرعب ، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون ! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهنم بن زحر ، فقاتلوا ساعة ، فدقت يد جهنم ، وصبر لهم هو وأصحابه ، فلم يلبثوهم أن قتلهم إلا قليلا . وسمع يزيد بن المهلب التكبير، فوثب في الناس إلى الباب ، فوجدوهم قد شغلهم جهنم بن زحر عن الباب ، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع ، ففتح الباب ودخلها من ساعته ، فأخرج من كان فيها من المقاتلة ، فنصب لهم الجذوع فرسخين عن يمين الطريق ويساره ، فصلبهم أربعة فراسخ ، وسبى أهلها، وأصاب ما كان فيها .

١٢٢٤/٢

قال علي في حديثه ، عن شيوخه ، الذين قد ذكرت أسماءهم قبل ، وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك :

أما بعد، فإن الله قد فتح لأمر المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع ، فلربنا الحمد على نعمة وإحسانه ، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكيسرى بن قباد وكيسرى بن هرمز ، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله، حتى فتح الله ذلك لأمر المؤمنين ؛ كرامة من الله له، وزيادة في نعمة عليه . وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفتيء والغنيمة ستة آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرّة مولى بنى سدوس : لا تكتب بتسمية مال ، فإنك من ذلك بين أمرين : إما استكثره فأمرَكَ بحمله ، وإما سحّت نفسه لك به فسوغتك فتكلفت الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأن بك قد استغرقت ما سميت

١٢٢٥/٢

ولم يقع منه موقعاً ، ويبقى المالُ الذي سميت مغلداً عندهم عليك في دواوينهم ، فإن ولىّ والٍ بعده أخذك به ، وإن ولىّ من يتحامل عليك لم يَرْضَ منك بأضعافه ، فلا تمضِ كتابك ، ولكن اكتب بالفتح ، سلكه القُدوم فتشافهه بما أحببت مُشافهةً ، ولا تقصّر ، فإنك إن تقصّر عما أحببت أحرى من أن تكثُر .

فأبى يزيدُ وأمضى . وقال : بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك ، فحدثت عن عليّ بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرّى أدركَ يزيدُ ، قال : أتى يزيدُ بن المهلب الرّى حين فَرَغَ من جُرْجَانٍ ، فبلغه وفاةُ أيوب بن سليمان وهو يسيرُ في باغ أبي صالح على باب الرّى ، فارتجزَ راجزٌ بين يديهِ فقال :

إِنْ يَكْ أَيُّوبُ مَضَى لَشَانِهِ فَإِنَّ دَاوُدَ لَفِي مَكَانِهِ

* يقيمُ ما قد زال مِنْ سُلْطَانِهِ *

وفي هذه السنة فُتِحَتْ مدينة الصَّقَالِبَةِ .

وفيهَا غزا داوُد بن سليمان بن عبد الملك أرضَ الرّوم ، فَفَتَحَ حِصْنَ المرأةِ مما يلي مَلَطِيَةَ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أميرٌ على مكة ، حدثني بذلك أحمدُ بن ثابت ، عن ذَكَرِهِ ، ١٣٣٦/٢ عن إسحاق بن عيسى . عن أبي معشر .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سَبْعٍ ، وقد ذَكَرْنَاهُمْ قَبْلُ ، غير أنَّ عاملَ يزيد بن المهلب على البَصْرَةِ في هذه السنة كان - فيما قيل - سُفْيَان بن عبد الله الكِنْدِي .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك، توفى - فيما حدثت عن هشام، عن أبي مخنف - بدأبق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليل بقاء من صفر، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفى لعشر ليل مضى من صفر. وقيل: كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين. وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وحدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفى سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

١٢٢٧/٢

حدثت عن علي بن محمد، قال: كان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج، فولى سليمان، فأطلق الأسارى، وخلص أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز، فقال ابن بيز: ابن بيز:

حاز الخلافة والداك كلاهما من بين سُخْطَةٍ سَاخِطٍ أَوْ طَائِعِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نَوْرٌ مُلْكٍ الرَّابِعِ
وقال علي: قال الفضل بن المهلب: دخلت على سليمان بدأبق يوم

جمعة ، فدعا بثياب فلبسها ، فلم تُعجبه ، فدعا بغيرها بثياب خُضِرَ سُوْسِيَّةَ بَعَثَ بها يزيدُ بن المَهلب ، فلبسها واعتم وقال : يا بن المهلب ، أعجبتك ؟ قلتُ : نعم ، فَحَسَرَ عن ذراعَيْهِ ثم قال : أنا المَلِكُ الفُتَيّ ، فصلّى الجمعة ، ثم لم يَجْمَعْ بعدها ، وكتب وصيّته ، ودعا ابن أبي نُعَيْم صاحب الخاتم فختّمه .

قال عليّ : قال بعضُ أهل العلم : إن سليمانَ لبس يوماً حُلّة خضراءَ وعمامةً خضراءَ ونظرَ في المرأة فقال : أنا المَلِكُ الفُتَيّ ، فاعاشَ بعد ذلك إلا أسبوعاً .

قال عليّ : وحدّثنا سُحَيْمُ بنُ حَفْص ، قال : نظرتُ إلى سليمانَ جاريةً له يوماً ، فقال : ما نظرين ؟ فقالت :

أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لو كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ لَيْسَ فِيهَا عِلْمَتُهُ فَيَكُ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَا ن ١٣٣٨/٢ فَتَنَقُصَ عِمَامَتَهُ .

قال عليّ : كان قاضي سليمانَ سليمانُ بنُ حَبِيبٍ المحاربيّ ، وكان ابن أبي عِيْسَى يَقُصُّ عِنْدَهُ .

وحدّثتُ عن أبي عُبَيْدَةَ ، عن رُوْبَةِ بن العَجَاج ، قال : حجّ^(١) سليمانُ بنُ عبد الملك ، وحجّ الشعراءُ معه ، وحججتُ معهم ، فلما كان بالمدينة راجعاً تَلَقَّوْهُ بنحو من أربعمائة أسير من الروم ، فقعد سليمانُ ، وأقربُهم منه مجلساً عبدُ الله بنُ الحُسَيْنِ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلّوات الله عليهم ،^(٢) فقدّمَ بطريقهم فقال : يا عبد الله ، اضرب عنقه^(٣) ، فقام فما أعطاه أحدٌ سَيْفًا حتّى دَفَعَ إِلَيْهِ حَرَمِيّ سَيْفَهُ فضَرَبَهُ فَأَبَانَ الرَّأْسَ ، وأُطِنَ السَّاعِدُ^(٤) ، وبعضُ الغُلّ ، فقال سليمانُ : أمّا والله ما مِن جودة السيف

(١) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بسنده عن قتادة ، عن أبي عبيدة في كتاب النقااض ، عن رُوْبَةِ بن العجاج ؛ وهو أيضاً في النقااض ٣٨٣ .

(٢-٢) الأغاني : « وعليه ثوبان مصران ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فأدْنُوا إِلَيْهِ بطريقهم وهو في جامعة ، فقال لعبد الله بن الحسن : قم فاضرب عنقه » . (٣) أطنه : قطعه .

جاءت الضربة ، ولكن لحسنه^(١) . وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دَفَعَ إلى جرير رجلاً منهم ، فلدست إليه بنو عبس سيفاً في قراب أبيض ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فلم يجد سيفاً ، فدسوا له سيفاً دداناً^(٢) مثنيّاً^(٣) لا يقطع ، فضرَب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان والقوم ، وسميت بالفرزدق بنو عبس أحوال سليمان ، فألقى السيف وأنشأ يقول ، ويعتذر إلى سليمان ، ويأتسى بنجوة سيف ورقاء عن رأس خالد :

١٣٣٩/٢

إن يك سيفُ خانٍ أو قدرُ آني بتأخير نفسٍ حتفها غيرُ شاهِدٍ^(٤)
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به نبأ بيدَي ورقاء عن رأس خالد
كذلك سيوفُ الهند تنبؤُ ظلماتها وتقطعُ أحياناً مناط القلائد

ورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب ، وخالد مكب على أبيه زهير ، قد ضرب به بالسيف وصربه ، فأقبل ورقاء بن زهير فضرَب خالداً ، فلم يصنع شيئاً ، فقال ورقاء ابن زهير :

رأيتُ زهيراً تحت كلِّ خالد فأقبلتُ أسعى كالعجولِ أبادِرٍ^(٥)
فشلتُ يمينا يومَ أضربُ خالداً ويخصنه مني الحديدُ المظاهرُ^(٦)

وقال الفرزدق في مقامه ذلك :

أيعجبُ الناسُ أن أضحكتُ خيرَهُم خليفةَ الله يُستسقى به المطرُ^(٧)
فما نبأ السيفُ عن جبينٍ ولا دهشٍ عند الإمام ولكن آخرَ القدرِ

(١) في الأغاني : « فقال له سليمان : اجلس ، فوالله ما ضربته بسيفك ، ولكن بحسبك » ، وفي النقائض : « والله ما هو من جودة أجاد الضريبة ، ولكن بمجودة حسبه وشرف مركبه » .

(٢) الددان ، السيف الكليل : وفي الأغاني : « فلدست إليه القيسية سيفاً كليلاً » .

(٣) ط : « متينا » . (٤) ديوانه ١٨٦ .

(٥) الأغاني ١١ : ٧٤ . (٦) الأغاني : « ويمته مني الحديد » .

(٧) النقائض ٣٨٤ ، الأغاني ١٥ : ٣٤٤ . وفيه : « أيفضلك الناس »

ولو ضربتُ على عمرو مقلدَهُ لخرَّ جُثمانُهُ ما فوقه شعرٌ^(١)
وما يُعجلُ نفساً قبلَ ميَّتِها^(٢) جمعُ اليدين ولا الصَّمَصامةُ الذَّكرُ ١٣٤٠/٢
وقال جرير في ذلك :

بسيْفِ أبي رَغَوَانَ سيفِ مجاشعٍ ضربتُ ولم تضرب بسيف ابنِ ظالمٍ^(٣)
ضربتُ به عند الإمام فأرْعِشتُ يداك، وقالوا مُحَدِّثٌ غيرُ صارِمٍ

حدثني عبدُ الله بنُ أحمد ، قال : حدثني ، أبي قال : حدثني سليمان
قال : حدثني عبد الله بن محمد بن عُبَيْنَةَ ، قال : أخبرني أبو بكر بنُ
عبد العزيز بن الضحاك بن قيس ، قال : شهد سليمان بنُ عبد الملك جنازةً
بدايق ، ندُفِنُ في حقل ، فجعلَ سليمانُ يأخذ من تلك التربة فيقول :
ما أحسنَ هذه التربة ! ما أطيبَها ! فما أتى عليه جمعةٌ — أو كما قال — حتى دُفِنَ
إلى جنب ذلك القبر .

(١) لم يرد في النقائض . وفي الأغاني : « ولو ضربت به عمرًا مقلده » .

(٢) الأغاني : « وما يقدم » .

(٣) الأغاني ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لي
هذا الأسير ، فوهبه له فأعتقه ، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها . ثم أقبل على رواته وأصحابه وقال :
كأنني بآبِن المراغة وقد بلغه خبري ، فقال — وذكر البيتين — قال : فإلبشنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا
القصيدة وفيها هذان البيتان ، فمعجبنا من فطنة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفى هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم .

• ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني الهيثم بن واقد ، قال : استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضيّين من صفر سنة تسع وتسعين .

١٣٤١/٢

قال محمد بن عمر : حدثني داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن أبي سهيل قال : سمعت رجاء بن حيوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خزّ ، ونظر في المرأة ، فقال : أنا والله الملك الشاب ، فخرج إلى الصلاة ^(١) فصرى بالناس الجمعة . فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل ^(٢) عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه . ولم أعزم عليه ؛ قال : فكث يوماً أو يومين ، ثم خرّقه ، فدعاني ، فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحى هو أم ميت ! فقال لي : فن ترى ؟ قلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أنظر من يذكر . قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً ؛ فقال : هو والله على ذلك ، ثم قال : والله لن وليته ولم أولّ أحداً سواه لتكوننّ فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم ، قال : فيزيد ابن عبد الملك أجعله ^(٣) بعده . فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به ؛ قلت : رأيك . قال : فكتب .

١٣٤٢/١

(١) ر : « مصله » .

(٢) ثقل ، أى أشد مرضه .

(٣) بعدها في ب : « يوفد » .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمَرَ بن عبد العزيز^(١) ، إني قد وليتكَ الخلافةَ من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمعَ فيكم . وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسيّ صاحب شرطه فقال : مرُّ أهلَ بيتي فليجتمعوا ؛ فأرسل كعب إليهم^(٢) أن يجتمعوا فاجتمعوا ، ثم قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي ، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلمُ على أمير المؤمنين؟ قال : نعم ؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ في هذا الكتاب - وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حيوة - عهدي ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميتُ في هذا الكتاب . فبايعوه رجلا رجلا ، ثم خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حيوة .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسنداً إلى شيئاً من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحرمتي ومودّتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتني حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! قال رجاء : لا والله ما أنا بمُخبرك حرقاً ؛ قال : ١٣٤٣/٢ فذهب عمر غضبان .

قال رجاء : لقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء ، إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً ، وعندى شكر ، فأعلمني هذا الأمر ، فإن كان إلى علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت ، فليس مثلي قصّر به ، فأعلمني فلك الله على ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرّ إلى .

قال : فانصرف هشام وهو قد يشس ، ويضرب^(٤) بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى من إذا نُحِيتُ عني ؟ أخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذته السكرة من

(١) بعدها في س : « ابن مروان » . (٢) ب : « شرطه » .

(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

سَكَرَاتِ الْمَوْتِ حَرَّقَتْهُ إِلَى الْقَبْلَةِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ حِينَ يُفْثِقُ : لَمْ يَأْنِ لِدَلِّكَ بَعْدُ يَا رَجَاءُ ، فَفَعَلْتَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الثَّالِثَةُ قَالَ : مِنْ الْآنَ يَا رَجَاءُ إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ شَيْئًا ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . قَالَ : فَحَرَّقَتْهُ وَمَاتَ ؛ فَلَمَّا غَسَّضَتْهُ سَجَّيْتَهُ بِقَطِيفَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ . وَأَرْسَلْتُ إِلَى زَوْجَتِهِ تَقُولُ : كَيْفَ أَصْبَحَ ؟ فَقُلْتُ : نَائِمٌ ، وَقَدْ تَغَطَّى ، فَنَظَرَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ ^(١) مَعْطًى بِالْقَطِيفَةِ ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهَا فَقَبِلَتْ ذَلِكَ ، وَظَنَّتْ أَنَّهُ نَائِمٌ ، قَالَ رَجَاءُ : وَأَجْلَسْتُ عَلَى الْبَابِ مِنْ أَتَقَى بِهِ ، وَأَوْصَيْتُهُ إِلَّا يَبْرَحَ حَتَّى آتِيَهُ ، وَلَا يَدْخُلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَحَدٌ .

١٣٤٤/٢

قَالَ : فَخَرَجْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ حَامِدِ الْعَبْسِيِّ ، فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ دَابِيقَ ، فَقُلْتُ : بَايِعُوا ، فَقَالُوا : قَدْ بَايَعْنَا مَرَّةً وَنَبَايَعُ أُخْرَى ! قُلْتُ : هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَايِعُوا عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ وَمَنْ سَمَى فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَخْتُومِ ، فَبَايَعُوا الثَّانِيَةَ ؛ رَجُلًا رَجُلًا . قَالَ رَجَاءُ : فَلَمَّا بَايَعُوا بَعْدَ مَوْتِ سُلَيْمَانَ رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الْأَمْرَ ، قُلْتُ : قُومُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقَدْ مَاتَ ، قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَادَى هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَأَنْبَايَعَهُ أَبَدًا ، قُلْتُ : أَضْرِبْ وَالِدَ عَنَقِكَ ، قُمْ فَبَايِعْ ، فَقَامَ يَجْرُ رِجْلَيْهِ .

قَالَ رَجَاءُ : وَأَخَذْتُ بِضَبْعِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَجْلَسْتُهُ لَمَّا وَقَعَ فِيهِ وَهْشَامُ يَسْتَرْجِعُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ لَمَّا أَخْطَأَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى هِشَامُ إِلَى عُمَرَ قَالَ عُمَرُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! حِينَ صَارَتْ إِلَى لِكْرَاهَتِهِ [إِيَّاهَا] ^(٢) ، وَالْآخِرُ يَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، حَيْثُ نُحْيِيَتْ عَنِّي .

قَالَ : وَغَسَلَ سُلَيْمَانُ وَكَفَّنَ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ قَالَ رَجَاءُ : فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ أَنْتَبَيْتُ بِمَرَكَبِ الْخُلَانَةِ : الْبَرَوَانِيْنَ وَالْخَلِيلِ وَالْبَغَالِ وَلِكُلِّ دَابَّةٍ سَائِسٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ! قَالُوا : مَرْكَبُ ^(٣) الْخُلَانَةِ ، قَالَ :

(١) ب : « إله الرسول » .

(٢) من ب .

(٣) ب : « مراكب » .

١٣٤٥/٢

دابتي أوفقي لي ، وركب دابته . قال : فصرفت تلك الدواب^(١) ، ثم أقبل سائراً ، فقيل : منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد ؛ قال رجاء : فلما كان المساء من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادع لي كاتباً ، فدعوته وقد رأيت منه كل ما سرتي^(٢) ، صنع في المراكب ما صنع ، وفي منزل سليمان ؛ فقلت : كيف يصنع الآن في الكتاب ؟ أيصنع نسخاً ، أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب أملت عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة ، فأملى أحسن إملاء وأبلغه وأوجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب أن ينسخ إلى كل بلد .

وبلغ عبد العزيز بن الوليد — وكان غائباً — موت سليمان بن عبد الملك ، ولم يعلم بيعة الناس ثممر بن عبد العزيز ، وعهد سليمان إلى عمر ، فعقد لواء ، ودعا إلى نفسه ، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك ، وأردت دخول دمشق ، فقال : قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عتقد لأحد ، فخفت على الأموال أن تستهيب ، فقال عمر : لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك ، ولقعدت في بيتي ، فقال عبد العزيز : ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك . وباع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان برجي لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده .

١٣٤٦/٢

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة وهو بأرض الروم وأمره بالقُفُول منها بمن معه من المسلمين ، وجه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً ، وحسب الناس على معونتهم ، وكان الذي وجه إليه الخيل العتاق — فيما قيل — خمسمائة فرس .

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعة ، ونالوا منهم ، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ،

(٢) ب : « يرفى » .

(١) ر : « الخيل » .

فقتل أولئك الترك ، فلم ^(١) يُفلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ بُخناصرةَ بخمسين أسيراً .

وفيها عزل عمرُ يزيدَ بن المهلب عن العراق ، ووجهه على البصرة وأرضها عدى بن أوطاة الفزاري ، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي ، من بني عدى بن كعب ، وضم إليه أبا الزناد ، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدى في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوحيه الحميري .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وعلى البصرة وأرضها عدى بن أوطاة ، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله . وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المزني ، وقد ولى فيما ذكر قبله الحسن بن أبي الحسن ، فشكا ^(٢) ، فاستقضى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة - في هذه السنة فيما قيل - عامر الشعبي . وكان الواقدي يقول : كان الشعبي على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبي الحسن البصري على قضاء البصرة من قبل عدى بن أوطاة ، ثم إن الحسن استعفى من القضاء عدياً ، فأعفاه وولّى إياساً .

(١) ابن الأثير « ولم » .

(٢) ر : « فشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق .

* ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه ، قال : خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فلما أعذر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً ١٣٤٨/٢ فهزمتهم الحرورية ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة ، وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء ، وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك ، فخل بينه وبينهم . فلقاهم مسلمة في أهل الشام ، فلم ينشب أن أظهره الله عليهم .

* * *

[خبر خروج شوذب الخارجي]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب — واسمه بسطام من بني يشكر — فكان أخرجه بجوختي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد : ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دمًا ، أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحُل بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صلياً حازماً فوجهه إليهم ، وجهه معه جنداً ، وأوصه بما أمرتك به . فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يدعو ويسأله عن أخرجه ، فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحركه

ولا يهتجه ، فكان في كتاب عمر إليه : إنه بلغني أنك خرجت غَضَبًا لله ولنبيه ،
ولست بأول بذلك مني ، فلهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل
فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا . فلم يجرأ بسطام شيئا ، وكتب
إلى عمر : قد أنصنت ، وقد بعثت إليك رجلين يُدارِسانك ويناغزانك - قال
أبو عبيدة : أحد الرجلين اللذين بعثهما شوذب إلى عمر كَمَرُج مولى بني
شيبان ، والآخر من صليبة بني يَشْكُر - قال : فيقال : أرسلت نَقَرًا فيهم
هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ؛ فاختاروهما ، فدخلتا
عليه فناظراه ، فقالا له : أخبرنا عن يزيد لِمَ تُقره خليفة بعدك ؟ قال :
صيره غيري ؛ قالوا : أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم ركلته إلى غير مأمون
عليه ، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنتك ؟ قال : فقل : أظيراني
ثلاثا ، فخرجنا من عنده ، وخاف بنو مروان أن يُخرج ما عندهم وفي أيديهم
من الأموال ، وأن يتخلع يزيد ، فدسوا إليه من سقاء سُمًّا ، فلم يلبث
بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثا حتى مات .

* * *

وفي هذه السنة أغزى عمرُ بن عبد العزيز الوليد بن هشام المُدَيْنِلِيَّ وعمرُو
ابن قيس الكِنْدِيَّ من أهل حِصص الصائفة .
وفيها شغص عمرُ بن هُبيرة الفزاري إلى الجزية عاملا لعمرو عليها .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلب]

وفي هذه السنة حُمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه :
اختلَف أهلُ السَّيَر في ذلك ، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن
أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فزلا واسطًا ،
ثم ركب السفن يريد البصرة ، بعث عدى بن أوطاة إلى البصرة أميرًا ، فبعث
عدى موسى بن الوجيه الحميري ، فلحقه في نهر مَعْقِل عند الجِسر ، جسر

البصرة فأوثقه ، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فقَدِم به عليه موسى ابن الوحيه ، فدعا به عمر بن عبد العزيز - وقد كان^(١) عمر يَبْغِضُ يزيدَ وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جَبَابِرَةٌ ، ولا أحبِّ مِثْلَهُمْ ، وكان يزيد بن المهلب يَبْغِضُ عمرَ ويقول : إني لأظنه مرأبياً ، فلما ولى عمر عرف يزيدُ أن عمرَ كان من الرِّياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيدَ سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمان لأستمع الناسَ به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجد في أمرك إلا حبسك ، فاتق الله وأدِّ ما قبيلك ، فإنها حقوقُ المسلمين ، ولا يَسَعُنِي تركُّها ، فَرَدَّه إلى محبسه^(٢) ، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحَكَمِي فسرَّحه إلى خُرَّاسان ، وأقبل مخلد بن يزيدَ من خُرَّاسان يُعْطِي الناسَ ، ولا يمرُّ بكورة إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيماً . ثم خرج حتى قدم^{١٣٥١/٢} على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يا أمير المؤمنين صَنَعَ لهذه الأمة بولايته عليها ، وقد ابتليتنا بك ، فلا نكن أشقى الناس بولايته ، عَلَامَ تَحْبِسَ هذا الشيخ ! أنا أتحمِل ما عليه ، فصالحني على^(٣) ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيته فخذ بها . وإن لم تكن بيته فصدِّق مقالة يزيد ، وإلا فاستحلِّفه ، فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجد إلا أخذه بجميع المال . فلما خرج تمخَّلَد قال : هذا خيرٌ عندي من أبيه ، فلم يلبث مخلد إلا قليلاً حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يؤدِّي إلى عمر شيئاً ألَبَسه جُبَّةً من صوف ، وحملته على جَمَل ، ثم قال : سيروا به إلى دهلك ، فلما أخرج فرَّ به على الناس أخذ يقول : مالي عشيرة ، مالي يُذهَّب بي إلى دهلك ! إنما يُذهَّب إلى دهلك بالفاسق المريب الخارب ، سبحان الله ! أما لي عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

(١) س : « وكان » .

(٢) ب ، س : « مجله » .

(٣) س : « عما إياه » .

الحوّلانيّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أردّدُ يزيد إلى محبسه ؛ فإنّي أخاف إن أمضيتّه أن ينتزعه قومه ^(١) ؛ فإنّي قد رأيتُ قومه غَضِبُوا له . فردّه إلى محبسه ، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر . ١٣٥٢/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أوطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ، ودفعه إلى مَنْ بعين الثمر من الجند ، فوجهه عدى بن أوطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سُود التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد ليعتدوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفه ، وقطع قلنس السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب ، وحلّف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم يمين وكيع ، ففرقوا ، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعين الثمر ، ورجع وكيع إلى عدى بن أوطاة ، ومضى الجند الذين بعين الثمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه في السجن .

* * *

[عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان ، وولاه عبد الرحمن بن نعيم القشيري ^(٢) ، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر ، قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر عليّ بن محمد عن كليب بن خلف ، عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل عن جده ، وعليّ بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جهنم بن زحر جرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجهه عامل العراق من العراق والياً على جرجان ، فقدم الولى عليها من العراق ، فأخذ جهنم فقيده وقيّد

(١) ب : « أهله » .

(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي ، وانظر ص ٥٦١ .

رهطاً قدموا معه ، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان ، فأطلق أهل جرجان عاملهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابن عمي لم أسوئك هذا ، فقال له جهم : ولولا أنك ابن عمي لم آتلك - وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه ، لأن الحكم وجعني ابنا سعد - فقال له الجراح : خالفت إمامك ، وخرجت عاصياً ، فاغزُ لعلك أن تنظر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجهه إلى الختل ، فخرج ، فلما قرب منهم سار متكرراً في ثلاثة ، وخلف في عسكريه ابن عمه القاسم بن حبيب - وهو ختنه على ابنته أم الأسود - حتى دخل على صاحب الختل فقال له : أخلني ، فأخلاه ، فاعتري ، فترل صاحب الختل عن سريره وأعطاه حاجته - ويقولون : الختل مولى النعمان - وأصاب مغماً ، فكتب الجراح إلى عمر : وأوفد وفداً رجلين من العرب ، ورجلا من الموال من بني ضبة ، ويكنى أبا الصبيداء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلاً في دينه . وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد^(١) النحوي . فتكلم العربيان والآخر جالس ، فقال له ١٣٥٤/٢ عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفاً من الموال يتغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج ، وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيماً ، وأنا اليوم عصبي ! والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أن كسم درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوفد .

وكتب عمر إلى الجراح : انظر من صلى قبلك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقيل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفوراً من الجزية ، فامتنعهم بالختان .

فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعياً ولم يبعثه خاتناً . وقال عمر : ابغوني رجلاً صدوقاً ،

أَسْأَلُهُ عَنْ خِرَاسَانَ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ وَجَدْتَهُ ، عَلَيْكَ بِأَبِي مَجْلَزٍ . فَكُتِبَ إِلَى الْجُرَّاحِ : أَنْ أَقْبَلَ وَاحْمِلْ أَبَا مَجْلَزٍ وَخَلِّفْ عَلَى حَرْبِ خِرَاسَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ الْغَامِدِيَّ^(١) . وَعَلَى جَزِيرَتَيْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ - أَوْ عَبْدُ اللَّهِ - بْنُ حَبِيبٍ .

فَخَطَبَ الْجُرَّاحُ فَقَالَ : يَا أَهْلَ خِرَاسَانَ ، جِئْتُكُمْ فِي ثِيَابِي هَذِهِ الَّتِي عَلَى وَعَلَى فَرَسِي ، لَمْ أَصِبْ مِنْ مَالِكُمْ إِلَّا حَلِيَّةَ سِنِي - وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا فَرَسٌ قَدْ شَابَ وَجْهَهُ ، وَبَغْلَةٌ قَدْ شَابَ وَجْهَهَا ؛ فَخَرَجَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَاسْتَخْلَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ^(٢) قَالَ لَهُ عُمَرُ : مَتَى خَرَجْتَ ؟ قَالَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، قَالَ : قَدْ صَدَقَ مَنْ وَصَفَكَ بِالْجَفَاءِ ، هَلَّا أَقَمْتَ حَتَّى تُنْفِطِرَ ثُمَّ تَخْرُجَ ! وَكَانَ الْجُرَّاحُ يَقُولُ : أَنَا وَاللَّهِ عَصْبِي عَقْبِي - يَرِيدُ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ . وَكَانَ الْجُرَّاحُ لَمَّا قَدِمَ خِرَاسَانَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ : إِنِّي قَدِمْتُ خِرَاسَانَ فَوَجَدْتُ قَوْمًا قَدْ أَبْطَرَتْهُمْ الْفِتْنَةُ فَهُمْ يَتَزَوَّنُونَ فِيهَا نِزْوًا ، أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْهِمْ أَنْ تَعُودَ لِيَمْنَعُوا حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَلَيْسَ يَكْفِيهِمْ إِلَّا السِّيفُ وَالسُّوْطُ ، وَكَرِهْتُ الْإِقْدَامَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ :

يَا بْنَ أُمِّ الْجُرَّاحِ ، أَنْتَ أَحْرَصُ عَلَى الْفِتْنَةِ مِنْهُمْ ؛ لَا تُضْرِبَنَّ مُؤْمِنًا وَلَا مُعَاهِدًا سَوْطًا إِلَّا فِي حَقِّهِ ، وَاحْذَرِ الْقَصَاصَ فَإِنَّكَ صَائِرٌ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَتَقْرَأُ كِتَابًا لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

وَلَمَّا أَرَادَ الْجُرَّاحُ الشُّخُوصَ مِنْ خِرَاسَانَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَذَ عَشْرِينَ أَلْفًا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَقَالَ : هِيَ عَلَى سَلَفًا حَتَّى أُؤَدِّيَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَتَى خَرَجْتَ ؟ قَالَ : لِأَيَّامِ بَقِيٍّ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَعَلَى دَيْنٍ فَاقِضِهِ ؛ قَالَ : لَوْ أَقَمْتَ حَتَّى تُنْفِطِرَ ثُمَّ خَرَجْتَ قَضَيْتَ عَنْكَ . فَأَدَّى عَنْهُ قَوْمَهُ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ^(٣) .

(١) ب : « العامري » .

(٢) ب : « خرج » .

(٣) ب : « وأعطى أعطياتهم » .

١٣٥٦/٢

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم
وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر لي - أن الجراح بن عبد الله لما شكى،
واستقدمه عمر بن عبد العزيز ، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل .
ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان ، قال - فيما ذكر علي
ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما : ابغوني
رجلا صدوقاً أسأله عن خراسان ، ف قيل له : أبو مجلز لاحق بن حميد ،
فكتب فيه ، فقدم عليه - وكان رجلاً لا تأخذه العين - فدخل أبو مجلز على
عمر في جفّة^(١) الناس ، فلم يشبته^(٢) عمر . وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل :
دخل مع الناس ثم خرج ، فدعا به عمر فقال : يا أبا مجلز ، لم أعرفك ، قال :
فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني ! قال : أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال :
يكافئ الأكفاء ، ويعادي الأعداء ، وهو أمير يفعل ما يشاء ، ويقدم إن وجد
من يساعده . قال : عبد الرحمن بن نعيم ، قال : ضعيف لين يحب العافية ،
وتأني له ، قال : الذي يحب العافية وتأني له أحب إلي ، فولاه الصلاة والحرب ،
ولتى عبد الرحمن القشيري ، ثم أحد بنى الأعور بن قشير الخراج . وكتب إلى
أهل خراسان : إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله
على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار ، إلا ما أخبرت عنهما : فإن
كانا على ما تحبّون فاحمدوا الله ، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١٣٥٧/٢

قال علي : وحدّثنا أبو السريّ الأزدي ، عن إبراهيم الصائغ ، أن عمر
ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم :
أما بعد ، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده ، ولا يأخذك في الله لومة لائم ؛
فإن الله أولى بك من الناس ، وحقّه عليك أعظم ، فلا تولّين شيئاً من أمر
المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم ، وأداء الأمانة فيما استُرعى ،

(١) جفّة الناس : جماعتهم . (٢) لم يشبته : لم يعرفه حق المعرفة .

وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال عليّ ، عن محمد الباهليّ وأبي نهيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشيّ . فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ، ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف . وليّها في شهر رمضان من سنة مائة . وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال عليّ : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستّة عشر شهراً .

* * *

أولّ الدّعوة

١٣٥١/٢

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة — أعني سنة مائة — وجه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشّراة ميسرة إلى العراق ، وجه محمد بن خنيس وأبنا عكرمة السراج — وهو أبو محمد الصادق — وحيّان العطار حال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكميّ من قبيل عمر بن عبد العزيز . وأمرهم بالدّعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن عليّ ، فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن عليّ . واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليّ اثني عشر رجلاً ، نقيباً^(١) . منهم سليمان ابن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميميّ ، وقحطبة بن شبيب الطائيّ ، وموسى بن كعب التميميّ ، وخالد بن إبراهيم أبو داود . من بني عمرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميميّ وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولّي لآل أبي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ وطلحة ابن رزيق الخزاعيّ وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة . وشيب بن طهمان أبو عليّ الهرويّ ؛ مولّي لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ؛ واختار سبعين رجلاً ، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثالا وسيرة يسرون بها .

(١) س : « نقيباً » .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدثني ١٣٥٩/٢
 بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر .
 وكذلك قال الواقدي .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
 قبل ما خلا عامل خراسان ؛ فإنّ عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم
 على الصلاة والحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٢٠٠

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

من ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كُلم في يزيد بن المهلب حين أراد تقيته إلى كدعكك ، وقيل له : إنا نخشى أن يتزعجه فومه ، وذا إلى محبسه . فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الحرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ؛ لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عقيل — كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أختي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول — فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله أن أمكنه الله من يزيد بن

المهلب ليفطعن منه طابقاً فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه ، فأعدوا له إبلا ؛ وكان مرض عمر في كدير سمعان ، فلما اشتد مرض عمر أمر بإبيله ، فأتى بها ، فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدتهم فيه ؛ فلم يجدهم جاءوا ، فجزع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أتروني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات ابن معارية العامرية من بني البكاء في شق الحمل ، فمضى .

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي ؛ ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك . فقال عمر : اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فاكشفهم شره ، واردد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزقاق ، وفيه الهذيل بن زفر معه تيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طرّفاً من ثقله وعلّمة من وصفائه ، فأرسل الهذيل بن زفر في آثارهم ، فردّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبروني ، أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتبّئ ؟ فقالوا : لا ، قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان في إسيار ، فخاف على نفسه فهرب . وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة توفّي عمر بن عبد العزيز ، فحدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : توفّي عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ، حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبي مخنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقيّين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر . ومات بدير سمعان .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عمّي الهيثم بن واقد ، قال : ولدت سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدائي يوم الجمعة لعشر بقيّين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابني من قسمه ثلاثة دنائير ، وتوفّي بخنصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكّوه عشرين يوماً ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام . ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّي تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر : وكان يكنى أبا حفص وله يقول عُوَيْفُ القَوَافِي . وقد حضره في جنازة شهداها معه :

أَجْبَنِي أبا حفص لَقِيتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا وَرَأَاكَ (١)
فَأَنْتَ أَمْرُؤُ كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمِ بِنْتِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَشْجُ
بَنِي أُمَيَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ دَابَّةَ مِنْ دَوَابِّ أَبِيهِ كَانَتْ شَجَّتَهُ فَقِيلَ لَهُ : أَشْجُ بَنِي أُمَيَّةَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ ، قَالَ : كُنْتُ
أَسْمَعُ ابْنَ عُمَرَ كَثِيرًا يَقُولُ : لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذَا الَّذِي مِنْ وَلَدِ عُمَرَ ، فِي
وَجْهِهِ عَلَامَةٌ ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا !

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَنصُورِ بْنِ أَبِي مَرْزَاحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ شِجَاعٍ ،
عَنْ سَالِمِ الْأَفْطُسِ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَتْهُ (٢) دَابَّةٌ وَهُوَ غَلَامٌ بِهِ مَشَقٌ ،
فَأَتَيْتُ بِهِ أُمَّهُ أُمَّ عَاصِمِ بِنْتِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَضَمَّتْهُ إِلَيْهَا ،
وَجَعَلَتْ تَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ (٣) . وَدَخَلَ أَبُوهُ عَلَيْهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَأَقْبَلَتْ
عَلَيْهِ تَعْدُلُهُ وَتَلَوَعَهُ ، وَقَوْلُ : ضَيَّعْتُ ابْنِي ، وَلَمْ تَضْمِ إِلَيْهِ خَادِمًا وَلَا حَاضِنًا (٤)
يَحْفَظُهُ مِنْ مِثْلِ هَذَا ! فَقَالَ لَهَا : اسْكُنِي يَا أُمَّ عَاصِمِ ، فَطُوبَاكَ إِذَا كَانَ أَشْجُ
بَنِي أُمَيَّةَ !

١٣٦٣/٢

ذكر بعض سيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة ،
والفضل ، عن جده ، وعلي بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب
حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب :

(١) الأغاني ١٧ : ١١٠ . (٢) س : « وضحته » .

(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضنا ولا خادما » .

أما بعد : فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني . ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان ، وإن الذى ولانى الله من ذلك وقد رلى ليس على بهيئين ، ولو كانت رغبتى فى اتخاذاً أزواج واعتقاداً (١) أهوال ، كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم . وقد يابح من قبيلتنا ثبايع من قبيلك .

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب . ألقاه إلى أبى عينة ، فلما نراه قال : لست من عماله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته . وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا (٢) .
قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل . فاستخف ابنه مخلداً .

قال على : وحدثننا على بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور . عن ميمون بن مهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العسل والعلم قريبان ، فكان علماً بالله عاملاً له . فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حيّان ، عن مقاتل بن حيّان . قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد ، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال على : أخبرنا كليب بن خلف ، عن ظنيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبى السرى ، أن اعمل خانات فى بلادك فن مرّ بك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة ، وتعهّدوا دوابهم ، فن كانت به علة فاقروهم يومين وليتين ، فإن كان منقطعاً به فاقروهم بما يصل به إلى بلاده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غدر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فائذن لنا فليفيد (٣) منا وفد

(١) ب وابن الأثير : « استقال » . (٢) ب : « فبايعوه » .

(٣) ب : « فليقدم » .

إلى أمير المؤمنين يشكون ظلماً متناً ، فإن كان لنا حق أعطيتنا ، فإن بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم ، فوجهوا منهم قوماً ، فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى :

١٣٦٥/٢

إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلماً أصابهم : وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم : فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي ، فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان جُمَيْع بن حنسر القاضي الناجي ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذهم على سواء ، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً ، فقال أهل السغد : بل نرضى بما كان ، ولا نجد حرباً . وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأي : قد خابطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم ، وأمنينا وأمنائهم ، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كذا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ، ورضوا ولم ينازعوا .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذرايتهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مَرُّو . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمر : اللهم إني قد قضيت الذي على ، فلا تغزُ بالمسلمين . فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم .

١٣٦٦/٢

قال : وكتب إلى عقبه بن زرعة الطائي : وكان قد ولّاه الحراج بعد القشيري : إنَّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوإلى رُكنٌ ، والقاضي ركنٌ ، وصاحب بيت المال ركنٌ ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمَّ إلى ، ولا أعظم عندي من ثغر خراسان ، فاستوعب الحراج وأحرزه في غير ظلم ، فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسيل ذلك ، وإلا فاكتب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم .

قال : فقدم عَقْبَةُ فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم . فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن أقسم الفضل في أهل^(١) الحاجة .
وحدثني عبد الله بن أحمد بن شيبويه : قال : حدثني أبي ، قال :
حدثني سليمان . قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود
ابن سليمان الجعفي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز^(٢) :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد . سلام عليك ؛ أما بعد ؛
فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة
استنّها^(٣) عليهم عمال سوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكوننّ
شيء أهمّ إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليل من الإثم . ولا تحمل خراباً على
عامر . ولا عامراً على خراب . انظر الخراب^(٤) ، فخذ منه ما أطاق . وأصلحه
حتى يعمر ، ولا يؤخذ^(٥) من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل
الأرض ، ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة نيس لها آيين ولا أجور
الضرايين ، ولا هدية النيروز والمهرجان^(٦) . ولا ثمن الصّحف . ولا أجور
الفيوج^(٧) ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح . ولا خراج على من أسلم من
أهل الأرض : فاتّبع في ذلك أمرى ؛ فإنّي قد وليتك من ذلك ما ولّاني الله ،
ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب ؛ حتى تراجعني فيه ، وانظر من أراد من
الذرية أن يحجّ . فعجل له مائة يحجّ بها ، والسلام .

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شيبويه ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعي . قال :
ألقى عمر بن عبد العزيز ذراريّ الرجال الذين في العطايا^(٨) أقرع بينهم ، فن

(١) ب : « نوى » .

(٢) بعدها في ب : « كتاباً » .

(٣) ابن الأثير : « سنّها » ، وفي ط « استنّها » ، تحريف .

(٤) ب : « إل الخراب » . (٥) ب : « ولا يؤخذ » .

(٦) النيروز : اسم أول يوم في السنة ؛ وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ،
يعند النبط أول قوت ، معرب « نوروز » ، أي اليوم الجديد . والمهرجان : عيد للفرس عند نزول الشمس
أول الميزان .

(٧) الفيوج : جمع فيج ؛ وهو رسول السلطان الذي يسعى بالكتب .

(٨) م : « العطاء » .

أصابته القرعة جعله في المائة ، ومن لم تُصِبه القرعة جعله في الأربعين ، وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم ؛ فأعطى الزماني خمسين خمسين . قال : وأراه رزق القَظْم^(١) .

حدثني عبد الله ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الفضيل ، عن عبد الله قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام :

سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد ؛ فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ، ومن علم أن الموت حق رضى باليسير ، والسلام^(٢) .

١٣٦٨/٢

قال علي بن محمد : وقال أبو مجلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل إلينا الأموال . قال : يا أبا مجلز : قلبت الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم ، قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض . قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ومرض من ليلته فات من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمة الليثي ، ويكنى أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين .

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي ، قال : حدثنا رجل في مسجد الحنابلة ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخصاصة ، فقال : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدىً ؛ وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض . ألا واعلموا

(٢) ب : « السلام عليكم » .

(١) ب : « قظر » .

أما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه . وباع نافداً^(١) بياق ، وقليلًا بكثير ، ١٣٦٩/٢
 وخوفًا بأمان . ألا ترون أنكم في أسلاب المالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون
 كذلك حتى ترد^(٢) إلى خير الراشدين ! وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى
 الله قد قضى نحبته . وانقضى أجله ، فتغيّبونه في صدع من الأرض ، ثم تدعونه
 غير موسد ولا ممهد ، قد فارق الأحبة ، وخلع الأسباب ، فسكن التراب
 وواجه الحساب ، فهو مرتبهن بعمله ، فقير إلى ما قدم ، غني عما ترك .
 فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه . وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة ،
 وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فأستغفر الله وأتوب إليه .
 وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت
 عليه . وما منكم أحد يسعه ماعندنا إلا وددت أنه سدأى^(٣) ولحمى ، حتى
 يكون عيشنا وعيشه سواء . وإيم الله أن لو أردت غير هذا من الغفارة والعيش ،
 لكان اللسان منى به ذلولاً عالمًا بأسبابه . ولكنه مضى من الله كتاب ناطق
 وسنة عادلة ، يدل فيها على طاعته ، وينهى عن معصيته .

ثم رفع طرف رداءه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ، ثم نزل فكانت
 إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله^(٤) .

روى خلف بن تميم ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد ، قال : ١٣٧٠/٢
 بلغني أن عمر بن عبد العزيز مات ابن^٥ له ، فكتب عامل له يعزيه عن ابنته ،
 فقال لكتابه : أجه عني ، قال : فأخذ الكاتب يبري القلم ، قال : فقال
 للكاتب : أدق القلم ، فإنه أبقى للقرطاس ، وأوجز للحروف ، واكتب :
 بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن هذا الأمر قد كنا وطننا أنفسنا
 عليه ، فلمّا نزل لم ننكره^(٥) ، والسلام .

روى منصور بن مزاحم ، قال : حدثنا شعيب — يعني ابن صفوان —
 عن ابن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من وصل أخاه
 بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه . فقد أحسن صلته ، وأدّى واجب

(١) البيان والتبيين : « فأتنا » . (٢) البيان : « تردوا » .

(٣) ط : « ساوأت » . البيان : « إن يده مع يدي ، ونحمتي الذين يلونني » .

(٤) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « نذكره » .

حَسَّه : فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع سعة وبلغة وكفافاً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجههم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون : قد فرغ رحمه الله ! وعانيتم تعجيل إخراجهم ، وقسمة تراثه ، وجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور . وكأن لم يخاطب لإخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحقرفيه مثقال ذرة في الموازين .

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبي ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمر أن نشتري موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء (١) :

١٣٧١/ ٢

أَقُولُ لِمَا نَعَى النَّاعُونَ لِي عَمْرًا لَا يَبْعَدَنَّ قِيَامُ الدَّلِّ وَالِدَيْنِ
قَدْ غَادَرَ الْقَوْمُ بِاللَّحْدِ الَّذِي لِحَدَّوْا بِدَيْرِ سَمْعَانَ قَسْطَاسَ الْمَوَازِينِ

روى عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومُعَوَّلُ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم :

لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تحدثن كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجر الشاة إلى مذبحها ، ولا تحدثوا الشفرة على رأس الذبيحة ، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر .

١٣٧٢/ ٢

روى عفان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدثنا أبي ،

(١) ابن الأثير : « فقال كثير عزة » . وهو من ثلاثة أبيات في الكامل ٢ : ٢٧٧ من غير نسبة .

(٢) سورة الزمر : ١٠ .

أمر : بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدّ علّزُهُ^(١) ليلة ، فسهّر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ، فقلتُ له : يا مرثد ، كنْ عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه . ثم انطلقنا فضربنا برءوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً ، فأيقظته فقلت : يا مرثد ، ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثد ، أخرج عني ! فوالله إني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعتهُ يتلو هذه الآية : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَمَآدًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٢) . قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجّه نفسه ، وأغمض عينيه ، وإنه لميت . رحمه الله^(٣) .

(١) في اللسان : « العَلَزُ : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشيء ، كأنه لا يستقر في مكانه من الروع » .
(٢) سورة القصص : ٨٣ .
(٣) في حاشية ب : « تم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبي جعفر من ها هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيهما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ؛ ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، ولأها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فقدمها - فيما زعم الواقدي - يوم الأربعاء لليل بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي .

١٣٧٣/٢

وذكر محمد بن عمر أن عبد الجبار بن عُمارة حدثه عن أبي بكر بن حزم ، أنه قال : لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلي ، دخلت عليه ، فسلمت فلم يُقبل عليّ ، فقلت : هذا شيء لا تملكه قريش للأنصار^(١) ، فرجعت إلى منزلي وخففت - وكان شاباً مقدماً - فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول : ما يمنع ابن حزم أن يأتيي إلا الكبير ، وإني لعالم بخيانتك ؛ فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذي جاءني بهذا : قل له : ما الخيانة لي بعادة ، وما أحب أهلها ، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه ، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً ! فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة .

فلم يزل الأمر يترق بينهما حتى خاصم إليه رجل من بني فِهْرٍ وآخر من بني النجّار - وكان أبو بكر قضى للنجاريّ على الفهريّ في أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاريّ - فأرسل الفهريّ إلى النجاريّ وإلى أبي بكر بن حزم ، فأحضرهما ابن الضحاك ، فظلم الفهريّ من أبي بكر بن حزم ، وقال : أخرج مالي من يدي ، فدفعه إلى هذا النجاريّ ، فقال أبو بكر : اللهم غفراً ! أما رأيتني سألت أياماً في أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لي على إخراجها من يدك ، وأرسلتك^(٢) إلى من أفتاني بذلك : سعيد بن المسيّب وأبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتهما ؟ فقال الفهريّ : بلّى ،

١٣٧٤/٢

(١) كذا في ب ، وفي ط : « الأنصار » .

(٢) ب : « فأرسلك » .

وليس يلزمني قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال : قوموا ، فقاموا ، فقال للفهرى :
تقرّ له أنك سألت منّ أفناه بهذا ، ثم تقول رُدّها علىّ ! أنت أرعن ، اذهب
فلاحقّ لك ؛ فكان أبو بكر يتقيّه ويخافه ، حتى كلم ابن حَيَّان^(١) يزيد أن
يُقيده من أبي بكر ، فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه
أهل بيتي ؛ ولكنّي أوّليك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربته بسطاني
لم يكن لي قوّدأ . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً :

أما بعد ، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حَيَّان ، فإن كان ضربه في أمر
بين فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ،
فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقيدّه منه .

١٣٧٥/٢ : فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك ، فقال عبد الرحمن :
ما جئت بشيء ، أترى ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه ! فقال
عثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنت ، قال : الآن أصبت
المطلب ، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدّين في مقام واحد ، ولم
يسأله عن شيء . فرجع أبو المغراء^(٢) بن حَيَّان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن
الحَيَّان ، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يومي
هذا ، واليوم أقرب النساء !

• • •

[مقتل شوذب الخارجي]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِل شوذب الخارجي .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبر عمّا كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز
لمناظرته في خلافه عليه ، فلما مات عمر أحبّ - فيما ذكر معمر بن المنثري -
عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحطّي عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

(٢) : « المغراء » .

(١) هو عثمان بن حيان المري

محمد بن جرير يأمره بمحاربة^(١) شَوَذِب وأصحابه، ولم يرجع رسولا شوذب، ولم يعلم بموت عمر، فلماً رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب، أرسل إليه شوذب: ما أعجلك^(٢) قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب! فأرسل إليهم محمد: إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة - قال غير أبي عبيدة: فقالت الخوارج: ما فعل هؤلاء هذا^(٣) إلا وقد مات الرجل الصالح.

١٣٧٦/٢

قال معمر بن المثنى: فبرز لهم شوذب، فاقتتلوا، فأصيب من الخوارج نفر، وأكثروا في أهل القبلة القتل، وتولوا منهزمين، والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أحصااص الكوفة، ولجثوا إلى عبد الحميد، وجرح محمد بن جرير في استه، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه، فجاءاه فأخبراه بما صار عليه عمر، وأن قد مات. فأمر يزيد عبد الحميد على الكوفة، ووجه من قبله تميم بن الحبيب في ألفين، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر: فلعنوه ولعنوا يزيد، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه، وهزموا أصحابه، فوجه إليهم الشحاج بن وداع في ألفين، فراسلهم وراسلوه، فقتلوه، وقتل منهم نفراً فيهم هُدَبة اليشكري، ابن غم بسطام - وكان عابداً - وفيهم أبو شُبَيْل مقاتل ابن شيان - وكان فاضلاً عندهم - فقال أبو ثعلبة أيوب بن سُوَلى يرثيهم:

١٣٧٧/٢

تَرَكْنَا تَمِيماً فِي الْغُبَارِ مُلَحِباً تُبَكِّي عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَائِبُهُ
وَقَدْ أَسْلَمْتُ قَيْسُ تَمِيماً وَمَالِكاً كَمَا أَسْلَمَ الشَّحَاجُ أَمْسِ أَقَارِبُهُ
وَأَتَمَّلَ مِنْ حَرَّانَ بِحِمْلُ رَايَةَ يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
فَيَا مُذَبِّبَ لِلْهَيْجَا، وَيَا مُذَبِّبَ لِلْنَدَى، وَيَا مُذَبِّبَ لِلْخَضَمِ الْإِلْدُ يُحَارِبُهُ!
وَيَا مُذَبِّبَ كَمَنْ مَلَحَمٌ قَدْ أُجْبِنَهُ^(٥) وَقَدْ أَسْلَمْتُهُ لِلرَّمَا حِ جَوَالِبُهُ

(١) ابن الأثير: «بمجازة». (٢) اب: «ما أعجلكم». (٣) ر: «ما فعلوا».

(٤) ط: «صادراً». ب: «صاراً». (٥) ابن الأثير: «كم من ملجم».

وكان أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلٍ يُرْجَى وَيَخْشَى بِأَسْهُ مِنْ يَحَارِبُهُ
فَفَازَ وَلَاقَى اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ وَخَذَمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ ضَارِبُهُ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمَغْفَرًا وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخْنُهُ مَضَارِبُهُ
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ إِذَا انْقَضَ وَافَى الرَّيْشِ حُجْنٌ مَجَالِبُهُ

١٣٧٨/٢

فلما دخل مسلمة الكوفة شكاً إليه أهلها مكان شوذب ، وخوفهم منه
وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي - وكان فارساً - فعقد
له على عشرة آلاف ، ووجهه إليه ^(١) وهو مقيم بموضعه ، فأناه ما لاطاقة له به .
فقال شوذب لأصحابه : مَنْ كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، ومن كان
إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا ، وإنما البقاء في الدار الآخرة ؛ فكسروا
أغمد السيف ^(٢) وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة
فدمر أصحابه ، وقال لهم : أَمِنْ هذه الشرذمة لا أبا لكم تفرون ! يا أهل
الشأم يوماً كأيامكم !

قال : فحملوا عليهم ، فطحنوهم ^(٣) طحناً لم يبقوا منهم أحداً ، وقتلوا بسطاماً
وهو شوذب وفرسانه ، منهم الريان بن عبد الله الشكري ، وكان من المحبتين ^(٤) ،
فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه :

وَلَقَدْ فَجِئْتُ بِسَادَةٍ وَفَوَارِسٍ لِلْحَرْبِ سُغَرٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ
إِعْتَانَهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ فَعَالَهُمْ وَتُرَكْتُ فَرْدًا غَيْرَ ذِي إِخْوَانٍ
كَالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ عَلَى الرِّيَانِ كَمِداً تَجَلْجَلُ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ
مِنْ يَشْكُرُ عِنْدَ الْوَعَى فَرْسَانٍ وَفَوَارِسٍ بَاعُوا الْإِلَهَ نَفْسَهُمْ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ جَعْدَةَ يَرِثُهُمْ :

يَا عَيْنُ أَذْرَى دُمُوعاً مِنْكَ تَسْجَامًا وَابِكِي صَحَابَةَ بِسْطَامٍ وَيَسْطَامًا
فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِشْتَ مِنْهُمْ أَتَقَى وَأَكْمَلَ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامًا

(١) س : « إليهم » .

(٢) ب : « سيوفهم » .

(٣) ط : « فطحنهم » ، وما أثبت من ب .

(٤) ط : « المحبتين » . وأخبت إلى ربه ،

بِسِيَّتِهِمْ قَدْ تَأَسَّوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ ۖ وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامًا ۚ
 حَتَّى مَضَوْا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا فَأَوْرَثُونَا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامًا
 إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ قَدْ أُنْزِلُوا غُرَفًا مِنَ الْجَنَانِ وَنَالُوا ثُمَّ خُدَّامًا
 أَسْقَى إِلَهُ بِلَادًا كَانَ مَضْرَعُهُمْ فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمَى سَجَامًا

• • •

[خبر خلع يزيد بن المهلب بن يزيد بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرتاة الفزاري ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

« ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة — أعني سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدى بن أرتاة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتهيأ لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عدى بن أرتاة أخذهم وحبسهم ، وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيد لأصحابه : ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه : لا بل امض بنا ودعه . وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القُطْقُطانة ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن مخزومة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود بن

١٣٧٩/٢

١٣٨٠/٢

نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي القرشي ، في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة ، فقال له : انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العذيب . فمشى هشام قليلا ، ثم رجع إلى عبد الحميد ، فقال : أحييتك به أسيراً أم آتيتك برأسه ؟ فقال : أي ذلك ما شئت ، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه ، وجاء هشام حتى نزل العذيب ، ومرّ يزيد منهم غير بعيد ، فاتقوا الإقدام عليه ، ومضى يزيد نحو البصرة ، ففيه يقول الشاعر :

وسارَ ابنُ المهلبِ لم يُعَرِّجْ وعَرَّسَ ذو القَطِيفَةِ من كِنَانِهِ
ويأسَرَ والتَّيَّاسُ كانَ حَزْماً ولم يَقْرَبْ قُصُورَ القُطُقُطَانَةِ

ذوالقطيفة هو محمد بن عمرو^(١) ، وهو أبو قطيفة بن الوليد بن عُقبة بن أبي معيط ، وهو أبو قطيفة ؛ وإنما سمي ذا القطيفة ، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر . ومحمد يقال له ذوالشامة .

١٣٨١/٢

فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد ، ومضى يزيد إلى البصرة ، وقد جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها ، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي . وكان عدى بن أرطاة رجلاً من بني فزارة . وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أرطاة : خذ ابني حميداً فاحبسه مكاني ، وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس ، ويطلب لنفسه الأمان^(٢) ولا يقربك^(٣) فأبى عليه ، وجاء يزيد ومعه أصحابه^(٤) الذين أقبل فيهم^(٥) ، والبصرة محفوفة بالرجال ، وقد جمع محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حبس رجالاً وقتية من أهل بيته وناساً من مواليه ، فخرج حتى استقبله ، فأقبل في كتية تهول من رآها ، وقد دعا عدى أهل البصرة ، فبعث على كل خمس من أخماسها رجلاً ، فبعث على خمس الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي ، وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر ، وعلى خمس بكر بن وائل عمرو بن عامر

(١) وهو ، أي عمرو ، وفي ط : « وأبو قطيفة » ، وهو خطأ .

(٢) ب : « الأمان لنفسه » . (٣) ب : « ولا يفروك » .

(٤) س : « وجاء يزيد وأصحابه » . (٥) س : « بهم » .

١٣٨٢/٢

ابن مسمع من بنى قيس بن ثعلبة . فقال أبو منقر - رجل من قيس بن ثعلبة - :
 إن الرواية لا تصلح إلا في بنى مالك بن مسمع ، فدعا عدى نوح بن شيبان
 ابن مالك بن مسمع ، فعقد له على بكر بن وائل ، ودعا مالك بن المنذر بن
 الجارود ، فعقد له على عبد القيس ، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر
 القرشي ، فعقد له على أهل العالية -- والعالية قريش وكنانة والأزد وبجيلة ونختم
 وقيس عتيلان كلها ومزينة -- وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربعة أهل المدينة
 وبالبصرة^(١) خمس أهل العالية ، وكانوا بالكوفة أخماساً ، فجعلهم زياد بن
 عبيد أرباداً .

قال هشام عن أبي مخنف : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر ببخيل من خيلهم
 ولا قبيلة من مقاتلهم إلا تنحّوا له عن السبيل^(٢) حتى يمضي ، واستقبله المغيرة
 ابن عبد الله الثقفي في الخيل ، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل ، فأفرج
 له عن الطريق هو وأصحابه ، وأقبل يزيد حتى نزل داره ، واختلف^(٣) الناس
 إليه ، وأخذ يبعث إلى عدى بن أرطاة أن ادفع^(٤) إلى إخوتي وأنا أصالحك
 على البصرة ، وأخلى وإياها حتى آخذ لنفسى ما أحب من يزيد بن عبد الملك ،
 فلم يقبل منه ، فخرج^(٥) إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن
 المهلب ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن
 يزيد^(٦) الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته ، وأخذ يزيد بن المهلب
 يعطي من أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة ، قال
 الناس إليه ، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدى بن أرطاة
 حين نزع منه رايته ، راية بكر بن وائل ، وأعطاه ابن عمه ، ومالت إلى يزيد
 ربيعة وبقيّة تميم وقيس وناس بعد ناس^(٧) ، فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع
 ومعه ناس من أهل الشام ، وكان عدى لا يعطي إلا درهمين درهمين . ويقول :

١٣٨٢/١

(١) س : « والبصرة » .

(٢) ابن الأثير : « عن طريقه » .

(٣) ابن الأثير : « فاختلف » .

(٤) ب وابن الأثير : « أن أبعث » .

(٥) ب : « فسار » .

(٦) ب : « زيد » .

(٨) ب : « من الناس » .

لا يحلّ لي أن أعطيكم من بيت المال درهمًا إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ،
ولكن تبلغوا بهذا^(١) حتى يأتي الأمر في ذلك^(٢) . فقال الفرزدق في ذلك :

أَظُنُّ رِجَالَ الدَّرْهَمَيْنِ يَسُوقُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ آجَالُ لَهُمْ وَصَارِعُ^(٣)
فَأَحْزَمَهُمْ مَنْ كَانَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ^(٤) وَأَيَقِنَ أَنَّ الْأَمْرَ لَا شَكَّ وَاقِعُ^(٥)

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى ، فزولوا الميريد ، فبعث
إليهم يزيد بن المهلب مولًى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال
الفرزدق في ذلك :

تَفَرَّقَتِ الْحَمَرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ^(٦)
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدَى مَلَامَةً أَلَا صَبِرُوا حَتَّى تَكُونَ مَلَاحِمُ

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس . حتى نزل جبانة بني يشكر
— وهو المنصف^(٧) فيما بينه وبين القصر — وجاءته بنو تميم وقيس^(٨) وأهل الشام ؛
فاقتتلوا هُنْبَهَةً ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ، ف ضرب مسور بن عباد
الحبطني بالسيف فقطع أنف البيضة ، ثم أسرع السيف إلى أنفه^(٩) ، وحمل
على هُرَيم بن أبي طلحة من بني نهشل بن دارم . فأخذ بمنطقته ، فحذفه عن
فرسه^(١٠) ؛ فوقع فيما بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات ! عمك أثقل من
ذلك . وانهمزوا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

(١) ابن الأثير : « هذه » . (٢) ب : « بذلك » .

(٣) ديوانه ٥١٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .

(٤) الديوان : « من قرّ في قعر بيته » .

(٥) الديوان : « وأيقن أن العزم لا بد واقع » .

(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والر رواية فيه :

تَصَدَّعَتِ الْجَعْرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدَى مَلَامَةً وَخَصَّ بِهَا الْأَدْنَيْنِ أَهْلَ الْمَالُومِ
هُمْ قَتَلُوا مَوْلَاهُمْ وَأَمِيرَهُمْ وَلَمْ يَصْبِرُوا لِلْمَوْتِ عِنْدَ الْمَلَا حِمِ

(٧) ابن الأثير : « النصف » .

(٨) ابن الأثير : « فلقية قيس و تميم » .

(٩) ب : « في أنفه » .

(١٠) حذفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهـم وخرج إليه عدى بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودى - وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج - وقتل موسى بن الوجيه الحميرى ثم الكسلاعى ، وقتل راشد المؤذن ، وانهزم أصحاب عدى ، وسمع إخوة يزيد وهم فى محبس عدى الأصوات تدنو ، والنشاب تقع فى القصر ، فقال لهم عبد الملك : إني أرى النشاب تقع فى القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر ، وإني لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً . ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر^(١) ، وكان على حرس عدى - فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ، ثم اتكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا الدخول ، وأعجلهم الناس فخلّوا عنهم .

١٣٨٥/٢

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى^(٢) جانب القصر^(٣) ، وأتى بالسلالم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأتى بعدى ابن أوطاة ، فجىء به وهو يتبسّم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوالله إنه لسينبغى أن يمنعك من الضحك خصلتان : إحداهما الفرار من القيلة الكريمة حتى أعطيت بيدك إعطاء المرأة بيدها ، فهذه واحدة ، والأخرى أنى أتيت بك تثلّ كما يتل^(٤) العبد الآبى إلى أربابه ، وليس معك منى عهد ولا عَقْد ، فما يؤمنك أن أضرب عنقك ! فقال عدى : أما أنت فقد قدرت على ، ولكنى أعلم أن بقاءى بقاءك ، وأن هلاكى مطلوب به من جرته يده ؛ إنك قدرأيت جنود الله بالمغرب ، وعلمت بلاء الله عندهم فى كل موطن من موطن الغدر والنكث ، فتدارك فكتلتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة ، قبل أن يرى إليك البحر بأمواجه ، فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تقل ، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

(١) ط : « عامر » ، وانظر الفهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر الفهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) يتل ، أى يقاد .

يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

فقال له يزيد : أما قولك : إن بقاءك بقائى ؛ فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاءك ؛ وأما قولك : إن هلاكك مطلوب به من جرّته يده ؛ فوالله لو كان فى يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم^(١) رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ، ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد ، لكان فراقى إياهم وخلافى عليهم أهولَ عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ، ثم لو شئت أن تهذّرلى دماؤهم ، وأن أحكمّ فى بيوت أموالهم ، وأن يجوزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا ؛ فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم ، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم ، لا يذكرنك ولا يحلفون بك . وأما قولك : تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل ؛ فوالله ما استشرتك ، ولا أنت عندى بوادٍ ولا نصيح ؛ فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً ؛ انطلقوا به ، فلما ذهبوا به ساعة قال : ردّوه ، فلما ردّ قال : أما إن حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنّا نسألك التسهيل فيه عليهم ، فلم تكن تألوما عسّرت وضيقّت وخالفت ؛ فكأنه لهذا القول حين سمعه أمين على نفسه ، وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه .

وكان رجل يقال له السמידع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى حمان يرى رأى الخوارج ، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القرّاء ، فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى : قد رضينا بحكم السّميدع . ثم إن يزيد بعث إلى السّميدع فدعاه إلى نفسه ، فأجابه ، فاستعملوا يزيد على الأبلّة ، فأقبل على الطّيب والتخلّق والتّعيم ، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رموس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر ، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشّام ، فقال الفرزدق :

فداءً لِقَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ تَتَابَعُوا إِلَى الشَّامِ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ السَّيِّدِ (١)
أَحْكُمُ حَرُورِي مِنَ الدِّينِ مَارِقٍ أَضَلُّ وَأَغْوَى مِنْ حِمَارٍ مُجَدِّعٍ
فأجابه خليفةُ الأقطع .

وَمَا وَجَّهَهَا نَحْوَهُ عَنْ وِفَادَةٍ وَلَا نُهْزَةٍ يُرْجَى بِهَا خَيْرٌ مَطْمَعٍ
وَلَكِنَّهُمْ رَاحُوا إِلَيْهَا وَأَذْلَجُوا بِأَقْرَعٍ أَسْتَاهُ تَرَى يَوْمَ مَقَرَعٍ
وَهُمْ مِنْ حِذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ لَهُمْ نَزْلَةٌ فِي كُلِّ خَمْسٍ وَأَرْبَعٍ
وخرج الحواري (٢) بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن عبد الملك
هارباً من يزيد بن المهلب، فلقى خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد
الحكمتي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن
عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب، وكل شيء أَرَادَهُ، فاستقبلهما، فسألاه عن
الخبر . فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك، فقال: أين تريدان ؟
فقالا: يزيد بن المهلب، قد جئناه بكل شيء مما أَرَادَهُ، فقال: ما تصنعان بيزيد
شيئاً، ولا يصنعه بكما: قد ظهر على عدوه عدى بن أرقطاة، وقتل القتي
وحبس عدياً، فأرجعنا أيها الرجلان . ويمر رجل من باهلة يقال له مسلم بن
عبد الملك، فلم يقف عليهما، فصاحجه وسألاه، فلم يقف عليهما، فقال
القسري: ألا تردّه فتجلده مائة جلدة ! فقال له صاحبه: غربه عنك،
وأمتلا لينصرف .

١٣٨٨/٢

ومضى الحواري بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك، وأقبلا بحميد بن عبد الملك
معهما . فقال لهما حميد: أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بُعثتما به ! فإن
يزيد قابل منكما: وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء، فأنشدكما الله أن
تقبلا مقاتلته: فلم يقبلا قوله، وأقبلا به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم (٣)
الكلبي . وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خراسان عاملاً عليها . فلما
بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه: إن جهاد من خالفك أحبُّ إليَّ

(١) ديوانه ٥٠٨، وفيه: « فدى لروس من تميم » .

(٢) ابن الأثير: « المغيرة » . (٣) ط: « سليمان »، وانظر الفهرس .

من عمل على خراسان، فلاحاجة لى فيها ، فاجعلنى ممن توجهنى إلى يزيد بن المهلب ، وبعث بمحمّد بن عبد الملك إلى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زحر الجعفى ، وليسأ ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بنى المهلب، فأوثقهما وسرّحهما^(١) إلى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعاً ، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجالاً من أهل الشام إلى الكوفة يسكنونهم، ويثنون عليهم بطاعتهم، ويمنّونهم الزيادات منهم القطامى بن الحصين، وهو أبو الشرقى، واسم الشرقى الوليد ، وقد قال القطامى حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب :

لَعَلَّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدًا يَقُودُ جَيْشًا جَحْفَلًا شَدِيدًا
تَسْمَعُ لِلْأَرْضِ بِهِ وَثِيدًا لَا بَرَمًا هِدًّا وَلَا حَسُودًا
وَلَا جَبَانًا فِي الْوَعْيِ رَعِيدًا تَرَى ذَوِي النَّجَّاحِ لَهُ سُجُودًا
مُكَفِّرِينَ خَاشِعِينَ قُودًا وَآخِرِينَ رَحْبُورًا وَفُودًا
لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَلَا الْمَعْهُودًا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدًا
تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدًا مِنَ الْأَعَادَى جَزْرًا مَقْصُودًا

ثم إن القطامى سار بعد ذلك إلى العفقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك، فقال يزيد بن المهلب : ما أبعد شعر القطامى من فعله !

ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد فى أربعة آلاف فارس ؛ ١٣٩٠/٢
جريدة خيل، حتى وافوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات، فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكيرمان، عليها الجراح بن عبد الله الحكيمى حتى انصرف إلى عمر بن

(١) ابن الأثير : « وسيرهما » .

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة . واستخلف
يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الحراج ، وجاء مدرك بن المهلب
حتى انتهى إلى رأس المفازة ، فدس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن
هذا مدرك بن المهلب يريد أن يلتقي بينكم الحرب . وأنتم في بلاد عافية وطاعة
وعلى جماعة ، فخرجوا ليلاً يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزدي ، فخرج منهم نحو
من ألقي فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ما جاء بكم ؟
وما أخرجكم إلى هذا المكان ؟ فاعتلوا عليهم بأشياء ، ولم يُقروا لهم أنهم خرجوا
ليتلّفوا مدرك بن المهلب ، فقال لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلّقى
صاحبنا ، وها هو ذا قريب ؛ فما شتم .

ثم انطلقت الأزدي حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا
له : إنك أحب الناس إلينا ، وأعزهم علينا ، وقد خرج أخوك ونابذه ، فإن يظهره
الله فإنما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك ؛ وإن
تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء راحة . فعزم له
رأيه على الانصراف ، فقال ثابت قُطنة ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزدي من
العتيك :

١٣٩١/٢

ألم ترَ دوسراً منعت أنأها	وقد حشدت لتقتله تميم
رأوا من دونه الزرق العوالي	وحياً ما يباح لهم حريم
شئونها وعمران بن حزم	هناك المجذ والحسب الصميم
فما حملوا ولكن نههتهم	رماح الأزدي والعز القديم
رددنا مدركاً بمرّد صدق	وليس بوجهه منكم كلوم
وخيل كالقِداحِ مَسومات	لدى أرض مغانيها الجميم
عليها كل أضيّد دوسري	عزيز لا يفر ولا يريم
بهم تُستعتب السفهاء حتى	تري السفهاء ترذعها الحلوم

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحث على الجهاد ، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم .

قال : فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضع يده على عاتقي ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه ، قال : فهؤلاء والله الغناء ^(١) ، قال : فضينا حتى دنونا من المنبر . قال : فسمعت يذکر کتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته ^(٢) ، فقال : والله لقد رأيتكم والياً وموالياً ^(٣) عليكم ، فما ينبغي لك ذلك . قال : فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده وفيه وأجلسناه ؛ فوالله ما نشك أنه سمعه ؛ ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته .

قال : ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتوه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدثني المثني بن عبد الله أن الحسن البصري مر على الناس وقد اصطفوا صفتين ، وقد نصبوا الرايات والرماح ، وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون : يدعونا يزيد إلى سنة العمرين ، فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرح بها إلى بني مروان ، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم . فلما غضب غضبة نصب قصباً ، ثم وضع عليها خرقاً ، ثم قال : إني قد خالفتهم فخالقوهم . قال هؤلاء : نعم . وقال : إني أدعوكم إلى سنة العمرين ، وإن من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ، ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه ، فقال له ناس من أصحابه

(١) ط : « الأعتاء » ، والصواب ما في الأصول .

(٢) ابن الأثير : « وكان حسن البصري يسمع ، فرفع رأسه » .

(٣) ط : « موليا » تحريف .

١٣٩٣/٢

من سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرّحهم ! أليس هم الذين أحلّوا حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام^(١) وثلاث ليالٍ اقد أباحوهم^(٢) لأنباطهم وأقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات الدّين ، لا يتناهون عن انتهاك حرمة . ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهدموا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها ، عليهم لعنة الله وسوء الدار !

قال : ثمّ إنّ يزيد خرج من البصرة ، واستعمل عليها مروان بن المهلب ، وخرج معه بالسلاح وبيت المال ، فأقبل حتى نزل واسطاً ، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط ، فقال : هاتوا الرأى ، فإنّ أهل الشام قد نهضوا إليكم ، فقال له حبيب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً فقالوا : نرى أن تخرج وتزل بفارس ، فتأخذ بالشّعاب وبالعقاب ، وتدنو من خراسان ، وتطاول القوم ، فإنّ أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون . فقال : ليس هذا برأى ، ليس يوافقنى هذا ؛ إنما تريدون أن تجعلونى طائراً على رأس جبل . فقال له حبيب : فإنّ الرأى الذى كان ينبغى أن يكون فى أوّل الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، فإنما هو^(٣) عبد الحميد بن عبد الرحمن ، مررت به فى سبعين رجلاً فعجز عنك ؛ فهو عن خيلك أعجز فى العدة ، فنسبى إليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك ، وأن تلى عليهم أحبّ إلى جلّهم من أن يلى عليهم أهل الشام ، فلم تطعنى ، وأنا أشير الآن برأى ؛ سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأتى الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها^(٤) ، وتسير فى أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ؛ ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكأنهم حابسُهم عليك^(٥) حتى تأتيتهم فيأتيك منّ بالموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم فى أرض ربيعة^(٦) السمر ، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك .

١٣٩٤/٢

(١) ابن الأثير : « ثلاثاً » . (٢) ابن الأثير : « أباحوها » .

(٣) ابن الأثير : « بها » . (٤) ابن الأثير : « حصونهم » .

(٥) ابن الأثير : « فيحبسونهم عنك » . (٦) ابن الأثير : « ربيعة » . وفى ط :

« ربيعة » تحريف .

فقال : إني أكره أن أقطع جيشي وجندي . فلما نزل واسطاً أقام بها أياماً يسيرة .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الفضّاح ابن قيس الفهريّ ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشّعبيّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

[ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث]

فمن ذلك ما كان فيها من مَسِير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إياهما لحربه .

١٣٩٥/٢

وفيها قتل يزيد بن المهلب ، في صفر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام ، عن أبي مخنف : أن مُعَاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على راسط حين أراد الشخصوس عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسرَاء ، وقدّم بين يديه أخاه عبد الملك ، ثم سار حتى مرّ بَقَم النّيل ^(١) ، ثم سار حتى نزل العَقَر . وأقبل مسلمة يسير على شاطئ ، الفرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر . فعبر من قبل قرية يقال لها فارط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وقد قدّم يزيد أخاه نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد بسُوراً ، فاصطفقوا ، ثم اقتتل القوم ، فشدّ عليهم أهل البصرة شدّة كشفهم فيها ، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد بالبصرة ، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس ، فيهم هُرَيم بن أبي طَحْمة المجاشعي . فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشاف ، ناداهم هُرَيم بن أبي طَحْمة : يا أهل الشام ، الله الله أن تُسَلِّمونا ! وقد اضطّرم أصحاب عبد الملك إلى نَهْرٍ ^(٢) فأخذوا ينادونه : لا بأس عليك ، إن لأهل الشام جولة في أول القتال ، أتاك الغوث .

١٣٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « سار على فم النيل » .

(٢) ابن الأثير : « النهر » .

قال : ثم إن أهل الشام كروا عليهم ، فكُشف أصحاب عبد الملك وهُزموا ، وقيل المنتوف من بكر بن وائل ، مولى لهم ، فقال الفرزدق يجرّض بكر بن وائل :

تُبَكِّى على المنتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ وتَنهَى عَنِ ابْنِي مَسْمَعٍ مَن بَكَاهُمَا^(١)
غَلَامِينَ شَبَابًا فِي الْحُرُوبِ وَأَدْرَكَا كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا^(٢)
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إِذَا أَوْقَدُوا نَارَيْنِ يَعْلُو سَنَاهُمَا
وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع ، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجهم بن درهم مولى من هَمْدَان^(٣) :

نُبَكِّى على المنتوفِ فِي نَصْرِ قَوْمِهِ وَلَسْنَا نُبَكِّى الشَّائِدِينَ أَبَاهُمَا
أَرَادَ فِتْنَاءَ الْحَيِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَعِزَّ تَمِيمٌ لَوْ أُصِيبَ فِتْنَاهُمَا
فَلَا لَقِيَا رَوْحًا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً وَلَا رَقَاتٍ عَيْنَا شَجِيَّ بَكَاهُمَا
أَفِي الْغُشِّ نُبَكِّى إِنْ بَكَيْنَا عَلَيْهِمَا وَقَدْ لَقِيَا بِالْغُشِّ فِينَا رَدَاهُمَا ١٣٩٧/٢

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر ، وأمر عبد الله ابن حبان العبدى ، فعبّر إلى جانب الصّرة الأقصى — وكان الجسر بينه وبينه — ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد ، وخذق عليه ، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرشى ، ويقال : عبر إليهم الوضاح ، فكانوا يلزائهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة^(٤) كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه ورُبّع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وبعث على رُبّع كندة وربيعة محمد

(١) الكامل للبهرد : ١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) الكامل : « غلامان » ، وبعده في الكامل :

وَلَوْ قُتِلَا مِنْ جَذْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ لَكَانَ عَلَى النَّاعِي شَدِيدًا بَكَاهُمَا

(٣) كذا في ط ، وفي ابن القيراني ٣١ : « والجهم بن درهم مولى سويد بن غفلة » .

(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربيع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً مع المفضل بن المهلب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدثني العلاء بن زهير ، قال : والله إنا لجلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يُضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : إى والله وأربعة آلاف سيف ، قال : لإنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديوانى مائة وعشرين ألفاً ، والله لوددت أن مكانهم الساعة معى من بخراسان من قوى .

١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إن هؤلاء القوم لن يردّهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم ، والضرب بالمشرفيّة على هامهم . ثم قال : إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء — يعنى مسلمة بن عبد الملك — وعافر ناقة ثمود ؛ يعنى العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر ، كانت أمه رومية — والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسه ؛ فبلغنى أنه ليس همتها إلا التماسى في الأرض ، والله لو جاء أمل الأرض جميعاً وليس إلا أنا ، ما برحت العرصة حتى تكون لى أو لهم . قالوا : نخاف أن تعنينا كما عنانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إن عبد الرحمن فضح الذمار ، وفضح حسبه ، وهل كان يعدو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن العَمَيْشَل — رجل من الأزد — قد جمع جمعاً فأتاه فبايعه ؛ فكانت بيعة يزيد : تباعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألا تطلّ الجنود بلادنا ولا يبيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تباعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وبعث إلى المياه فبشّتها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلا يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مناظر وأرصداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث

١٣٩٩/٢

عبد الحميد بعثاً من الكوفة عليهم سيف بن هانيّ الحمدانيّ حتى قدموا على مسلمة ، فألطفهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثاً هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سبيرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزديّ ، فلما قدم أثني عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ، ضمّوا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة - وهو ذو الشامة - مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رموس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبيل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقيّة ليلتهم ، وأميدّه بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس . ففناجزهم ، فإنّي أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم .

قال السّميدع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

قال أبو روبة - وكان رأس طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له : ١٤٠٠/٢ صدّق ، هكذا ينبغي . قال يزيد : ويحكم ! أتصدّقون بني أمية ؟ أنهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيّعوا ذلك منذ كانوا ! إنهم يقولون لكم : إنا نقبل منكم ، وهم يريدون ألاّ يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروهم به . وتدعونهم إليه ؛ لكنهم أرادوا أن يكفّوكم عنهم ؛ حتى يعملوا في المكر ، فلا يسبقوكم إلى تلك ، ابدعواهم بها ، إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أكر ولا أبعد غوراً من هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلمة - قالوا : لا نرى أن نفعل ذلك ، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا . وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ، ويسرّح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن المصريّ يثبّط الناس عن يرد ابن المهلب .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الحميد البصري ، أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام :

أيها الناس ، الزموا رجالكم ، وكفّوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباقي ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براصاً ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التّيه والخسلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التّي ، فمن كان منكم خفياً فليلزم الحق ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدّنيا ، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ؛ وكفى له بها (١) من الدّنيا خلفاً ؛ ومن كان منكم معروفاً شريفاً ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدّنيا لإرادة الله بذلك ، فوهاً لهذا ! ما أسعده وأرشدّه وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غدأ - يعني يوم القيامة - القبر عيناً ، الكريم عند الله مآباً . فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالجلد والاحتشاد ، ثم قال لهم :

١٤٠١/٢

لقد بلغني أن هذا الشيخ الضالّ المرائي - ولم يسمّه - يثبّط الناس ، والله لو أن جاره نزع من شخص داره قصبّة لظلّ برعف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا (٢) ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله لسيكفّن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقّاط (٣) الأبلّة وعدّوج فُرّات البصرة - قوماً ليسوا من أنفسنا ، ولا من جرت عليه النعمة من أحدنا - أولأنحين عليه مبرّداً خشناً .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك ، فقال لهم : فقد خالفتكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه ! آركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرة ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني ! فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتدّ عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرّقوا . ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، وكفّ عنه مروان بن المهلب .

(٢) ط : « خيرنا » .

(١) ط : « به » .

(٣) سقّاط : جمع ساقط ؛ وهو اللّثيم في حسيه ونسبه .

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشام ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمته جبلة بن مغرمة الكندي ، وجعل على ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمته سيف بن هاني الهمداني ، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس ، وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب ، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن ، وكان مما يلي العباس بن الوليد .

قال أبو مخنف : فحدثني الغنوي - قال هشام : وأظن الغنوي العلاء ابن المنهال - أن رجلاً من الشام خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فأتقاه الرجل بيده ، وعلى كفه كف من حديد ، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه ، واعتنق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المينجل أعود عليك . قال : فذكر لي أنه حيّان النسبطي .

قال : فلما دنا الوضاح من الجسر ألب فيه النار ، فسطع دخانه ؛ وقد اقتتل^(١) الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : وممّ انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم من مثله ! فقبل له : قالوا : أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : قبّحهم الله ! بقّ دُحْن عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوه من ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إني لأرجو ألا يجمعي الله وإياهم في مكان واحد أبداً ؛ دعوهم يرحمهم الله ، غمّ عدا في نواحيها الذئب ، وكان

(١) ابن الأثير : « وقد أقبل » .

يزيد لا يحدث نفسه بالفِرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص — وأمه ابنة الزبير بن السعدى — أتابه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العترة ، فقال (١) :
 إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مُلْكُهُمْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرْ
 قال يزيد : ما شعرت . قال : فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفى :
 فَعِشْ مَلِكًا أَوْ مُتْ كَرِيمًا وَإِنْ نَعَتْ (٢) وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعْذِرُ
 قال : أمّا هذا فعسى .

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة ، فقال : يَا سَمِيعُ ،
 أَرَأَيْتَ أَمْ رَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ ! قال : بلى والله ، والرأى كان رأيك ،
 وأناذا معك لأزليك ، فرتنى بأمرك ؛ قال : إمّا لا فانزل ، فنزل فى أصحابه ،
 وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال : إن حبيباً قد قتل .

١٤٠٤/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير بن سلمة
 الأزدى ، قال : أشهد أنى أسمع حين قال له ذلك ، قال : لا خير فى العيش
 بعد حبيب ! قد كنت والله أنغص الحياة بعد الهزيمة ؛ فوالله ما ازددت له
 إلا بغضاً ، امضوا قُدماً . فلعلنا والله أن قد استقتل ؛ فأخذ من يكره القتال
 ينكص ، وأخذوا يتسللون ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزدلف ، فكلما
 مرّ بخيل كشفها ، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه ،
 فجاء أبو ربيعة المرجعى ، فقال : ذهب الناس — وهو يشير بذلك إليه وأنا
 أسمع — فقال : هل لك أن تنصرف إلى واسط ؛ فإنها حصن فتتزلها ويأتيتك
 مدد أهل السرة . ويأتيتك أهل نهمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقاً ؟
 فقال له : قبح الله أهلك ! أليس تقول هذا ! الموت أيسر على من ذلك ، فقال
 له : فألى أنتخوف عليك لما ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ! وهو
 يشير إليه ، فقال له : أما أنا بما أباليها ؛ جبال حديد كانت أم جبال نار .
 فذهب من ذلك ، لا تريد قتالاً معنا . قال : ويخجل قول سارية بن بدر الغضائى
 — قال أبو بكر بن عمار : حدثنا عبد الله بن الأعمش —

١٤٠٥/٢

أَبِالْمَوْتِ خَشْتَنِي عُبَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَآيَا النَّاسِ يَشْقَى ذَلِيلُهَا
فَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مُتْهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلُهَا

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشام ، وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب . وقتل معه السَّمِيدَع ، وقتل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القَحْلُ بن عِيَّاش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلته أو ليقتلني ، وإن دونه ناساً ، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا^(١) ساعةً ، وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القَحْلُ بن عِيَّاش بآخر رمق . فأوى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلته ، ويؤى إلى نفسه إنه هو قتلني . ومرو مسلمة على القحل بن عياش صريعاً إلى جنب يزيد ، فقال : أما إني أظن هذا هو الذي قتلني . وجاء برأس يزيد مولى لبني مُرَّة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحواري بن زياد ابن عمرو العنكي : مر برأسه فليُغسل ثم ليعم ، ففعل ذلك به ، فعرّفه ، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

١٤٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير ، قال : لقد قتل يزيد وهزم الناس ، وإن المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشام ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس ؛ وإنه لعلّى برذون شديد قريب من الأرض ، وإن معه لحففة أمامه ، فكلما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشف ، فيحمل في ناس من أصحابه حتى يحالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى من ملتفت إلا أشار إليه بيده ألا يتفت ليقبل القوم بوجوههم من عسورهم ، ولا يكون لهم ثم غيرهم .

قال : ثم اقتتلنا ساعة ؛ فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْشِل الأزدى وهو يضرب بسيفه ، ويقول :

قد عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّ المولودِ أَننى بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ رَغِيدٍ
قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيتُ عند
أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال ، فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم : أى
معشر ربيعة ، الكرة الكرة ! والله ما كنتم بكشف ولا لثام ، ولا هذه لكم بعادة ،
فلا يؤتين أهل العراق اليوم من قبلكم . أى ربيعة ، فدتكُم نفسى ، اصبروا
ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله ، وثابوا إليه ^(١) ، وجاءت كُوَيْفْتُك ^(٢) .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم ، حتى أتى ، فقيل له :
ما تصنع هنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد ، وانهزم الناس منذ طويل ؟
وأخبر الناس بعضهم بعضاً ، فتفرقوا ومضى المفضل ، فأخذ الطريق إلى واسط ،
فأرأيت رجلاً من العرب مثل منزله كان أغشى للناس بنفسه ، ولا أضرب
بسيفه ، ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه .

قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالخنديق ، فإذا عليه
حائط ، عليه رجال معهم التَّيْل ، وأنا مجتَفٍ ، وهم يقولون : يا صاحب
التَّجْجَاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شئ أثقل على من تَجْجَافى ،
قال : فما هو إلا أن جُرْتُهم ، فزلت فألقيته لأخفف عن دابتي . وجاء أهل
الشَّام إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو رُوَيْبَة صاحب المَرْجِثة ساعة
من النهار حتى ذهب عَظْمُهم ، وأسر أهل الشَّام نحواً من ثلثمائة رجل ،
فسرَّحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم . وكان على شُرطه
العُريَّان بن الهيثم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو :
أن اضرب رقاب الأسراء ، فقال للعُريَّان بن الهيثم : أخرجهم عشرين عشرين ،
وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحواً من ثلاثين رجلاً من بنى تميم ، فقالوا :

(١) ابن الأثير : « فرجعوا إليه » .

(٢) كذا فى ط .

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وابدعوا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم العُريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدثني نجيب أبو عبد الله مولى زهير ، قال : والله إني لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم .
نقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم :

لَعَمْرِي لَقَدْ خَاضَتْ مَعِبُطٌ دِمَاءَنَا بِأَسْيَافِهَا حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْوَحْلُ
وَمَا حُمِلَ الْأَقْوَامُ أَعْظَمَ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ وَلَا دَخَلَ إِذَا التَّمَسَّ الدَّخْلُ^(١)
حَقَنْتُمْ دِمَاءَ الْمُصْلَتَيْنِ عَلَيْكُمْ^(٢) وَجُرُّ عَلَى فُرْسَانٍ شِيعَتِكَ الْقَتْلُ
وَقَى بِهِمُ الْعُرْيَانُ فُرْسَانَ قَوْمِهِ فَيَا عَجِبًا أَيْنَ الْأَمَانَةُ وَالْعَدْلُ!

وكان العُريان يقول : والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا : ابدُ بنا ، أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمتُ المأمور بقتلهم ، فما يقبل حُجَّتَهُمْ . وأمر بقتلهم ، والله على ذلك ما أحب أن قتل من قومي مكانهم رجل . ولئن لاموني ما أنا بالذي أحفل لاأثمهم ، ولا تكبر على .

وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، فأتى بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة : زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود ، فوهبهم له ، ثم استوهب بقيتهم أصحابه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً ، كانوا

(١) في الحاشية : « الدخْل بالذال معجمة : الحقد ، وبغير معجمة : الحفر في الأرض » .

في يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدى بن أوطاة ، ومحمد بن عدى بن أوطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عترة البصري ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبي حاضر التميمي من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وقد قال له القوم : ويحك ! إنا لا نراك إلا تقتلنا ؛ إلا أن أباك قد قتل ، وإن قتلنا ليس بنافع لك في الدنيا ، وهو ضارك في الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الریان ، تركه ، فقال له ناس : نسيته ؟ فقال : ما نسيته ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتهمه في ود ، ولا أخاف بغيته . فقال ثابت قطنة في قتل عدى بن أوطاة :

مَا سَرَّنِي قَتْلُ الْفَزَارِيِّ وَابْنِهِ عَدِيٌّ وَلَا أَخْبَيْتُ قَتْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُعَاوِيَ زَلَّةً وَضَعْتُ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب ، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد ، وقد أعدوا السفن البحرية ، وتجهزوا بكل الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنندابيل أميراً ، وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ، ولو قد لقيتهم لم أبرح المعرصة حتى تكون إلى أولهم ، فإن ظفرت أكرمك ، وإن كانت الأخرى كنت بقنندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي ، فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً ، أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي ؛ فكن عند حسن ظني ، وأخذ عليه أيماناً غلاظاً لئلا يصاحن أهل بيته ، إن هم احتاجوا وبلثوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ، ثم لجسوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدى - وكان يزيد استعمله على البحرين - فقال لهم : أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاءكم ، وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخططكم الناس ، وأن يتربوا بكم إلى بني مروان . ففصوا حتى إذا كانوا بحيال كرومان خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب .

١١/٢

وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزانين وبيت المال ؛ فكأنه أراد أن يتأمر عليهم ، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل : أنت أكبرنا وسيدنا ، وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهليك ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كثرمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبی فی طلب آل المهلب وفي أثر الفل^(١) . فأدرك مدرك المفضل بن المهلب ، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم ، فأدركهم في عتقة ، فعطفوا عليه ، فقاتلوه واشتد قتالهم إياه ، فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث ، وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً ، وأخذت سرية المفضل العالية ، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى إلى حلوان ، فدل عليه ، فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأومئوا ؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي من تميم ، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنة مسلمة تحته — فأمنه ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائماً ، فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونيفار في كل فتنة ، مرة مع حائك كندة ، ومرة مع ملاح الأزدي ؛ ما كنت بأهل أن تؤمن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان للمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل — وشراحيل يلقب رسم الحضري — فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضري : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن : أصلحك الله ! لم تشتمه كما شتمت صاحبه ! قال : أجلتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم على من أصحاب الآخر وأحسن طاعة . قال : فإنه أحب إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجداً ، وأسوأ أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

١٤١٢/٢

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حقره . ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من القُلُول حتى انتهوا إلى قنديل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضبّ الكلبي فردّه ، وسرّح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي ، من بني مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقنديل ، فأراد آل المهلب دخول قنديل ، فنعمهم وداع بن حميد . وكاتبه هلال بن أحوز ، ولم يباين آل المهلب^(١) فيفارقهم ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا ، كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى ، فرفع لهم راية الأمان ، فقال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، وارفض عنهم الناس فخذوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له المفضل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نسائنا فأقتلن ، لئلا يصل إليهن هؤلاء الفساق ، فقال : ويحك ! أتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهن منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيا فهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم^(٢) ، إلا أبا عينة ابن المهلب ، وعثمان بن المفضل فإنهما نَجّوا ، فلحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنسائهم^(٣) وأولادهم إلى مسلمة بالخير ، وبعث برؤسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث^(٤) بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وهو على حلب ، فلما نُصّبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس المفضل ، والله لكانه جالس معي يحدثني .

وقال مسلمة : لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق ، فقال الجراح بن عبد الله^(٥) : فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، فاشتراهم منه بمائة ألف ، قال : هاتها ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئا ، وخلي سبيلهم ، إلا تسعة فتية

١٤١٣/٢

١٤١٤/٢

(١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب » .

(٢) أضاف ابن الأثير : « وهم المفضل وعبد الملك وزيد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبي عينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه » .

(٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنسائهم » .

(٤) ابن الأثير : « فسيرهم » .

(٥) بعدها في ابن الأثير : « الحكى » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قطنة^(١) حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

ألا يا هند طال على ليلى
كاننى حين خلقت الثرىا
أمر على حلو العيش يوم
مصاب بنى أبليك وغبت عنهم
فلا والله لا أنسى يزيدا
فعلى أن أبو بأخيك يوما
وعلى أن أقود الخيل شعنا
فأصبحهن حمير من قريب
ونسقى مذحجا والحي كلبا
عشائرننا التى تبغى علينا
ولولاهم وما جلبوا علينا
وعاد قصيره ليلا تماما
سقيت لعاب أسود أو سماما
من الأيام شيبني غلاما
فلم أشهدهم ومضوا كراما
ولا القتلى التى قتلت حراما
يزيدا أو أبوء به هشاما
شواذب ضمرا تقص الإكاما
وعكا أو أرغ بهما جذاما
من الذيفان أنفاسا قواما
تجربنا زكا عاما فعاما
لأصبح وسطنا ملكا هماما

وقال أيضا يرثى يزيد بن المهلب :

أبى طول هذا الليل أن يتصرما
أرقت ولم تارق معي أم خالد
على هالك هد العشرة فقدده
على ملك يا صاح بالعقر جبننت
وهاج لك الهم الفؤاد المتيمما
وقد أرق عيناى حولا مجرما
دعته المنايا فاستجاب وسلما
كتائبه واستورد الموت معلما

١٤١٥/٢

(١) في ابن الأثير : « قطنة ؛ بالنون ؛ وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي ، أصيب عينه بخراسان ، فجعل عليها قطنة ، فمرف بذلك ؛ وهو يشبه بثابت قطنة ، بالباء الموحدة ، وهو خزاعي ، وذلك عتكي » .

أَصِيبَ وَلَمْ أَشْهَدْ وَلَوْ كُنْتُ شَاهِدًا
 وَفِي غَيْرِ الْأَيَّامِ يَا هِنْدُ فَاعْلَمِي
 فَعَلَيَّْ إِنْ مَالَتْ بَنَى الرِّيحِ مَيْلَةً
 أَمْسَلَمَ إِنْ يَقْدِرُ عَلَيْكَ رِمَاخُنَا
 وَإِنْ نَلَقَ لِلْعَبَّاسِ فِي الدَّهْرِ عَشْرَةٌ
 قِصَاصًا وَلَا نَعْدُو الَّذِي كَانَ قَدْ أَتَى
 سَتَعَلَّمُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَّعْلُ زَلَّةً
 مِنَ الظَّالِمِ الْجَانِي عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
 وَإِنَّا لَعَطَّافُونَ بِالْحَلَمِ بَعْدَ مَا
 وَإِنَّا لَحَلَّالُونَ بِالشَّغْرِ لَا نَرَى
 نَرَى أَنَّ لِلْجِيرَانِ حَاجًا وَحُرْمَةً
 وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الذَّرَى
 وَرَاحَتِ بَصْرَادٍ مُلِثٌ جَلِيدُهُ
 أَبُونَا أَبُو الْأَنْصَارِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
 وَقَدْ كَانَ فِي غَسَّانَ مَجْدٌ يَعُدُّهُ

١٤١٦/٢

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حَرْبِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، جَمَعَ لَهُ (٢)
 يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَايَةَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ وَخُرَّاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمَّا وَلَّاهُ
 يَزِيدَ ذَلِكَ ، وَلَّتْ مُسْلِمَةُ الْكُوفَةَ ذَا الشَّامَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ
 أَبِي مَعِيْطٍ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا آلُ الْمُهَلَّبِ — فِيمَا قَبْلَ —
 شَيْبُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، فَضَبَطَهَا ، فَلَمَّا ضُمَّتْ إِلَى مُسْلِمَةَ بَعَثَ عَامِلًا

١٤١٧/٢

(٢) ابن الأثير : « له أخوه » .

(١) ابن الأثير : « أحضرت » .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى شُرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة ، وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تَمَسِّن حصناً بكويفة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوّفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما همّ به عبد الرحمن ، فوجّه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقرّ عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خدينة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجّه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبدالعزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وهو الذي يقال له سعيد خدينة — وإنما لقب بذلك — فيما ذكر — أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً^(١) ، قدم خراسان على بختيه معلقاً سكيناً في منطقتة^(٢) ، فدخل عليه^(٣) ملك أبغزر، وسعيد متفضل في ثياب مصبغة ، حوله^(٤) مرافق مصبغة ، فلما خرج^(٥) من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خدينية ، لمّته سكينية ؛ فلقب خدينة وخدينة هي الدهقانة ربة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيد خدينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته ، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة .

ولما ولي مسلمة سعيد^(٦) خدينة خراسان ، قدم إليها قبل شخوصه سورة ابن الحرّ من بني دارم ، فقدمها قبل سعيد — فيما ذكر — بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند ، فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته ، فأخذ على آمل ، فأتى بخارى ، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

(١) ف : « منها » .

(٢) ب : « منطقة » .

(٣) ح : « على » .

(٤) ابن الاثير : « وحوله » .

(٥) ح : « خرجوا » .

(٦) ب : « سعيداً » .

السَّغْد ، وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ، وليلها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصلح ، فخطب شعبة أهل السَّغْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وغيرهم بالحبس ، فقال^(١) : ما أرى فيكم جريحاً ، ولا أسمع فيكم أنةً . فاعتذروا إليه بأن حبسوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى ، وكان على الحرب . ثم قدم سعيد ، فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين ولَّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلَّمهم فيهم عبد الرحمن بن عبد الله^(٢) القشيري ، فقال له سعيد : قد رُفِّعَ عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمنه ، فضمن عنهم^(٣) سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذه بها .

١٤١٩/٢

ثم إن سعيداً رفع إليه - فيما ذكر على بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي ولَّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية^(٤) ، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم في قهَّندز مَرَّو ، فقليل له : إن هؤلاء لا يؤدُّون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جهم بن زحر ، فحمل على حمار من قهَّندز مَرَّو ، فمروا به على الفيض بن عمران ، فقام إليه فوجاً أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلاً فعلت هذا حين أتوتني بك سكران قد شربت الخمر ، فضررتك جداً ! فغضب سعيد على جهم فضر به مائتي سوط ، فكبَّر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فذُفِّعوا^(٥) إلى ورداء بن نصر الباهلي ، فاستغفاه فأعفاه .

١٤٢٠/٢

وقال عبد الحميد بن دثار - أوعبد الملك بن دثار - والزبير بن نسيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد خديجة : ولَّنا محاسبتهم ، فولاهم فقتلوا في العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع ، وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشرفوا على الموت . قال : فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السَّغْد ، فأمر سعيد بإخراج

(١) ابن الأثير : « وقال » . (٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ابن الأثير : « في ثمانية نفر » .

(٥) ب : « فرفعوا » ، ابن الأثير : « فسلموا » .

مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ : قَبِّحَ اللَّهُ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ جَهْمًا !

وفى هذه السنة غزا المسلمون السُّعْدَ والتُّرُكَ ، فَكَانَ فِيهَا الْوَقْعَةُ بَيْنَهُمْ بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ .

وفيها عزل سعيد خذينة شعبة بن ظُهَيْرٍ عن سمرقند .

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شُعْبَةَ وسبب هذه الوقعة وكيف كانت :

ذكر علي بن محمد ، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ، أن سعيد خذينة لما قدم خراسان ، دعا قوماً من الدَّهَاقِينَ ، فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكُورَ ، فأشاروا إليه بقوم من العرب ، فوَلَّاهُمْ ، فسَكُوا إليه ، فقال للناس يوماً وقد دخلوا عليه : إني قدمت البلد . وليس لي علم بأهله ، فاستشرت فأشاروا^(١) على بقوم ، فسألتُ عنهم فحمدوا ، فولَّيتهم ، فأخرجَ عليكم لما أخبرتموني عن عمالي . فأثنى عليهم القوم خيراً ، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري : لو لم تُخرج^(٢) علينا لكففت^(٣) ، فأما إذ حرجت علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم^(٤) ، فهذا علمنا فيهم .

قال : فاتكأ سعيد ثم جلس ، فقال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، قوموا .

قال : وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السُّعْدَ ، وولَّى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشَّحِيرِ ، وولَّى الخراج سليمان بن أبي السَّريِّ مولى بني عُوَافَةَ ، واستعمل على هَرَاةَ معقل بن عروة القشيري ، فسار إليها . وضعف الناس سعيداً وسمَّوه خذينة ، فطعم فيه التُّرُكَ ، فجمع له خاقان التُّرُكَ ،

(٢) ح : « تخرج » .

(١) ب : « فأشار » .

(٣) ب : « للكففتنا » .

(٤) ب : « ولا بأشباههم » .

ووجههم إلى السغد ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي .

وقال بعضهم : أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة ، وكانت في ذلك القصر ، فأرسل إليها يخطبها ، فأبت ، فاستجاش ورجا أن يسبوا من في القصر ، فيأخذ المرأة ، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بنذاريتهم ، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله^(١) وخافوا أن يبطئ عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كان ها هنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم^(٢) .

١٤٢٢/٢

قال : وكان فيمن انتدب من بني تميم شُعْبَةُ بن ظُهَيْر النهشليّ وبلعاء بن مجاهد العنزيّ ، وعميرة بن ربيعة أحد بني العجّيف - وهو عميرة الثريد - وغالب بن المهاجر الطائيّ - وهو عمّ أبي العباس الطوسيّ - وأبوسعيد معاوية بن الحجاج الطائيّ ، وثابت قُطْنَة ، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان ، وحُليّس^(٣) الشيبانيّ ، والحجاج بن عمرو الطائيّ ، وحسان بن معدان الطائيّ ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسان الطائيّان . فقال المسيب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حلبة الترك ، حلبة خاقان وغيرهم ، والعيوض إن صبرتم الجنة ، والعقاب النار إن فررتم ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلثمائة ، وسار في الباقيين ، فلما سار فرسخاً قال للناس مثل مقالته الأولى ، فاعتزل ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف ، ثم سار - وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظليّ - حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قبيّ فقال : إنه لم يبق ها هنا دِهْقَان إلا وقد بايع الترك غيري ، وأنا في ثلثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبر ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً ، فأعطوهم سبعة عشر رجلاً ؛ ليكونوا رهناءً

١٤٢٣/٢

(١) بعدها في ب : « ابن مطرف » .

(٢) ب : « إغاثتهم » .

(٣) ط : « جليس » ، بالجيم ، تحريف .

في أيديهم^(١) حتى يأخذوا صلحتهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فنجاً لم يقتل ، والأشهب بن عبيد الله الحنظلي ، وميعادهم أن يقاتلوهم^(٢) غداً أو يفتحوا القصر ، فبعث المسيب رجلين : رجلاً من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قربتم فشدوا دوابكم بالمشجر ، واعلموا علم القوم . فأقبلا في ليلة مظلمة ؛ وقد أجرت^(٣) الترك الماء في نواحي القصر ؛ فليس يصل إليه أحد ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الربثة ، فقالا : لا تصح وادع لنا عبد الملك ابن دثار ، فدعاه فقالا له : أرسلنا المسيب ، وقد أتاكم الغياث ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم^(٤) نساتنا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعاً غداً . فرجعا إلى المسيب ، فأخبراه فقال المسيب للذين معه : إني سائر إلى هذا العدو ، فمن أحب أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحد ؛ وبايعوه على الموت .

١٤٢٤/٢

نसार وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة^(٥) تحصيناً ، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على بيانهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم ، وركب فحشهم على الصبر ، ورشهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصبر ، واملهم في الدنيا من الشرف والغنمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكتمروا^(٦) دوابكم وقودوها^(٧) ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها ، وشدوا شدة صادقة وكبروا . وليكن شعاركم : يا محمد ؛ ولا تنبعوا مولياً ، وعليكم بالدواب فاعقروها ، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم ، والليل الصابر خير من الكثير الفشل ؛ وليست بكم قلة . فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهلهم .

(١) ب : « بأيديهم » . (٢) ح : « يقاتلوهم » ، ابن الأثير : « يقاتلوا » .

(٣) ب وابن الأثير : « أخذت » .

(٤) ح : « تسليم » ، ابن الأثير : « على تقديم نساتنا إلى الموت » .

(٥) ح : « انذى أحرفه للمدينة » .

(٦) الكمام : شيء يجعل على فم البعير ؛ وكلم البعير : شد فاه بالكمام في هياجه لئلا يمض أو يأكل .

(٧) كذا في ب ، وفي ط : « قودوم » .

قال : وعبأهم وجعل على الميمنة كثير بن الدَّبَّوبِيَّ ، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطْنَةُ . وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبيروا وذلك في السحر ، وثار الترك ، وخالط المسلمون العسكر ، فعمروا الدواب ، وصار بهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجْزُ دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين ، فيهم البسخريّ أبو عبد الله المرائي ، ومحمد بن قيس الغنويّ - ويقال : محمد بن قيس العنبري - وزيد الأصبهاني ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قطنة . فقاتل البسخريّ فقطعت ^(١) يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذب بيديه حتى استشهد . واستشهد أيضاً محمد بن قيس العنبري أو الغنوي وشبيب بن الحجاج الطائي .

١٤٢٥/٢

قال : ثم انهزم المشركون ، وضرب ثابت قُطْنَةُ عظيماً من عظمائهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيب : لا تتبعوهم ^(٢) ؛ فإنهم لا يدرون من الرعب ، اتبعتموهم أم لا ! واقصدوا القصر ، ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ، ولا تحملوا من يقدر على المشي .

وقال المسيب : من حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبةً فأجره على الله ، ومن أبي فله أربعون درهماً ، وإن كان في القصر أحد من أهل عهذكم فاحملوه . قال : فقصدوا جميعاً القصر ، فحملوا من كان فيه ، وانتهى رجل من بني فقيم إلى امرأة ، فقالت : أغشني أغاثك الله ! فوقف وقال : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هي على عَجْز الفرس ؛ فإذا هي أفرس من رجل ، فتناول الفقيمي بيد ابنها ، غلاماً صغيراً ، فوضعه بين يديه ، وأتوا ترك خاقان ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ، وقال : الحقوا بسمرقند ، لا يرجعوا في آثاركم . فخرجوا نحو سمرقند ، فقال لهم : هل بقي أحد ؟ قالوا : هلال الحريري ، قال : لا أسلمه ، فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فاحتلمه ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجند .

قال : فرجع الترك من الغد ، فلم يروا في القصر أحداً ، ورأوا

(٢) ط : « تتبعهم » ، وما أثبت من ب .

(١) ب : « حتى قطعت » .

قتلاهم ، فقالوا : لم يكن الذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطنة :

فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ
فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ أَكْنَفُونِي عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهْجِ الْقَتَامِ
بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأَوْنِي أَحَامِي حَيْثُ ضَنَّ بِهِ الْمُحَامِي (١)
بَسِيفِي بَعْدَ حَطَمِ الرُّمَحِ قُدَمَاءُ أَذُوهُمْ بِذِي شُطْبِ جُسَامِ
أَكْرُّ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا كَكُرِّ الشَّرْبِ آتِيَةَ الْمُدَامِ
أَكْرُّ بِهِ لَدَى الْغَمَرَاتِ حَتَّى تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهَا مَقَامِي
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ وَضَرْبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
إِذَا لَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِثَارٍ أَمَامَ التَّرْكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ !
فَمَنْ مِثْلُ الْمَسِيبِ فِي تَمِيمٍ أَبِي بِشْرِ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ

وقال جرير يذكر المسيب :

لَوْلَا حِمَايَةُ يَرْبُوعٍ نِسَاءَ كُمْ كَانَتْ لَغَيْرِكُمْ مِنْهُنَّ أَطْهَارُ (٢)
حَامِي الْمَسِيبُ وَالْخِيلَانِ فِي رَهْجٍ إِذْ مَازَنُ ثُمَّ لَا يُحَمِّي لَهَا جَارُ (٣)
إِذْ لَا عِقَالُ يُحَامِي عَنْ ذِمَارِكُمْ وَلَا زُرَّارَةٌ يَحْمِيهَا وَوَزَارُ

قال : وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وشلت يده ، وقد كان ولي ولاية قبيل سعيد ، فخرج عليه شيء مما كان بقى عليه ، فأخذ به . فدفعه سعيد إلى شداد بن خليد الباهلي ليحاسبه ويستأديه (٤) فضيق عليه شداد ، فقال : يا معشر قيس ، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش ، حديد البصر ؛ فعورت وشلت يدي ، وقاتلت مع من قاتل

(١) ابن الأثير : « حيث ضربه » . (٢) ديوانه ١٩٨ .

(٣) الديوان : « أزمان شبة لا يحمي ونمار » . (٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا^(١) على القتل والأسر والسبي ، وهذا^(٢) صاحبكم يصنع بي ما يصنع^(٣) ، فكُفُّوه عني ، فخلّاه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلي قال : كنا في القصر ، فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همّاتهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل .

١٤٢٨/٢

[ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السُغْد]

وفي هذه السنة قطع سعيد خدينة نهر بلخ وغزا السُغْد^(٤) ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين .

• ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة :

وكان سبب غزو^(٥) سعيد هذه الغزوة — فيما ذكر — أن الترك عادوا إلى السُغْد ، فكلّم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار الترك ، وكفر أهل السُغْد ، فقطع النهر ، وقصد للسُغْد ، فلقى الترك وطائفة من أهل السُغْد فهزمهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعوهم ؛ فإن السُغْد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم ؛ أفريدون بوارهم ! وقد قاتلهم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم^(٦) !

وسار المسلمون ، فانتهوا إلى وادي بينهم وبين المرج ، فقال عبد الرحمن ابن صُبْح : لا يقطعن هذا الوادي مجتئف ولا راجل ، وليعبر من سواهم . فعبروا^(٧) ، ورأتهم الترك ، فأكنوا كميناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم ، فانهزأ الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبيح : سابقوهم ، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا لهم حتى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال

١٤٢٩/٢

(١) ب وابن الأثير : « ما أشرفوا » . (٢) ب : « فهذا » .

(٣) ح : « صنع » . (٤) ب وابن الأثير : « الصغد » .

(٥) ح : « غزوة » . (٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .

(٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِلَ يومئذ شُعْبَةُ بن ظُهَيْر وأصحابه ، وقال قوم : بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين ، ومعهم جمع من أهل السُّعْد . فلما كان الغد ، خرجت مسلحة للمسلمين - والمسلحة يومئذ من بني تميم - فاشعروا إلا بالترك معهم ، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظُهَيْر ، فقاتلهم شعبة فقتل ؛ أعجلوه عن الركوب . وقيل رجل من العرب ، فأخرجت جاريته حياءً ، وهى تقول : حتى متى أعدت لك مثل هذا الخضاب ، وأنت مختضب بالدم ! مع كلام كثير . فأبكت أهل العسكر . وقيل نحو من خمسين رجلاً : وانهزم أهل المسلحة . وأتى الناس الصَّرِيخ ، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي : كنت أنا أول من أتاها لما أتاها الخبر ، وتحسني فرس جواد ، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قُنفذ من النشَّاب ؛ وقد قتل ، وركب الخليل بن أوس العبسمي - أحد بني ظالم ، وهو شاب - ونادى : يا بني تميم ، أنا الخليل ؛ إلى ! فانضمت^(١) إليه جماعة - فحمل بهم على العدو ، فكفّوهم ووزعوهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة ، فانهزم العدو ، فصار الخليل على خيل بني تميم يومئذ ، حتى ولى نصر بن سيار ؛ ثم صارت رئاسة بني تميم لأخيه الحكم بن أوس .

وذكر علي بن محمد ، عن شيوخه ؛ أن سورة بن الحرّ قال لحِيَّان : أنصرف ١٤٣٠/٢ يا حيَّان ، قال : عقيرة الله أدعُها وأنصرف قال : يا نبطي قال : أنبط الله وجهك !

قال : وكان حيَّان النبطي يكنى في الحرب أبا الهَيَّاج ، وله يقول الشاعر :

إِنَّ أبا الهَيَّاجَ أَرِيحِيٌّ لِلرَّيْحِ فِي أَثْوَابِهِ دَوِيٌّ

قال : وعبر سعيد النّهر مرتين ، فلم يجاوز سَمَرْقَنْدَ ، نزل في الأولى بإزاء العدو ، فقال له حيَّان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني : أيها الأمير ، ناجز أهل السُّعْدَ ، فقال : لا ، هذه بلاد أمير المؤمنين ، فرأى دخاناً ساطعاً ، فسأل عنه فقيل له : السُّعْدُ قد كفروا ومعهم بعض الترك . قال : فناوشهم ، فانهزموا

(١) ابن الأثير : « فاجتمع » .

فألحوا في طلبهم ، فنادى منادى سعيد : لا تطلبوهم ؛ إنما السَّغْد بستان
 أمير المؤمنين ، وقد هزمتوهم ، أفتر يدون بوارهم ! وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم
 أمير المؤمنين غير مرة ، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع ، فلما كان العام المقبل
 بعث رجالاً من بني تميم إلى وَرْعَسَر ، فقالوا : ليتنا تلقى العدو فنطاردهم
 — وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا ^(١) وسبوا ردّ ذراري السبي
 وعاقب السرية ، فقال الهجري وكان شاعراً :

١٤٣١/٢ سرّيت إلى الأعْداء تلهو بلعية وأترك مسلولٌ وسيفك مُعْمَدُ
 وَأَنْتَ لِمَنْ عَادَيْتَ عِرْسٌ خَفِيَّةٌ وَأَنْتَ عَلَيْنَا كَالْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
 فَلَلَّ دَرِ السَّغْدِ لَمَّا تَحَزَّبُوا ^(٢) وَيَا عَجَباً مِنْ كَيْدِكَ الْمُتَرَدِّدِ !

قال : فقال سورة بن الحرّ لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقّد عليه
 قوله : « أنبط الله وجهك » — : إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال ، وهو
 أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ؛
 ثم يتحصّن ^(٣) في بعض هذه القلاع . فقال : يا سورة ^(٤) لا تُسمعن هذا
 أحداً . ثم مكث أياماً ، ثم دعا في مجلسه بلبن ، وقد أمر بذهب فسحق ،
 وألقى في إناء حيّان فشربه ، وقد خلط بالذهب ، ثم ركب ، فركب الناس أربعة
 فراسخ إلى باركث ؛ كأنه يطلب عدواً ، ثم رجع فعاش حيّان أربعة أيام ومات
 في اليوم الرابع ، فثقل سعيد على الناس وضعّفوه ، وكان رجل من بني أسد
 يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد ، فدُكر لإسماعيل عند خدينة
 ومودته لمروان ، فقال سعيد : وما ذاك المِلْطُ ! فهجاه إسماعيل ، فقال :

زَعَمْتَ خُدَيْنَةً أَنْنِي مِلْطُ ^(٥) لِيُخْدِنَنِي الْمَرَأَةُ وَالْمُشْطُ
 وَمَجَامِرٌ وَمَكَاحِلٌ جُعِلَتْ وَمَعَازِفٌ وَيَخْذَهَا نُقْطُ

(١) ابن الأثير : « أوغنموا » .

(٢) ح : « تحرّبا » .

(٣) ب : « نتحصن » .

(٤) ابن الأثير : « فقال سعيد : لا أسمع هذا أحداً » .

(٥) المِلْطُ : الذي لا يعرف له نسب ولا أب .

أَفْذَاكَ أَمْ زَعَفَ مُضَاعَفَةٌ وَمُهَنْدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُّ
لَمْقَرِسٍ ذَكَرٍ أَخَى ثِقَةٍ لَمْ يَغْذُهُ النَّانِيثُ وَاللَّقَطُّ
أَغْضِبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أُمِّكُمْ بِهِمْ وَأَنْ أَبَاكُمْ سَقَطَ
إِنِّي رَأَيْتُ نِبَالَهُمْ كُسِيتَ رِيَشَ اللُّوَامِ وَنَبْلَكُمْ مُرُطَ
وَرَأَيْتُهُمْ جَعَلُوا مَكَاسِرَهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلَطَ

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفي هذه السنة عُرِلَ مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

• ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر على بن محمد - أن مسلمة لما ولى ما ولى من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عمله ، وأقبل .

١٤٣٣/٢

وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره ، فقال له : أمن ^(١) شوق بك إليه ! إنك لطرُوب ، وإن عهدك به لقريب ، قال : لا بد من ذلك ، قال : إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فشخص ؛ فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس ^(٢) من دواب البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة ، فقال : إلى أين يابن هبيرة ؟ فقال : وجهنى أمير المؤمنين فى حيازة أموال بنى المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه ، فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بنى المهلب ، قال : هذا ^(٣) أعجب من الأول ؛ يصرف عن الجزيرة ، ويوجه فى حيازة أموال

(٢) ح : « فى خمسين » .

(١) ف : « من » .

(٣) ب : « فإن هذه » .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكَابُ مُودَّعَا فَارَعَى فَزَارَةَ لَا هَذَاكَ الْمَرْتَعُ^(١)
عُزِلَ ابْنُ بَشْرِ بْنِ عَمْرِو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ^(٢)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَنُفْ فَزَارَةَ أُمِرْتُ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ مَا هُمْ وَلِمِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فَزَارَةُ يَطْمَعُ^(٣)

يعنى^(٤) بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو محمداً ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وبأخي هراة سعيد خذينة بن عبد العزيز ، كان عاملاً لمسلمة على خراسان .

وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير .

[بدء ظهور الدعوة]

وفيها وجهه — فيما ذكر ميسرة — رسالته من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة^(٥) بها ، فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بجير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينة ، فقال له : إن ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث إليهم سعيد ، فأتي بهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من النجار ؟ قال : فما هذا الذي يحكي عنكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : جئتم دعاة ؟ فقالوا :

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « وضعت لمسلمة » .

(٢) الديوان : « نزع ابن بشر » .

(٣) موضعه في الديوان :

إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا حَتَّى أُمِيَّةٌ عَنْ فَزَارَةَ تَنْزِعُ

(٥) ب : « فظهر أمر الدعوة » .

(٤) ف : « ويعنى » .

إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا ، فقال : مَنْ يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جلّتهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فخلّى سبيلهم .

[ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية]

وفيها — أعنى سنة اثنتين ومائة — قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها . ١٤٣٥/٢
• ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان — فيما ذكر — عزم أن يسير بهم ^(١) بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السّواد من أهل الذّمة ، فأسلم بالعراق ممن ردّهم إلى قُراهم ^(٢) ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم ^(٣) على ذلك تأمروا في أمره ، فأجمع ^(٤) رأيهم — فيما ذكر — على قتله فقتلوه ، ولولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ؛ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى ^(٥) الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك . فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقرّ محمد بن يزيد على إفريقية .

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن مُعَصَّة بن سكين بن خَدِيد بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة على العراق وخراسان . وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحّاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) ب وابن الأثير : « فيهم » . (٢) ف : « قراهم » .

(٣) ح : « عزموا » ، ابن الأثير : « فلما عزم يزيد » .

(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضَّحَّاك ، وعلى مكة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ،
وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة
عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خُذَيْنة ، وعلى مصر أسامة
ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[عزل سعيد خدينة عن خراسان]

فِيمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ سَعِيدَ خُدَيْنَةَ عَنْ خُرَاسَانَ ،
وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ عَنْهَا - فِيمَا ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَشْيَاخِهِ - أَنَّ الْمُجَشَّرَ بْنَ
مُزَاحِمَ السُّلَمِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيَّ قَدِمَا عَلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَشَكَّوَاهُ
فَعَزَلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ
الْحَرِيشِ ^(١) بْنَ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَخُدَيْنَةَ غَازِيَّ ^(٢) بِيَابِ
سَمَرْقَنْدَ ، فَبَلَغَ النَّاسَ عَزْلُهُ ، فَقَفَلَ خُدَيْنَةَ ، وَخَلَفَ بِسَمَرْقَنْدَ أَلْفَ فَارِسَ ،
فَقَالَ نَهَارَ بْنَ تَوْسِيعَةَ :

فَمَنْ ذَا مُبْلَغٌ فَتَيَانِ قَوِيٍّ ^(٣) بَأَنَّ النَّبَلَ رِيشتُ كُلِّ رِيثِشِ
بَأَنَّ اللَّهَ أَبْدَلَ مِنْ سَعِيدٍ سَعِيدًا لَا الْمُخْنَثَ مِنْ قَرِيشِ
قَالَ : وَلَمْ يَعْرِضْ سَعِيدَ الْحَرَشِيِّ لِأَحَدٍ مِنْ عَمَالِ خُدَيْنَةَ ، فَقَرَأَ رَجُلٌ
عَهْدَهُ فَلَحَنَ فِيهِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : صَه ، مَهْمَا سَمِعْتُمْ فَهُوَ مِنَ الْكَاتِبِ ، وَالْأَمِيرُ
مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ يَضْعَفُ الْحَرَشِيُّ فِي هَذَا الْكَلَامِ :

تَبَدَّلْنَا سَعِيدًا مِنْ سَعِيدٍ لَجَدَّ السُّوءِ وَالْقَدَرِ الْمُتَاحِ

قَالَ الطَّبَرِيُّ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ فَفَتَحَ مَدِينَةَ ^(٤)
يُقَالُ لَهَا رَسَلَةُ .

وَفِيهَا أَغَارَتِ الْبَرْكُ عَنْ اللَّانِ .

(١) ب : « فدان بن الحرش » . (٢) ابن الأثير : « كان » .
(٣) ب وابن الأثير : « فهل من مبلغ » . (٤) بعدها في ف : « منها » .

وفيها ضُمَّت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى ، فجمعت له مع المدينة .

وفيها ولى عبد الواحد بن عبد الله النضرى ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيها أمر عبد الرحمن بن الضَّحَّاك أن يجمع بين أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المُرَى ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى ، كذلك قال أبو معشر والواقدي . ١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضرى ^(١) . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشى من قبيل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

[استعمال ابن هبيرة سعيداً الحرشى على خراسان]
وفيها استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى على خراسان .
* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشى على خراسان :

ذكر على بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولى العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلت يوم العقر ، ولم يذكر الحرشى ، فقال يزيد بن عبد الملك : لم يذكر الحرشى ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ول الحرشى خراسان . فولاه ، فقدم الحرشى على مقدمته الجش بن مزاحم السلمى سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحرشى خراسان ، والناس بإزاء العدو ، وقد كانوا نكبوا ، فخطبهم وحشهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصرى » ، ف : « النضرى » .

ولا بعدة ، ولكن بنصر الله وعز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فَلَسْتُ لِعَامِرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطْعَنُ بِالْعَوَالِي^(١)
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بَعْضُ الْهَدْحُودِ بِالْصَّقَالِ^(٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرِّجَالِ
أَبَى لِي وَاللَّيْ مِنْ كُلِّ ذِمٍّ وَخَالِي فِي الْوَادِثِ خَيْرُ خَالِ
إِذَا خَطَرْتُ أُمَامِي حَيْثُ كَعَبُ وَزَافْتُ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالِ

[ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو
الحارثي فلهحقوا بفرغانة ، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين .

• ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه ، أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام
خذينة ، فلما وليهم الحارثي خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماءهم على
الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج
ما مضى ، واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرضيكم^(٣) والغزو
معه إن أراد ذلك ، واعتذروا مما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون في يديه .
قالوا : نخاف ألا يرضى ، ولا يقبل منا ، ولكننا نأتي خجندة . فنستجير
ملكها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ، ونوثق له ألا يرى أمراً
يكرهه ، فقال : أنا رجل منكم ، وما أشرتُ به عليكم كان خيراً لكم ، فأبوا ،
فخرجوا إلى خجندة ، وخرج كارزنج وكشين وبيساركت وثابت بأهل
إشتيخسن ، فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنعهم ويمنعهم

(١) ابن الأثير : « نطن » . (٢) حدوث ، أي جل .

(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهم أن يفعل، فقالت له أمه: لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك، ولكن فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه، فأرسل إليهم: سمو لي رستاقاً^(١) أفرغه لكم، وأجلوني أربعين يوماً - ويقال: عشرين يوماً - وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة خلفه فيهم - فقبلوا شعب عصام. فأرسلوا إليه^(٢): فرغه لنا، قال: نعم، وليس لكم على^(٣) عقد ولا جوار حتى تدخلوه؛ وإن أتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم، فرضوا؛ ففرغ لهم الشعب.

وقد قيل: إن ابن هبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا. ويستعمل عليهم من أحبوا، فأبوا وخرجوا إلى خُجَسْدَة وشعب عصام من رُستاق أسفرة - وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا، وبلاذا أنوجور ملكها.

وقيل: قال لهم كارزنج: أخيركم ثلاث خصال، إن تركتموها هلكتم: إن سعيداً فارس العرب، وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري^(٤) في حماة أصحابه. فبيئته فاقتلوه؛ فإن الحرشي إذا أتاه خبر لم يغزكم، فأبوا عليه، قال: فاقطعوا نهر الشاش، فسلوهم ماذا تريدون؟ فإن أجابوكم وإلا مضيت إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

١٤٤١/٢

قال: فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قبي، وأباربن ماخنون وثابت بأهل إشتيخن، وارتحل أهل بياركت وأهل سسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن، فارتحل الديواشني بأهل بسنجيكت إلى حصن أبغزر، ولحق كارزنج وأهل السغد بخجسدة.

* * *

تم الجزء السادس من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء السابع. وأوله: ذكر حوادث سنة أربع ومائة

(١) بعدها في ابن الأثير: «تكونون فيه حتى»، (٢) ب: «وقالوا له».

(٣) ب، ح: «القشري».

(٤) ح: «عننى».

فهرس الموضوعات

السنة السادسة والستون

- ذكر الخبر عن الكائن الذى كان فيها من الأمور الجلييلة . ٥ — ٣٨
 ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة . ٣٨ — ٦٦
 ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة . ٦٦ — ٧١
 ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير . ٧١ — ٧٥
 ذكر الخبر عن قدوم الخشبيّة مكة وموافاتهم الحج . ٧٥ — ٧٧
 ذكر الخبر عن حصار بنى تميم بخراسان . ٧٧ — ٨٠
 شخوص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد . ٨١ — ٨٢
 ذكر أمر الكرسيّ الذى كان المختار يستنصر به . ٨٢ — ٨٥

* * *

السنة السابعة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . ٨٦ . . .
 خبر مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام . ٨٦ — ٩٢
 ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة . ٩٣ . . .
 ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد . ٩٣ — ١١٦
 خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب . ١١٧ — ١١٨
 أخبار متفرقة . ١١٨

* * *

السنة الثامنة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة . . . ١١٩ .
 ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق . . . ١١٩ — ١٢٧ .
 ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر . . . ١٢٨ — ١٣٨ .
 أخبار متفرقة . . . ١٣٨ ، ١٣٩ .

* * *

السنة التاسعة والستون

- ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو . . . ١٤٠ — ١٤٨ .
 أخبار متفرقة . . . ١٤٨ ، ١٤٩ .

* * *

السنة السبعين

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ١٥٠ .

* * *

السنة الحادية والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ١٥١ .
 خبر مسير عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير ثم قتله ١٥١ — ١٦٢ .
 ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة . . . ١٦٢ — ١٦٥ .
 ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة . . . ١٦٥ ، ١٦٦ .
 خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب . . . ١٦٦ .

* * *

السنة الثانية والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلية . . . ١٦٨ — ١٧٣
- خروج أبي فديك الخارجي وغلبته على البحرين . . . ١٧٤
- خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير . . . ١٧٤ ، ١٧٥
- أمر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك . . . ١٧٦ — ١٧٨
- فصل في ذكر الكتاب من بدء أمر الإسلام . . . ١٧٨ ، ١٧٩
- أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم . . . ١٧٩
- أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة . . . ١٧٩ — ١٨٦

* * *

السنة الثالثة والسبعون

- ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجلية . . . ١٨٧
- خبر مقتل عبد الله بن الزبير . . . ١٨٧ — ١٩٣
- أخبار متفرقة . . . ١٩٣ ، ١٩٤

* * *

السنة الرابعة والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأعمال الجلية . . . ١٩٥
- ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة . . . ١٩٥ — ١٩٩
- عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها . . . ١٩٩ — ٢٠١
- أخبار متفرقة . . . ٢٠١ ، ٢٠٢

* * *

السنة الخامسة والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٠٢
 ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها ٢٠٢ - ٢٠٩
 ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة ٢١٠ - ٢١١
 نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز ٢١١ - ٢١٥
 ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة ٢١٥

. . .

السنة السادسة والسبعون

- ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرّح وعن سبب خروجه ٢١٦ - ٢٢٣
 خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج ٢٢٤ - ٢٥٦
 نقش الدراهم والدنانير بأمر عبد الملك بن مروان ٢٥٦
 أخبار متفرقة ٢٥٦

. . .

السنة السابعة والسبعون

- محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حويّة وقتلهما ٢٥٧ - ٢٦٧
 ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية ٢٦٧ - ٢٧٩
 ذكر الخبر عن مهلك شبيب ٢٧٩ - ٢٨٤
 خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك ٢٨٤ - ٣٠٠
 ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة ٣٠٠ - ٣٠٨
 ذكر الخبر عن هلاك قطريّ وأصحابه ٣٠٨ - ٣١١

- ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد . ٣١١ - ٣١٧
 أخبار متفرقة ٣١٧ ، ٣١٨

* * *

السنة الثامنة والسبعون

- ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجلييلة . ٣١٧
 ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان
 وذكر السبب في توليته مَنْ ولاه ذلك وشيئاً منه . ٣١٧ - ٣٢١
 أخبار متفرقة ٣٢١

* * *

السنة التاسعة والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث الجلييلة ٣٢٢
 ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكر رُتَبِيل . ٣٢٢ - ٣٢٤
 أخبار متفرقة ٣٢٤

* * *

السنة الثمانون

- ذكر الأحداث الجلييلة التي كانت في هذه السنة . ٣٢٥
 ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر ٣٢٥ ، ٣٢٦
 تسير الجنود مع ابن الأشعث إلى رُتَبِيل . ٣٢٦ - ٣٢٩
 أخبار متفرقة ٣٢٩ ، ٣٣٠

* * *

السنة الحادية والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٣٠ .
 ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان ٣٣٠ — ٣٣٤
 ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج ٣٣٤ — ٣٤١
 أخبار متفرقة ٣٤١

* * *

السنة الثانية والثمانون

- ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث ٣٤٢ .
 ذكر خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية ٣٤٢ — ٣٤٥
 وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث ٣٤٦ — ٣٥٠
 ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب ٣٥٠ — ٣٥٢
 ذكر الخبر عن سبب انصراف الهلب عن كَيْسَ ٣٥٢ — ٣٥٣
 ذكر خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة ٣٥٤ ، ٣٥٥
 أخبار متفرقة ٣٥٥ ، ٣٥٦

* * *

السنة الثالثة والثمانون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٣٥٧ .
 خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم ٣٥٧ — ٣٦٥
 هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن ٣٦٦ — ٣٨٣
 ذكر خبر بناء مدينة واسط ٣٨٣ ، ٣٨٤
 أخبار متفرقة ٣٨٤

السنة الرابعة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٨٥
- خبر قتل الحجاج أيوب بن القيرية ٣٨٥ ، ٣٨٦
- خبر فتح قلعة نيزك بباذغيس ٣٨٦ -- ٣٨٨
- أخبار متفرقة ٣٨٨

* * *

السنة الخامسة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٨٩
- خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٣٨٩ -- ٣٩٣
- عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ٣٩٣ -- ٣٩٧
- غزو الفضل باذغيس وآخرين ٣٩٧ ، ٣٩٨
- خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ ٣٩٨ -- ٤١٢
- عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز ٤١٢ ، ٤١٣
- خبر موت عبد العزيز بن مروان ٤١٣ -- ٤١٦
- بيعة عبد الملك لابنيه : الوليد ثم سليمان ٤١٦ ، ٤١٧
- أخبار متفرقة ٤١٧

* * *

السنة السادسة والثمانون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤١٨
- خبر وفاة عبد الملك بن مروان ٤١٨
- ذكر الخبر عن مبلغ سنة يوم توفى ٤١٩

- ذكر نسبه وكنيته ٤١٩ .
 ذكر أولاده وأزواجه ٤١٩ — ٤٢٢ .
 خلافة الوليد بن عبد الملك ٤٢٣ .
 ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبيل الحجاج . . . ٤٢٤ .
 ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة . . . ٤٢٤ — ٤٢٦ .
 أخبار متفرقة ٤٢٦ .

* * *

السنة السابعة والثمانون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٢٧ .
 خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
 خبر صلح قتيبة ونيزك ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
 خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ٤٢٩ .
 خبر غزو قتيبة ببيكنند ٤٢٩ — ٤٣٣ .
 أخبار متفرقة ٤٣٣ .

* * *

السنة الثامنة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٣٤ .
 خبر فتح حصن طوانة من بلاد الروم ٤٣٤ .
 ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ٤٣٥ ، ٤٣٦ .
 ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميثنه ٤٣٦ ، ٤٣٧ .
 ذكر ما عمل الوليد من المعروف ٤٣٧ .
 أخبار متفرقة ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

* * *

السنة التاسعة والثمانون

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٤٣٩
- خبر غزو مسلمة أرض الروم . . . ٤٣٩
- خبر غزو قتيبة بخارى . . . ٤٣٩ ، ٤٤٠
- خبر ولاية خالد القسري على مكة . . . ٤٤٠
- أخبار متفرقة . . . ٤٤١
- * * *

السنة التسعون

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٤٤٢
- خبر فتح بخارى . . . ٤٤٢ — ٤٤٤
- خبر صالح قتيبة مع السفد . . . ٤٤٥
- غدر نيزك . . . ٤٤٥ — ٤٤٧
- خبر فتح الطالقان . . . ٤٤٧
- هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج . . . ٤٤٨ — ٤٥٣
- * * *

السنة الحادية والتسعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ٤٥٤
- تتمة خبر قتيبة مع نيزك . . . ٤٥٤ — ٤٦١
- خبر ولاية قتيبة شومان وكيس ونسف . . . ٤٦١ — ٤٦٤
- ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة . . . ٤٦٤ ، ٤٦٥
- أخبار متفرقة . . . ٤٦٥ — ٤٦٧
- * * *

السنة الثانية والتسعون

ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٦٨

فتح الأندلس ٤٦٨

* * *

السنة الثالثة والتسعون

ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٦٩

صلح قتيبة ملاك خوارزم شاه وفتح خام جرد ٤٦٩ — ٤٧٢

غزو قتيبة سمرقند ثم فتحها ٤٧٢ — ٤٨١

فتح طليطلة ٤٨١

ذكر خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز ٤٨١ ، ٤٨٢

أخبار متفرقة ٤٨٢

* * *

السنة الرابعة والتسعون

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٨٣

غزو قتيبة الشاش وفرغانة ٤٨٣ — ٤٨٥

ولاية عثمان بن حيان المرقى على المدينة ٤٨٥ — ٤٨٧

ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير ٤٨٧ — ٤٩١

أخبار متفرقة ٤٩١

* * *

السنة الخامسة والتسعون

ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٩٢

بقية الخبر عن غزو الشاش ٤٩٢ ، ٤٩٣

أخبار متفرقة ٤٩٣ ، ٤٩٤

* * *

السنة السادسة والتسعون

٤٩٥	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٩٦ ، ٤٩٥	ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك
٤٩٩ — ٤٩٦	ذكر الخبر عن بعض سيره
٥٠٤ — ٥٠٠	فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين
٥٠٦ ، ٥٠٥	خلافة سليمان بن عبد الملك
٥٢٢ — ٥٠٦	خبر مقتل قتيبة بن مسلم
٥٢٣ ، ٥٢٢	أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة والتسعون

٥٢٤	ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث
٥٢٩ — ٥٢٤	ولاية يزيد بن المهلب على خراسان
٥٢٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة والتسعون

٥٣٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٣١ ، ٥٣٠	خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية
٥٣٢ ، ٥٣١	مبايعة سليمان لابنه أيوب رئيساً للعهد
٥٤١ — ٥٣٢	غزو جرجان وطبرستان
٥٤٥ — ٥٤١	فتح جرجان
٥٤٥	أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة والتسعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٤٦
- ذكر الخبر عن وفاة سليمان بن عبد الملك ٥٤٦
- ذكر الخبر عن بعض سيره ٥٤٨ ، ٥٤٩
- خلافة عمر بن عبد العزيز ٥٥٠ — ٥٥٣
- أخبار متفرقة ٥٥٣ ، ٥٥٤

* * *

السنة المائة

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ٥٥٥
- خبر خروج شوذب الخارجي ٥٥٥ ، ٥٥٦
- خبر القبض على يزيد بن المهلب ٥٥٦ — ٥٥٨
- عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان ٥٥٨ — ٥٦٠
- ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن
- نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان ٥٦١ ، ٥٦٢
- أول الدعوة ٥٦٢
- أخبار متفرقة ٥٦٣

* * *

سنة إحدى ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٦٤
- خبر خروج يزيد بن المهلب من سجنه ٥٦٤ ، ٥٦٥
- خبر وفاة عمر بن عبد العزيز ٥٦٥ ، ٥٦٦
- ذكر بعض سيره ٥٦٦ — ٥٧٠
- زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر ٥٧٠ — ٥٧٣

- خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ٥٧٤ ، ٥٧٥
 مقتل شوذب الخارجي ٥٧٥ — ٥٧٨
 خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك . ٥٧٨ — ٥٨٩
 أخبار متفرقة ٥٨٩

* * *

سنة اثنتين ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٩٠
 ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب ٥٩٠ — ٦٠٤
 خبر ولاية مسلمة على العراق وخراسان ٦٠٤ ، ٦٠٥
 خبر استعمال مسلمة سعيد خذينة على خراسان . ٦٠٥ — ٦٠٧
 ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة
 وكيف كانت ٦٠٧ — ٦١٢
 ذكر الخبر عن غزو سعيد خذينة السغد ٦١٢ — ٦١٥
 عزل مسلمة عن العراق وخراسان ٦١٥ ، ٦١٦
 بدء ظهور الدعوة ٦١٦ ، ٦١٧
 ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ٦١٧
 أخبار متفرقة ٦١٧ ، ٦١٨

* * *

سنة ثلاث ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦١٩
 عزل سعيد خذينة عن خراسان ٦١٩
 أخبار متفرقة ٦١٩ ، ٦٢٠
 استعمال ابن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي على خراسان . ٦٢٠ ، ٦٢١
 خبر ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة . ٦٢١ ، ٦٢٢

رقم الإيداع	٢٠١٤ / ٥٢٦٧
الترقيم الدولي	1 - 978 - 977 - 02 - 7969 - ISBN

١ / ٢٠١٤ / ٢١

طبع بمطابع دار المعارف